# مجمع البيان
## في تفسير القرآن

للشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

دار المعرفة

# مجمع البيان

في

تفسير القرآن

كتابخانه
بنياد دايرة المعارف اسلامى

# مجمع البيان
## في
# تفسير القرآن

لمؤلفه
الشيخ ابى على الفضل بن الحسن الطبرسي
من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي
عفا الله عنهما

الجزء التاسع

شماره ثبت ٣٥٤٤٣
رده‌بندى ..........
..........
تاريخ ١٣٣٢/٢/٢٠٢..........

دار المعرفة
للطباعة والنشر

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing
DAR EL-MAREFAH

مستديرة المطار - شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١-٨٣٤٣٣٢ - برقياً معرفكار بيروت - لبنان

# ﴿ الجزء التاسع ﴾

## (٤١) سورة فصّلت مكيّة وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

**[ عدد آيها ]**

أربع وخمسون آية كوفي ثلاث حجازي آيتان بصري شامي .

**[ اختلافها ]** آيتان حم كوفي عاد وثمود حجازي كوفي .

**[ فضلها ]** أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ حم السجدة أُعطي[1] بعدد كلّ حرف منها عشر حسنات وروى ذريح المحاربي عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ حم السجدة كانت له نوراً يوم القيامة مدّ بصره وسروراً وعاش في هذه الدنيا مغبوطاً محموداً .

**[ تفسيرها ]** ختم الله سورة المؤمن بذكر المنكرين لآيات الله وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ
ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ

(١) [ من الأجر ] .

فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥

[ الإعـراب ] قال الـزجّاج تنـزيل رفـع بالابتـداء وخبره كتـاب فصّلت هـذا مـذهب البصريين وقال الفراء يجوز أن يكون تنزيل يرتفع بحم ويجوز أن يرتفع بإضمار هذا والمعنى هذا تنزيل أو هو تنزيل وقوله ﴿ قرآناً عربياً ﴾ نصب قرآناً على الحال بمعنى بيّنت آياته في حال جمعه وبشيراً ونذيراً من صفته .

[ المعنى ] حمّ قد تقدّم القول فيه وقيل في وجه الاشتراك في افتتاح هذه السور السبع بـ حمّ أنّه للمشاكلة التي بينها بما يختصّ به وليس لغيرها وذلك أنّ كل واحدة منها استفتحت بصفة الكتاب مع تقاربها في الطول ومع شدّة تشاكل الكلام في النظم ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ نزل به جبرائيل على محمد ﷺ ﴿ كتاب فصّلت آياته ﴾ وصف الكتاب بالتفصيل دون الإجمال لأن التفصيل يأتي على وجوه البيان أي الذي بيّنت آياته بياناً تامّاً والتبيين فيـه على وجوه منها تبيين الواجب ممّا ليس بـواجب وتبيين الأولى في الحكمة ممـا ليس بأولى وتبيين الجائز مما ليس بجائـز وتبيين الحق من الباطـل وتبيين الدليـل على الحق ممّا ليس بدليل وتبيين ما يرغب فيه ممّا لا يرغب فيه وتبيين ما يحذر منه ممّا لا يحذر منه إلى غير ذلك من الوجوه وقيل فصّلت آياته بالأمـر والنهي والوعـد والوعيـد والترغيب والتـرهيب والحلال والحـرام والمواعظ والأمثـال وقيل فصّلت أي نـظمت آياتـه على أحسن نظام وأوضـح بيان ﴿ قرآناً عربيّاً ﴾ وصفه بأنه قرآن لأنه جمع بعضه إلى بعض وبأنه عربيّ لأنه يخالف جميـع اللغات التي ليست بعربية وكل ذلـك يدل على حـدوث القرآن ﴿ لقـوم يعلمون ﴾ اللسـان العربي ويعجزون عن مثله فيعرفون إعجازه وقيل يعلمون أنّ القرآن من عنـد الله نزل. عن الضحّاك ﴿ بشيراً ونذيراً ﴾ يبشّر المؤمن بما فيه من الوعد وينذر الكافر بما فيه من الـوعيد ﴿ فأعرض أكثرهم ﴾ يعني أهل مكة عدلوا عن الإيمان بالله والتدبّر فيه ﴿ فهم لا يسمعون ﴾ أي لا يسمعونه سمعَ تفكّرٍ وقبول فكأنهم لا يسمعونه حقيقةً ﴿ وقالوا قلوبنا في أكِنّة ﴾ أي في أغطية عن مجاهد والسُّدّي ﴿ ممّا تدعونا إليه ﴾ فلا نفقه ما تقول وإنما قالـوا ذلك ليؤيسـوا النبي ﷺ من قبولهم دينه فكأنّهم شبّهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل إليه شيء ممّا وراءه ﴿ وفي آذاننا وقر ﴾ أي ثقل عن استماع القرآن وصمم ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ أي بيننا وبينك فرقة في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول عن الزجاج وقيل إنّه تمثيل بالحجاب ليؤيسوه من الإجابة عن عليّ بن عيسى ﴿ فاعمل آننا عاملون ﴾ قيل أنّ أبا جهل رفع ثوباً بينه وبين النبي ﷺ فقال يا محمـد أنت من ذلك الجـانب ونحن من هذا

الجانب فاعمل أنت على دينك ومذهبك إننا عاملون على ديننا ومذهبنا عن مقاتل وقيل معناه فاعمل في هلاكنا إنّا عاملون في هلاكك عن الفرّاء وقيل فاعمل به في ابطال أمرنا إنّا عاملون في ابطال أمرك وهذا غاية في العناد .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ * قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر سواء بالرّفع وقرأ يعقوب سواء بالجرّ والبَاقون بالنّصب سواء .

[ **الحجة** ] من قرأ سواء بالرفع جعله خبر مبتدأ محذوف أي هي سواء ومن قرأ سواء بالجرّ جعله صفة أيّام التقدير في أربعة أيام مستويات تامّات وأما النصب فعلى المصدر على معنى استوت سواءً واستواءً .

[ **المعنى** ] ثم قال لنبيّه ﷺ ﴿ **قل** ﴾ يا محمّد لهؤلاء الكفار ﴿ **إنّما أنا بشر مثلكم** ﴾ من ولد آدم لحم ودم وإنّما خصّني الله تعالى بنبوّته وميّزني منكم بأن أوحى إليّ ولولا الوحي ما دعوتكم وهو قوله ﴿ **يوحىٰ إليّ أنّما إلٰهكم إلٰه واحد** ﴾ لا شريك له في العبادة ﴿ **فاستقيموا إليه** ﴾ أي لا تميلوا عن سبيله وتوجّهوا إليه بالطاعة كما يقال استقم إلى منزلك أي لا تعدل عنه إلى غيره ﴿ **واستغفروه** ﴾ من الشرك واطلبوا المغفرة لذنوبكم من جهته ثم أوعدهم فقال ﴿ **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ أي لا يعطون الزكاة المفروضة

وفيه دلالة على أنّ الكفار مخاطبون بالشرائع وهذا هو الظاهر وقيل معناه لا يطهرون أنفسهم من الشرك بقول لا إله إلا الله فإنها زكاة الأنفس عن عطاء عن ابن عباس وهذا كما يقال أعطى فلان من نفسه الطاعة أي ألزمها نفسه وقد وصف سبحانه الكفر بالنجاسة بقوله إنّما المشركون نجس وذكر الزكاة بمعنى التطهير في قوله خيراً منه زكاةً وقيل معناه لا يقرّون بالزكاة ولا يرون إيتاءها ولا يؤمنون بها عن الحسن وقتادة وعن الكلبي عابهم الله بها وقد كانوا يحجّون ويعتمرون وقيل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدّقون عن الضحاك ومقاتل وكان يقول الزكاة قنطرة الإسلام وقال الفراء الزكاة في هذا الموضع أنّ قريشاً كانت تطعم الحاجّ وتسقيهم فحرّموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ ﴿ **وهم بالآخرة هم كافرون** ﴾ وهم مع ذلك يجحدون بما أخبر الله تعالى به من أحوال الآخرة ثم عقّب سبحانه ما ذكره من وعيد الكافرين بذكر الوعد للمؤمنين فقال ﴿ **إنّ الذين آمنوا** ﴾ أي صدّقوا بأمر الآخرة من الثواب والعقاب ﴿ **وعملوا الصالحات** ﴾ أي الطاعات ﴿ **لهم أجر غير ممنون** ﴾ أي لهم جزاء على ذلك غير مقطوع بل هو متّصل دائم ويجوز أن يكون معناه أنه لا أذى فيه من المنّ الذي يكدر الصنيعة ثم وبّخهم سبحانه على كفرهم فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم على وجه الإنكار عليهم ﴿ **أئنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض** ﴾ وهذا استفهام تعجيب أي كيف تستجيزون أن تكفروا وتجحدوا نعمة من خلق الأرض ﴿ **في يومين** ﴾ أي في مقدار يومين ﴿ **وتجعلون له أنداداً** ﴾ أي أمثالاً وأشباهاً تعبدونهم وفي هذا دلالة على أنّه سبحانه إنّما يستدلّ على إثبات ذاته وصفاته بأفعاله فهي دالّة على إثبات صفاته إمّا بنفسها كما يدلّ صحّة الفعل على كونه قادراً وأحكامه على كونه عالماً وإمّا بواسطةكما يدلّ كونه قادراً عالماً على كونه حيّاً موجوداً سميعاً بصيراً ﴿ **ذلك رب العالمين** ﴾ أي ذلك الذي خلق الأرض في يومين خالق العالمين ومالك التصرف فيهم ﴿ **وجعل فيها** ﴾ أي في الأرض ﴿ **رواسي** ﴾ أي جبالاً راسيات ثابتات ﴿ **من فوقها** ﴾ أي من فوق الأرض ﴿ **وبارك فيها** ﴾ بما خلق فيها من المنافع وقيل بأن أنبت شجرها من غير غرس وأخرج نبتها من غير زرع وبذر وأودعها مما ينتفع به العباد عن السُدّي ﴿ **وقدّر فيها أقواتها** ﴾ أي قدّر في الأرض أرزاق أهلها على حسب الحاجة إليها في قوام أبدان الناس وسائر الحيوان وقيل قدّر في كل بلدة منها ما لم يجعله في أخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد ﴿ **في أربعة أيام** ﴾ أي في تتمّة أربعة أيام من حين ابتداء الخلق فاليومان الأولان داخلان فيها كما تقول خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً أي في تتمّة خمسة عشر يوماً ﴿ **سواء للسائلين** ﴾ أي مستوية كاملة من غير زيادة ولا نقصان للسائلين عن مدّة خلق الأرض وقيل معناه للذين

يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم فإنّ كلاً يطلب القوت ويسأله عن قتادة والسدّي واختلف في علّة خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام فقيل إنّما خلق ذلك شيئاً بعد شيء في هذه الأيام الأربعة ليعلم الخلق أنّ من الصواب التأنّي في الأمور وترك الاستعجال فيها فإنّه سبحانه كان قادراً على أن يخلق ذلك في لحظة واحدة عن الزجاج وقيل إنما خلق ذلك في هذه المدّة ليعلم بذلك أنها صادرة عن قادر مختار عالم بالمصالح وبوجوه الأحكام إذ لو صدرت عن مطبوع أو موجب لحصلت في حالة واحدة وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنّه قال أنّ الله تعالى خلق الأرض في يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء والعمران والخراب يوم الأربعاء فتلك أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم .

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ
لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾
فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ
صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا
بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى
خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾

[ الإعراب ] طوعاً وكرهاً مصدران وضعا موضع الحال التقدير إئتيا تطيعان إطاعة أو

تكرهان كرهاً وطائعين يدلّ على ذلك وهو منصوب على الحال. سبع سماوات أيضاً منصوب على الحال بعد الفراغ من الفعل .

[ **المعنى** ] ثمّ ذكر سبحانه خلق السّماوات فقال ﴿ **ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان** ﴾ أي ثمّ قصد إلى خلق السماء وكانت السماء دخاناً وقال ابن عباس كانت بخار الأرض وأصل الاستواء الاستقامة والقصد للتدبير المستقيم تسوية له وقيل معناه ثم استوى أمره إلى السماء عن الحسن ﴿ **فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين** ﴾ قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم وأتت الأرض بما فيها من الأنهار والأشجار والثمار وليس هناك أمر بالقول على الحقيقة ولا جواب لذلك القول بل أخبر الله سبحانه عن اختراعه السماوات والأرض وانشائه لهما من غير تعذّر ولا كلفة ولا مشقة بمنزلة ما يقال للمأمور إفعل فيفعل من غير تلبّث ولا توقّف فعبّر عن ذلك بالأمر والطاعة وهو كقوله إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وإنما قال أتينا طائعين ولم يقل أتينا طائعتين لأنّ المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء[1] فغلب حكم العقلاء عن قطرب وقيل أنّه لمّا خوطبن خطاب من يعقل جمعن جمع من يعقل كما قال وكلّ في فلك يسبحون ومثله كثير في كلامهم قال :

فَأَجْهَشْتُ لِلْبَوْبَاةِ[2] حِيْنَ رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمٰنِ حِينَ رَآنِي
فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمُ بِجَنْبِكَ فِي خَفْضٍ وَطِيبِ زَمَانٍ
فَقَالَ مَضَوْا وَٱسْتَوْدَعُونِي بِلاٰدَهُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ

وقال آخر :

أَلاَ ٱنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّسْمُ وَانْطِقِ وَحَدِّثْ حَدِيثَ الْحَيِّ إِنْ شِئْتَ وَاصْدُقِ

وقد ذكرنا فيما تقدّم من أمثال ذلك ما فيه كفاية وقوله سبحانه ثمّ استوى إلى السماء يفيد أنّه خلق السماء بعد الأرض وخلق الأقوات فيها وقال سبحانه في موضع آخر والأرض بعد ذلك دحاها وعلى هذا فتكون الفائدة فيه أنّ الأرض كانت مخلوقة غير مدحوّة فلمّا خلق الله السماء دحا بعد ذلك الأرض وبسطها وإنّما جعل الله السماء أوّلاً دخاناً ثمّ سمٰوات أطباقاً

(١) « وغير العقلاء ».

(٢) جهش وأجهش إليه : فزع إليه هاما بالبكاء ومتهيئاً له كالطفل يفزع إلى أمه والبوباة : الفلاة؛ والضمير في رأيته راجع إلى المكان .

ثم زيّنها بالمصابيح ليدلّ ذلك على أنّه سبحانه قادر لنفسه لا يعجزه شيء . عالم لذاته لا يخفى عليه شيء . غنيّ لا يحتاج وكلّما سواه محتاج إليه سبحانه وتعالى **﴿فقضاهن﴾** أي صنعهن وأحكمهن وفرغ من خلقهن **﴿ سبع سماوات في يومين ﴾** يوم الخميس والجمعة قال السُّدّي إنّما سمّي جمعة لأنّه جمع فيه خلق السماوات والأرض **﴿ وأوحى في كلّ سماء أمرها ﴾** أي خلق فيها ما أراده من ملك وغيره عن السُدّي وقتادة وقيل معناه وأمر في كلّ سماء بما أراد عن مقاتل وقيل وأوحى إلى أهل كلّ سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة عن عليّ بن عيسى **﴿ وزيّنّا السماء الدنيا بمصابيح ﴾** سمّى الكواكب مصابيح لأنّه يقع الاهتداء بها كقوله **﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾** **﴿ وحفظاً ﴾** أي وحفظناها من استماع الشياطين قيل[١] بالكواكب حفظاً **﴿ ذلك ﴾** الذي ذكر **﴿ تقدير العزيز ﴾** في ملكه لا يمتنع عليه شيء **﴿ العليم ﴾** بمصالح خلقه لا يخفى عليه شيء ثم عقّب سبحانه دلائل التوحيد بذكر الوعيد لأهل الشرك والجحود من العبيد فقال **﴿ فإن أعرضوا ﴾** عن الإيمان بك بعد هذا البيان **﴿ فقل ﴾** يا محمد لهم مخوّفاً إيّاهم **﴿ أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود ﴾** أي استعدّوا للعذاب فقد خوّفتكم عذاباً مثل عذاب عاد وثمود لما أعرضوا عن الإيمان والصاعقة المهلكة من كلّ شيء وهي في العرف اسم للنار التي تنزل من السماء فتحرق **﴿ إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾**. إذ متعلّقة بقوله صاعقة والتقدير نزلت بهم حين أتتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم عن ابن عبّاس يعني به الرسل الذين جاؤوا آباءهم والرسل الذين جاؤوهم في أنفسهم لأنّهم كانوا خلف من جاء آباءهم من الرسل فيكون الهاء والميم في من خلفهم للرسل وقيل معناه أنّ منهم من تقدّم زمانهم ومنهم من تأخّر قال البلخي ويجوز أن يكون المراد: أتاهم أخبار الرسل من هاهنا ومن هاهنا **﴿ ألّا تعبدوا ﴾** أي أرسلناهم بأن لا تعبدوا **﴿ إلا الله ﴾** وحده ولا تشركوا بعبادته غيره **﴿ قالوا ﴾** أي فقال المشركون عند ذلك **﴿ لو شاء ربّنا ﴾** أن نؤمن به ونخلع الأنداد **﴿ لأنزل ملائكة ﴾** تدعونا إلى ذلك ولم يبعث بشراً مثلنا وكأنّهم انفوا من الإنقياد لبشر مثلهم وجهلوا أنّ الله تعالى يبعث الأنبياء على حسب ما يعلمه من مصالح عباده ويعلم من يصلح للقيام بأعباء النبوة **﴿ فإنّا بما أرسلتم به كافرون ﴾** أي أظهروا الكفر بهم والجحود ثم فصّل سبحانه أخبارهم فقال **﴿ فأمّا عاد فاستكبروا ﴾** أي تجبّروا وعتوا **﴿ في الأرض ﴾** وتكبّروا على أهلها **﴿ بغير الحقّ ﴾** أي بغير حقّ جعله الله لهم بل للكفر المحض والظلم الصراح **﴿ وقالوا من أشدّ منّا قوّة﴾** اغترّوا

---

(١) ليس في بعض النسخ لفظة قيل وهو الصواب .

بقوّتهم لمّا هدّدهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه بفضل قوّتنا إذ لا أحد أشدّ منّا قوّة فقال الله سبحانه ردّاً عليهم ﴿ **أولم يروا أنّ الله الذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّة** ﴾ أي أولم يعلموا أنّ الله الذي خلقهم وخلق فيهم هذه القوّة أعظم اقتداراً منهم فلو شاء أهلكهم ﴿ **وكانوا بآياتنا** ﴾ أي بدلالاتنا ﴿ **يجحدون** ﴾ ينكرونها ولا يعترفون بها .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة نحِسات بكسر الحاء والباقون نحْسات بسكونها وقرأ نافع ويعقوب نحشر بالنون أعداء الله بالنّصب والباقون يحشر بالياء على ما لم يسمّ فاعله أعداء الله بالرفع .

[ **الحجّة** ] قال أبو علي النحس كلمة يكون على ضربين ( أحدهما ) أن يكون اسماً ( والآخر ) أن يكون وصفاً ممّا جاء فيه اسماً مصدراً قوله في يوم نحس مستمرّ فالإضافة إليه يدلّ على أنّه اسم ليس بوصف[1] لا يضاف إليه الموصوف وقال المفسّرون في نحسات قولين ( أحدهما ) الشديدة البرد ( والآخر ) أنها المشؤومة عليهم فتقدير قوله في يوم نحس في يوم مشؤوم وقالوا يومٌ نحسٌ ويوم نحس فمن أضافه كان مثل ما في التنزيل ومن أجراه على الأول احتمل أمرين ( أحدهما ) أن يكون وصفاً مثل فَسْل[2] ورَذْل ( والآخر ) أن يكون

(١) [ لان الوصف ] .

(٢) الفَسْل : الضعيف الرذل .

مصدراً وصف به نحو رجل عدل فمن قرأ في أيّام نحسات فأسكن الحاء أسكنها لأنّه صفة مثل عَبْلات(١) وصعبات ويجوز أن يكون جمع المصدر وتركه على إسكانه في الجمع كما قالوا زورة وعدلة قال أبو الحسن لم أسمع في النحس إلّا الإسكان وقال أبو عبيدة نحسات ذوات نحس فيمكن أن يكون من كسر العين جعله صفة من باب فرِق ونزِق(٢) وجمع على ذلك ومن قرأ نحشر أعداء الله فحجّته أنّه معطوف على قوله ونجّينا ويقوّيه قوله يوم نحشر المتّقين إلى الرحمن وفداً ومن قرأ يحشر فبنى الفعل للمفعول به يقوّيه قوله فهم يوزعون وكلا الأمرين حسن .

[ **اللغة** ] اشتقاق الصّرصر من الصّرير ضوعف اللفظ اشعاراً بمضاعفة المعنى يقال صرّ يصرّ صريراً وصرصر يصرصر صرصرة وريح صرصر شديدة الصوت وأصله صرّر ثم قلبت الراء صاداً كما يقال نهنهه ونههّه وكفكفه وكفّفه قال النابغة :

أَكَفْكِفُ عَبْرَةً غَلَبَتْ عَزائي إذا نَهْنَهْتُها عادَتْ ذُباحاً(٣)

الخزي : الهوان الذي يستحيى من مثله خوفاً من الفضيحة والهون : الهوان والوزع : المنع والكفّ ومنه قول الحسن « لا بدّ للناس من وَزَعة » .

[ **الإعراب** ] قوله : ويوم يحشر انتصب الظرف بمدلول قوله فهم يوزعون لأنّ يوماً بمنزلة إذا ولا ينتصب بقوله ونجّينا الذين آمنوا لأنّه ماضٍ وقوله ويوم يحشر مستقبل فلا يعمل فيه الماضي .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن إهلاكهم بقوله ﴿ **فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً** ﴾ أي عاصفاً شديدة الصوت من الصرّة وهي الصيحة وقيل هي الباردة من الصرّ وهو البرد عن ابن عباس وقتادة وقال الفرّاء هي الباردة تحرق كما تحرق النار ﴿ **في أيّام نحسات** ﴾ أي نكدات مشؤومات ذوات نحوس عن مجاهد وقتادة والسُّدّي والنحس سبب الشر والسعد سبب الخير وبذلك سمّيت سعود النجوم ونحوسها وقيل نحسات ذوات غبار وتراب حتى لا يكاد يبصر بعضهم بعضاً عن الجبّائي وقيل نحسات باردات والعرب تسمّي البرد نحساً عن أبي مسلم

(١) العَبْلة : الضخمة ؛ وامرأة عَبلة أي تامّة الخلق .

(٢) فرق فَرَقاً : فزع فهو فَرِق ونزق نزقاً ونُزُوقاً طاش وخفّ عند القبب ونشط فهو نزق .

(٣) كفكف الدمع : مسحه مرة بعد مرة ليردّه . والعبرة : الدمعة قبل أن تفيض وقيل تردد البكاء في الصدر . والعزاء : الصبر والذباح بالضم والكسر وجع في الحلق . مقصوده : أمنع عَبرة غلبت صبري عن ظهورها ولكن إذا دفعتها =

﴿لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾ أي فعلنا ذلك بهم لنذيقهم عذاب الهون والذلّ وهو العذاب الذي يجزون في الدنيا فيوقنوا بقوّة معذّبهم وبقدرته عليهم ويظهر ذلك لمن رأى حالهم ﴿ولعذاب الآخرة أخزى﴾ وأفضح من ذلك ﴿ وهم لا ينصرون ﴾ أي لا يدفع عنهم العذاب الذي ينزل بهم ثمّ ذكر قصّة ثمود فقال ﴿ وأمّا ثمود فهديناهم ﴾ أي بيّنّا لهم سبيل الخير والشر عن قتادة وقيل دللناهم وبيّنا لهم الحق عن ابن عباس والسدي وابن زيد ﴿ فاستحبّوا العمى على الهدى ﴾ فاختاروا العمى في الدين على قبول الهدى وبئس الاختيار ذلك عن الحسن. وقيل اختاروا الكفر على الإيمان عن ابن زيد والفرّاء ﴿ فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴾ أي ذي الهون وهو الذي يهينهم ويخزيهم وقد قيل أنّ كلّ عذاب صاعقة لأنّ كلّ من يسمعها يصعق لها ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ من تكذيبهم صالحاً وعقرهم الناقة ﴿ ونجّينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ الشرك أي ونجّينا صالحاً ومن آمن به من العذاب ثم أخبر سبحانه عن أحوال الكفار يوم القيامة فقال ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ أي يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرّقوا والمعنى إذا حشروا وقفوا ﴿ حتى إذا ما جاؤها ﴾ أي جاؤوا النار التي حشروا إليها ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ أي شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدعاء إلى الحق فأعرضوا عنه ولم يقبلوه وأبصارهم بما رأوا من الآيات الدالّة على وحدانيّة الله فلم يؤمنوا وسائر جلودهم بما باشروه من المعاصي والأفعال القبيحة وقيل في شهادة الجوارح قولان ( أحدهما ) أنّ الله تعالى يبنيها بُنية الحيّ[1] ويلجؤها إلى الاعتراف والشهادة بما فعله أصحابه ( والآخر ) أنّ الله يفعل فيها الشهادة وإنما أضاف الشهادة إليها مجازاً وقيل في ذلك أيضاً وجه ثالث وهو أنّه يظهر فيها أمارات دالّة على كون أصحابها مستحقّين للنّار فسمّى ذلك شهادة مجازاً كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وقيل أنّ المراد بالجلود هنا الفروج على طريق الكناية عن ابن عباس والمفسّرين .

﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ

= صارت وجعاً وشجى في الحلق .

(١) وفي نسخة ينبّهها تنبيه الحي .

أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى
ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن
يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ
ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ * وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] في الشّواذّ قراءة الحسن وعمرو بن عبيد وان يستعتبوا بضمّ الياء وفتح التاء فما هم من المعتبين بكسر التاء .

[ **الحجة** ] قال ابن جنّي معناه لو استعطفوا لما عطفوا لأنّه لا غناء عندهم ولا خير فيهم فيجيبوا إلى جميل .

[ **اللغة** ] الإنطاق جعل القادر على الكلام ينطق إما بالإلجاء الى النطق أو الدعاء إليه والنطق إدارة اللسان في الفم بالكلام ولذلك لا يوصف سبحانه بأنّه ناطق وان وصف بأنه متكلّم والإرداء الإهلاك يقال أرداه فردي يردى فهو رد قال الأعشى :

أَفِي الطُّوفِ خِفْتَ عَلَيَّ الرَّدَىٰ وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلُهُ لَمْ يَرِمِ(١)

والاستعتاب طلب العتبى وهي الرضا وهو الاسترضاء والاعتاب الارضاء وأصل الاعتاب عند العرب استصلاح الجلد بإعادته في الدباغ ثمّ استعير فيما يستعطف به البعض بعضاً لإعادته ما كان من الالفة وأصل التقييض التبديل ومنه المقايضة وهي مبادلة مال بمال قال الشماخ :

تَذَكَّرْتُ لَمّا أَثْقَلَ الدَّيْنُ كَاهِلي وَغَابَ بِزَيْدٍ مَا أَرَدْتُ تَعَذُّرا

(١) رام بالمكان : أقام وثبت يقول: أتخاف عليّ الردى في الطوف وعدم القرار في مكان مع أن كثيراً ممن هلك أهله لم يقم بمكان وسار معه ولم ينفعه المنية ولم تمنعه عن الردى .

رِجالاً مَضَوْا مِنّي فَلَسْتُ مُقايِضاً بِهِم أَبَداً مِنْ سائِرِ النّاسِ مَعْشَرا[١]

[ **الإعراب** ] وذلكم ظنّكم ذلكم مبتدأ وظنّكم خبره وأرداكم خبر بعد خبر وإن اضمرت قد فجعلته حالاً جاز أي ذلكم ظنّكم مردياً أياكم ويجوز أن يكون ذلكم مبتدأ وظنّكم بدلاً منه وأرداكم خبر المبتدأ .

[ **المعنى** ] ثمّ حكى سبحانه عنهم بقوله **﴿وقالوا﴾** يعني الكفار **﴿لجلودهم لم شهدتم علينا﴾** أي يعاتبون اعضاءهم فيقولون لها لم شهدتم علينا **﴿قالوا﴾** أي فتقول جلودهم في جوابهم **﴿انطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء﴾** أي مما ينطق والمعنى اعطانا الله آلة النطق والقدرة على النطق وتمّ الكلام ثمّ قال سبحانه **﴿وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون﴾** في الآخرة أي إلى حيث لا يملك أحد الأمر والنهي سواه تعالى وليس هذا من جواب الجلود **﴿وما كنتم تستترون أن يشهد﴾** أي من أن يشهد **﴿عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾** معناه وما كنتم تستخفون أي لم يكن يتهيّأ لكم ان تستروا أعمالكم عن هذه الأعضاء لأنّكم كنتم بها تعملون فجعلها الله شاهدة عليكم في القيامة وقيل معناه وما كنتم تتركون المعاصي حذراً ان تشهد عليكم جوارحكم بها لأنّكم ما كنتم تظنّون ذلك **﴿ولكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾** لجهلكم بالله تعالى فهان عليكم ارتكاب المعاصي لذاك وروي عن ابن مسعود أنها نزلت في ثلاثة نفر تسارّوا وقالوا أترى الله يسمع سِرارنا. ويجوز أن يكون المعنى أنّكم عملتم عمل من ظنّ أنّ عمله يخفى على الله كما يقال أهلكت نفسي أي عملت عمل من أهلك النفس وقيل: إنّ الكفار كانوا يقولون انّ الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنّه يعلم ما يظهر عن ابن عباس **﴿وذلكم ظنّكم الذي ظننتم بربّكم أرداكم﴾** ذلكم مبتدأ وظنّكم خبره وأرداكم خبر ثانٍ ويجوز أن يكون ظنّكم بدلاً من ذلكم ويكون المعنى وظنّكم الذي ظننتم بربكم أنّه لا يعلم كثيراً ممّا تعملون أهلككم إذ هوّن عليكم أمرالمعاصي وأدّى بكم إلى الكفر **﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾** أي فظللتم من جملة من خسرت تجارته لأنّكم خسرتم الجنة وحصلتم في النار قال الصادق (ع) ينبغي للمؤمن ان يخاف الله خوفاً كأنّه يشرف على النار ويرجوه رجاء كأنّه من أهل الجنة ان الله تعالى يقول **﴿وذلكم ظنّكم الذي ظننتم بربّكم﴾** الآية ثم قال إنّ الله عند ظنّ عبده به ان خيراً فخير وان شرّاً فشرّ ثم أخبر سبحانه عن حالهم فقال **﴿فإن يصبروا فالنار مثوىً لهم﴾** أي فإن يصبر هؤلاء على النار وآلامها وليس المراد به الصبر المحمود ولكنّه الإمساك عن اظهار الشكوى وعن الاستغاثة

(١) رجالاً مفعول تذكرت ومعشراً مفعول مقايضاً . يتأسف على فوت رجال أجواد كان يرجوهم لرفع ثقل الدين عنه ويقول: لا أبادل بهم معشراً من سائر الناس .

فالنار مسكن لهم ﴿وان يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾ أي وان يطلبوا العتبى وسألوا الله تعالى ان يرضى عنهم فليس لهم طريق إلى الإعتاب فما هم ممّن يقبل عذرهم ويرضى عنهم وتقدير الآية انّهم ان صبروا وسكتوا أو جزعوا فالنار مأواهم كما قال سبحانه: ﴿اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم﴾ والمعتب هو الذي يقبل عتابه ويجاب الى ما سأل وقيل معناه وان يستغيثوا فما هم من المغاثين ﴿وقيّضنا لهم قرناء﴾ أي هيّأنا لهم قرناء من الشياطين عن مقاتل ومعناه بدّلناهم قرناء: سوء من الجنّ والإنس مكان قرناء الصدق الذين أمروا بمقارنتهم فلم يفعلوا بيّن الله سبحانه إنّه إنما فعل ذلك عقوبة لهم على مخالفتهم ونظيره ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وقيل: معناه خلّينا بينهم وبين قرناء السوء بما استوجبوه من الخذلان عن الحسن فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم أي زيّنوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا حتى آثروه وعملوا له وما خلفهم من أمر الآخرة بدعائهم إلى أنّه لا بعث ولا جزاء عن الحسن والسديّ وقيل فزيّنوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة فقالوا لا جنّة ولا نار ولا بعث ولا حساب وما خلفهم من أمر الدنيا من جمع الأموال وترك النفقة في وجوه البرّ عن الفراء وقيل: ما بين أيديهم ما قدّموه من أفعالهم السّيئة حتّى ارتكبوها وما خلفهم ما سنّوه لغيرهم ممن يأتي بعدهم ﴿وحقّ عليهم القول﴾ أي وجب عليهم الوعيد والعذاب ﴿في أمم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس﴾ أي صاروا في أمم أمثالهم كذّبوا لتكذيبهم قد مضوا قبلهم وجب عليهم العذاب بعصيانهم ثمّ قال سبحانه ﴿إنّهم كانوا خاسرين﴾ خسروا الجنّة ونعيمها .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾
فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى
كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ
ٱلْخُلْدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا

تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا
ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ
وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

[ **اللغة** ] اللغو الكلام الذي لا معنى له يستفاد وإلغاء الكلمة اسقاط عملها يقال لَغي يَلْغي ويلغو لغواً ولغى يَلْغي لغاً قال عن اللغاء ورفث التكلم .

[ **الإعراب** ] ذلك مبتدأ وجزاء أعداء الله خبره والنار بدل من قوله جزاء اعداء الله ويجوز ان تكون النار تفسيراً كأنّه قيل ما هو فقيل يقول(١) هو النار قال الزّجاج قوله : لهم فيها دار الخلد أي لهم في النار دار الخلد والنار هي الدار كما تقول لك في هذه الدار دار سرور وأنت تعي الدار بعينها كما قال الشاعر :

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيهَا وَيُسْأَلُهَا  يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ(٢)

فيكون ذلك من باب التجريد وموضع ان لا تخافوا نصب تقديره تتنزل عليهم الملائكة بأن لا تخافوا فلمّا حذف الباء وصل الفعل فنصبه .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الكفار فقال ﴿ **وقال الذين كفروا** ﴾ أي قال رؤساؤهم لأتباعهم أو قال بعضهم لبعض يعني كفار قريش ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآن** ﴾ الذي يقرؤه محمد ولا تصغوا إليه ﴿ **وألغوا فيه** ﴾ أي عارضوه باللغو والباطل وبما لا يعتدّ به من الكلام ﴿ **لعلّكم تغلبون** ﴾ أي لتغلبوه باللغو والباطل ولا يتمكّن أصحابه من الاستماع وقيل ألغوا فيه بالتخليط في القول والمكاء والصفير عن مجاهد وقيل : معناه ارفعوا أصواتكم في وجهه بالشعر والرجز عن ابن عباس والسدّي لمّا عجزوا عن معارضة القرآن احتالوا في اللبس على غيرهم وتواصوا بترك استماعه والإلغاء عنه فيه عند قراءته ثم أوعدهم

(١) كذا في النسخ ولا حاجة إلى لفظة يقول .

(٢) الرغائب : العطايا ويحتمل قوياً كون يسألها بضم الياء ليناسب المدح والظلامة ما تظلّمه الرجل كالظليمة والنوفل : الرجل المعطاء والزفر : السيد الذي يحمل الأثقال ومنه للتجريد نحو لقيت منه أسداً والمراد التشبيه بالأسد وكذا هنا مقصوده أن السيد المعطاء ينشأ أباء الظلامة في أفعاله من هذا الممدوح فكأنه جعله عين اباء الظلامة وجرّد منه أباء الظلامة الذي هو في النوفل الزفر وقد مر البيت في ج ٢ بلفظ يسلبها بدل يسألها وقال في اللسان : « قوله منه » مؤكدة للكلام كما قال تعالى يغفر لكم من ذنوبكم والمعنى يأبى الظلامة لأنه النوفل الزفر » .

الله سبحانه فقال ﴿ **فلنذيقنّ الذين كفروا عذاباً شديداً** ﴾ في الدنيا بالأسر والقتل يوم بدر وقيل في الآخرة ﴿ **ولنجزينّهم أسوأ الذي كانوا يعملون** ﴾ أي نجازيهم بأقبح الجزاء على أقبح معاصيهم وهو الكفر والشرك وخصّ الأسوأ بالذكر للمبالغة في الزجر وقيل: معناه لنجزينّهم بأسوأ أعمالهم وهي المعاصي دون غيرها ممّا لا يستحق به العذاب ﴿ **ذلك** ﴾ يعني ما تقدّم الوعيد به ﴿ **جزاء أعداء الله** ﴾ الذين عادوه بالعصيان والكفر وعادوا أولياءه من الأنبياء والمؤمنين ﴿ **النار** ﴾ وهي النار والكون فيها ﴿ **لهم فيها دار الخلد** ﴾ أي منزل الدوام والتأبيد ﴿ **جزاء لهم** ﴾ وعقوبة ﴿ **بما كانوا بآياتنا يجحدون** ﴾ يعني القرآن يجحدون بأنه من عند الله عن مقاتل ﴿ **وقال الذين كفروا** ﴾ أي وسيقول الكفار في النار ﴿ **ربّنا أرنا اللذين أضلّانا من الجنّ والإنس** ﴾ يعنون إبليس الأبالسة وقابيل بن آدم أوّل من أبدع المعصية روي ذلك عن علي ( ع ) وقيل المراد بذلك كلّ من أبدع الكفر والضلالة من الجنّ والإنس والمراد باللذين جنس الجنّ والإنس كما في قوله واللذان يأتيانها منكم ﴿ **نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين** ﴾ تمنوا لشدّة عداوتهم لهم وبغضهم إيّاهم بما أضلّوهم وأغووهم أن يجعلوهم تحت أقدامهم في الدرك الأسفل من النار وقيل: إنّ المراد به ندوسهما ونطأوهما بأقدامنا إذلالاً لهما ليكونا من الأسفلين الأذلّين قال ابن عباس ليكونا أشدّ عذاباً منّا ولمّا ذكر سبحانه وعيد الكفار عقّبه بذكر الوعد للمؤمنين الأبرار فقال ﴿ **إنّ الذين قالوا ربّنا الله** ﴾ أي وحّدوا الله تعالى بلسانهم واعترفوا به وصدّقوا أنبياءه ﴿ **ثمّ استقاموا** ﴾ أي استمرّوا على أنّ الله ربّهم وحده لم يشركوا به شيئاً عن مجاهد وقيل معناه ثمّ استقاموا على طاعته وأداء فرائضه عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد وقيل ثمّ استقاموا في أفعالهم كما استقاموا في أقوالهم وقيل ثمّ استقاموا على ما توجبه الربوبية من عبادته عن ابن مسلم وروي عن أنس قال قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية ثمّ قال قد قالها ناس ثمّ كفر أكثرهم فمن قالها حتّى يموت فهو ممّن استقام عليها وروى محمد بن الفضيل قالت سألت أبا الحسن الرضا ( ع ) عن الاستقامة فقال هي والله ما أنتم عليه ﴿ **تتنزّل عليهم الملائكة** ﴾ يعني عند الموت عن مجاهد والسُدّي وروى ذلك عن أبي عبد الله ( ع ) وقيل تستقبلهم الملائكة إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة من الله عن الحسن وثابت وقتادة وقيل في القيامة عن الجبّائي وأبي مسلم وقيل أن البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث عن وكيع بن الجراح ﴿ **ألا تخافوا ولا تحزنوا** ﴾ أي تقولون لهم لا تخافوا عقاب الله ولا تحزنوا لفوات الثواب وقيل لا تخافوا ممّا أمامكم من أمور الآخرة ولا تحزنوا على ما وراءكم وعلى ما خلّفتم من أهل وولد عن عكرمة ومجاهد وقيل لا تخافوا ولا تحزنوا على

ذنوبكم فإنّي أغفرها لكم عن عطاء بـن أبي رياح وقيل أنّ الخوف يتناول المستقبل والحزن يتنـاول المـاضي وكان المعنى لا تخافـوا فيما يستقبـل من الأوقات ولا تحزنوا على ما مضى وهذا نهاية المطلوب ﴿ وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ بهـا في دار الدنيا على ألسنة الأنبياء .

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا
مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا
مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾
وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ
فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

[ **الإعراب** ] نزلاً نصب على المصدر وتقديره أنزلكم ربّكم فيما تشتهون نزلاً ويجوز أن يكون نصباً على الحال وتقديره ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم منزلاً نزلاً كما يقال جاء زيد مشياً أي ماشياً والقولان جميعاً يرجعان إلى كونه مصدراً وقال أبو علي نزلاً يحتمل ضـربين ( أحدهما ) أن يكون جمع نازل كقوله :

إِنْ تَـرْكَبُوا فَـرُكُوبُ الْخَيْـلِ عَـادَتُنَـا    أَوْ تَـنْـزِلُـونَ فَـإِنَّـا مَـعْـشَـرٌ نُـزُلُ

ويكون حالاً من الضمير في تدّعون أي ما تدّعون من غفور رحيم نازلين ( والآخر ) أن يراد به القوت الذي يقام للنازل أو الضيف حالاً ممّا تدّعون أي لكم ما تدّعون نزلاً من غفور رحيم صفة نزل وفيه ضمير يعود إليه وقولاً نصب على التفسير وقوله ولا السيئة لا هاهنا زائدة مؤكّدة لتبعيد المساواة .

[ **المعنى** ]ثمّ حكى سبحانه أنّ الملائكة تقول للمؤمنين الذين استقـاموا بعـد البشارة

﴿ **نحن أولياؤكم** ﴾ أي نحن معاشر الملائكة أنصاركم وأحبّاؤكم ﴿ **في الحياة الدنيا** ﴾ نتولّى إيصال الخيرات إليكم من قبل الله تعالى ﴿ **وفي الآخرة** ﴾ فلا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة عن مجاهد وقيل كنّا نتولّى حفظكم في الدنيا بأنواع المعونة وفي الآخرة نتولّاكم بأنواع الإكرام والمثوبة وقيل نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا أي نحرسكم في الدنيا وعند الموت وفي الآخرة عن أبي جعفر (ع) ﴿ **ولكم فيها** ﴾ أي في الآخرة ﴿ **ما تشتهي أنفسكم** ﴾ من الملاذّ وتتمنّونه من المنافع ﴿ **ولكم فيها ما تدّعون** ﴾ أنّه لكم فإنّ الله سبحانه يحكم لكم بذلك وقيل أنّ المراد بقوله ﴿ **ما تشتهي أنفسكم** ﴾ البقاء لأنّهم كانوا يشتهون البقاء في الدنيا أي لكم فيها ما كنتم تشتهون من البقاء ولكم فيها ما كنتم تتمنّونه من النعيم عن ابن زيد ﴿ **نزلاً من غفور رحيم** ﴾ معناه أنّ هذا الموعود به مع جلالته في نفسه له جلالة بمعطية إذ هو عطاء لكم ورزق يجري عليكم ممّن يغفر الذنوب ويستر العيوب رحمةً منه لعباده فهو أهنأ لكم وأكمل لسروركم قال الحسن أرادوا أن جميع ذلك من الله وليس منّا وفي هذه الآية بشارة للمؤمنين بمودّة الملائكة لهم وفيها بشارة بنيل مشتهياتهم في الجنة وفيها دلالة على أنّ الملائكة تتردّد إلى من كان مستقيماً على الطاعات وعلى شرف الاستقامة أيضاً تتولّى الملائكة صاحبها من أجلها ﴿ **ومن أحسن قولا ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً** ﴾ صورته صورة الاستفهام والمراد به النفي تقديره وليس أحد أحسن قولاً ممّن دعا إلى طاعة الله وأضاف إلى ذلك أن يعمل الأعمال الصالحة ﴿ **وقال انّني من المسلمين** ﴾ أي ويقول مع ذلك أنّني من المستسلمين لأمر الله المنقادين إلى طاعته وقيل: معناه ويقول انّني من جملة المسلمين كما قال إبراهيم وأنا أول المسلمين وهذا الداعي هو رسول الله ﷺ عن الحسن وابن زيد والسدّي وقيل هو وجميع الأئمّة الدعاة الهداة إلى الحقّ عن مقاتل وجماعة من المفسّرين وقيل هم المؤذّنون عن عائشة وعكرمة وفي هذه الآية ردّ على من قال أنا مؤمن إن شاء الله لأنه مدح من قال أنّني من المسلمين من غير أن يقرنه بالمشيئة وفي هذه الآية دلالة على أنّ الدعاء إلى الدين من أعظم الطاعات وأجلّ الواجبات وفيها دلالة على أنّ الداعي يجب أن يكون عاملاً بعلمه ليكون الناس إلى القبول منه أقرب وإليه أسكن ثمّ قال سبحانه ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيّئة** ﴾ قيل معناه لا تستوي الملّة الحسنة التي هي الإسلام والملّة السيّئة التي هي الكفر وقيل معناه لا تستوي الأعمال الحسنة ولا الأعمال القبيحة وقيل : لا تستوي الخصلة الحسنة والسيّئة فلا يستوي الصبر والغضب والحلم والجهل والمداراة والغلظة والعفو والإساءة ثمّ بيّن سبحانه ما يلزم على الداعي من الرفق بالمدعوّ فقال ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن** ﴾ ] خاطب النبي ﷺ فقال للنبي ﷺ ادفع بالتي هي

أحسن ][1] خاطب النبي ﷺ فقال ادفع بحقك باطلهم وبحلمك جهلهم وبعفوك إساءتهم ﴿ **فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم** ﴾ معناه فإنك إذا دفعت خصومك بلين ورفق ومداراة صار عدوّك الذي يعاديك في الدين بصورة وليّك القريب فكأنّه وليّك في الدين وحميمك في النسب وروي عن أبي عبد الله ( ع ) إنّ الحسنة التقية والسيّئة الإذاعة ﴿ **وما يلقيٰها** ﴾ أي وما يلقّى هذه الفعلة وهذه الحالة التي هي دفع السيّئة بالحسنة ﴿ **إلا الذين صبروا** ﴾ على كظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل إلا الذين صبروا في الدنيا على الأذى عن أبي عبد الله ( ع ) ﴿ **وما يلقاها** ﴾ أي وما يلقّى هذه الخصلة المذكورة ولا يؤتاها ﴿ **إلا ذو حظ عظيم** ﴾ أي ذو نصيب وافر من الرأي والعقل وقيل إلا ذو نصيب عظيم من الثواب والخير وقيل : الحظّ العظيم الجنة عن قتادة وما يلقّاها إلا من وجبت له الجنة وروي عن أبي عبد الله ( ع ) وما يلقّاها إلا كلّ ذي حظّ عظيم .

[ **النظم** ] اتّصل قوله ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله الآية بما قبله من قوله ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه** ﴾ الآية فكأنّه قال الا تتعجّبون من اعراض الكفار عن استماع القرآن وتواصيهم فيما بينهم باللغو في قراءته ولا قائل أحسن قولاً من محمّد ﷺ يدعوكم إلى من تقرّون أنه خالقكم ثمّ أنّه قد عمل في دينه بما دعاكم إليه فانتفت عنه التهمة من جميع الوجوه .

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ۩ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ

(١) ما بين المعقفتين زائد .

ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ
أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ
مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا
جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ
وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾

[ **اللغة** ] النزغ النخس[1] بما يدعو إلى الفساد يقال نزغ ينزَغ وفلان ينزغ فلاناً كأنّه ينخسه بما يدعوه إلى خلاف الصواب وألحد: مال عن الحق ويقال لحد يلحد أيضاً بمعناه ويسمّى القرآن ذكراً لأنّه ذكر فيه الدلائل والأحكام .

[ **الإعراب** ] وأمّا ينزغنك هي إن التي للجزاء زيد عليها ما تأكيداً فأشبه لذلك القسم فلذلك دخل الفعل نون التأكيد إنّ الذين كفروا بالذكر لم يذكر لأنّ خبراً والتقدير أنّ الذين كفروا بالذكر مبتدأ الخبر معذّبون فحذف الخبر ويجوز أن يكون الخبر أولئك ينادون من مكان بعيد .

[ **المعنى** ] ثمّ أمر نبيّه ﷺ أن يستعيذ بالله إذا صرفه الشيطان عن الإحتمال فقال ﴿ **وإما ينزغنّك من الشيطان نزغ** ﴾[2] أن ما يدعونّك نزغ من الشيطان بالوسوسة ﴿ **فاستعذ بالله** ﴾ أي فاطلب الاعتصام من شرّه بالله ﴿ **أنّه هو السميع العليم** ﴾ الآية مفسّرة في آخر سورة الأعراف ثمّ ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال ﴿ **ومن آياته** ﴾ أي حججه الدالّة على وحدانيّته وأدلّته على صفاته التي باين بها جميع خلقه ﴿ **الليل** ﴾ بذهاب الشمس عن بسيط الأرض ﴿ **والنهار** ﴾ بطلوعها على وجهها وتقديرهما على وجه مستقرّ وتدبيرهما على نظام مستمرّ ﴿ **والشمس والقمر** ﴾ وما اختصّا به من النور وظهر فيهما من التدبير في المسير

---

(١) نَخَس الدابة نَخساً غرز مؤخرها أو جنبها بعُود ونحوه فهاجت ونخس بفلان: هيّجه وأزعجه .

(٢) [ معناه ]

والتعريف في فلك التدّوير ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ﴾ وإن كان فيهما منافع كثيرة لأنّهما ليسا بخالقين ﴿ واسجدوا لله الذي خلقهنّ ﴾ وأنشأهنّ وإنّما قال خلقهنّ لوجهين ( أحدهما ) أنّ ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث تقول هذا كباشك[١] فسُقها وإن شئت قلت فسُقهن ( والآخر ) أنّ الضمير يرجع إلى معنى الآيات لأنّه قال ومن آياته هذه الأشياء واسجدوا لله الذي خلقهنّ ﴿ إن كنتم إيّاه تعبدون ﴾ إن كنتم تقصدون بعبادتكم الله كما تزعمون الله فاسجدوا لله دون غيره ثمّ قال ﴿ فإن استكبروا ﴾ عن توجيه العبادة إلى الله وحده ﴿ فالذين عند ربّك ﴾ وهم الملائكة ﴿ يسبّحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ أي لا يملّون ولا يفترون وهو مفسّر في سورة الأعراف والمروي عن ابن عباس وقتادة وابن المسيّب أنّ موضع السجود عند قوله ﴿ وهم لا يسأمون ﴾ وعن ابن مسعود والحسن أنّه عند قوله ﴿ إن كنتم إيّاه تعبدون ﴾ وهو إختيار أبي عمرو بن العلا وهو المروي عن أئمّتنا ( ع ) ﴿ ومن آياته ﴾ أي من أدلّته الدالّة على ربوبيّته ﴿ إنّك ترى الأرض خاشعة ﴾ أي غبراء دارسة متهشّمة عن قتادة والسُدّي أي كان حالها حال الخاضع المتواضع وقيل ميتة يابسة لا نبات فيها قال الأزهري إذا يبست الأرض ولم تمطر قيل قد خشعت ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء إهتزّت ﴾ أي تحرّكت بالنبات وربت أي انتفخت وارتفعت قبل أن تنبت وقيل إهتزّت بالنبات ﴿ وربت ﴾ بكثرة ريعها عن الكلبي ﴿ إنّ الذي أحياها ﴾ أي أحيا الأرض بما أنزله من المطر ﴿ لمحي الموتى ﴾ في الآخرة مثل ذلك ﴿ أنّه على كل شيء قدير ﴾ ظاهر المعنى ﴿ إنّ الذين يلحدون ﴾ أي إنّ الذين يميلون من الإيمان بآياتنا ﴿ لا يخفون علينا ﴾ بأشخاصهم وأقوالهم وأفعالهم وهذا وعيد عن قتادة وابن زيد والسدّي وقد قيل أنّ معنى الإلحاد في آيات الله هو ما كانوا يفعلونه من المكاء والصفير عن مجاهد وقيل: هو تبديلهم ذلك ووضعه في غير موضعه عن ابن عباس وقال بعض المفسّرين أنّ المراد بالآيات هنا دلالات التوحيد والإلحاد فيها الإنحراف عنها وترك الإستدلال بها ثم قال سبحانه على وجه الإنكار عليهم والتهجين لفعلهم والتهديد لهم ﴿ أفمن يلقى في النار خير ﴾ وهم الملحدون ﴿ أم من يأتي آمناً يوم القيامة ﴾ من عذاب الله وهم المؤمنون المطيعون وهذا استفهام تقرير معناه أنهما لا يستويان وقيل إنّ الذي يلقى في النار أبو جهل والذي يأتي آمناً يوم القيامة رسول الله ﷺ عن مقاتل وقيل : هو عمّار بن ياسر عن عكرمة والصحيح أنّ الآية على العموم والمراد بهما المؤمن والكافر ثمّ قال سبحانه ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ لفظه لفظ الأمر ومعناه

---

(١) جمع كبش وهو الحمل إذا دخل في السنة الثانية .

الوعيد والتهديد أي فإذا علمتم أنّهما لا يستويان فليختر كلّ واحد منكم لنفسه ما شاء من الأمرين فإنّ العاقل لا يختار الإلقاء في النار فإذا لم يختر ذلك فلا بدّ أن يؤمن بالآيات فلا يلحد فيها ﴿ **أنّه بما تعملون** ﴾ أي بأعمالكم ﴿ **بصير** ﴾ عالم لا يخفى عليه شيء منها ثمّ أخبر سبحانه عنهم مهّجناً لهم فقال ﴿ **إنّ الذين كفروا بالذكر** ﴾ الذي هو القرآن وجحدوه ﴿ **لما جاءهم** ﴾ أي حين جاءهم ثم أخذ سبحانه في وصف الذكر وترك خبر أنّ على تقدير أنّ الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم ونحو ذلك وقيل إنّ خبره « أولئك ينادون من مكان بعيد » عن أبي عمرو بن العلا وقيل إن قوله ﴿ **وأنّه لكتاب عزيز** ﴾ في موضع الخبر والتقدير الكتاب الذي جاءهم عزيز وأمّا قوله وأنّه فالهاء يعود إلى القرآن الذي هو الذكر والمعنى أنّ الذكر لكتاب عزيز بأنّه لا يقدر أحد من العباد على أن يأتي بمثله وقيل أنّه عزيز بأعزاز الله عزّ وجلّ إيّاه إذ حفظه من التغيير والتبديل وقيل هو عزيز إذ جعله الله على أتمّ صفات الأحكام وقيل عزيز بأنه يجب أن يعزّ ويجلّ بالإنتهاء إلى ما فيه وترك الأعراض عنه وقيل عزيز أي كريم على الله عزّ وجلّ عن ابن عباس ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** ﴾ قيل فيه أقوال ( أحدها ) أنّ الباطل الشيطان ومعناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقاً أو يزيد فيه باطلاً عن قتادة والسدّي ( وثانيها ) أنّه لا يأتيه ما يبطله من بين يديه أي من الكتب التي قبله ولا من خلفه أي لا يجيء من بعده كتاب يبطله أي ينسخه عن ابن عباس والكلبي ومقاتل ( وثالثها ) معناه أنه ليس في إخباره عمّا مضى باطل ولا في إخباره عمّا يكون في المستقبل باطل بل إخباره كلّها موافقة لمخبراتها وهو المروي عن أبي جعفر ( ع ) وأبي عبد الله ( ع ) ( ورابعها ) لا يأتيه الباطل من أول تنزيله ولا من آخره عن الحسن و ( خامسها ) لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات فلا تناقض في ألفاظه ولا كذب في إخباره ولا يعارض ولا يزاد فيه ولا يغيّر بل هو محفوظ حجّة على المكلّفين إلى يوم القيامة ويؤيّده قوله ﴿ **أنا نحن نزّلنا الذكر وانا له لحافظون** ﴾ ﴿ **وتنزيل من حكيم** ﴾ أي هو تنزيل من عالم بوجوه الحكمة ﴿ **حميد** ﴾ مستحقّ للحمد على خلقه بالإنعام عليهم والقرآن هو من أعظم نعمه فاستحقّ به الحمد والشكر .

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ

ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن
مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ
مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير حفص أأعجمي بهمزتين وقرأ هشام عن ابن عامر بهمزة واحدة وقرأ الباقون بهمزة واحدة ممدودة .

[ **الحجة** ] قال أبو علي الأعجمي الذي لا يفصح من العرب كان أو من العجم قالوا زياد الأعجم لآفة كانت في لسانه وكان عربياً وقالوا صلاة النهار عجماء أي تخفى فيها القراءة ولا تبين ويجمع الأعجم على عجم أنشد أبو زيد :

يَقُولُ الْخَناوَ أبْغَضُ الْعُجْمِ نَاطِقاً إلىٰ رَبِّنَا صَوْتُ الْحِمَارِ الْيُجَدَّعُ[١]

أي أبغض صوت العجم صوت الحمار وتسميّ العرب من لم يبيّن كلامه من أيّ صنف كان من الناس أعجم ومنه قول ابن الأخزر :

سَلُّومُ[٢] لَوْ أصْبَحْتَ وَسْطَ الأعْجَمِ بِالرُّومِ أوْ بِالتُّرْكِ أوْ بِالدَّيلَمِ

فقال لو كنت وسط الأعجم ولم يقل وسط العجم لأنّه جعل كل من لم يبيّن كلامه أعجم فكأنّه قال وسط القبيل الأعجم والعجم خلاف العرب والعجمي خلاف العربي منسوب إلى العجم وإنما قوبل الأعجمي بالعربي في الآية وخلاف العربي العجمي لأنّ الأعجمي في أنّه لا يبيّن مثل العجمي عندهم فمن حيث إجتمعا في أنهما لا يبينان قوبل به العربي في قوله ﴿ **أعجمي وعربي** ﴾ وينبغي أن يكون الأعجمي الياء فيه للنسب نسب إلى

---

(١) الخنا: الفحش في الكلام وجدعه: قطع أنفه والمراد من قوله ابغض الخ تهجين المهجوّ بتشبيهه في قول الخنا بالحمار المجدّع وتوصيف الحمار بجدع الأنف لأنه إذا قطع أنفه صار صوته أنكر .

(٢) سلّوم منادى .

الأعجم الذي لا يفصح وهو في المعنى كالعجمي وإن كانا يختلفان في النسبة فيكون الأعجمي عربّياً ويجوز أن يقال للرجل أعجمي ويراد به ما يراد بأعجم بغير ياء النسب كما يقال أحمر وأحمري ودوّار ودوّاري وقوله ولو نزّلناه على بعض الأعجمين مما جمع على إرادة ياء النسب فيه مثل قولهم النميرون ولولا ذلك لم يجز جمعه بالواو والنون ألا ترى أنك لا تقول في الأحمر إذا كان صفةً أحمرون وإنّما جاز الأعجمون لما ذكرنا فأمّا الأعاجم فينبغي أن تكون تكسير أعجميّ كما كان المسامعة تكسير مسمعي وقد استعمل هذا الوصف إستعمال الأسماء فمن ذلك قوله « حَزِقٌ يَمَانِيَةٌ لأَعْجَمَ طِمْطِمِ »(١) فينبغي أن يكون من باب الأجارع(٢) والأباطح وأمّا قوله تعالى ﴿ **أعجمي وعربي** ﴾ فالمعنى المنزل أعجمي والمنزل عليه عربي فقوله أعجمي وعربي يرتفع كل منهما على أنّه خبر مبتدأ محذوف وهذه الآية في المعنى كقوله ﴿ **ولو نزّلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين** ﴾.

[ **المعنى** ] ثم عزّى سبحانه نبيه ﷺ على تكذيبهم فقال ﴿ **ما يقال لك إلّا ما قد قيل للرسل من قبلك** ﴾ أي ما يقول هؤلاء الكفار لك إلا ما قد قيل للأنبياء قبلك من التكذيب والجحد لنبوتهم عن قتادة والسدّي والجبائي وقيل معناه ما يقول الله لك إلا ما قد قاله للرسل من قبلك وهو الأمر بالدعاء إلى الحق في عبادة الله ولزوم طاعته فهذا القرآن موافق لما قبله من الكتب وقيل معناه ما حكاه تعالى بعده من ﴿ **إنّ ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم** ﴾ فيكون على جهة الوعد والوعيد أي أنّه لذو مغفرة لمن آمن بك وذو عقاب أليم لمن كذّب بك ﴿ **ولو جعلناه قرآناً أعجمياً** ﴾ أي لو جعلنا هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس بغير لغة العرب ﴿ **لقالوا لولا فصّلت آياته** ﴾ أي هلّا بيّنت بلسان العرب حتى نفهمه ﴿ **أأعجمي وعربي** ﴾ أي كتاب أعجمي ونبي عربي وهذا إستفهام على وجه الإنكار والمعنى أنهم كانوا يقولون المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي وكان ذلك أشدّ لتكذيبهم فبيّن الله سبحانه أنّه أنزل الكتاب بلغتهم وأرسل الرسول من عشيرتهم ليكون أبلغ في الحجة واقطع للمعذرة ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **هو** ﴾ أي القرآن ﴿ **للذين آمنوا هدىً** ﴾ من الضلالة ﴿ **وشفاء** ﴾ من الأوجاع وقيل وشفاء للقلوب من كلّ شكّ وريب وشبهة وسمّى اليقين شفاءً كما سمّى الشك مرضاً في قوله ﴿ **في قلوبهم مرض** ﴾ ﴿ **والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر** ﴾ أي ثقل

(١) الحِزَق جمع حزقة أي الجماعات وطِمطِم مَن في نطقه عُجمة أي تآوي أفراخ النعام إلى الظليم وهو الذكر من النعام كما تأوي الإبل اليمانية إلى راعٍ أعجم عَيٍّ لا يفصح وجه الشبه شدة سواد الظليم والراعي وشدة سواد القلوص والإبل اليمانية .

(٢) جمع الأجرع أي رملة مستوية لا تنبت شيئاً .

وصَمَم عن سماعه من حيث يثقل عليهم إستماعه فلا ينتفعون به فكـأنهم صُمٌّ عنه ﴿ **وهـو عليهم عمى** ﴾ عميت قلوبهم عنه عن السدّي يعني أنّهم لمـا ضلّوا عنه وحـاروا عن تدبّـره فكأنّه عمىً لهم ﴿ **أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ أي أنّهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أنّ من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم وإنّما قال ذلك لبعد أفهامهم وشدّة أعراضهم عنه وقيل لبعده عن قلوبهم عن مجاهد وقيـل ينادى الـرجل منهم في الآخـرة بأشنـع اسمه عن الضحاك ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب** ﴾ أي التوراة ﴿ **فاختلف فيه** ﴾ لأنه آمن به قوم وكذّب به آخرون وهذه تسلية للنبي ﷺ أيضاً عن جحود قومه له وإنكارهم لنبوّته ﴿**ولولا كلمةسبقت من ربّك** ﴾ في تأخير العذاب عن قومك وأنّـه لا يعذبهم وأنت فيهم ﴿ **لقضي بينهم** ﴾ أي لفرغ من عذابهم واستئصالهم وقيل: معناه لولا حكم سبق من ربك بتأخيرهم العذاب[1] إلى وقت انقضاء آجالهم لقضي بينهم قبل انقضاء آجالهم فيظهر المحقّ من المبطل ﴿ **وإنّهم لفي شكّ منه مريب** ﴾ أي وإنّ قومك لفي شك مما ذكرناه موقع لهم الريبة وهو أفظع الشك .

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى

(١) ليس في بعض النسخ لفظة العذاب .

عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة والشام وحفص من ثمرات على الجمع والباقون من ثمرة على التوحيد .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من ثمرة إذا أفرد يدل على الكثرة واستغنى به عن الجمع ويقوّي الأفراد قوله ﴿ **وما تحمل من أنثى** ﴾ وحجّة من جمع أنّ الجمع صحيح وإنّ المعنى على ذلك .

[ **اللغة** ] الأكمام جمع كِمْ وكِمّ جمع كمّة عن ابن خالويه وقيل هي جمع كمة عن أبي عبيدة وهي الكُفُرّي(١) وتكمّم الرجل في ثوبه إذا تلفّف به والإيذان الإعلام .

[ **المعنى** ] ثمّ احتجّ سبحانه عليهم بأن قال ﴿ **من عمل صالحاً فلنفسه** ﴾ أي من عمل طاعة فلنفسه لأنّ ثواب ذلك واصل إليه ومنفعته تكون له دون غيره ﴿ **ومن أساء فعليها** ﴾ أي من عمل معصية فعلى نفسه وبال ذلك وعقابه يلحقه دون غيره ﴿ **وما ربّك بظلّام للعبيد** ﴾ وهذا على وجه المبالغة في نفي الظلم عن نفسه للعبيد وإنّما قال ذلك مع أنّه لا يظلم مثقال ذرّة لأمرين ( أحدهما ) أنّ من فعل الظلم وإن قلّ وهو عالم بقبحه وبأنّه غنيّ عنه لكان ظلّاماً ( والآخر ) أنّه على طريق الجواب لمن زعم أنّه يظلم العباد فيأخذ أحداً بذنب غيره ويثيبه بطاعة غيره ثم بيّن سبحانه أنّه العالم بوقت القيامة فقال ﴿ **إليه يردّ علم الساعة** ﴾ التي يقع فيها الجزاء للمطيع والعاصي وهو يوم القيامة ﴿ **وما تخرج من ثمرات من أكمامها** ﴾ أي وما تخرج ثمرة من أوعيتها وغلفها ﴿ **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** ﴾ أي ولا تحمل أنثى من حمل ذكراً كان أو أنثى ولا تضع أنثى إلا في الوقت الذي علم سبحانه أنها تحمل فيه وتضع فيه فيعلم سبحانه قدر الثمار وكيفيتها وأجزاءها وطعومها وروائحها ويعلم ما في بطون الحبالى وكيفية انتقالها حالاً بعد حال حتى يصير بشراً سويّاً ﴿ **ويوم يناديهم** ﴾ أي ينادي الله المشركين ﴿ **أين شركائي** ﴾ أي في قولكم وزعمكم كما قال أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴿ **قالوا آذنّاك ما منّا من شهيد** ﴾ أي يقولون أعلمناك ما منّا شاهد بأنّ لك شريكاً يتبرأون يومئذ من أن يكون مع الله شريك ﴿ **وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل** ﴾

(١) بتثليث الكاف والفاء وعاء طلع النخل.

أي بطل عنهم وذهب ما كانوا أملوه من أصنامهم ﴿ وظنوا ﴾ أي أيقنوا ﴿ **ما لهم من محيص** ﴾ أي من مهرب وملجأ دخل الظنّ على ما التي للنفي كما تدخل على لام الابتداء وكلاهما له صدر الكلام والمعنى أنّهم علموا أن لا مخلص لهم من عذاب الله وقد يعبّر بالظن عن اليقين فيما طريقه الخبر دون العيان ثم بيّن سبحانه طريقتهم في الدنيا فقال ﴿ **لا يسأم الإنسان من دعاء الخير** ﴾ قال الكلبي الإنسان هاهنا يراد به الكافر أي لا يملّ الكافر من دعائه الخير ولا يزال يسأل ربّه الخير الذي هو المال والغنى والصحة والولد ﴿ **وإن مسّه الشرّ** ﴾ أي البلاء والشدّة والفقر ﴿ **فيؤوس** ﴾ أي فهو يؤوس شديد اليأس من الخير ﴿ **قنوط** ﴾ من الرحمة وقيل يؤوس من إجابة الدعاء قنوط سيّء الظنّ بربّه ﴿ **ولئن أذقناه رحمة منّا** ﴾ أي خيراً وعافية وغنىً ﴿ **من بعد ضرّاء مسّته ليقولنّ هذا لي** ﴾ أي هذا بعملي وأنا محقوق به عن مجاهد قال وكلّ هذا من أخلاق الكافر وقيل معناه هذا لي دائماً أبداً ﴿ **وما أظنّ الساعة قائمة** ﴾ أي كائنة على ما يقوله المسلمون ﴿ **ولئن رجعت إلى ربي أنّ لي عنده للحسنى** ﴾ أي لست على يقين من البعث فإن كان الأمر على ذلك ورددت إلى ربّي إنّ لي عنده الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهي الجنة سيعطيني في الآخرة مثل ما أعطاني في الدنيا ثم هدّد سبحانه من هذه صفته بأن قال ﴿ **فلننبّئنّ الذين كفروا بما عملوا** ﴾ أي لنقفنّهم يوم القيامة على مساوىء أعمالهم عن ابن عباس ﴿ **ولنذيقنّهم من عذاب غليظ** ﴾ أي شديد متراكم .

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ (٥١) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ (٥٤)

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن جهل الإنسان الذي تقدّم وصفه بمواقع نعم الله

سبحانه فقال ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ﴾ عن الشكر ﴿ ونأى بجانبه ﴾ أي بُعد بجانبه تكبّراً وتجبّراً عن الإعتراف بنعم الله تعالى ومن قرأ ناء فإنه مقلوب من نأى كما في قول الشاعر :

أَقُولُ وَقَدْ نَاءَتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوى     نَوى خَيْتَعُورٍ: لا تَشِطُّ دِيارُكَ(١)

﴿ وإذا مسّه الشرّ ﴾ أي الضرّ أو الفقر أو المرض ﴿ فذو دعاء عريض ﴾ أي فهو ذو دعاءٍ كثير عند ذلك عن السدّي وإنّما قال فذو دعاء عريض ولم يقل طويل لأنّه أبلغ فإنّ العرض يدلّ على الطول والطول لا يدلّ على العرض إذ قد يصحّ طويل ولا عرض له ولا يصحّ عريض ولا طول له فإنّ العرض الإنبساط في خلاف جهة الطول والطول الامتداد في أيّ جهة كان وفي الآية دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر القائلين بأنّه ليس لله على الكافر نعمة فإنّ الله سبحانه أخبر بأنّه ينعم على الكافر وأنّه يعرض عن موجبها من الشكر والمراد بالآية أنّ الكافر يسأل ربّه بالتضرع والدعاء أن يكشف ما به من الضرّ والبلاء ويعرض عن الدعاء في الرخاء ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أرأيتم إن كان ﴾ القرآن ﴿ من عند الله ﴾ وقيل إن كان هذا الانعام من عند الله ﴿ ثمّ كفرتم به ﴾ وجحدتموه ﴿ من أضلّ ممنّ هو في شقاق بعيد ﴾ أي في خلاف للحق بعيد عنه وهو أنتم والشقاق والمشاقّة الميل إلى شقّ العداوة أي فلا أحد أضلّ منكم ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾ إختلف في معناه على أقوال ( أحدها ) أنّ المعنى سنريهم حججنا ودلائلنا على التوحيد في آفاق العالم وأقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والبحار والجبال وفي أنفسهم وما فيها من لطائف الصنعة وبدائع الحكمة ﴿ حتى يتبيّن لهم ﴾ أي يظهر لهم ﴿ أنّه الحقّ ﴾ أي أنّ الله هو الحق عن عطاء وابن زيد ( وثانيها ) إنّ معناه سنريهم آياتنا ودلائلنا على صدق محمّد ﷺ وصحّة نبوّته في الآفاق أي بما يفتح من القرى عليه وعلى المسلمين في أقطار الأرض وفي أنفسهم يعني فتح مكة عن السدّي والحسن ومجاهد وقالوا هو ظهور محمد ﷺ على الآفاق وعلى مكّة حتّى يعرفوا أنّ ما أتي به من القرآن حقّ ومن عند الله لأنّهم بذلك يعرفون أنّه مؤيّد من قبل الله تعالى بعد أن كان واحداً لا ناصر له ( وثالثها ) أنّ المراد بقوله في الآفاق وقائع الله في الأمم وفي أنفسهم وقعة يوم بدر عن قتادة ( ورابعها ) أنّ معناه سنريهم آياتنا في

(١) الخيتعور كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب وبمعنى الغول . . وشطّ يَشط شطّاً وشطوطاً : بعدُ ولا تشطّ ديارُك محكى أقول في صدر البيت ونوى خيتعورٍ مفعول مطلق نوعيّ لقوله: ناءت وهو محل الاستشهاد .

الآفاق بصدق ما كان يخبرهم به النبي ﷺ من الحوادث فيها وفي أنفسهم يعني ما كان بمكّة من إنشقاق القمر حتّى يعلموا أنّ خبره حقّ من قبل الله سبحانه ( وخامسها ) أنّ المراد سنريهم آثار من مضى من قبلهم ممّن كذّب الرسل من الأمم وآثار خلق الله في كلّ البلاد وفي أنفسهم من أنّهم كانوا نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً ثم كسيت لحماً ثم نقلوا إلى التمييز والعقل وذلك كله دليل على أنّ الذي فعله واحد ليس كمثله شيء عن الزجاج ﴿ **أو لم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد** ﴾ موضع قوله ﴿ **بربك** ﴾ رفع والمعنى أو لم يكف ربّك وأنّه على كلّ شهيد في موضع رفع أيضاً على البدل وإن حملته على اللفظ فهو في موضع جرّ والمفعول محذوف وتقديره أولم يكف شهادة ربّك على كلّ شيء ومعنى الكفاية هنا أنه سبحانه بيّن للناس ما فيه كفاية من الدلالة على توحيده وتصحيح نبوّة رسله قال مقاتل معناه أولم يكف ربّك شاهداً أنّ القرآن من عند الله وقيل معناه أولم يكف ربّك لأنه على كلّ شيء شهيد أي عليم بالأشياء شاهد لجميعها لا يغيب عنه شيء ﴿**ألا أنّهم في مرية من لقاء ربّهم** ﴾ إلا كلمة تنبيه وتأكيد أن الكفار في شك من لقاء ثواب ربّهم وعقابه أي في شكّ من مجازاة ربّهم وفي هذا تسفيه لهم في إضافة العبث إلى الله ﴿ **إلا أنّه بكل شيء محيط** ﴾ أي أحاط علمه بكل شيء فلا يخفى عليه شيء .

# (٤٢) سورة الشورى مكيّة وآياتها ثلاث وخمسون

وتسمّى سورة الشورى أيضاً وهي مكيّة عن الحسن إلا قوله **﴿والذين استجابوا والذين إذا أصابهم﴾** إلى قوله **﴿ لا يحب الظالمين ﴾** وعن ابن عباس وقتادة إلا أربع آيات منها **﴿نزلن بالمدينة ﴾** **﴿ قل لا اسئلكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى ﴾** قال ابن عباس ولمّا نزلت هذه الآية قال رجل والله ما أنزل الله هذه الآية فأنزل الله **﴿ أم يقولون افترى على الله كذباً﴾** ثمّ أنّ الرجل تاب وندم فنزل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده إلى قوله **﴿لهم عذاب شديد﴾** .

[ **عدد آيها** ] ثلاث وخمسون آية كوفي وخمسون في الباقي .

[ **إختلافها** ] ثلاث آيات حمٓعسٓق كالإعلام ثلثهن كوفي .

[ **فضلها** ] أبيّ بن كعبّ عن النبي ﷺ من قرأ سورة حمٓعسٓق كان ممّن يصلّي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون وروى سيف بن عميرة عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ حٓم عٓسق بعثه الله يوم القيام ووجهه كالقمر ليلة البدر حتى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ فيقول عبدي أدمنت قراءة حٓم عسٓق ولم تدر ما ثوابها أما لو دريت ما هي وما ثوابها لما مللت من قراءتها ولكن سأجزيك جزاءك أدخلوه الجنة وله فيها قصر من ياقوتة حمراء أبوابها وشرفها ودرجها منها يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وله فيها حَوْراوان من الحور العين وألف جارية وألف غلام من الولدان المخلدين الذين وصفهم الله .

[ **تفسيرها** ] ختم الله سورة حٓم السجدة بذكر القرآن وافتتح هذه السورة بذكره أيضاً فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِىُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِى ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير كذلك يوحى إليك بفتح الحاء والباقون يوحي بكسر الحاء وفي الشواذّ رواية الأعمش عن ابن مسعود حَم سق بغير عين .

[ **الحجة** ] قال ابو علي من قرأ يوحى فبنى الفعل للمفعول به احتمل أمرين (أحدهما) ان المعنى يوحى اليك السورة كما اوحى إلى الذين من قبلك زعموا انّ هذه السورة قد اوحى إلى الأنبياء قبل (والآخر) ان يكون الجارّ والمجرور يقومان مقام الفاعل ويجوز ان يكون قوله تعالى الله العزيز الحكيم تبييناً للفاعل كقوله يسبّح له فيها ثم قال رجال كأنّه قيل من يسبّح فقال رجال ومن قرأ يوحي اليك على بناء الفعل للفاعل فإنّ اسم الله يرتفع بفعله وأمّا اختلاف القراء في يتفطّرن وينفطرن والوجه في ذلك قد مرّ ذكره في سورة مريم وقال ابن جنّي قراءة ابن مسعود حَم سَقَ ممّا يوكدّأنّ الغرض في هذه الفواتح إنما هو لكونها فواصل بين السور ولو كان في اسماء الله سبحانه لما جاز تحريف شيء منها بل كانت مؤدّاة بأعيانها وقد كان ابن عباس قد قرأها بلا عين أيضاً وكان يقول السين كلّ فرقة تكون والقاف كلّ جماعة تكون .

[ **المعنى** ] ﴿حَم﴾ قد مضى تفسير ﴿عسَق﴾ قيل إنمّا فضّلت هذه السورة من بين سائر الحواميم بعسَق لأنّ جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلا هذه فذكر عسق ليكون دلالة على الكتاب دلالة التضمين وان لم يدل عليه دلالة التصريح وهو معنى قول قتادة فإنّه قال هو اسم من اسماء القرآن وقيل لأنّ هذه السورة انفردت بأنّ معانيها اوحيت إلى سائر الأنبياء فلذلك خصّت بهذه التسمية وقال عطا: هي حروف مقطعة من حوادث آتية فالحاء من حرب والميم من تحويل ملك والعين من عدوّ مقهور والسين من الاستئصال بسنين كسني يوسف والقاف من قدرة الله في ملوك الأرض وسائر الأقوال في ذلك مذكورة في اوّل البقرة ﴿**كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك**﴾ أي كالوحي الذي تقدّم يوحي اليك اخبار الغيب

وما يكون قبل ان يكون وإلى الذين من قبلك من الأنبياء عن عطا عن ابن عباس قال وما من نبيّ انزل الله عليه الكتاب إلا انزل عليه معاني هذه السورة بلغاتهم وقيل معناه كهذا الوحي الذي يأتي في هذه السورة يوحي إليك لأنّ ما لم يكن حاضراً تراه صلح فيه هذا لقرب وقته وذلك لبعده في نفسه ومعنى التشبيه في كذلك انّ بعضه كبعض في انه حكمة وصواب بما تضمّنه من الحجج والمواعظ والفوائد ﴿الله﴾ الذي تحق له العبادة ﴿العزيز﴾ القادر الذي لا يغالب ﴿الحكيم﴾ المحكم لأفعاله ﴿له ما في السماوات وما في الأرض وهو العليّ﴾ المستعلي على كلّ قادر ﴿العظيم﴾ شأنه ﴿تكاد السماوات يتفطّرن من فوقهن﴾ أي تكاد كلّ واحدة من السماوات تنشق من فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولداً استعظاماً لذلك عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تكاد السماوات يتشقّقن فَرَقاً من عظمة الله وجلاله من فوقهن تقديره ممّن فوقهن اي من عظمة من فوقّهن عن الضحاك وقتادة والزجاج وقيل من فوقهن أي من فوق الأرضين وهذا على طريق التمثيل والمعنى لو كانت السماوات تنفطر لشيء لانفطرت لهذا ﴿والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم﴾ اي ينزّهونه عمّا لا يجوز عليه في صفاته ويعظمونه عمّا لا يليق به في ذاته وافعاله وروي عن ابي عبد الله (ع) والملائكة ومن حول العرش يسبّحون بحمد ربهم لا يفترون ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ من المؤمنين ﴿ألا أنّ الله هو الغفور الرحيم﴾ والمعنى ظاهر .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ
حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ
ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى
رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

[ **المعنى** ] ثمّ اخبر سبحانه عن امهاله الكفار بعد تقديم الانذار فقال ﴿**والذين اتّخذوا من دونه اولياء**﴾ اي آلهة عبدوها من دون الله يعني كفّار مكةّ ﴿**الله حفيظ عليهم**﴾ أي حافظ عليهم اعمالهم لا يعزب شيء منها عنه ليجازيهم على ذلك كله ﴿**وما أنت**﴾ يا محمد ﴿**عليهم بوكيل**﴾ اي وما انت بمسلّط عليهم لتدخلهم في الإيمان قهراً وقيل معناه إنّك لم توكّل بحفظ اعمالهم وإنما بعثت نذيراً لهم داعياً إلى الله مبيّناً سبيل الرشد أي فلا يضيقنّ صدرك بتكذيبهم اياك وفيه تسلية للنبي ﷺ ﴿**وكذلك أوحينا إليك قراناً عربيّاً**﴾ أي ومثل ما اوحينا إلى من تقدمك من الأنبياء بالكتب التي انزلناها عليهم بلغة قومهم أوحينا اليك قرآناً بلغة العرب ليفقهوا ما فيه ﴿**لتنذر أمّ القرى ومن حولها**﴾ أي لتنذر أهل امّ القرى وهي مكة ومن حولها من سائر الناس وقرى الأرض كلّها ﴿**وتنذر يوم الجمع**﴾ اي وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين واهل السماوات والأرضين فيوم الجمع مفعول ثان لتنذر وليس بظرف ﴿**لا ريب فيه**﴾ اي لا شك في كونه ثم قسم سبحانه اهل يوم الجمع فقال ﴿**فريق في الجنة وفريق في السعير**﴾ اي فريق منهم في الجنة بطاعتهم وفريق منهم في النار بمعصيتهم ﴿**ولو شاءالله لجعلهم أمّة واحدة**﴾ اي ولو شاء الله ان يحملهم على دين واحد وهو الإسلام بأن يلجئهم اليه لفعله ولكنّه لم يفعله لأنه يؤدّي إلى ابطال التكليف والتكليف إنما يثبت مع الاختيار عن الجبائي وقيل انّ معناه ولو شاء الله لسوّى بين الناس في المنزلة بأن يخلقهم في الجنة ولكنه اختار لهم اعلى الدرجتين وهو استحقاق الثواب ﴿**ولكن يدخل من يشاء في رحمته**﴾ وهم المؤمنون ﴿**والظالمون ما لهم من وليّ**﴾ يواليهم ﴿**ولا نصير**﴾ يمنع عنهم عذاب الله ﴿**أم اتّخذوا من دونه أولياء**﴾ اي بل اتّخذ الكافرون من دون الله اولياء من الاصنام والأوثان يوالونهم ﴿**فالله هو الوليّ**﴾ معناه انّ المستحق للولاية في الحقيقة هو الله تعالى دون غيره لأنه المالك للنفع والضرّ ﴿**وهو يحيي الموتى**﴾ اي يبعثهم للجزاء ﴿**وهو على كلّ شيء قدير**﴾ من الاحياء والإماتة وغير ذلك ﴿**وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**﴾ معناه انّ الذي تختلفون فيه من امور دينكم ودنياكم وتتنازعون فيه فحكمه إلى الله فإنّه الفاصل بين المحقّ والمبطل فيه فيحكم للمحقّ بالثواب والمدح وللمبطل بالعقاب والذمّ وقيل معناه فبيان الصواب إلى الله بنصب الأدلّة وقيل فحكمه إلى الله يوم القيامة فيجازي كلّ احد بما يستحقّه ﴿**ذلكم الله**﴾ الذي يحكم بين المختلفين ﴿**ربّي**﴾

اي هو ربّي ﴿عليه توكلّت﴾ في مهمّاتي ﴿وإليه انيب﴾ اي إليه ارجع في جميع اموري .

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ
يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾
لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى
ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ
إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ
بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ
مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ
لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

[ **اللغة** ] الذرأ اظهار الخلق بإيجاده يقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم ومنه ملح ذَرآنيّ لظهور بياضه ويقال أنمى الله ذراك وذروك اي ذرّيّتك عن الأزهري وشرع الله الدين اي بيّن واظهر ومنه المشرعة والشريعة لأنّهما في مكان معلوم ظاهر من الانهار فالشريعة والشرعة الظاهر المستقيم من المذاهب التي شرعها الله .

[ **الاعراب** ] ان أقيموا الدين يجوز ان يكون موضعه رفعاً ونصباً وجراً فالرفع على معنى هو أن أقيموا الدين والنصب على معنى شرع لكم ان أقيموا الدين والجر على البدل من الهاء في به وجائز ايضاً أن يكون ان اقيموا الدين تفسيراً لما وصّى به نوحاً ولقوله والذي أوحينا اليك ولقوله وما وصّينا به ابراهيم فيكون المعنى شرع لكم ولمن قبلكم إقامة الدين وترك الفرقة فيه .

[ **المعنى** ] ثم وصف سبحانه نفسه بما يوجب ان لا يعبد غيره فقال: ﴿**فاطر السماوات والأرض**﴾ اي خالقهما ومبدعهما ابتداء ﴿**جعل لكم من أنفسكم أزواجاً**﴾ اي اشكالاً مع كلّ ذكر انثى يسكن اليها ويألفها ﴿**ومن الأنعام أزواجاً**﴾ أي ذكوراً وإناثاً لتكمل منافعكم بها كما قال ثمانية أزواج من الضأن اثنين إلى آخره ﴿**يذرؤكم فيه**﴾ أي يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر من جعل الأزواج فالهاء في فيه يعود إلى الجعل المراد بقوله جعل لكم وقيل معناه يذرؤكم في التزاوج لتكثروا به لدلالة الكلام عليه وهو ذكر الأزواج ومثله قول ذي الرمة .

وَمَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جيداً وَسالِفَةً وَأَحْسَنُهُ قَذالا(١)

أي واحسن من ذكر يعني الثقلين وقال الزجاج والفراء معناه يذرؤكم به اي يكثركم بأن جعل من انفسكم ازواجاً ومن الأنعام ازواجاً وأنشد الأزهري في ذلك :

وَأَرْغَبُ فِيها عَنْ لَقِيطٍ وَأَهْلِهِ وَلٰكِنَّني عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

أي ارغب بها عن لقيط ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ اي ليس مثله شيء والكاف زائدة مؤكدة لمعنى النفي قال اوس بن حجر :

وَقَتْلَىٰ كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيلِ يَغْشاهُمُ سَبَلٌ مُنْهَمِرْ(٢)

(١) مية معشوقته. السالفة: صفحة العنق وقيل ناحية مقدّمها من لدن معلق القرط الى فقرة الترقوة والقذال جماع مؤخر الرأس وقيل ما بين نقرة القفا الى الأذن .

(٢) السَبَل: المطر النازل من السحاب قبل ان يصل الى الارض.

وقال آخر :

سَعْـدَ بْن زَيْـد إِذا أَبْصَـرْتَ فَضْـلَهُمُ   مَـا إِنْ كَمِثْلِهِم في النَّـاسِ مِنْ أَحَـدِ

وقيل معناه إنّه لو قدّر لله تعالى مثل لم يكن لذلك المثل مثل لما تقرّر في العقول انّ الله تعالى متفرّد بصفات لا يشاركه فيها غيره فلو كان له مثل لتفرّد بصفات لا يشاركه فيها غيره فكان هو الله وقد دلّ الدليل على أنه ليس مع الله إلّه آخر وقيل: فيه حذف مضاف ومثل بمعنى الصفة تقديره ليس كصاحب صفته شيء وصاحب صفته هو اي ليس كهو شيء والوجه هو الأوّل **﴿وهو السميع البصير﴾** لمّا نفى ان يكون له نظير وشبيه على وجه من الوجوه بيّن انه مع ذلك سميع بصير فإنّما المدحة في انّه لا مثل له مع كونه سميعاً بصيراً لجميع المسموعات والمبصرات **﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾** اي مفاتيح ارزاق السماوات والأرض واسبابها فتمطر السماء بأمره وتنبت الأرض بإذنه عن مجاهد وقيل معناه خزائن السماوات والأرض عن السدّي **﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾** أي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيّق على من يشاء على ما يعلمه من المصالح للعباد **﴿انّه بكلّ شيء عليم﴾** فيفعل ذلك بحسب المصالح ثمّ خاطب سبحانه خلقه فقال **﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً﴾** اي بيّن لكم ونهج واوضح من الدين والتوحيد والبراءة من الشرك ما وصّى به نوحاً **﴿والذي أوحينا اليك﴾** اي وهو(١) الذي اوحينا إليك يا محمد **﴿و﴾** وهو **﴿ما وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى﴾** ثمّ بيّن ذلك بقوله **﴿أنّ أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه﴾** وإقامة الدين التمسّك به والعمل بموجبه والدوام عليه والدعاء إليه ولا تتفرّقوا أي ولا تختلفوا فيه وائتلفوا فيه واتفقوا وكونوا عباد الله اخواناً **﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾** من توحيد الله والإخلاص له ورفض الأوثان وترك دين الآباء لأنهم قالوا أجعل الآلهة إلّهاً واحداً ومعناه ثقل عليهم وعظم اختيارنا لك بما تدعوهم اليه وتخصيصك بالوحي والنبوّة دونهم **﴿الله يجتبي اليه من يشاء﴾** اي ليس اليهم الأختيار لأنّ الله يصطفي لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه بأعباء الرسالة وتحمّله لها فاجتباك الله لها كما اجتبى من قبلك من الانبياء وقيل معناه الله يصطفي من عباده لدينه من يشاء **﴿ويهدي اليه من ينيب﴾** اي ويرشد إلى دينه من يقبل الى طاعته وهذا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل يهدي إلى جنته وثوابه من يرجع إليه بالنية والإخلاص ثم قال **﴿وما تفرّقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾** معناه وإنّ هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليك

---

(١) لا يخفى ان قوله تعالى: الذي.. وما وصينا. مفعول لشَرَع كما في سائر التفاسير وهو رحمه الله تبع التبيان وارجع ضمير هو الى «المشروع» المستفاد من ذيل الآية **﴿ان اقيموا الدين﴾**. ولا يخفى ما فيه.

إلا بعد أن اتاهم طريق العلم بصحّة نبوّتك فعدلوا عن النظر فيه ﴿بغياً بينهم﴾ اي فعلوا ذلك للظلم والحسد والعداوة والحرص على طلب الدنيا وقيل معناه وما تفرّقوا عنه اي عن محمد ﷺ الّا بعد انّ علموا انّه حق ولكنّهم تفرّقوا عنه حسداً له وخوفاً أنّ تذهب رئاستهم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربّك الى اجل مسمّى لقضي بينهم﴾ معناه ولولا وعد الله تعالى واخباره بتبقيتهم إلى وقت معلوم وتأخرّ العذاب عنهم في الحال لفصّل بينهم الحكم وأنزل عليهم العذاب الذي استحقوّه عاجلاً وقيل معناه ولولا وعد الله بتأخير عذابهم الى يوم القيامة وهو الأجل المسمّى لقضي بينهم بإهلاك المبطل وإثابة المحقّ ﴿وانّ الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكّ منه مريب﴾ معناه وانّ اليهود والنصارى الذين اورثوا الكتاب من بعد قوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومن بعد احبارهم لفي شك من القرآن أومن محمد ﷺ مؤدٍّ إلى الريبة عن السدّي بين بذلك أنّ أحبارهم انكروا الحق عن معرفته وان عوامّهم كانوا شاكين فيه يدلّ عليه قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه وقيل معناه وانّ الذين اورثوا الكتاب اي القرآن وهم العرب من بعدهم أي من بعد اليهود والنصارى لفي شكّ منه بليغ ولو استقصوا في النظر ادّى بهم إلى اليقين والرشد ﴿فلذلك فادع﴾ أي فإلى ذلك فادع عن الفراء والزجاج يقال دعوت لفلان وإلى فلان وذلك اشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد ومعناه فإلى الدين الذي شرعه الله تعالى ووصّى به أنبياءه فادع الخلق يا محمد وقيل إن اللاّم للتعليل اي فلأجل الشك الذي هم فيه فادعهم الى الحق حتى تزيل شكّهم ﴿واستقم كما أُمرت﴾ اي فاثبت على أمر الله وتمسّك به واعمل بموجبه وقيل واستقم على تبليغ الرسالة ﴿ولا تتبّع أهواءهم﴾ يعني اهواء المشركين في ترك التبليغ ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ اي آمنت بكتب الله التي أنزلها على الأنبياء قبلي كلّها ﴿وامرت لأعدل بينكم﴾ اي كي اعدل بينكم اي اسوّي بينكم في الدين والدعاء الى الحقّ ولا احابي احداً وقيل معناه امرت بالعدل بينكم في جميع الاشياء وفي الحديث ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات العدل في الرضاء والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السرّ والعلانية والمهلكات شحّ مطاع وهوى متّبع واعجاب المرء بنفسه ﴿الله ربّنا وربكم﴾ اي وقل لهم أيضاً الله مدبّرنا ومدبّركم ومصّرفنا ومصرّفكم والمنعم علينا وعليكم وإنمّا قال ذلك لأنّ المشركين قد اعترفوا بأنّ الله هو الخالق ﴿لنا اعمالنا ولكم اعمالكم﴾ أي لا يضرّنا اصراركم على الكفر فإنّ جزاء أعمالنا لنا وجزاء اعمالكم لكم لا يؤاخذ احداً بذنب غيره ﴿لا حجّة بيننا وبينكم﴾ اي لا خصومة بيننا وبينكم عن مجاهد وابن زيد والمعنى انّ الحق قد ظهر فسقط الجدال والخصومة وكنّى بالحجّة عن الخصومة لاحتجاج أحد الخصمين على الآخر وهذا قبل ان يؤمر بالقتال وإذا لم يؤمر بالقتال

وامر بالدعوة لم تكن بينه وبين من لا يجيب خصومة وقيل معناه لا حجّة بيننا وبينكم لظهور امركم في البغي علينا والعداوة لنا والمعاندة لا على طريق الشبهة وليس ذلك تحريماً لإقامة الحجة لأنه لا يلزم قبول الدعوة إلا بالحجة التي يظهر بها المحق من المبطل فإذا صار الإنسان الى البغي والعداوة سقط الحِجاج بينه وبين اهل الحق ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة لفصل القضاء ﴿واليه المصير﴾ يحكم بيننا بالحقّ وفي هذا غاية التّهديد .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِىُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِى حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾

[ المعنى ] لمّا تقدّم ظهور الحجة وانقطاع المحاجَة عقّبة بذكر من يحاجّ بالباطل فقال سبحانه ﴿والذين يحاجّون في الله﴾ اي يخاصمون النبي ﷺ والمسلمين في دين الله وتوحيده وهم اليهود والنصارى قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبّينا قبل نبيّكم ونحن خير منكم واولى بالحق عن مجاهد وقتادة وإنّما قصدوا بما قالوا ليدفعوا ما أتى به محمد ﷺ ﴿من بعد ما استجيب له﴾ اي من بعد ما دخل الناس في الإسلام واجابوه إلى ما دعاهم اليه ﴿حجّتهم داحضة عند ربّهم﴾ أي خصومتهم باطلة حيث زعموا انّ دينهم افضل من الإسلام ولأنّ ما ذكروه لا يمنع

من صحةّ نبوّة نبيّنا بأن ينسخ الله كتابهم وشريعة نبيّهم وقيل معناه والذين يجادلـون في الله بنصـرة مذهبهم من بعـد ما استجيب للنبي ﷺ دعاؤه في كفّار بـدر حتى قتلهم الله بايـدي المؤمنين واستجيب دعاؤه على أهل مكة وعلى مضر حتى قحطوا ودعاؤه للمستضعفين حتّى خلّصهم الله من ايدي قريش وغيـر ذلك مّمـا يطول تعـداده عن الجبائي وقيـل من بعد مـا استجيب لمحمد ﷺ دعاؤه في اظهار المعجزات واقامتها وقيل من بعد ما استجيب له بـأن اقرّوا به قبل مبعثه فلمّا بعث جحدوه كما قال وكانوا من قبـل يستفتحون على الـذين كفروا وإنما سمّى سبحانه شبهتهم حجّة على اعتقادهم ولشبهها بالحجة أجرى عليها اسمها من غير اطـلاق الصفة بهـا ﴿**وعليهم غضب**﴾ اي غضب الله عليهم لأجل كفـرهم ﴿**ولهم عـذاب شديد**﴾ دائم يوم القيامة ﴿**الله الذي انزل الكتاب**﴾ اي القرآن ﴿**بالحق**﴾ اي بالصدق فيمـا اخبر به من ماضٍ ومستقبل وقيل بالحق اي بالأمر والنهي والفرائض والاحكام وكلّه حقّ من الله ﴿**والميزان**﴾ أي وأنزل الله العدل والميزان عبارة عن العدل كنّى بـه عنه عن ابن عبـاس وقتادة ومجاهد ومقاتل وإنّما سمّي العدل ميزاناً لأنّ الميزان آلة الانصاف والتسوية بين الخلق وقيل اراد به الميزان المعروف وأنزله الله من السماء وعّرفهم كيف يعملون به بـالحق وكيف يزنون به عن الجبائي وقيل الميزان محمدﷺ يقضي بينهم بالكتاب عن علقمة ويكون على التوسع والتشبيه ولمّا ذكر العدل اتبعه بذكر الساعة فقال ﴿**وما يدريك لعلّ الساعة قـريب**﴾ اي وما يدريك يا محمد ولا غيرك لعلّ مجيء الساعة قريب وإنّما اخفى الله الساعـة ووقت مجيئها على العباد ليكونوا على خوف وليبادروا الى التوبة ولو عّرفهم مجيئها لكانـوا مُغرين بالقبائح قبل ذلك تعويلاً على التّلافي بالتوبة ﴿**يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها**﴾ لجهلهم باحوالها واهوالها فلا يخـافون مـا فيها إذ لم يؤمنـوا بها فهم يـطلبون قيـامها ابعـاداً لكونهـا ﴿**والذين آمنوا مشفقون منها**﴾ اي خائفون من مجيئها وهم غير متأهّبين لها ﴿**ويعلمون انها الحق**﴾ اي أنّ مجيئها الحق الذي لا خلف فيه ﴿**الا إنّ الذين يمارون**﴾ اي تدخلهم المرية والشك ﴿**في الساعـة**﴾ فيخاصمـون في مجيئها على وجـه الانكار لهـا ﴿**لفي ضلال**﴾ عن الصواب ﴿**بعيد**﴾ حين لم يذكروا فيعلمـوا انّ الذي خلقهم أوّلاً قـادر على بعثهم ثم قال: ﴿**الله لطيف بعباده**﴾ اي حفيّ بارٌّ بهم رفيق عن ابن عباس وعكرمة والسـدّي وقيل اللطيف العالم بخفيّات الامور والغيوب والمراد به هنا الموصل المنافع إلى العباد من وجه يدقّ ادراكه وذلك في الأرزاق التي قسمها الله لعباده وصرف الآفات عنهم وايصال السرور والملاذّ اليهم وتمكينهم بالقدر والآلات إلى غير ذلك من الطافه التي لا يوقف على كنهها لغموضها ثمّ قال سبحانه ﴿**يرزق من يشاء**﴾ اي يوسّع الرزق على من يشاء يقال فلان مرزوق إذا وصف بسعة

الرزق وقيل معناه يرزق من يشاء في خفض ودعة ومن يشاء في كد ومشقّة ومتعبة وكلّ من رزقه الله من ذي روح فهو ممّن شاء الله ان يرزقه ﴿وهو القوّي﴾ القادر الذي لا يعجز ﴿العزيز﴾ الغالب الذي لا يغالب﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾ معنى الحرث في اللغة الكسب وفلان يحرث لعياله ويحترث اي يكتسب اي من كان يريد بعمله نفع الآخرة ويعمل لها نجازِه بعمله ونضاعف له ثواب عمله فنعطيه على الواحد عشرة ونزيد على ذلك ما نشاء ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ اي ومن كان يريد بعمله نفع الدنيا نعطه نصيباً من الدنيا لا جميع ما يريده بل على حسب ما تقتضيه الحكمة كما قال سبحانه عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وما له في الآخرة من نصيب وقيل معناه من قصد بالجهاد وجه الله فله سهم الغانمين والثواب في الآخرة ومن قصد به الغنيمة لم يحرم ذلك وحصل له سهمه من الغنيمة ولكن لا نصيب له من الثواب في الآخرة وروي عن النبي ﷺ انه قال من كانت نيّته الدنيا فرّق الله عليه امره وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت نيّته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقيل من كان يعمل للآخرة نال الدنيا والآخرة ومن عمل للدنيا فلا حظّ له في ثواب الآخرة لأنّ الأعلى لا يجعل تبعاً للأ دون عن الحسن .

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ
وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ
ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل
لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ
حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ

يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف يبشر الله بفتح الياء وسكون الباء وضمّ الشين والباقون يبشّر الله بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدّدة وقرأ أهل الكوفة غير ابي بكر ويعلم ما تفعلون بالتاء على الخطاب والباقون بالياء .

[ **الاعراب** ] ذلك الذي يبشّر الله عباده تقديره الذي يبشّر الله به عباده فحذف الباء ثم حذف الهاء ويجوز ان يكون الذي حكمه حكم ما التي تكون مصدرية أي ذلك تبشير الله عباده ويمح الله الباطل ليس بمعطوف على يختم لأنّ محو الباطل واجب فلا يكون معلّقاً بالشرط .

[ **المعنى** ] لمّا اخبر الله سبحانه أنّ من يطلب الدنيا باعماله فلا حظّ له في خير الآخرة قال ﴿**ام لهم شركاء**﴾ اي بل لهؤلاء الكفار شركاء فيما كانوا يفعلونه ﴿**شرعوا لهم**﴾ اي بيّنوا لهم ونهجوا لهم ﴿**من الدين ما لم يأذن به الله**﴾ اي ما لم يأمر به الله ولا أذن فيه أي شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام عن ابن عباس ﴿**ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم**﴾ اي لولا ان الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب لهذه الأمة إلى الآخرة لفرغ من عذاب الذين يكذّبونك في الدنيا ﴿**وانّ الظالمين**﴾ الذين يكذّبونك ﴿**لهم عذاب اليم**﴾ في الآخرة ﴿**ترى الظالمين مشفقين**﴾ اي خائفين ﴿**ممّا كسبوا**﴾ أي من جزاء ما كسبوا من المعاصي وهو العقاب الذي استحقّوه ﴿**وهو واقع بهم**﴾ لا محالة لا ينفعهم منه خوفهم من وقوعه والإشفاق الخوف من جهة الرقّة على المخوف عليه من وقوع الأمر ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات**﴾ فالروضة الأرض الخضرة بحسن النبات والجنة والأرض التي يحفّها الشجر ﴿**لهم فيها ما يشاؤون عند ربهم**﴾ اي لهم ما يتمنّون ويشتهون يوم القيامة الذي لا يملك فيه الأمر والنهي غير ربهم ولا يريد بعند قرب المسافة لأنّ ذلك من صفات الاجسام وقيل عند ربهم اي في حكم ربهم ﴿**ذلك هو الفضل الكبير**﴾ اي ذلك الثواب هو الفضل العظيم من الله إذ نالوا نعيماً لا ينقطع بعمل قليل منقطع ثم قال ﴿**ذلك**﴾ الفضل

الكبير ﴿الذي يبشّر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ليستعجلوا بذلك السرور في الدنيا من شدّد الشين اراد به التكثير ومن خفّف فلأنّه يدل على القليل والكثير ثمّ قال سبحانه ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى﴾ اختلف في معناه على اقوال (أحدها) لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجراً الا التوادّ والتحابّ فيما يقرّب إلى الله تعالى من العمل الصالح عن الحسن والجبائي وابي مسلم قالوا هو التقرّب الى الله تعالى والتودّد اليه بالطاعة (وثانيها) أن معناه إلا أنّ تودّوني في قرابتي منكم وتحفظوني لها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجماعة قالوا وكل قريش كانت بينه وبين رسول الله ﷺ قرابة وهذا لقريش خاصة والمعنى ان لم تودّوني لأجل النبوّة فودّوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم (وثالثها) انّ معناه الا ان تودّوا قربتي وعترتي وتحفظوني فيهم عن علي بن الحسين (ع) وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب وجماعة وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله ( ع ) واخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال اخبرنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثني القاضي ابو بكر الحميري قال اخبرنا ابو العباس الضبعي قال اخبرنا الحسن بن علي بن زياد السري قال اخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني[(١)] قال حدثنا حسين الأشتر قال اخبرنا قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لمّا نزلت قل لا أسألكم عليه اجراً الآية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين امرنا الله بمودّتهم قال عليّ وفاطمة وولدهما واخبرنا السيد أبو الحمد قال اخبرنا الحاكم ابو القاسم بالإسناد المذكور في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل مرفوعاً الى ابي إمامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ انّ الله تعالى خلق الأنبياء من اشجار شتّى وخلقت انا وعليّ من شجرة واحدة فأنا اصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها واشياعنا أوراقها فمن تعلّق بغصن من اغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى ولو انّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة الف عام ثم الف عام ثم الف عام حتى يصير كالشنّ البالي ثم لم يدرك محبّتنا كبّه الله على منخريه في النار ثمّ تلا قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودّة في القربى وروى زاذان عن عليّ ( ع ) قال فينا في آل حمّ آية لا يحفظ مودّتنا الا كل مؤمن ثم قرأ هذه الآية والى هذا اشار الكميت في قوله :

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَم آيَةً ... تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيّ وَمُعْرِبُ[(٢)]

وعلى الأقوال الثلاثة فقد قيل في الاّ المودّة قولان : (أحدهما) انه استثناء منقطع لأنّ

---

(١) الجماني خ ل.

(٢) تقيّ اي صاحب التقية والمعرب اي من يظهر مذهبه علانية.

هذا مّما يجبّ بالإسلام فلا يكون اجراً للنبوّة (والآخر) انّه استثناء متصل والمعنى لا أسألكم عليه اجراً الا هذا فقد رضيت به اجراً كما انك تسأل غيرك حاجة فيعرض المسؤول عليك بّراً فتقول له اجعل برّي قضاء حاجتي وعلى هذا يجوز أن يكون المعنى لا أسألكم عليه أجراً إلا هذا ونفعه ايضاً عائد عليكم فكأنّي لم أسألكم اجراً كما مرّ بيانه في قوله قل ما سألتكم من اجر فهو لكم وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره حدّثني عثمان بن عمير عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس انّ رسول الله ﷺ حين قدم المدينة واستحكم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها نأتي رسول الله ﷺ فنقول له إن تَعْرُكَ امور فهذه اموالنا تحكم فيها غير حرج ولا محظور عليك فأتوه في ذلك فنزلت **﴿قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة﴾** في القربى فقرأها عليهم وقال تودّون قرابتي من بعدي فخرجوا من عنده مسلمين لقوله فقال المنافقون انّ هذا لشيء افتراء في مجلسه اراد بذلك ان يذلّلنا لقرابته من بعده فنزلت ام يقولون افترى على الله كذباً فارسل اليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتدّ عليهم فأنزل الله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده الآية فارسل في اثرهم فبشرّهم وقال ويستجيب الذين آمنوا وهم الذين سلّموا لقوله ثم قال سبحانه **﴿ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسناً﴾** أي ومن فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسناً بأن نوجب له الثواب وذكر ابو حمزة الثمالي عن السدّي قال انّ اقتراف الحسنة المودّة لآل محمد ﷺ وصحّ عن الحسن بن علي (ع) انّه خطب الناس فقال في خطبته انا من اهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كل مسلم فقال قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً فاقتراف الحسنة مودّتنا اهل البيت وروي اسماعيل بن عبد الخالق عن أبي عبد الله (ع) انّه قال انها نزلت فينا اهل البيت اصحاب الكساء **﴿ان الله غفور شكور﴾** اي غفور للسيئات شكور للطاعات يعامل عباده معاملة الشاكر في توفية الحق حتّى كأنّه ممّن وصل اليه النفع فشكره **﴿ام يقولون افترى على الله كذباً﴾** أي بل يقولون افترى محمد على الله كذباً في ادعائه الرسالة عن الله **﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾** اي لو حدثّت نفسك بأن تفتري على الله كذباً لطبع الله على قلبك ولأنساك القرآن فكيف تقدر ان تفتري على الله وهذا كقوله لئن اشركت ليحبطنّ عملك وقيل معناه فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يشقّ عليك قولهم انّه مفتر وساحر عن مجاهد[1] ومقاتل فعلى هذا الا يحتاج الى اضمار وحذف ثم اخبر سبحانه انه يذهب ما يقولونه باطلا فقال **﴿ويمح الله الباطل﴾** أي يزيله ويرفعه بإقامة الدلائل على بطلانه وحذف الواو من يمحو في المصاحف

(١) وفي نسخة مجاهد وقتادة ومقاتل.

كما حذف من قوله سندع الزبانية على اللفظ في ذهابها لالتقاء الساكنين وليس بعطف على قوله يختم لأنه مرفوع يدلّ عليه قوله ﴿ويحقّ الحق بكلماته﴾ اي ويثبت الحقّ باقواله التي ينزلها على نبيه ﷺ وهو هذا القرآن المعجز ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ اي بضمائر القلوب ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ وان جلّت معاصيهم فكأنّه قال من نسب محمداً ﷺ الى الافتراء ثم تاب قبلت توبته وإن جلّت معصيته ﴿ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾ من خير وشرّ فيجازيهم على ذلك .

﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ
بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ
رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ
قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

[ القراءة ] قرأ أهل المدينة وابن عامر وما اصابكم من مصيبة بما كسبت ايديكم بغير فاء والباقون بالفاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي القول في ذلك انّ اصاب في قوله وما اصابكم يحتمل امرين يجوز أن يكون صلة ما ويجوز أن يكون شرطاً في موضع جزم فمن قدّره شرطاً لم يجز حذف الفاء منه على قول سيبويه وقد تأوّل ابو الحسن بعض الآي على حذف الفاء في جواب الشرط وقال بعض البغداديين حذف الفاء من الجواب جائز واستدل على ذلك بقوله وان اطعتموهم

انّكم لمشركون وإذا كان صلة فالإثبات والحذف جائزان على معنيين مختلفين أما إذا ثبت الفاء ففيه دليل على انّ الأمر الثاني وجب بالأول وإذا لم يذكر الفاء جاز ان يكون الثاني وجب للأول وجاز ان يكون لغيره.

[ المعنى ] لمّا تقدّم وعيد أهل العصيان عقّبه سبحانه بالوعد لأهل الطاعة فقال ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي يجيبهم إلى ما يسألونه وقيل معناه يجيبهم في دعاء بعضهم لبعض عن معاذ بن جبل وقيل معناه يقبل طاعاتهم وعباداتهم ويزيدهم من فضله على ما يستحقّونه من الثواب وقيل معناه ويستجيب الذين آمنوا بأن يشفّعهم في اخوانهم ﴿ويزيدهم من فضله﴾ ويشفّعهم في اخوان اخوانهم عن ابن عباس وروي عن أبي عبد الله ( ع ) قال قال رسول الله ﷺ في قوله ويزيد هم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممّن احسن اليهم في الدنيا ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ ظاهر المعنى ولما بيّن سبحانه انّه يزيد المؤمنين من فضله اخبر عقيبه انّ الزيادة في الارزاق في الدنيا تكون على حسب المصالح فقال ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ اي لو وسّع الرزق على عباده على حسب ما يطلبونه لبطروا النعمة وتنافسوا وتغالبوا وظلموا في الأرض وتغلّب بعضهم على بعض وخرجوا عن الطاعة قال ابن عباس بغيهم في الأرض طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابّة وملبساً بعد ملبس ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ اي ولكنه ينزّل من الرزق قدر صلاحهم ما يشاء نظراً منه لهم عن قتادة والمعنى انه يوسّع الرزق على من تكون مصلحته فيه ويضيّق على من يكون مصلحته فيه ويؤيده الحديث الذي رواه انس عن النبي ﷺ عن جبرائيل ( ع ) عن الله انّ من عبادي من لا يصلحه الا السقم ولو صحّحته لافسده وانّ من عبادي من لايصلحه الا الصحة ولو اسقمته لأفسده وانّ من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسده وانّ من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده وذلك انّي ادبّر عبادي لعلمي بقلوبهم والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة ومتى قيل نحن نرى كثيراً ممّن يوسع عليه الرزق يبغي في الأرض قلنا انّا إذا علمنا على الجملة انه سبحانه يدبر امور عباده بحسب ما يعلم من مصالحهم فلعلّ هؤلاء كان يستوي حالهم في البغي وسّع عليهم او لم يوسّع او لعلّهم لو لم يوسّع عليهم لكانوا أسوأ حالاً في البغي فلذلك وسّع عليهم والله اعلم بتفاصيل احوالهم ﴿انّه بعباده خبير بصير﴾ اي عليم باحوالهم بصير بما يصلحهم وما يفسدهم ثمّ بيّن سبحانه حسن نظره بعباده فقال ﴿وهو الذي ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ اي ينزله عليهم من بعد ما يئسوا من نزوله والغيث ما كان نافعاً في وقته والمطر قد يكون نافعاً وقد يكون ضارّاً في وقته وغير وقته ووجه انزاله بعد القنوط انّه ادعى الى شكر الآتي به

وتعظيمه والمعرفة بموقع احسانه ﴿وينشر رحمته﴾ أي ويفرّق نعمته ويبسطها باخراج النبات والثمار التي يكون سببها المطر ﴿وهو الوليّ﴾ الذي يتولّى تدبير عباده وتقدير امورهم ومصالحهم المالك لهم. ﴿الحميد﴾ المحمود على جميع افعاله لكون جميعها احساناً ومنافع ﴿ومن آياته﴾ الدالة على وحدانيّته وصفاته التي باين بها خلقه ﴿خلق السماوات والأرض﴾ لأنه لا يقدر على ذلك غيره لما فيهما من العجائب والاجناس التي لا يقدر عليها القادر بقدرته ﴿وما بثّ فيهما من دابّة﴾ والدابّة ما تدبّ فيدخل فيه جميع الحيوانات ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ اي وهو على حشرهم إلى الموقف بعد اماتتهم قادر لا يتعذر عليه ذلك ثم قال سبحانه ﴿وما اصابكم﴾ معاشر الخلق ﴿من مصيبة﴾ من بلوى في نفس او مال ﴿فبما كسبت ايديكم﴾ من المعاصي ﴿ويعفو عن كثير﴾ منها فلا يعاقب بها قال الحسن: الآية خاصّة بالحدود التي تستحق على وجه العقوبة وقال قتادة هي عامّة وروي عن علي (ع) انّه قال قال رسول الله ﷺ خير آية في كتاب الله هذه الآية يا علي ما من خدش عود ولا نكبة قدم الا بذنب وما عفا الله عنه في الدنيا فهو اكرم من ان يعود فيه وما عاقب عليه في الدنيا فهو اعدل من ان يثني على عبده وقال اهل التحقيق انّ ذلك خاصّ وان خرج مخرج العموم لما يلحق من مصائب الاطفال والمجانين ومن لا ذنب له من المؤمنين ولأن الأنبياء والأئمّة يمتحنون بالمصائب وان كانوا معصومين من الذنوب لما يحصل لهم على الصبر عليها من الثواب .

[ **النظم** ] والوجه في اتّصال هذه الآية بما قبلها إنّ الله تعالى لمّا بيّن عظيم انعامه على العباد بيّن بعده ان لا يعاقبهم إلا على معاصيهم.

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ
فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ
عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾
أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل الكوفة وابن عامر الجوار بحذف الياء في الوصل والوقف وقرأ الباقون الجواري بإثبات الياء في الوصل وابن كثير ويعقوب في الوقف ايضاً وقرأ اهل المدينة وابن عامر يعلم الذين يجادلون بالرفع والباقون ويعلم بالنصب.

[ **الحجة** ] قال أبو علي القياس الجواري ومن حذف فلأنّ حذف هذه الياءات وان كانت لاماً قد كثر في كلامهم فصار كالقياس المستمرّ ومن قرأ يعلم بالرفع استأنف لأنّه موضع استئناف من حيث جاء من بعد الجماعة ان شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف ومن نصب فلأنّ قبله شرط وجزاء وكل واحد منهما غير واجب تقول في الشرط إن تأتني وتعطيني اكرمك فتنصب تعطيني وتقديره ان يكن إتيان منك واعطاء اكرمك فالنّصب بعد الشرط إذا عطفت عليه بالفاء امثل من النصب بالفاء بعد جزاء الشرط فأمّا قوله .

وَمَنْ لا يُقَدِّمُ رِجْلَهُ مُطْمَئِنَّةً ... فَيُثْبِتَهَا في مُسْتَوَى الْأَرْضِ يَزْلَقِ

فالنصب فيه حسن لمكانِ النفي فامّا العطف على الشرط نحو إن تأتني وتكرمني فاكرمك فالذي يختار سيبويه النصب في العطف على جزاء[1] الشرط فيختار ويعلم الذين يجادلون إذا لم يقطعه من الاول فيرفعه ويزعم ان المعطوف على جزاء الشرط شبيه بقوله « وألحقُ بالحجاز فاستريحا»[2] قال الّا انّ من ينصب في العطف على جزاء الشرط امثل من ذلك لأنّه ليس يوقع فعلاً الا بأن يكون من غيره فعل فصار بمنزلة غير الواجب وزعم سيبويه أنّ بعضهم قرأ يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء بالنصب وانشد للأعشى في نصب ما عطف بالفاء على الجزاء :

وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ أَهْلِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى ... مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرّاً وَمَسْحَبَاً
وَتُدْفَنَ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَ انْ يُسِيءْ ... يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ في رَأْسِ كَبْكَبَاً[3]

فهذا حجة لمن قرأ ويعلم .

[ **اللغة** ] الأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء :

---

(١) وفي نسخة : العطف على الشرط.

(٢) اوله : سأترك ناقتي لبني تميم . وهو لمغيرة بن حنين .

(٣) مجرّاً ومسحباً بمعنى . وكبكب: جبل. مقصوده ان من بعد عن أهله يصير مظلوماً ولم يزل يرى مصارعه في كل مكان فإن عمل صالحاً دفنوه وان عمل شهراً شهروه به كالنار على جبل كبكب وفي جميع النسخ : «وتدفن» مع ان الغرض من الاستشهاد ان يكون فتدفن ليكون من العطف على الجزاء بالفاء. وقيل كوكباً بدل كبكباً .

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فيظللن اي يدمن ويقمن يقال ظل يفعل كذا إذا فعله نهاراً والرواكد الثوابت والإيباق الإهلاك والإتلاف ووبق الرجل يَبِق ووبق يوبَق إذا هلك والمحيص المعدل والملجأ.

[ المعنى ] ثم قال سبحانه ﴿وما انتم﴾ يا معشر المشركين ﴿بمعجزين في الأرض﴾ اي لا تعجزونني حيث ما كنتم فلا تسبقونني هرباً في الأرض وفي هذا استدعاء الى العبادة وترغيب فيما امر به وترهيب عمّا نهى عنه ﴿وما لكم من دون الله من وليّ﴾ يدفع عنكم عقابه ﴿ولا نصير﴾ ينصركم عليه ﴿ومن آياته﴾ اي ومن حججه الدالّة على اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره ﴿الجوار﴾ اي السفن الجارية ﴿في البحر كالأعلام﴾ أي كالجبال الطوال ﴿ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾ أي ان يشأ الله يسكن الريح فتبقى السفن راكدة واقفة على ظهر الماء لا يبرحن من المكان لأنّ ماء البحر يكون راكداً فلو لم تجيء الريح لوقفت السفينة في البحر ولم تجر فالله سبحانه جعل الريح سبباً لجريها فيه وجعل هبوبها في الجهة التي تسير اليها السفينة ﴿انّ في ذلك﴾ الذي ذكر ﴿لآيات﴾ اي حججاً واضحات ﴿لكلّ صبّار﴾ على امر الله ﴿شكور﴾ على نعمته وقيل صبّار على ركوبها شكور على جريها والنجاة من البحر ﴿او يوبقهن بما كسبوا﴾ معناه ان يشأ اسكان الريح يسكن الريح أو ان يشأ يجعل الريح عاصفة فيهلك السفن اي اهلها بالغرق في الماء عقوبة لهم بما كسبوا من المعاصي ﴿ويعف عن كثير﴾ من اهلها فلا يغرقهم ولا يعاجلهم بعقوبة معاصيهم ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾ اي في ابطال آياتنا ودفعها ﴿ما لهم من محيص﴾ اي ملجأ يلجأون إليه عن السدّي.

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن
شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ
وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾

وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم هنا وفي سورة والنجم كبير الإثم على التوحيد والباقون كبائر الإثم على الجمع .

[ **الحجة** ] حجة الجمع قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ومن قال كبير فأفرد جاز أن يريد به الجمع كقوله وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها .

[ **الإعراب** ] وإذا ما غضبوا هم يغفرون يجوز أن يكون هم تأكيداً للضمير في غضبوا ويغفرون جواب إذاً ويجوز أن يكون هم إبتداء ويغفرون خبره وكذا هم ينتصرون وإن شئت كان هم وصفاً للمنصوب قبله وإن شئت كان مبتدأ وقياس قول سيبويه أن يرتفع هم بفعل مضمر دلّ عليه هم ينتصرون .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه من تقدّم وصفهم فقال ﴿ **فما أوتيتم من شيء** ﴾ أي الذي أعطيتموه من شيء من الأموال ﴿ **فمتاع الحيوة الدنيا** ﴾ أي فهو متاع الحياة الدنيا تتمتّعون به أيّاماً ثم تموتون فيبقى عنكم أو يهلك المال قبل موتكم ﴿ **وما عند الله** ﴾ من الثواب والنعيم وما أعدّه للجزاء على الطاعة ﴿ **خير وأبقى** ﴾ من هذه المنافع القليلة ﴿ **للذين آمنوا** ﴾ أي صدّقوا بتوحيد الله وبما يجب التصديق به ﴿ **وعلى ربهم يتوكّلون** ﴾ والتوكل على الله تفويض الأمور إليه باعتقاد أنها جارية من قبله على أحسن التدبير مع الفزع إليه بالدعاء من كل ما ينوب ﴿ **والذين يجتنبون كبائر الإثم** ﴾ يجوز أن يكون موضع الذين جرّاً عطفاً على قوله ﴿ **للذين آمنوا** ﴾ فيكون المعنى وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين المتوكلين على ربهم المجتنبين كبائر الإثم ﴿ **والفواحش** ﴾ ويجوز أن يكون في موضع رفع بالإبتداء ويكون الخبر محذوفاً فيكون المعنى والذين يجتنبون الكبائر والفواحش ﴿ **وإذا ما غضبوا** ﴾ ممّا يفعل بهم من الظلم ﴿ **هم يغفرون** ﴾ ويتجاوزون عنه لهم مثل ذلك والفواحش جمع فاحشة وهي أقبح القبيح والمغفرة في الآية المراد بها ما يتعلّق بالإساءة إلى نفوسهم فمتى عفوا عنها كانوا ممدوحين فأمّا ما يتعلّق بحقوق الله وواجبات حدوده فليس للإمام تركها ولا العفو عنها ولا يجوز له العفو عن المرتدّ وعمّن جرى مجراه ثم زاد سبحانه في صفاتهم فقال ﴿ **والذين استجابوا لربّهم** ﴾ أي أجابوه فيما دعاهم إليه من أمور الدين ﴿ **وأقاموا الصلاة** ﴾ أي أداموها في أوقاتها بشرائطها ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ يقال صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه وهو فعلي من المشاورة وهي المفاوضة في

الكلام ليظهر الحقّ أي لا يتفرّدون بأمر حتى يشاوروا غيرهم فيه وقيل إنّ المعنيّ بالآية الأنصار كانوا إذا أرادوا أمراً قبل الإسلام وقبل قدوم النبي ﷺ إجتمعوا وتشاوروا ثم عملوا عليه فأثنى الله عليهم بذلك وقيل هو تشاورهم حين سمعوا بظهور النبي ﷺ وورود النقباء عليه حتى اجتمعوا في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له عن الضحاك وفي هذا دلالة على فضل المشاورة في الأمور وقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال ما من رجل يشاور أحداً إلا هدي إلى الرشد ﴿ **وممّا رزقناهم ينفقون** ﴾ في طاعة الله تعالى وسبيل الخير ﴿ **والذين إذا أصابهم البغي** ﴾ من غيرهم ﴿ **هم ينتصرون** ﴾ ممّن بغى عليهم من غير أن يعتدوا عن السديّ وقيل ينتصرون أي يتناصرون ينصر بعضهم بعضاً نحو يختصمون ويتخاصمون عن أبي مسلم وقيل يعني به المؤمنين الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الأرض حتى انتصروا ممّن ظلمهم عن عطاء وقيل جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عمّن ظلمهم وهم الذين ذكروا قبل هذه الآية وهو قوله ﴿ **وإذا ما غضبوا هم يغفرون** ﴾ وصنف ينتصرون ممّن ظلمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية فمن انتصر وأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ما حدّ الله فهو مطيع لله ومن أطاع الله فهو محمود عن ابن زيد ثم ذكر سبحانه حد الإنتصار فقال ﴿ **وجزاء سيّئة سيّئة مثلها** ﴾ قيل هو جواب القبيح إذا قال أخزاك الله تقول أخزاك الله من غير أن تعتدي عن ابن نجيح والسدّي ومجاهد وقيل يعني القصاص في الجراحات والدماء عن مقاتل وسمّى الثانية سيّئة لأنها في مقابلة الأولى كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم ذكر سبحانه العفو فقال ﴿ **فمن عفى وأصلح فأجره على الله** ﴾ أي فمن عفا عمّا له المؤاخذة به وأصلح أمره فيما بينه وبين ربه فثوابه على الله ﴿ **أنه لا يحبّ الظالمين** ﴾ ثم بيّن سبحانه أنه لم يرغب المظلوم في العفو عن الظالم لميله إلى الظالم أو لحبّه إيّاه ولكن ليعرضه[1].بذلك لجزيل الثواب ولحبّه الإحسان والفضل وقيل إنه لا يحبّ الظالم في قصاص وغيره بتعدّيه عما هو له إلى ما ليس له وقيل إن الآية الأولى عامّة في وجوب التناصر بين المسلمين وهذه الآية في خاصّة الرجل يجازي من ظلمه بمثل ما فعله أو يعفو وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من كان أجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذي أجره على الله فيقال العافون عن الناس فيدخلون الجنة بغير حساب .

﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ

(١) من باب عرض المتاع للبيع والهاء يعود إلى المظلوم أي ليجعل نفسه معرضاً لجزيل الثواب .

مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ
ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ
وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾

[ **الإعراب** ] إنّ ذلك لمن عزم الأمور جواب القسم الذي دلّ عليه قوله ﴿ **ولمن صبر وغفر** ﴾ كما قال سبحانه ﴿ **لئن أخرجوا لا يخرجون معهم** ﴾ وقيل بل هي جملة في موضع خبر المبتدأ الذي هو من صبر وغفر والتقدير أن ذلك منه لمن عزم الأمور وحسن الحذف لطول الكلام وقوله ﴿ **خاشعين** ﴾ منصوب على الحال من يُعْرَضون ويعرضون في موضع النصب على الحال من تراهم .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه المنتصر فقال ﴿ **ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل** ﴾ معناه من إنتصر لنفسه وانتصف من ظالمه بعد ظلمه أضاف الظلم إلى المظلوم أي بعد أن ظلم وتعدي عليه فأخذ لنفسه بحقّه فالمنتصرون ما عليهم من إثم وعقوبة وذمّ ومثله في إضافة المصدر إلى المفعول قوله من دعاء الخير ﴿ **إنما السبيل** ﴾ أي الإثم والعقاب ﴿ **على الذين يظلمون الناس** ﴾ إبتداء ﴿ **ويبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم** ﴾ أي موجع ﴿ **ولمن صبر** ﴾ أي تحمّل المشقّة في رضاء الله ﴿ **وغفر** ﴾ فلم ينتصر ﴿ **فإنّ ذلك** ﴾ الصبر والتجاوز ﴿ **لمن عزم الأمور** ﴾ أي من ثابت الأمور التي أمر الله تعالى بها فلم تنسخ وقيل عزم الأمور هو الأخذ بأعلاها في باب نيل الثواب والأجر ﴿ **ومن**

**يضلل الله** ﴾ أي ومن يضلله الله عن رحمته وجنته ﴿ **فما له من وليّ** ﴾ أي معين ﴿ **من بعده** ﴾ أي سواه وقيل من عذّبه الله عقوبة له على عناده وجحوده فما له من وليّ يلي أمره ويدفع عذاب الله عنه ﴿ **وترى الظالمين لمّا رأوا العذاب** ﴾ أي ترى الظالمين يا محمد إذا شاهدوا عذاب النار ﴿ **يقولون هل إلى مردّ** ﴾ أي رجوع وردّ إلى دار الدنيا ﴿ **من سبيل** ﴾ تمنّياً منهم لذلك ﴿ **وتراهم** ﴾ يا محمد ﴿ **يعرضون عليها** ﴾ أي على النار قبل دخولهم النار ﴿ **خاشعين من الذلّ** ﴾ أي ساكنين متواضعين في حال العرض ﴿ **ينظرون من طرف خفيّ** ﴾ أي خفيّ النظر لما عليهم من الهوان يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذلّة في نفوسهم عن الحسن وقتادة وقيل خفيّ ذليل عن ابن عباس ومجاهد وقيل من عين لا تفتح كلّها وإنما نظروا ببعضها إلى النار[1] ﴿ **وقال الذين آمنوا** ﴾ لمّا رأوا عظيم ما نزل بالظالمين ﴿ **إنّ الخاسرين** ﴾ في الحقيقة هم ﴿ **الذين خسروا أنفسهم** ﴾ بأن فوّتوها الإنتفاع بنعيم الجنة ﴿ **وأهليهم** ﴾ أي وأولادهم وأزواجهم وأقاربهم لا ينتفعون بهم ﴿ **يوم القيامة** ﴾ لما حيل بينهم وبينهم وقيل وأهليهم من الحور العين في الجنة لو آمنوا ﴿ **إلا أنّ الظالمين في عذاب مقيم** ﴾ هذا من قول الله تعالى والمقيم الدائم الذي لا زوال له .

﴿ وَمَا كَانَ
لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ
مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ
مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ
أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ
وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ
سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ

(١) في المخطوطة بزيادة « خوفاً منها ».

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

[ المعنى ] ثمّ أخبر سبحانه عن الظالمين الذين ذكرهم فقال ﴿ **وما كان لهم من أولياء** ﴾ لا فيما عبدوه من دونه ولا فيمن أطاعوه في معصيته أي نُصّار ﴿ **ينصروهم من دون الله** ﴾ ويدفعون عنهم عقابه ﴿ **ومن يضلل الله فما له من سبيل** ﴾ يوصله إلى الجنة ثم قال سبحانه ﴿ **استجيبوا لربكم** ﴾ أي أجيبوا داعي ربّكم يعني محمداً ﷺ فيما دعاكم إليه ورغّبكم فيه من المصير إلى طاعته والإنقياد لأمره ﴿ **من قبل أن يأتي يوم لا مرّد له من الله** ﴾ أي لا رجوع بعده إلى الدنيا وقيل معناه لا يقدر أحد على رده ودفعه وهو يوم القيامة عن الجبائي وقيل معناه لا يردّ ولا يؤخّر عن وقته وهو يوم الموت عن أبي مسلم ﴿ **ما لكم من ملجأ يومئذ** ﴾ أي معقل يعصمكم من العذاب ﴿ **وما لكم من نكير** ﴾ أي إنكار وتغيير للعذاب وقيل من نصير منكر ما يحلّ بكم ثم قال لنبيه ﷺ ﴿ **فإن أعرضوا** ﴾ يعني الكفّار أي عدلوا عمّا دعوتهم إليه ﴿ **فما أرسلناك عليهم حفيظاً** ﴾ أي مأموراً بحفظهم لئلّا يخرجوا عمّا دعوتهم إليه كما يحفظ الراعي غنمه لئلا يتفرّقوا أي فلا تحزن لإعراضهم ﴿ **إن عليك إلا البلاغ** ﴾ أي ليس عليك إلّا إيصال المعنى إلى إفهامهم والبيان لما فيه رشدهم ﴿ **وإنّا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمة** ﴾ وأوصلنا إليه نعمة ﴿ **فرح بها** ﴾ أي بطر لأن الفرح المراد هنا ما قارنه أشَر أو جحودا وانكار لأنّه خرج مخرج الذم وقيل أنّ الرحمة هنا العافية ﴿ **وأن تصبهم سيّئة بما قدمت أيديهم** ﴾ أي قحط أو فقر أو مرض أو غير ذلك ممّا يسؤهم ﴿ **فإن الإنسان كفور** ﴾ بعدّد المصيبة ويجحد النعم ثم بيّن سبحانه أن النعم كلها منه فقال ﴿ **لله ملك السماوات والأرض** ﴾ أي له التصرف فيهما وفيما بينهما وسياستهما بما تقتضيه الحكمة ﴿ **يخلق ما يشاء** ﴾ من أنواع الخلق﴿ **يهب لمن يشاء**﴾[1]من خلقه ﴿ **اناثاً** ﴾ فلا يولد له ذكر ﴿ **ويهب لمن يشاء الذّكور** ﴾ البنين فلا يولد له أنثى ﴿ **أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً** ﴾ معناه أو يجمع لهم بين البنين والبنات تقول العرب زوّجت إبلي أي جمعت بين صغارها وكبارها قال مجاهد هو أن تلد المرأة غلاماً ثم جارية ثم غلاماً ثم جارية وقيل: هو أن تلد توأماً ذكراً وأنثى

(١)[ يهب لمن يشاء ].

أو ذكراً وذكراً أو أنثى وأنثى عن ابن زيد وقيل هـو أن يجمع في الـرحم الذكـر والأنثى عن محمد بن الحنفيّة ﴿ ويجعل من يشاء ﴾ من الرجال والنساء ﴿ عقيماً ﴾ لا يلد ولا يولد لـه ﴿ أنه عليم ﴾ بما خلق ﴿ قدير ﴾ على خلق من يشاء .

﴿ * وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ
أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا
فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ
وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ
لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

[ القراءة ] قرأ نافع أو يرسل بالرفع فيوحي بسكون الياء والباقون أو يـرسلَ فيـوحيَ بالنصب .

[ الحجة ] قال أبو علي من نصب أو يرسل فلا يخلو من أن يكون محمولاً على أن في قوله أن يكلّمه الله أو على غيره فلا يجوز أن يكون محمولاً عليه لأنه يصير تقديره ما كان لبشر أن يكلّمه الله أو أن يرسل رسولاً إليه ولم يخل قوله ﴿ أو يرسل رسولاً ﴾ من أن يكون المراد أو يرسله رسولاً أو يكون أو يرسل إليه رسولاً والتقدير أن جميعاً فاسد أن ألا ترى أنّ كثيراً من البشر قد أرسل رسولاً وكثيراً منهم قد أرسل إليه الرسل فإذا لم يخل من هذين التقديرين ولم يصحّ واحد منهمـا علمت أنّ المعنى ليس عليه والتقـدير على غيـره فالـذي عليـه المعنى والتقدير الصحيح ما ذهب إليه الخليل من أن يحمل يرسل على أن يوحي الذي يدل عليـه وحياً فصار التقدير ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي وحياً أو يرسل رسولاً فيوحي ويجوز في قوله إلا وحياً أمران ( أحدهما ) أن يكون إستثناء منقطعاً ( والآخر ) أن يكون حـالاً فإن قدّرته إستثناء منقطعاً لم يكن في الكلام شيء يوصل بمن لأنّ ما قبل الاستثناء لا يعمل فيما

بعده لأنّ حرف الاستثناء في معنى حرف النفي ألا ترى أنّك إذا قلت قام القوم إلا زيداً فالمعنى قام القوم لا زيد فكما لا يعمل ما قبل حرف النفي فيما بعده كذلك لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاماً تامّاً فيما بعده إذ كان بمعنى النفي وكذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد إلا فيما قبلها نحو ما أنا الخبز إلا آكل كما لم يعمل ما بعد حرف ماضي فيما قبله فإذا كان كذلك لم يتّصل الجارّ بما قبل إلا ويمتنع أن يتّصل به الجارّ من وجه آخر وهو أنّ قوله أو من وراء حجاب في صلة وحي الذي هو بمعنى أن يوحي فإذا كان كذلك لم يجز أن يحمل الجار الذي هو من قوله ﴿ أو من وراء حجاب ﴾ على أو يرسل لأنّك تفصّل بين الصلة والموصول بما ليس منهما ألا ترى أن المعطوف على الصلة في الصلة فإذا حملت على العطف على ما ليس في الصلة فصّلت بين الصلة والموصول بالأجنبيّ الذي ليس منهما فإذا لم يجز حمله على يكلّمه من قوله ﴿ ما كان لبشر أن يكلّمه الله ﴾ ولم يكن بدّ من أن يعلّق الجار بشيء ولم يكن في اللفظ شيء تحمله عليه اضمرت يكلّم وجعلت الجارّ في قوله ﴿ أو من وراء حجاب ﴾ متعلقاً بفعل مراد في الصلة محذوف منها للدلالة عليه وقد يحذف من الصلة أشياء للدلالة عليها ويكون في المعنى معطوفاً على الفعل المقدر صلة لأنِ الموصولة وهي يوحي فيكون التقدير ما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا أن يوحي إليه أو يكلّمه من وراء حجاب فحذف يكلّم من الصلة لأنّ ذكره قد جرى وإن كان خارجاً من الصلة فحسّن ذلك حذفه من الصلة وسوّغه ألا ترى أنّ ما قبل حرف الإستفهام مثل ما قبل الصلة في أنّه لا يعمل في الصلة كما لا يعمل ما قبل الإستفهام فيما كان من حيّز الإستفهام وقد جاء الآن وقد عصيت قبل والمعنى الآن آمنت وقد عصيت قبل فلمّا كان ذكر الفعل قد جرى في الكلام أضمر ولا يجوز أن يقدّر عطف أو من وراء حجاب على الفعل الخارج من الصلة فيفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي منهما كما فصّل في قوله ﴿ألا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ ثم قال ﴿ أو فسقاً أهلّ لغير الله به ﴾ فعطف بأ وعلى ما في الصلة بعدما فصل بين الصلة والموصول بقوله ﴿ فإنه رجس ﴾ لأنّ قوله فإنّه رجس من الإعتراض الذي يسدّد ما في الصلة ويوضحه فصار بذلك بمنزلة الصفة لما في الصفة من التبيين والتخصيص ومثل هذا في الفصل في الصلة قوله تعالى ﴿ والذين كسبوا السيئات ﴾ جزاء سيّئة بمثلها وترهقهم ذلة وفصّل بقوله جزاء[1] بمثلها وعطف عليه قوله ﴿ وترهقهم ذلة﴾ على الصلة مع هذا الفصل من حيث قوله ﴿ جزاء ﴾ سيّئة بمثلها ﴾ يسدّد ما[2] الصلة وأما من رفع فقال أو يرسل رسولاً

(١) [ سيئة ].

(٢) [ في ].

فجعل يرسل حالاً فإنّ الجارّ في قوله ﴿ أو من وراء حجاب ﴾ متعلق بمحذوف ويكون في الظرف ذكر من ذي الحال فيكون قوله ﴿ إلا وحياً ﴾ على هذا التقدير مصدراً وقع موقع الحال كقولك جئت رَكضاً وأتيت عدواً ويكون من في أنّه مع ما أنجرّ به في موضع الحال كقوله ﴿ ومن الصالحين ﴾ بعد قوله ﴿ ويكلّم الناس في المهد وكهلاً ﴾ ومعنى أو من وراء حجاب فمن قدّر الكلام استثناء منقطعاً أو حالاً ، يكلّمهم غير مجاهر لهم بكلامه يريد أنّ كلامه يسمع ويحدث من حيث لا يرى كما يرى سائر المتكلمين وليس أنّ ثمّ حجاباً يفصل موضعاً من موضع فيدلّ ذلك على تحديد المحجوب ومن رفع يرسل كان في موضع نصب على الحال والمعنى هذا كلامه إيّاهم كما يقول تحيّتك الضرب وعتابك السيف .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه أجلّ النعم وهي النبوّة فقال ﴿ وما كان لبشر أن يكلّمه الله ﴾ أي ليس لأحد من البشر أن يكلّمه الله ﴿ إلا ﴾أن يوحي إليه ﴿ وحيا ﴾ وهو داود أوحى في صدره فزبر الزبور ﴿ أو من وراء حجاب ﴾ أي ويكلّمه من وراء حجاب وهو موسى ( ع ) ﴿ أو يرسل رسولاً ﴾ وهو جبرائيل أرسل إلى محمد ﷺ عن مجاهد وقيل معناه ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بمثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعته والنهي عن معاصيه وتنبيهه إيّاهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام وما أشبه ذلك على سبيل الوحي وسمّاه وحياً لأن الوحي في اللغة ما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على الشيء من غير أن يفصح به أو من وراء حجاب وهو أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلا من يريد أن يكلّمه به نحو كلامه لموسى ( ع ) لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا عن موسى ( ع ) وحده وفي المرة الثانية حجبه عن جميع الخلق إلا عن موسى والسبعين الذين كانوا معه وقد يقال أنه حجب عنهم موضع الكلام الذي أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه لأنّ الكلام عرض لا يقوم إلا في جسم ولا يجوز أن يكون أراد بقوله أنّ الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباده لأنّ الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدودة وعنى بقوله ﴿ أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ إرساله ملائكته بكتبه وكلامه إلى أنبيائه ليبلغوا ذلك عنه عباده فهذا أيضاً ضرب من الكلام الذي يكلم الله به عباده ويأمرهم فيه وينهاهم من غير أن يكلّمهم على سبيل ما كلّم به موسى وهو خلاف الوحي الذي ذكر في أول الآية لأنه تنبيه خاطر وليس فيه إفصاح عن أبي علي الجبائي وقال الزجاج معناه أنّ كلام الله للبشر أما أن يكون بإلهام يلهمهم أو بكلام من وراء حجاب كما كلّم موسى أو برسالة ملك إليهم فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء الله ﴿ أنه عليّ ﴾ عن الإدراك بالأبصار ﴿ حكيم ﴾ في

جميع أفعاله ﴿ **وكذلك أوحينا إليك** و أي مثل ما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك ﴿**روحاً من أمرنا**﴾ يعني الوحي بأمرنا ومعناه القرآن لأنّه يهتدي به ففيه حياة من موت الكفر عن قتادة والجبائي وغيرهما وقيل هو روح القدس عن السدّي وقيل هو ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) قالا ولم يصعد إلى السماء وأنه لفينا ﴿ **ما كنت تدري** ﴾ يا محمد قبل الوحي ﴿ **ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾ أي ما القرآن ولا الشرائع ومعالم الإيمان وقيل معناه ولا أهل الإيمان أي من الذي يؤمن ومن الذي لا يؤمن وهذا من باب حذف المضاف ﴿ **ولكن جعلناه نوراً** ﴾ أي جعلنا الروح الذي هو القرآن نوراً لأنّ فيه معالم الدين عن السدّي وقيل جعلنا الإيمان نوراً لأنه طريق النجاة عن ابن عباس ﴿ **نهدي به من نشاء من عبادنا** ﴾ أي نرشده إلى الجنة ﴿ **وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم** ﴾ أي ترشد وتدعو إلى طريق مفضٍ إلى الحق وهو الإيمان ثم فسّر ذلك الصراط بقوله ﴿ **صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿ **ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ أي إليه ترجع الأمور والتدبير يوم القيامة فلا يملك ذلك غيره .

# (٤٣) سورة الزخرف مكية وآياتها تسع وثمانون

مكّيّة كلّها وقيل إلّا آية منهـا ﴿ واسئل من أرسلنـا ﴾ الآية نـزلت ببيت المقدس عن مقاتل .

[ عدد آيها ] ثمان وثمانون آية شامي تسع في الباقين .

[ اختلافها ] آيتان حٰم كوفي هو مهين حجازي بصري .

[ فضلها ] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الزخرف كان ممّن يقال لـه يوم القيامة ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون آدخلوا الجنة بغير حساب﴾ وعن أبي بصير قال قال أبو جعفر ( ع ) من أدمن قراءة حٰم الزخرف آمنه الله في قبره من هوامّ الأرض ومن ضمّة القبر حتى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ ثم جاءت حتى تكون هي التي تدخله الجنة بأمر الله عزّ وجلّ .

[ تفسيرها ] لمّا ختم الله سورة حمعسق بذكر القرآن والوحي افتتح هذه السورة بذلك أيضاً فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾

[ القـراءة ] قرأ أهـل المدينـة والكوفـة غير عـاصم إن كنتم بكسر الهمـزة والبـاقـون بفتحها .

[ الحجة ] قال أبو علي من قال إن كنتم فالمعنى لأن كنتم فأمّا صفحاً فـانتصابـه من باب صنع الله لأن قوله ﴿ أفنضرب عنكم الذكر ﴾ يدلّ على أن نصفح عنكم صفحاً وكـأنّ قولهم صفحت عنه أي أعرضت عنه وولّيته صفحة العنق فالمعنى أفنضرب عنكم ذكر الإنتقام منكم والعقوبة لكم لأن كنتم قوماً مسرفين وهذا يقرب من قوله ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ والكسر على أنّه جزاء استغني عن جوابه بما تقدّمه مثل أنت ظالم إن فعلت كذا كأنّه قال: إن كنتم مسرفين نضرب .

[ اللغة ]يقال ضربت عنه وأضـربت عنه أي تـركته وأمسكت عنـه ويقال صفـح عنّي بوجهه قال كثير وذكر امرأةً :

صَـفُـوحـاً فَمْـا تَـلْقـاكَ إلاَّ بَـخـيـلَةً فَمَنْ مَـلَّ مِنْهـا ذَلِـكَ الْـوَصْـلَ مَلَّتِ[1]

أي معرضة بوجهها والصَّفوح في صفات الله تعالى معناه العفوّ عن الذنب كأنّه أعرض عن مجازاته تفضلاً يقال صفح عن ذنبه إذا عفا والاسراف مجاوزة الحدّ في العصيان .

[ المعنى ] ﴿ حم ﴾ مـرَّ معناه ﴿ والكتـاب المبين ﴾ أقسم بالقـرآن المبين للحلال والحرام المبين ما يحتاج إليه الأنام من شرائع الإسلام ﴿ إنّا جعلناه ﴾ أي أنزلناه عن السدّي وقيل قلناه عن مجاهد ونظيره ويجعلون لله البنات أي يقولـون ﴿ قرآنـاً عربيّـاً ﴾ أي بلسان العرب والمعنى جعلناه على طريقة العرب في مذاهبهم في الحروف والمفهوم ومع ذلك فإنّه لا يتمكّن أحد منهم من انشاء مثله والابتداء بما يقاربه من علوّ طبقته في البلاغة والفصاحة أمّا لعدم علمهم بذلك أو لأنّهم صرفوا عنه على الخلاف بين العلماء فيه ﴿ لعلّكم تعقلون ﴾ أي لكي تعقلوا وتتفكروا فيه فتعلمـوا صدق من ظهـر على يده وفي هـذه الآية دلالـة على حدوث القرآن لأنّ المجعول هو المحدث بعينه ﴿ وانّه ﴾ يعني القرآن ﴿ في أمّ الكتـاب ﴾ أي في اللوح المحفوظ وإنما سمّي أمّاً لأنّ سائر الكتب تنسخ منه وقيل لأنّ أصل كل شيء أمّه والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ عن الزجاج وهو الكتاب الذي كتب الله فيه ما يكون إلى يوم القيامة لما رأى في ذلك من صلاح

(١) أي كثيرة الصفح عن عشاقها فما تلقاك الا بخيلة بالوصل وسريعة الملال فمن أظهر من وصلها الملال ملّت سريعاً .

ملائكته بالنظر فيه وعلم فيه من لطف المكلفين بالأخبار عنه ﴿ لدينا ﴾ أي الذي عندنا عن ابن عباس ﴿ لعلّي ﴾ أي عالٍ في البلاغة مظهر ما بالعباد إليه من الحاجة وقيل: معناه يعلو كل كتاب بما اختصّ به من كونه معجزاً وناسخاً للكتب وبوجوب إدامة العمل به وبما تضمّنه من الفوائد وقيل عليّ أي عظيم الشأن رفيع الدرجة تعظّمه الملائكة والمؤمنون ﴿ حكيم ﴾ أي مظهر للحكمة البالغة وقيل حكيم دلالة على كل حقّ وصواب فهو بمنزلة الحكيم الذي لا ينطق إلا بالحق وصف الله تعالى القرآن بهاتين الصفتين على سبيل التوسع لأنّهما من صفات الحيّ ثم خاطب سبحانه من لم يعتبر بالقرآن وجحد ما فيه من الحكمة والبيان فقال ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحاً ﴾ والمراد بالذكر هنا القرآن أي أفنترك عنكم الوحي صفحاً فلا نأمركم ولا ننهاكم ولا نرسل إليكم رسولاً ﴿ أن كنتم قوماً مسرفين ﴾ أي لأن كنتم والمعنى أفنمسك عن أنزال القرآن ونهملكم فلا نعرّفكم ما يجب عليكم من أجل إنكم أسرفتم في كفركم وهذا استفهام إنكار ومعناه إنّا لا نفعل ذلك وأصل ضربت عنه الذكر أنّ الراكب إذا ركب دابّة فأراد أن يصرفه عن جهة ضربه بعصى أو سوط ليعدل به إلى جهة أخرى ثم وضع الضرب موضع الصرف والعدل وقيل أن الذكر بمعنى العذاب ومعناه أحسبتم انّا لا نعذّبكم أبداً عن السدّي .

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

[ المعنى ] ثم عزّى سبحانه نبيّه ﷺ بقوله ﴿ وكم أرسلنا من نبيّ في الأولين ﴾ أي في الأمم الماضية ﴿ وما يأتيهم من نبيّ إلا كانوا به يستهزءون ﴾ يعني أنّ الأمم الخالية التي ذكرناها كفرت بالأنبياء وسخرت منهم لفرط جهالتهم وغباوتهم واستهزأت بهم كما استهزأ قومك بك أي فلم نضرب عنهم صفحاً لاستهزائهم برسلهم بل كرّرنا الحجج وأعدنا الرسل ﴿ فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً ﴾ أي فأهلكنا من أولئك الأمم بأنواع العذاب من كان أشدّ قوة

ومنعة من قومك فلا يغترّ هؤلاء المشركون بالقوة والنجدة ﴿ ومضى مثل الأولين ﴾ أي سبق فيما أنزلنا إليك شبه حال الكفار الماضية بحال هؤلاء في التكذيب ولمّا أهلكوا أولئك بتكذيبهم رسلهم فعاقبة هؤلاء أيضاً الاهلاك ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أي إن سألت قومك يا محمد ﴿ من خلق السماوات والأرض ﴾ أي أنشأهما واخترعهما ﴿ ليقولُنّ خلقهنّ العزيز العليم ﴾ أي لم يكن جوابهم في ذلك إلا أن يقولوا خلقهن يعني السماوات والأرض العزيز القادر الذي لا يُقهر، العليم بمصالح الخلق وهو الله تعالى لأنهم لا يمكنهم أن يحيلوا في ذلك على الأصنام والأوثان وهذا إخبار عن غاية جهلهم إذ اعترفوا بأنّ الله خلق السماوات والأرض ثم عبدوا معه غيره وأنكروا قدرته على البعث ثم وصف سبحانه نفسه فقال ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً ﴾ وقرىء مهاداً وقد مضى ذكره في طه ﴿ وجعل لكم فيها سبلاً ﴾ تسلكونها ﴿ لعلّكم تهتدون ﴾ لكي تهتدوا إلى مقاصدكم في أسفاركم وقيل معناه لتهتدوا إلى الحقّ في الدين بالاعتبار الذي حصل لكم بالنظر فيها .

﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

[ اللغة ] يقال أنشر الله الخلق فنشروا أي أحياهم فحيوا قال الأعشى :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتاً إِلىٰ نَحْرِها عاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلىٰ قابِرِ
حَتّىٰ يَقولَ النّاسُ مِمّا رَأَوْا يا عَجَباً لِلْمَيِّتِ النّاشِرِ[1]

(١) يصف المرأة بأنها من فرط الجمال تحيي الأموات فلو أسندت ميتاً إلى نحرها صار حيّاً ولم ينقل إلى قابر يقبره =

الإقران الإطاقة يقال أقرنت لهذا البعير أي أطقته .

[ المعنى ] ثم أكّد سبحانه ما قدّمه بقوله ﴿ **والذي نزل من السماء ماء** ﴾ أي غيثاً ومطراً ﴿ **بقَدَرٍ** ﴾ أي بقدر الحاجة لا زائداً عليها فيفسد ولا ناقصاً عنها فيضرّ ولا ينفع وفي ذلك دلالة على أنّه واقع من قادر مختار قد قدّره على ما تقتضيه الحكمة لعلمه بذلك ﴿ **فأنشرنا** ﴾ أي فأحيينا ﴿ **به** ﴾ أي بذلك المطر ﴿ **بلدة ميتاً** ﴾ أي جافّة يابسة بإخراج النبات والأشجار والزروع والثمار ﴿ **كذلك** ﴾ أي مثل ما أخرج النبات من الأرض اليابسة ﴿ **تخرجون** ﴾ من قبوركم يوم البعث ﴿ **والذي خلق الأزواج كلها** ﴾ يعني أزواج الحيوان من ذكر وأنثى وقيل معناه خلق الأشكال جميعها من الحيوان والجماد فمن الحيوّان الذكر والأنثى ومن غير الحيوان ممّا هو كالمقابل كالحلو والمرّ والرطب واليابس وغير ذلك وقيل الأزواج الشتاء والصيف والليل والنهار والشمس والقمر والسماء والأرض والجنة والنار عن الحسن ﴿ **وجعل لكم من الفلك** ﴾ أي السفن ﴿ **والانعام** ﴾ من الإبل والبقر عن سعيد بن جبير وقيل الإبل ﴿ **ما تركبون** ﴾ في البحر والبر ﴿ **لتستووا على ظهوره** ﴾ بيّن سبحانه أنّ الغرض في خلق ما ذكر لتستووا على ظهور ما جعل لكم فالضمير في ظهوره يعود إلى لفظ ما ﴿ **ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه** ﴾ فتشكروا على تلك النعمة التي هي تسخير ذلك المركب ﴿ **وتقولوا** ﴾ معترفين بنعمه منزّهين له عن شبه المخلوقين ﴿ **سبحان الذي سخّر لنا هذا** ﴾ المركب أي ذلّله لنا حتى ركبناه ﴿ **وما كنّا له مقرنين** ﴾ أي مطيقين مقاومين في القوّة ﴿ **وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون** ﴾ أي ولتقولوا أيضاً ذلك ومعناه وإنّا إلى الله راجعون في آخر عمرنا على مركب آخر وهو الجنازة قال قتادة قد علّمكم كيف تقولون إذا ركبتم وروي عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً في سفر كبّر ثلاثاً وقال سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وانّا إلى ربّنا لمنقلبون اللهمّ إنا نسألك في سفرنا هذا البرَّ والتقوى والعمل بما ترضى اللّهمّ هوّن علينا سفرنا واطوِ عنّا بُعده اللهمّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال اللّهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال وإذا رجع قال آئبون تائبون لربّنا حامدون أورده مسلم في الصحيح وروى العياشي بإسناده عن أبي عبد الله (ع) قال ذكر النعمة أن تقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام وعلّمنا القرآن ومنَّ علينا بمحمدﷺ وتقول بعده سبحان الذي سخّر لنا هذا إلى آخره ثم رجع سبحانه إلى ذكر الكفار الذين تقدّم ذكرهم فقال ﴿ **وجعلوا له من عباده جزءاً** ﴾

---

= ويدفنه فيتعجب الناس ويقولون : يا عجباً للميت الحيّ .

أي نصيباً يعني حكموا بأنّ بعض عباده وهم الملائكة له أولاد ومعنى الجعل هنا الحكم وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد والحسن قالوا زعموا أنّ الملائكة بنات الله قال الزجاج قد أنشد بعض أهل اللغة بيتاً يدلّ على أنّ معنى جزء معنى الإناث وهو :

إنّ أجْـزَأتْ حُـرَّةٌ يَـوْمـاً فَـلا عَـجَـبٌ قَدْ تُجْزِىءُ الحُرَّةُ الْمِذْكَارُ أحْيَانـا(١)

أي أنّثت وقيل أنّ معناه وجعلوا لله من مال عباده نصيباً فيكون كقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فحذف المضاف ﴿ إنّ الإنسان لكفور مبين ﴾ أي جاحد لنعم الله مظهر لكفره غير مستتر به .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ
بَنَاتٍ وَأَصْفَـٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُـم بِمَـا ضَرَبَ
لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَـلًا ظَلَّ وَجْهُـهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن
يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُـمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ينشّأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين والباقون ينشأ بفتح الياء وسكون النون والتخفيف وقرأ أهل الكوفة وأبو عمر وعباد الرحمن والباقون عند الرحمن وقرأ أهل المدينة أأشهدوا على افعلوا بضم الهمزة وسكون الشين وقبلها همزة الاستفهام مفتوحة ثم تخفف الثانية من غير أن يدخل بينهما ألف وبعضهم يدخل

(١) المذكار: التي من عادتها أن تلد الذكور وكذلك الرجل. المراد أنه إن كانت الحرة مؤنثاً بأن خلقها الله أنثى فلا عجب فإن الحرة المذكار التي هي سبب الفخر تكون انثى قال في الكشاف: ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه « اجزأت المرئة ». الخ .

بينهما ألفاً وقرأ الباقون اشهدوا بفتح الألف والشين .

[ **الحجة** ] قال أبو علي يقال نشأت السحابة ونشأ الغلام فإذا نقل هذا الفعل بالهمزة كقوله ينشيء السحاب الثقال ثم أنشأناه خلقاً آخر تعدّى إلى مفعول ومن قرأ يُنشًّأ كان مثل فرّح وأفرح وغرّم وأغرم وموضع من نصب على تقدير اتخذوا له من ينشأ في الحلية على وجه التقريع لهم بما افتروه كما قال تعالى أم له البنات ولكم البنون وحجة من قرأ عباد الرحمن قوله ﴿ **بل عباد مكرمون** ﴾ وحجة من قرأ عند الرحمن قوله ﴿ **ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون** ﴾ وقوله ﴿ **إنّ الذين عند ربك لا يستكبرون** ﴾ وفي هذا دلالة على رفع المنزلة والتقريب كما قال ﴿ **ولا الملائكة المقرّبون** ﴾ وليس من قرب المسافة وشهدت تستعمل على ضربين ( أحدهما ) بمعنى الحضور ( والآخر ) بمعنى العلم والذي بمعنى الحضور يتعدّى إلى مفعول به يدلّك على ذلك قوله «ويوم شهدناه سليماً وعامراً » تقديره شهدنا فيه سليماً ومن ذلك قوله :

شَهِدْنا فَما تَلْقى لَنا مِنْ كَتِيبَةٍ يَدُ الدَّهْرِ إلاَّ جَبْرَئيلُ أَمامَها

فهذا محذوف المفعول والتقدير فيه شهدنا المعركة فهذا الضرب إذا نقل بالهمزة تعدّى إلى مفعولين تقول شهد زيد المعركة وأشهدته إياها ومن ذلك قوله ﴿ **ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض**﴾ وأما شهدت الذي بمعنى علمت فيستعمل على ضربين ( أحدهما ) أن يكون قسماً ( والآخر ) أن يكون غير قسم فاستعمالهم إيّاه قسماً كاستعمالهم علم الله ويعلم الله قسمين تقول علم الله لأفعلن فيتلقّاه ما يتلقّى الأقسام وأنشد سيبويه :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتي إنَّ الْمَنايا لا تَطيشُ سِهامُهَا(١)

وحكي أنّ زفر كان يذهب إلى أنّه إذا قال أشهد بالله كان يميناً وإن قال أشهد ولم يقل بالله لم يره يمينا وقال محمد الشيباني أشهد غير موصولة بقوله بالله مثل أشهد موصولة بقولك بالله في أنه يمين واستشهد على ذلك بقوله ﴿ **قالوا نشهد أنك لرسول الله** ﴾ ثم قال ﴿ **والله يشهد أن المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة** ﴾ فجعله يميناً ولم يوصل بقوله بالله وأما شهدت الذي يراد به علمت ولا يراد به حضرت فهو ضرب من العلم مخصوص فكل شهادة علم وليس كل علم شهادة وممّا يدل على اختصاصه في العلم أنّه لو قال عند الحاكم أعلم أنّ لزيد على عمرو عشرة لم يحكم بها حتى يقول أشهد فالشهادة مثل التيقن في أنه ضرب

(١) طاش السهم عن الهدف : جاز عنه ولم يصبه وما في هذه الصفحة من البيت والمصراع مذكور في جامع الشواهد .

من العلم مخصوص وليس كلّ علم تيقّناً وإن كان كل تيقّن علماً فكان معنى أشهد أيها الحاكم على كذا أعلمه علماً يحضرني وقد تذلّل لي فلا أتوقف فيه لوضوحه عندي وتبيّنه لي وليس كذلك سبيل المعلومات كلها ألا ترى أن منها ما يحتاج إلى توقف فيه واستدلال عليه وأما قوله ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ فمن الشهادة التي هي الحضور كأنّهم وبّخوا على أن قالوا ما لم يحضروه مما حكمه أن يعلم بالمشاهدة ومن قال أشهدوا خلقهم فالمعنى أحضروا ذلك وكان الفعل متعدياً إلى مفعولين فلما بني للمفعول به نقص مفعولاً فتعدّى الفعل إلى مفعول واحد ويقوّي هذه القراءة ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض وأما قوله إني أشهد الله وأشهدوا أني بريء فحذف المفعول[١] الأول على حدّ ضربني وضربت وهذا منقول من شهد بكذا إلا أنّ حرف الجرّ يحذف مع أن وان .

[ المعنى ] ثم أنكر سبحانه عليهم قولهم فقال ﴿ أم ﴾ وهذا استفهام انكار وتوبيخ ومعناه بل ﴿ اتّخذ مما يخلق بنات ﴾ أي اتّخذ ربكم لنفسه البنات ﴿ وأصفاكم ﴾ أي أخلصكم ﴿ بالبنين ﴾ وهذا كقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين الآية ثم زاد في الاحتجاج عليهم بأن قال ﴿ وإذا بشّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ﴾ أي بما جعل لله شبهاً وذلك أنّ ولد كل شيء شبهه وجنسه فالمعنى وإذا بشّر أحدهم بولادة ابنة له ﴿ ظلّ وجهه مسودّاً ﴾ بما يلحقه من الغمّ بذلك ﴿ وهو كظيم ﴾ أي مملوء كرباً وغيظاً ثم وبّخهم بما افتروه فقال ﴿ أو من ينشّؤا في الحلية ﴾ أي أو جعلوا من ينشّؤ في الحلية أي في زينة النساء لله عزّ وجلّ يعني البنات ﴿ وهو في الخصام ﴾ يعني المخاصمة ﴿ غير مبين ﴾ للحجة قال قتادة قلّما تتكلم امرأة بحجّتها إلا تكلّمت بالحجة عليها أي لا يمكنها أن تبين الحجة عند الخصومة لضعفها وسفهها وقيل معناه أو تعبدون من ينشأ في الحلية ولا يمكنه أن ينطق بحجته ويعجز عن الجواب وهم الأصنام فإنّهم كانوا يحلّونها بالحلي عن ابن زيد وإنّما قال وهو في الخصام ولم يقل وهي لأنه حمله على لفظ من ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً ﴾ بأن زعموا أنّهم بنات الله ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ هذا ردّ عليهم أي أحضروا خلقهم حتى علموا أنهم إناث وهذا كقوله أم خلقنا الملائكة اناثاً وهم شاهدون ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ بذلك ﴿ ويسألون ﴾ عنها يوم القيامة ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ أي لو شاء الرحمن أن لا نعبدهم ما عبدناهم فإنّما عبدناهم بمشيئة الله ﴿ ما لهم بذلك من علم ﴾ أي لا يعلمون

(١) كذا في النسخ والصواب مفعول الأول أي مفعول الفعل الأول وهو أشهد الله فإن جمعه أني بريء ليست مفعولاً أولا على أي تقدير .

صحّة ما يقولون هـذا إشارة إلى بـطلان قولهم لمّـا لم يصدر عن دليـل وعلم ﴿ ان هم الاّ يخرصون ﴾ أي ما هم إلا كاذبون قال أبـو حامـد كذّبهم الله تعـالى لأنهم أنكروا التـوحيد بإضافتهم الولد إليه سبحانه وفارقوا العدل بإضافتهم الكفر إلى مشيئة الله تعالى .

﴿ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا
مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا
مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ * قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم
بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ
كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

[ القراءة ] قرأ ابن عامر وحفص قال أولو وقرأ الباقون قل أولو وقرأ أبو جعفر جئنـاكم والباقون جئتكم .

[ الحجة ] قال أبو علي من قرأ قال فالمعنى قال لهم النذير أولو جئتكم ومن قـرأ قل فإنّه يكون حكاية ما أوحي إلى النذير كأنّه أوحينا إليه فقلنا له قل لهم أولو جئتكم بأهدى من ذلك .

[ المعنى ] لمّا حكى الله سبحانه تخرّص من أضاف عبادة الأصنامَ والملائكة إلى مشيئة الله قـال ﴿ أم آتيناهم كتاباً ﴾ وهو استفهام بمعنى التقرير لهم على خطئهم والتقديـر أهذا الذي ذكروه شيء تخرّصوه وافتعلوه أم آتيناهم كتابـاً ﴿ من قبله فهم به مستمسكـون ﴾ أي مستمسكون بذلك فإذا لم يمكنهم ادّعاء أنّ الله تعالى أنـزل بذلـك كتاباً علم أنّ ذلك من تخرّصهم ودلّ أم على حذف حرف الاستفهام لأنّه المعادلة له ثم اعلم أنّهم اتّبعوا آباءهم في

الضلالة فقال ليس الأمر كذلك ﴿ **بل قالوا انّا وجدنا آبائنا على أمّة** ﴾ أي على ملة وطريقة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدّي وقيل على جماعة أي كانوا مجتمعين موافقين على ما نحن عليه عن الجبائي ﴿ **وإنّا على آثارهم مهتدون** ﴾ نهتدي بهداهم ثم قال سبحانه ﴿ **وكذلك** ﴾ أي ومثل ما قال هؤلاء في الحوالة على تقليد آبائهم في الكفر ﴿ **ما أرسلنا من قبلك** ﴾ يا محمد ﴿ **في قرية** ﴾ ومجمع من الناس ﴿ **من نذير** ﴾ أي نذيراً لأنّ من زائدة ﴿ **إلا قال مترفوها** ﴾ وهم المتنعّمون الذين آثروا الترفّه على طلب الحجة يريد الرؤساء ﴿ **إنّا وجدنا آبائنا على أمّة وإنّا على آثارهم مقتدون** ﴾ نقتدي بهم فلا نخالفهم وأحال جميعهم على التقليد للآباء فحسب دون الحجة والتقليد قبيح في العقول إذ لو كان جائزاً لكان يلزم في ذلك أن يكون الحق في الشيء ونقيضه فكلّ فريق يقلّد أسلافه مع أنّ كلاً منهم يعتقد أن من سواه على خطأ وضلال وهذا باطل لا شبهة في بطلانه فإذاً لا بدّ من الرجوع إلى حجة عقلية أو سمعية ثم قال سبحانه للنذير ﴿**قل**﴾ لهم ﴿**أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آبائكم** ﴾ تتّبعون ما وجدتم عليه آباءكم ولا تقبلون ما جئتكم به وفي هذا أحسن التلطف في الاستدعاء إلى الحق وهو أنّه لو كان ما يدّعونه حقاً وهدى وكان ما جئتكم به من الحق أهدى منه كان أوجب أن يتّبع ويرجع إليه ثم أخبر أنّهم أبوا أن يقبلوا ذلك ﴿ **وقالوا إنّا بما أرسلتم به** ﴾ أيها الرسل ﴿ **كافرون** ﴾ ثم ذكر سبحانه ما فعل بهم فقال ﴿ **فانتقمنا منهم** ﴾ بأن أهلكناهم وعجّلنا عقوبتهم ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين** ﴾ أنبياء الله والجاحدين لهم وفي هذا إشارة إلى أنّ العاقبة المحمودة تكون لأهل الحق والمصدّقين لرسل الله .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾

[ **اللغة** ] تقول العرب انا براء منك ونحن براء منك الذكر والأنثى والاثنان والجماعة

فيه سواء والمعنى أنا ذو براء منك كما قالوا رجل عدل[1] وقـوم عدل أي ذو عـدل[2] وذوو عدل .

[ المعنى ] ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه ﴾ حين رآهم يعبدون الأصنـام والكواكب ﴿ إنّني براء ﴾ أي بريء ﴿ مما تعبدون ﴾ ثم إستثنى خالقه من جملة ما كانوا يعبدون فقال ﴿ إلا الذي فطرني ﴾ أي سوى الله الذي خلقني وابتدأني وتقديره إلا من الذي فطرني قال قتادة: كانوا يقولون الله ربّنا مع عبادتهم الأوثان ﴿فإنه سيهديني﴾ إلى طريق الجنة بلطف من ألطافه وقيل سيهديني إلى الحق بما نصب لي من الأدلة وفيه بيان ثقته بالله تعالى ودعاء لقومه إلى أن يطلبوا الهداية من عنده ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ أي جعل كلمة التوحيد وهي قول لا إله إلا الله كلمـة باقيـة في ذرّية إبـراهيم ونسله فلم يزل فيهم من يقـولها عن قتـادة ومجاهد والسدّي وقيل جعل هذه الكلمة التي قالها إبراهيم وهو براءة من الشـرك باقيـة في ولده من بعده وقيل الكلمة الباقية في عقبه هي الإمامة إلى يوم الدين عن أبي عبد الله ( ع ) واختلف في عقبه من هم فقيل ذرّيّته وولده عن ابن عباس ومجاهد وقيل ولده إلى يوم القيامة عن الحسن وقيـل هم آل محمـد عن السـدي ﴿ لعلهم يـرجعـون ﴾ أي لعلهم يتـوبـون ويرجعون عما هم عليه إلى الإقتداء بأبيهم إبراهيم في توحيد الله تعالى كما إقتدى الكفـار بآبائهم عن الفرّاء والحسن وقيل لعلهم يرجعون عما هم عليه إلى عبـادة الله تعالى ثم ذكـر سبحانه نعمه على قريش فقال ﴿ بل متّعت هؤلاء وآبـائهم ﴾ المشركين بـأنفسهم وأموالهم وأنواع النعم ولم أعاجلهم بالعقوبة لكفرهم ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ أي القرآن عن السدّي وقيـل الآيات الـدالة على الصـدق ﴿ ورسول مبين ﴾ يبين الحق ويـظهره وهـو محمد ﷺ ﴿ ولمّا جاءهم الحق ﴾ أي القرآن ﴿ قالوا هذا سحـر ﴾ أي حيلة خفيّة وتمـويه ﴿وإنّا به كافرون ﴾ جاحدون لكونه من قبل الله تعالى .

[ النظم ] وجه إتّصال قصّة إبراهيم ( ع ) بما قبلها أنّه سبحانه لمّا ذمّ التقليد وأوجب إتّباع الحق والدليل إتبعه بذكر إبراهيم الخليل حيث إتبع الحجة وأوضح المحجّة وقيل أنّه سبحانه لمّا ذمّ التقليد وذكر أنّ الكفار أبوا إلا ذلك ذكر أنّ تقليد إبراهيم أولى لأنّهم من أولاده وذرّيّته ويدّعون إنّهم على طريقته وإنّما اتّصل قوله ﴿ بل متعت هؤلاء وآباءهم ﴾ بما تقدّمه من ذكر أعراضهم عن الحجة وتعويلهم على التقليد فبيّن سبحانه أنهم أتوا من قبل نفوسهم فقد أزيحت علّتهم بأن أمهلوا ومتّعوا ثم جاءهم الحق فلم يؤمنوا .

---

(١) [ وامرأة عدل ] .

(٢) [ وذات عدل ] .

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ
رَحْمَتَ رَبِّكَ ج نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ج وَرَفَعْنَا
بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا قلى
وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ
أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ
وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا
يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ج وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ج
وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر سقفاً بفتح السين والباقون سقفاً بضم السين والقاف وقرأ عاصم وحمزة وإن كلّ ذلك لمّا بتشديد الميم والباقون لما خفيفة الميم .

[ **الحجة** ] قال أبو علي سُقُف جمع سقف مثل رُهُن ورهن ويخفف فيقال رهن وفعل في الجمع يخفف وسقف واحد يدلّ على الجمع ألا ترى أنه علم بقوله ﴿ **لبيوتهم إنّ لكل بيت سقفاً** ﴾ ومن شدّد لمّا كانت أن عنده بمنزلة ما النافية فالمعنى ما كلّ ذلك إلا متاع الحياة الدنيا ولمّا في معنى إلا حكى سيبويه نشدتك الله لمّا فعلت وحمله على إلا وهذه الآية تدلّ على فساد قول من قال إنّ قوله ﴿ **وإن كل لمّا جميع لدينا محضرون** ﴾ إنّ المعنى لمن هو جميع لدينا حاضرون وزعموا أن في حرف أبيّ وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا ومن قرأ لما بالتخفيف فإنّ إن في قوله وإن كل هي المخففة من الثقيلة واللام فيها هي التي تدخل لتفصل بين النفي والإيجاب في قوله « هبلتك أمك أن قتلت لفارساً » ومن نصب بها مخففة فقال إن زيداً لمنطلق استغنى عن هذه اللام لأن النافية لا ينتصب بعدها إسم فلا يقع اللبس وما فيه زيادة والمعنى وإنّ كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا .

[ **اللغة** ] المعارج الدرج واحدها معرج والعروج الصعود وظهر عليه إذا علاه وصعده قال النابغة الجعدي :

بَلَغْنَـا السَّمَاءَ مَجْـدَنَا وجُـدُودَنَا      وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذٰلِكَ مَظْهَرا(١)

والسُرُر جمع سرير ويجمع على أسرّة أيضاً والزخرف كمال حسن الشيء ومنه قيل للذهب زخرف ويقال زخرفه زخرفة إذا حسّنه وزيّنه ومنه قيل للنقوش والتصاوير زخرف وفي الحديث أنّه ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحي .

[ **المعنى** ] ﴿ **وقالوا** ﴾ أي وقال هؤلاء الكفار ﴿ **لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ يعنون بالقريتين مكة والطائف وتقدير الآية على رجل عظيم من القريتين أي من إحدى القريتين فحذف المضاف ويعنون بالرجل العظيم من إحدى القريتين الوليد بن المغيرة من مكّة وأبا مسعود عروة بن مسعود الثقفي من الطائف عن قتادة وقيل عتبة بن أبي ربيعة من مكة وابن عبد يا ليل من الطائف عن مجاهد وقيل الوليد بن المغيرة من مكة وحبيب بن عمر الثقفي من الطائف عن ابن عباس وإنما قالوا ذلك لأنّ الرجلين كانا عظيمي قومهما وذوي الأموال الجسيمة فيهما فدخلت الشبهة عليهم حتى اعتقدوا أن من كان كذلك كان أولى بالنبوّة فقال سبحانه ردّاً عليهم ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربّك** ﴾ يعني النبوّة بين الخلق بيّن سبحانه أنه هو الذي يقسم النبوّة لا غيره والمعنى ابأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا عن مقاتل ثم قال سبحانه ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا** ﴾ أي نحن قسمنا الرزق في المعيشة على حسب ما علمناه من مصالح عبادنا فليس لأحد أن يتحكم في شيء من ذلك فكما فضّلنا بعضهم على بعض في الرزق فكذلك اصطفينا للرسالة من نشاء وقوله ﴿ **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** ﴾ معناه أفقرنا البعض واغنينا البعض فتلقى ضعيف الحيلة عيّي اللسان وهو مبسوط له وتلقى شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه ولم نفوّض ذلك إليهم مع قلّة خطره بل جعلناه على ما توجبه الحكمة والمصلحة فكيف نفوّض إختيار النبوة إليهم مع عظم محلّها وشرف قدرها وقوله ﴿ **ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً** ﴾ معناه أنّ الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة أنّ في ذلك تسخيراً من بعض العباد لبعض بإحواجهم إليهم

(١) جدود جمع جد : وهو بمعنى الحظ والبخت والعظمة ومجدنا وجدودنا إمّا منصوبان مفعولان له لقوله : بلغنا وأما مرفوعان يدلان عن ضمير بلغنا .

يستخدم بعضهم بعضاً فينتفع أحدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك قوام أمر العالم وقيل معناه ليملك بعضهم بعضاً بما لهم فيتّخذونهم عبيداً ومماليك عن قتادة والضحاك ﴿ **ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون** ﴾ أي ورحمة الله سبحانه ونعمته من الثواب والجنة خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا وقيل معناه والنبوة لك من ربك خير مما يجمعونه من الأموال عن ابن عباس ثم أخبر سبحانه عن هوان الدنيا عليه وقلّة مقدارها عنده فقال ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمّة واحدة** ﴾ أي لولا أن يجتمع الناس على الكفر فيكونوا كلّهم كفّاراً على دين واحد لميلهم إلى الدنيا وحرصهم عليها عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدّي وقيل معناه ولولا أن يجتمع الناس على إختيار الدنيا على الدين عن ابن زيد ﴿ **لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة**﴾ قوله لبيوتهم بدل من قوله لمن يكفروالمعنى لجعلنا لبيوت من يكفربالرحمن سقفاً من فضّة فالسقف إذا كان من فضّة فالحيطان من فضّة وقيل إن اللام الثانية بمعنى على فكأنّه قال لجعلنا لمن يكفربالرحمن على بيوتهم سقفاً من فضّة وقال مجاهد ما يكون من السماء فهو سقف بالفتح وما يكون من البيت فهو سقف بضمتين ومنه قوله ﴿**وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً** ﴾ ﴿ **ومعارج عليها ينظرون** ﴾ أي وجعلنا درجاً وسلاليم من فضّة لتلك السقف عليها يعلون ويصعدون ﴿ **ولبيوتهم أبواباً وسرراً** ﴾ أي وجعلنا لبيوتهم أبواباً وسرراً من فضّة ﴿ **عليها** ﴾ أي على تلك السرر ﴿ **يتّكئون وزخرفاً** ﴾ أي ذهباً عن ابن عباس والضحاك وقتادة وهو منصوب بفعل مضمر أي وجعلنا لهم مع ذلك ذهباً وقيل الزخرف النقوش عن الحسن وقيل هو الفرش ومتاع البيت عن ابن زيد والمعنى لأعطي الكافر في الدنيا غاية ما يتمنّاه فيها لقلّتها وحقارتها عنده ولكنّه سبحانه لم يفعل ذلك لما فيه من المفسدة ثم أخبر سبحانه أنّ جميع ذلك إنما يتمتع به في الدنيا فقال ﴿ **وإن كلّ ذلك لما متاع الحياة الدنيا** ﴾ وقد مرّ بيانه ﴿ **والآخرة** ﴾ أي الجنة الباقية ﴿ **عند ربّك للمتقين** ﴾ خاصّة لهم قال الحسن والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل سبحانه ذلك فكيف لو فعله وفي هذه الآية[١] دلالة على اللطف وأنّه تعالى لا يفعل المفسدة وما يدعو إلى الكفر وإذا لم يفعل ما يؤدّي إلى الكفر فَلأن لا يفعل الكفر ولا يريده أولى .

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ

(١) وفي المخطوطة : هذه الآيات .

ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ
ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ
تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ عاصم في رواية حمّاد ويعقوب يقيّض بالياء والباقون نقيّض بالنون وقرأ أهل العراق غير أبي بكر حتّى إذا جاءنا على الواحد والباقون جاءآنا على الإثنين .

[ **الحجة** ] من قرأ يقيّض بالياء فالضمير يعود إلى الرحمن ومن قرأ بالنون فالمعنى على ذلك لكنّه سبحانه أخبر عن نفسه بنون العظمة ومن قرأ جاءآنا على التثنية فهو الكافر وقرينه ومن قرأ جاءنا فهو الكافر لأنّه أفرد بالخطاب في الدنيا وأقيمت عليه الحجة بإنفاذ الرسول إليه فاجتزىء بالواحد عن الإثنين كما قال لينبذنّ في الحطمة والمراد لينبذنّ هو وماله .

[ **اللغة** ] العشو أصله النظر ببصر ضعيف يقال عشى يعشو عشواً وعُشُوّاً إذا ضعف بصره وأظلمت عينه كأنّ عليها غشاوة وقال الأعشى :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

وإذا ذهب البصر قيل عشي يعشى عشاً والرجل أعشى وقرأ في الشواذ ومن يعش بفتح الشين ومعناه يَعْمَ ويقال عشى إلى النار إذا أتاها وقصد لها وعشى عنها إذا أعرض عنها قاصداً لغيرها كقولهم مال إليه ومال عنه والتقييض الإتاحة. الأزهري قيّض الله فلاناً لفلان جاء به .

[ **المعنى** ] لما تقدّم ذكر الوعد للمتقين عقّبه بذكر الوعيد لمن هو على ضدّ صفتهم فقال ﴿ **ومن يعشُ عن ذكر الرحمن** ﴾ أي يعرض عنه عن قتادة والسدّي وقيل معناه ومن يعم عنه عن ابن عباس وابن زيد قال الجبائي شبههم بالأعمى لما لم يبصروا الحق والذكر هو القرآن وقيل هو الآيات والأدلّة ﴿ **نقيّض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ أي نخلِّ بينه وبين الشيطان الذي يغويه ويدعوه إلى الضلالة فيصير قرينه عوضاً عن ذكر الله عن الحسن وأبي مسلم قال الحسن وهو الخذلان عقوبة له عن الإعراض حين علم أنه لا يفلح وقيل معناه نقرن به شيطاناً

في الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار كما أن المؤمن يقرن به ملك فلا يفارقه حتى يصير به إلى الجنة عن قتادة وقيل أراد به شياطين الأنس نحو علماء السوء ورؤساء الضلالة يصدّونهم عن سبيل الله فيتبعونهم ﴿ **وإنهم** ﴾ يعني وإنّ الشياطين وإنما جمع لأن قوله ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً** ﴾ في مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد ﴿ **ليصدّونهم** ﴾ أي يصرفون هؤلاء الكفار ﴿ **عن السبيل** ﴾ أي عن طريق الجنة[1] ﴿ **ويحسبون أنّهم مهتدون** ﴾ أي ويحسب الكفار أنهم على الهدى فيتبعونهم ﴿ **حتى إذا جاءنا**﴾ من قرأ على التثنية فالمعنى جاءنا الشيطان ومن أغواه يوم القيامة الذي يتولّى سبحانه حساب الخلق فيه ومن قرأ على التوحيد فالمعنى حتى إذا جاءنا الكافر وعلم ما يستحقّه من العقاب ﴿ **قال** ﴾ في ذلك الوقت لقرينه الذي أغواه ﴿ **يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين** ﴾ يعني المشرق والمغرب فغلب أحدهما كما قال الشاعر :

أَخَذْنا بِآفاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمْ لَنا قَمَراها وَالنُّجُومُ الطَّوالِعُ

يعني الشمس والقمر وقيل يعني محمداً ﷺ وإبراهيم (ع) وقيل أراد بالمشرقين مشرق الشتاء ومشرق الصيف كما في قوله ﴿**ربّ المشرقين**﴾ والمراد يا ليت بيني وبينك هذا البعد مسافة فلم أرك ولا اغتررت بك ﴿**فبئس القرين**﴾ كنت لي في الدنيا حيث أضللتني وأوردتني النار وبئس القرين أنت لي اليوم فإنهما يكونان مشدودين في سلسلة واحدة زيادة عقوبة وغمّ عن ابن عباس ويقول الله سبحانه في ذلك اليوم للكفار ﴿ **ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون** ﴾ أي لا يخفِّف الإشتراك عنكم شيئاً من العذاب لأنّ لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب وقيل معناه أنّه لا تسلّى لهم عما هم فيه بما يرونه بغيرهم من العذاب لأنه قد يتسلّى الإنسان عن المحنة إذا رأى إنّ عدوّه في مثلها ثم قال لنبيه ﷺ ﴿**أفأنت تسمع الصمّ أو تهدي العمي** ﴾ شبّه الكفار في عدم انتفاعهم بما يسمعونه ويرونه بالصمّ والعمي ﴿ **ومن كان في ضلال مبين** ﴾ أي بيّن ظاهر مضاف[2] معناه لا يضيقنّ صدرك فإنّك لا تقدر على إكراههم على الإيمان .

﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ

(١) وفي نسخة طريق الحق .

(٢) ليس في نسختين : لفظة مضاف .

إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

[ **الإعراب** ] لمّا دخل ما على حرف الشرط أشبه القسم في التأكيد والإيذان بطلب التصديق فدخلت النون في الكلام لذلك لأنّ النون يلزم في جواب القسم ولا يلزم في الجزاء لأنه مشبّه به .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال ﴿ **فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون** ﴾ أي فإمّا نتوفّينّك فإنا منهم منتقمون من أمّتك بعدك ﴿ **أو نرينّك الذي وعدناهم** ﴾ معناه أو نبقينّك ونرينّك في حياتك ما وعدناهم من العذاب ﴿ **فإنّا عليهم مقتدرون** ﴾ أي قادرون على الإنتقام منهم وعقوبتهم في حياتك وبعد وفاتك قال الحسن وقتادة أنّ الله أكرم نبيّه ﷺ بأن لم يُره تلك النقمة ولم ير في أمته إلا ما قرّت به عينه وقد كان بعده نقمة شديدة وقد روي أنّه ﷺ أُري ما تلقى أمّته بعده فما زال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتّى لقي الله تعالى وروى جابر بن عبد الله الأنصاري قال إنّي لأدناهم من رسول الله ﷺ في حجّة الوداع بمنى حتى قال لا ألفينّكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّني في الكتيبة التي تضاربكم ثم إلتفت إلى خلفه فقال أو علي أو علي ثلاث مرّات فرأينا أن جبرائيل غمزه فأنزل الله على أثر ذلك فإمّا نذهبّن بك فإنّا منهم منتقمون بعلي بن أبي طالب ( ع ) وقيل إنّ النبي ﷺ أري الإنتقام منهم وهو ما كان من نقمة الله من المشركين يوم بدر بعد أن أخرجوه من مكة فقد أسر منهم وقتل من قلّة أصحابه وضعف مُنّتهم[1] وكثرة الكفار وشدة شوكتهم ثم أمره سبحانه بالتمسك بالقرآن فقال ﴿ **فاستمسك بالذي أوحي إليك** ﴾ من القرآن بأن تتلوه حقّ تلاوته وتتبع أوامره وتنتهي عما نهي فيه عنه ﴿ **إنك على صراط مستقيم** ﴾ أي على دين حقّ وصواب وهو دين الإسلام ﴿ **وإنّه لذكر لك ولقومك** ﴾ أي وإن القرآن الذي أوحي إليك لشرف لك ولقومك من قريش عن ابن عباس والسُدّي وقيل لقومك أي للعرب لأنّ القرآن نزل بلغتهم ثم يختصّ بذلك الشرف الأخصّ من العرب حتى يكون الشرف لقريش أكثر من غيرهم ثم لبني هاشم أكثر مما يكون لقريش ﴿ **وسوف**

(١) المنّة بالضم القوة وبمعنى الضعف أيضاً فهي من الأضداد .

تسئلون ﴾ عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف عن الكلبي والزّجاج وغيرهما وقيل تسألون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقّه ﴿**واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا**﴾ معناه سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلنا إليهم الرسل هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو قول أكثر المفسّرين والتقدير سل أمم من أرسلنا أو اتباع من أرسلنا فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وقيل إنّ المراد سل أهل الكتابين التوراة والإنجيل وإن كانوا كفّاراً فإنّ الحجّة تقوم بتواتر خبرهم والخطاب وإن توجّه إلى النبي ﷺ فالمراد به الأمة أي سلوا من ذكرنا ﴿ **أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾ أي هل جعلنا فيما مضى معبوداً سوى الله يعبده قوم فإنّهم يقولون إنّا لم نأمرهم بذلك ولا تعبّده هم به وقيل معناه وسل الأنبياء وهم الذين جمعوا له ليلة الأسرى وكانوا تسعين نبيّاً منهم موسى وعيسى ولم يسألهم ﷺ لأنّه كان أعلم بالله منهم عن الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾

فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾

[ **القراءة** ] قرأ حفص ويعقوب وسهل أسورة والباقون أساورة .

[ **الحجة** ] الأسورة جمع سوار مثل سقاء وأسقية وخوان وأخونة ومن قرأ أساورة جعله جمع أسوار فتكون الهاء عوضاً عن الياء الّتي كانت ينبغي أن تلحق في جمع أسوار على حدّ أعصار وأعاصير ويجوز في أساورة أن يكون جمع أسورة فيكون مثل أسقية وإساقٍ ولحق الهاء كما لحق في قشعم وقشاعمة(١) .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه حديث موسى ( ع ) فقال ﴿ **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا** ﴾ أي بالحجج الباهرة والمعجزات القاهرة ﴿ **إلى فرعون وملئه** ﴾ أي أشراف قومه وخصّ الملأ بالذكر وإن كان أيضاً مرسلاً إلى غيرهم لأنّ من عداهم تبع لهم ﴿ **فقال** ﴾ موسى ﴿ **إنّي رسول ربّ العالمين** ﴾ أرسلني إليكم ﴿ **فلما جاءهم بآياتنا** ﴾ أي فلما أظهر المعجزات التي هي اليد البيضاء والعصا ﴿ **إذ هم منها يضحكون** ﴾ إستهزاءً واستخفافاً وجهلاً منهم بما عليهم من ترك النظر فيها وبما لهم من النفع بحصول العلم بها ﴿ **وما نُريهم من آية إلاّ هي أكبر من أختها** ﴾ المراد بذلك ما ترادف عليهم من الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم والطمس وكانت كل آية من هذه الآيات أكبر من التي قبلها وهي العذاب المذكور في قوله ﴿ **وأخذناهم بالعذاب لعلّهم يرجعون** ﴾ لأنهم عذّبوا بهذه الآيات وكانت عذاباً لهم ومعجزات لموسى ( ع ) فغلب عليهم الشقاء ولم يؤمنوا ﴿ **وقالوا يا أيُّها الساحر** ﴾ يعنون بذلك يا أيّها العالم وكان الساحر عندهم عظيماً يعظّمونه ولم يكن صفة ذمّ عن الكلبي والجبائي وقيل إنما قالوا إستهزاء بموسى ( ع ) عن الحسن وقيل معناه يا أيّها الذي سلبنا بسحره تقول العرب خاصمته فخصمته وحاججته فحجبته فكذلك ساحرته(٢) وأرادوا أنه غالب السحرة فغلبهم بسحره ﴿ **ادع لنا ربّك بما عهد عندك** ﴾ أي بما زعمت أنه عهد عندك وهو أنه ضمن لنا أنّا إذا آمنّا بك أن يكشف العذاب عنّا ﴿ **إنّنا لمهتدون** ﴾ أي راجعون إلى الحق الذي تدعونا إليه متى كشف عنّا العذاب وفي الكلام حذف لأنّ التقدير فدعا موسى وسأل ربه أن يكشف عنهم ذلك العذاب فكشف الله عنهم ذلك ﴿ **فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون** ﴾ أي يغدرون وينقضون العهد وفي هذا تسلية للنبي ﷺ والمعنى فاصبر يا محمد على أذى قومك فإنّ حالك معهم كحال موسى مع قومه فيؤول أمرك إلى الاستعلاء

(١) القَشْعَم المُسن من الرجال والنسور ـ والضخم ـ والأسد .

(٢) [ فسحرته ] .

على قومك كما آل أمره إلى ذلك ﴿ **ونادى فرعون في قومه** ﴾ معناه أنّه لما رأى أمر موسى يزيد على الأيام ظهوراً واعتلاء خاف على مملكته فأظهر الخداع فخطب الناس بعدما اجتمعوا ﴿ **وقا يا قوم أليس لي ملك مصر** ﴾أتصرّف فيها كما أشاء أراد بذلك إظهار بسطته في الملك والمال ﴿ **وهذه الأنهار** ﴾ مثل النيل وغيرها ﴿ **تجري من تحتي** ﴾ أي من تحت أمري وقيل إنّها كانت تجري تحت قصره وهو مشرف عليها ﴿ **أفلا تبصرون** ﴾ هذا الملك العظيم وقوّتي وضعف موسى ﴿ **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين** ﴾ أي ضعيف حقير يعني به موسى قال سيبويه والخليل عطف أنا بأم على قوله ﴿ **أفلا تبصرون** ﴾ لأنَّ معنى أم أنا خير معنى أم تبصرون فكأنّه قال أفلا تبصرون أم تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير منه فقد صاروا بصراء عنده وقيل المهين الفقير الذي يمتهن نفسه في جميع ما يحتاج إليه ليس له من يكفيه أمره ﴿ **ولا يكاد يبين** ﴾ أي ولا يكاد يفصح بكلامه وحججه للعقدة التي في لسانه وقال الحسن كانت العقدة زالت عن لسانه حين أرسله الله كما قال مخبراً عن نفسه وأحلل عقدة من لساني ثم قال قد أوتيت سؤلك يا موسى وإنما عيَّره بما كان في لسانه قبل وقيل كان في لسانه لُثْغَة(١) فرفعه(٢) الله تعالى وبقي فيه ثقل عن الجبائي ﴿ **فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب** ﴾ أي هلاّ طرح عليه أسورة من ذهب إن كان صادقاً في نبوّته وكان إذا سوّدوا رجُلاً سوّروه بسوار من ذهب وطوّقوه بطوق من ذهب ﴿ **أو جاء معه الملائكة مقترنين** ﴾ متتابعين يعينونه على أمره الذي بعث له ويشهدون له بصدقه وقيل متعاضدين متناصرين كلّ واحد منهم يمالىء صاحبه ﴿ **فاستخف قومه** ﴾ ومعناه إنّ فرعون استخفّ عقول قومه ﴿ **فأطاعوه** ﴾ فيما دعاهم إليه لأنه إِحتجّ عليهم بما ليس بدليل وهو قوله ﴿ **أليس لي ملك مصر** ﴾ إلى آخره ولو عقلوا لقالوا ليس في ملك الإنسان دلالة على أنّه محقّ وليس يجب أن يأتي مع الرسل ملائكة لأنّ الذي يدلّ على صدق الرسل هو المعجز دون غيره ﴿ **إنهم كانوا قوماً فاسقين** ﴾ أي خارجين عن طاعة الله تعالى .

[ **النظم** ] وجه اتّصال قصة موسى ( ع ) بما قبلها أنّه لما تقدّم السؤال عن أحوال الرسل وما جاؤا به إتّصل به حديث موسى وعيسى ( ع ) لأنّ أهل الكتابين إليهما ينتسبون وقيل أنّه لمّا تقدّم ذكر محمد ﷺ وتكذيب قومه إيّاه ذكر حديث موسى تسلية له وتطيباً لقلبه ﷺ .

(١) اللثغة : ثقل اللسان بالكلام . تحوّل اللسان من السين إلى الثاء أو من الراء إلى الغين أو من حرف إلى حرف .

(٢) كذا في النسخ ولعل تذكير الضمير باعتبار الثقل .

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا
وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ
مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا
جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ
وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً
فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة والكسائي سلفاً بضم السين واللام وقرأ الباقون بفتحهما وقرأ أهل المدينة وابن عامر والأعشى والبرجمي والكسائي وخلف يصدّون بضم الصاد والباقون بكسر الصاد .

[ **الحجة** ] من قرأ سلفاً جاز أن يكون جمعاً لسلف مثل أسد وأُسُد ووثن ووُثُن ومن قرأ سلفاً فلأنّ فعلاً قد جاء في حروف يراد بها الكثرة فكأنّه إسم من أسماء الجمع قالوا خادم وخدم وطالب وطلب وحارس وحرس وكذلك المثل واحد يراد به الجمع ولذلك عطف على سلف في قوله ﴿ **فجعلناهم سلفاً** ﴾ ومثلاً ومعنى يصدّون ويصدّون جميعاً يضجّون عن أبي عبيدة قال والكسر أجود ويقال صدّ عن كذا فيوصل بعن كما قال الشاعر :

صَـدَدْتِ الْكَـأْسَ عنّـا أُمَّ عَمْـرو وَكـانَ الكَـأْسُ مَجْـراهَـا الْيَمِينـا[1]

وصدّوا عن سبيل الله فمن ذهب في يصدّون إلى معنى يعدلون كان المعنى إذا قومك منه أي من أجل المثل يصدّون ولم يوصل يصدّون بعن ومن قال يصدّون يضجّون جعل من متّصلة بيضجّ كما تقول يضجّ من كذا وقال بعض المفسّرين معنى يصدّون يضجّون والمعنى أنّه لما نـزل إنكم وما تعبـدون من دون الله حصب جهنم الآية لأنّهـا إتخذت آلهـة وعبدت فعيسى في حكمهم قـال ولما ضـرب ابن مريم مثـلاً إذا قومـك في هذا الـذي قـالـوه منه

(١) أي عملت يا أم عمرو خلاف العادة ولم تجريها على العادة وكانت العادة في الكأس أن تدار في مجلس الشرب من جانب اليمين إلى اليسار وفي أصل الديوان صبيْت وهو أيضاً بمعنى صرفت .

يضحكون لما أتوا به من عندهم من تسويتهم بين عيسى وبين آلهتهم وما ضربوه إلا إرادة للمجادلة لأنهم قد علموا أن المراد بحصب جهنم ما إتخذوا من الموات .

[ **اللغة** ] يقال آسفة فأسف يأسف أسفاً أي أغضبه فغضب وأحزنه فحزن ويقال الأسف الغيظ من المغتمّ إلا أنه هاهنا بمعنى الغضب والسلف المتقدم على غيره قبل مجيء وقته ومنه السلف في البيع والسلف نقيض الخلف والجدل مقابل الحجة بالحجة وقيل الجدل اللدد في الخصام وأصله من جدل الحبل وهو شدة فتله ورجل مجدول الخلق أي شديده وقيل أصله من الجدالة وهي الأرض كأنّ كل واحد من الخصمين يروم إلقاء صاحبه على الجدالة .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن إنتقامه من فرعون وقومه فقال ﴿ **فلمّا آسفونا** ﴾ أي أغضبونا عن ابن عباس ومجاهد وغضب الله سبحانه على العصاة إرادة عقوبتهم ورضاه عن المطيعين إرادة ثوابهم الذي يستحقّونه على طاعتهم وقيل معناه آسفوا رسلنا لأن الأسف بمعنى الحزن لا يجوز على الله سبحانه ﴿ **انتقمنا منهم** ﴾ أي إنتقمنا لأوليائنا منهم ﴿ **فأغرقناهم أجمعين ما نجا منهم أحد** ﴾ ﴿ **فجعلناهم سلفاً** ﴾ أي متقدّمين إلى النار ﴿ **ومثلاً** ﴾ أي عبرة وموعظة ﴿ **للآخرين** ﴾ أي لمن جاء بعدهم يتّعظون بهم والمعنى أنّ حال غيرهم يشبه حالهم إذا أقاموا على العصيان ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلاً** ﴾ إختلف في المراد به على وجوه ( أحدها ) أن معناه ولما وصف ابن مريم شبهاً في العذاب بالآلهة أي فيما قالوه على زعمهم وذلك أنه لمّا نزل قوله ﴿ **إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم** ﴾ قال المشركون قد رضينا بأن تكون آلهتنا حيث يكون عيسى وذلك قوله ﴿ **إذا قومك منه يصدون** ﴾ أي يضجّون ضجيج المجادلة حيث خاصموك وهو قوله ﴿ **وقالوا أآلهتنا خير أم هو** ﴾ أي ليست آلهتنا خيراً من عيسى فإن كان عيسى في النار بأنه يعبد من دون الله فكذلك آلهتنا عن ابن عباس ومقاتل ( وثانيها ) أن معناه لما ضرب الله المسيح مثلاً بآدم في قوله ﴿ **إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب** ﴾ أي من قدر على أن ينشيء آدم من غير أب وأمّ قادر على إنشاء المسيح من غير أب إعترض على النبي ﷺ بذلك قوم من كفار قريش فنزلت هذه الآية ( وثالثها ) أنّ معناه أنّ النبي ﷺ لمّا مدح المسيح وأمّه وأنه كآدم في الخاصّيّة قالوا إنّ محمداً يريد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى عن قتادة ( ورابعها ) ما رواه سادة أهل البيت عن علي عليهم أفضل الصلوات أنه قال جئت إلى رسول الله ﷺ يوماً فوجدته في ملأ من قريش فنظر إليّ ثم قال يا علي إنّما مثلك في هذه الأمّة كمثل عيسى بن مريم أحبّه قوم فأفرطوا في حبّه فهلكوا وأبغضه قوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا واقتصد فيه قوم فنجَوا فعظم

ذلك عليهم فضحكوا وقالوا يشبّهه بالأنبياء والرسل فنزلت الآية وقالوا أآلهتنا خير أم هو أي آلهتنا أفضل أم المسيح فإذا كان المسيح في النار رضينا أن تكون آلهتنا معه عن السدّي وابن زيد وقيل معناه أن آلهتنا خير من المسيح فإذا عبد المسيح جاز أن تعبد آلهتنا عن الجبائي وقيل هو كناية عن محمد ﷺ والمعنى آلهتنا خير من محمد ﷺ وهو يأمرنا بأن نعبده كما عبد النصارى المسيح ونطيعه ونترك آلهتنا عن قتادة وقال علي بن عيسى معنى سؤالهم بقولهم أآلهتنا خير أم هو أنهم ألزموا ما لا يلزم على ظنّ منهم وتوهّم كأنّهم قالوا ومثلنا فيما نعبد مثل ما يعبد المسيح فأيّما خير عبادة آلهتنا أم عبادة المسيح على أنه إن قال عبادة المسيح أقرّ بعبادة غير الله وكذلك أن قال عبادة الأوثان وإن قال ليس في عبادة المسيح خير قصر به عن المنزلة التي أبين لأجلها من سائر العباد وجوابهم عن ذلك أنّ إختصاص المسيح بضرب من التشريف والإنعام عليه لا يوجب العبادة له كما لا يوجب أن ينعم عليه بأعلى مراتب النعمة ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلاً** ﴾ أي ما ضربوا هذا المثل لك إلا ليجادلوك به ويخاصموك ويدفعوك به عن الحقّ لأنّ المتجادلَين لا بدّ أن يكون أحدهما مبطلاً بخلاف المتناظرَين لأنّ المناظرة قد تكون بين المحقّين ﴿ **بل هم قوم خصمون** ﴾ أي جدلون في دفع الحقّ بالباطل ثم وصف سبحانه المسيح فقال ﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه** ﴾ أي ما هو إلا عبد أنعمنا عليه بالخلق من غير أب وبالنبوّة ﴿ **وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل** ﴾ أي آية لهم ودلالة يعرفون بها قدرة الله تعالى على ما يريد حيث خلقه من غير أب فهو مثل لهم يشبّهون به ما يرون من أعاجيب صنع الله ثم قال سبحانه دالاًّ على كمال قدرته وعلى أنّه لا يفعل إلاّ الأصلح ﴿ **ولو نشاء لجعلنا منكم** ﴾ أي بدلاً منكم معاشر بني آدم ﴿ **ملائكة في الأرض يخلفون** ﴾ بني آدم أي يكونون خلفاء منهم والمعنى لو نشاء أهلكناكم وجعلنا الملائكة بدلكم سكّان الأرض يعمرونها ويعبدون الله ومثل قوله منكم في الآية ما في قول الشاعر :

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهَيَانِ[1]

وقيل معناه ولو نشاء لجعلناكم أيها البشر ملائكة فيكون من باب التجريد وفيه إشارة إلى قدرته على تغيير بنية البشر إلى بنية الملائكة يخلفون أي يخلف بعضهم بعضاً .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ج

(١) الطَهَيان قُلّة الجبل . يتمنى أن يكون لهم بدلاً من ماء زمزم شربة ماء وضعت على قلة الجبل فصارت باردة شديداً .

هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم
بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾

[ **القراءة** ] في الشواذّ قراءة ابن عباس وقتادة والضحاك وأنه لعلم بفتح العين واللام أي إمارة وعلامة .

[ **المعنى** ] ثم رجع سبحانه إلى ذكر عيسى ( ع ) فقال ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ يعني أنّ نزول عيسى ( ع ) من إشراط الساعة يعلم بها قربها ﴿ **فلا تمترنّ بها** ﴾ أي بالساعة فلا تكذّبوا بها ولا تشكّوا فيها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والسدّي وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي ﷺ يقول ينزل[١] عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صلّ بنا فيقول : لأ إنّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة من الله لهذه الأمة أورده مسلم في الصحيح وفي حديث آخر كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم وقيل إنّ الهاء في قوله وأنّه يعود إلى القرآن ومعناه أن القرآن لدلالة على قيام الساعة والبعث يعلم به ذلك عن الحسن وقيل معناه أنّ القرآن لدليل الساعة لأنه آخر الكتب أنزل على آخر الأنبياء عن أبي مسلم وقوله ﴿**واتّبعوني هذا صراط مستقيم**﴾ معناه واتّبعوني فيما أمركم به هذا الذي أنا عليه طريق واضح قيّم ﴿ **ولا يصدّنكم الشيطان** ﴾ أي ولا يصرفنكم الشيطان بوساوسه عن دين الله ﴿ **إنه لكم عدوّ مبين** ﴾ بيّن العداوة يدعوكم إلى الضلال الذي هو سبب هلاككم ثم أخبر سبحانه عن حال عيسى ( ع ) حين بعثه الله نبيّاً فقال ﴿ **ولمّا جاء عيسى بالبينات** ﴾ أي بالمعجزات الدالة على نبوّته وقيل بالإنجيل عن قتادة ﴿ **قال** ﴾ لهم

---

(١) وفي الحجري بدل ينزل : كيف بكم إذا نزل.

﴿ قد جئتكم بالحكمة ﴾ أي بالنبوة عن عطاء وقيل بالعلم بالتوحيد والعدل والشرائع ﴿ ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه ﴾ قيل إنّ المعنى كلّ الذي تختلفون فيه كقول لبيد « أَوْ يَخْتَرِمْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا »(١) أي كل النفوس وكقول القطامي :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

أي كلّ حاجته عن أبي عبيدة قال الزجّاج والصحيح أن البعض لا يكون في معنى الكل والذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبيّن لهم في غير الإنجيل ما إحتاجوا إليه وقول الشاعر « أو يخترم بعض النفوس حمامها » إنما يعني نفسه وقيل معناه لأبيّن لكم ما تختلفون فيه من أمور الدين دون أمور الدنيا ﴿فاتّقوا الله﴾ بأن تجتنبوا معاصيه وتعملوا بالطاعات ﴿وأطيعوني﴾ فيما أدعوكم إليه ﴿إن الله هو ربي وربكم الذي﴾ تحقّ له العبادة ﴿ فاعبدوه ﴾ خالصاً ولا تشركوا به شيئاً(٢) ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ يفضي بكم إلى الجنة وثواب الله ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم ﴾ يعني اليهود والنصارى إختلفوا في أمر عيسى ﴿ فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴾ قد مرّ تفسير الآية في سورة مريم .

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ

(١) أوّله : ترّاك أمكنةٍ إذا لم أرضَها . أي أني أترك أمكنة إذا لم أرْضَها إلا أن يأخذ الموت نفسي فلا يمكنها البراح

(٢) وفي المخطوطة والحجري : شيئاً معبوداً .

تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص ما تشتهيه الأنفس بزيادة الهاء والباقون تشتهي الأنفس بحذف الهاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حذف هذه الهاء من الصلة في الحسن كإثباتها إلا أنّ الحذف يرجّح على الإثبات بأنّ عامّة هذا النحو في التنزيل جاء على الحذف نحو قوله ﴿ **أهذا الذي بعث الله رسولاً وسلاماً على عباده الذين اصطفى** ﴾ ويقوّي الحذف من جهة القياس أنه إسم قد طال والأسماء إذا طالت فقد يحذف منها كما يحذف في اشهيباب واحميرار وكما حذفوا من كينونة فكما ألزموا الحذف لهذا كذلك حسن أن تحذف الهاء من الصلة .

[ **اللغة** ] الحبور السرور الذي يظهر في الوجه أثره وحبّرته أي حسّنته والحبار الأثر والصحاف جمع صحفة وهي الجام الذي يؤكل فيه الطعام والأكواب جمع كوب وهي إناء على صورة الإبريق لا أذن له ولا خرطوم وقيل أنّه كالكأس للشراب قال الأعشى :

صَرِيفِيَّةٌ[1] طَيِّبٌ طَعْمُهَا لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنٍّ

[ **المعنى** ] قال سبحانه موبّخاً لهم ﴿ **هل ينظرون** ﴾ أي هل ينتظر هؤلاء الكفار بعد ورود الرسل والقرآن ﴿ **إلا الساعة** ﴾ أي القيامة ﴿ **أن تأتيهم بغتة** ﴾ أي فجأة ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ أي لا يدرون وقت مجيئها ﴿ **الاخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ** ﴾ معناه أنّ الذين تخالّوا وتواصلوا في الدنيا يكون بعضهم أعداء لبعض ذلك اليوم يعني يوم القيامة وهم الذين تخالّوا على الكفر والمعصية ومخالفة النبي ﷺ لما يرى كل واحد منهم من العذاب بسبب تلك المصادقة ثم إستثنى من جملة الإخلاّء المتقين فقال ﴿ **إلا المتّقين** ﴾ من المؤمنين الموحّدين الذي خالّ بعضهم بعضاً على الإيمان والتقوى فإن تلك الخلّة تتأكد بينهم يوم القيامة ولا تنقلب عداوة ﴿ **يا عبادي لا خوف عليكم اليوم** ﴾ أي يقال لهم وقت

(١) الصريفية الخمر المنسوبة إلى صريفون وهي قرية عند عكبراء أو منسوب إلى صريفة قرية بواسط ـ كما قيل ـ أولأنها أخذت من الدن ساعتئذ كاللبن الحار ساعة يصرف عن الضرع .

الخوف يا عبادي لا خوف عليكم من العذاب اليوم ﴿ **ولا أنتم تحزنون** ﴾ من فوات الثواب ثم وصف سبحانه عباده وميّزهم من غيرهم فقال ﴿ **الذين آمنوا بآياتنا** ﴾ أي صدّقوا بحججنا ودلائلنا واتبعوها ﴿ **وكانوا مسلمين** ﴾ أي مستسلمين لأمرنا خاضعين منقادين والذين آمنوا في محلّ النصب على البدل من عبادي أو الصفة له ثم بيّن سبحانه ما يقال لهم بقوله ﴿ **ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم** ﴾ اللاتي كنّ مؤمنات مثلكم وقيل يعني أزواجهم من الحور العين في الجنة ﴿**تحبرون**﴾ أي تسرّون وتكرمون وقد مرّ تفسيره في سورة الروم ﴿ **يطاف عليهم بصحاف** ﴾ أي بقصاع ﴿ **من ذهب** ﴾ فيها ألوان الأطعمة ﴿ **وأكواب** ﴾ أي كيزان لا عرى لها وقيل بآنية مستديرة الرأس إكتفى سبحانه بذكر الصحاف والأكواب عن ذكر الطعام والشراب ﴿ **وفيها** ﴾أي وفي الجنة ﴿ **وما تشتهي الأنفس** ﴾ من أنواع النعيم المشروبة والمطعومة والملبوسة والمشمومة وغيرها ﴿ **وتلذّ الأعين** ﴾ أي وما تلذّه العيون بالنظر إليه وإنما أضاف الالتذاذ إلى الأعين وإنما الملتذّ على الحقيقة هو الإنسان لأنّ المناظر الحسنة سبب من أسباب اللّذة فإضافة اللّذة إلى الموضع الذي يلذّ الإنسان به أحسن لما في ذلك من البيان مع الإيجاز وقد جمع الله سبحانه بقوله ﴿ **ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين** ﴾ ما لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يصفوا ما في الجنة من أنواع النعيم لم يزيدوا على ما انتظمته هاتان الصفتان ﴿ **وأنتم فيها** ﴾ أي في الجنة وأنواع من الملاذّ ﴿ **خالدون** ﴾ أي دائمون مؤبّدون ﴿ **وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ أي أعطيتموها بأعمالكم قال ابن عباس الكافر يرث نار المؤمن والمؤمن يرث جنّة الكافر وهذا كقوله ﴿ **أولئك هم الوارثون** ﴾ ﴿ **لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون** ﴾ جمع لهم بين الطعام والشراب والفواكه وبين دوام ذلك فهذه غاية الأمنيّة ثم أخبر سبحانه عن أحوال أهل النار فقال ﴿ **إنّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون** ﴾ دائمون ﴿ **لا يفترّ عنهم** ﴾ العذاب أي لا يخفّف عنهم ﴿ **وهم فيه مبلسون** ﴾ آيسون من كلّ خير .

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟
يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم
بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا
مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ

وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ
ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ
وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وأهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى وروح عن يعقوب وإليه يرجعون بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ويحيى والأعمش يا مالِ وروي ذلك عن علي (ع) وقراءة أبي عبد الرحمن اليماني فأنا أول العبدين بغير ألف والقراءة المشهورة العابدين .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة الياء في يرجعون أن قبله غيبة وهو قوله ﴿ **فذرهم يخوضوا ويلعبوا** ﴾ وحجة التاء أن يراد به مع الغيبة مخاطبون فغلب الخطاب على الغيبة أو يكون على قل لهم وإليه ترجعون وقوله ﴿ **يا مالِ** ﴾ على المذهب المألوف في الترخيم قال الشاعر :

فَأَبْلِغْ مَالِكاً عَنّي رَسُولاً ... وَمَا يُغْنِي الرَّسُولُ لَدَيْكَ مَالِ

أي يا مالك قال ابن جني وفي هذا الموضع سرّ وهو أنّهم لعظم ما هم فيه خفيت(١) قواهم وصغر كلامهم فكان هذا في موضع الاختصار وقوله أنا أوّل العابدين من قولهم عَبِدْتُ من الأمر أعبَد عَبَداً أي أنِفت منه قال الفرزدق :

أُولئِكَ قَوْمِي إنْ هَجَوْنِي هَجَوْتُهُمْ ... وَأَعْبَدُ أنْ تُهْجىٰ كُلَيْبُ بِدارِمِ
وَلٰكِنَّ نِصْفاً إنْ سَبَبْتُ وَسَبَّنِي ... بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَهاشِمِ(٢)

---

(١) وفي المخطوطة خفت بدل خفيت .

(٢) النصف بالكسر الاسم من الإنصاف مقصوده أني آنف أن تهجى قبيلة كليب في قبال دارم لأن دارماً أمنع حسباً من =

[ الإعراب ] قوله ﴿ وهو الذي في السماء إله ﴾ إرتفع إله بكونه خبر مبتدأ محذوف من الصلة وتقديره وهو الذي هو في السماء إله وفي السماء يتعلق بقوله ﴿ إله ﴾ وموضعه نصب به وإن كان مقدّماً عليه وعنده علم الساعة أي علم وقوع الساعة فالمصدر مضاف إلى المفعول أي يعلم وقوع السّاعة .

[ المعنى ] لمّا بيّن سبحانه ما يفعله بالمجرمين بيّن أنه لم يظلمهم بذلك فقال ﴿ **وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين** ﴾ نفوسهم بما جَنَوا عليها من العذاب ﴿ **ونادوا يا مالك** ﴾ أي ويدعون خازن جهنّم فيقولون يا مالك ﴿ **ليقض علينا ربّك** ﴾ أي ليمتنا ربّك حتى نتخلص ونستريح من هذا العذاب ﴿ **قال** ﴾ أي فيقول مالك مجيباً لهم ﴿ **أنّكم ماكثون** ﴾ أي لابثون دائمون في العذاب قال ابن عباس والسدّي إنّما يجيبهم مالك بذلك بعد ألف سنة وقال عبد الله بن عمر بعد أربعين عاماً ﴿ **لقد جئناكم** ﴾ أي يقول الله تعالى لقد أرسلنا إليكم الرسل ﴿ **بالحق** ﴾ أي جاءكم رسلنا بالحق وأضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره وقيل هو من قول مالك وإنما قال لقد جئناكم لأنّه من الملائكة وهم من جنس الرسل عن الجبائي ﴿ **ولكن أكثركم** ﴾ معاشر الخلق ﴿ **للحق كارهون** ﴾ لأنّكم ألفتم الباطل فكرهتم مفارقته ﴿ **أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون** ﴾ أي بل إحكموا أمراً في كيد محمد ﷺ والمكر به فإنّا مبرمون أي محكمون أمراً في مجازاتهم ﴿ **أم يحسبون** ﴾ أي بل أيظنّ هؤلاء الكفار ﴿ **أنا لا نسمع سرّهم ونجواهم** ﴾ أي ما يسرّونه من غيرهم ويتناجون به بينهم والسرّ ما يضمره الإنسان في نفسه ولا يظهره لغيره والنجوى ما يحدّث به المحدّث غيره في الخفية ﴿**بلى**﴾[1] نسمع ذلك وندركه ﴿**ورسلنا**[2] **لديهم يكتبون**﴾ ما يقولونه ويفعلونه يعني الحفظة وسبب نزول الآية مذكور في تفسير أهل البيت ( ع ) ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين** ﴾ اختلف في معناه على أقوال ( أحدها ) أن معناه إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول العابدين أي أول من عبد الله وحده[3] فقد دفع أن يكون له ولد والمعنى فأنا أول الموحدين لله المنكرين لقولكم عن مجاهد ( وثانيها ) أنّ إن بمعنى ما النفي والمعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين لله المقرّين بذلك عن ابن عباس وقتادة وابن

= كليب فليسا بكفوء ولكن الإنصاف أن يقع النسابّ والتهاجي بين قومي وبين بني عبد شمس وبني هاشم فإنهما كفوان لقومي .

(١) [ أي بل ].

(٢) في المخطوطة و بري : مع ذلك

(٣) في الحجري زيادة وهي « ومن عبد الله وحده » وهو الصواب .

زيد ( وثالثها ) إنّ معناه لو كان له ولد لكنت أنا أول الأنفين من عبادته لأنّ من كان له ولد لا يكون إلا جسماً محدثاً ومن كان كذلك لا يستحق العبادة لأنّه لا يقدر على النعم التي يستحقّ بها العبادة عن الجبائي وغيره ( ورابعها ) أنه يقول كما أنّي لست أول من عبد الله فكذلك ليس لله ولد وهذا كما تقول إن كنت كاتباً فأنا حاسب تريد لست كاتباً ولا أنا حاسب عن سفيان بن عيينة ( وخامسها ) أنّ معناه لو كان له ولد لكنت أول من يعبده بأنّ له ولداً ولكن لا ولد له عن السدّي وأبي مسلم وهذا كما يقال لو دعت الحكمة إلى عبادة غيره لعبدته لكنّ الحكمة لا تدعو إلى عبادة غيره ولو دلّ الدليل على أنّ له ولداً لقلت به ولكنّه لا يدلّ فهذا تحقيق لنفي الولد وتبعيد له لأنه تعليق محال بمحال ثم نزّه سبحانه نفسه عن ذلك فقال ﴿ **سبحان ربّ السماوات والأرض ربّ العرش عما يصفون** ﴾ أي تنزيهاً لمالك السماوات والأرض وخالقهن وخالق العرش ومدبّره عما يصفونه به من اتّخاذ الولد لأنّ من قدر على ذلك إستغنى عن اتّخاذ الولد ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ على وجه التهديد للكفار فقال ﴿ **فذرهم يخوضوا** ﴾ في باطلهم ﴿ **ويلعبوا** ﴾ في دنياهم ﴿ **حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون** ﴾ فيه بعذاب الأبد وهو يوم القيامة ﴿ **وهو الذي في السماء إلّه وفي الأرض إلّه** ﴾ أي هو الذي تحقّ له العبادة في السماء وتحقّ له العبادة في الأرض وإنّما كرّر لفظ إلّه لأمرين ( أحدهما ) التأكيد ليتمكن المعنى في النفس ( والثاني ) لأنّ المعنى هو إلّه في السماء يجب على الملائكة عبادته وإلّه في الأرض يجب على الإنس والجن عبادته ﴿ **وهو الحكيم** ﴾ في جميع أفعاله ﴿ **العليم** ﴾ بمصالح عباده ﴿ **وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما** ﴾ أي دامت بركته فمنه البركات وإيصال السعادات وجلّ عن أن يكون له ولد أو شبيه من له التصرف في السماوات والأرض وفيما بينهما بلا دافع ولا منازع ﴿ **وعنده علم الساعة** ﴾ أي علم يوم القيامة لأنه لا يعلم وقته على التعيين غيره ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ يوم القيامة فيجازي كلاً على قدر عمله .

﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ عاصم وحمزة وقيله بالجر والباقون بالنصب وفي الشواذّ قراءة الأعرج ومجاهد وقيله بالرفع وقرأ أهل المدينة والشام فسوف تعلمون بالتاء والباقون بالياء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي وجه الجر في وقيله أنّه معطوف على قوله ﴿ **وعنده علم الساعة وعلم قيله** ﴾ أي يعلم الساعة ومن يصدّق بها ويعلم قيله ومعنى يعلم قيله أي يعلم أن الدعاء مندوب إليه نحو قوله ﴿ **ادعوني أستجب لكم وادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية** ﴾ وأمّا من نصب حمله على موضع وعنده علم الساعة لأن الساعة مفعول بها وليست بظرف فالمصدر مضاف إلى المفعول به ومثل ذلك قوله :

قَدْ كُنْتُ دَايَنْتُ بِهَا حَسَّانَا مَخَافَةَ الإِفْلاسِ وَاللِّيَانَا(١)
يُحْسِنُ بَيْعَ الأَصْلِ وَالْقِيَانَا

فكما أنّ القيان والليان محمولان على ما أضيف إليه المصدر من المفعول به فكذلك قوله تعالى ﴿ **وعنده علم الساعة** ﴾ لما كان معناه يعلم الساعة حملت قيله على ذلك ويجوز أن تحمله على يقول قيله فيدلّ انتصاب المصدر على فعله وكذلك قول كعب :

يَسْعَى الْوُشَاةُ جَنَابَيْهَا وَقِيلَهُمْ إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمىٰ لَمَقْتُولُ(٢)

أي ويقولون حقاً ووجه ثالث أن يحمل على قوله ﴿ **يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم ونجواهم** ﴾ وقيله ومن قرأ وقيله بالرفع إحتمل ضربين ( أحدهما ) أن يجعل الخبر وقيله قيل يا ربّ فيحذف ( والآخر ) أن يجعل الخبر وقيله يا رب مسموع ومتقبّل فيا ربّ منصوب الموضع بقيله المذكور وعلى القول الآخر بقيله المضمر وهو من صلته ولا يمتنع ذلك من حيث إمتنع أن يحذف بعض الموصول ويبقى بعضه لأنّ حذف القول قد كثر حتى صار بمنزلة المذكور وقد يحتمل بيت كعب الرفع على هذين الوجهين وقال ابن جني هو معطوف على علم أي وعلم قيله فحذف المضاف فالمصدر الذي هو قيل مضاف إلى الهاء الذي هو مفعول في المعنى والتقدير وعنده علم أن يقال يا رّب أن هؤلاء قوم لا يؤمنون ومن قرأ فسوف

---

(١) داينت أي أقرضت والضمير في بها راجع إلى القنية وهي ما يكتسب من المال والليان المماطلة بالدين والأصل المال الأصيل مقابل القِيان وهو جمع القين والقينة وهما العبد والأمة أي يحسن بيع أنواع أمواله من الأصل والقيان لقضاء دينه .

(٢) مرّ البيت في ج ١

تعلمون بالتاء فالوجه فيه أنه على تقدير قل لهم فسوف تعلمون ووجه الياء أن يحمل على الغيبة التي هي فاصفح عنهم وقوله وقل سلام تقديره وقل أمرنا وأمركم سلام أي متاركة .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه أنه لا شفاعة لمعبوديهم فقال ﴿ **ولا يملك الذين يدعون من دونه** ﴾ أي الذي يدعوه الكفار إلٓهاً ويوجّهون عبادتهم إليه من الأصنام وغيرها ﴿ **الشفاعة** ﴾ لمن يعبدهم كما توهّمه الكفار وهي مسألة الطالب العفو عن غيره وإسقاط العقاب عنه ﴿ **إلا من شهد بالحق** ﴾ وهم عيسى بن مريم وعزير والملائكة استثناهم سبحانه ممن عبد من دون الله فإن لهم عند الله منزلة الشفاعة عن قتادة وقيل معناه لا يملك أحد من الملائكة وغيرهم الشفاعة إلا لمن شهد بالحق أي شهد أن لا إلٓه إلا الله وذلك أن النضر بن الحارث ونفراً من قريش قالوا إن كان ما يقوله محمد حقّاً فنحن نتولّى الملائكة وهم أحقّ بالشفاعة لنا منه فنزلت الآية فالمعنى أنهم يشفعون للمؤمنين بإذن الله ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ أي يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وفي هذا دلالة على أنّ حقيقة الإيمان هو الإعتقاد بالقلب والمعرفة لأنّ الله شرط مع الشهادة العلم وهو ما اقتضى طمأنينة القلب إلى ما اعتقده بحيث لا يتشكك إذا شكّك ولا يضطرب إذا حرّك ﴿ **ولئن سألتهم** ﴾ يا محمد ﴿ **من خلقهم** ﴾ أي أخرجهم من العدم إلى الوجود ﴿**ليقولنّ الله** ﴾ لأنّهم يعلمون ضرورة أنّ أصنامهم لم تخلقهم ﴿ **فأنّى يؤفكون** ﴾ أي فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ﴿ **وقيله يا ربّ أنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون** ﴾ قال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربّه وينكر عليهم تخلّفهم عن الإيمان وذكر أن قراءة عبد الله وقال الرسول يا ربّ أنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون وعلى هذا فالهاء في وقيله يعود إلى النبي ﷺ ﴿ **فاصفح عنهم** ﴾ أي فأعرض عنهم يا محمد بصفح وجهك كما قال واعرض عن الجاهلين ﴿**وقل سلام** ﴾ أي مداراة ومتاركة وقيل هو سلام هجران ومجانبة لا سلام تحيّة وكرامة كقوله ﴿ **سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين** ﴾ وقيل معناه قل ما تسلم به من شرّهم وأذاهم وهذا منسوخ بآية السيف عن قتادة وقيل معناه فاصفح عن سفههم ولا تقابلهم بمثله . ندبه سبحانه إلى الحلم فلا يكون منسوخاً عن الحسن ثم هدّدهم سبحانه بقوله ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ يعني يوم القيامة إذا عاينوا ما يحل بهم من العذاب .

# (٤٤) سُورَةُ الدُّخَانِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَخَمْسُونَ

[ **عدد آيها** ] تسع وخمسون آية كوفي سبع بصري ستّ في الباقين .

[ **إختلافها** ] أربع آيات حمٓ وإنّ هؤلاء ليقولون كوفي شجرة الزقوم عراقي شامي والمدني الأول في البطون عراقيّ مكيّ والمدني الأخير .

[ **فضلها** ] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ ومن قرأ الدخان في ليلة الجمعة غفر له أبو هريرة عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الدّخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك . وعنه عن النبي ﷺ قال ومن قرأها في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له . أبو امامة عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الدخان ليلة الجمعة ويوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة . وروى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر ( ع ) قال من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة وأظلّه تحت ظلّ عرشه وحاسبه حساباً يسيراً وأعطي كتابه بيمينه .

[ **تفسيرها** ] ختم الله سبحانه سورة الزخرف بالوعيد والتهديد وافتتح هذه السورة أيضاً بمثل ذلك في الإنذار بالعذاب الشديد فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا
مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١

احدى عشرة آية كوفي(١) في غيرهم.

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة ربِّ السماوات بالجرّ والباقون بالرفع .

[ **الحجة** ] الرفع فيه على أحد أمرين إما أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السماوات وإما أن يكون مبتدأ وخبره الجملة التي عاد الذكر منها إليه وهو قوله ﴿ **لا إلَه إلا هو** ﴾ ويقوّيه قوله ﴿ **رب المشرق والمغرب** ﴾ لا إلَه إلاّ هو ومن قرأ بالجرّ جعله بدلاً من ربك المتقدم ذكره قال أبو الحسن الرفع أحسن وبه يقرأ .

[ **الإعراب** ] أنّا كنّا منذرين جواب القسم دون قوله ﴿ **انّا أنزلناه** ﴾ لأنك لا تقسم بالشيء على نفسه فإن القسم تأكيد خبر بخبر آخر فقوله ﴿ **إنّا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾ اعتراض بين القسم وجوابه أمراً من عندنا في انتصابه وجهان ( أحدهما ) أن يكون نصباً على الحال وتقديره أنا أنزلناه آمرين أمراً كما يقال جاء فلان مشياً وركضاً أي ماشياً وراكضاً وعلى هذا فيكون مصدراً موضوعاً موضع الحال وهذا إختيار الأخفش ويجوز أن يكون تقديره ذا أمر فحذف المضاف كما قال ولكنّ البرّ بمعنى ذا البرّ ( والثاني ) أن يكون منصوباً على المصدر لأن معنى قوله فيها يفرق فيها يؤمر قد دلّ يفرق على يؤمر وقوله ﴿ **رحمة** ﴾ منصوب على أنه مفعول له أي أنزلناه للرحمة وقال الأخفش هو منصوب على الحال أي راحمين رحمة .

[ **المعنى** ] ﴿ **حم** ﴾ مرّ بيانه ﴿ **والكتاب المبين** ﴾ أقسم سبحانه بالقرآن الدالّ على صحّة نبوّة نبينا ﷺ وفيه بيان الأحكام والفصل بين الحلال والحرام وجواب القسم ﴿ **إنّا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾ أي إنا أنزلنا القرآن والليلة المباركة هي ليلة القدر عن ابن عباس

---

(١) [ عشرة ].

وقتادة وابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عكرمة والأصحّ الأول ويدلّ عليه قوله ﴿ **إنّا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ وقوله ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ واختلف في كيفيّة إنزاله فقيل أنزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل نجوماً إلى النبي ﷺ وقيل أنّه كان ينزل جميع ما يحتاج في كل سنة في تلك الليلة ثم كان ينزلها جبرائيل (ع) شيئاً فشيئاً وقت وقوع الحاجة إليه وقيل كان بدء إنزاله في ليلة القدر وروي عن ابن عباس أنه قال قد كلم الله جبرائيل في ليلة واحدة وهي ليلة القدر فسمعه جبرائيل وحفظه بقلبه وجاء به إلى السماء الدنيا إلى الكتبة وكتبوه ثمّ نزل على محمد ﷺ بالنجوم في ثلاث وعشرين سنة وقيل في عشرين سنة وإنما وصف الله سبحانه هذه الليلة بأنّها مباركة لأنّ فيها يقسم الله نعمه على عباده من السنة إلى السنة فتدوم بركاتها والبركة نماء الخير وضدّها الشؤم وهو نماء الشر فالليلة التي أنزل فيها كتاب الله مباركة ينمى الخير فيها على ما دبّر الله سبحانه لها من علّو مرتبتها واستجابة الدعاء فيها ﴿ **إنّا كنّا منذرين** ﴾ أي مخوّفين بما أنزلناه من تعذيب العُصاة والإنذار الأعلام بموضع الخوف ليتّقى وموضع الأمن ليجتبى فالله عزّ اسمه قد أنذر عباده بأتمّ الأنذار من طريق العقل والسمع ﴿ **فيها يفرق كلّ أمر حكيم** ﴾ أي في هذه الليلة يفصل ويبيّن والمعنى يقضى كلّ أمر محكم لا تلحقه الزيادة والنقصان وهو أنّه يقسم فيها الآجال والأرزاق وغيرها من أمور السنة إلى مثلها من العام القابل عن ابن عباس والحسن وقتادة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات ويكتب الحاج فلا يزيد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد ﴿ **أمراً من عندنا** ﴾ معناه إنّا نأمر ببيان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ ﴿ **إنّا كنّا مرسلين** ﴾ محمداً إلى عبادنا كمن كان قبله من الأنبياء ﴿ **رحمة من ربك** ﴾ أي رأفة منا بخلقنا ونعمةمنا عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل عن ابن عباس ﴿ **إنه هو السميع** ﴾ لمن دعاه من عباده ﴿ **العليم** ﴾ بمصالحهم ﴿ **ربّ السماوات والأرض** ﴾ أي خالقهما ومدبّرهما ﴿ **وما بينهما إن كنتم موقنين** ﴾ بهذا الخبر محقّقين له وهو أنّه ﴿ **لا إله إلّا هو** ﴾ لا يستحق العبادة سواه ﴿ **يحيي** ﴾ الخلق بعد موتهم ﴿ **ويميت** ﴾ أي ويميتهم بعد إحيائهم ﴿ **ربّكم** ﴾ الذي خلقكم ودبّركم ﴿ **ورب آبائكم الأولين** ﴾ الذين سبقوكم ثمّ ذكر سبحانه الكفار فقال ليس هؤلاء بموقنين بما قلناه ﴿ **بل هم في شك** ﴾ مما أخبرناك به ﴿ **يلعبون** ﴾ مع ذلك ويستهزؤون بك وبالقرآن إذا قرىء عليهم عن الجبائي وقيل يلعبون أي يشتغلون بالدنيا ويتردّدون في أحوالها ثم خاطب نبيّه ﷺ فقال ﴿ **فارتقب** ﴾ أي فانتظر يا محمد ﴿ **يوم تأتي**

**السماء بدخان مبين** ﴾ وذلك أنّ رسول الله ﷺ دعا على قومه لما كذّبوه فقال اللهم سنيناً[١] كسني يوسف فأجدبت الأرض فأصابت قريشاً المجاعة وكان الرجل لما به من الجـوع يرى بينه وبين السماء كالدخان وأكلوا الميتة والعظام ثم جاؤوا إلى النبيّ ﷺ وقالوا يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وقومك قد هلكوا فسأل الله تعالى لهم بالخصب والسعة فكشف عنهم ثمّ عادوا إلى الكفر عن ابن مسعود والضحاك وقيل إن الدخان آية من إشراط الساعة تدخل في مسامع الكفار والمنافقين وهو لم يأت بعد وإنّه يأتي قبل قيام الساعة فيدخل أسماعهم حتى أنّ رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ ويصيب المؤمن منه مثل الزكمة وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خَصَاص[٢] ويمكث ذلك أربعين يوماً عن ابن عباس وابن عمـر والحسن والجبائي ﴿ **يغشى الناس** ﴾ يعني أنّ الـدخان يعمّ جميـع الناس وعلى القـول الأول المراد بالناس أهل مكّة وهم الذين يقولون ﴿ **هذا عذاب أليم** ﴾ أي موجع مؤلم .

﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾

[ **الإعـراب** ] يوم نبـطش منصوب بقـوله ﴿ **إنّـا كاشفـو العذاب قليـلاً** ﴾ ويجوز أن

(١) في نسخة سنين وهو الصواب فإن علامة النصب فيه الياء من دون التنوين .

(٢) الخصاص كل خلل وخرق في باب ومنخل وبرقع ونحوه والفُرَج في البناء بين الأثافي .

ينتصب بمضمر دلّ عليه منتقمون ولا ينتصب بقوله ﴿ **منتقمون** ﴾ لأنّ ما بعد أنّ لا يعمل فيما قبله .

[ **المعنى** ] ثمّ لما أخبر سبحانه أنّ الدخان يغشى الناس عذاباً لهم وأنهم قالوا ويقولون على ما فيه من الخلاف هذا عذاب أليم حكى عنهم أيضاً قولهم ﴿ **ربّنا اكشف عنّا العذاب انّا مؤمنون** ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن قال سبحانه ﴿ **أنّى لهم الذكرى** ﴾ أي من أين لهم التذكّر والاتّعاظ وكيف يتذكّرون ويتّعظون ﴿ **وقد جاءهم رسول مبين** ﴾ أي وحالهم أنّهم قد جاءهم رسول ظاهر الصدق والدلالة ﴿ **ثم تولّوا عنه** ﴾ أي أعرضوا عنه ولم يقبلوا قوله ﴿ **وقالوا معلّم مجنون** ﴾ أي هو معلَّم يعلّمه بشر مجنون بادّعاء النبوة ثمّ قال سبحانه ﴿ **إنّا كاشفو العذاب** ﴾ أي عذاب الجوع والدخان ﴿ **قليلاً** ﴾ أي زماناً قليلاً يسيراً إلى يوم بدر عن مقاتل ﴿ **إنّكم عائدون** ﴾ في كفركم وتكذيبكم فلمّا كشف الله سبحانه ذلك عنهم بدعاء النبي ﷺ واستسقائه لهم عادوا إلى تكذيبه هذا على تأويل من قال إنّ ذلك الدخان كان وقت النبي ﷺ فأمّا على القول الآخر فمعناه أنّكم عائدون إلى العذاب الأكبر وهو عذاب جهنّم والقليل مدّة ما بين العذابين ﴿ **يوم نبطش البطشة الكبرى** ﴾ أي واذكر لهم ذلك اليوم يعني يوم بدر على القول الأوّل قالوا لمّا كشف عنهم الجوع عادوا إلى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر وعلى القول الآخر البطشة الكبرى تكون يوم القيامة والبطش هو الأخذ بشدّة وقع الألم ﴿ **انا منتقمون** ﴾ منهم ذلك اليوم ثم قال سبحانه ﴿ **ولقد فتنّا قبلهم** ﴾ أقسم سبحانه أنّه فتن قبل كفّار قوم النبي ﷺ ﴿ **قوم فرعون** ﴾ أي اختبرهم وشدّد عليهم التكليف لأنّ الفتنة شدّة التعبد وأصلها الإحراق بالنار لخلاص الذهب من الغشّ وقيل إنّ الفتنة معاملة المختبر ليجازى بما يظهر دون ما يعلم مما لا يظهر ﴿ **وجاءهم رسول كريم** ﴾ أي كريم الأخلاق والأفعال بالتجاوز والصفح والدعاء إلى الصلاح والرشد وقيل كريم عند الله بما استحقّ بطاعته من الإكرام والإعظام وقيل كريم شريف في قومه من بني إسرائيل ﴿ **إن أدّوا إليّ عبادَ الله** ﴾ هذا من قول موسى (ع) لفرعون وقومه والمعنى أطلقوا بني إسرائيل من العذاب والتسخير فإنّهم أحرار فهو كقوله ﴿ **فارسل معي بني إسرائيل** ﴾ فيكون عباد الله مفعول ادّوا وقال الفراء معناه أدّوا إليّ ما أمركم به يا عباد الله ﴿ **إنّي لكم رسول أمين** ﴾ على ما أؤدّيه وأدعوكم إليه ﴿ **وأن لا تعلوا على الله** ﴾ أي لا تتجبّروا على الله بترك طاعته عن الحسن وقيل لا تتكبّروا على أولياء الله بالبغي عليهم وقيل : لا تبغوا عليه بكفران نعمه وافتراء الكذب عليه عن ابن عباس وقتادة ﴿ **إني آتيكم بسلطان مبين** ﴾ أي بحجّة واضحة يظهر الحقّ معها وقيل بمعجز ظاهر

يبيّن صحّة نبوّتي وصدق مقالتي فلمّا قال ذلك توعّدوه بالقتل والرجم فقال ﴿ **وإنّي عذت بربّي وربّكم** ﴾ أي لذت بمالكي ومالككم والتجأت إليه ﴿ **أن ترجمون** ﴾ أي من أن ترموني بالحجارة عن قتادة وقيل إنّ الرجم الذي استعاذ منه موسى هو الشتم كقولهم هو ساحر كذّاب ونحوه عن ابن عباس وأبي صالح ﴿ **وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون** ﴾ أي إن لم تصدّقوني فاتركوني لا معي ولا عليّ وقيل معناه فاعتزلوا أذاي عن ابن عباس .

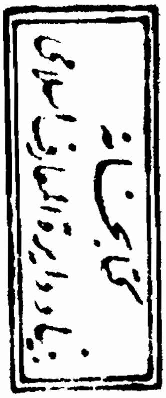

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾
فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ
جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ
وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾

[ **اللغة** ] الرَهْو السهل الساكن يقال عيش راءٍ أي خافض وادع قال الشاعر:

يَمْشِينَ رَهْــواً فَــلا الْأَعْـجَــازُ خَــاذِلَــة      وَلَا الـصُّــدُورُ عَلَى الْأَعْـجَــازِ تَتَّـكِــلُ[1]

وقيل الرهو الدمث[2] ليس برمل ولا حزن عن الازهري يقال جاءت الخيل رَهْواً أي مسابقة قال ابن الاعرابي الرهو من الطير والخيل السراع قال الشاعر :

طَيْـراً رَأَتْ بَازِيـاً نَضْـخُ[3] الـدِّمَـاءِ بِـهِ      وَأُمُّـــهُ خَـــرَجَـــتْ رَهْـــواً إِلَـــىٰ عِـيـــدٍ

[ **الاعراب** ] رهواً نصب على الحال من البحر ويكون حالاً بعد الفراغ من الفعل كقولهم قطعت الثوب قباء وهذا يدلّ على انّ البحر كان قبل تركه وبعد تركه رهواً وكم في

(١) مقصوده توصيف نساء مورد مدحه بالاستواء في المشى فلا اعجازهن متخلفة عن سائر اعضاء البدن ولا الصدور متكلة على الاعجاز بأن يتأخر الصدر عن الاعضاء ويتكل على الاعجاز.

(٢) الدَمْث والدَمِث والدميث المكان اللين ذو الرمل وأرض دَمْثاء: لَينة سهلة .

(٣) وفي بعض النسخ بالحاء المهملة والنَضْخ الاثر من الطيب وغيره يبقى في الثوب وبالحاء رشاش الماء ونحوه.

قوله كم تركوا في موضع نصب بأنه صفة موصوف محذوف وهو مفعول تركوا وتقديره شيئاً كثيراً تركوا كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الأمر كذلك .

[ المعنى ] ثمّ ذكر سبحانه تمام قصّة موسى بأن قال **﴿فدعا ربّه﴾** اي فدعا موسى ربّه حين يئس من قومه ان يؤمنوا به فقال **﴿إنّ هؤلاء قوم مجرمون﴾** أي مشركون لا يؤمنون عن الكلبي ومقاتل فكأنّه قال اللهم عجّل لهم مما يستحقّونه بكفرهم ما يكونون به نكالاً لمن بعدهم وما دعا عليهم إلا بعد أن أذن له في ذلك وقوله **﴿فأسر بعبادي ليلاً﴾** الفاء وقعت موقع الجواب والتقدير فأجيب بأن قيل له فأسر بعبادي امره سبحانه ان يسير بأهله وبالمؤمنين به ليلاً حتى لا يردّهم فرعون إذا خرجوا نهاراً واعلمه بأنّه سيتبعهم فرعون بجنوده بقوله **﴿انّكم متّبعون واترك البحر رهواً﴾** اي ساكناً على ما هو به إذا قطعته وعبرته وكان قد ضربه بالعصا فانفلق لبني اسرائيل فأمره الله سبحانه ان يتركه كما هو ليغرق فرعون وقومه عن ابن عباس ومجاهد وقيل رهواً أي منفتحاً منكشفاً حتى يطمع فرعون في دخوله عن ابي مسلم قال قتادة لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون وجنوده فقيل له واترك البحر رهواً أي كما هو طريقاً يابساً **﴿انّهم جند مغرقون﴾** سيغرقهم الله تعالى ثم اخبر سبحانه عن حالهم بعد اهلاكهم فقال **﴿كم تركوا من جنات﴾** رائعة **﴿وعيون﴾** جارية **﴿وزروع﴾** كثيرة **﴿ومقام كريم﴾** أي مجالس شريفة ومنازل خطيرة وقيل هي المناظر الحسنة ومجالس الملوك عن مجاهد وقيل منابر الخطباء عن ابن عباس وقيل المقام الكريم الذي يعطي اللذة كما يعطي الرجل الكريم الصلة عن علي بن عيسى **﴿ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾** اي وتنعم وسعة في العيش كانوا ناعمين متمتعين كما يتمتع الآكل بأنواع الفواكه **﴿كذلك﴾** قال الكلبي معناه كذلك افعل بمن عصاني **﴿وأورثناها قوماً آخرين﴾** ايراث النعمة تصييرها الى الثاني بعد الأول بغير مشقّة كما يصير الميراث إلى اهله على تلك الصفة فلما كانت نعمة قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم كان ذلك إيراثاً من الله لهم واراد بقوم آخرين بني إسرائيل لأنّهم رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون **﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾** اختلف في معناه على وجوه (احدها) انّ معناه لم تبك عليهم اهل السماء والأرض لكونهم مسخوطاً عليهم عن الحسن فيكون مثل قوله حتى تضع الحرب اوزارها أي اصحاب الحرب ونحوه قول الحطيئة :

وَشَـرُّ الـمَـنَـايَـا مَـيِّـتٌ وَسْطَ أَهْـلِهِ      كَهُلْكِ الْفَتى قَـدْ أَسْلَمَ الْحَيَ حَـاضِـرُهُ[1]

(١) الحاضر: القوم الحي إذا اجتمعوا في الدار التي بها مجتمَعهم .

أي وشر المنايا ميتة ميّت وقال ذو الرمة :

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِبَالِ(١) أَذِلَّةٌ      سُوَاسِيَةٌ(٢) أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا

أي لهم اهل مجلس (وثانيها) انه سبحانه اراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر فإنّ العرب إذا اخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت بكاه السماء والأرض وأظلم لفقده الشمس والقمر قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز

الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ      تَبْكي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ والْقَمَرا(٣)

أي ليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لأن عظم المصيبة قد سلبها ضوءها وقال النابغة :

تَبْدُو كَواكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ      لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الإِظْلَامُ إِظْلَامُ

وثالثها ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء وقد روي عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقيل وهل يبكيان على احد قال نعم مصلاة في الأرض ومصعد عمله في السماء وروى انس عن النبي ﷺ قال ما من مؤمن إلاّ وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه فعلى هذا يكون معنى البكاء الاخبار عن الاختلال بعده كما قال مزاحم العقيلي :

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ أَجلِهِمْ فَتَهلَّلَتْ(٤)      دُمُوعِي فَأَيَّ الجَازِعَيْنِ أَلُومُ

أَمُسْتَعْبِراً يَبْكي مِنَ الْهُونِ وَالْبِلىٰ      أَمْ آخَرَ يَبْكي شَجْوَهُ وَيَهِيمُ(٥)

وقال السدّي لَمّا قتل الحسين بن علي بن ابي طالب (ع ) بكت السماء عليه وبكاؤها حمرة اطرافها وروى زرارة بن اعين عن أبي عبد الله (ع ) انه قال بكت السماء على يحيى

(١) صهب جمع اصهب: الاحمر والأشقر والسبال جمع سَبَلة: الدائرة في وسط الشفة العليا وقيل ما على الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين وصهب السبال وصف الروميين ولانهم اعداء العرب يوصف به الاعداء.

(٢) سواء وسواسية يقال للجمع وسواء يقال للمفرد والمثنى والجمع وسواسية لا تقال الا في الشر كقولهم: هم سواسية في الشر وكذا هنا.

(٣) الشمس النجوم: غلب ضوئها على النجوم فلم يبد منها شيء ونحو الليل والقمر مفعول كاسفة مقصودة ان موتك صار سبباً لقلة ضوء الشمس بحيث لا يغلب نورها نور القمر والنجوم وهي تبكي عليك.

(٤) تهلل العين : سالت بالدمع.

(٥) هام على وجهه: ذهب من العشق وغيره لا يدري اين يتوجه.

ابن زكريا وعلى الحسين بن علي عليهما السلام اربعين صباحاً ولم تبك إلّا عليهما قلت وما بكاؤها قال كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء ﴿وما كانوا منظرين﴾ اي عوجلوا بالعقوبة ولم يمهلوا .

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾

[ **الاعراب** ] من فرعون أي من عذاب فرعون فحذف المضاف ويجوز ان يكون حالاً من العذاب المهين أي ثابتاً من فرعون فلا يكون على حذف المضاف. أهم خير أم قوم تبّع والذين من قبلهم يجوز ان يكون الذين من قبلهم مبتدأ واهلكناهم خبره ويجوز ان يكون منتصباً بفعل مضمر دلّ عليه اهلكناهم ويجوز ان يكون رفعاً بالعطف على قوم تبّع فعلى هذا تقف على قبلهم ويكون اهلكناهم في تقدير واهلكناهم اي والمهلكون من قبلهم.

[ **المعنى** ] ثمّ اقسم سبحانه بقوله **﴿ولقد نجّينا بني إسرائيل﴾** الذين آمنوا بموسى **﴿من العذاب المهين﴾** يعني قتل الابناء واستخدام النساء والاستعباد وتكليف المشاقّ **﴿من فرعون انّه كان عالياً﴾** اي متجبّراً متكبّراً متغلّباً **﴿من المسرفين﴾** اي المجاوزين الحدّ في الطغيان وصفة بأنّه عالٍ وان جاز ان يكون عالٍ صفة مدح لأنه قيّده بأنه عالٍ في الإسراف

لأنّ العالي في الإحسان ممدوح والعالي في الإساءة مذموم ﴿**ولقد اخترناهم**﴾ أي اخترنا موسى وقومه بني إسرائيل وفضّلناهم بالتوراة وكثرة الأنبياء منهم ﴿**على علم**﴾ اي على بصيرة منّا باستحقاقهم التفضيل والاختيار ﴿**على العالمين**﴾ أي على عالمي زمانهم عن قتادة والحسن ومجاهد ويدلّ عليه قوله تعالى لأمّة نبينا ﷺ كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل فضّلناهم على جميع العالمين في امر كانوا مخصوصين به وهو كثرة الأنبياء منهم ﴿**وآتيناهم**﴾ أي واعطيناهم ﴿**من الآيات**﴾ يعني الدلالات والمعجزات مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى ﴿**ما فيه بلاء مبين**﴾ أي ما فيه النعمة الظاهرة عن الحسن وقيل ما فيه شدّة وامتحان مثل العصا واليد البيضاء فالبلاء يكون بالشدّة والرخاء عن ابن زيد فيكون في الآيات نعمة على الأنبياء وقومهم وشدّة على الكفار المكذّبين بهم ثم اخبر سبحانه عن كفّار قوم نبينا ﷺ الذين ذكرهم في اول السورة فقال ﴿**إنّ هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الاولى**﴾ أي ما الموتة إلا موتة نموتها في الدنيا ثم لا نبعث بعدها وهو قوله ﴿**وما نحن بمنشرين**﴾ اي بمبعوثين ولا معادين ﴿**فأتوا بآبائنا**﴾ الذين ماتوا قبلنا وأعيدوهم ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ في انّ الله تعالى يقدر على اعادة الاموات واحيائهم وقيل ان قائل هذا ابو جهل بن هشام قال ان كنت صادقاً فابعث جدّك قُصيّ بن كلاب فإنّه كان رجلاً صادقاً لنسأله عمّا يكون بعد الموت وهذا القول جهل من ابي جهل من وجهين (أحدهما) انّ الاعادة إنّما هي للجزاء لا للتكليف وليست هذه الدار بدار جزاء ولكنها دار تكليف فكأنّه قال: ان كنت صادقاً في اعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف (والثاني) انّ الإحياء في دار الدنيا إنما يكون للمصلحة فلا يقف ذلك على اقتراحهم لأنه ربما تعلّق بذلك مفسدة ولّما تركوا الحجة وعدلوا إلى الشبهة جهلاً عدل سبحانه في اجابتهم الى الوعيد والوعظ فقال ﴿**أهم خير ام قوم تبّع**﴾ اي امشركو قريش أظهر نعمة واكثر اموالاً واعزّ في القوة والقدرة أم قوم تبعّ الحميري الذي سار بالجيوش حتى حيّر[١] الحيرة ثم اتى سمرقند فهدمها ثمّ بناها وكان إذا كتب كتب باسم الذي ملك برّاً وبحراً وضحاً وريحاً عن قتادة وسمي تبّعاً لكثرة اتباعه من الناس وقيل سمّي تبّعاً لأنّه تبع من قبله من ملوك اليمن والتبابعة اسم ملوك اليمن فتبّع لقب له كما يقال خاقان لملك الترك وقيصر لملك الروم واسمه اسعد[٢] ابو كرب وروى سهل بن سعد عن النبي ﷺ انه قال لا تسبّوا تبّعاً فإنه كان قد اسلم وقال كعب نعم الرجل الصالح ذمّ الله قومه

(١) لم نجد له فيما بايدينا من كتب اللغة معنى يناسبه ولعله مما يشتق ويؤخذ الفعل من الاسم نحو خيّم القوم اي ضربوا خياماً وهذا ايضاً مأخوذ من الحيرة وفي نسخة : حيّز مأخوذ من الحيّز.

(٢) وفي المخطوطة سعد.

ولم يذمّه وروى الوليد بن صبيح عن أبي عبد الله (ع) قال انّ تّبعاً قال للأوس والخزرج كونوا هاهنا حتى يخرج هذا النبي أمّا انا لو ادركته لخدمته وخرجت معه **﴿والذين من قبلهم﴾** يعني من تقدّمهم من قوم نوح وعاد وثمود **﴿اهلكناهم﴾** معناه انّهم ليسوا بأفضل منهم وقد اهلكناهم بكفرهم وهؤلاء مثلهم بل أولئك كانوا اكثر قوّة وعدداً فإهلاك هؤلاء ايسر **﴿إنّهم كانوا مجرمين﴾** أي كافرين فليحذر هؤلاء ان ينالهم مثل ما نال اولئك **﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾** اي لم نخلق ذلك لا لغرض حكمي بل خلقناهما لغرض حكمي وهو ان ننفع المكلّفين بذلك ونعرضهم للثواب وننفع سائر الحيوانات بضروب المنافع واللذات **﴿وما خلقناهما الا بالحق﴾** اي إلا بالعلم الداعي إلى خلقهما والعلم لا يدعو إلا إلى الصواب والحق وقيل معناه ما خلقناهما الا للحق وهو الامتحان بالأمر والنهي والتمييز بين المحسن والمسيء لقوله ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا الآية وقيل معناه ما خلقناهما إلا على الحق الذي يستحقّ به الحمد خلاف الباطل الذي يستحق به الذم **﴿ولكنّ اكثرهم لا يعلمون﴾** صحّة ما قلناه لعدولهم عن النظر فيه ولاستدلال على صحته **﴿انّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين﴾** يعني اليوم الذي يفصل فيه بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة وقيل معناه يوم الحكم ميقات قوم فرعون وقوم تبع ومَن قبلهم ومشركي قريش وموعدهم .

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل مكة وحفص ورويس يغلي بالياء والباقون تغلي بالتاء وقرأ اهل الكوفة وابو جعفر وابو عمرو فاعتلوه بكسر التاء والباقون بضمها وقرأ الكسائي وحده ذق انّك بفتح الهمزة والباقون انّك بكسرها .

[ **الحجة** ] من قرأ تغلي بالتاء فعلى الشجرة كأنّ الشجرة تغلي ومن قرأ بالياء حمله على الطعام وهو الشجرة في المعنى ويَعتلِ ويَعتُل مثل يعكِف ويعكُف ويفسِق ويفسُق في انّهما لغتان ومعنى فاعتلوه قودوه بعنف ومن قرأ انّك بالكسر فالمعنى انّك انت العزيز الكريم في زعمك فأجرى ذلك على حسب ما كان يذكره أو يذكر به ومن قرأ انّك بالفتح فالمعنى ذق بأنّك .

[ **المعنى** ] لمّا ذكر سبحانه انّ يوم الفصل ميقات الخلق يحشرهم فيه بيّن أيّ يوم هو فقال ﴿**يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً**﴾ فالمولى الصاحب الذي من شأنه ان يتولّى معونة صاحبه على اموره فيدخل في ذلك ابن العمّ والناصر والحليف وغيرهم ممّن هذه صفته والمعنى ان ذلك اليوم يوم لا يغني فيه وليّ عن وليّ شيئاً ولا يدفع عنه عذاب الله تعالى ﴿**ولا هم ينصرون**﴾ وهذا لا ينافي ما يذهب اليه اكثر الأمة من اثبات الشفاعة للنبي ﷺ والأئمة ( ع ) والمؤمنين لأنّ الشفاعة لا تحصل إلا بامر الله تعالى وإذنه والمراد بالآية انه ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله وينصرهم من غير ان يأذن الله له فيه وقد بيَّن ما اشرنا اليه باستثنائه من رحمه منهم فقال ﴿**الاّ من رحم الله**﴾ اي إلا الذين رحمهم الله من المؤمنين فإنه إما ان يسقط عقابهم ابتداء أو يأذن بالشفاعة فيهم لمن علت درجته عنده فيسقط عقاب المشفوع له لشفاعته ﴿**انّه هو العزيز**﴾ في انتقامه من اعدائه ﴿**الرحيم**﴾ بالمؤمنين ثم وصف سبحانه ما يفصل به بين الفريقين فقال ﴿**إنّ شجرت الزقوم**﴾ وقد مر تفسيره في سورة الصافات ﴿**طعام الأثيم**﴾ اي الآثم وهو ابو جهل وروي انّ ابا جهل اتى بتمر وزبد فجمع بينهما وأكل وقال هذا هو الزقوم الذي يخوّفنا محمد به نحن نتزقمه أي نملأ افواهنا به فقال سبحانه ﴿**كالمهل**﴾ وهو المذاب من النحاس أو الرصاص أو الذهب أو الفضة وقيل هو دُردِيّ الزيت ﴿**يغلي في البطون كغلي الحميم**﴾ أي إذا حصلت في اجواف اهل النار تغلي كغلي الماء الحارّ الشديد الحرارة قال أبو علي الفارسي لا يجوز ان يكون المعنى يغلي المهل في البطون لأنّ المهل إنما ذكر للتشبيه به في الذوب الا ترى انّ المهل لا يغلي في البطون وإنما يغلي ما شبّع به ﴿**خذوه**﴾ اي يقال للزبانية خذوا الأثيم ﴿**فاعتلوه**﴾ اي زعزعوه وادفعوه بعنف ومنه قول الشاعر :

فَيَاضَيْعَةَ الفِتْيَانِ إذْ يَعْتِلُونَهُ  بِبَطْنِ الثَّرَى مِثْلَ الفَنِيقِ المُسَدَّمِ (١)

---

(١) وفي نسخة : الفتيق بالتاء وهو من الجمال ما ينفتق سمناً وبالنون : الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على اهله ولا يركب والسدّم : البعير المهمل . الهائج .

وقيل معناه جّروه على وجهه عن مجاهد ﴿**إلى سواء الجحيم**﴾ اي إلى وسط النار عن قتادة وسمّي وسط الشيء سواء لاستواء المسافة بينه وبين اطرافه المحيطة به والسواء العدل ﴿**ثم صبّوا فوق رأسه**﴾ قال مقاتل انّ خازن النار يمرّ به على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ﴿**من عذاب الحميم**﴾ وهو الماء الذي قد انتهى حرّه ويقول له ﴿**ذق انك انت العزيز الكريم**﴾ وذلك انه كان يقول انا اعزّ اهل الوادي واكرمهم فيقول له الملك ذق العذاب ايها المتعزّز المتكرم في زعمك وفيما كنت تقول وقيل انه على معنى النقيض فكأنه قيل انك انت الذليل المهين الا انّه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به وقيل معناه انك انت العزيز في قومك الكريم عليهم فما اغنى ذلك عنك ﴿**ان هذا ما كنتم به تمترون**﴾ اي ثمّ يقال لهم انّ هذا لعذاب ما كنتم تشكّون فيه في دار الدنيا .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ
عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا
ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل المدينة وابن عامر في مقام بالضم والباقون في مقام بالفتح .

[ **الحجة** ] من فتح الميم أراد به المجلس والمشهد كما قال في مقعد صدق ووصفه بالأمن يقوّي انّ المراد به المكان ومن ضم فإنه يحتمل ان يريد به المكان من اقام فيكون على هذا معنى القراءتين واحداً ويجوز ان يجعله مصدراً ويقدّر المضاف محذوفاً أي موضع إقامة .

[ **اللغة** ] السندس الحرير والاستبرق الديباج الغليظ الصفيق قال الزجّاج إنما قيل له استبرق لشدة بريقه والحور جمع حوراء من الحَوَر وهو شدّة البياض وهنّ البيض الوجوه وقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين .

[ **الاعراب** ] كذلك جارّ ومجرور في موضع رفع بأنّه خبر المبتدأ التقدير الأمر كذلك . متقابلين نصب على الحال من يلبسون ويلبسون يجوز ان يكون خبراً بعد خبر ويجوز ان يكون حالاً من الظرف الذي هو قوله في مقام لأن التقدير ان المتقين ثبتوا في مقام ومفعول يلبسون محذوف وتقديره يلبسون ثياباً من سندس فآمنين حال من يدعون . الموتة الأولى نصب على الاستثناء قال الزجاج معناه سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا كقوله ﴿**ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف**﴾ المعنى سوى ما قد سلف واقول ان سوى لا يكون إلا ظرفاً والا حرف فكيف يكون بمعناه فالاولى ان يكون الا هنا مع ما بعدها صفة او بدلاً بمعنى غير تقديره ولا يذوقون فيها الموت غير الموتة الأولى إذ الموتة الأولى وقد انقضت فلا يمكن ان يستثنى من الموت الذي لا يذوقونه في الجنة إذ ليست بداخلة فيه وقوله فضلاً من ربّك مفعول له تقديره فعل الله ذلك بهم فضلاً منه وتفضّلاً منه ويجوز ان يكون منصوباً بفعل مضمر تقديره واعطاهم فضلاً ويجوز ان يكون مصدراً مؤكداً لما قبله لأنّ ما ذكره قبله تفضّل منه سبحانه كقول امرء القيس «وَرُضْتُ(١) فَذَلَّتْ صَعْبَةُ أَيَّ إِذْلالٍ» على معنى اذللته أيّ اذلال فاستغنى عن أذللته بذكر رضت .

[ **المعنى** ] ثم عقّب سبحانه الوعيد بذكر الوعد فقال ﴿**انّ المتقين**﴾ الذين يجتنبون معاصي الله لكونها قبائح ويفعلون الطاعات لكونها طاعات ﴿**في مقام امين**﴾ امنوا فيه الغِيَر من الموت والحوادث وقيل امنوا فيه من الشيطان والأحزان عن قتادة ﴿**في جنّات وعيون**﴾ أي بساتين وعيون ماء نابعة فيها ﴿**يلبسون من سندس واستبرق**﴾ خاطب العرب فوعدهم من الثياب بما عظم عندهم واشتهته أنفسهم وقيل السندس ما يلبسونه والاستبرق ما يفترشونه ﴿**متقابلين**﴾ في المجالس لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض بل يقابل بعضاً وقيل معناه متقابلين بالمحبّة لا متدابرين بالبغضة ﴿**كذلك**﴾ حال اهل الجنة ﴿**وزوّجناهم بحور عين**﴾ قال الأخفش المراد به التزويج المعروف يقال زوّجته امرأة وبامرأة وقال غيره لا يكون في الجنة

(١) راض المُهرَ ذلله وسخّره وجعله مطيعاً وعلمه السير ويقال: رُض نفسك بالتقوى اي ذللها.

تزويج والمعنى وقرنّاهم بحور عين **﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾** اي يستدعون فيها أيّ ثمرة شاؤوا واشتهوا غير خائفين فوتها آمنين من نفادها ومضرّتها وقيل آمنين من التّخم والأسقام والأوجاع **﴿لا يذوقون فيها الموت﴾** شبّه الموت بالطعام الذي يذاق ويتكره عند المذاق ثم نفى ان يكون ذلك في الجنة وإنما خصّهم بأنّهم لا يذوقون الموت مع انّ جميع اهل الآخرة لا يذوقون الموت لما في ذلك من البشارة لهم بالحياة الهنيئة في الجنة فأما من يكون فيما هو كالموت في الشدة فإنه لا يطلق له هذه الصفة لأنه يموت موتات كثيرة بما يقاسيه من العقوبة **﴿إلا الموتة الأولى﴾** قيل معناه بعد الموتة الأولى وقيل معناه لكنّ الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل سوى الموتة الأولى وقد بينّا ما عندنا فيه **﴿ووقيهم عذاب الجحيم﴾** اي فصرف عنهم عذاب النار. استدلّت المعتزلة بهذا على انّ الفاسق الملّي لا يخرج من النار لأنّه يكون قد وقي النار والجواب عن ذلك ان هذه الآية يجوز ان تكون مختصة بمن لا يستحق دخول النار فلا يدخلها او بمن استحق النار فتفضل عليه بالعفو فلم يدخلها ويجوز ان يكون المراد ووقاهم عذاب الجحيم على وجه التأبيد أو على الوجه الذي يعذّب عليه الكفار **﴿فضلاً من ربّك﴾** اي فعل الله ذلك بهم تفضلاً منه لأنه سبحانه خلقهم وانعم عليهم وركبّ فيهم العقل وكلّفهم وبيّن لهم من الآيات ما استدلّوا به على وحدانيّة الله تعالى وحسن الطاعات فاستحقوا به النعم العظيمة ثم جزاهم بالحسنة عشر امثالها فكان ذلك فضلاً منه عز اسمه وقيل إنما سّماه فضلاً وان كان مستحقاً لأنّ سبب الاستحقاق هو التكليف والتمكين وهو فضل منه سبحانه **﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾** اي الظفر بالمطلوب العظيم الشأن **﴿فإنما يسّرناه بلسانك﴾** أي سهّلنا القرآن فالهاء كناية عن غير مذكور والمعنى هوّنا القرآن على لسانك ويسّرنا قراءته عليك وقيل معناه جعلنا القرآن عربياً ليسهل عليك وعلى قومك تفهمّه **﴿لعلهم يتذكرون﴾** أي ليتذكروا ما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد ويتفكروا فيه **﴿فارتقب انّهم مرتقبون﴾** اي فإن اعرضوا ولم يقبلوا فانتظر مجيء ما وعدناك به انهم منتظرون لأنهم في حكم من ينتظر لأنّ المحسن يترقب عاقبة الإحسان والمسيء يترقب عاقبة الإساءة وقيل معناه انتظر بهم عذاب الله فإنهم ينتظرون بك الدوائر وقيل انتظر قهرهم ونصرك عليهم فإنهم منتظرون قهرك بزعمهم .

# (٤٥) سورة الجاثية مكية
## إلا آية ١٤ فمدنية
## وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

وتسمى أيضاً سورة الشريعة لقوله فيها ﴿ **ثم جعلناك** ﴾ على شريعة من الأمر وهي مكية قال قتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة ﴿ **قل للذين آمنوا يغفروا** ﴾ الآية .

[ **عدد آيها** ] سبع وثلاثون آية كوفي ست في الباقين .

[ **اختلافها** ] آية حم كوفي .

[ **فضلها** ] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ حمّ الجاثية ستر الله عورته وسكّن روعته عند الحساب وروى ابو بصير عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ سورة الجاثية كان ثوابها ان لا يرى النار أبداً ولا يسمع زفير جهنم ولا شهيقها وهو مع محمد ﷺ .

[ **تفسيرها** ] لمّا ختم الله سبحانه سورة الدخان بذكر القرآن افتتح هذه السورة بذكره ايضاً فقال سبحانه :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا
يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ

بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة والكسائي ويعقوب آيات في الموضعين على النصب والباقون آيات على الرفع فيهما .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قوله وفي خلقكم وما يبثّ من دآبة آيات جاز الرفع في قوله آيات من وجهين (أحدهما) العطف على موضع انّ وما عملت فيه فإنه رفع بالابتداء فيحتمل الرفع فيه على الموضع (والآخر) أن يكون مستأنفاً ويكون الكلام جملة معطوفة على جملة فيكون قوله آيات على هذا مرتفعاً بالظرف فهذا وجه من رفع آيات في الموضعين قال أبو الحسن من دابة آيات قراءة الناس بالرفع وهي أجود وبها نقرأ لأنّه قد صارعلى كلام آخر نحو إنّ في الدار زيداً وفي البيت عمرو لأنك إنما تعطف الكلام كله على الكلام كلّه قال وقد قرىء بالنصب وهو عربّي انتهت الحكاية عنه وأمّا قوله واختلاف الليل والنهار إلى آخره آيات فإنك إن تركت الكلام على ظاهره فإنّ فيه عطفاً على عاملين أحد العاملين الجارّ الذي هو في من قوله وفي خلقكم وما يبثّ من دابة والعامل الآخران ان نصبت آيات وان رفعت فالعامل المعطوف عليه الابتداء او الظرف ووجه قراءة من قرأ آيات بالنصب انه لم يحمل على موضع انّ كما حمل من ورفع آيات في الموضعين او قطعة واستأنف ولكن حمل على لفظ انّ دون موضعها فحمل آيات في الموضعين على نصب إنّ في قوله ان في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين فإن قلت إنّه يعرض في هذه القراءة العطف على عاملين وذلك في قوله واختلاف الليل والنهار آيات وسيبويه وكثير من النحويين لا يجيزونه قيل يجوز انيقدرفي قوله واختلاف الليل والنهار آيات وان كانت محذوفة من اللفظ وذلك انّ ذكره قد تقدّم في قوله ان في السماوات وقوله وفي خلقكم فلمّا تقدّم ذكر الجارّ في هذين قدّر فيه الإثبات في اللفظ وان كان محذوفاً منه كما قدّر سيبويه في قوله :

أَكُـلَّ أمـرِءٍ تَـحْـسَـبِـيـنَ أمـرءاً وَنـارٍ تَـأَجَّـجُ بـالـلَّـيْـلِ نـاراً

أنّ كل في حكم الملفوظ به واستغني عن اظهاره بتقدم ذكره ومما يؤكد هذه القراءة في أنّ آيات محمولة على انّ ما ذكر عن أبي انّه قرأ في المواضع الثلاثة لآيات فدخول اللامات تدلّ على انّ الكلام محمول على انّ وإذا كان محمولاً عليها حسن النصب وصار كلّ موضع من ذلك كأنّ انّ مذكورة فيه بدلالة دخول اللام لأن هذه اللام إنما تدخل على خبر إنّ او على اسمها ومما يجوز ان يتأوّل على ما ذكرنا قول الفرزدق .

وَبَاشَرَ رَاعِيهَا الصَّلا بِلَبَانِهِ وَكَفَّيْهِ حَرَّ النَّارِ مَا يَتَحَرَّف[١]

فهذا ان حملت الكلام على ظاهره كان عطفاً على عاملين على الفعل والباء ان قدرت ان الباء ملفوظ بها لتقدّم ذكرها صارت في حكم الثبات في اللفظ وإذا صار كذلك كان العطف على عامل واحد وهو الفعل دون الجارّ وكذلك قول الآخر :

أَوْصَيتُ مِنْ بَرَّةَ قَلْباً حرّاً بِالْكَلْبِ خَيْراً وَالحَمَاةِ شَرّاً[٢]

فإن قدّرت الجارّ في حكم المذكور لدلالة المتقدّم عليه لِمَ يكن عطفاً على عاملين كما لم يكن قولهُ واختلاف الليل والنهار لآيات كذلك وقد يخرج قولهُ واختلاف الليل والنهار آيات من ان يكون عطفاً على عاملين من وجه آخر وهو ان تقدّر قوله واختلاف الليل والنهار على في المتقدّم ذكرُها وتجعل آيات متكررة كرّرتها لما تراخى الكلام وطال كما قال بعض شيوخنا في قوله تعالى الم يعلموا انّه من يحادد الله ورسوله فأنّ له نار جهنم ان أنهي الاولى كررت وكما جاء فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به لما تراخى عن قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله وهذا النحو في كلامهم غير ضيّق .

[ **المعنى** ] ﴿**حَم**﴾ قد بيّنا ما قيل فيه وأجود الأقوال انّه اسم للسورة قال علي بن عيسى وفي تسمية السورة بحَم دلالة على ان هذا القرآن المعجز كلّه من حروف المعجم لأنه سمّي به ليدلّ عليه بأوصافه ومن اوصافه انه معجز وانّه مفصل قد فصّلت كلّ سورة من اختها وانه هدى ونور فكأنّه قيل هذا اسمه الدالّ عليه بأوصافه ﴿**تنزيل الكتاب من الله**﴾ اضاف التنزيل إلى نفسه في مواضع من السور استفتاحاً بتعظيم شأنه وتفخيم قدره بإضافته الى نفسه من اكرم الوجوه وأجلهّا وما اقتضى هذا المعنى لم يكن تكريراً فقد يقول القائل اللّهم اغفر لي اللهم ارحمني اللّهم عافني اللّهم وسّع عليّ في رزقي فيأتي بما يؤذن ان تعظيمه لربّه منعقد بكل ما يدعو به وقوله من الله يدلّ على انّ ابتداءه من الله تعالى ﴿**العزيز**﴾ اي القادر الذي لا يغالب ﴿**الحكيم**﴾ العالم الذي افعاله كلّها حكمة وصواب ﴿**انّ في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين**﴾ الذين يصدّقون بالله وبأنبيائه لأنّهم المنتفعون بالآيات وهي الدلالات والحجج الدالّة على انّ لهما مدبّراً صانعاً قادراً عالماً ﴿**في خلقكم وما يبثّ من**

---

(١) الصّلا : وسط الظهر من الناس ومن كل ذي اربع ـ الوقود ـ النار. واللبان بالفتح : الصدر ـ وفي نسختين يتحرق بدل يتحرف وتحرق اي وقع في النار وتحرف اي مال الى حرف اي إلى جانب.

(٢) برّة امرأة وهي جدة قريش ام النضر بن كنانة والحماة بالفتح : ام الزوجة وحماة المرأة ام زوجها اي اوصتني برة من قلب حرّ أو بقلب حرّ بالكلب خيراً وبالحماة شراً.

دابّة آيات﴾ معناه وفي خلقه إيّاكم بما فيكم من بدائع الصنعة وعجائب الخلقة وما يتعاقب عليكم من الاحوال من مبتدأ خلقكم في بطون الأمهّات إلى انقضاء الاجال وفي خلق ما يفرّق على وجه الأرض من الحيوانات على اختلاف اجناسها ومنافعها والمقاصد المطلوبة منها دلالات واضحات على ما ذكرناه ﴿لقوم يوقنون﴾ اي يطلبون علم اليقين بالتدبّر والتفكر ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ اي وفي ذهاب الليل والنهار ومجيئها على وتيرة واحدة وقيل معناه وفي اختلاف حالهما من الطول والقصر وقيل اختلافهما في انّ احدهما نور والآخر ظلمة ﴿وما انزل الله من السماء من رزق﴾ اراد به المطر الذي ينبت به النبات الذي هو رزق الخلائق فسمّاه رزقاً لأنّه سبب الرزق ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ اي فأحيا بذلك المطر الأرض بعد يبسها وجفافها ﴿وتصريف الرياح﴾ اي وفي تصريف الرياح يجعلها مرّة جنوباً وأخرى شمالاً ومرّةً صبا واخرى دبوراً عن الحسن وقيل يجعلها تارة رحمة وتارة عذاباً عن قتادة ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ وجوه الأدلّة ويتدبّرونها فيعلمون انّ لهذه الأشياء مدبّراً حكيماً قادراً عليماً حيّاً غنيّاً قديماً لا يشبهه شيء .

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾

[ القراءة ] قرأ اهل الكوفة غير حفص والأعشى والبرجمي وابن عامر ويعقوب تؤمنون بالتاء والباقون بالياء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قرأ بالياء انّ قبله غيبة وهو قوله لقوم يؤمنون ومن قرأ بالتاء فالتقدير قل لهم فبأيّ حديث بعد ذلك تؤمنون .

[ **المعنى** ] لمّا قدّم سبحانه ذكر الادلّة عقّب ذلك بالوعيد لمن اعرض عنها ولم يتفكر فيها فقال **﴿تلك آيات الله﴾** اي ما ذكرناه ادلة الله التي نصبها لخلقه المكلّفين **﴿نتلوها عليك﴾** اي نقرأها عليك يا محمد لتقرأها عليهم **﴿بالحقّ﴾** دون الباطل والتلاوة الإتيان بالثاني في أثرالأول في القراءة والحقّ الذي تتلى به الآيات هو كلام مدلوله على ما هو به في جميع انواعه **﴿فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾** معناه انّ هؤلاء الكفار إن لم يصدّقوا بما تلوناه عليك فبأيّ حديث بعد حديث الله وهو القرآن وآياته يصدّقون وبأيّ كلام ينتفعون وهذا اشارة إلى انّ المعاند لا حيلة له والفرق بين الحديث الذي هو القرآن وبين الآيات انّ الحديث قصص يستخرج منه الحق من الباطل والآيات هي الأدلة الفاصلة بين الصحيح والفاسد **﴿ويل لكل أفّاك أثيم﴾** الأفاك الفعّال من الإفك وهو الكذب ويطلق ذلك على من يكثر كذبه او يعظم كذبه وان كان في خبر واحد ككذب مسيلمة في ادعاء النبوة والاثيم ذو الإثم وهو صاحب المعصية التي يستحق بها العقاب والويل كلمة وعيد يتلقى بها الكفار وقيل هو وادٍ سائل من صديد جهنم ثم وصف سبحانه الأفاك الاثيم بقوله **﴿يسمع آيات الله تتلى عليه﴾** اي يسمع آيات القرآن التي فيها الحجة تقرأ عليه **﴿ثم يصرّ مستكبراً﴾** أي يقيم على كفره وباطله متعظماً عند نفسه عن الانقياد للحق **﴿كأن لم يسمعها﴾** اصلا في عدم القبول لها والاعتبار بها **﴿فبشّره بعذاب أليم﴾** أي مؤلم **﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً﴾** اي وإذا علم هذا الأفاك الأثيم من حججنا وادلّتنا شيئاً استهزأ بها ليرى العوامّ انه لا حقيقة لها كما فعله ابو جهل حين سمع قوله انّ شجرة الزقوم طعام الاثيم او كما فعله النضر بن الحارث حين كان يقابل القرآن بأحاديث الفرس **﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾** أي مذلّ مخز مع ما فيه من الألم **﴿من ورائهم جهنم﴾** أي من وراء ما هم فيه من التعزّز بالمال والدنيا جهنم ومعناه قدّامهم ومن بين أيديهم كقوله وكان وراءهم ملك ووراء اسم يقع على القدّام والخلف فيما توارى عنك فهو وراؤك خلفك كان أو أمامك **﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً﴾** اي لا يغني عنهم ما حصّلوا وجمعوه من المال والولد شيئاً من عذاب الله تعالى **﴿ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء﴾** من الآلهة التي عبدوها لتكون شفعاءهم عند الله **﴿ولهم﴾** مع ذلك **﴿عذاب عظيم﴾** .

﴿ هَـٰذَا هُـدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِـمْ لَهُـمْ

عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ
ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾
وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟
لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾
مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وحفص من رجز اليم بالرفع والباقون أليم بالجر وقرأ ابو جعفر ليجز بضم الياء وفتح الزاي وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف لنجزي بالنون وكسر الزاي والنصب وقرأ الباقون ليجزي بفتح الياء وكسر الزاي .

[ **الحجة** ] قال أبو علي الرجز العذاب فمن جرّ فالتقدير عذا بهم من عذاب اليم ومن رفع فالمعنى عذاب اليم من عذاب وفيه قولان (أحدهما) ان الصفة قد تجيء على وجه التأكيد كما انّ الحال قد تجيء كذلك وذلك نحو قوله نفخة واحدة ومناة الثالثة الأخرى وقولهم امس الدّابر قال:

وَأَبِي الَّذِي تَرَكَ المُلُوكَ وَجَمْعَهُمْ   بِفِعَال هَامِدَة كَأَمْسِ الدَّابِرِ[1]

(والآخر) انّه محمول على انه بمعنى الرجس الذي هو النجاسة على البدل للمقاربة ومعنى النجاسة فيه قوله ويسقى من ماء صديد يتجرّعه ولا يكاد يسيغه فكأنّ المعنى لهم عذاب من تجرّع رجس أو شرب رجس فتكون من تبييناً للعذاب مِمّ هو؟ ومن قرأ ليجزي بالياء فحجّته انّ ذكر الله قد تقدّم في قوله لا يرجون أيام الله فيكون فاعل يجزي ومن قرأ بالنون فالنون في معنى الياء وان كانت الياء اشدَّ مطابقةً لما في اللفظ ومن قرأ ليجزي قوماً

(١) الهامدة: البالية المتقطعة.

فقال أبو عمرو انه لحسن ظاهر وذكر انّ الكسائي قال ان معناه ليجزي الجزاء قوماً قال الجامع البصير معناه لِيُجزي الخير قوماً فأضمر الخير لدلالة الكلام عليه وليس التقدير ليجزي الجزاء قوماً لأن المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح فإذا الخبر مضمر كما اضمر الشمس في قوله حتى توارت بالحجاب لأنّ قوله إذ عرض عليه بالعشي يدل على تواري الشمس .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿**هذا هدىً**﴾ أي هذا القرآن الذي تلوناه والحديث الذي ذكرناه هدىً أي دلالة موصلة إلى الفرق بين الحق والباطل من أمور الدين والدنيا ﴿**والذين كفروا بآيات ربهم**﴾ وجحدوها ﴿**لهم عذاب من رجز اليم**﴾ مرّ معناه ثم نبه سبحانه خلقه على وجه الدلالة على توحيده فقال ﴿**الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره**﴾ أي جعله على هيئته[1] لتجري السفن فيه ﴿**ولتبتغوا من فضله**﴾ أي ولتطلبوا بركوبه في اسفاركم من الارباح بالتجارات ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾ له هذه النعمة ﴿**وسخرّ لكم ما في السماوات وما في الارض**﴾ اي سخر لكم مع ذلك معاشر الخلق ما في السماوات من الشمس والقمر والنجوم والمطر والثلج والبَرَد وما في الأرض من الدوابّ والاشجار والنبات والاثمار والانهار ومعنى تسخيرها لنا انّه تعالى خلقها جميعاً لانتفاعنا بها فهي مسخرّة لنا من حيث انّا ننتفع بها على الوجه الذي نريده وقوله ﴿**جميعاً منه**﴾ قال ابن عباس أي كل ذلك رحمة منه لكم قال الزجاج كلّ ذلك منه تفضّل وإحسان ويحسن الوقف على قوله جميعاً ثم يقول منه أي ذلك التسخير منه لا من غيره فهو فضله واحسانه وروي عن ابن عباس وعبد الله بن عمر والجحدري انهم قرأوا مَنّةً منصوبة ومنوّنة وعلى هذا فيكون من باب تبسّمت وميض البرق فكأنه قال منّ عليهم مَنّةً وروي عن سلمة انه قرأ مَنّة بالرفع وعلى هذا فيكون خبر مبتدأ محذوف اي ذلك منّة أو هو منّة أو يكون على معنى سخر لكم ذلك منّة ﴿**إن في ذلك لآيات**﴾ اي دلالات ﴿**لقوم يتفكرون**﴾ ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**للذين آمنوا يغفروا**﴾ هذا جواب امر محذوف دل عليه الكلام وتقديره قل لهم اغفروا يغفروا فصار قل لهم على هذا الوجه يغني عنه عن عليّ بن عيسى وقيل معناه قل للذين آمنوا اغفروا ولكنه شبّه بالشرط والجزاء كقوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة عن الفراء وقيل يغفروا تقديره يا هؤلاء اغفروا فحذف المنادي كقوله ألا يا اسجدوا لله وقول الشاعر «ألا يا اسلمي ذات الدّماليج والعِقد»[2] ﴿**للذين لا يرجون ايّام الله**﴾ اي لا يخافون عذاب الله إذا

(١) وفي نسخة على هيئة تجري السفن فيه وفي أخرى على هيئة لتجري . . والأول هو الصواب.

(٢) جمع الدملوج: حليّ يلبس في المعصم والعقد: القلادة .

نالوكم بالأذى والمكروه ولا يرجون ثوابهُ بالكفّ عنكم وقد مرَّ تفسير ايّام الله عند قوله وذكرهم بأيّام الله ومعنى يغفروا هاهنا يتركوا مجازاتهم على اذاهم ولا يكافؤوهم ليتولىّ الله مجازاتهم ﴿**ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون**﴾ بيان هذا الجزاء في الآية التي تليها وهو قوله ﴿**من عمل صالحاً**﴾ اي طاعة وخيراً وبرّاً ﴿**فلنفسه**﴾ لأنّ ثواب ذلك يعود عليه ﴿**ومن أساء فعليها**﴾ اي فوبال اساءته على نفسه ﴿**ثم إلى ربكم ترجعون**﴾ يوم القيامة اي إلى حيث لا يملك احد النفع والضرّ والنهي والأمر غيره سبحانه فيجازي كل إنسان على قدر عمله.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

[ **المعنى** ] لمّا تقدّم ذكر النعمة ومقابلتهم إياها بالكفر والطغيان بيّن عقيب ذلك ذكر ما كان من بني إسرائيل أيضاً في مقابلة النعم من الكفران فقال: ﴿**ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب**﴾ يعني التوراة ﴿**والحكم**﴾ يعني العلم بالدين وقيل العلم بالفصل بين الخصمين وبين المحقّ والمبطل ﴿**والنبوّة**﴾ اي وجعلنا فيهم البنوّة حتّى روي انّه كان فيهم الف نبيّ ﴿**ورزقناهم من الطيبات**﴾ أي واعطيناهم من انواع الطيّبات ﴿**وفضّلناهم على العالمين**﴾ اي عالمي زمانهم وقيل فضّلناهم في كثرة الانبياء منهم على سائر الأمم وإن كانت امّة محمد ﷺ أفضل منهم في كثرة المطيعين لله وكثرة العلماء منهم كما يقال هذا افضل في علم النحو

وذاك في علم الفقه فأمّة محمد ﷺ افضل في علوّ منزلة نبيّها عند الله على سائر الأنبياء وكثرة المجتبين الاخيار من آله وامتّه والفضل الخير الزائد على غيره فأمة محمد ﷺ افضل بفضل محمد وآله **﴿وآتيناهم بيّنات من الأمر﴾** اي أعطيناهم دلالات وبراهين واضحات من العلم بمبعث محمد ﷺ وما بيّن لهم من امره وقيل يريد بالامر احكام التوراة **﴿فما اختلفوا إلا من بعدما جاءهم العلم﴾** اي من بعد ما انزل الله الكتب على انبيائهم واعلمهم بما فيها **﴿بغياً بينهم﴾** أي طلباً للرئاسة وأَنَفَةً من الإذعان للحق وقيل بغياً على محمد ﷺ في جحود ما في كتابهم من نبوته وصفته **﴿إنّ ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾** ظاهر المعنى **﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾** أي ثم جعلناك يا محمد على دين ومنهاج وطريقة يعني بعد موسى وقومه والشريعة السنة التي من سلك طريقها ادّته إلى البُغية كالشريعة التي هي طريق إلى الماء فهي علامة منصوبة على الطريق من الأمر والنهي يؤدّي إلى الجنة كما يؤدّي ذلك إلى الوصول إلى الماء **﴿فاتّبعها﴾** اي اعمل بهذه الشريعة **﴿ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون﴾** الحق ولا يفصلون بينهُ وبين الباطل من اهل الكتاب الذين غيروا التوراة اتباعاً لهواهم وحبّاً للرئاسة واستتباعاً للعوام ولا المشركين الذين اتبعوا اهواءهم في عبادة الأصنام **﴿انّهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً﴾** اي لن يدفعوا عنك شيئاً من عذاب الله ان اتبعتَ اهواءهم(١) **﴿وانّ الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾** يعني انّ الكفار بأجمعهم متّفقون على معاداتك وبعضهم انصار بعض عليك **﴿والله وليّ المتقين﴾** اي ناصرهم وحافظهم فلا تشغل قلبك بتناصرهم وتعاونهم عليك فإن الله ينصرك عليهم ويحفظك **﴿هذا بصائر للناس﴾** أي هذا الذي انزلته عليك من القرآن بصائر اي معالم في الدين وعظات وعبرِ للناس يبصرون بها من امور دينهم **﴿وهدىً﴾** أي دلالة واضحة **﴿ورحمة﴾** اي ونعمة من الله **﴿لقوم يوقنون﴾** بثواب الله وعقابه لأنهم هم المنتفعون به .

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ

(١) وفي نسخة : ان اتبعت اهواءهم في عبادة الأصنام .

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ
هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ
بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟
مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم
بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر وروح وزيد سواء بالنصب والباقون بالرفع وقرأ اهل الكوفة غير عاصم غشوة بفتح الغين بغير الف والباقون غشاوة بالألف .

[ **الحجة** ] قال ابو علي ليس الوجه في الآية نصب سواء على ان تجريه على ما قبله على حدّ قولك مررت برجل ضارب ابوه وبزيد خارجاً أخوه لأنه ليس باسم فاعل ولا مشبّه به مثل حسن وشديد ونحو ذلك إنما هو مصدر فلا ينبغي ان يجري على ما قبله كما يجري اسم الفاعل وما شبّه به لتعرّيه من المعاني التي اعمل فاعل وما شبّه بـه عمل الفعـل ومن قال مررت برجل خير منه أبوه وسرج خزّ صفته وبرجل مئة أبله استجاز ان يجري سواء أيضاً على ما قبله كما اجرى الضرب الاول فأما من قرأ سواءٍ بالنصب فإنّ انتصابه يحتمل ثلاثـة اوجه (احدها) ان يجعل المحيا والممات بدلاً من الضمير المنصوب في نجعلهم فيصير التقدير ان نجعل محياهم ومماتهم سواء فينتصب سواء على انه مفعول ثانٍ لنجعل ويكون انتصاب سواء على هذا القول حسناً لأنه لم يرفع مظهراً ويجوز أيضاً ان يجعل محياهم ومماتهم ظرفين من الزمان فيكون كذلك ايضاً ويجوز ان يعمل في الظرفين احد شيئين (أحدهما) ما في سواء من معنى الفعل كأنّه يستوون في المحيا والممات (والآخر) ان يكون العـامل الفعـل ولم يُعلم الكوفيون الذين نصبوا سواء نصبوا الممات فإذا لم ينصبوه كان النصب في سـواء على غير هذا الوجه وغير هذا الوجه لا يخلو من أن ينتصب على انه حال او على انه المفعول الثاني

لنجعل وعلى ايّ هذين الوجهين حملته فقد اعملته عمل الفعل فرفعت به المظهر فإن جعلته حالاً امكن ان يكون الحال من الضمير في نجعلهم ويكون المفعول الثاني قوله كالذين آمنوا فإذا جعلت قوله كالذين آمنوا المفعول الثاني امكن ان يكون سواء منتصباً على الحال مما في قوله كالذين آمنوا من معنى الفعل فيكون ذو الحال الضمير المرفوع في قوله كالذين آمنوا وهذا الضمير يعود إلى الضمير المنصوب في نجعلهم وانتصابه على الحال من هذين الوجهين ويجوز ان لا يجعل قوله كالذين آمنوا المفعول الثاني ولكن يجعل المفعول الثاني قوله سواء محياهم ومماتهم فيكون جملة في موضع نصب بكونها في موضع المفعول الثاني لنجعل ويجوز فيمن قال مررت برجل مائة ابله فاعمل المائة عمل الفعل ان ينصب سواء على هذا الوجه أيضاً ويرتفع به المحيا كما جاز ان يرتفع به إذا قدّرت الجملة في موضع الحال والحال في الجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم يكون من جعل ويكون مما في قوله كالذين من معنى الفعل وقد قيل في الضمير في قوله محياهم ومماتهم قولان (أحدهما) انه ضمير الكفار دون الذين آمنوا فكان سواء على هذا القول مرتفعاً بأنّه خبر مبتدأ مقدّم تقديره محياهم ومماتهم سواء اي محياهم محيا سوء ومماتهم ممات سوء ولا يكون النصب على هذا في سواء لأنّه اثبات في الاخبار بأنّ محياهم ومماتهم يستويان في الذمّ والبعد من رحمة الله (والقول الآخر) انّ الضمير في محياهم ومماتهم للقبيلين فإذا كان كذلك جاز ان ينتصب سواء على انّه المفعول الثاني من نجعل فيمن استجاز ان يعمله في الظاهر لأنه يلتبس بالقبيلين جميعاً وليس في الوجه الأول كذلك لأنّه للكفّار دون المؤمنين ولا يلتبس للمؤمنين من حيث كان للكفار من دونهم ولا يجوز ان ينتصب سواء ولم يكن فيه إلا الرفع ويكون على هذا الوجه قوله كالذين آمنوا وعملوا الصالحات في موضع المفعول الثاني وسواء محياهم استئناف ولا يكون في موضع حال من قوله كالذين آمنوا لأنه لا يلتبس بهم والقول في غشوة وغشاوة مذكور في سورة البقرة .

[ **اللّغة** ] الاجتراح الإكتساب يقال جرح واجترح وكسب واكتسب وفلان جارحة قومه أي كاسبة قومه وأصله من الجراح لأن لذلك تأثيراً كتأثير الجراح ومثله الإقتراف وهو مشتقٌ من قرف[1] القرحة والسيئة الفعلة القبيحة التي تسوء صاحبها باستحقاق الذمّ عليها والحسنة هي التي تُسر صاحبها باستحقاق المدح عليها قال عليّ بن عيسى : القبيح ما ليس للقادر عليه أن يفعله والحسن هو ما للقادر عليه أن يفعله وكل فعل وقع لا لأمر من الأمور فهو لغو لا ينسب إلى الحكمة ولا إلى السفه .

(١) قرف القرحة يقرفها: قشَرها بعد يبسها .

[ المعنى ] ثم قال سبحانه للكفار على سبيل التوبيخ لهم ﴿**أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ معناه بل أحسنت وهذا استفهام انكار وقيل ان هذا معطوف على معنى مضمر تقديره هذا القرآن بصائر للناس مؤدّية إلى الجنة أفعلموا ذلك أم حسب الذين اكتسبوا الشرك والمعاصي ان نجعل منزلتهم منزلة الذين صدقوا الله ورسوله وحقّقوا أقوالهم بأعمالهم ﴿**سواء محياهم ومماتهم**﴾ اي يستوي محيا القبيلين ومماتهم يعني أحسبوا ان حياتهم ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم ﴿**ساء ما يحكمون**﴾ أي ساء ما حكموا على الله تعالى فإنّه لا يسوّي بينهم ولا يستقيم ذلك في العقول بل ينصر المؤمنين في الدنيا ويمكّنهم من المشركين ولا ينصر الكافرين ولا يمكنهم من المسلمين وينزل الملائكة عند الموت على المؤمنين بالبشرى وعلى الكافرين يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل اراد محياهم بعد البعث ومماتهم عند حضور الملائكة لقبض أرواحهم وقيل اراد انّ المؤمنين محياهم على الإيمان والطاعة ومماتهم على الإيمان والطاعة ومحيا المشركين على الشرك والمعصية ومماتهم كذلك فلا يستويان عن مجاهد وقيل ان الضمير في مماتهم ومحياهم للكفار والمعنى انهم يتساوون في حال كونهم احياء وفي حال كونهم أمواتاً لأنّ الحي متى لم يفعل الطاعة فهو بمنزلة الميت ثم قال سبحانه ﴿**وخلق الله السموات والأرض بالحق**﴾ أي لم يخلقهما عبثاً وإنما خلقهما لنفع خلقة بأن يكلّفهم ويعرضهم للثواب الجزيل ﴿**ولتجزى كلّ نفس بما كسبت**﴾ من ثواب على طاعة او عقاب على معصية ﴿**وهم لا يظلمون**﴾ اي لا يبخسون حقوقهم ثم قال ﴿**أفرأيت**﴾ يا محمد ﴿**من اتخذ إلّهه هواه**﴾ اي اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئاً إلا ركبه لأنّه لا يؤمن بالله ولا يخافةُ فاتّبع هواه في أموره ولا يحجزه تقوى عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل معناه من اتخذ معبوده ما يهواه دون ما دلّت الدلالة على انّ العبادة تحقق لـه فإذا استحسن شيئاً وهواه اتخذه إلّهاً وكان احدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو احسن منه رمى به وعبد الآخر عن عكرمة وسعيد بن جبير وقيل معناه افرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلّهه ومعبوده ويرتكب ما يدعوه اليه ولم يرد انه يعبد هواه ويعتقد انهّ تحق لهُ العبادة لأنّ ذلك لا يعتقده احد عن علي بن عيسى قد ايس الله رسوله من إيمانه هؤلاء بهذا ﴿**وأضلهّ الله على علم**﴾ أي خذله الله وخلّاه وما اختاره جزاء له على كفره وعناده وترك تدبرّه على علم منه باستحقاقه لذلك وقيل اضله الله أي وجده ضالاً على حسب ما علمه فخرج معلومه على وفق ما علمه كما يقال احمدت فلاناً أي وجدته حميداً وكقول عمرو بن معد يكرب قاتلناهم فما أجْبَنّاهم وسألناهم فما ابخلناهم وقاولناهم فما افحمناهم اي ما وجدناهم كذلك وقيل معناه انه ضلّ عن الله كما قال :

هَبُوني امْرَءاً مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعيرُهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمَامَ كَبيرٌ

أي ضلّ عنه بعيره ﴿**وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة**﴾ فسّرناه في سورة البقرة ﴿**فمن يهديه من بعد الله**﴾ أي من بعد هداية الله إياه والمعنى إذا لم يهتد بهدى الله بعد ظهوره ووضوحه فلا طمع في اهتدائه ﴿**أفلا تذكرون**﴾ أي أفلا تتعظون بهذه المواعظ وهذا استبطاء بالتذكر منهم اي تذكّروا واتعظوا حتى تحصلوا على معرفة الله تعالى ثم اخبر سبحانه عن منكري البعث فقال ﴿**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا**﴾ اي ليس الحياة إلا حياتنا التي تحن فيها في دار الدنيا ولا يكون بعد الموت بعث ولا حساب ﴿**نموت ونحيا**﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) انّ تقديره نحيا ونموت فقدّم وأخرّ (والثاني) انّ معناه نموت ونحيي أولادنا (والثالث) يموت بعضنا ويحيا بعضنا كما قال فاقتلوا أنفسكم اي ليقتل بعضكم بعضاً ﴿**وما يهلكنا إلا الدهر**﴾ أي وما يميتنا إلّا الأيام والليالي اي مرور الزمان وطول العمر انكاراً منهم للصانع ﴿**وما لهم بذلك من علم**﴾ نفي سبحانه عنهم العلم أي انما ينسبون ذلك إلى الدهر لجهلهم ولو علموا انّ الذي يميتهم هو الله وانه قادر على احيائهم لما نسبوا الفعل إلى الدهر ﴿**إنّهم إلا يظنون**﴾ أي ما هم فيما ذكروه إلا ظانّون وإنما الأمر بخلافه وقد روي في الحديث عن النبي ﷺ انه قال لا تسبّوا الدّهر فإن الله هو الدهر وتأويله انّ اهل الجاهلية كانوا ينسبون الحوادث المجحفة والبلايا النازلة الى الدهر فيقولون فعل الدهر كذا وكانوا يسبّون الدهر فقال ﷺ ان فاعل هذه الأمور هو الله تعالى فلا تسبّوا فاعلها وقيل معناه فإنّ الله مصرّف الدهر ومدبره والوجه الأول أحسن فإنّ كلامهم مملوء من ذلك ينسبون افعال الله إلى الدهر قال الاصمعي ذمّ اعرابي رجلاً فقال هو أكثر ذنوباً من الدهر وقال كثير .

وَكُنْتُ كَذي رِجلَيْنِ رِجْلٍ صَحيحَةٍ ورِجْلٍ رَمى فيهَا الزَّمانُ فَشَلَّتِ

وقال آخر :

فَاسْتَأْثَرَ الدَّهْرُ الْغَداةَ بِهِمْ وَالدَّهْرُ يَرْميني ومَا أُرْمي
يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجْعَتَنَا بَسَراتِنا وَوَقَرْتَ في الْعَظْمِ[١]

ثم قال سبحانه ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات**﴾ أي إذا قرأت عليهم حججنا ظاهرات ﴿**ما كان حجتهم إلا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين**﴾ أي لم يكن لهم في مقابلتها حجةّ

---

(١) السراة بالفتح جمع السرى وهوالسيد الشريف السخي وصاحب المروة في شرف وهو جمع نادر ووقر العظم يقره اي صدعه .

إلا مقالتهم ان كنتم صادقين في ان الله يعيد الأموات ويبعثهم يوم القيامة فأتوا بآبائنا وآحيُوهم حتى نعلم نعلم ان الله قادر على بعثنا وإنما لم يجبهم الله إلى ذلك لأنهم قالوا ذلك متعنتين مقترحين لا طالبين الرشد .

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ يعقوب كلّ أمةً تدعى إلى كتابها بفتح اللام والباقون بالرفع .

[ **الحجة** ] الوجه في نصبه انه بدل من الاول وفي الثاني من الايضاح ما ليس في الأول لأنّ فيه ذكر السبب الداعي الى الجثوّ فلذلك جاز ابداله منه وتكون تدعى في موضع نصب على الحال او على انّه مفعول ثان على تفصيل معنى ترى .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ راداً على الكفار قولهم فقال **﴿قل﴾** يا محمد **﴿الله يحييكم﴾** في دار الدنيا لأنّه لا يقدر على الإحياء احد سواه لأنه القادر لنفسه **﴿ثم يميتكم﴾** عند انقضاء آجالكم **﴿ثم يجمعكم إلى يوم القيامة﴾** بأن يبعثكم ويعيدكم احياء **﴿لا ريب فيه﴾** اي لا شك فيه لقيام الحجة عليه وإنما احتج بالإحياء في دار الدنيا لأنّ من قدر على فعل الحياة في وقت قدر على فعلها في كل وقت ومن عجز عن ذلك في وقت مع ارتفاع الموانع المعقولة وكونه حيا عجز عنه في كلّ وقت **﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾** ذلك بعدولهم عن النظرالموجب للعلم بصحته **﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾** وهو قادر على البعث والإعادة **﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾** العادلون عن الحق

الفاعلون للباطل انفسهم وحياتهم في الدنيا لا يحصلون من ذلك إلّا على عذاب دائم ﴿وترى كل امة جاثية﴾ أي وترى يوم القيامة اهل كلّ ملة باركة على ركبها عن ابن عباس وقيل باركة مستوفزة[١] على ركبها كهيئة قعود الخصوم بين يدي القضاة عن مجاهد والضحاك وابن زيد وقيل ان الجثوّ للكفار خاصةً وقيل هو عامّ للكفار والمؤمنين ينتظرون الحساب ﴿كلّ امّة تدعى إلى كتابها﴾ أي كتاب اعمالها الذي كان يستنسخ لها وقيل إلى كتابها المنزل على رسولها ليسئلوا عما عملوا به ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ اي يقال لهم ذلك ﴿هذا كتابنا﴾ يعني ديوان الحفظة ﴿ينطق عليكم بالحق﴾ اي يشهد عليكم بالحق والمعنى يبيّنه بياناً شافياً حتى كأنه ناطق ﴿انا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ اي نستكتب الحفظة ما كنتم تعملون في دار الدنيا والإستنساخ الأمربالنسخ مثل الإستكتاب الأمر بالكتابة وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضي فيه من خير وشرّ وعلى هذا فيكون معنى نستنسخ ان الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو مدوّن عندها من احوال العباد وهو قول ابن عباس ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربّهم في رحمته﴾ اي جنّته وثوابه ﴿ذلك هو الفوز المبين﴾ اي الفلاح الظاهر.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَـٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمًا
مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم
مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾
وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ
ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَـٰتِ

(١) استوفز في قعدته قعد منتصباً غيرمطمئن او وضع ركبتيه ورفع اليتيه او استقل على رجليه ولما يستو قائماً وقد تهيأ للوثوب.

ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة وحده والساعة بالنصب والباقون بالرفع .

[ **الحجة** ] قال أبو علي الرفع على وجهين (أحدهما) أن يقطع من الأول فيعطف جملة على جملة (والآخر) ان يكون محمولاً على موضع ان وما عملت فيه وموضعهما رفع واما النصب فمحمول على لفظ انّ وموضع لا ريب فيها رفع بأنه في موضع خبر انّ وقد عاد الذكر إلى الاسم فكأنه قال والساعة حق لان قوله لا ريب فيها في معنى حق قال ابو الحسن والرفع أجود في المعنى وأكثر في كلام العرب إذا جاء بعد خبر إن اسم معطوف ويقوّيه قوله إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

[ **المعنى** ] ثم عقّب سبحانه الوعد بالوعيد فقال ﴿**واما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم**﴾ أي فيقال لهم افلم تكن حججي وبيّناتي تقرأ عليكم من كتابي ﴿**فاستكبرتم**﴾ أي تعظمتم عن قبولها ﴿**وكنتم قوماً مجرمين**﴾ أي كافرين كما قال أفنجعل المسلمين كالمجرمين والفاء في قوله أفلم تكن دالة على جواب اما المحذوف ﴿**وإذا قيل انّ وعد الله حق**﴾ اي ان ما وعد الله به من الثواب والعقاب كائن لا محالة ﴿**والساعة لا ريب فيها**﴾ اي وان القيامة لا شك في حصولها ﴿**قلتم**﴾ معاشر الكفار ﴿**ما ندري ما الساعة**﴾ وانكرتموها ﴿**ان نظنّ إلا ظناً**﴾ ونشك فيه ﴿**وما نحن بمستيقنين**﴾ في ذلك ﴿**وبدا لهم سيئات ما عملوا**﴾ أي ظهرلهم جزاء معاصيهم التي عملوها ﴿**وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون**﴾ أي جزاء استهزائهم ﴿**وقيل اليوم ننساكم**﴾ أي نترككم في العقاب ﴿**كما نسيتم لقاء يومكم هذا**﴾ اي تركتم التأهب للقاء يومكم هذا عن ابن عباس وقيل معناه نحلّكم في العذاب محل المنسي كما احللتم هذا اليوم عندكم محلّ المنسي ﴿**ومأواكم النار**﴾ اي مستقركم جهنم ﴿**وما لكم من ناصرين**﴾ يدفعون عنكم عذاب الله ﴿**ذلكم**﴾ الذي فعلنا بكم ﴿**بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً**﴾ اي سخرية تسخرون منها ﴿**وغرّتكم الحياة والدنيا**﴾ اي خدعتكم بزينتها فاغتررتم بها ﴿**فاليوم لا يخرجون منها**﴾ اي من النار وقرأ اهل الكوفة غير عاصم يخرجون

بفتح الياء كما في قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها **﴿ولا هم يستعتبون﴾** أي لا يطلب منهم العتبى والاعتذار لأنّ التكليف قد زال وقيل معناه لا يقبل منهم العتبى ثم ذكر سبحانه عظمته فقال **﴿فلِلهِ الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين﴾** أي الشكرالتام والمدحةالتي لا يوازيها مدحة لله الذي خلق السماوات والأرض ودبّرهما وخلق العالمين **﴿وله الكبرياء﴾** اي السلطان القاهر والعظمة القاهرة والعلّو والرفعة **﴿في السماوات والأرض﴾** لا يستحقهما أحد سواه وفي الحديث يقول الله سبحانه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة منهما القيته في جهنم **﴿وهو العزيز﴾** في جلاله **﴿الحكيم﴾** في افعاله وقيل العزيز في انتقامه من الكفار والحكيم فيما يفعله بالمؤمنين والاخيار .

# (٤٦) سورة الأحقاف مكية وآياتها خمس وثلاثون

مكية قال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة قل ارأيتم ان كان من عند الله الآية نزلت في عبد الله بن سلام .

[ **عدد آيها** ] خمس وثلاثون آية كوفي اربع في الباقين .

[ **اختلافها** ] آية حم كوفي .

[ **فضلها** ] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الاحقاف اعطي من الاجر بعدد كل رمل في الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وعن عبد الله بن أبي يعقوب عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ كل ليلة او كل جمعة سورة الاحقاف لم يصبه الله بروعة في الدنيا وآمنه من فزعه يوم القيامة .

[ **تفسيرها** ] لمّا ختم الله تلك السورة بذكر التوحيد وذمّ اهل الشرك والوعيد افتتح هذه السورة ايضاً بالتوحيد ثم بالتوبيخ لاهل الكفر من العبيد فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي
بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾
وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ علي (ع) وابو عبد الرحمن السلمي اواثرة بسكون الثاء من غير الف وقرأ ابن عباس بخلاف وعكرمة وقتادة اواثرة بفتحتين والقراءة المشهورة أو اثارة بالألف.

[ **الحجة** ] قال ابن جني الاثرة والاثارة البقية وهي مايؤثر من قولهم اثر الحديث يأثُرهُ أثراً وأثْرة ويقولون هل عندك من هذا أثرة واثارة اي اثر ومنه سيف مأثور أي عليه اثر الصنعة وطريق العمل واما الاثرة ساكنة الثاء فهي ابلغ معنى وذلك انها الفعلة الواحدة من هذا الاصل فهي كقولهم إئتوني بخبر واحد أو حكاية شاذة اي قنعت في الاحتجاج لكم بهذا الاصل على قلته.

[ **المعنى** ] **﴿حمٓ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾** مر تفسيره **﴿ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾** اي ما خلقناهما عبثاً ولا باطلا وإنما خلقناهما لنتعبد سكانهما بالأمر والنهي ونعرضهم للثواب وضروب النعم فنجازيهم في الآخرة باعمالهم **﴿واجل مسمى﴾** يعني يوم القيامة فإنه اجل مسمى عنده مطوي عن العباد علمه إذا انتهى اليه تناهى وقامت القيامة وقيل هو مسمى للملائكة وفي اللوح المحفوظ **﴿والذين كفروا عما انذروا معرضون﴾** اي ان الكافرين عما انذروا من القيامة والجزاء معرضون عادلون عن التفكر فيه **﴿قل﴾** لهواء الذين كفروا بالله **﴿أرأيتم ما تدعون من دون الله﴾** من الاصنام **﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾** فاستحقوا بخلق ذلك العبادة الشكر **﴿ام لهم شرك في السماوات﴾** اي في خلقها وتقديره ام لهم شرك ونصيب في خلق السماوات ثم قال قل لهم **﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا، القرآن﴾** انزله الله يدل على صحة قولكم **﴿أو أثارة من علم﴾** اي بقية من علم يؤثر من كتب الأولين يعلمون به انهم شركاء الله **﴿إن كنتم صادقين﴾** فيما تقولون عن مجاهد وقيل او اثارة من علم اي خبر من الأنبياء عن عكرمة ومقاتل وقيل هو الخط اي بكتاب مكتوب عن ابن عباس وقيل خاصة من علم اوثرتم بها عن قتادة والمعنى

فهاتوا احدى هذه الحجج الثلاث اولاها دليل العقل والثانية الكتاب والثالثة الخبر المتواتر فإذا لم يمكنهم شيء من ذلك فقد وضح بطلان دعواهم ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة**﴾ اي من اضل عن طريق الصواب ممن يدعو من دون الله شيئاً لو دعاه الى يوم القيامة لم يجبه ولم يغثه والمراد لا يستجيب له ابداً ﴿**وهم عن دعائهم غافلون**﴾ اي ومن يدعونهم مع ذلك لا علم لهم بدعائهم ولا يسمعون دعاءهم وإنما كنّى عن الاصنام بالواو والنون لما اضاف اليها ما يكون من العقلاء كقوله رأيتهم لي ساجدين .

﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ
لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا
بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى
وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾

[ **اللغة** ] الآية الدلالة التي تدل على ما يتعجب منه قال :

بِـآيَـةِ تَـقْـدُمُـونَ الـخَـيْـلَ زَوْراً     كَـأَنَّ عَـلىٰ سَنـٰابِكِهـا مُـدٰامـا[١]

(١) قدُمَ القومَ يقدُمهم قدوماً: سبقهم؛ والزور ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين. مقصوده أن تقدمهم على الخيل بتقدم =

أفاض القوم في الحديث إذا مضوا فيه وأصل الإفاضة الدفع وأفاضوا من عرفات اندفعوا منها وحديث مفاض ومستفاض ومستفيض أي جار شائع والبدع والبديع بمعنى وهو بدع من قوم ابداع قال عدي بن زيد :

فَلا أَنا بِدْعٌ مِنْ حَوادِثَ تَعْتَري ... رِجالاً عَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسٍ وَأَسْعُدِ(١)

[ النزول ] قيل نزلت الآية الأخيرة في عبد الله بن سلام وهو الشاهد من بني إسرائيل فروي أن عبد الله بن سلام جاء إلى النبي ﷺ فأسلم وقال يا رسول الله سل اليهود عني فإنهم يقولون هو أعلمنا فإذا قالوا ذلك قلت لهم ان التوراة دالَّة على نبوتك وإنّ صفاتك فيها واضحة فلما سألهم قالوا ذلك فحينئذ أظهر عبد الله بن سلام إيمانه فكذّبوه .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه أنه إذا قامت القيامة صارت آلهتهم التي عبدوها أعداء لهم فقال ﴿ **وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء** ﴾ وكذلك قوله ويكونون عليهم ضدّاً ﴿ **وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ يعني أنّ هذه الأوثان التي عبدوها ينطقها الله حتى يجحدوا أن يكونوا دعوا إلى عبادتها ويكفروا بعبادة الكفار ويجحدوا ذلك ثم وصفهم الله سبحانه فقال ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم** ﴾ أي للقرآن والمعجزات التي ظهرت على يد النبي ﷺ ﴿ **هذا سحر مبين** ﴾ أي حيلة لطيفة ظاهرة وخداع بيّن ﴿ **أم يقولون افتراه قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **إن افتريته** ﴾ أي ان كذبت على الله واختلقت القرآن كما زعمتم ﴿ **فلا تملكون لي من الله شيئاً** ﴾ أي إن كان الأمر على ما تقولون إني ساحر مفتر فلا يمكنكم أن تمنعوا الله مني إذا أراد إهلاكي على افترائي عليه والمراد كيف افتري على الله من أجلكم وأنتم لا تقدرون على دفع عقابه عني أن افتريت عليه ﴿ **هو أعلم بما تفيضون فيه** ﴾ أي إن الله أعلم بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب به والقول فيه أنه سحر ﴿ **كفى به شهيداً بيني وبينكم** ﴾ أن القرآن جاء من عنده ﴿ **وهو الغفور الرحيم** ﴾ في تأخير العقاب عنكم حين لا يعجل بالعقوبة قال الزجاج هذا دعاء لهم إلى التوبة أي من أتى من الكبائر مثل ما أتيتم به من الافتراء على الله وعليّ ثم تاب فإن الله غفور له رحيم به ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **ما كنت بدعا من الرسل** ﴾ أي لست بأول رسول بعث عن

---

= صدورهم على صدورها حال كون سنابكها محمرّة من الدم كأنه انصبّت عليها الخمر وهي شديدة العدو آية عجيبة وفي نسخة شعثاً بدل زوراً .

(١) عراه واعتراه بمعنى أصابه وأسعد جمع سعد وهو اليمن وضد النحس . يقول: لست أنا بأول من أصابته الحوادث مع أنها تصيب رجالاً قد أصابتهم في السعد من البخت والبؤس منه .

ابن عباس ومجاهد وقتادة والبدع الأول من الأمر ﴿ **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم** ﴾ أي لا أدري أأموت أم أقتل ولا أدري أيّها المكذّبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم ليس يفعل بكم ما فعل بالأمم المكذّبة وهذا إنما هو في الدنيا وأما في الآخرة فإنه قد علم أنّه في الجنة وأنّ من كذّبه في النار عن الحسن والسدّي وقيل: معناه لست أدّعي غير الرسالة ولا أدّعي علم الغيب ولا معرفة ما يفعله الله تعالى بي ولا بكم في الإحياء والإماتة والمنافع والمضارّ إلا أن يوحى إلي عن أبي مسلم وقيل ما أدري ما أؤمر به ولا ما تؤمرون به عن الضحاك وقيل ما أدري أأترك بمكة أم أخرج منها بأن أومر بالتحول عنها إلى بلد آخر وما أدري أأومر بقتالكم أو بالكفّ عن قتالكم وهل ينزل بكم العذاب أم لا ﴿ **ان اتّبع إلّا ما يوحى إليّ** ﴾ أي لست اتبع في أمركم من حرب أو سلم أو أمر أو نهي إلا ما يوحي الله إليّ وما يأمرني به ﴿ **وما أنا إلا نذير مبين** ﴾ أي مخوّف لكم ظاهر ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **أرأيتم** ﴾ معناه أخبروني ماذا تقولون ﴿ **إن كان من عند الله** ﴾ أي إن كان هذا القرآن من عند الله هو أنزله وهذا النبي رسوله ﴿ **وكفرتم** ﴾ أنتم أيها المشركون به ﴿ **وشهد شاهد من بني إسرائيل** ﴾ يعني عبد الله بن سلام ﴿ **على مثله** ﴾ معناه عليه أي على أنه من عند الله وقيل على مثله أي على التوراة عن مسروق وقيل الشاهد موسى شهد على التوراة كما شهد النبي ﷺ على القرآن لأن السورة مكية وابن سلام أسلم بالمدينة ﴿ **فآمن** ﴾ يعني الشاهد ﴿ **واستكبرتم** ﴾ أنتم على الإيمان به وجواب قوله إن كان من عند الله محذوف وتقديره ألستم من الظالمين ويدلّ على هذا المحذوف قوله ﴿ **أن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ وقيل جوابه فمن أضل منكم عن الحسن وقيل جوابه أفتؤمنون عن .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا
مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾
وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ
لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا
حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا
حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الحجاز وابن عامر ويعقوب لتنذر بالتاء والباقون بالياء وقرأ أهل الكوفة إحساناً والباقون حسناً وروي عن علي ( ع ) وأبي عبد الرحمن السلمي حسناً بفتح الحاء والسين وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو والكسائي كرهاً بفتح الكاف والباقون بضمّها وقرأ يعقوب وفصله وهو قراءة الحسن وأبي رجاء وعاصم والجحدري والباقون وفصاله .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قرأ لتنذر بالتاء قوله إنما أنت منذر وقوله لتنذر به وذكرى وحجة الياء لينذر بأساً شديداً أو أسند الإنذار إلى الكتاب كما أسنده إلى الرسول وأما الباء في قوله بوالديه فيجوز أن يتعلق بوصّينا بدلالة قوله ذلكم وصاكم به ويجوز أن يتعلق بالإحسان ويدلّ عليه قوله ﴿ **وقد أحسن بي إذ أخرجني** ﴾ ولا يجوز أن يتعلق في الآية بالإحسان لتقدمها على الموصول ولكن يجوز أن تعلقه بمضمر يفسّره الإحسان كما جاز في نحو قوله ﴿ **وكانوا فيه من الزاهدين** ﴾ وقوله « كان جزائي بالعصا أن أجلدا » في قول من لم يعلقه بالجزاء . والإحسان خلاف الإساءة والحسن خلاف القبح فمن قال إحساناً كان انتصابه على المصدر وذلك أن معنى قوله ﴿ **يوصينا الانسان بوالديه حسنا أمرناه بالإحسان** ﴾ أي ليأتي الإحسان إليهما دون الإساءة ولا يجوز أن يكون انتصابه بوصّينا لأن وصّينا قد استوفى مفعوليه اللذين أحدهما منصوب والآخر المتعلق بالباء ومن قرأ حسناً فمعناه ليأت في أمرهما أمراً ذا حسن أي ليأت الحسن في أمرهما دون القبيح ويؤيده قراءة عليّ صلوات الرحمن عليه حَسَنا لأنّ معناه ليأت في أمرهما فعلاً حسناً وأما الكره بالفتح فهو المصدر والكره بالضم الإسم كأنه الشيء المكروه قال كتب عليكم القتال وهو كره لكم وهذا بالضم وقال ان ترثوا النساء كُرهاً فهذا في موضع الحال والفتح فيه أحسن وقد قيل أنهما لغتان وأما الفصل فهو بمعنى الفصال إلا أن الأكثر بالألف وفي الحديث لارضاع بعد الفصال يعني بعد الفطام .

[ **اللغة** ] القديم ما تقادم وجوده وفي عرف المتكلمين هو الموجود الذي لا أول لوجوده والإيزاع أصله المنع وأوزعني أمنعني عن الانصراف عن ذلك باللطف ومنه قول الحسن لا بد للناس من وَزَعَةٍ(١) وقال أبو مسلم الإيزاع إيصال الشيء إلى القلب .

[ **الإعراب** ] إماماً منصوب على الحال من الضمير في الظرف عند سيبويه ومن كتاب موسى عند الأخفش ومن رفع بالظرف ويجوز أن يرتفع قوله ﴿ **كتاب موسى** ﴾ بالعطف على قوله ﴿ **وشهد شاهد من بني إسرائيل** ﴾ أي وشهد من قبل القرآن كتاب موسى ففصل بالظرف بين الواو والمعطوف به ورحمة معطوف على قوله إماماً ولساناً عربياً منصوب على الحال أيضاً من قوله ﴿ **هذا كتاب** ﴾ ويجوز أن يكون حالاً مما في مصدّق من الضمير وتقديره وهذا كتاب مصدق ملفوظاً به على لسان العرب وبشرى عطف على قوله ﴿ **لينذر** ﴾ وهو مفعول له جزاء مصدر مؤكّد لما قبله وتقديره جُوزُوا جزاء فاستغنى عن ذكر جُوزوا لدلالة الجملة قبلها عليها ويجوز أن يكون جزاء مفعولاً له وكرهاً منصوب على الحال أي حملته كارهة .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه عن الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال ﴿ **وقال الذين كفروا للذين آمنوا** ﴾ بالله ورسوله ﴿ **لو كان خيراً ما سبقونا إليه** ﴾ أي لو كان هذا الذي يدعونا إليه محمد خيراً أي نفعاً عاجلاً أو آجلاً ما سبقنا هؤلاء الذين آمنوا به إلى ذلك لأنّا كنّا بذلك أولى واختلف فيمن قال ذلك فقيل هم اليهود قالوا لو كان دين محمد ﷺ خيراً ما سبقنا إليه عبد الله بن سلام عن أكثر المفسرين وقيل: إنّ أسلم وجهينة ومزينة وغفاراً لما أسلموا قال بنو عامر بن صعصعة وغطفان وأسد وأشجع هذا القول عن الكلبي ونظم الكلام يوجب أن يكون ما سبقتمونا إليه ولكنه على ترك المخاطبة ﴿ **وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا أفك قديم** ﴾ أي فإذ لم يهتدوا بالقرآن من حيث لم يتدّبروه فسيقولون هذا القرآن كذب متقادم أي أساطير الأولين ثم قال سبحانه ﴿ **ومن قبله كتاب موسى** ﴾ أي من قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة ﴿ **اماماً** ﴾ يقتدى به ﴿ **ورحمة** ﴾ من الله للمؤمنين به قبل القرآن وتقدير الكلام وتقدمه كتاب موسى اماماً وفي الكلام محذوف يتم به المعنى تقديره فلم يهتدوا به ودلّ عليه قوله في الآية الأولى وإذ لم يهتدوا به وذلك أنّ المشركين لم يهتدوا بالتوراة فيتركوا ما هم عليه من عبادة الأوثان ويعرفوا منها صفة محمد ﷺ ثم قال ﴿ **وهذا كتاب** ﴾ يعني القرآن ﴿ **مصدق** ﴾ للكتب التي قبله ﴿ **لساناً عربياً** ﴾ ذكر اللسان توكيداً كما تقول جاءني زيد رجلاً صالحاً فتذكر رجلاً توكيداً ﴿ **لتنذر الذين ظلموا** ﴾ أي لتخوّفهم يخاطب النبي ﷺ ومن قرأ

---

(١) جمع الوازع وهو المانع الزاجر أي لا بد للناس من ولاة مانعين عن محارم الله تعالى .

بالياء أسند الفعل إلى الكتاب ﴿ **وبشرى للمحسنين** ﴾ وبشارة للمؤمنين وقيل معناه ويبشر بشرى فيكون نصباً على المصدر ويجوز أن يكون في موضع رفع أي وهو بشرى للمحسنين الموحدين ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثمّ استقاموا** ﴾ مر تفسيره ﴿ **فلا خوف عليهم** ﴾ من العقاب ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ من أهوال يوم القيامة ﴿ **أولئك أصحاب الجنة** ﴾ الملازمون لها المنعّمون فيها ﴿ **خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ في الدنيا من الطاعات والأعمال الصالحات ﴿ **ووصّينا الإنسان بوالديه حسناً** ﴾ مر تفسيره ﴿ **حملته أمه كرهاً** ﴾ أي بكره ومشقّة عن الحسن وقتادة ومجاهد يعني حين أثقلت وثقل عليها الولد ﴿ **ووضعته كرهاً** ﴾ يريد به شدة الطلق عن ابن عباس ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهراً** ﴾ يريد أنّ أقل مدة الحمل وكمال مدّة الرضاع ثلاثون شهراً قال ابن عباس إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت أحداً وعشرين شهراً وإذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً ﴿ **حتى إذا بلغ أشدّه** ﴾ وهو ثلاث وثلاثون سنة عن ابن عباس وقتادة وقيل بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل وقت قيام الحجة عليه عن الحسن وقيل هو أربعون سنة وذلك وقت انزال الوحي على الأنبياء ولذلك فسّر به فقال ﴿ **بلغ أربعين سنة** ﴾ فيكون هذا بياناً لزمان الأشد وأراد بذلك أنه يكمل له رأيه ويجتمع عليه عقله عند الأبعين سنة ﴿ **قال رب أوزعني** ﴾ أي ألهمني ﴿ **أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه** ﴾ قد مرّ تفسيره في سورة النمل ﴿ **وأصلح لي في ذرّيتي** ﴾ أي اجعل ذريتي صالحين عن الزجاج وقيل أنه دعاء بإصلاح ذرّيّته لبرّه وطاعته لقوله أصلح لي وقيل أنه الدعاء بإصلاحهم لطاعة الله عزّ وجلّ وهو عبادته وهو الأشبه لأنّ طاعتهم لله من برّه لأنّ اسم الذرية يقع على من يكون بعده وقيل معناه اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق عن سهل بن عبد الله ﴿ **إني تبت إليك** ﴾ من سيّئاتي وذنوبي ﴿ **وإنّي من المسلمين** ﴾ المنقادين لأمرك .

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ

ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ
أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى
ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر نتقبّل ونتجاوز بالنون، أحسن بالنصب والباقون يتقبل ويتجاوز بضم الياء أحسن بالرّفع وقرأ ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب آذهبتم بهمزة واحدة ممدودة وقرأ ابن عامر ءَأذهبتم بهمزتين والباقون أذهبتم بفتح الهمزة .

[ **الحجة** ] من قرأ يتقبل فلأنّ الفعل وإن كان مبنيّاً للمفعول به فمعلوم أنه لله تعالى كما جاء في الأخرى إنما يتقبل الله من المتقين فبناؤه للمفعول كبنائه للفاعل في العلم بالفاعل وحجة من قرأ نتقبل بالنون أنّه قد تقدّم الكلام ووصينا الإنسان وكلاهما حسن وقد ذكرنا اختلافهم في أفّ في بني اسرائيل وحجة الاستفهام في أذهبتم أنه قد جاء هذا النحو بالاستفهام نحو أليس هذا بالحق وقوله أكفرتم بعد إيمانكم ووجه الخبر أن الاستفهام تقرير فهو مثل الخبر ألا ترى أن التقرير لإيجاب بالفاء كما يجاب بها إذا لم يكن تقريراً فكأنهم يوبّخون بهذا الذي يخبرون به ويبكّتون والمعنى في القراءتين يقال لهم هذا فحذف القول كما حذف في نحو قوله ﴿ **أكفرتم بعد إيمانكم؟** ﴾.

[ **الإعراب** ] وعد الصدق نصب على المصدر تقديره وعدهم الله ذلك وعداً وإضافته إلى الصدق غير حقيقية لأن الصدق في تقدير النصب بأنه صفة وعدو الذي كانوا يوعدون موصول وصلة في موضع النصب بكونه صفة الوعد وأفّ لكما مبتدأ وخبر تقديره هذه الكلمة التي تقال عند الأمور المكروهة كائنة لكما وويلك منصوب لأنه مفعول فعل محذوف تقديره الزمك الله الويل وقيل تقديره وي لك فهو مبتدأ وخبر كما قلناه في أفّ وليوفّيها معطوف على محذوف تقديره والله أعلم ليجزيهم بما عملوا وليوفّيهم أعمالهم .

[ **المعنى** ] ثم أخبر سبحانه بما يستحقّه هذا الإنسان من الثواب فقال ﴿ **أولئك** ﴾

يعني أهل هذا القول ﴿ **الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا** ﴾ أي يثابون على طاعاتهم والمعنى نقبل بإيجاب الثواب لهم أحسن أعمالهم وهو ما يستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات فإنّ المباح أيضاً من قبيل الحسن ولا يوصف بأنه متقبل ﴿ **ونتجاوز عن سيئاتهم** ﴾ التي اقترفوها ﴿ **في أصحاب الجنة** ﴾ أي في جملة من يتجاوز عن سيئاتهم وهم أصحاب الجنة فيكون قوله في أصحاب الجنة في موضع نصب على الحال ﴿ **وعد الصدق الذي كانوا يوعدون** ﴾ أي وعدهم وعد الصدق وهو ما وعد أهل الإيمان بأن يتقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم إذا شاء أن يتفضل عليهم بإسقاط عقابهم أو إذا تابوا الوعد الذي كانوا يوعدونه في الدنيا على السنة الرسل ﴿ **والذي قال لوالديه** ﴾ إذا دعوه إلى الإيمان ﴿ **اف لكما** ﴾ وهي كلمة تبرّم يقصد بها اظهار التسخّط ومعناه بعداً لكما وقيل معناه نتناً وقذراً لكما كما يقال عند شمّ الرائحة المكروهة ﴿ **أتعِدانني أن أخرج** ﴾ من القبر وأُحيا وأبعث ﴿ **وقد خلت القرون من قبلي** ﴾ أي مضت الأمم وماتوا قبلي فما أخرجوا ولا أعيدوا وقيل معناه خلت القرون على هذا المذهب ينكرون البعث ﴿ **وهما** ﴾ يعني والديه ﴿ **يستغيثان الله** ﴾ أي يستصرخان الله ويطلبان منه الغوث ليتلطف له بما يؤمن عنده ويقولان له ﴿ **ويلك آمن** ﴾ بالقيامة وبما يقوله محمد ﷺ ﴿ **إنّ وعد الله** ﴾ بالبعث والنشور والثواب والعقاب ﴿ **حقّ فيقول** ﴾ هو في جوابهما ﴿ **ما هذا** ﴾ القرآن وما تزعمانه وتدعوانني إليه ﴿ **إلا أساطير الأولين** ﴾ أي أخبار الأوّلين وأحاديثهم التي سطروها وليس لها حقيقة وقيل أنّ الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قال له أبواه لمسلم وألحّا عليه فقال أحيوا لي عبد الله بن جدعان ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون عن ابن عباس وأبي العالية والسدّي ومجاهد وقيل الآية عامّة في كل كافر عاقّ لوالديه عن الحسن وقتادة والزجاج قالوا ويدلّ عليه أنه قال عقيبها ﴿ **أولئك الذين حقّ عليهم القول في أمم** ﴾ أي حقت عليهم كلمة العذاب في أمم أي مع أمم ﴿ **قد خلت من قبلهم من الجن والانس** ﴾ على مثل حالهم واعتقادهم قال قتادة قال الحسن الجن لا يموتون فقلت أولئك الذين حق عليهم القول في أمم الآية تدل على خلافه ثم قال سبحانه مخبراً عن حالهم ﴿ **أنهم كانوا خاسرين** ﴾ لأنفسهم إذ أهلكوها بالمعاصي ﴿ **ولكل درجات مما عملوا** ﴾ أي لكل واحد ممّن تقدم ذكره من المؤمنين البررة والكافرين الفجرة درجات على مراتبهم ومقادير أعمالهم فدرجات الأبرار في عليين ودرجات الفجار دركات في سجين عن ابن زيد وأبي مسلم وقيل معناه ولكل مطيع درجات ثواب وإن تفاضلوا في مقاديرها عن الجبائي وعلي بن عيسى ﴿ **ولنوفّيهم أعمالهم** ﴾ أي جزاء أعمالهم وثوابها ومن قرأ بالياء فالمعنى وليوفّيهم الله أعمالهم ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ بعقاب لا

يستحقونه أو بمنع ثواب يستحقونه ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ يعني يوم القيامة أي يدخلون النار كما يقال عرض فلان على السوط وقيل معناه عرض عليهم النار قبل أن يدخلوها ليروا أهوالها ﴿ أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا ﴾ أي فيقال لهم آثرتم طيباتكم ولذّاتكم في الدنيا على طيّبات الجنة ﴿ واستمتعتم بها ﴾ أي انتفعتم بها منهمكين فيها وقيل هي الطيبات من الرزق يقول انفقتموها في شهواتكم وفي ملاذّ الدنيا ولم تنفقوها في مرضاة الله ولمّا وبّخ الله سبحانه الكفار بالتمتع بالطيبات واللذات في هذه الدار آثر النبيﷺ وأمير المؤمنين ( ع ) الزهد والتقشف واجتناب الترفّه والنعمة وقد روي في الحديث أن عمر بن الخطاب قال استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مشربة أمّ إبراهيم وأنه لمضطجع على خصفة[1] وأن بعضه على التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً فسلّمت عليه ثم جلست فقلت يا رسول الله أنت نبيّ الله وصفوته وخيرته من خلقه وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير فقال رسول الله ﷺ أولئك قوم عجّلت طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وإنما أخّرت لنا طيباتنا وقال علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلوات في بعض خطبه : والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل ألا تنبذها فقلت أعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى وروى محمد بن قيس عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال والله إن كان علي (ع) ليأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد وإن كان يشتري القميصين فيخيّر غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر فإذا جاز أصابعه قطعه وإذا جاز كعبه حذفه ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجُرّة على اجُرّة ولا لبنة على لبنة ولا أورث بيضاء ولا حمراء وإن كان ليطعم الناس على خبز البرّ واللحم وينصرف إلى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والخلّ وما ورد عليه أمران كلاهما لله عز وجل فيه رضى إلا أخذ بأشدهما على بدنه ولقد أعتق ألف مملوك من كدّ يمينه تربت منه يداه وعرق فيه وجهه وما أطاق عمله أحد من الناس بعده وإن كان ليصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وإن كان أقرب الناس شبهاً به علي بن الحسين ( ع ) ما أطاق عمله أحد من الناس بعده ثم أنه قد إشتهر في الرواية أنه ( ع ) لما دخل على العلاء بن زياد بالبصرة يعوده قال له العلاء يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد لبس العباءة وتخلّى من الدنيا فقال ( ع ) عليَّ به فلما جاء به قال يا عديّ نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدك أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها أنت أهون على الله من ذلك قال يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك قال ويحك

(١) الخَصَفَة : الجُلّة تُعمل من الخوص للتمر .

إني لست كأنت إن الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يَتَبَيَّغ(١) بالفقير فقره ﴿ فاليوم تجزون عذاب الهون ﴾ أي العذاب الذي فيه الذلّ والخزي والهوان ﴿ بما كنتم تستكبرون في الأرض ﴾ أي باستكباركم عن الانقياد للحق في الدنيا وتكبركم على أنبياء الله وأوليائه ﴿ بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ أي بخروجكم من طاعة الله إلى معاصيه .

﴿ * وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ج بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ صلے رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ج كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة غير الكسائي ويعقوب وسهل لا يرى بضم الياء إلا مساكنهم بالرفع وقرأ الباقون لا ترى بالتاء إلا مساكنهم بالنصب وفي الشواذّ قراءة الحسن وأبي رجاء وقتادة ومالك بن دينار والأعمش لا ترى بضمّ التاء إلا مساكنهم بالرفع وقرأ الأعمش مسكنهم .

(١) باغ الدم بَيْغاً وتبيّغ : هاج وثار .

[ **الحجة** ] قال أبو علي تذكير الفعل في قوله لا يرى إلا مساكنهم حسن وهو أحسن من إلحاق علامة التأنيث الفعل من أجل الجمع وذلك أنهم حملوا الكلام في هذا الباب على المعنى فقالوا ما قام إلا هند ولم يقولوا ما قامت لما كان المعنى ما قام أحد ولا يجيء التأنيث فيه إلا في شذوذ وضرورة فمن ذلك قول الشاعر :

بَرَى النَّحْزُ وَالإِجْرَازُ مَا في غُرُوضِهَا فَمَا بَقِيَتْ إلا الصُّدُورُ الْجَرَاشِعُ(١)

وقول ذي الرمة :

كَأَنَّهَا جُمَّلٌ وَهْمٌ وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا النَّحِيزَةُ وَالْأَلْوَاحُ وَالْعَصَبُ(٢)

قال ابن جني قوله مسكنهم ان شئت جعلته مصدراً وقدرت حذف المضاف أي لا ترى إلا آثار مسكنهم كما قال ذو الرمة :

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِي مُتَرَوِّحاً عَلَىٰ بَابِهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِي وَغَادِيَا(٣)

فالمدرج هنا مصدر الا تراه قد نصب الحال وإن شئت قلت مسكنهم واحد كفى من جماعة .

[ **اللغة** ] الأحقاف جمع حِقْف وهو الرمل المستطيل العظيم لا يبلغ أن يكون جبلاً قال المبرد الحقف هو الرمل الكثير لمكتنز غير العظيم وفيه اعوجاج قال العجاج « بات على أرطاة حِقف أحقفاً » والعارض السحاب يأخذ في عرض السماء قال الأعشى :

يَا مَنْ رَأَى عَارِضاً قَدْ بِتُّ أَرْمَقُهُ كَأَنَّمَا الْبَرْقُ في حَافَاتِهِ(٤) شُعَلُ

والتدمير الإهلاك وإلقاء بعض الأشياء على بعض حتى يخرب ويهلك قال جرير :

---

(١) برى السفر الإنسان والحيوان هن له واذهب لحمه. ونخزه بحديدة أو نحوها نخزاً وجاء بها وبكلمة أوجعه بها وأجرز الناقة هزلت فهي مجرز والعرض: الناحية والعرض من الحديث معظمه ومن العنق جانبه والجرشع: العظيم الصدر المنتفخ الجنبين يقول: اذهب النخز والهزال ما في نواحي بدنها من اللحم والشحم فلم يبق منها الا عظام صدر منتفخ ليس عليها شحم ولا دم .

(٢) الجَمَل والجُمَّل حبل السفينة والوَهْم: الضخم والنحيزة من نحز البعير إذا أصابه النحاز وهو داء في رئته تسعل به شديداً ولوح الجسد عظمه يصفها بأنها صارت من الهزال بمنزلة الحبل فما بقي فيها شيء سوى النَفَس والعظم والعصب .

(٣) مذكور في جامع الشواهد .

(٤) حافات الشيء : جوانبه .

وَكَـانَ لَهُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا رَغَىٰ ظُهْراً فَدَمَّرَهُمْ دَمَاراً[(١)]

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ **واذكر** ﴾ يا محمد لقومك أهل مكة ﴿ **أخا عاد** ﴾ يعني هوداً ﴿ **إذ أنذر قومه** ﴾ أي خوّفهم بالله تعالى ودعاهم إلى طاعته ﴿ **بالأحقاف** ﴾ وهو واد بين عُمان ومهرة عن ابن عباس وقيل رمال فيما بين عمان إلى حضرموت عن ابن إسحاق وقيل رمال مشرفة على البحر بالشَحْر[(٢)] من اليمن عن قتادة وقيل أرض خلالها رمال عن الحسن ﴿ **وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه** ﴾ أي وقد مضت الرسل من قبل هود ( ع ) ومن بعده ﴿ **ألّا تعبدوا إلا الله** ﴾ أي بأن لا تعبدوا والمعنى إني لم أبعث قبل هود ولا بعده إلا بالأمر بعبادة الله وحده وهذا اعتراض كلام وقع بين انذار هود وكلامه لقومه ثم عاد إلى كلام هود لقومه فقال ﴿**إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**﴾ وتقدير الكلام إذ أنذر قومه بالأحقاف فقال إني أخاف عليكم الآية ثم حكى ما أجاب به قومه بقوله ﴿ **قالوا أجئتنا** ﴾ يا هود ﴿ **لتأفكنا** ﴾ أي لتلفتنا وتصرفنا ﴿ **عن آلهتنا** ﴾ أي عن عبادة آلهتنا ﴿ **فأتنا بما تعدنا** ﴾ من العذاب ﴿ **إن كنت من الصادقين** ﴾ أن العذاب نازل بنا ﴿ **قال** ﴾ هود ﴿ **إنما العلم عند الله** ﴾ هو يعلم متى يأتيكم العذاب لا أنا ﴿ **وأبلّغكم ما أرسلت به** ﴾ إليكم أي وأنا أبلّغكم ما أمرت بتبليغه إليكم ﴿ **ولكني أريكم قوماً تجهلون** ﴾ حيث لا تجيبون إلى ما فيه صلاحكم ونجاتكم وتستعجلون العذاب الذي فيه هلاككم وهذا لا يفعله إلا الجاهل بالمنافع والمضار ﴿ **فلمّا رأوه** ﴾ أي فلما رأوا ما يوعدون والهاء تعود إلى ما تعدنا في قوله فأتنا بما تعدنا ﴿ **عارضاً** ﴾ أي سحاباً يعرض في ناحية من السماء ثم يطبق السماء ﴿ **مستقبل أوديتهم** ﴾ قالوا كانت عاد قد حبس عنهم المطر أيّاماً فساق الله إليهم سحابة سوداء خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم استبشروا ﴿ **وقالوا هذا عارض ممطرنا** ﴾ أي سحاب ممطر إيانا هذا تقديره لأنه نكرة بدلالة أنه صفة لعارض فقال هود ( ع ) ﴿ **بل هو ما استعجلتم به** ﴾ أي ليس هو كما توهمتم بل هو الذي وعدتكم به وطلبتم تعجيله ثم فسره فقال ﴿ **ريح فيها عذاب أليم** ﴾ أي هو ريح فيها عذاب مؤلم وقيل بل هو قول الله تعالى ﴿ **تدمر كل شيء بأمر ربها** ﴾ أي تهلك كل شيء مرت به من الناس والدواب والأموال واعتزل هود ومن معه في حظيرة لم يصبهم من تلك الريح إلا ما

(١) رغى البعير رُغاء صوّت وضجّ والبكر: الفتي من الإبل .
(٢) الشَحْر ساحل اليمن وشَحْر عمان وشِحْر عمان وهو ساحل البحر بين عمان وعدن .

تلين على الجلود وتلتذ به الأنفس وأنها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض حتى نرى الظعينة كأنها جرادة عن عمر بن ميمون ﴿ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾ وما عداها قد هلك ومن قرأ بالتاء فهو على وجه الخطاب للنبي ﷺ ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ما أهلكنا أهل الأحقاف وجازيناهم بالعذاب ﴿ نجزي القوم المجرمين ﴾ أي الكافرين الذين يسلكون مسالكهم .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة وأبي عامر أفكهم بفتح الألف والفاء والكاف وقراءة عبد الله بن الزبير آفكهم وقراءة ابن عياض أفكهم بالتشديد .

[ **الحجة** ] قوله أفكهم معناه صرفهم وثناهم قال :

إنْ يَكُ عَنْ أَحْسَنِ الْمُرُوءَةِ مَأفُو كاً فَفي آخَرِينَ قَدْ أُفِكُوا[(١)]

وآفكهم افعلهم منه أي أصارهم إلى الافك ويجوز أن يكون فاعلهم من ذلك مثل خادعهم وأما افّكهم ففعلهم وذلك لتكثيره ذلك الفعل بهم وروي عن قطرب ان ابن عباس قرأ آفكهم أي صارفهم .

[ **اللغة** ]التمكين إعطاء ما يتمكن به من الفعل وتدخل فيه القدرة والآلة وسائر ما يحتاج إليه الفاعل وقيل التمكين إزالة الموانع وذلك داخل في الأول لأنه كما يحتاج الفاعل في الفعل إلى الآلات يحتاج إلى زوال الموانع فإذا أزيحت عنه العلل كلها فقد مُكّن والقربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة أو نسك والجمع قرابين .

[ **الإعراب** ] فيما إن مكناكم فيه إن هنا بمعنى ما وإن في النفي مع ما الموصولة بمعنى الذي أحسنُ في اللفظ من ما ألا ترى أنّك لو قلت رغبت فيما ما رغبت فيه لكان أحسن منه أن تقول رغبت فيما أن رغبت فيه لاختلاف اللفظين .

[ **المعنى** ] ثم خوّف سبحانه كفار مكة وذكر فضل عاد بالأجسام والقوة عليهم فقال ﴿ **ولقد مكّنّاهم فيما إن مكّنّاكم** ﴾ أي في الذي ما مكناكم ﴿ **فيه** ﴾ والمعنى في الشيء الذي لم نمكّنكم فيه من قوة الأبدان وبسطة الأجسام وطول العمر وكثرة الأموال عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه فيما مكناكم فيه وإن مزيدة والمعنى مكناهم من الطاعات وجعلناهم قادرين متمكّنين بنصب الأدلة على التوحيد والتمكين من النظر فيها والترغيب والترهيب وإزاحة العلل في جميع ذلك ﴿ **وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة** ﴾ ثم أخبر سبحانه عن أولئك أنهم أعرضوا عن قبول الحجج والتفكر فيما يدلهم على التوحيد مع ما أعطاهم الله من الحواس الصحيحة التي بها تدرك الأدلة ﴿ **فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء** ﴾ أي لم ينفعهم جميع ذلك لأنهم لم يعتبروا ذلك ولا استعملوا أبصارهم وأفئدتهم في النظر والتدبر ﴿ **إذ كانوا يجحدون بآيات الله** ﴾ وأدلّته ﴿ **وحاق بهم** ﴾ أي حلّ بهم جزاء ﴿ **ما كانوا به يستهزؤون ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى** ﴾ معناه ولقد أهلكنا يا أهل مكة ما حولكم وهم قوم هود وكانوا باليمن وقوم صالح بالحجر وقوم لوط على طريقهم إلى الشام ﴿ **وصرَّفنا الآيات** ﴾ تصريف الآيات تصييرها تارة في الإعجاز وتارة في الإهلاك وتارة في التذكير بالنعم وتارة في التذكير بالنقم وتارة في وصف الأبرار ليقتدى بهم وتارة في وصف

---

(١) مر البيت في ج ٣

الفجّار ليجتنب مثل فعلهم ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ أي لكي يرجعوا عن الكفر ﴿ **فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة** ﴾ أي فهلّا نصر هؤلاء المهلكين الذين اتخذوهم آلهة وزعموا أنهم يعبدونهم تقرباً إلى الله تعالى ثم لم ينصروهم لأن هذا استفهام انكار ﴿ **بل ضلّوا عنهم** ﴾ أي ضلت الآلهة وقت الحاجة إليها فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم ﴿ **وذلك افكهم** ﴾ أي تّخاذهم الآلهة دون الله كذبهم وافتراؤهم وهو قوله ﴿ **وما كانوا يفترون** ﴾ أي يكذبون من أنها آلهة ثم بين سبحانه أن في الجنّ مؤمنين وكافرين كما في الإنس فقال ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن** ﴾ معناه واذكر يا محمد اذ وجّهنا إليك جماعة من الجن تستمع القرآن وقيل معناه صرفناهم إليك عن بلادهم بالتوفيق والالطاف حتى اتوك وقيل صرفناهم إليك عن استراق السمع من السماء برجوم الشهب ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه فقالوا ما هذا الذي حدث في السماء إلا من أجل شيء قد حدث في الأرض فضربوا في الأرض حتى وقفوا على النبي ﷺ ببطن نخلة عامداً إلى عكاظ وهو يصلي الفجر فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعلى هذا فيكون الرمي بالشهب لطفاً للجن ﴿ **فلما حضروه** ﴾ أي حضروا القرآن أو النبي ﷺ ﴿ **قالوا انصتوا** ﴾ أي قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع إلى قراءته فلا يحول بيننا وبين القرآن(١) شيء ﴿ **فلما قضى** ﴾ أي فرغ من تلاوته ﴿ **ولّوا إلى قومهم** ﴾ أي انصرفوا إلى قومهم ﴿ **منذرين** ﴾ أي محذّرين إياهم عذاب الله إن لم يؤمنوا ﴿ **قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى** ﴾ يعنون القرآن ﴿ **مصدّقاً لما بين يديه** ﴾ أي لما تقدمه من الكتب ﴿ **يهدي إلى الحق** ﴾ أي يرشد إلى دين الحق ويدل عليه ويدعو إليه ﴿ **وإلى طريق مستقيم** ﴾ يؤدي بسالكه إلى الجنة .

[ **القصة** ] عن الزهري قال لما توفّي أبو طالب ( ع ) اشتد البلاء على رسول الله ﷺ فعمد ليقف بالطائف رجاء أن يؤووه فوجد ثلاثة نفر منهم هم سادة وهم أخوة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو فعرض عليهم نفسه فقال أحدهم أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط وقال الآخر أعجز على الله أن يرسل غيرك وقال الآخر والله لا أكلّمك بعد مجلسك هذا أبداً فلئن كنت رسولاً كما تقول فأنت أعظم خطراً من أن يرد عليك الكلام وإن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلّمك بعد وتهزؤوا به وأفشوا في قومه ما راجعوه به فقعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله ﷺ بين صفّيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا

(١) وفي نسختين: الاستماع بدل القرآن .

يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتّى أدموا رجليه فخلص منهم وهما يسيلان دماً إلى حائط من حوائطهم واستظل في ظلّ نخلة منه وهو مكروب موجع تسيل رجلاه دما فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله فلما رأياه أرسلا إليه غلاماً لهما يدعى عداس معه عنب وهو نصراني من أهل نينوى فلما جاءه قال له رسول الله ﷺ من أي أرض أنت قال من أهل نينوى قال من مدينة العبد الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك من يونس بن متى قال أنا رسول الله والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس خر عداس ساجداً لله ولرسول الله ﷺ وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان الدماء فلما بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلما أتاهما قالا ما شأنك سجدت لمحمد وقبّلت قدميه ولم نرك فعلت ذلك بأحد منا قال هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى فضحكا وقالا لا يفتننك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة حتى إذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن أهل نصيبين وقيل من اليمن فوجدوه يصلي صلاة الغداة ويتلو القرآن فاستمعوا له وهذا معنى قول سعيد بن جبير وجماعة وقال آخرون أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله إليه نفراً من الجن من نينوى فقال ﷺ إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيّكم يتبعني فأتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله ولم يحضر معه أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة ودخل نبي الله شعباً يقال له شعب الحجون وخط لي خطاً ثم أمرني أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته اسودة كثيرة حتى حالت بيني وبينه حتى لم أسمع صوته ثم انطلقوا وطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط وفرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فرز ثم قال هل رأيت شيئاً فقلت نعم رأيت رجالاً سوداً مستثفري [١] ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين وروى علقمة عن عبد الله قال لم أكن مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ووددت أنّي كنت معه وروي عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم قال زِرّ بن حبيش كانوا تسعة نفر منهم زوبعة وروى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال لما قرأ رسول الله ﷺ الرحمن على الناس سكتوا فلم يقولوا شيئاً فقال رسول الله ﷺ الجن كانوا أحسن جواباً منكم لما قرأت عليهم فبأيّ آلاء ربكم تكذّبان قالوا لا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذّب .

---

(١) الاستثفار هو أن يدخل الرجل ثوبه بين رجليه كما يفعل الكلب بذنبه .

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم
مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي
ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ
هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل
لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ
بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ يعقوب وحده يقدر بالياء وهو قراءة جدّه عبد الله بن أبي إسحاق الخضرمي وعاصم الجحدري ومالك بن دينار وقرأ جميع القراء بقادر وفي الشواذ قراءة الحسن وعيسى الثقفي بلاغاً بالنصب وقراءة ابن محيصن فهل يهلك بفتح الياء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قراءة القرّاء أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض إلى قوله بقادر من الحمل على المعنى ادخل الباء لما كان في معنى أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر ومثل ذلك في الحمل على المعنى قول الشاعر :

بَادَتْ وَغُيِّرَ آيُهُنَّ مَعَ البِلَى ... إلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ[1]

---

(١) الضمير في بادت راجع إلى الديار وفي نسخة « من » بدل « مع » والرواكد : الاثافي مشتقة من الركود لثباتها وعجز قوله ومشجّج : فبدا وغيّب ساره المعزاء والمشجّج : الوتد مأخوذ من الشجّة وهو الجرح يكون في الوجه والرأس شدّد لكثرة ذلك فيه وسواء بمعنى الوسط والقذال جماع مؤخر الرأس يقول: بادت الديار وغيّرت أعلامها فلم يبق =

ثم قال « وَمُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَاءُ قَذْا له » لما كان غير آيهن مع البلى إلا رواكد بمعنى بها رواكد حمل مشجّج على ذلك وكذلك قوله يطاف عليهم بكأس من معين ثم قال وحور عين لما كان يطاف عليهم بكذا معناه لهم فيها كذا وقالوا إن أحداً لا يقول ذلك إلا زيد فأدخل أحداً في الموجب لما كان معنى الكلام النَفْي ومن قرأ بلاغاً فهو على تقدير فعل مضمر أي بلّغوا بلاغاً كما أن الرفع على تقدير مضمر أي هو بلاغ أو هذا بلاغ وقرأ أبو مجلز(١) بلّغ على الأمر .

[ **المعنى** ] ثم بيّن سبحانه تمام خبر الجن فقال حاكياً عنهم ﴿ **يا قومنا أجيبوا داعي الله** ﴾ يعنون محمداً ﷺ إذ دعاهم إلى توحيده وخلع الأنداد دونه ﴿ **وآمنوا به** ﴾ أي بالله ﴿ **يغفر لكم من ذنوبكم** ﴾ أي فإنكم إن آمنتم بالله ورسوله يغفر لكم ذنوبكم ﴿ **ويجركم** ﴾ أي ويخلصكم ﴿ **من عذاب أليم** ﴾ قال علي بن إبراهيم فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فآمنوا به وعلّمهم رسول الله ﷺ شرائع الإسلام وأنزل الله سبحانه قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن إلى آخر السورة وكانوا يفرّون إلى رسول الله ﷺ في كل وقت وفي هذا دلالة على أنه كان مبعوثاً إلى الجن كما كان مبعوثاً إلى الانس ولم يبعث الله نبياً إلى الانس والجن قبله ﴿ **ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض** ﴾ أي لا يعجز الله فيسبقه ويفوته ﴿ **وليس له من دونه أولياء** ﴾ أي أنصار يمنعونه من الله ويدفعون عنه العذاب إذا نزل بهم ويجوز أن يكون هذا من كلام الله تعالى ابتداء ثم قال ﴿ **أولئك** ﴾ يعني الذين لا يجيبون داعي الله ﴿ **في ضلال مبين** ﴾ أي عدول عن الحق ظاهر ثم قال سبحانه منبّهاً على قدرته على البعث والإعادة فقال ﴿ **أولم يروا** ﴾ أي أولم يعلموا ﴿ **ان الله الذي خلق السماوات والأرض** ﴾ وأنشأهما ﴿ **ولم يعيَ بخلقهن** ﴾ أي لم يصبه في خلق ذلك أعياء ولا تعب ولم يعجز عنه يقال عيي فلان بأمره إذا لم يهتدِ له ولم يقدر عليه ﴿ **بقادر** ﴾ الباء زائدة وموضعه رفع بأنه خبر إن ﴿ **على أن يحيي الموتى** ﴾ أي فخلق السماوات والأرض أعجب من إحياء الموتى ثم قال ﴿ **بلى** ﴾ هو قادر عليه ﴿ **أنه على كل شيء قدير** ﴾ ثم عقّبه بذكر الوعيد فقال ﴿ **ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق** ﴾ أي يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أليس هذا الذي جوزيتم به حق لا ظلم فيه ﴿ **قالوا** ﴾ أي فيقولون ﴿ **بلى وربنا** ﴾ اعترفوا بذلك

---

= فيها إلا أحجار أثافٍ جمرها صار هباء أيضاً وكذا لم يبق فيها إلا وتد بدا رأسه وأخفت الأرض الكثير الحصى سائره ومرّ البيت في ج ٢ وج ٣

(٣) وفي نسختين أبو محلز .

وحلفوا عليه بعدما كانوا منكرين ﴿ **قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ أي بكفركم في الدنيا وانكاركم ثم قال لنبيه ﷺ ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** ﴾ أي فاصبر يا محمد على أذى هؤلاء الكفار وعلى ترك إجابتهم لـك كما صبـر الرسـل ومن هاهنـا لتبيين الجنس كما في قوله﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ وعلى هذا القول فيكون جميع الأنبياء هم أولو العزم لأنّهم عزموا على اداء الرسالة وتحمّل أعبائها عن ابن زيد والجبائي وجماعة وقيل أن من هاهنا للتعيض وهو قول أكثر المفسرين والظاهر في روايات أصحابنا ثم اختلفوا فقيل أولو العزم من الرسل من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعـة من تقدمـه وهم خمسة أولهم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد ﷺ عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ( ع ) قال وهم سادة النبيين وعليهم دارت رحـا المرسلين وقيل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار واسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر في البئـر والسجن وأيوب صبـر على الضر والبلوى عن مقاتل وقيل هم الذين أمروا بالجهاد والقتال وأظهـروا المكاشفـة وجاهـدوا في الدين عن السدّي والكلبي وقيل هم إبراهيم وهود ونوح ورابعهم محمد ﷺ عن أبي العالية والعزم هو الوجوب والحتم وأولو العزم من الرسل هم الذين شرعوا الشرائـع وأوجبوا على الناس الأخذ بها والانقطاع عن غيرها ﴿ **ولا تستعجل لهم** ﴾ أي ولا تستعجل لهم العذاب فـإنه كـائن واقع بهم عن قـريب وما هـو كائن فكـأن قد كـان وقع ﴿ **كـأنهم يوم يـرون ما يوعدون** ﴾ أي من العذاب في الآخرة ﴿ **لم يلبثوا** ﴾ في الدنيا ﴿ **إلا ساعة من نهار** ﴾ أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار لأن ما مضى كـأن لم يكن وإن كان طويلاً وتم الكلام ثم قال بلاغ أي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم والبلاغ بمعنى التبليغ وقيل معناه ذلك اللبث بلاغ ﴿ **فهل يهلك إلا القوم الفاسقون** ﴾ أي لا يقع العذاب إلا بالعاصين الخارجين من أمر الله تعالى وقيل معنـاه لا يهلك على الله تعالى إلا هالك مشرك ولّى ظهره الإسلام أو منافق صدّق بلسانه وخالف بعمله عن قتادة وقيل معناه لا يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا القوم الفاسقون عن الزجاج قال وما جاء في الرجاء لرحمة الله شيء أقوى من هذه الآية .

# (٤٧) سُورَةُ مُحَمَّدٍ مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَثَلاثُونَ

وهي مدنية وقال ابن عباس وقتادة غير آية منها نزلت على النبي ﷺ وهو يريد التوجه إلى المدينة من مكة وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزناً عليه فنزلت وكأين من قرية هي أشدّ قوة من قريتك الآية .

**[ عدد آيها ]**

أربعون آية بصري ثمان وثلاثون كوفي تسع في الباقين .

[ **اختلافها** ] آيتان أوزارها غير الكوفي للشاربين بصري .

[ **فضلها** ] أبيّ بن كعب قال قال النبي ﷺ من قرأ سورة محمد كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة وروى أبو بصير عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأها لم يدخله شك في دينه أبداً ولم يزل محفوظاً من الشرك والكفر أبداً حتى يموت فإذا مات وكّل الله به في قبره ألف ملك يصلّون في قبره ويكون ثواب صلواتهم له ويشيّعونه حتى يوقفوه موقف الأمن عند الله ويكون في أمان الله وأمان محمد ﷺ وقال ( ع ) من أراد أن يعرف حالنا وحال أعدائنا فليقرأ سورة محمد ﷺ فإنه يراها آية فينا وآية فيهم .

[ **تفسيرها** ]ختم الله سبحانه تلك السورة بوعيد الكفار وافتتح هذه السورة بمثلها فقال جل ثناؤه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ
كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا
مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ
يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ
قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ
بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل البصرة وحفص والذين قتلوا على ما لم يسم فاعله والباقون قاتلوا بالألف .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قاتلوا أعم من قتلوا ألا ترى أن من قاتل ولم يقتل لن يضل عمله كما أن الذي قتل كذلك فهو لعمومه أولى .

[ **اللغة** ] البال الحال والشأن والبال القلب أيضاً يقال خطر ببالي كذا والبال لا يجمع لأنه أبهم أخواته من الحال والشأن. والإثخان اكثار القتل وغلبة العدو وقهرهم ومنه أثخنه المرض اشتد عليه وأثخنه الجراح والوثاق اسم من الإيثاق ويقال أوثقه إيثاقاً ووثاقاً إذا اشتد أسره كيلا يفكّ والأوزار السلاح وأصل الوزر ما يحمله الإنسان فسمّي السلاح أوازاراً لأنّه يحمل قال الأعشى :

وَأَعْـدَدْتُ لِـلْحَـرْبِ أَوْزارَهـا ... رِمـاحـاً طِـوالا وَخَـيْـلا ذُكُـورا
وَمِـنْ نَـسْـجِ داوُدَ يَـحْـدُو بِـهـا ... عَـلى أَثَـرِ الحَي عيـراً فَـعِيـراً[1]

(١) حدا الإبل وبها ساقها وغنّى لها. حدا الليل النهار اتبعه .

[ الإعراب ] ذلك خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ذلك ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره ذلك كائن فضرب الرقاب مصدر فعل محذوف تقديره فاضربوا الرقاب ضرباً فحذف الفعل وأضيف المصدر إلى المفعول وهذه الإضافة في تقدير الانفصال لأنّ تقديره فضرباً الرقاب قال الشاعر « فَنَدْلاً زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعالِبِ » وكذلك قوله منّاً وفداء تقديره فإمّا تمنّون منّاً وأمّا تفدون فداءً .

[ المعنى ] ﴿ الذين كفروا ﴾ بتوحيد الله وعبدوا معه غيره ﴿ وصدّوا ﴾ الناس ﴿ عن سبيل الله ﴾ أي عن سبيل الإيمان والإسلام باستدعائهم إلى تكذيب النبي ﷺ يعني مشركي العرب ﴿ أضل أعمالهم ﴾ أي أحبط الله أعمالهم التي كان في زعمهم أنها قربة وأنها تنفعهم كالعتق والصدقة وقرى الضيف والمعنى اذهبها وأبطلها حتى كأنها لم تكن إذ لم يروا لها في الآخرة ثواباً وقيل نزلت في المطعمين ببدر وكانوا عشرة أنفس أطعم كل واحد منهم الجند يوماً ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي صدّقوا بتوحيد الله وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة ﴿ وآمنوا بما نزّل على محمد ﴾ من القرآن والعبادات خصّ الإيمان بمحمد ﷺ بالذكر مع دخوله في الأول تشريفاً له وتعظيماً ولئلا يقول أهل الكتاب نحن آمنا بالله وبأنبيائنا وكتبنا ﴿ وهو الحق من ربهم ﴾ أي وما نزل على محمد ﷺ هو الحق من ربهم لأنه ناسخ للشرائع والناسخ هو الحق وقيل معناه ومحمد الحق من ربهم دون ما يزعمون من أنه سيخرج في آخر الزمان نبي من العرب فليس هذا هو فردّ الله ذلك عليهم ﴿ كفر عنهم سيئاتهم ﴾ أي سترها عنهم بأن غفرها لهم يعني غفر سيئاتهم المتقدمة بإيمانهم وحكم بإسقاط المستحق عليها من العقاب ﴿ وأصلح بالهم ﴾ أي أصلح حالهم في معاشهم وأمر دنياهم عن قتادة وقيل أصلح أمر دينهم ودنياهم بأن نصرهم على أعدائهم في الدنيا ويدخلهم الجنة في العقبى ثم بين سبحانه لم فعل ذلك ولم قسمهم هذين القسمين فقال ﴿ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا ابتعوا الحق من ربهم ﴾ أي ذلك الإضلال والإصلاح باتباع الكافرين الشرك وعبادة الشيطان واتباع المؤمنين التوحيد والقرآن وما أمر الله سبحانه باتباعه ﴿ كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴾ أي كالبيان الذي ذكرنا يبين الله سبحانه للناس أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين فإن معنى قول القائل ضربت لك مثلاً بيّنت لك ضرباً من الأمثال عن الزجاج وقيل أراد به المثل المقرون به فجعل الكافر في اتباعه الباطل كمن دعاه الباطل إلى نفسه فأجابه والمؤمن كمن دعاه الحق إلى نفسه فأجابه وقيل معناه كما بيّنت عاقبة الكافر والمؤمن وجزاء كل واحد منهما أضرب للناس أمثالاً يستدلون بها فيزيدهم علماً ووعظاً وأضاف المثل إليهم لأنه مجعول لهم ثم أمر سبحانه بقتال الكفار فقال ﴿ فإذا

**لقيتم** ﴾ معاشر المؤمنين ﴿ **الذين كفروا** ﴾ يعني أهل دار الحرب ﴿ **فضرب الرقاب** ﴾ أي فاضربوا رقابهم والمعنى اقتلوهم لأن أكثر مواضع القتل ضرب العنق وإن كان يجوز الضرب في سائر المواضع فإن الغرض قتلهم ﴿ **حتى إذا اثختنموهم** ﴾ أي أثقلتموهم بالجراح وظفرتم بهم وقيل حتى إذا بالغتم في قتلهم وأكثرتم القتل حتى ضعفوا ﴿ **فشدّوا الوثاق** ﴾ أي احكموا وثاقهم في الأسر. أمر سبحانه بقتلهم والإثخان فيهم ليذلّوا فإذا ذلّوا بالقتل أسروا فالأسر يكون بعد المبالغة في القتل كما قال سبحانه ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴿ **فإما منّاً بعد وإما فداء** ﴾ أي فإما أن تمنّوا عليهم منّاً بعد أن تأسروهم فتطلقوهم بغير عوض وأمّا أن تفدوهم فداء واختلف في ذلك فقيل كان الأسر محرّماً بآية الانفال ثم أبيح بهذه الآية لأن هذه السورة نزلت بعدها فإذا أسروا فالإمام مخيّر بين المنّ والفداء بأسارى المسلمين وبالمال وبين القتل والاستعباد وهو قول الشافعي وأبي يوسف ومحمد بن إسحاق وقيل أن الإمام مخيّر بين المن والفداء والإستعباد وليس له القتل بعد الأسر عن الحسن وكأنّه جعل في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها ثم قال حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإمّا منّاً بعد وأما فداء وقيل أنّ حكم الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فإما تثقفنّهم في الحرب عن قتادة والسدّي وابن جريج وقال ابن عباس والضحاك الفداء منسوخ وقيل أن حكم الآية ثابت غير منسوخ عن ابن عمر والحسن وعطاء قالوا لأن النبي ﷺ منَّ على أبي غرة وقتل عقبة بن أبي معيط وفادى أسارى بدر والمروي عن أئمة الهدى صلوات الرحمن عليهم أنّ الأسارى ضربان ضرب يؤخذون قبل انقضاء القتال والحرب قائمة فهؤلاء يكون الإمام مخيّراً بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويتركهم حتى ينزفوا ولا يجوز المنّ ولا الفداء.
والضرب الآخر الذين يؤخذون بعد أن وضعت الحرب أوزارها وانقضى القتال فالإمام مخيّر فيهم بين المن والفداء أما بالمال أو بالنفس وبين الاسترقاق وضرب الرقاب فإذا أسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وكان حكمهم حكم المسلمين ﴿ **حتى تضع الحرب أوزارها** ﴾ أي حتى يضع أهل الحرب أسلحتهم فلا يقاتلون وقيل حتى لا يبقى أحد من المشركين عن ابن عباس وقيل حتى لا يبقى دين غير دين الإسلام عن مجاهد والمعنى حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا فلا يبقى إلا الإسلام خير الأديان ولا تعبد الأوثان وهذا كما جاء في الحديث والجهاد ماض مذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال وقال الفراء المعنى حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم وقال الزجاج أي اقتلوهم وأسروهم حتى يؤمنوا فما دام الكفر فالحرب قائمة أبداً ﴿ **ذلك** ﴾ أي الأمر الذي ذكرنا ﴿ **ولو**

يشاء الله لانتصر منهم ﴾ أي من الكفار بإهلاكهم وتعذيبهم بما شاء ﴿ ولكن ﴾ يأمركم بالحرب وبذل الأرواح في إحياء الدين ﴿ ليبلو بعضكم ببعض ﴾ أي ليمتحن بعضكم ببعض فيظهر المطيع من العاصي والمعنى أنه لو كان الغرض زوال الكفر فقط لأهلك الله سبحانه الكفار بما يشاء من أنواع الهلاك ولكن أراد مع ذلك أن يستحقوا الثواب وذلك لا يحصل إلا بالتعبد وتحمل المشاقّ ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله ﴾ أي في الجهاد في دين الله يوم أحد عن قتادة ومن قرأ قاتلوا فالمعنى جاهدوا سواء قتلوا أو لم يقتلوا ﴿ فلن يضل أعمالهم ﴾ أي لن يضيع الله أعمالهم ولن يهلكها بل يقبلها ويجازيهم عليها ثواباً دائماً ﴿ سيهديهم ﴾ إلى طريق الجنة والثواب ﴿ ويصلح بالهم ﴾ أي شأنهم وحالهم والوجه في تكرير قوله بالهم أن المراد بالأول أنه أصلح بالهم في الدين والدنيا وبالثاني أنه يصلح حالهم في نعيم العقبى فالأول سبب النعيم والثاني نفس النعيم ﴿ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ أي بينها لهم حتى عرفوها إذا دخلوها وتفرّقوا إلى منازلهم فكانوا أعرف بها من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم عن سعيد بن جبير وأبي سعيد الخدري وقتادة ومجاهد وابن زيد وقيل معناه بيّنها لهم وأعلمهم بوصفها على ما يشوق إليها فيرغبون فيها ويسعون لها عن الجبائي وقيل معناه طيّبها لهم عن ابن عباس في رواية عطاء من العرف وهو الرائحة الطيبة يقال طعم معرّف أي مطيّب .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ
أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾

[ اللغة ] التعس الانحطاط والعثار والاتعاس والازلال والادحاض بمعنى وهو العثار الذي لا يستقل صاحبه فإذا سقط الساقط فأريد به الانتعاش والاستقامة قيل لعاً له وإذا لم يرد

ذلك قيل تعساً قال الأعشى « فالتعس أولى لها من أن أقول لعا »[١] .

[ المعنى ] ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أن تنصـروا الله** ﴾ أي أن تنصروا دين الله ونبي الله بالقتال والجهاد ﴿ **ينصـركم** ﴾ على عـدوّكم ﴿ **ويثبّت أقدامكم** ﴾ أي يشجعكم ويقوّ قلوبكم لتثبتوا وقيل ينصركم في الآخرة ويثبّت أقدامكم عند الحساب وعلى الصراط وقيل ينصركم في الدنيا والآخـرة ويثبّت أقدامكم في الـدارين وهو الوجه قال قتادة حقّ على الله أن ينصر من نصره لقوله ﴿ **ان تنصروا الله ينصركم** ﴾ وأن يزيد من شكره لقوله ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ وأن يذكر من ذكره لقوله ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ وان يوفي بعهد من أقام على عهده لقوله ﴿ **وأوفوا بعهدي أوفِ بعدكم** ﴾ ﴿ **والذين كفروا فتعساً لهم** ﴾ أي مكروها لهم وسوءاً عن المبرد أي أتعسهم الله فتعسوا تعساً قال ابن عباس يريد في الدنيا العسرة وفي الآخرة التردّي في النار ﴿ **وأضلّ أعمالهم** ﴾ مرّ معناه ﴿ **ذلك** ﴾ التعس والاضلال ﴿ **بأنهم كرهوا ما أنزل الله** ﴾ على نبيه ﷺ من القرآن والأحكـام وأمرهم بالانقياد فخالفوا ذلك وقال أبو جعفر ( ع ) كرهوا ما أنزل الله في حق علي ( ع ) ﴿ **فأحبط أعمالهم** ﴾ لأنها لم تقع على الوجه المأمور به ثم نبّههم سبحانه على الاستدلال على صحة ما دعاهم إليه من التوحيد واخلاص العبادة لله فقال ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** ﴾ حين أرسل الله إليهم الرسل فدعـوهم إلى توحيـده وإخلاص العبادة له فلم يقبلوا منهم وعصوهم أي فهلاّ ساروا ورأوا عواقب أولئك ﴿ **دمّر الله عليهم** ﴾ أي أهلكهم ثم قال ﴿ **وللكافـرين** ﴾ بك يـا محمد ﴿ **أمثـالها** ﴾ من العـذاب إن لم يؤمنوا ويقبلوا ما تدعوهم إليه والمعنى أنهم يستحقون أمثالها وإنما يؤخر الله سبحانـه عذابهم إلى الآخرة تفضّلاً منه .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ
لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ
وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن

(١) مرّ البيت في ج ٣

قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا
نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ
عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ
فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ
وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ
وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير اسن مقصوراً والباقون آسن بالمد وقرأ علي ( ع ) وابن عباس أمثال الجنة على الجمع .

[ **الحجة** ] قال أبو زيد يقال أَسَن الماء يأسُنُ أُسُوناً إذا تغير وأسن الرجل يأسَن أَسناً إذا غشي عليه من ريح خبيثة وربما مات منها قال :

أَلتَّـارِك الْقِـرْنِ مُـصْـفـرّاً أَنـامِـلُهُ ... تَميلُ في الرُّمح ميل المائحِ الأَسِنِ[١]

قال أبو عبيدة الإسِن المتغير[٢] فحجة ابن كثير أن اسم الفاعل من فَعَل يفعل على فعل وقال أبو الحسن أَسِن إنما هو للحال التي تَكون عليها ومن قرأ آسن على فاعل فإنما يريد أن ذلك لا يصير إليه فيما يستقبل وقوله أمثال الجنة فيه دليل على أن القراءة العامة التي هي مثل في معنى الكثرة لما فيه من معنى المصدرية .

[ **اللغة** ] المثوى المنزل من قولهم ثوى بالمكان ثواء إذا أقام به ويقال للمرأة أم المثوى

(١) القرن كفؤك ومن يقاومك ونظيرك في الشجاعة واصفرار الأنامل كناية عن الموت . ماح الرجل : دخل البئر فملأ الدلو لقلة مائها ولا يمكن أن يستقى منها إلا بالاغتراف باليد ومقابله المـاتح أي من يستقي وهـو على رأس البئر سئـل الأصمعي عن المتح والميح فقال « الفوق للفوق والتحت للتحت » أي المتح أن يستقى وهو على رأس البئر والميح أن يملأ الدلو وهو في قعرها والاسن من دخل البئر فأصابته ريح منتنة فغشى عليه أو دار رأسه .

(٢) [ الريح ] .

أي ربّة المنزل والمثل والمثل بمعنى مثل الشِبه والشَبَه والبِدْل والبَدَل[١] والأمعاء جمع مِعىً وفي الحديث المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء وفيه وجوه من التأويل ( أحدها ) أنه قال علي ( ع ) في رجل معينَ ( والثاني ) أن المعنى يأكل المؤمن فيسمي الله تعالى فيبارك في أكله ( والثالث ) أن المؤمن يضيّق عليه في الدنيا والكافر يصيب منها ( والرابع ) أنه مَثَل لزهد المؤمن في الدنيا وحرص الكافر عليها وهذا أحسن الوجوه .

[ **الإعراب** ] قال الزجاج مثل الجنة مبتدأ وخبره محذوف تقديره مثل الجنة التي وعد المتقون مما قد عرفتموه من الدنيا جنة فيها أنهار إلى آخره وقوله كمن هو خالد في النار تقديره أفمن كان على بيّنة من ربه وأعطي هذه الأشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿ **ذلك** ﴾ أي الذي فعلناه في الفريقين ﴿ **بأن الله مولى الذين آمنوا** ﴾ يتولى نصرهم وحفظهم ويدفع عنهم ﴿ **وأن الكافرين لا مولى لهم** ﴾ ينصرهم ولا أحد يدفع عنهم لا عاجلاً ولا آجلا ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي من تحت أشجارها وأبنيتها ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام** ﴾ أي سيرتهم سيرة الأنعام آثروا لذّات الدنيا وشهواتها وأعرضوا عن العبر يأكلون للشبع ويتمتعون لقضاء الوطر ﴿ **والنار مثوى لهم** ﴾ أي موضع مقامهم يقيمون فيها ثم خوّفهم وهدّدهم سبحانه فقال ﴿ **وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك** ﴾ يا محمد يعني مكة ﴿ **التي أخرجتك** ﴾ أي أخرجك أهلها والمعنى كم من رجال هم أشد من أهل مكة ولهذا قال ﴿ **أهلكناهم** ﴾ فكنّى عن الرجال عن ابن عباس ﴿ **فلا ناصر لهم** ﴾ يدفع عنهم اهلاكنا إياهم والمعنى فمن الذي يؤمّن هؤلاء أن أفعل بهم مثل ذلك ثم قال سبحانه على وجه التهجين والتوبيخ للكفار والمنافقين ﴿ **أفمن كان على بيّنة من ربّه** ﴾ أي على يقين من دينه وعلى حجّة واضحة من اعتقاده في التوحيد والشرائع ﴿ **كمن زيّن له سوء عمله** ﴾ زيّن له الشيطان المعاصي وأغواه ﴿ **واتّبعوا أهواءهم** ﴾ أي شهواتهم وما تدعوهم إليه طباعهم وهو وصف لمن زيّن له سوء عمله وهم المشركون وقيل هم المنافقون عن ابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر ( ع ) ثم وصف الجنات التي وعدها المؤمنين بقوله ﴿ **مثل الجنة التي وعد المتقون** ﴾ تقدم تفسيره في سورة الرعد ﴿ **فيها أنهار من ماء غير آسن** ﴾ أي غير متغير لطول المقام كما تتغير مياه الدنيا

(١) كلاهما بمعنى الشريف الكريم ومنهما الإبدال .

﴿ **وأنهار من لبن لم يتغير طعمه** ﴾ فهو غير حامض ولا قارص ولا يعتريه شيء من العوارض التي تصيب الألبان في الدنيا ﴿ **وأنهار من خمر لذة للشاربين** ﴾ أي لذيذة يلتذّون بشربها ولا يتأذّون بها ولا بعاقبتها بخلاف خمر الدنيا التي لا تخلو من المزازة(١) والسكر والصداع ﴿ **وأنهار من عسل مصفى** ﴾ أي خالص من الشمع والرغوة والقذى ومن جميع الأذى والعيوب التي تكون لعسل الدنيا ﴿ **ولهم فيها من كل الثمرات** ﴾ أي مما يعرفون اسمها ومما لا يعرفون اسمها مبرّأة من كل مكروه يكون لثمرات الدنيا ﴿ **ومغفرة من ربهم** ﴾ أي ولهم مع هذا مغفرة من ربّهم وهو أنه يستر ذنوبهم وينسيهم سيّئاتهم حتى لا يتنغص عليهم نعيم الجنة ﴿ **كمن هو خالد في النار** ﴾ أي من كان في هذه النعيم كمن هو خالد في النار ﴿ **وسقوا ماء حميماً** ﴾ شديد الحر ﴿ **فقطع أمعاءهم** ﴾ إذا دخل أجوافهم وقيل أن قوله كمن هو خالد في النار معطوف على قوله ﴿ **كمن زين له سوء عمله** ﴾ أي كمن زين له سوء عمله ومن هو خالد في النار فحذف الواو كما يقال قصدني فلان شتمني ظلمني .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ
يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ
لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ
لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ
وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ

(١) وفي نسختين المرارة بدل المزازة والمزازة طعم بين الحموضة والحلاوة .

نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] روي في بعض الروايات عن ابن كثير آنفاً بالقصر والقراءة المشهورة آنفاً بالمد .

[ **الحجة** ] قال أبو علي أنشد أبو زيد :

وَجَدْنَا آلَ مُرَّةَ حِينَ خِفْنَا ... جَرِيرَتَنَا هُمُ الْأُنُفَ الْكِرَامَا
وَيَسْرَحُ جَارُهُمْ مِنْ حَيْثُ يمْسِي ... كَأَنَّ عَلَيْهِ مُؤْتَنَفاً حَرَاماً(١)

أي كأن عليه حرمة شهر مؤتنف حرام فحذف والأنف الذين يأنفون من إحتمال الضيم قال أبو علي فإذا كان كذلك فقد جمع فَعِل على فُعُل لأن واحد أُنُف أَنِف بدلالة قول الشاعر :

وَحَمَّالُ الْمِئِينَ إذا أَلَّمتْ ... بِنَا الْحَدَثَانُ وَالأَنِفُ النَّصُورُ(٢)

وليس الأُنُف والإنِف في البيتين مما في الآية في شيء لأن ما في الشعر من الآنَفَة وما في الآية من الإبتداء ولم يسمع أنف في معنى ابتداء ويجوز أن يكون توهمه ابن كثير مثل حاذر وحذِر وفاكه وفكِه والوجه المد والآنف الجائي من الإئتناف وهو الإبتداء فقوله آنفاً أي في أول وقت يقرب منا .

[ **اللغة** ] الأهواء جمع الهوى وهو شهوة النفس يقال هَوى يهوَي هَوىً فهو هوٍ واستهواه هذا الأمر أي دعاه إلى الهوى والإشراط العلامات وأشرط فلان نفسه للأمر إذا أعلمها بعلامة قال أوس بن حجر :

فَأَشْرطَ فِيهَا نَفْسهُ وَهْوَ مُعْصِمُ ... وألْقىٰ بِأَسْبَابٍ لَهُ وَتَوَكَّلا(٣)

وواحد الإشراط شرط والشَرَط بالتحريك العلامة وإشراط الساعة علاماتها والشَرَط

---

(١) مرة بطن من قريش والجريرة الذنب وهي مفعول خفنا والأنف الكرام مفعول : ثان لوجدنا والأنف صفة من أنف من الشيء أي استنكف وتنزه عنه وفي المخطوطة يمسي بدل يمشي وهو الأنسب المقام والمؤتنف : المستأنف والمبتدأ .

(٢) ألّمت أي نزلت وحِدْثان الدهر وحَدَثانه نوائبه والنصور مبالغة من الناصر .

(٣) الضمير في فيها راجع إلى الجبال واعصم يجوز أن يكون من قولهم أعصم الراكب إذا لم يثبت على الفرس وأن يكون من أعصم به إذا تمسك به والأسباب الأحبال وتوكل عليه أي وثق يصف رجلاً تدلى من رأس الجبل ليقطع النبعة لاتخاذ القوس عنه .

أيضاً رذال المال قال جرير :

تَـرىٰ شَرَطَ الْمعْـزىٰ مُهُـورَ نِسَـائِهِمْ وَفِي شَـرط الْمعْـزىٰ لَهُنَّ مُهُـورُ(١)

وأصحاب الشُرط سموا بذلك للبسهم لباساً يكون علامة لهم والشرط في البيع علامة بين المتبايعين .

[ **المعنى** ] ثم بين سبحانه حال المنافقين فقال : ﴿ **ومنهم من يستمع إليك** ﴾ أي ومن الكافرين الذين تقدم ذكرهم من يستمع إلى قراءتك ودعـوتك وكـلامك لأنّ المنـافق كافـر ﴿ **حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم** ﴾ يعني الـذين آتاهم الله العلم والفهم من المؤمنين قال ابن عباس أنا ممن أوتوا العلم بالقرآن وعن الأصبغ بن نباته عن علي ( ع ) قال أنا كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي فأعيه أنا ومن يعيه فإذا خرجنا قالوا ﴿ **ماذا قال آنفاً** ﴾ وقولهم ماذا قال آنفاً أي أيّ شيء قال السـاعة وإنمـا قالـوه إستهزاء أو إظهـار أنّا لم نشتغل أيضاً بوعيه وفهمه وقيل إنما قالوا ذلك لأنهم لم يفهموا معناه ولم يعلموا ما سمعـوه وقيل بل قالوا ذلك تحقيراً لقوله أي لم يقل شيئاً فيه فائدة ويحتمل أيضاً أن يكونوا سألوا رياء ونفاقاً أي لم يذهب عني من قوله إلا هذا فماذا قال أعده عليّ لأحفظه وإنما قال يستمع إليك ثم قال خرجوا من عندك لأن في الأول ردّ الضمير إلى لفظة من وفي الثاني إلى معناه فـإنه موحد اللفظ مجموع المعنى ثم قال ﴿ **أُولئك الذين طبع الله على قلوبهم** ﴾ أي وسم قلوبهم بِسِمَة الكفار أو خلّى بينهم وبين إختيارهم ﴿ **واتبعوا أهـواءهم** ﴾ أي شهوات نفـوسهم وما مالت إليه طباعهم دون ما قامت عليه الحجـة ثم وصـف سبحانـه المؤمنين فقال ﴿ **والـذين اهتدوا** ﴾ بما سمعوا من النبي ﷺ ﴿ **زادهم** ﴾ الله أو قراءة القـرآن أو النبي ﷺ ﴿ **هدى** ﴾ وقيل زادهم استهزاء المنافقين إيماناً وعلماً وبصيرة وتصديقاً لنبيهم ﷺ ﴿ **وآتاهم تقواهم** ﴾ أي وفقهم للتقوى وقيل معناه وآتاهم ثواب تقواهم عن سعيد بن جبير وأبي علي الجبائي وقيل بيّن لهم ما يتقون وهو ترك الرُخَص والأخذ بالعزائم ﴿ **فهل ينظرون إلا الساعة** ﴾ أي فليس ينتظرون إلا القيامة ﴿ **أن تأتيهم بغتة** ﴾ أي فجأة فقوله أن تأتيهم بدل من الساعة وتقديره إلا الساعة إتيانها بغتة والمعنى إلا إتيان الساعة إياهم بغتة ﴿ **فقد جاء إشراطها** ﴾ أي علاماتها قال ابن عباس معالمها والنبي من إشراطهـا ولقد قال بعثت أنا والساعـة كهاتين وقيـل هي إعلامها من إنشقاق القمر والدخان وخروج النبي ﷺ ونزول آخر الكتب عن مقاتـل ﴿ **فأنّى**

(١) يذمهم بأنهم صعاليك مهور نسائهم من رذال المعزى ومعروف أن المعزى من أموال الصعاليك فيُذمُّ على مالكيتها وأشدّ الذم إذا كان مهر نساء قوم من رذال المعزى .

لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ أي فمن أين لهم الذكر والإتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة وموضع ذكراهم رفع مثله في قوله ﴿ يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ﴾ أي ليس تنفعه الذكرى والذكرى ما أمر الله سبحانه أن يتذكروا به ومعناه وكيف لهم بالنجاة إذا جاءتهم الساعة فإنه لا ينفعهم في ذلك الوقت الإيمان والطاعات لزوال التكليف عنهم ثم قال لنبيه ﷺ والمراد به جميع المكلفين ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ قال الزجاج يجوز أن يكون المعنى أقم على هذا العلم وأثبت عليه واعلم في مستقبل عمرك ما تعلمه الآن ويدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة أورده مسلم في الصحيح وقيل أنه يتعلق بما قبله على معنى إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة أورده مسلم في الصحيح وقيل أنه يتعلق بما قبله على معنى إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا إله إلا الله أي يبطل الملك عند ذلك فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله وقيل إن هذا أخبار بموته ﷺ والمراد فاعلم أن الحي الذي لا يموت هو الله وحده وقيل أنه كان ضيّق الصدر من أذى قومه فقيل له فاعلم أنه لا كاشف لذلك إلا الله ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ الخطاب له والمراد به الأمة وإنما خوطب بذلك لتستنّ أمته بسنّته وقيل إن المراد بذلك الإنقطاع إلى الله تعالى فإن الإستغفار عبادة يستحق به الثواب وقد صح الحديث بالإسناد عن حذيفة بن اليمان قال كنت رجلاً ذرب اللسان على أهلي فقلت يا رسول الله إني لأخشى أن يدخلني لساني في النار فقال رسول الله ﷺ فأين أنت من الاستغفار أني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ أكرمهم الله سبحانه بهذا إذ أمر نبيهم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ثم أخبر سبحانه عن علمه وأحوال الخلق ومآلهم فقال ﴿ والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ أي متصرفكم في أعمالكم في الدنيا ومصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار عن ابن عباس وقيل يعلم متقلبكم في إصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومثواكم أي مقامكم في الأرض عن عكرمة وقيل متقلبكم من ظهر إلى بطن ومثواكم في القبور عن ابن كيسان وقيل يعلم متقلبكم متصرفكم في النهار ومثواكم مضجعكم بالليل والمعنى أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ثم قال سبحانه حكاية عن المؤمنين ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزّلت سورة ﴾ أي هلّا نزلت لأنهم كانوا يأنسون بنزول القرآن ويستوحشون لإبطائه ليعلموا أوامر الله تعالى فيهم وتعبّده لهم ﴿ فإذا أنزلت سورة محكمة ﴾ ليس فيها متشابه ولا تأويل وقيل سورة ناسخة لما قبلها من إباحة التخفيف في الجهاد قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين قيل محكمة أي مقرونة بوعيد يؤكد الأمر كقوله ﴿ ألّا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ﴾ وقيل محكمة بوضوح

ألفاظها وعلى هذا فالقرآن كله محكم وقيل هي التي تتضمن نصاً لم يختلف تأويله ولم يتعقبه نص وفي قراءة ابن مسعود سورة محدثة أي مجددة ﴿ **وذكر فيها القتال** ﴾ أي وأوجب عليهم في القتال وأمروا به ﴿ **رأيت** ﴾ يا محمد ﴿ **الذين في قلوبهم مرض** ﴾ أي شك ونفاق ﴿ **ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت** ﴾ قال الزجاج يريد أنهم يشخصون نحوك بأبصارهم وينظرون إليك نظراً شديداً كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت لثقل ذلك عليهم وعظمه في نفوسهم ﴿ **فأولى لهم** ﴾ هذا تهديد ووعيد قال الأصمعي معنى قولهم في التهديد أولى لك وليك وقارنك ما تكره وقال قتادة معناه العقاب لهم والوعيد لهم وعلى هذا يكون أولى إسماً للتهديد والوعيد ويكون أولى لهم مبتدأ وخبراً ولا ينصرف أولى لأنه على وزن الفعل وصار إسماً للوعيد وقول الأصمعي أن معناه وليك ما تكره لا يريد به أن أولى فعل وإنما فسره على المعنى وقيل معناه أولى لهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالإجابة أي لو أطاعوا فأجابوا كانت الطاعة والإجابة أولى لهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء واختيار الكسائي فيكون على هذا طاعة وقول معروف متصلاً بما قبله وكذلك لو كانت صفة لسورة وتقديره فإذا أنزلت سورة ذات طاعة وقول معروف على ما قاله الزجاج وعلى القول الأول يكون طاعة مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل أو أحسن أو يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أمرنا طاعة ويكون الوقف حسناً عند قوله فأولى لهم .

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾
فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ يعقوب وسهل وتَقْطَعوا بفتح التاء والطاء وسكون القاف والباقون وتُقَطّعوا بالتشديد وضم التاء وكسر الطاء وقرأ أهل البصرة وأملي لهم بضم الهمزة وفتح الياء وفي رواية رويس عن يعقوب بسكون الياء وقرأ الباقون وأملى لهم بفتح الهمزة واللام وروي عن النبي ﷺ فهل عسيتم إن وليتم وعن علي ( ع ) إن توليتم قال أبو حاتم معناه أن تولاكم الناس .

[ **الحجة** ] حجة من قرأ وتقطعوا بالتخفيف قوله تعالى ﴿ **ويقطعون ما أمر الله به** ﴾ أن يوصل والتشديد للمبالغة وقوله ﴿ **وليتم من الولاية** ﴾ وفيه دلالة على أن القراءة المشهورة توليتم معناه توليتم الأمر قال أبو علي قالوا انتظرته مليّاً من الدهر أي متسعاً منه صفة إستعمل إستعمال الأسماء وقالوا تمليت حبيباً أي عشت معه ملاوة من الدهروقالوا الملوان يريدون بهما تكرر الليل والنهار وطول مدتهما قال :

نَـهـارٌ وَلَـيْـلٌ دائِـمٌ مَلَواهُـمـا عَلىٰ كُـلِّ حـالِ الْمَـرْءِ يَخْتَلِفـانِ

فلو كان الليل والنهار لم يضافا إلى ضميرهما من حيث لا يضاف الشيء إلى نفسه ولكن كأنه يراد تكرار الدهر واتساعه بهما والضمير في أملي لهم لاسم الله كما قال وأملي لهم أن كيدي متين فمن قرأ وأملي لهم فبني الفعل للمفعول به فإنه يحسن في هذا الموضع للعلم بأنه لا يؤخر أحد مدة أحد ولا يوسع له فيها إلا الله سبحانه .

[ **المعنى** ] ﴿ **طاعة وقول معروف** ﴾ قد ذكرنا أن فيه مذهبين ( أحدهما ) أن يكون كلاماً متصلاً بما قبله وقد مر ذكره ( والآخر ) أن يكون كلاماً مبتدأ ثم اختلف في تقديره على وجهين ( أحدهما ) أن يكون مبتدأ محذوف الخبر ثم قيل إن معناه طاعة وقول معروف أمثل وأليق من أحوال هؤلاء المنافقين وقيل معناه طاعة وقول معروف خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد عن الحسن والوجه الآخر أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره قولوا أمرنا طاعة وقول معروف أي حسن لا ينكره السامع وهذا أمر أمر الله به المنافقين عن مجاهد وقيل هو حكاية عنهم أنهم كانوا يقولون ذلك ويقتضيه قوله فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ﴿ **فإذا عزم الأمر** ﴾ معناه فإذا جدّ الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوماً عليه والعزم العقَد على الأمر بالإرادة لأن يفعله فإذا عقد العازم العزم على أن يفعله قيل عزم الأمر على طريق البلاغة وجواب إذا محذوف ويدل عليه قوله ﴿ **فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم** ﴾ وتقديره فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا من أنفسهم فلو صدقوا الله فيما أمرهم به من الجهاد وإمتثلوا

أمره لكان خيراً لهم في دينهم ودنياهم من نفاقهم ﴿ **فهل عسيتم** ﴾ يا معشر المنافقين ﴿ **إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** ﴾ معناه إن توليتم الأحكام وليتم أي جعلتم ولاة أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشاء وسفك الدم الحرام فيقتل بعضكم بعضاً ويقطع بعضكم رحم بعض كما قتلت قريش بني هاشم وقتل بعضهم بعضاً وقيل إن توليتم معناه إن أعرضتم عن كتاب الله والعمل بما فيه أن تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا بقتل بعضكم بعضاً قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن القرآن ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن ثم ذم الله سبحانه من يريد ذلك فقال ﴿ **أولئك الذين لعنهم الله** ﴾ أي أبعدهم من رحمته ﴿ **فأصمهم وأعمى أبصارهم** ﴾ ومعناه أنهم لا يَعُون الخبر ولا يبصرون ما به يعتبرون فكأنهم صمّ عمي عن أبي مسلم وقيل أنهم في الآخرة لا يهتدون إلى الجنة بمنزلة الأصم الأعمى في الدنيا عن أبي علي الجبائي ولا يجوز حمله على الصمم والعمى في الجارحة بلا خلاف لأنهم لو كانوا كذلك لما ذمّوا على أنهم لا يسمعون ولا يبصرون وإنما أطلق الصمم لأنه لا يكون إلا في الإذن وقرن العمي بالأبصار لأنه قد يكون بالبصر وبالقلب ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن** ﴾ بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به وقيل أفلا يتدبرون القرآن فيقضوا ما عليهم من الحق عن أبي عبد الله (ع) وأبي الحسن موسى (ع) ﴿ **أم على قلوب أقفالها** ﴾ معنى تنكير القلوب إرادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم وفي هذا دلالة على بطلان قول من قال لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلا بخبر وسمع وفيه تنبيه أيضاً على فساد قول من يقول إن الحديث ينبغي أن يروى على ما جاء وإن كان مخالفاً لأصول الديانات في المعنى لأنه سبحانه دعا إلى التدبر والتفكر وذلك مناف للتعامي والتجاهل ثم قال سبحانه ﴿ **إن الذين ارتدوا على إدبارهم** ﴾ أي رجعوا عن الحق والإيمان ﴿ **من بعدما تبين لهم الهدى** ﴾ أي من بعد ما بان لهم طريق الحق وهم المنافقون عن ابن عباس والضحاك والسُّدّي كانوا يؤمنون عند النبي ﷺ ثم يظهرون الكفر فيما بينهم فتلك ردّة منهم وقيل هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ وقد عرفوه ووجدوا نعته مكتوباً عندهم عن قتادة وليس في هذا دلالة على أنّ المؤمن قد يكفر لأنه لا يمتنع أن يكون المراد من رجع في باطنه عن الإيمان بعد أن أظهره وقامت الحجة عنده بصحته ﴿ **الشيطان سوّل لهم** ﴾ أي زين لهم خطاياهم عن الحسن وقيل أعطاهم سؤلهم وأمنيتهم إذ دعاهم إلى ما يوافق مرادهم وهواهم عن أبي مسلم ﴿**وأملى لهم**﴾ أي طول لهم أملهم فاغتروا به وقيل أوهمهم طول العمر مع الأمن من المكاره وأبعد لهم في الأمل والأمنية .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ

سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ
إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾
أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ
ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر أسرارهم بالكسر والبقاون أسرارهم بالفتح .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قرأ أسرارهم أنه لما كان مصدراً أفرد ولم يجمع ويقوّي الأفراد قوله ﴿ **ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم** ﴾ فكما أفرد السر ولم يجمع كذلك قال أسرارهم ومن فتح الهمزة جعله جمع سر فكأنه جمع لاختلاف ضروب السر وجميع الأجناس يحسن جمعها مع الإختلاف وقد جاء سرهم في قوله ﴿ **يعلم سرهم** ﴾ على ما عليه معظم المصادر لأنّه يتناول جميع ضروبه فأفرد مرة وجمع أخرى .

[ **اللغة** ] الإضغان جمع الضغن وهو الحقد واللحن أصله إزالة الكلام عن جهته ثم أنه يستعمل على وجهين في الصواب والخطأ أما في الصواب فمعناه الكناية عن الشيء والعدول عن الإفصاح عنه قال الشاعر :

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لِكَيْلا تَفْطُنُوا    وَلَحَنْتُ لَحْناً لَيْسَ بِالْمُرْتابِ

وقيل اللحن هي الفطنة وسرعة الفهم والفاعل منه لحن يلحن فهو لحن إذا فطن ومنه الحديث لعل أحدكم يكون ألحن بحجته من بعض أي أفطن لها وأغرض بها ومنه قول الشاعر :

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أحْيَاناً    وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنا

وإنما يسمى التعريض لَحْناً لأنه ذهاب بالكلام إلى خلاف جهته ومنه قول عمر تعلموا اللحن كما تتعلمون القرآن وأما في الخطأ فإن اللحن إزالة الإعراب عن جهته والفعل منه

لحن يلحن فهو لاحن :

[ **المعنى** ] ثم بين سبحانه سبب إستيلاء الشيطان عليهم فقال ﴿ **ذلك** ﴾ أي التسويل والإملاء ﴿ **بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله** ﴾ من القرآن وما فيه من الأمر والنهي والأحكام والمروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ( ع ) أنهم بنو أمية كرهوا ما نزل الله في ولاية علي ابن أبي طالب ( ع ) ﴿ **سنطيعكم في بعض الأمر** ﴾ أي نفعل بعض ما تريدونه ﴿ **والله يعلم أسرارهم** ﴾ أي ما أسره بعضهم إلى بعض من القول وما أسروه في أنفسهم من الإعتقاد ﴿ **فكيف إذا توفتهم الملائكة** ﴾ أي فكيف حالهم إذا قبضت الملائكة أرواحهم وإنما حذف تفخيماً لشأن ما ينزل بهم في ذلك الوقت ﴿ **يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ على وجه العقوبة لهم ثم ذكر الله سبحانه سبب نزول ذلك الضرب فقال ﴿ **ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله** ﴾ من المعاصي التي يكرهها الله ويعاقب عليها ﴿ **وكرهوا رضوانه** ﴾ أي سبب رضوانه من الإيمان وطاعة الرسول ﴿ **فأحبط الله أعمالهم** ﴾ التي كانوا يعملونها من صلاة وصدقة وغير ذلك لأنها في غير إيمان ثم قال سبحانه ﴿ **أم حسب الذين في قلوبهم مرض إن لن يخرج الله أضغانهم** ﴾ أي أحقادهم على المؤمنين ولا يبدي عوراتهم للنبي ﷺ ﴿ **ولو نشاء لأريناكهم** ﴾ بأعيانهم يا محمد حتى تعرفهم وهو قوله ﴿ **فلعرفتهم بسيماهم** ﴾ أي بعلاماتهم التي ننصبها لك لكي تعرفهم بها ﴿ **ولتعرفنهم في لحن القول** ﴾ أي وتعرفهم الآن في فحوى كلامهم ومعناه ومقصده ومغزاه لأن كلام الإنسان يدل على ما في ضميره وعن أبي سعيد الخدري قال لحن القول بغضهم علي بن أبي طالب ( ع ) قال وكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم علي بن أبي طالب ( ع ) وروي مثل ذلك عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعن عبادة بن الصامت قال كنا نبور(١) أولادنا بحب علي ( ع ) فإذا رأينا أحدهم لا يحبه علمنا أنه لغير رَشْدَةٍ(٢) وقال أنس ما خفي منافق على عهد رسول الله بعد هذه الآية ﴿ **والله يعلم أعمالكم** ﴾ ظاهرها وباطنها .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ
مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن

(١) باره : جرّبه واختبره . (٢) الرشدة بالفتح وتكسر : ضد الزنية يقال « ولد لرَشْدة .

يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن
يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ
وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو بكر وليبلونكم وما بعده بالياء وهو المروي عن أبي جعفر الباقر (ع) والباقون بالنون وقرأ يعقوب ونبلو ساكنة الواو .

[ **الحجة** ] قال أبو علي وجه الياء إن قبله والله يعلم أعمالكم واسم الغيبة أقرب إليه من لفظ الجمع فحمل على الأقرب ووجه النون قوله ﴿ **ولو نشاء لأريناكهم** ﴾ .

[ **اللغة** ] يقال وتره يتره وترا إذا نقصه ومنه الحديث فكأنه وتر أهله وماله وأصله القطع ومنه الترة القطع بالقتل ومنه الوتر المنقطع بإنفراده عن غيره .

[ **المعنى** ] ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ **ولنبلونكم** ﴾ أي نعاملكم معاملة المختبر بما نكلفكم به من الأمور الشاقة ﴿ **حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** ﴾ أي حتى يتميز المجاهدون في سبيل الله من جملتكم والصابرون على الجهاد وقيل معناه حتى يعلم أولياؤنا المجاهدين منكم وإضافة إلى نفسه تعظيماً لهم وتشريفاً كما قال إن الذين يؤذون الله ورسوله أي يؤذون أولياء الله وقيل معناه حتى نعلم جهادكم موجوداً لأن الغرض أن تفعلوا الجهاد فيثيبكم على ذلك ﴿ **ونبلو أخباركم** ﴾ أي نختبر أسراركم بما تستقبلونه من أفعالكم ﴿ **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** ﴾ أي امتنعوا عن اتباع دين الله ومنعوا غيرهم من اتباعه[1] تارة وبالإغواء أخرى ﴿ **وشاقّوا الرسول** ﴾ أي عاندوه وعادوه ﴿ **من بعد ما تبين لهم الهدى** ﴾ أي من بعد ما ظهر لهم أنه الحق وعرفوا أنه رسول الله ﷺ ﴿ **لن يضروا الله** ﴾ بذلك ﴿ **شيئاً** ﴾ وإنما ضرّوا أنفسهم ﴿ **وسيحبط** ﴾ الله ﴿ **أعمالهم** ﴾ فلا يرون لها في الآخرة ثواباً وفي هذه الآية دلالة على أن هؤلاء الكفار كانوا قد تبين لهم الهدى فارتدوا عنه فلم يقبلوه

(١) [ بالقهر ] .

عناداً وهم المنافقون وقيل أنهم أهل الكتاب ظهر لهم أمر النبي ﷺ فلم يقبلوه وقيل هم رؤساء الضلالة جحدوا الهدى طلباً للجاه والرياسة لأن العناد يضاف إلى الخواص ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله** ﴾ بتوحيده ﴿ **وأطيعوا الرسول** ﴾ بتصديقه وقيل أطيعوا الله في حرمة الرسول وأطيعوا الرسول في تعظيم أمر الله ﴿ **ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾ بالشك والنفاق عن عطاء وقيل بالرياء والسمعة عن الكلبي وقيل بالمعاصي والكبائر عن الحسن ﴿ **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** ﴾ مضى معناه ﴿ **ثم ماتوا وهم كفار** ﴾ أي أصروا على الكفر حتى ماتوا على كفرهم ﴿**فلن يغفرالله لهم**﴾ أبداً لأن لفظ لن للتأبيد ﴿**فلا تهنوا**﴾ أي فلا تتوانوا ولا تضعفوا عن القتال ﴿ **وتدعوا إلى السلم** ﴾ أي ولا تدعوا الكفار إلى المسالمة والمصالحة ﴿ **وأنتم الأعلون** ﴾ أي وأنتم القاهرون الغالبون عن مجاهد وقيل إن الواو للحال أي لا تدعوهم إلى الصلح في الحال التي تكون الغلبة لكم فيها وقيل إنه إبتداء إخبار من الله عن حال المؤمنين أنهم الأعلون يداً ومنزلة آخر الأمر وإن غلبوا في بعض الأحوال ﴿ **والله معكم** ﴾ أي بالنصرة على عدوكم ﴿ **ولن يتركم أعمالكم** ﴾ أي لن ينقصكم شيئاً من ثوابها بل يثيبكم عليها ويزيدكم من فضله عن مجاهد وقيل معناه لن يظلمكم عن ابن عباس وقتادة وابن زيد .

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

[ **القراءة** ] في بعض الروايات عن أبي عمرو ويخرج بالرفع والمشهور عنه وعن الجميع ويخرج بالجزم .

[ **الحجة** ] وهذا يكون على استئناف الكلام أي وهو يخرج اضغانكم على كل حال .

[ **اللغة** ] الإحفاء الإلحاح في السؤال حتى ينتهي إلى مثل الحفاء والمشي بغير حذاء يقال احفاه بالمسألة يحفيه احفاء وقيل الاحفاء بالمسألة الالطاف فيها عن أبي مسلم والبخل هو منع الواجب وقيل هو منع النفع الذي هو أولى في العقل عن علي بن عيسى .

[ **الإعراب** ] أن يسألكموها فيحفكم إنما قدم المخاطب على الغائب لأن الابتداء بالأقرب مع أنه المفعول الأول اولى وتقول أن يسألها جماعتكم لأنه غائب مع غائب فالمتصل اولى بأن يلي الفعل من المنفصل وقال ها أنتم هؤلاء كرر التنبيه في الموضعين للتأكيد وأنتم مبتدأ وهؤلاء بدل منه وتدعون خبر المبتدأ .

[ **المعنى** ] ثم حضّ الله سبحانه على طلب الآخرة فقال **﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾** أي سريعة الفناء والانقضاء ومن اختار الفاني على الباقي كان جاهلاً ومنقوصاً قال الحسن الذي خلقها هو اعلم بها **﴿وإن تؤمنوا﴾** بالله ورسوله **﴿وتتقوا﴾** معاصيه **﴿يؤتكم أجوركم﴾** أي جزاء أعمالكم في الآخرة **﴿ولا يسألكم أموالكم﴾** كلها في الصدقة وان أوجب عليكم الزكاة في بعض أموالكم عن سفيان بن عيينة الجبائي وقيل لا يسألكم أموالكم لأن الأموال كلها لله فهو املك لها وهو المنعم بإعطائها وقيل لا يسألكم الرسول على اداء الرسالة اموالكم ان تدفعوها إليه **﴿ان يسئلكموها فيحفكم﴾** أي يجهدكم بمسألة جميعها **﴿تبخلوا﴾** بها فلا تعطوها أي أن يسئلكم جميع ما في أيديكم تبخلوا وقيل فيحفكم أي فليلطف في السؤال بأن يعد عليه الثواب الجزيل عن أبي مسلم **﴿ويخرج أضغانكم﴾** أي ويظهر بغضكم وعداوتكم لله ورسوله ولكنه فرض عليكم ربع العشر قال قتادة علم الله أن في مسألة الأموال خروج الاضغان وهي الاحقاد التي في القلوب والعداوات الباطنة **﴿ها أنتم هؤلاء تدعون انفقوا في سبيل الله﴾** يعني ما فرض عليهم في أموالهم أي إنما تؤمرون باخراج ذلك وانفاقه في طاعة الله **﴿فمنكم من يبخل﴾** بما فرض عليه من الزكاة **﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾** لأنه يحرمها مثوبة جسيمة ويلزمها عقوبة عظيمة وهذه اشارة إلى أن معطي المال احوج إليه من الفقير الآخذ فبخله بخل على نفسه وذلك أشد البخل قال مقاتل إنما يبخل بالخير والفضل في الآخرة عن نفسه وقيل معناه فإنما يبخل بداع عن نفسه يدعوه إلى البخل فإن الله تعالى نهى عن البخل وذمه فلا يكون البخل بداع من جهته **﴿والله الغني﴾** عما عندكم من الأموال **﴿وأنتم الفقراء﴾** إلى ما عند الله من الخير والرحمة أي لا يأمركم بالانفاق لحاجته ولكن لتنتفعوا به في الآخرة **﴿وان تتولوا﴾** أي تعرضوا عن طاعته وعن أمر رسوله

﴿**يستبدل قوماً غيركم**﴾ امثل وأطوع لله منكم ﴿**ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾ بل يكونوا خيراً منكم وأطوع لله وروى أبو هريرة أن ناساً من اصحاب رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه وكان سلمان الى جنب رسول الله ﷺ فضرب يده على فخذ سلمان فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال إن تتولوا يا معشر العرب يستبدل قوماً غيركم يعني الموالي وعن أبي عبد الله ( ع ) قال قد والله أبدل بهم خيراً منهم الموالي .

# (٤٨) سُورَةُ الفَتحِ مَدَنيَّة وَآيَاتُهَا تِسعٌ وَعِشرُونَ

[ عدد آيها ]

تسع وعشرون آية بالاجماع

[ **فضلها** ] إبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فكأنما شهد مع محمد ﷺ فتح مكة وفي رواية أخرى فكأنما كان مع من بايع محمداً ﷺ تحت الشجرة عمر بن الخطاب قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال نزلت عليّ البارحة سورة هي احب إلي من الدنيا وما فيها انا فتحنا الى قوله وما تأخر اورده البخاري في الصحيح . قتادة عن انس قال لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكآبة إذ أنزل الله عز وجل انا فتحنا لك فتحاً مبيناً فقال رسول الله ﷺ لقد أنزلت عليّ آية هي احب إليّ من الدنيا كلها عبد الله بن مسعود قال اقبل رسول الله ﷺ من الحديبية فجعلت ناقته تثقل فتقدمنا فأنزل الله عليه ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ فأدركنا رسول الله ﷺ وبه من السرور ما شاء الله فأخبر أنها أنزلت عليه. عبد الله بن بكير عن أبيه قال قال أبو عبد الله ( ع ) حصنوا أموالكم ونساءكم وما ملكت أيمانكم من التلف بقراءة انا فتحنا فإنه إذا كان ممن يدمن قراءتها ناداه مناد يوم القيامة حتى يسمع الخلائق انت من عبادي المخلصين الحقوه بالصالحين من عبادي فاسكنوه جنات النعيم واسقوه الرحيق المختوم بمزاج الكافور .

[ **تفسيرها** ] ختم الله تلك السورة بقوله ﴿**والله الغني وأنتم الفقراء**﴾ ومن غناه أنه فتح لنبيه ﷺ ما احتاج إليه في دينه ودنياه فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا
وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾

[ **اللغة** ] الفتح ضد الاغلاق وهو الأصل ثم استعمل في مواضع فمنها الحكم والقضاء ويسمّى الحاكم فتاحاً والفتاحة الحكومة ومنها النصر والاستفتاح الاستنصار ومنها فتح البلدان ومنها العلم وقوله وعنده مفاتِح الغيب من ذلك .

[ **المعنى** ] **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾** أي قضينا لك قضاء ظاهراً عن قتادة وقيل معناه يسرنا لك يسراً بيناً عن مقاتل وقيل معناه اعلمناك علماً ظاهراً فيما أنزلناه عليك من القرآن وأخبرناك به من الدين وقيل معناه أرشدناك إلى الاسلام وفتحنا لك أمر الدين عن الزجاج ثم اختلف في هذا الفتح على وجوه ( أحدها ) ان المراد به فتح مكة وعدها الله ذلك عام الحديبية عند انكفائه منها عن أنس وقتادة وجماعة من المفسرين قال قتادة نزلت هذه الآية عند مرجع النبي ﷺ من الحديبية بشّر في ذلك الوقت بفتح مكة وتقديره إنا فتحنا لك مكة أي قضينا لك بالنصر على أهلها وعن جابر قال ما كنا نعلم فتح مكة الا يوم الحديبية ( وثانيها ) إن المراد بالفتح هنا صلح الحديبية وكان فتحاً بغير قتال قال الفراء الفتح قد يكون صلحاً ومعنى الفتح في اللغة فتح المنغلق والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدوداً متعذراً حتى فتحه الله وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير فكثر بهم سواد الإسلام وقال الشعبي بويع بالحديبية وذلك بيعة الرضوان

وأطعم نخيل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح المسلمون بظهور اهل الكتاب وهم الروم على المجوس إذ كان فيه مصداق قول الله تعالى ﴿انهم سيغلبون وبلغ الهدي﴾ محله والحديبية بئر روي انه نفذ ماؤها فظهر فيها من اعلام النبوة ما اشتهرت به الروايات قال البراء بن عازب تعدّون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فما ترك منها قطرة فبلغ ذلك إلى النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها وتركها ثم انها اصدرتنا نحن وركابنا وفي حديث سلمة بن الأكوع إما دعا واما بزق فيها فجاشت فسقينا وأسقينا وعن محمد بن اسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة[١] ان رسول الله ﷺ خرج لزيارة البيت لا يريد حرباً فذكر الحديث الى أن قال[٢] رسول الله ﷺ انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوا ذي ماء فأخرج رسول الله ﷺ من كنانته سهماً فأعطاه رجلاً من أصحابه فقال له انزل في بعض هذه القلب فاغرزه في جوفه ففعل فجاش بالماء الرواء حتى ضرب الناس بعطن وعن عروة وذكر خروج النبي ﷺ قال وخرجت قريش من مكة فسبقوه إلى بلدح والى الماء فنزلوا عليه فلما رأى رسول الله ﷺ أنه قد سبق نزل على الحديبية وذلك في حرّ شديد وليس فيها إلا بئر واحدة فأشفق القوم من الظماء والقوم كثير فنزل فيها رجال يمتحونها ودعا رسول الله ﷺ بدلو من ماء فتوضأ[٣] ومضمض فاه ثم مجَّ فيه وأمر أن يصب في البئر ونزع سهماً من كنانته وألقاه في البئر فدعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفتها وروى سالم بن أبي الجعد قال قلت لجابر كم كنتم يوم الشجرة قال كنا الفاً وخمسمائة وذكر عطشاً أصابهم قال فأتى رسول الله ﷺ بماء في تور فوضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين اصابعه كأنه العيون قال فشربنا وُسَعنا وكفانا قال قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف كفانا كنا الفاً وخمسمائة ( وثالثها ) ان المراد بالفتح هنا فتح خيبر عن مجاهد والعوفي وروي عن مجمع بن حارثة الأنصاري كان احد القراء قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها إذاً الناس يهزون الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما بال الناس قالوا أوحي إلى رسول الله ﷺ فخرجنا نوجف فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس إليه قرأ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً السورة فقال عمر افتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية لم يدخل فيها احد إلا من

---

(١) محزمة خ ل. (٢) [ قال ] . (٣) في بعض النسخ فتوضأ من الدلو .

شهدها ( ورابعها ) ان الفتح الظفر على الاعداء كلهم بالحجج والمعجزات الظاهرة واعلاء كلمة الإسلام ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ قد قيل فيه أقوال كلها غير موافق لما يذهب اليه اصحابنا أن الأنبياء معصومون من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها ( فمنها ) انهم قالوا معناه ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تأخر عنها ( ومنها ) قولهم ما تقدم الفتح وما تأخر عنه ( ومنها ) قولهم ما وقع وما لم يقع على الوعد بأنه يغفره له إذا وقع ( ومنها ) قولهم ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنوب امتك بدعوتك والكلام في ذنب آدم كالكلام في ذنب نبينا ﷺ ومن حمل ذلك على الصغائر التي تقع محبطة عندهم فالذي يبطل قولهم ان الصغائر اذا سقط عقابها وقعت مكفرة فكيف يجوز أن يمن الله سبحانه على نبيه ﷺ بأن يغفرها له وإنما يصح الامتنان والتفضل منه سبحانه بما يكون له المؤاخذة به لا بما لو عاقب به لكان ظالماً عندهم فوضح فساد قولهم ولأصحابنا فيه وجهان من التأويل ( أحدهما ) ان المراد ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب امتك وما تأخر بشفاعتك وأراد بذكر التقدم والتأخر ما تقدم زمانه وما تأخر كما يقول القائل لغيره صفحت عن السالف والآنف من ذنوبك وحسنت اضافة ذنوب امته اليه للاتصال والسبب بينه وبين أمته ويؤيد هذا الجواب ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق ( ع ) قال سأله رجل عن هذه الآية فقال والله ما كان له ذنب ولكن الله سبحانه ضمن له ان يغفر ذنوب شيعة علي ( ع ) ما تقدم من ذنبهم وما تأخر وروى عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبد الله ( ع ) عن قول الله سبحانه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ما كان له ذنب ولا همَّ بذنب ولكن الله حمله ذنوب شيعته ثم غفرها له ( والثاني ) ما ذكره المرتضى قدس الله روحه أن الذنب مصدر والمصدر يجوز اضافته إلى الفاعل والمفعول معاً فيكون هنا مضافاً إلى المفعول والمراد ما تقدم من ذنبهم إليك في منعهم إياك عن مكة وصدهم لك عن المسجد الحرام ويكون معنى المغفرة على هذا التأويل الازالة والنسخ لاحكام اعدائه من المشركين عليه أي يزيل الله تعالى ذلك عنك ويستر عليك تلك الوصمة بما يفتح لك من مكة فستدخلها فيما بعد ولذلك جعله جزاء على جهاده وغرضاً في الفتح ووجهاً له قال ولو أنه أراد مغفرة ذنوبه لم يكن قوله إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله معنى معقول لأن المغفرة للذنوب لا تعلق لها بالفتح فلا يكون غرضاً فيه وأما قوله ما تقدم وما تأخر فلا يمتنع أن يريد به ما تقدم زمانه من فعلهم القبيح بك وبقومك وقيل أيضاً في ذلك وجوه أُخر ( منها) ان معناه لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك ( ومنها) ان المراد بالذنب هناك ترك المندوب وحسن ذلك لأن من المعلوم انه ممن لا يخالف الأوامر الواجبة فجاز ان يسمى ذنباً منه ما لو وقع من غيره لم يسم

ذنباً لعلو قدره ورفعة شأنه ( ومنها ) ان القول خرج مخرج التعظيم وحسن الخطاب كما قيل في قوله عفا الله عنك وهذا ضعيف لأن العادة جرت في مثل هذا أن يكون على لفظ الدعاء وقوله **﴿ويتم نعمته عليك﴾** معناه ويتم نعمته عليك في الدنيا باظهارك على عدوك وإعلاء امرك ونصرة دينك وبقاء شرعك وفي الآخرة برفع محلك فإن معنى اتمام النعمة فعل ما يقتضيها وتبقيتها على صاحبها والزيادة فيها وقيل يتم نعمته عليك بفتح خيبر ومكة والطائف **﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾** أي ويثبتك على صراط يؤدي بسالكه إلى الجنة **﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾** النصر العزيز هو ما يمتنع به من كل جبار عند وعاتٍ مريد وقد فعل ذلك بنبيه ﷺ إذ صير دينه أعز الأديان وسلطانه اعظم السلطان **﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾** وهي ان يفعل الله بهم اللطف الذي يحصل لهم عنده من البصيرة بالحق ما تسكن اليه نفوسهم وذلك بكثرة ما ينصب لهم من الادلة الدالة عليه فهذه النعمة التامة للمؤمنين خاصة وأما غيرهم فتضطرب نفوسهم لأول عارض من شبهة ترد عليهم اذ لا يجدون برد اليقين وروح الطمأنينة في قلوبهم وقيل هي النصرة للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم ويثبتوا في القتال وقيل هي ما أسكن قلوبهم من التعظيم لله ولرسوله **﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾** أي يقيناً الى يقينهم بما يرون من الفتوح وعلوّ كلمة الاسلام على وفق ما وعدوا وقيل ليزدادوا تصديقاً بشرائع الإسلام وهو انهم كلما أمروا بشيء من الشرائع والفرائض كالصلاة والصيام والصدقات صدقوا به وذلك بالسكينة التي أنزلها الله في قلوبهم عن ابن عباس والمعنى ليزدادوا معارف على المعرفة الحاصلة عندهم **﴿ولله جنود السماوات والأرض﴾** يعني الملائكة والجن والانس والشياطين عن ابن عباس والمعنى أنه لو شاء لأعانكم بهم وفيه بيان انه لو شاء لأهلك المشركين لكنه عالم بهم وبما يخرج من أصلابهم فأمهلهم لعلمه وحكمته ولم يأمر بالقتال عن عجز واحتياج لكن ليعرض المجاهدين لجزيل الثواب **﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾** فكل أفعاله حكمة وصواب **﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات﴾** تقديره انا فتحنا لك ليغفر لك الله انا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات **﴿جنات﴾** ولذلك لم يدخل واو العطف في ليدخل اعلاماً بالتفصيل **﴿تجري من تحتها الأنهار﴾** أي من تحت اشجارها الأنهار **﴿خالدين فيها﴾** أي دائمين مؤبدين لا يزول عنهم نعيمها **﴿ويكفر عنهم سيئاتهم﴾** أي عقاب معاصيهم التي فعلوها في دار الدنيا **﴿وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً﴾** أي ظفراً يعظم الله به قدره .

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ

ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ
وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا
يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ
نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قد بينا اختلافهم في السوء في سورة التوبة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ليؤمنوا بالله وما بعده بالياء وقرأ الباقون بالتاء وقرأ أهل العراق فسيؤتيه بالياء والباقون بالنون وفي الشواذ قراءة الجحدري وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي مخففاً .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة الياء أنه لا يقال لتؤمنوا بالله ورسوله(١) وهو الرسول فإذا لم يسهل ذلك كانت القراءة بالياء ليؤمنوا ومن قرأ بالتاء فعلى قوله لهم إنا أرسلناك اليهم شاهداً لتؤمنوا وحجة الياء في فسيؤتيه قوله ومن أوفى مما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً على تقديم ذكر الغيبة وزعموا أن في حرف عبد الله فسوف يؤتيه الله والنون على الانصراف من الافراد الى لفظ الكثرة وقال ابن جني من قرأ تعزروه فالمعنى تمنعوه وتمنعوا دينه ونبيه فهو كقوله ان تنصروا الله ينصركم أي ان تنصروا دينه فهو على حذف المضاف واما تعزروه بالتشديد فتمنعوا منه بالسيف عن الكلبي وعزّرت فلاناً فخمت امره ومنه عزرة اسم رجل ومنه عندي التعزير للضرب دون الحدّ وذلك أنه لم يبلغ به ذل الحد الكامل فكأنه محاسنة فيه قال أبو حاتم وقرأ بعضهم تعززوه أي تجعلوه عزيزاً .

[ **المعنى** ] لما تقدم الوعد للمؤمنين عقبه سبحانه بالوعيد للكافرين فقال ﴿ويعذب﴾

(١) [ المخاطب ] .

الله ﴿المنافقين والمنافقات﴾ وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الشرك فالنفاق اسرار الكفرواظهارالإيمان أخذ من نافقاء اليربوع وهو أن يجعل لسربه بابين يظهر أحدهما ويخفى الآخر فإذا أتى من الظاهر خرج من الآخر ﴿والمشركين والمشركات﴾ وهم الذين يعبدون مع الله غيره ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾ أي يتوهمون ان الله ينصرهم على رسوله وذلك سوء أي قبيح والسَوء المصدر والسوء الاسم وقيل هو ظنهم ان النبي ﷺ لا يعود الى موضع ولادته ابداً وقيل هو ظنهم ان لن يبعث الله احداً ومثله وظننتم ظن السوء ﴿عليهم دائرة السوء﴾ أي يقع عليهم العذاب والهلاك والدائرة هي الراجعة بخير أو شر قال حميد بن ثور « ودائرات الدهر ان تدورا » وقيل ان من قرأ بالضم فالمراد دائرة العذاب ومن قرأ بالفتح فالمرَاد ما جعله للمؤمنين من قتلهم وغنيمة اموالهم ﴿وغضب الله عليهم ولعنهم﴾ أي أبعدهم من رحمته ﴿وأعد لهم جهنم﴾ يجعلهم فيها ﴿وساءت مصيراً﴾ أي مآلاً ومرجعاً ﴿ولله جنود السماوات والأرض﴾ إنما كرر لأن الأول متصل بذكر المؤمنين اي فله الجنود التي يقدر أن يعينكم بها والثاني متصل بذكر الكافرين أي فله الجنود التي يقدر على الانتقام منهم بها ﴿وكان الله عزيزاً﴾ في قهره وانتقامه ﴿حكيماً﴾ في فعله وقضائه ثم خاطب نبيه ﷺ فقال ﴿إنا أرسلناك﴾ يا محمد ﴿شاهداً﴾ على أمتك بما عملوه من طاعة ومعصية وقبول وردّ او شاهداً عليهم بتليغ الرسالة ﴿ومبشراً﴾ بالجنة لمن اطاع ﴿ونذيراً﴾ من النار لمن عصى ثم بيّن سبحانه الغرض بالإرسال فقال ﴿لتؤمنوا بالله﴾ من قرأ ليؤمنوا بالياء فالمعنى ليؤمن هؤلاء الكفار بالله ﴿ورسوله وتعزروه﴾ أي تنصروه بالسيف واللسان والهاء تعود إلى النبي ﷺ ﴿وتوقروه﴾ أي تعظموه وتبجّلوه ﴿وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ أي وتصلوا[1] بالغداة والعشي وقيل معناه وتنزهوه عما لا يليق به وكثير من القراء اختاروا الوقف على وتوقروه لاختلاف الضمير فيه وفيما بعده وقيل وتعزروه اي وتنصروا الله وتوقروه اي وتعظموه وتطيعوه كقوله لا ترجون الله وقاراً وعلى هذا فتكون الكنايات متفقة وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر ان الله سبحانه يريد من الكفار الكفر لأنه صرح هنا انه يريد من جميع المكلفين الايمان والطاعة ﴿إن الذين يبايعونك﴾ المراد بالبيعة هنا بيعة الحديبية وهي بيعة الرضوان بايعوا رسول الله ﷺ على الموت ﴿إنما يبايعون الله﴾ يعني أن المبايعة معك تكون مبايعة مع الله لأن طاعتك طاعة الله وإنما سميت بيعة لأنها عقدت على بيع أنفسهم بالجنة للزومهم في الحرب النصرة ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ أي عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم لأنهم بايعوا الله ببيعة نبيه ﷺ فكأنهم بايعوه من غير واسطة عن السديّ وقيل معناه قوة الله في نصرة

(١) [ لله ].

نبيه ﷺ فوق نصرتهم إياه اي ثق بنصرة الله لك لا بنصرتهم وان بايعوك عن ابن كيسان وقيل نعمة الله عليهم بنبيه ﷺ فوق أيديهم بالطاعة والمبايعة عن الكلبي وقيل يد الله بالثواب وما وعدهم على بيعتهم من الجزاء فوق أيديهم بالصدق والوفاء عن ابن عباس **﴿فمن نكث﴾** أي نقض ما عقد من البيعة **﴿فإنما ينكث على نفسه﴾** أي يرجع ضرر ذلك النقض عليه وليس له الجنة ولا كرامة عن ابن عباس **﴿ومن أوفى﴾** أي ثبت على الوفاء **﴿بما عاهد عليه الله﴾** من البيعة **﴿فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾** أي ثواباً جزيلاً .

۞ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا
فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ
لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ
ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ
ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾
سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا
نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ
ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

[ القراءة ] قرأ اهل الكوفة غير عاصم ضرّاً بضم الضاد يبدلوا كلم الله بغير الف والباقون ضراً بالفتح كلام الله بالالف .

[ الحجة ] اقل ابو علي الضر خلاف النفع وفي التنزيل ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً والضر سوء الحال وفي التنزيل فكشفنا ما به من ضر هذا الأبين في هذا الحرف عندي ويجوز ان يكونا لغتين في معنى كالفَقر والفُقر والضَعف والضُعف ومن قرأ كلام الله فوجهه انه قيل فيهم لن تخرجوا معي ابداً فخص الكلام بما كان مفيداً وحديثاً فقال كلام الله ومن قرأ كلم الله قال الكلم قد يقع على ما يقع عليه الكلام وعلى غيره وان كان الكلام بما ذكرنا اخص الا ترى انه قال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل فإنما هو والله اعلم ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض وما يتصل به .

[ اللغة ] المخلّف هو المتروك في المكان خلف الخارجين من البلد وهو مشتق من الخلف وضده المقدم والاعراب الجماعة من عرب البادية وعرب الحاضرة ليسوا باعراب فرقوا بينهما وان كان اللسان واحداً والبور الفاسد الهالك وهو مصدر لا يثنى ولا يجمع يقال رجل بور ورجال بور قال :

يَـارَسُـولَ الْـمَلِيـكِ إنَّ لِسَـانـي رَاتِـقٌ مَـا فَتَقْـتُ إذْ أَنَـا بُـورُ

وقال حسان :

لَا يَنْفَـعُ الـطُّوْلُ مِنْ نُـوكِ الْقُلُوبِ وَقَـدْ يَهْـدي الإِلَـهُ سَبيـلَ الْمَعْشَـرِ الْبُـورِ

[ المعنى ] ثم اخبر سبحانه عمن تخلف عن نبيه ﷺ فقال **﴿سيقول لك المخلفون عن الاعراب﴾** اي الذي تخلفوا عن صحبتك في وجهتك وعمرتك وذلك انه لما اراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً وكان في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة استنفر من حول المدينة الى الخروج معه وهم غفار واسلم ومزينة وجهينة واشجع والدئل حذراً من قريش ان يعرضوا له بحرب او بصدّ واحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حرباً فتثاقل عنه كثير من الاعراب فقالوا نذهب معه إلى قوم قد جاؤه فقتلوا اصحابه فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل فقال سبحانه انهم يقولون لك إذا انصرفت إليهم فعاتبتهم على التخلف عنك **﴿شغلتنا اموالنا واهلونا﴾** عن الخروج معك **﴿فاستغفر لنا﴾** في قعودنا عنك فكذّبهم الله تعالى فقال **﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾** كذبهم في اعتذارهم بما اخبر عن ضمائرهم واسرارهم اي لا يبالون استغفر لهم النبي ﷺ ام لا **﴿قل﴾** يا محمد **﴿فمن يملك**

لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو اراد بكم نفعاً﴾ أي فمن يمنعكم من عذاب الله إن اراد بكم سوءاً ونفعاً أي غنيمة عن ابن عباس وذلك انهم ظنوا انّ تخلّفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر أو يُعجل لهم النفع بالسلامة في انفسهم واموالهم فأخبرهم سبحانه انه ان اراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على دفعه عنهم ﴿بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾ أي عالماً بما كنتم تعملون في تخلفكم ﴿بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى اهليهم ابداً﴾ اي ظننتم انهم لا يرجعون إلى من خلفوا بالمدينة من الأهل والأولاد لأن العدو يستأصلهم ويصطليهم[1] ﴿وزين ذلك في قلوبكم﴾ اي زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم وسوّله لكم ﴿وظننتم ظن السوء﴾ في هلاك النبي ﷺ والمؤمنين وكل هذا من الغيب الذي لا يطلع عليه أحد إلا الله فصار معجزاً لنبينا ﷺ ﴿وكنتم قوماً بوراً﴾ أي هلكى لا تصلحون لخير عن مجاهد وقيل قوماً فاسدين عن قتادة ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا اعتدنا للكافرين سعيرا﴾ اي ناراً تسعرهم وتحرقهم ﴿و لله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء﴾ ذنوبه ﴿ويعذب من يشاء﴾ إذا استحق العقاب ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ ظاهر المعنى ثم قال ﴿سيقول لك المخلفون﴾ يعني هؤلاء ﴿إذا انطلقتم﴾ ايها المؤمنون ﴿إلى مغانم لتأخذوها﴾ يعني غنائم خيبر ﴿ذرونا نتبعكم﴾ اي اتركونا نجيء معكم وذلك انهم لما انصرفوا من عام الحديبية بالصلح وعدهم الله سبحانه فتح خيبر وخص بغنائمها من شهد الحديبية فلما انطلقوا اليها قال هؤلاء المخلفون ذرونا نتبعكم فقال سبحانه ﴿يريدون ان يبدلوا كلام الله﴾ أي مواعيد الله لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة أرادوا تغيير ذلك بأن يشاركوهم فيها عن ابن عباس وقيل يريد امر الله لنبيه ان لا يسير معه منهم احد عن مقاتل ﴿قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل﴾ أي قال الله بالحديبية قبل خيبر وقبل مرجعنا اليكم إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية لا يشركهم فيها غيرهم هذا قول ابن عباس ومجاهد وابن إسحاق وغيرهم من المفسرين وقال الجبائي اراد بقوله يريدون ان يبدلوا كلام الله قوله سبحانه قل لن تخرجوا معي ابداً ولن تقاتلوا معي عدواً وهذا غلط فاحش لأن هذه السورة نزلت بعد الانصراف من الحديبية في سنة ست من الهجرة وتلك الآية نزلت في الذين تخلفوا عن تبوك وكانت غزوة تبوك بعد فتح مكة وبعد غزوة حنين والطائف ورجوع النبي ﷺ منها إلى المدينة ومقامه ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم تهيأ في رجب للخروج إلى تبوك وكان منصرفه من تبوك في بقية رمضان من سنة تسع من الهجرة ولم يخرج ﷺ بعد ذلك لقتال ولا غزو إلى ان قبضه الله

---

(١) وفي بعض النسخ يصطلمهم .

تعالى فكيف تكون هذه الآية مرادة بقوله كلام الله وقد نزلت بعده بأربع سنين لولا ان العصبية ترين على القلوب ثم قال **﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾** أي فسيقول المخلفون عن الحديبية لكم إذا قلتم هذا لم يأمركم الله تعالى به بل انتم تحسدوننا ان نشارككم في الغنيمة فقال سبحانه ليس الأمر على ما قالوه **﴿بل كانوا لا يفقهون﴾** الحق وما تدعونهم اليه **﴿إلا قليلا﴾** اي إلا فقهاً قليلاً او شيئاً قليلاً وقيل معناه إلا القليل منهم وهم المعاندون.

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ
أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ
أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾
لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ
حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً
يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ
كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ
وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون والباقون بالياء وهما في المعنى سواء.

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ **﴿قل﴾** يا محمد **﴿للمخلفين﴾** الذين تخلفوا عنك

في الخروج إلى الحديبية ﴿من الاعراب ستدعون﴾ فيما بعد ﴿إلى قوم أولي بأس شديد﴾ وهم هوازن وحنين عن سعيد بن جبير وعكرمة وقيل هم هوازن وثقيف عن قتادة وقيل عن ثقيف عن الضحاك وقيل هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب عن الزهري وقيل هم اهل فارس هم ابن عباس وقيل هم الروم عن الحسن وكعب وقيل هم اهل صفين اصحاب معاوية والصحيح ان المراد بالداعي في قوله ستدعون هو النبي ﷺ لأنه قد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة وقتال اقوام ذوي نجدة وشدة مثل أهل حنين والطائف ومؤتة إلى تبوك وغيرها فلا معنى لحمل ذلك على ما بعد وفاته ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ معناه ان احد الأمرين لابد ان يقع لا محالة وتقديره أو هم يسلمون اي يقرّون بالإسلام ويقبلونه وقيل ينقادون لكم وفي حرف ابي او يسلموا وتقديره إلى ان يسلموا وفي النصب دلالة على ان ترك القتال من اجل الاسلام إذا وقع ﴿فإن تطيعوا﴾ أي فإن تجيبوا إلى قتالهم ﴿يؤتكم الله اجراً حسناً﴾ اي جزاءاً صالحاً ﴿وإن تتولوا﴾ عن القتال وتقعدوا عنه ﴿كما توليتم من قبل﴾ عن الخروج إلى الحديبية ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ في الآخرة ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ اي ضيق في ترك الخروج مع المؤمنين في الجهاد والأعمى الذي لا يبصر بجارحة العين ﴿ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ في ترك الجهاد أيضاً قال مقاتل عذر الله اهل الزمانة والآفات الذين تخلفوا عن المسير إلى الحديبية بهذه الآية ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ معناه في الأمر بالقتال ﴿ومن يتول﴾ عن امر الله وأمر رسوله فيقعد عن القتال ﴿يعذبه عذاباً أليماً. لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ يعني بيعة الحديبية وتسمى بيعة الرضوان لهذه الآية ورضاء الله سبحانه عنهم هو ارادته تعظيمهم واثابتهم وهذا اخبار منه سبحانه انه رضي عن المؤمنين اذ بايعوا النبي ﷺ في الحديبية تحت الشجرة المعروفة وهي شجرة السمرة ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ من صدق النية في القتال والكراهة له لأنه بايعهم على القتال عن مقاتل وقيل ما في قلوبهم من اليقين والصبر والوفاء ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ وهي اللطف القوّي لقلوبهم والطمأنينة ﴿وأثابهم فتحا قريباً﴾ يعني فتح خيبر عن قتادة واكثر المفسرين وقيل فتح مكة عن الجبائي ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ يعني غنائم خيبر فإنها كانت مشهورة بكثرة الاموال والعقار وقيل يعني غنائم هوازن بعد فتح مكة عن الجبائي ﴿وكان الله عزيزاً﴾ اي غالباً على امره ﴿حكيماً﴾ في افعاله ولذلك امر بالصلح وحكم للمسلمين بالغنيمة ولأهل الخيبر بالهزيمة ثم ذكر سبحانه سائر الغنائم التي يأخذونها فيما يأتي من الزمان فقال ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ مع النبي ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة ﴿فجعل لكم هذه﴾ يعني غنيمة خيبر ﴿وكفّ ايدي الناس عنكم﴾ وذلك ان

النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر اهلها همّت قبائل من اسد وغطفان ان يغيروا على اموال المسلمين وعيالهم بالمدينة فكف الله ايديهم عنهم بإلقاء الرعب في قلوبهم وقيل ان مالك ابن عوف وعيينة بن حصين مع بني اسد وغطفان جاءوا لنصرة اليهود من خيبر فقذف الله الرعب في قلوبهم وانصرفوا ﴿ولتكون﴾ الغنيمة التي عجلها لهم ﴿آية للمؤمنين﴾ على صدقك حيث وعدهم أن يصيبوها فوقع المخبر على وفق الخبر ﴿ويهديكم صراطاً مستقيماً﴾ اي ويزيدكم هدى بالتصديق بمحمد ﷺ وما جاء به مما ترون من عدة الله في القرآن بالفتح والغنيمة .

## [ قصة فتح الحديبية]

قال ابن عباس ان رسول الله ﷺ خرج يريد مكة فلما بلغ الحديبية وقفت ناقته وزجرها فلم تنزجر وبركت الناقة فقال اصحابه خلأت الناقة فقال ﷺ ما هذا لها عادة ولكن حبسها حابس الفيل ودعا عمر بن الخطاب ليرسله إلى اهل مكة ليأذنوا له بأن يدخل مكة ويحل من عمرته وينحر هديه فقال يا رسول الله مالي بها حميم واني اخاف قريشاً لشدة عداوتي اياها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فقال صدقت فدعا رسول الله ﷺ عثمان فأرسله إلى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال ﷺ لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فقام رسول الله ﷺ إلى الشجرة فاستند اليها وبايع الناس على ان يقاتلوا المشركين ولا يفرّوا قال عبد الله بن معقل كنت قائماً على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم وبيدي غصن من السمرة أذب عنه وهو يبايع الناس فلم يبايعهم على الموت وإنما بايعهم على ان لا يفروا وروى الزهري وعروة بن الزبير والمسور ابن مخزمة(١) قالوا خرج رسول الله ﷺ من الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه حتى إذا كانوا بذي الحليفة قلد رسول الله ﷺ الهدي واشعره واحرم بالعمرة وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش وسار رسول الله ﷺ حتى إذ كان بغدير الاشطاط قريباً من عسفان أتاه عينة الخزاعي فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعوا لك الاحابيش(٢) وجمعوا جموعاً وهم قاتلوك او مقاتلوك وصادّوك عن البيت فقال ﷺ روحوا فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا

(١) وفي بعض النسخ مخرمة.

(٢) جمع الاحبوس والاحبوشة اي الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة.

ذات اليمين وسار ﷺ حتى إذا كان بالثنية بركت راحلته فقال ﷺ ما خلأت القصواء ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها زجرها فوثبت به قال فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء إنما يتبرضه الناس تبرّضاً(١) فشكوا اليه العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم ان يجعلوه في الماء فوالله ما زال يجيش لهم بالريّ حتى صدروا عنه فبيناهم كذلك إذ جاءهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله ﷺ إنا لم نجيء لقتال احد ولكن جئنا معتمرين وان قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ما دونهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس وان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جمعوا(٢) وان ابوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي أول لينفذن الله تعالى امره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشاً فقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وانه يقول كذا وكذا فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال انه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته فقالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ نحواً من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد أرأيت ان استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فوالله اني لأرى وجوها وارى اشابا من الناس خلقاء ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قال ابو بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي ﷺ وكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل ان لا ترجع اليك فقال من هذا قال المغيرة بن شعبة قال اي غدر ولست اسعى في غدرتك قال وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ اما الإسلام فقد قلنا واما المال فإنه مال غدر لا حاجة لنا فيه ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي ﷺ إذا امرهم رسول الله ﷺ ابتدروا امره وإذا توضأ ثاروا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له قال فرجع عروة إلى اصحابه وقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملكاً قط يعظمه

---

(١) تبرض الماء : اخذه قليلاً قليلاً من ههنا وهاهنا. (٢) في بعض النسخ : جمّوا وفي المخطوطة حمّوا .

اصحابه ما يعظم اصحاب محمد إذا امرهم ابتدروا امره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له وانه وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال رسول رسول الله ﷺ لاصحابه هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها فبعثت له واستقبله القوم يلبّون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فبينا هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو فقال ﷺ قد سهل عليكم امركم فقال اكتب بيننا وبينك كتاباً فدعا رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب فقال له رسول الله اكتب باسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم فقال المسلمون والله لا نكتب إلا باسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ اني لرسول الله وان كذبتموني ثم قال لعلي (ع) امح رسول الله فقال يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة فأخذه رسول الله فمحاه ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وعلى انه من قدم مكة من اصحاب محمد حاجّاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام فهو آمن على دمه وماله وان بيننا عيبة مكفولة[1] وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم فقال رسول الله ﷺ على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف فقال سهيل والله ما تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل على انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك إلا رددته الينا ومن جاءنا ممن معك لم نرده عليك فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلماً فقال رسول الله ﷺ من جاءهم منا فأبعده الله ومن جاءنا منهم رددناه اليهم فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً فقال سهيل وعلى انك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا

---

(١) وفي بعض النسخ مكفوفة .

مكة فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها باصحابك فأقمت بها ثلاثا ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القراب وسلاح الراكب وعلى ان هذا الهدي حيث ما حبسناه محله لا تقدمه علينا فقال نحن نسوق وانتم تردون فبيناهم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف[1] في قيوده قد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه ان ترده فقال النبي ﷺ انا لم نقض بالكتاب بعد قال والله إذاً لا أصالحك على شيء ابداً فقال النبي ﷺ فأجره لي فقال ما انا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بلى قد اجرناه قال ابو جندل بن سهيل معاشر المسلمين أأردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذاباً شديداً فقال عمر ابن الخطاب والله ما شككت مذ اسلمت الا يومئذ فأتيت النبي ﷺ فقلت ألست نبي الله فقال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فِلِمَ نعطى الدنية في ديننا إذاً قال أني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت او لست كنت تحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف حقاً قال بلى أفأخبرتك ان نأتيه العام قلت لا قال فإنك تأتيه وتطوف به فنحر رسول الله ﷺ بدنة فدعا بحالقه فحلق شعره ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الآية قال محمد بن اسحاق بن يسار وحدثني بريدة بن سفيان عن محمد بن كعب ان كاتب رسول الله ﷺ في هذا الصلح كان علي بن أبي طالب (ع) فقال له رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو فجعل علي (ع) يتلكأ ويأبى ان يكتب إلا محمد رسول الله فقال رسول الله فإن لك مثلها تعطيها وانت مضطهد فكتب ما قالوا ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلا يأكلان من تمر لهم قال ابو بصير لأحد الرجلين واني لأرى سيفك هذا جيداً جدّا فاستله وقال اجل انّه لجيد وجربت به ثم جربت فقال ابو بصير ارني انظر اليه فامكنه منه فضربه به حتى برد وفرّ الآخر حتى بلغ المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه لقد رأى هذا ذعراً فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال قتل والله صاحبي واني لمقتول قال فجاء ابو بصير فقال يا رسول قد اوفى الله ذمتك ورددتني اليهم ثم انجاني الله منهم فقال النبي ﷺ ويل امه مسعر حرب لو كان له احد فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر. وانفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بابي

(١) رسَف يرسُف رَسْفاً مشى مشيَ المقتد.

بصير فلا يخرج من قريش رجل قد اسلم الا لحق بابي بصير حتى اجتمعت عليه عصابة قال فوالله لا يسمعون بعير لقريش قد خرجت الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فأرسلت قريش الى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن اتاه منهم فهو آمن فارسل ﷺ اليهم فأتوه .

## [ قصة فتح خيبر ]

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة ثم خرج منها غادياً إلى خيبر ذكر ابن إسحاق بإسناده عن ابي مروان الاسلمي عن أبيه عن جده قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر حتى إذا كنا قريباً منها واشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السماوات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن انا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر اهلها وشر ما فيها اقدموا باسم الله وعن سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع الا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلاً شاعراً فجعل يقول:

لاهُمَّ لَوْلا أَنْتَ مَا حَجَيْنَا[1] وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا
فَاغْفِرْ فِداء لَكَ مَا أَقْتَنَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدامَ إنْ لاقَيْنَا
وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا إنا أذا صِيحَ بنَا أَتَيْنَا
وَبِالصِّباحِ[2] عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فقال رسول الله ﷺ من هذا السابق[3] قالوا عامر قال يرحمه الله قال عمر وهو على جمل له وجيب يا رسول الله لولا امتعتنا به وذلك ان رسول الله ﷺ ما استغفر لرجل قط يخصه الا استشهد قالوا فلما جد الحرب وتصافّ القوم خرج يهودي وهو يقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السَّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ إذا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فبرز اليه عامر وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرٌ شَاكي السَّلاحِ بَطَلٌ مُغَامِرٌ

فاختلفا ضربتين فوقع سيف اليهودي في ترس عامر وكان سيف عامر فيه قصر فتناول به

(١) وفي نسخة : ما اهتدينا. (٢) وفي بعضها : وبالصياح. (٣) وفي بعضها السائق .

ساق اليهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة عامر فمات منه قال سلمة فإذا نفر من أسحاب رسول الله ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فاتيت النبي ﷺ وانا ابكي فقلت قالوا ان عامراً بطل عمله فقال من قال ذلك قلت نفر من اصحابك فقال كذب اولئك بل اوتي من الأجر مرتين قال فحاصرناهم حتى اصابتنا مخمصة شديدة ثم ان الله فتحها علينا وذلك ان النبي ﷺ اعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا اهل خيبر فانكشف عمرو واصحابه فرجعوا الى رسول الله ﷺ يجبّنه اصحابه ويجبّنهم وكان رسول الله ﷺ اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فقال حين افاق من وجعه ما فعل الناس بخيبر فأخبر فقال لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه وروى البخاري ومسلم عن قتيبة عن سعيد قال حدثنا يعقوب عن عبد الرحمن الاسكندراني عن ابي حازم قال اخبرني سعد بن سهل انّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية غداً رجل يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يدوكون(١) بجملتهم ايهم يُعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون ان يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي (ع) يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا امثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الإسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من يكون لك حمر النعم قال سلمة فبرز مرحب وهو يقول قد علمت خيبر اني مرحب الابيات فبرز له علي (ع) وهو يقول :

أَنَا الَّذي سَمَّتْني أُمّي حَيْدَرَة    كَلَيْثِ غابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَة    أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَة(٢)

فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله وكان الفتح على يده اورده مسلم في الصحيح وروى ابو عبد الله الحافظ بإسناده عن رافع(٣) مولى رسول الله ﷺ قال خرجنا مع علي (ع) حين بعثه رسول الله ﷺ فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي باب الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده فلقد رأيتني في نفر مع سبعة انا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه وبإسناده عن ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر محمد بن

(١) اي يخوضون ويموجون ويختلفون.
(٢) [ أبي رافع ] بدل رافع وهو الصحيح.
(٣) ضرب من الكيل جراف والمعنى اقتلكم قتلاً واسعاً كبيراً.

علي (ع) قال حدثني جابر بن عبد الله علياً (ع) حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فاقتحموها وانه حرك بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلاً قال وروي من وجه آخر عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم ان اعادوا الباب وبإسناده عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان علي (ع) يلبس في الحر والشتاء القباء المحشو الثخين وما يبالي الحر فأتاني اصحابي فقالوا إنا رأينا من امير المؤمنين (ع) شيئاً فهل رأيت فقلت وما هو قالوا رأيناه يخرج علينا في الحر الشديد في البقاء المحشو الثخين وما يبالي الحر ويخرج علينا في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين وما يبالي البرد فهل سمعت في ذاك شيئاً فقلت لا فقالوا فسل لنا أباك عن ذلك فإنه يسمر معه فسألته فقال ما سمعت في ذلك شيئاً فدخل على علي (ع) فسمر معه ثم سأله عن ذلك فقال أو ما شهدت[1] خيبر قلت بلى قال افما رأيت رسول الله ﷺ حين دعا ابا بكر فقعد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقي القوم ثم جاء بالناس وقد هزم فقال بلى قال ثم بعث إلى عمر فقعد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقي القوم فقاتلهم ثم رجع وقد هزم فقال رسول الله ﷺ لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه كراراً غير فرار فدعاني فأعطاني الراية ثم قال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت بعد ذلك حراً ولا برداً وهذا كله منقول من كتاب دلائل النبوة للإمام ابي بكر البيهقي ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون حصناً حصناً ويحوز الأموال حتى انتهوا إلى حصن الوطيح والسلالم وكان آخر حصون خيبر افتتح وحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة قال ابن إسحاق ولما افتتح القموص حصن ابن ابي الحقيق اتي رسول الله ﷺ بصفية بنت حيّي بن اخطب وبأخرى معها فمر بهما بلال وهو الذي جاء بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي معها صفية صاحت وصكّت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال اعزبوا عني هذا الشيطانة وامر بصفية فحيزت[2] خلفه والقى عليها رداءه فعرف المسلمون انه قد اصطفاها لنفسه وقال ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ان قمراً وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا انك تتمنين ملك الحجاز محمداً ولطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها فأتي بها رسول الله ﷺ وبها أثر منها فسألها رسول الله ﷺ ما هو فاخبرته وارسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ انزل فأكلمك نعم فنزل

(١) وفي المخطوطة او ما شهدت معنا خيبر.

(٢) في المخطوطة: فجرت

وصالح رسول الله ﷺ على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ويخلون بين رسول الله وبين ما كان لهم من مال وأرض على الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة(١) وعلى البز إلا ثوباً على ظهر انسان وقال رسول الله ﷺ فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كتمتموني شيئاً فصالحوه على ذلك فلما سمع بهم اهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله يسألونه ان يسيِّرهم ويحقن دماءهم ويخلون بينه وبين الأموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيّصة ابن مسعود أحد بني حارثة فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم الأموال على النصف وقالوا نحن اعلم بها منكم واعمر لها فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف على أنا إذا شئنا ان نخرجكم اخرجناكم وصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت اموال خيبر فيئاً بين المسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ولما اطمأن رسول الله ﷺ اهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم وهي ابنة اخي مرحب شاة مصلية وقد سألت اي عضو من الشاة احب إلى رسول الله ﷺ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمّت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة وانتهش منها ومعه بشر بن البراء بن معرور فتناول عظماً فانتعش منه فقال رسول الله ﷺ ارفعوا ايديكم فإن كتف هذه الشاة تخبرني انها مسمومة ثم دعاها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخفَ عليك فقلت إن كان نبياً فسيخبر وان كان ملكاً استحرت منه فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر بن البراء من اكلته التي اكل قال ودخلت ام بشر بن البراء على رسول الله تعوده في مرضه الذي توفي فيه فقال ﷺ يا ام بشر ما زالت اكله خيبر التي اكلت بخيبر مع ابنك تعاودني(٢) فهذا او ان قطعت ابهري(٣) وكان المسلمون يرون ان رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما اكرمه الله به من النبوة .

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ

(١) وفي بعض النسخ الخلفة.

(٢) وفي الحجري تعازني.

(٣) الأبهر: عرق مستبطن الصلب إذا انقطع لم يبق صاحبه.

لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ
عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا
تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ
وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ
بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابو عمرو بما يعملون بالياء والباقون بالتاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي وجه قول ابي عمرو وكان الله بما عمل الكفار من كفرهم وصدكم عن المسجد الحرام ومنعكم من دخوله بصيراً فيجازي عليه ووجه التاء ان الخطاب قد جرى للقبيلتين في قوله وهو الذي كف أيديهم عنكم وايديكم عنهم فالخطاب لتقدم هذا الخطاب .

[ **اللغة** ] التبديل رفع احد الشيئين وجعل الآخر مكانه فيما حكم ان يستمر على ما هو به ولو رفع الله حكماً إلى خلافه لم يكن تبديلاً لحكمه لأنه لا يرفع شيئاً إلا في الوقت الذي تقتضي الحكمة رفعه فيه والمعكوف الممنوع من الذهاب في جهة بالإقامة في مكانه ومنه الاعتكاف وهو الإقامة في المسجد للعبادة وعكف على هذا الأمر يعكف عكوفاً إذا قام عليه والمعرّة الأمر القبيح المكروه يقال عرّ فلان فلاناً إذا شانه وألحق به عيباً وبه سمّي الجرب عرّاً والعذرة عرّة .

[ **الاعراب** ] سنة الله منصوب على المصدر والمعنى سن الله خذلانهم سنة وموضع ان تطؤهم رفع بدل من رجال والمعنى لولا ان تطأوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات ثم قال لو تزيلوا لعذبنا الآية والتقدير[1] وطء رجال ونساء اي قتلهم وهو بدل الاشتمال مثل نفعني عبد الله

(١) وفي نسختين : لولا وطء .

علمه واعجبتني الجارية حسنها ويجوز أن يكون موضع ان تطؤوهم نصباً على البدل من الهاء والميم في تعلموهم والتقدير ولولا رجال ونساء لم تعلموا ان تطؤهم اي لم تعلموا وطأهم وهو بدل الاشتمال ايضاً وقوله لم تعلموهم ان تطؤهم في موضع رفع صفة لرجال ونساء وجواب لولا يغني عنه جواب لو في قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا وقوله والهدي معكوفاً عطف على الكاف والميم في وصدوكم اي صدّوكم وصدّوا الهدي ومعكوفاً حال وقوله ان يبلغ محله تقديره كراهة أن يبلغ فحذف المضاف وقيل معكوفاً من ان يبلغ فحذف من .

[ **النزول** ] سبب نزول قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية ان المشركين بعثوا اربعين رجلاً عام الحديبية ليصيبوا من المسلمين فأتي بهم إلى النبي ﷺ اسرى فخلى سبيلهم عن ابن عباس وقيل انهم كانوا ثمانين رجلاً من اهل مكة هبطوا من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم فأخذهم رسول الله ﷺ فأعتقهم عن انس وقيل كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة وبين يديه عليّ صلوات الله عليه يكتب كتاب الصلح فخرج ثلاثون شاباً عليهم السلاح فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ الله تعالى بأبصارهم فقمنا فأخذناهم فخلى سبيلهم فنزلت هذه الآية عن عبد الله بن المغفل .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما تقدم يعد النبي ﷺ والمؤمنين فتوحاً أخر فقال **﴿واخرى لم تقدروا عليها﴾** معناه ووعدكم الله مغانم اخرى لم تقدروا عليها بعد فتكون اخرى في محل النصب وقيل معناه وقرية اخرى لم تقدروا عليها قد اعدّها الله لكم وهي مكة عن قتادة وقيل هي ما فتح الله على المسلمين بعد ذلك إلى اليوم عن مجاهد وقيل ان المراد بها فارس والروم عن ابن عباس والحسن والجبائي قال كما ان النبي ﷺ بشرهم كنوز كسرى وقيصر وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم وفتح مدائنهم بل كانوا خولاً لهم حتى قدرواعليها بالإسلام **﴿قد احاط الله بها﴾** اي قدر الله عليها واحاط.علماً بها فجعلهم بمنزلة قوم قد ادير حولهم فما يقدر أحد منهم ان يفلت قال الفراء احاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم فكأنه قال حفظها عليكم ومنعها من غيركم حتى تفتحوها وتأخذوها **﴿وكان الله على كل شيء﴾** من فتح القرى وغير ذلك **﴿قديراً ولو قاتلكم الذين كفروا﴾** من قريش يوم الحديبية يا معشر المؤمنين **﴿لولوا الادبار﴾** منهزمين بنصرة الله اياكم وخذلان الله اياهم عن قتادة والجبائي وقيل الذين كفروا من اسد وغطفان الذين ارادوا نهب ذراري المسلمين **﴿ثم لا يجدون وليا ولا نصيراً﴾** يواليهم وينصرهم ويدافع عنهم وهذا من علم الغيب وفي الآية دلالة على انه يعلم ما لم يكن ان لو كان كيف يكون وفي ذلك اشارة إلى ان المعدوم

معلوم﴿سنّة الله التي قد خلت من قبل﴾ اي هذه سنتي في اهل طاعتي واهل معصيتي انصر اوليائي واخذل اعدائي عن ابن عباس وقيل معناه: هذه طريقة الله وعادته السالفة ان كل قوم إذا قاتلوا انبياءهم انهزموا وقتلوا ﴿ولن تجد لسنة الله﴾ في نصرة رسله ﴿تبديلاً﴾ اي تغييراً ﴿وهو الذي كف ايديهم عنكم﴾ بالرعب ﴿وأيديكم عنهم﴾ بالنهي ﴿ببطن مكة﴾ يعني الحديبية ﴿من بعد ان اظفركم عليهم﴾ ذكر الله منته على المؤمنين بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم من الفتح ﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ مر تفسيره ثم ذكر سبحانه سبب منعه رسول الله ﷺ ذلك العام دخول مكة فقال ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ ان تطوفوا وتحلوا من عمرتكم يعني قريشاً ﴿والهدي معكوفاً أن يبلغ محله﴾ اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ معه وكانت سبعين بدنة حتى بلغ ذي الحليفة فقلد البدن التي ساقها واشعرها واحرم بالعمرة حتى نزل بالحديبية ومنعه المشركون وكان الصلح فلما تم الصلح نحروا البدن فذلك قوله معكوفاً اي محبوساً عن ان يبلغ محله اي منحره وهو حيث يحل نحره يعني مكة لأن هدي العمرة لا يذبح إلا بمكة كما ان هدي الحج لا يذبح إلا بمنى ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ يعني المستضعفين الذين كانوا بمكة بين الكفار من اهل الإيمان ﴿لم تعلموهم﴾ بأعيانهم لاختلاطهم بغيرهم ﴿ان تطؤهم﴾ بالقتل وتوقعوا بهم ﴿فتصيبكم منهم معرة﴾ اي اثم وجناية عن ابن زيد وقيل فيلحقكم بذلك عيب يعيبكم المشركون بأنهم قتلوا اهل دينهم وقيل هو غرم الدية والكفارة في قتل الخطأ عن ابن عباس وذلك انهم لو كبسوا مكة وفيها قوم مؤمنون لم يتميزوا من الكفار لم يأمنوا أن يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفارة وتلحقهم السيئة بقتل من على دينهم فهذه المعرة التي صان الله المؤمنين عنها وجواب لولا محذوف وتقديره لولا المؤمنون الذين لم تعلموهم لوطأتم رقاب المشركين بنصرنا اياكم وقوله ﴿بغير علم﴾ موضعه التقديم لأن التقدير لولا ان تطؤهم بغير علم وقوله ﴿ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ اللام متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام تقديره فحال بينكم وبينهم ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني من اسلم من الكفار بعد الصلح وقيل ليدخل الله في رحمته اولئك بسلامتهم من القتل ويدخل هؤلاء في رحمته بسلامتهم من الطعن والعيب ﴿لو تزيلوا﴾ اي لو تميز المؤمنون من الكافرين ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم﴾ أي من أهل مكة ﴿عذاباً أليماً﴾ بالسيف والقتل بأيديكم ولكن الله تعالى يدفع[1] المؤمنين عن الكفار فلحرمة اختلاطهم بهم لم يعذبهم .

---

(١) وفي نسختين يدفع بالمؤمنين .

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى
قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا
وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا
بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ
رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن
دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ
رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ
رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم
مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ
كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ
يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير عن ابن فليح وابن ذكوان شطأه بفتح الطاء والباقون بسكونها وقرأ ابن عامر فأزره بقصر الهمزة والباقون فآزره بالمد وفي الشواذ قراءة الحسن أشداء على الكفار رحماء بينهم بالنصب فيهما وقراءة عيسى الهمداني شطاءه بالمد والهمزة وشطاه أيضاً .

[ **الحجة** ] قال أبو علي يشبه أن يكون شَطأ لغة في شطء فيكون كالشمع والشَمَع والنهْر والنَهَر ومن خفف الهمزة في شطاه حذفها وألقى حركتها على الطاء فقال شطاه قال أبو زيد اشطأت الشجرة بغصونها إذا أخرجت غصونها. أبو عبيدة أخرج شطاه فراخه واشطأ الزرع فهو مشطىء أي مفرخ وآزره على فاعله معناه ساواه أي صار مثل الأم وفاعله الشطء أي آزرا لشطء الزرع فصار في طوله قال امرؤ القيس :

بِمَحْنِيَةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُهَا ... مَضَمُّ جُيُوشٍ غَانِمينَ وَخُيَّبِ(١)

أي ساوى نبته الضال فصار في قامته لأنه لا يرعى ويجوز أن يكون فاعل آزر الزرع أي آزر الزرع الشطء ومن الناس من يفسر آزره أعانه وقواه فعلى هذا يكون آزر الزراع الشطء قال أبو الحسن آزره أفعله وهو الأشبه ليكون قول ابن عامر أزره فعله فيكون فيه لغتان فعل وأفعل لأنهما كثيراً ما يتعاقبان على الكلمة ومن قرأ أشداء بالنصب فهو نصب على الحال من معه أي هم معه على هذا الحال .

[ **اللغة** ] الحمية الأنفَةَ والإنكار يقال فلان ذو حمية منكرة إذا كان ذا غضب وأنفة والكفار الزراع هنا لأن الزارع يغطي البذر وكل شيء قد غطيته فقد كفرته ومنه يقال للّيل كافر لأنه يستر بظلمته كل شيء قال « أَلْقَتْ ذُكَاءَ يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ » وقال لبيد « في لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا » .

[ **الإعراب** ] محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على محمد وأشداء خبر محمد وما عطف عليه وقيل محمد مبتدأ ورسول الله خبره والذين معه مبتدأ وما بعده خبره يبتغون فضلاً من الله إن شئت كان في موضع الحال وإن شئت كان خبراً بعد خبر وإن شئت كان هو الخبر فيمن نصب أشداء ويكون تراهم أيضاً في موضع النصب مثل أشداء. ذلك مثلهم في التوراة ابتداء وخبر والكلام تام ثم ابتدأ فقال ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فلهم مثلان أحدهما في التوراة والثاني في الانجيل وقال مجاهد بل قوله أشداء على الكفار مع ما بعده جميعاً في التوراة والإنجيل وكذلك قوله كزرع أخرج شطأه في التوراة والانجيل فيكون قوله كزع خبر مبتدأ مضمر أي هم كزرع أخرج شطأه .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿ **إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية** ﴾ إذ يتعلق

(١) الضال من السّدر ما كان عِذياً أي لا يسقيه إلا المطر والمحنية معطف الوادي أي في معطف وادٍ قد ساوى نبته شجر الضال وهو مجمع جيوش بعضها غانم وبعضها خائب من الغنيمة .

بقوله لعذبنا أي لعذبنا الذين كفروا وأذنّا لك في قتالهم حين جعلوا في قلوبهم الأنفة التي تحمي الإنسان أي حميت قلوبهم بالغضب ثم فسر تلك الحمية فقال ﴿ **حمية الجاهلية** ﴾ أي عادة آبائهم في الجاهلية أن لا يذعنوا لأحد ولا ينقادوا له وذلك أن كفار مكة قالوا قد قتل محمد وأصحابه آباءنا وأخواننا ويدخلون علينا في منازلنا فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه الحمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم وقيل هي أنفتهم من الاقرار لمحمد ﷺ بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم حيث أراد أن يكتب كتاب العهد بينهم عن الزهري ﴿ **فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى** ﴾ وهي قول لا إلّه إلا الله عن ابن عباس وقتادة ومجاهد ﴿ **وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾ قيل أن فيه تقديماً وتأخيراً والتقدير كانوا أهلها وأحق بها أي كان المؤمنون أهل تلك الكلمة وأحق بها من المشركين وقيل معناه وكانوا أحق بنزول السكينة عليهم وأهلها وقيل وكانوا أحق بمكة أن يدخلوها وأهلها وقد يكون حق أحق من غيره ألا ترى أن الحق الذي هو طاعة يستحق بها المدح أحق من الحق الذي هو مباح لا يستحق به ذلك ﴿ **وكان الله بكل شيء عليماً** ﴾ لما ذم الكفار بالحمية ومدح المؤمنين بلزوم الكلمة والسكينة بيّن علمه ببواطن سرائرهم وما ينطوي عليه عقد ضمائرهم ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق** ﴾ قالوا إن الله تعالى أرى نبيه ﷺ في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أن المسلمين دخلوا المسجد الحرام فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا مكة قال المنافقون ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فأنزل الله هذه الآية وأخبر أنه أرى رسوله ﷺ الصدق في منامه لا الباطل وأنهم يدخلونه وأقسم على ذلك فقال ﴿ **لتدخلن المسجد الحرام** ﴾ يعني العام المقبل ﴿ **إن شاء الله آمنين** ﴾ قال أبو العباس ثعلب استثنى الله فيما يعلم ليستثني الناس فيما لا يعلمون وقيل أن الاستثناء من الدخول وكان بين نزول الآية والدخول مدة سنة وقد مات منهم أناس في السنة فيكون تقديره لتدخلن كلكم إن شاء الله إذ علم الله أن منهم من يموت قبل السنة أو يمرض فلا يدخلها فأدخل الاستثناء لأن لا يقع في الخبر خلف عن الجبائي وقيل أن الاستثناء داخل على الخوف والأمن فأما الدخول فلا شك فيه وتقديره لتدخلن المسجد الحرام آمنين من العدو إن شاء الله فهذه الأقوال الثلاثة للبصريين وقيل إنّ أن هنا بمعنى إذ أي إذ شاء الله حين أرى رسوله ذلك عن أبي عبيدة ومثله قوله وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين قال معناه إذ كنتم وهذا القول لا يرتضيه البصريون ﴿**محلقين رؤوسكم ومقصرين** ﴾ أي محرمين يحلق بعضكم رأسه ويقصر بعض وهو أن يأخذ بعض الشعر وفي هذا دلالة على أن المحرم بالخيار

عند التحلل من الإحرام إن شاء حلق وإن شاء قصر ﴿ **لا تخافون** ﴾ مشركاً ﴿ **فعلم** ﴾ من الصلاح في صلح الحديبية ﴿ **ما لم تعلموا** ﴾ وقيل علم في تأخير دخول المسجد الحرام من الخير والصلاح ما لم تعلموه أنتم وهو خروج المؤمنين من بينهم والصلح المبارك موقعه ﴿ **فجعل من دون ذلك** ﴾ أي من قبل الدخول ﴿ **فتحاً قريباً** ﴾ يعني فتح خيبر عن عطا ومقاتل وقيل يعني صلح الحديبية .

## [ عمرة القضاء ]

وكذلك جرى الأمر في عمرة القضاء في السنة التالية للحديبية وهي سنة سبع من الهجرة في ذي القعدة وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام فخرج النبي ﷺ ودخل مكة مع أصحابه معتمرين وأقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم رجعوا إلى المدينة وعن الزهري قال بعث رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب ( ع ) بين يديه إلى ميمونة بنت الحرث العامرية فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب وكان تحته أختها أم الفضل بنت الحرث فزوجها العباس رسول الله فلما قدم رسول الله ﷺ أمر أصحابه فقال أكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف ليرى المشركون جلدهم وقوتهم فاستكفّ[1] أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشحاً بالسيف يقول :

خَلُّوا بَنِي الكُفَّار عن سَبيله ... قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ في تَنْزيلِه
في صُحُفٍ تُتْلَى عَلىٰ رَسُولِه ... الْيَوْمَ نَضْرِبْكُم عَلىٰ تَأويله
كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلىٰ تَنْزِيله ... ضَرْباً يُزيل الهَامَ عَنْ مَقيله
وَيُذْهِلُ الْخَليلَ عَن خَليلِه ... يَا رَبِّ إنّي مُؤْمِن لِقيلِه

إنّي رَأَيْتُ الحَق في قبُولِه

ويشير بيده إلى رسول الله ﷺ وأنزل الله في تلك العمرة الشهر الحرام بالشهر الحرام وهو أن رسول الله ﷺ اعتمر في الشهر الحرام الذي صُدَّ فيه ثم قال سبحانه ﴿ **هو الذي أرسل رسوله** ﴾ يعني محمداً ﴿ **بالهدى** ﴾ أي بالدليل الواضح والحجة الساطعة وقيل بالقرآن ﴿ **ودين الحق** ﴾ أي الإسلام ﴿ **ليظهره على الدين كله** ﴾ أي ليظهر دين الإسلام بالحجج والبراهين على جميع الأديان وقيل بالغلبة والقهر والانتشار في البلدان وقيل أن تمام

(١) استكفّ الناس حوله : أحاطوا به ينظرون إليه .

ذلك عند خروج المهدي (ع) فلا يبقى في الأرض دين سوى دين الإسلام ﴿ **وكفى بالله شهيداً** ﴾ بذلك ثم قال سبحانه ﴿ **محمد رسول الله** ﴾ نص سبحانه على اسمه ليزيل كل شبهة. تم الكلام هنا ثم اثنى على المؤمنين فقال ﴿ **والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ قال الحسن بلغ من تشددهم على الكفار أن كانوا يتحرزون من ثياب المشركين حتى لا تلتزق بثيابهم وعن أبدانهم حتى لا تمس أبدانهم وبلغ تراحمهم فيما بينهم أن كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه ومثله قوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴿ **تريهم ركعاً سجداً** ﴾ هذا إخبار عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها ﴿ **يبتغون فضلاً من الله ورضواناً** ﴾ أي يلتمسون بذلك زيادة نعمهم من الله ويطلبون مرضاته ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ﴾ أي علامتهم يوم القيامة أن تكون مواضع سجودهم أشد بياضاً عن ابن عباس وعطية قال شهر بن حوشب يكون مواضع سجودهم كالقمر ليلة البدر وقيل هو التراب على الجباه لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب عن عكرمة وسعيد بن جبير وأبي العالية وقيل هو الصفرة والنحول عن الضحاك قال الحسن إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى وقال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من صلى الخمس ﴿ **ذلك مثلهم في التوراة** ﴾ يعني أن ما ذكر من وصفهم هو ما وصفوا به في التوراة أيضاً ثم ذكر نعتهم في الإنجيل فقال ﴿ **ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه** ﴾ أي فراخه عن الضحاك وقيل ليس بينهما وقف والمعنى ذلك مثلهم في التوراة والانجيل جميعاً عن مجاهد والمعنى كمثل زرع أخرج شطأه أي فراخه ﴿ **فآزره** ﴾ أي شده وأعانه وقواه وقال المبرد يعني أن هذه الأفراخ لحقت الأمهات حتى صارت مثلها ﴿ **فاستغلظ** ﴾ أي غلظ ذلك الزرع ﴿ **فاستوى على سوقه** ﴾ أي قام على قصبه وأصوله فاستوى الصغار مع الكبار والسوق جمع الساق والمعنى أنه تناهى وبلغ الغاية ﴿ **يعجب الزراع** ﴾ أي يروع ذلك الزرع الزراع أي الأكرة الذين زرعوه قال الواحدي هذا مثل ضربه الله تعالى بمحمد وأصحابه فالزرع محمد ﷺ والشطأ أصحابه والمؤمنون حوله وكانوا في ضعف وقلة كما يكون أول الزرع دقيقاً ثم غلظ وقوي وتلاحق فكذلك المؤمنون قوّى بعضهم بعضاً حتى استغلظوا واستووا على أمرهم ﴿ **ليغيظ بهم الكفار** ﴾ أي إنما كثرهم الله وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين بتوافرهم وتظاهرهم واتفاقهم على الطاعة ثم قال سبحانه ﴿ **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ أي وعد من أقام على الإيمان والطاعة ﴿ **منهم مغفرة** ﴾ أي ستراً على ذنوبهم الماضية ﴿ **وأجراً عظيماً** ﴾ أي ثواباً جزيلاً دائماً .

# (٤٩) سورة الحجرات مدنية وآياتها ثماني عشرة

عن الحسن وقتادة وعكرمة وعن ابن عباس إلا آية قوله **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾**.

**[ عدد آيها ]**

ثماني عشرة آية بالإجماع .

**[ فضلها ]** أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه. الحسين بن أبي العلا عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الحجرات في كل ليلة أو في كل يوم كان من زوّار محمد ﷺ .

**[ تفسيرها ]** لما ختم الله سبحانه سورة الفتح بذكر نبيه ﷺ افتتح هذه السورة أيضاً بذكره وما يختص به من الإجلال والإعظام فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ
أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ

أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والدال والباقون لا تقدموا بضم التاء وكسر الدال وقرأ أبو جعفر الحجرات بفتح الجيم والباقون بضمها .

[ **الحجة** ] قال ابن جني معناه لا تفعلوا ما تؤثرونه وتتركوا ما أمركم الله ورسوله به وهذا معنى القراءة المشهورة لا تقدموا أي لا تقدموا أمراً على ما أمركم الله به فالمفعول هنا محذوف كما ترى ومن قرأ الحجرات أبدل من الضمة فتحة استثقالاً بتوالي الضمتين ومنهم من أسكن فقال الحجرات مثل عضد وعضد وقال أبو عبيدة حجرات جمع حجر فهو جمع الجمع .

[ **اللغة** ] قدم تقديماً وأقدم إقداماً واستقدم وقدم كل ذلك بمعنى تقدم والجهر ظهور الصوت بقوة الاعتماد ومنه الجهارة في المنطق وجاهر بالأمر مجاهرة ويقال جهاراً ونقيض الجهر الهمس والحروف المجهورة تسعة عشر حرفاً يجمعها قولك « اطلقن ضرغم عجز ظبي ذواد » وما عداها من الحروف مهموس يجمعها قولك « حث فسكت شخصه » والغض الحط من منزلة على وجه التصغير يقال غض فلان من فلان إذا صغّر حالة من هو أرفع منه وغض بصره إذا ضعّفه عن حدة النظر قال جرير :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِن نَمِيرٍ فَلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلا كِلابا

[ **الإعراب** ] أن تحبط أعمالكم في محل النصب لأنه مفعول له ويجوز أن يكون في محل جر باللام المقدرة أي لأن تحبط أعمالكم وقيل تقديره كراهة أن تحبط أو حذارِ أن تحبط .

[ **النزول** ] نزل قوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم** ﴾ إلى قوله ﴿ **غفور رحيم** ﴾ في وفد تميم وهم عطارد بن حاجب بن زرارة في أشراف من بني تميم منهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم في وفد عظيم فلما

دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات أن أخرج إلينا يا محمد فآذى ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا فقال قد أذنت فقام عطارد بن حاجب وقال الحمد لله الذي جعلنا ملوكاً الذي له الفضل علينا والذي وهب علينا أموالاً عظاماً نفعل بها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثر عدداً وعدة فمن مثلنا في الناس فمن فاخرنا فليعدّ مثل ما عددنا ولو شئنا لأكثرنا من الكلام ولكنا نستحي من الإكثار ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس قم فأجبه فقام فقال الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط إلا من فضله ثم كان من فضله أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسباً وأصدقهم حديثاً وأفضلهم حسباً فأنزل الله عليه كتاباً وأئتمنه على خلقه فكان خيرة الله على العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس إحساباً وأحسنهم وجوهاً فكان أول الخلق إجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن فنحن أنصار رسول الله ﷺ وردؤه نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن نكث[1] جاهدناه في الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً أقول هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام الزبرقان بن بدر ينشد وأجابه حسان بن ثابت فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع إن هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا فلما فرغوا أجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم وأسلموا عن ابن إسحاق وقيل إنهم أناس من بني العنبر كان النبي ﷺ أصاب من ذراريهم فأقبلوا في فدائهم فقدموا المَدينة ودخلوا المسجد وعجلوا أن يخرج إليهم النبي ﷺ فجعلوا يقولون يا محمد أخرج إلينا عن أبي حمزة الثمالي عن عكرمة عن ابن عباس .

[ المعنى ] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ روى زرارة عن أبي جعفر ( ع ) أنه قال ما سلت السيوف ولا أقيمت الصفوف في صلاة ولا زحوف ولا جهر بأذان ولا أنزل الله يا أيها الذين آمنوا حتى أسلم أبناء قبيلة الأوس والخزرج ﴿ **لا تقدموا بين يدي الله ورسوله** ﴾ بين اليدين عبارة عن الإمام لأن ما بين يدي الإنسان أمامه ومعناه لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله ولا تعجلوا به قال أبو عبيدة العرب تقول لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب أي لا تعجل بالأمر دونه والنهي وقدم هنا بمعنى تقدم وهو لازم وقيل معناه لا تقدموا أعمال الطاعة قبل الوقت الذي أمر الله ورسوله به حتى أنه قيل لا يجوز تقديم الزكاة قبل وقتها عن الزجاج

(١) وفي نسخة : مكث بدل نكث .

وقيل[١] لا تمكنوا أحداً يمشي أمام رسول الله ﷺ بل كونوا تبعاً له وأخروا أقوالكم وأفعالكم عن قوله وفعله وقال الحسن نزل في قوم ذبحوا الأضحيّة قبل صلاة العيد فأمرهم رسول الله ﷺ بالإعادة وقال ابن عباس نهوا أن يتكلموا قبل كلامه أي إذا كنتم جالسين في مجلس رسول الله ﷺ فسئل عن مسألة فلا تسبقوه بالجواب حتى يجيب النبي ﷺ أولاً وقيل معناه لا تسبقوه بقول ولا فعل حتى يأمركم به عن الكلبي والسدّي والأولى حمل الآية على الجميع فإن كل شيء كان خلافاً لله ورسوله إذا فعل فهو تقديم بين يدي الله ورسوله وذلك ممنوع ﴿ **واتقوا الله** ﴾ أي اجتنبوا معاصيه ﴿ **إن الله سميع** ﴾ لأقوالكم ﴿ **عليم** ﴾ بأعمالكم فيجازيكم بها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ لأن فيه أحد الشيئين إما نوع استخفاف به فهو الكفر وإما سوء الأدب فهو خلاف التعظيم المأمور به ﴿ **ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** ﴾ أي غضوا أصواتكم عند مخاطبتكم إياه وفي مجلسه فإنه ليس مثلكم إذ يجب تعظيمه وتوقيره من كل وجه وقيل معناه لا تقولوا له يا محمد كما يخاطب بعضكم بعضاً بل خاطبوه بالتعظيم والتبجيل وقولوا يا رسول الله ﴿ **أن تحبط أعمالكم** ﴾ أي كراهة أن تحبط أو لئلا تحبط أعمالكم وقيل إنه في حرف عبد الله فتحبط أعمالكم ﴿ **وأنتم لا تشعرون** ﴾ أي وأنتم لا تعلمون أنكم أحبطتم أعمالكم بجهر صوتكم على صوته وترك تعظيمه قال انس لما نزلت هذه الآية قال ثابت بن قيس أنا الذي كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله ﷺ وأجهر له بالقول حبط عملي وأنا من أهل النار وكان ثابت رفيع الصوت فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال هو من أهل الجنة وقال أصحابنا أن المعنى في قوله أن تحبط أعمالكم أنه ينحبط ثواب ذلك العمل لأنهم لو أوقعوه على وجه تعظيم النبي ﷺ وتوقيره لاستحقوا الثواب فلما فعلوه على خلاف ذلك الوجه استحقوا العقاب وفاتهم ذلك الثواب فانحبط عملهم فلا تعلق لأهل الوعيد بهذه الآية ولأنه تعالى علق الإحباط في هذه الآية بنفس العمل وهم يعلقونه بالمستحق على العمل وذلك خلاف الظاهر ثم مدح سبحانه من يعظم رسوله ويوقره فقال ﴿ **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله** ﴾ أي يخفضون أصواتهم في مجلسه إجلالاً ﴿ **أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** ﴾ أي اختبرها فأخلصها للتقوى عن قتادة ومجاهد أخذ من امتحان الذهب بالنار إذا أذيب حتى يذهب غشه ويبقى خالصه وقيل معناه أنه علم خلوص نياتهم لأن الإنسان يمتحن الشيء ليعلم حقيقته وقيل معناه عاملهم معاملة المختبر بما تعبدهم به من هذه العبادة فخلصوا على

---

(١) [ معناه ] .

الاختبار كما يخلص جيّد الذهب بالنار ﴿ **لهم مغفرة** ﴾ من الله لذنوبهم ﴿ **وأجر عظيم** ﴾ على طاعتهم ثم خاطب النبي ﷺ فقال ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات** ﴾ وهم الجفاة من بني تميم لم يعلموا في أي حجرة هو فكانوا يطوفون على الحجرات وينادونه ﴿ **أكثرهم لا يعقلون** ﴾ وصفهم الله سبحانه بالجهل وقلة الفهم والعقل إذ لم يعرفوا مقدار النبي ﷺ ولا ما استحقه من التوقير فهم بمنزلة البهائم ﴿ **ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم** ﴾ من أن ينادوك من وراء الحجرات في دينهم بما يحرزونه من الثواب وفي دنياهم باستعمالهم حسن الأدب في مخاطبة الأنبياء ليعدّوا بذلك في زمرة العقلاء وقيل معناه لأطلقت أسراهم بغير فداء فإن رسول الله ﷺ كان سبى قوماً من بني العنبر فجاءوا في فدائهم فأعتق نصفهم وفادى النصف فيقول ولو أنهم صبروا لكنت تعتق كلهم ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ لمن تاب منهم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا
بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ
رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ
حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ
وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ
ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ
فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ
بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا
ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ يعقوب فأصلحوا بين إخوتكم بالتاء على الجمع وهو قراءة ابن سيرين والباقون بين أخويكم على التثنية لقوله ﴿ **طائفتان** ﴾ وفي الشواذ قراءة زيد بن ثابت والحسن إخوانكم بالألف والنون على الجمع وقد ذكرنا في سورة النساء إختلافهم في قوله ﴿ **فتبينوا** ﴾ والوجه في القراءتين والمروي عن الباقر ( ع ) فتثبتوا بالثاء والتاء .

[ **اللغة** ] العنت المشقة يقال عِنت الدابة تعنت عنتاً إذا حدث في قوائمه كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجري قال ابن الأنباري أصل العنت التشديد يقال فلان يعنت فلاناً أي يشدد عليه ويلزمه ما يصعب عليه ثم نقل إلى معنى الهلاك والقسط العدل ونحوه الإقساط والقسوط والقسط بالفتح الجور والعدول عن الحق فأصل الباب العدول فمن عدل إلى الحق فقد أقسط ومن عدل عن الحق فقد قسط .

[ **الإعراب** ] أن فيكم رسول الله خبر أن في الظرف الذي هو فيكم عند النحويين وفيه نظر لأن من حق الخبر أن يكون الخبر مفيداً فلا يقال النار حارة لعدم الفائدة والوجه عندي أن يكون لو مع ما في حيزه خبر أن والمعنى واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ويجوز على الوجه الأول أن يكون المراد التنبيه لهم على مكان رسول الله ﷺ كما يقول القائل للرجل يريد أن ينبهه على شيء فلان حاضر والمخاطب يعلم حضوره ولو قال أن رسول الله ﷺ فيكم احتمل أن يكون غير رسول الله فيهم ممن هو بمنزلته فإذا قال إن فيكم رسول الله لا يحتمل ذلك على هذا فقوله لو يطيعكم لو مع ما في حيزه في محل رفع بأنه خبر أنّ خبر بعد خبر فضلاً من الله مفعول له والتقدير فعل الله ذلك لكم فضلاً منه ونعمة ويجوز أن يكون العامل فيه الراشدون وما فيه من الفعل أي رشداً وفضلاً من الله وقوله ﴿ **بجهالة وبالعدل** ﴾ كلاهما في موضع نصب على الحال والعامل في الأول فتصيبوا وفي الثاني فأصلحوا .

[ **النزول** ] قوله ﴿ **إن جاءكم فاسق** ﴾ نزل في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله ﷺ في صدقات بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فرحابه وكانت بينهم عداوة في الجاهلية فظن أنهم هموا بقتله فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال إنهم منعوا صدقاتهم وكان الأمر بخلافه فغضب النبي ﷺ وهمّ أن يغزوهم فنزلت الآية عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل إنها نزلت فيمن قال للنبي ﷺ إن مارية أم إبراهيم يأتيها ابن عمّ لها قبطي فدعا رسول الله ﷺ علياً ( ع ) وقال يا أخي خذ هذا السيف فإن وجدته عندها فاقتله فقال يا رسول الله أكون في أمرك

إذا أرسلتني كالسكة المحماة أمضي لما أمرتني أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال ﷺ بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال علي (ع) فأقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما عرف إني أريده أتى نخلة فرقى إليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فإذا أنه أجَبُّ أمسح ما له مما للرجال قليل ولا كثير فرجعت فأخبرت النبي ﷺ فقال الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت وقوله ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ نزل في الأوس والخزرج وقع بينهما قتال بالسعف والنعال عن سعيد بن جبير وقيل نزل في رهط عبد الله بن أبي سلول من الخزرج ورهط عبد الله بن رواحة من الأوس وسببه أن النبي ﷺ وقف على عبد الله بن أبيّ فراث حمار رسول الله ﷺ فأمسك عبد الله أنفه وقال إليك عنّي فقال عبد الله بن رواحة لَحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك ومن أبيك فغضب قومه وأعان ابن رواحة قومه وكان بينهما ضرب بالحديد والأيدي والنعال .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ** ﴾ أي بخبر عظيم الشأن والفاسق الخارج عن طاعة الله إلى معصيته ﴿ **فتبينوا** ﴾ صدقه من كذبه ولا تبادروا إلى العمل بخبره ومن قال فتثبتوا فمعناه توقفوا فيه وتأنّوا حتى يثبت عندكم حقيقته ﴿ **أن تصيبوا قوماً بجهالة** ﴾ أي حذراً من أن تصيبوا قوماً في أنفسهم وأموالهم بغير علم بحالهم وما هم عليه من الطاعة والإسلام ﴿ **فتصبحوا على ما فعلتم** ﴾ من إصابتهم بالخطأ ﴿ **نادمين** ﴾ لا يمكنكم تداركه وفي هذا دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم ولا العمل لأن المعنى إن جاءكم من لا تأمنون أن يكون خبره كذباً فتوقفوا فيه وهذا التعليل موجود في خبر من يجوز كونه كاذباً في خبره وقد إستدل بعضهم بالآية على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلاً من حيث أن الله سبحانه أوجب التوقف في خبر الفاسق فدل على أن خبر العدل لا يجب التوقف فيه وهذا لا يصح لأن دليل الخطاب لا يعول عليه عندنا وعند أكثر المحققين ﴿ **واعلموا أن فيكم رسول الله** ﴾ أي فاتقوا الله أن تكذبوه أو تقولوا باطلاً عنده فإن الله تعالى يخبره بذلك فتفضحوا وقيل معناه واعلموا بما أخبره الله تعالى من كذب الوليد أن فيكم رسول الله ﷺ فهذه إحدى معجزاته ﴿ **لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** ﴾ أي لو فعل ما تريدونه في كثير من الأمر لوقعتم في عنت وهو الإثم والهلاك فسمى موافقته لما يريدونه طاعة لهم مجازاً ألا ترى أن الطاعة تراعى فيها الرتبة فلا يكون الإنسان مطيعاً لمن دونه وإنما يكون مطيعاً لمن فوقه إذا فعل ما أمره به ثم خاطب المؤمنين الذين لا يكذبون فقال ﴿ **ولكن الله حبب إليكم الإيمان** ﴾ أي جعله أحب الأديان إليكم بأن أقام الأدلة على صحته وبما وعد من الثواب عليه ﴿ **وزينه في قلوبكم** ﴾ بالإلطاف الداعية

إليـه ﴿ **وكره إليكم الكفـر** ﴾ بما وصف من العقـاب عليه بـوجـوه الإلـطاف اصـارفـة عنـه ﴿ **والفسوق** ﴾ أي الخروج عن الطاعة إلى المعاصي ﴿ **والعصيان** ﴾ أي جميـع المعاصي وقيل الفسوق الكذب عن ابن عباس وابن زيـد وهو المـروي عن أبي جعفر ( ع ) ثم عـاد سبحانه إلى الخبر عنهم فقال ﴿ **أولئك هم الراشدون** ﴾ يعني الذين وصفهم بالإيمان وزينه في قلوبهم هم المهتدون إلى محاسن الأمور وقيل هم الذين أصابوا الرشد واهتدوا إلى الجنة ﴿ **فضـلاً من الله ونعمة** ﴾ أي تفضـلاً منّي عليهم ورحمـة مني لهم عن ابن عبـاس ﴿ **والله عليم** ﴾ بالأشياء كلها ﴿ **حكيم** ﴾ في جميع أفعاله وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر من وجوه ( منها ) أنه إذا حبب في قلوبهم الإيمان وكره الكفر فمن المعلوم أنه لا يحبب ما لا يحبه ولا يكرّه ما لا يكرهه ( ومنها ) أنه إذ ألطف في تحبيب الإيمان بألطافه دل ذلك على ما نقوله في اللطف ثم قال ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ أي فريقان من المؤمنين قاتل أحدهما صاحبه ﴿ **فأصلحوا بينهما** ﴾ حتى يصطلحا ولا دلالة في هـذا على أنهمـا إذا اقتتلا بقيـا على الإيمان ويـطلق عليهما هـذا الاسم ولا يمتنـع أن يفسق إحـدى الطائفتين أو تفسقاً جميعا ﴿ **فإن بغت إحداهما على الأخرى** ﴾ بأن تـطلب ما لا يجـوز لها وتقاتل الأخرى ظالمة لها متعدية عليها ﴿ **فقاتلوا التي تبغي** ﴾ لأنها هي الظالمة المتعدية دون الأخرى ﴿ **حتى تفيىء إلى أمر الله** ﴾ أي حتى ترجع إلى طاعة الله وتترك قتال الطائفة المؤمنة ﴿ **فإن فاءت** ﴾ أي رجعت وتابت وأقلعت وأنابت إلى طاعة الله ﴿ **فـأصلحوا بينهمـا** ﴾ أي بينها وبين الطائفة التي هي على الإيمان ﴿ **بالعدل** ﴾ أي بالقسط حتى يكونوا سواء لا يكون من أحديهما على الأخرى جور ولا شطط فيما يتعلق بالضمانات من الأروش ﴿ **واقسطوا** ﴾ أي أعدلوا ﴿ **إن الله يحب المقسطين** ﴾ العادلين الذين يعدلون فيما يكون قولاً وفعلاً ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ في الدين يلزم نصرة بعضهم بعضاً ﴿ **فأصلحـوا بين أخويكم** ﴾ أي بين كل رجلين تقاتلا وتخاصما ومعنى الإثنين يأتي على الجمع لأن تأويله بين كل أخوين يعني فأنتم إخوة للمتقاتلين فأصلحوا بين الفريقين أي كفوا الظالم عن المظلوم وأعينوا المـظلوم ﴿ **واتقوا الله** ﴾ في ترك العدل والإصلاح أو في منع الحقوق ﴿ **لعلكم ترحمون** ﴾ أي لكي تـرحموا قـال الزجـاج سمى المؤمنين إذا كانـوا متفقين في دينهم إخوة لإتفاقهـم في الدين ورجوعهم إلى أصل النسب لأنهم لأمّ واحدة وهي حواء وروى الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كروب يوم القيامة ومن ستـر مسلماً يستره الله يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما وفي وصية النبي ﷺ لأمير

المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) سر ميلاً عد مريضاً سر ميلين شيّع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر أخاً في الله سر خمسة أميال أجب دعوة الملهوف سر ستة أميال أنصر المظلوم وعليك بالاستغفار .

[ النظم ] وجه اتصال قوله ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ ﴾ بما قبله أنه لما أمر بطاعة الله ورسوله بيّن عقيبه أن الرسول لا يجوز أن يتبع اهواءهم بل ينبغي أن يعمل بما عنده ووجه إتصال قوله ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان[1] لئلا تقعوا في العنت ﴾ وإنما قلنا ذلك لأن لكن لا بد أن يتقدمه نفي إذا كان ما بعده إثباتاً وقوله ﴿ لو يطيعكم لعنتم ﴾ معناه أنه لم يطعكم فما عنتّم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ * قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟

(١) [ بما قبله أن قوله لعنتّم بمنزلة أن يقول ما عنتّم أي ما عنتّم بطاعة كثير من الأمر ولكن الله حبب إليكم الإيمان ].

وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل البصرة لا يألتكم بالألف والباقون لا يلتكم بغير الألف .

[ **الحجة** ] قال أبو زيد الته حقه يالته ألْتا إذا نقصه وقوم يقولون لات يليت ليتا ويقال لِتُّ الرجل أَلِيته لَيْتا إذا عمّيت عليه الخبر فأخبرته بغير ما يسألك عنه قال رؤبة :

وَلَيْلَةٍ ذات ندىً سَرَيْتُ وَلَمْ يَلِتْنِي عَنْ سَرَاهَا لَيْتُ

وقوم يقولون الاتني عن حقي والاتني عن حاجتي أي صرفني عنها وحجة من قرأ لا يالتكم قوله تعالى ﴿ **وما التناهم** ﴾ ومن قرأ يلتكم جعله من لات يليت .

[ **اللغة** ] الهمز واللمز العيب والغض من الناس فاللمز هو الرمي بالعيب لمن لا يجوز أن يؤذى بذكره وهو المنهي عنه فأما ذكر عيب الفاسق فليس بلمز وقد ورد في الحديث قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره الناس والنبز القذف باللقب يقال نبزته انبزه والغيبة أن تذكر الإنسان من ورائه بسوء هو فيه فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت والبهتان والشعوب الذي يصغر شأن العرب ولا يري لهم فضلاً على غيرهم سمّوا بذلك لأنهم تأولوا وجعلناكم شعوباً على أن الشعوب من العجم كالقبائل من العرب وقال أبوعبيدة الشعوب العجم وأصله من التشعب وهو كثرة تفرقهم في النسب ويقال شعبته جمعته وشعبته فرقته وهو من الأضداد .

[ **النزول** ] نزل قوله ﴿ **لا يسخر قوم من قوم** ﴾ في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان إذا دخل المسجد تفسحوا لـه حتى يقعد عنـد النبي فيسمع مـا يقول فـدخل المسجد يوماً والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا مكانهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا حتى انتهى إلى رجل فقال له أصبت مجلساً فاجلس فجلس خلفه مغضباً فلما انجلت الظلمة قال من هذا قال الرجل أنا فلان فقال ثابت ابن فلانة ذكر أمّاً له كان يعيّر بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه حياء فنزلت الآية عن ابن عباس وقوله ﴿ **ولا نساء من نساء** ﴾ نزل في نساء النبي ﷺ سخرن من أم سلمة عن أنس وذلك أنها ربطت حقويها بسبية وهي ثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ماذا تجر

خلفها كأنه لسان كلب فلهذا كانت سخريتهما وقيل أنها عيرتها بالقصر وأشارت بيدها أنها قصيرة عن الحسن وقوله ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضاً** ﴾ نزل في رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اغتابا رفيقهما وهو سلمان بعثاه إلى رسول الله ﷺ ليأتي لهما بطعام فبعثه إلى أسامة بن زيد وكان خازن رسول الله ﷺ على رحله فقال ما عندي شيء فعاد إليهما فقالا بخل اسامة وقالا لسلمان لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله فقال لهما رسول الله ﷺ ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً قال ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة فنزلت الآية وعن أبي قلابة قال أن عمر بن الخطاب حُدّث أن أبا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته هو وأصحابه فانطلق عمر حتى دخل عليه فإذا ليس عنده إلا رجل فقال أبو محجن يا أمير المؤمنين أن هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس فقال عمر ما يقول هذا قال زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم صدق يا أمير المؤمنين قال فخرج عمر وتركه وخرج عمر بن الخطاب أيضاً ومعه عبد الرحمن بن عوف يعسّان فتبينت لهما نار فأتيا واستأذنا ففتح الباب فدخلا فإذا رجل وامرأة تغنّي وعلى يد الرجل قدح فقال عمر من هذه منك قال امرأتي قال وما في هذا القدح قال ماء فقال للمرأة ما الذي تغنين قالت أقول :

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَأسودّ جَانِبُهُ ... وَأرَّقَنِي ألّا حبيبٌ أُلَاعِبُهُ
فَوَاللهِ لَوْلا خَشْيَةُ اللهِ وَالتّقَى ... لَزَعْزَعَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ
وَلٰكِنَّ عَقْلِي وَالْحَيَاءَ يَكُفُّنِي ... وَأُكْرِمُ بَعْلِي أنْ تُنَالَ مَرَاكِبُهُ

ثم قال الرجل ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ولا تجسسوا فقال عمر صدقت وانصرف وقوله ﴿ **يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى** ﴾ قيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله للرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال ﷺ من الذاكر فلانة فقام ثابت فقال أنا يا رسول الله فقال أنظر في وجوه القوم فنظر إليهم فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض وأسود وأحمر قال فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى والدين فنزلت هذه الآية ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس** ﴾ الآية عن ابن عباس وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً وقال سهيل بن عمرو أن يرد الله شيئاً يغيره لغيره وقال أبو سفيان أني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبره به رب السماوات فأتى جبرائيل ( ع ) رسول الله ﷺ فأخبره بما قالوا فدعاهم رسول

**الله ﷺ وسألهم عما قالوا فأقروا به ونزلت الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والازدراء بالفقر والتكاثر بالأموال عن مقاتل.**

[ **المعنى** ] لما أمر سبحانه بإصلاح ذات البين ونهى عن التفرق عقب ذلك بالنهي عن أسباب الفرقة من السخرية والازدراء بأهل الفقر والمسكنة ونحو ذلك فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم** ﴾ قال الخليل القوم يقع على الرجال دون النساء لقيام بعضهم مع بعض في الأمور قال زهير :

وما أدري وَلَسْتُ أَخالُ أَدْري أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِساءُ

فالمعنى لا يسخر رجال من رجال والسخرية الإستهزاء قال مجاهد معناه لا يسخر غني من فقير لفقره وربما يكون الفقير المهين في ظاهر الحال خيراً وأجل منزلة عند الله من الغني الحسن الحال ولو سخر مؤمن من كافر إحتقاراً له لم يكن مأثوماً وقال ابن زيد هذا نهي عن استهزاء المسلمين بمن أعلن بفسقه عسى أن يكون المسخور عند الله خيراً من الساخر معتقداً أو أسلم باطناً ﴿ **ولا نساء من نساء** ﴾ على المعنى الذي تقدم ﴿ **عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ أي لا يطعن بعضكم على بعض كما قال تعالى ولا تقتلوا أنفسكم لأن المؤمنين كنفس واحدة فكأنه إذا قتل أخاه قتل نفسه عن ابن عباس وقتادة واللمز العيب في المشهد والهمز العيب في المغيب وقيل أن اللمز يكون باللسان وبالعين وبالإشارة والهمز لا يكون إلا باللسان وقيل معناه ولا يلعن بعضكم بعضاً عن الضحاك ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب** ﴾ جمع اللقب وهو اسم غير الذي سمي به الإنسان وقيل هو كل اسم لم يوضع له وإذا دعي به يكرهه فأما إذا كان لا يسوؤه ولا يكرهه فلا بأس فيه مثل الفقيه والقاضي وقيل هو قول الرجل للرجل يا كافر يا فاسق با منافق عن قتادة وعكرمة وقيل كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد ذلك يا يهودي أو يا نصراني فنهوا عن ذلك عن الحسن وقيل هو أن يعمل إنسان شيئاً من القبيح ثم يتوب منه فيعير بما سلف منه عن ابن عباس وروي أن صفية بنت حيي بن أخطب جاءت إلى النبي ﷺ تبكي فقال لها ما وراءك فقال إن عائشة تعيّرني وتقول يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد ﷺ فنزلت الآية عن ابن عباس ﴿ **بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان** ﴾ أي بئس الاسم أن يقول له يا يهودي يا نصراني وقد آمن عن الحسن وغيره والمعنى بئس الشيء تسميته باسم الفسوق يعني الكفر بعد الإيمان وقيل معناه بئس الشيء اكتساب اسم الفسوق باغتياب المسلمين

ولمزهم وهذا لا يدل على أن اسم(١) الإيمان والفسق لا يجتمعان لأه هذا كما يقال بئس الحال الفسوق بعد الشيب والمعنى بئس الحال الفسوق مع الشيب وبئس الإسم الفسوق مع الإيمان على أن الظاهر أن المعنى أن الفسوق الذي يتعقب الإيمان بئس الإسم وذلك هو الكفر ﴿ **ومن لم يتب** ﴾ من التنابز والمعاصي ويرجع إلى طاعة الله تعالى ﴿ **فأولئك هم الظالمون** ﴾ نفوسهم بفعل ما يستحقون به العقاب ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن** ﴾ قال الزجاج هو أن يظن بأهل الخير سوء فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل ما ظهر منهم وقيل هو أن يظن بأخيه المسلم سوءاً ولا بأس به ما لم يتكلم به فإن تكلم بذلك الظن وأبداه أثم وهو قوله ﴿ **إن بعض الظن إثم** ﴾ يعني ما أعلنه مما ظن بأخيه عن المقاتلين(٢) وقيل إنما قال كثيراً من الظن لأن من جملته ما يجب العمل به ولا يجوز مخالفته وإنما يكون إثماً إذا فعله صاحبه وله الطريق إلى العلم بدلاً منه فهذا ظن محرم لا يجوز فعله فأما ما لا سبيل إلى دفعه بالعلم بدلاً منه فليس بإثم ولذلك قال بعض الظن إثم دون جميعه والظن المحمود قد بينه الله تعالى ودل عليه بقوله ﴿ **لولا إذ سمعتوه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً** ﴾ وقيل معناه يجب على المؤمن أن يحسن الظن ولا يسيئه في شيء يجد له تأويلاً جميلاً وإن كان ظاهراً قبيحاً ﴿ **ولا تجسسوا** ﴾ أي ولا تتبعوا عثرات المؤمنين عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقال أبو عبيدة التجسس والتحسس واحد وروي في الشواذ عن ابن عباس ولا تحسسوا بالحاء قال الأخفش وليس يبعد أحدهما عن الآخر إلا أن التجسس عما يكتم ومنه الجاسوس والتحسس بالحاء البحث عما تعرفه وقيل إن التجسس بالجيم في الشر والجاسوس صاحب سر الشر والناموس صاحب سر الخير(٣) وقيل معناه لا تتبعوا عيوب المسلمين لتهتكوا العيوب التي سترها أهلها وقيل معناه ولا تبحثوا عما خفي حتى يظهر عن الأوزاعي وفي الحديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تنابزوا(٤) وكونوا عباد الله إخواناً وقوله ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضاً** ﴾ الغيبة ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه وفي الحديث إذا ذكرت الرجل بما فيه مما يكرهه الله فقد اغتبته وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتّه وعن جابر قال قال رسول الله ﷺ إياكم

---

(١) وفي نسخة ليس لفظة « اسم ».

(٢) وفي نسخة: يعني مقاتل بن حسان ومقاتل بن سليمان.

(٣) وفي نسخة: إن التجسس بالجيم في الشر والجاسوس صاحب الشر والتحسس في الخير والحاسوس صاحب سر الخير.

(٤) وفي النسخ: ولا تدابروا بدل « ولا تنابزوا ».

والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا ثم قال أن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه ثم ضرب سبحانه للغيبة مثلاً فقال ﴿ **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً** ﴾ وتأويله إن ذكرك بالسوء من لم يحضرك بمنزلة أن تأكل لحمه وهو ميت لا يحسّ بذلك عن الزجاج ولما قيل لهم أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً قالوا لا فقيل ﴿ **فكرهتموه** ﴾ أي فكما كرهتم ذلك فاجتنبوا ذكره بالسوء غائباً عن مجاهد وقيل فكما كرهتم لحمه ميتاً فاكرهوا غيبته حياً عن الحسن فهذا هو تقدير الكلام وقوله ﴿ **واتقوا الله** ﴾ معطوف على هذا الفعل المقدر ومثله ألم نشرح لك صدرك ووضعنا أي وقد شرحنا ووضعنا ويقال للمغتاب فلان يأكل لحوم الناس قال :

وَلَيْسَ الـذِئْبُ يَـأْكُـلُ لَحْمَ ذِئْبٍ ... وَيَـأْكُـلُ بَعْضُنـا بَعْضـاً عِيـانـاً

وقال آخر :

فَـإِنْ يَـأْكُلُوا لحمي وَفَـرتُ لُحُـومُهُمْ ... وإنْ يهْدِمُـوا مَجْـدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْـداً

وقال قتادة كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً لكراهية الطبع كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته لكراهية العقل والشرع لأن دواعي العقل والشرع أحق بالاتباع من دواعي الطبع فإن داعي الطبع أعمى وداعي العقل بصير وعن ميمون بن شاة[1] وكان يفضل على الحسن لأنه قد لقي من لم يلقه الحسن قال بينا أنا نائم إذا بجيفة زنجي وقائل يقول لي كل يا عبد الله قلت ولم آكل قال بما اغتيب عندك فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيراً ولا شراً قال لكنك استمعت فرضيت وكان ميمون بعد ذلك لا يدع أن يغتاب عنده واحد وقال رجل لابن سيرين إني قد اغتبتك فاجعلني في حل قال إني أكره أن أحلّ ما حرم الله ﴿**إن الله تواب**﴾ قابل التوبة ﴿ **رحيم** ﴾ بالمؤمنين ﴿ **يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى** ﴾ أي من آدم وحواء والمعنى أنكم متساوون في النسب لأن كلكم يرجع في النسب إلى آدم وحواء زجر الله سبحانه عن التفاخر بالأنساب وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال إنما أنتم من رجل وامرأة كجمام الصاع ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى ثم ذكر سبحانه أنه إنما فرق أنساب الناس ليتعارفوا لا ليتفاخروا فقال ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل** ﴾ وهي جمع شعب وهو الحي العظيم مثل مضر وربيعة وقبائل هي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر هذا قول أكثر المفسرين وقيل الشعوب دون القبائل وإنّما سميت بذلك لتشعبها وتفرقها عن

(١) وفي نسخة : شاه .

الحسن وقيل أراد بالشعوب الموالي وبالقبائل العرب في رواية عطا عن ابن عباس وإلى هذا ذهب قوم فقالوا الشعوب من العجم والقبائل من العرب والإسباط من بني إسرائيل وروي ذلك عن الصادق (ع) ﴿ **لتعارفوا** ﴾ أي جعلناكم كذلك لتعارفوا فيعرف بعضكم بعضاً بنسبه وأبيه وقومه ولولا ذلك لفسدت المعاملات وخربت الدنيا ولما أمكن نقل حديث ﴿ **أن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ أي أن أكثركم ثواباً وأرفعكم منزلة عند الله إتقاكم لمعاصيه واعملكم بطاعته وروي عن النبي ﷺ أنه قال يقول الله تعالى يوم القيامة أمرتكم فضيعتم ما عهدت إليكم فيه ورفعتم أنسابكم فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم أين المتقون إن أكرمكم عند الله أتقاكم وروي أن رجلاً سأل عيسى بن مريم أي الناس أفضل فأخذ قبضتين من تراب فقال أي هاتين أفضل الناس خلقوا من تراب فأكرمهم أتقاهم أبو بكر البيهقي بالإسناد عن عباية بن ربعى عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ أن الله عز وجل جعل الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً وذلك قوله ﴿ **وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال** ﴾ فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً وذلك قوله ﴿ **وأصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة والسابقون السابقون** ﴾ فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل** ﴾ الآية فإني أتقى ولد آدم ولا فخر وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله عز وجل ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس** ﴾ أهل البيت ويطهركم تطهيراً فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب ﴿ **إن الله عليم** ﴾ بأعمالكم ﴿ **خبير** ﴾ بأحوالكم لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿ **قالت الاعراب آمنّا** ﴾ وهم قوم من بني أسد أتوا النبي ﷺ في سنة جدية وأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر إنما كانوا يطلبون الصدقة والمعنى أنهم قالوا صدّقنا بما جئت به فأمره الله سبحانه أن يخبرهم بذلك ليكون آية معجزة له فقال ﴿ **قل لم تؤمنوا** ﴾ أي لم تصدقوا على الحقيقة في الباطن ﴿ **ولكن قولوا أسلمنا** ﴾ أي أنقدنا واستسلمنا مخافة السبي والقتل عن سعيد بن جبير وابن زيد ثم بين سبحانه أن الإيمان محله القلب دون اللسان فقال ﴿ **ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ قال الزجاج الإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول وبذلك يحقن الدم فإن كان مع ذلك الإظهار إعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان وصاحبه المؤمن المسلم حقاً فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق وقد أخرج هؤلاء من الإيمان بقوله ﴿ **ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ أي لم تصدقوا بعد بما اسلمتم تعوذاً من القتل فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر والمسلم التام الإسلام مظهر

للطاعة وهو مع ذلك مؤمن بها والذي أظهر الإسلام تعوذاً من القتل غير مؤمن في الحقيقة إلا أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين وروى أنس عن النبي ﷺ قال الإسلام علانية والإيمان في القلب وأشار إلى صدره ﴿ **وأن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً** ﴾ أي لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً عن ابن عباس ومقاتل ﴿ **إن الله غفور رحيم** ﴾.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير يعملون بالياء والباقون بالتاء.

[ **الحجة** ] وجه التاء أن قبله خطاباً وهو قوله ﴿ **لا تمنوا** ﴾ ووجه الياء أن قبله غيبة وهو قوله ﴿ **إنما المؤمنون** ﴾ الذين آمنوا.

[ **الإعراب** ] خبر المبتدأ الذي هو المؤمنون قوله ﴿ **أُولئك هم الصادقون** ﴾ وقوله ﴿ **الذين آمنوا** ﴾ صفة لهم.

[ **المعنى** ] ثم نعت سبحانه الصادقين في إيمانهم فقال ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا** ﴾ أي لم يشكوا في دينهم بعد الإيمان ﴿ **وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون** ﴾ في أقوالهم دون من يقول بلسانه ما ليس في قلبه قالوا فلما نزلت الآيتان أتوا رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون في دعواهم الإيمان فأنزل الله سبحانه ﴿ **قل أتعلمون الله بدينكم** ﴾ أي أتخبرون الله بالدين الذي أنتم

عليه والمعنى أنه سبحانه عالم بذلك فلا يحتاج إلى إخباركم به وهذا استفهام إنكار وتوبيخ أي كيف تعلمون الله بدينكم ﴿ **والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم** ﴾ لأن العالم لنفسه يعلم المعلومات كلها بنفسه فلا يحتاج إلى علم يعلم به ولا إلى من يعلمه كما أنه إذا كان قديماً موجوداً في الأزل لنفسه استغنى عن موجد أوجده وكانوا[1] يقولون آمنا بك من غير قتال وقاتلك بنو فلان فقال سبحانه ﴿ **يمنّون عليك أن أسلموا** ﴾ أي بأن أسلموا والمعنى أنهم يمنون عليك بالإسلام ﴿ **قل لا تمنوا علي إسلامكم** ﴾ أي بإسلامكم ﴿ **بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان** ﴾ أي بأن هداكم للإيمان وأرشدكم إليه بأن نصب لكم من الأدلة عليه وأزاح عللكم ووفقكم له ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ في إدعائكم الإيمان ﴿ **إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون** ﴾ من طاعة ومعصية وإيمان وكفر .

---

(١) وفي بعض النسخ : كان هؤلاء .

# (٥٠) سُورَةُ قٓ مَكِّيَّةٌ
## وَآيَاتُهَا خَمسٌ وَأَربَعُونَ

قال الحسن غير قوله ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض ﴾ إلى قوله ﴿ وقبل الغروب ﴾ وّالمَعْدِل عن ابن عباس ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض ﴾ الآية وهي خمس وأربعون آية بالإجماع .

[ **فضلها** ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة قٓ هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته. أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر ( ع ) قال ومن أدمن في فرائضه ونوافله سورة قٓ وسع الله في رزقه وأعطاه كتابه بيمينه وحاسبه حساباً يسيراً .

[ **تفسيرها** ] لما ختم الله تلك السورة بذكر الإيمان وشرائطه للعبيد افتتح هذه السورة بذكر ما يجب الإيمان به من القرآن وأدلة التوحيد فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ
ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ
بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾

ولم يعدّ قٓ آية ولا نظيرٌ له من نون وصاد لأنه مفرد وكل مفرد فإنه لا يعد لبعده من شبه

الجملة فأما المركب مما أشبه الجملة ووافق رؤوس الآي فإنه يعد مثـل طٰه وحٰم وآلم ومـا أشبه ذلك .

[ **اللغة** ] المجيد الكريم المعظم والعظيم المكرم والمجد في كلامهم الشرف الواسع يقال مجُد الـرجل ومجَـد مجداً إذا عـظم وكرم وأصله من قـولهم مجَدت الإبـل مجوداً إذا عظمت بطونها من كثرة أكلها من كلاء الربيع وأمجد فلان القوم قرى قال :

أتَــيْـنـاهُ زَوّاراً فَــأمَــجــدنــا قِــرىً مِنَ البَثِّ والـدَّاءِ الدَّخِيـلِ المُخامِـرِ(١)

والعجيب والعجب هـو كل مـا لا يعرف علتـه ولا سببه والمـريـج المختلط الملتبس وأصله إرسال الشيء مع غيره من المرج قال الشاعر :

فَجَــالَتْ فَـالْتَمَسْتُ بِـهِ حَشــاهَــا فَــخَــرَّ كَــأنَّــهُ غُــصْــنٌ مَــرِيــجُ

أي قد التبس بكثرة شعبه ومرجت عهودهم وأمر جوها أي خلطوها ولم يفوا بها .

[ **الإعراب** ] جواب القسم في قٓ والقرآن المجيد محذوف يدل عليه أإذا متنا وكنا تراباً وتقديره إنكم مبعوثون فقال أنبعث إذا متنا وكنا تراباً ويجوز أن يكون الجواب قـد علمنا مـا تنقص الأرض منهم وحذفت اللام لأن ما قبلها عوض منها كما قال والشمس وضحاها إلى قوله ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ والمعنى لقد أفلح والعامل في أإذا متنا مضمر والتقدير أإذا متنا بعثنا .

[ **المعنى** ] ﴿ **قٓ** ﴾ قد مر تفسيره وقيل إنـه اسم من أسماء الله تعـالى عن ابن عباس وقيل هو اسم الجبل المحيط بالأرض من زمـردة خضراء خضـرة السماء منهـا عن الضحاك وعكرمة وقيل معناه قضي الأمر أو قضي ما هو كائن كما قيل في حٰم حُمَّ الأمر(٢) ﴿ **والقرآن المجيد** ﴾ أي الكريم على الله العظيم في نفسه الكثير الخير والنفع لتبعثن يوم القيامة وقيل تقديره والقرآن المجيد أن محمداً رسول الله ﷺ بدلالة قوله ﴿ **بـل عجبوا أن جـاءهم منذر منهم** ﴾ أي ما كذبك قومك لأنك كاذب بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم وحسبوا أنه لا يوحى إلا إلى ملك ﴿ **فقال الكافرون هذا شيء عجيب** ﴾ أي معجب عجبوا من كون محمـد ﷺ رسولاً إليهم فأنكروا رسالته وانكروا البعث بعد المـوت وهو قـوله ﴿ **أإذا متنـا وكنا تـراباً** ﴾

---

(١) أمجدنا قِرىً أي آتانا ما كفى وفضل وخامرالداء فلاناً: خالط جوفه أي وفدنا عليه فآتانا من بثّ الشكوى وما به من الداء الدفين ما كفانا وفضل .

(٢) حَمّ الأمر بالبناء للمجهول أي قضى .

أنبعث ونردّ أحياء ﴿ **ذلك** ﴾ أي ذلك الرد الذي يقولون ﴿ **رجع بعيد** ﴾ أي ردّ بعيد عن الأوهام وإعادة بعيدة عن الكون والمعنى أنه لا يكون ذلك لأنه غير ممكن ثم قال سبحانه ﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم** ﴾ أي ما تأكل الأرض من لحومهم ودمائهم وتبليه من عظامهم فلا يتعذر علينا ردهم ﴿ **وعندنا كتاب حفيظ** ﴾ أي حافظ لعدتهم وأسمائهم وهو اللوح المحفوظ لا يشذ عنه شيء وقيل حفيظ أي محفوظ عن البلى والدروس وهو كتاب الحفظة الذين يكتبون أعمالهم ثم أخبر سبحانه بتكذيبهم فقال ﴿ **بل كذبوا بالحق لما جاءهم** ﴾ والحق القرآن وقيل هو الرسول ﴿ **فهم في أمر مريج** ﴾ أي مختلط فمرّة قالوا مجنون وتارة قالوا ساحر وتارة قالوا شاعر فتحيروا في أمرهم[١] لجهلهم بحاله ولم يثبتوا على شيء واحد وقالوا للقرآن أنه سحر مرة وزجر[٢] مرة ومفترى مرة فكان أمرهم ملتبساً عليهم قال الحسن ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾

[ **اللغة** ] الفروج الشقوق والصدوع وفي الحائط فرجة بضم الفاء فإذا قيل فرجة بفتح الفاء فهو التفصي من الهم قال :

رُبَمَا تَكْرَهُ النُّفُوس مِنَ الأَمْـ ـرِ لَـهُ فُرْجَـةٌ كَحَـلِّ الْعِقَـالِ[٣]

أي رب شيء تكرهه النفوس وما هاهنا نكرة موصوفة والفرج موضع المخافة وفي عهد الحجاج أني وليتك الفرجين يعني خراسان وسجستان والحصيد ما حصد من أنواع النبات

(١) وفي بعضها : أمره . (٢) وفي المخطوطة : رجز . (٣) مر البيت في ج ٦

والباسقات الطوال وبسق النخل بسوقاً والطلع طلع النخلة سمي بذلك لطلوعه والنضيد ما نضد بعضه على بعض .

[ **الإعراب** ] كيف يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون مصدراً وما لها من فروج في موضع نصب على الحال تقديره غير مفروجة والأرض منصوبة بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر وتقديره ومددنا الأرض مددناها تبصرة مفعول له وكذلك ذكرى وحب الحصيد تقديره وحب النبات الحصيد والحصيد صفة لموصوف محذوف وباسقات نصب على الحال وكذلك الجملة التي هي لها طلع نضيد حال بعد حال ورزقاً للعباد مفعول له أي أنبتنا هذه الأشياء لرزق العباد ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً أعني المصدر وتقديره رزقناهم رزقاً .

[ **المعنى** ] ثم أقام سبحانه الدلالة على كونه قادراً على البعث فقال ﴿ **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم** ﴾ أي ألم يتفكروا في بناء السماء مع عظمها وحسن ترتيبها وانتظامها ﴿ **كيف بنيناها** ﴾ بغير علاقة ولا عماد ﴿ **وزيناها** ﴾ بالكواكب السيارة والنجوم الثوابت ﴿ **وما لها من فروج** ﴾ أي شقوق وفتوق وقيل معناه ليس فيها تفاوت واختلاف عن الكسائي وإنما قال فوقهم بنيناها على أنهم يرونها ويشاهدونها ثم لا يتفكرون فيها ﴿ **والأرض مددناها** ﴾ أي بسطناها ﴿ **وألقينا فيها رواسي** ﴾ أي جبالاً رواسخ تمسكها عن الميدان ﴿ **وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج** ﴾ أي من كل صنف حسن المنظر عن أبن زيد والبهجة الحسن الذي له روعة عند الرؤية كالزهرة والأشجار النضرة والرياض الخضرة وقال الأخفش البهيج الذي من رآه بهج بهِ أي سرّ به فهو بمعنى المبهوج به ﴿ **تبصرة وذكرى** ﴾ أي فعلنا ذلك تبصيراً ليبصر به أمر الدين وتذكيراً وتذكراً ﴿ **لكل عبد منيب** ﴾ راجع إلى الله تعالى ﴿ **ونزلنا من السماء ماء مباركاً** ﴾ أي مطراً وغيثاً يعظم النفع به ﴿ **فأنبتنا به** ﴾ أي بالماء ﴿ **جنات** ﴾ أي بساتين فيها أشجار تشتمل على أنواع الفواكه المستلذة ﴿ **وحب الحصيد** ﴾ أي حب البر والشعير وكل ما يحصد عن قتادة لأن من شأنه أن يحصد إذا تكامل واستحصد والحب هو الحصيد فهو مثل حق اليقين ومسجد الجامع ونحوهما ﴿ **والنخل باسقات** ﴾ أي وأنبتنا به النخل طويلات عاليات ﴿ **لها طلع نضيد** ﴾ أي لهذه النخل الموصوفة بالعلو طلع نضد بعضه على بعض عن مجاهد وقتادة والطلع الكفرّى وهو أول ما يظهر من ثمر النخل قبل أن ينشق وهو نضيد في أكمامه فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد ﴿ **رزقاً للعباد** ﴾ أي أنبتنا هذه الأشياء للرزق وكل رزق فهو من الله تعالى بأن يكون قد فعله أو فعل سببه لأنه مما يريده وقد يرزق الواحد منا

غيره كما يقال رزق السلطان جنده ﴿ **واحيينا به** ﴾ أي بذلك الماء الذي أنزلناه من السماء ﴿ **بلدة ميتاً** ﴾ أي جدبا وقحطاً لا تنبت شيئاً فنبت وعاشت ثم قال ﴿ **كذلك الخروج** ﴾ من القبور أي مثل ما أحيينا هذه الأرض الميتة بالماء نحيي الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم فإن من قدر على أحدهما قدر على الآخر وإنما دخلت الشبهة على هؤلاء من حيث أنهم رأوا العادة مستمرة في إحياء الموات من الأرض بنزول المطر ولم تجر العادة بإحياء الموتى من البشر ولو أنعموا الفكر وأمعنوا النظر لعلموا أن من قدر على أحد الأمرين قدر على الآخر .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ
وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ
ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ
مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ
نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى
ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ
إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ
مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة أبي بكر عند خروج نفسه وجاءت سكرة الحق بالموت وهي قراءة سعيد بن جبير وطلحة ورواها أصحابنا عن أئمة الهدى (ع).

[ **الحجة** ] قال ابن جني لك في الباء ضربان من التقدير ان شئت علقتها بنفس جاءت كقولك جئت بزيداً أي احضرته وان شئت علقتها بمحذوف وجعلتها حالاً أي وجاءت سكرة الحق ومعها الموت كقولك خرج بثيابه أي وثيابه عليه ومثله قوله فخرج على قومه في زينته أي وزينته عليه وكقول أبي ذؤيب :

يَعْثُرْنَ فِي حَدِّ الظُّبَاةِ كَأَنَّمَا كُسِيَتْ بُرُودَ بَنِي يَزِيدَ الْأَذْرُعَ[١]

أي يعثرن وهن في حد الظباة وكقول الآخر :

وَمُسْتَنَّةٍ كَاسْتِنَانِ الْخَرُوفِ وَقَدْ قَطَعَ الْحَبْلَ بِالْمِرْوَدِ

أي قطعه وفيه مروده وكذلك قراءة العامة وجاءت سكرة الموت بالحق ان شئت علقت الباء بنفس جاءت وان شئت علقتها بمحذوف[٢] وجاءت سكرة الموت ومعها الحق .

[ **اللغة** ] يقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه وتعذر ذلك عليك وأعييت إذا تعبت وكل ذلك من التعب الا ان احدهما في الطلب والآخر فيما وقع الفراغ عنه والوريد عرق في الحلق وهما وريدان في العنق عن يمين وشمال وكأنه العرق الذي يردّ اليه ما ينصب من الرأس وحبل الوريد حبل العاتق وهو منفصل من الحلق إلى العاتق والرقيب الحافظ والعتيد المعد للزوم الأمر .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه الأمم المكذبة تسلية للنبي ﷺ وتهديداً للكفار فقال ﴿**كذبت قبلهم**﴾ من الأمم الماضية ﴿**قوم نوح**﴾ فأغرقهم الله ﴿**وأصحاب الرس**﴾ وهم أصحاب البئر التي رسّوا نبيّهم فيها بعد أن قتلوه عن عكرمة وقيل الرسّ بئر قتل فيها صاحب ياسين عن الضحاك وقيل هم قوم كانوا باليمامة على آبار لهم عن قتادة وقيل هم أصحاب الاخدود وقيل كان سحق النساء في أصحاب الرس وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله ( ع ) ﴿**وثمود**﴾ وهم قوم صالح ﴿**وعاد**﴾ وهم قوم هود ﴿**وفرعون واخوان لوط**﴾ أي وكذب فرعون موسى وقوم لوط لوطاً وسماهم اخوانه لكونهم من نسبه ﴿**وأصحاب الايكة**﴾ وهم قوم شعيب ﴿**وقوم تبّع**﴾ وهو تبع الحميري الذي ذكرناه عند قوله اهم خير أم قوم تبع ﴿**كل**﴾ من هؤلاء المذكورين ﴿**كذب الرسل**﴾ المبعوثة إليهم وجحدوا نبوتهم ﴿**فحق وعيد**﴾ أي وجب عليهم عذابي الذي أوعدتهم به فإذا كان مآل الامم الخالية إذا كذبوا الرسل الهلاك والدمار وانكم معاشر العرب قد سلكتم مسالكهم في التكذيب والإنكار فحالكم كحالهم في التباب والخسار ثم قال سبحانه جواباً لقولهم ذلك رجع بعيد ﴿**أفعيينا بالخلق الأول**﴾ أي أفعجزنا

---

(١) الظُبة : حدّ السيف أو السنان ونحوه والمراد بحد الظبات المضارب بأسرها يقول : ان بقر الوحش أيضاً لا تنجو من الموت فيعثرن وهن في حد الظبات من السيف بجرح الصياد اياهن فتحمر اذرعهن من الدم كبرود بمعنى يزيد ( وهي برود فيها خطوط حمر ) وقد مر البيت أيضاً حديدة توتد في الأرض يشد فيها حبل الدابة وقد مر البيت في ج ٣

(٢) [ بمعنى ] .

حين خلقناهم اولاً ولم يكونوا شيئاً فكيف نعجز عن بعثهم واعادتهم وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بأن الله هو الخالق ثم أنكروا البعث ويقال لكل من عجز عن شيء عيي به ثم ذكر أنهم في شك من البعث بعد الموت فقال ﴿**بل هم في لبس من خلق جديد**﴾ أي بل هم في ضلال وشك من اعادة الخلق جديداً واللبس منع من ادراك المعنى بما هو كالستر له والجديد القريب الانشاء ﴿**ولقد خلقنا الإنسان**﴾ أراد به الجنس يعني ابن آدم ﴿**ونعلم ما توسوس به نفسه**﴾ أي ما يحدث به قلبه وما يخفي ويكنّ في نفسه ولا يظهره لأحد من المخلوقين ﴿**ونحن أقرب إليه**﴾ بالعلم ﴿**من حبل الوريد**﴾ وهو عرق يتفرق في البدن يخالط الإنسان في جميع أعضائه وقيل هو عرق الحلق عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو عرق متعلق بالقلب يعني نحن أقرب إليه من قلبه عن الحسن وقيل معناه نحن أعلم به ممن كان منه بمنزلة حبل الوريد في القرب وقيل معناه نحن أملك له من حبل وريده مع استيلائه عليه وقربه منه وقيل معناه نحن أقرب إليه بالإدراك من حبل الوريد لو كان مدركاً ثم ذكر سبحانه أنه مع علمه به وكل به ملكين يحفظان عليه عمله الزاماً للحجة فقال ﴿**إذ يتلقى المتلقيان**﴾ فإذ متعلقة بقوله ونحن أقرب إليه أي ونحن أعلم به وأملك له حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه ﴿**عن اليمين وعن الشمال قعيد**﴾ أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى بأحدهما عن الآخر والمراد بالقعيد هنا الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد القائم وقيل عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات عن الحسن ومجاهد وقيل الحفظة أربعة ملكان بالنهار وملكان بالليل عن الحسن ﴿**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾ أي ما يتكلم بكلام فيلفظه أي يرميه من فيه إلا لديه حافظ حاضر معه يعني الملك الموكل به إما صاحب اليمين وإما صاحب الشمال يحفظ عمله لا يغيب عنه والهاء في لديه تعود إلى القول أو إلى القائل وعن أبي إمامة عن النبي ﷺ قال إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطىء او المسيء فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها والا كتب واحدة وفي رواية أخرى قال صاحب اليمين امير على صاحب الشمال فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر امثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه سبع ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء وإن لم يستغفر الله كتب له سيئة واحدة وعن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا يا رب قد قبضت عبدك فلاناً فإلى اين قال سمائي مملوءة بملائكتي يعبدونني وارضي مملوءة من خلقي يطيعونني اذهبا الى قبر عبدي فسبحاني وكبراني وهللاني فاكتبا ذلك في حسنات عبدي إلى يوم القيامة ﴿**وجاءت**

**سكرة الموت بالحق﴾** أي جاءت غمرة الموت وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله بالحق أي امر الآخرة حتى عرفه صاحبه واضطر اليه وقيل معناه جاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت قال مقاتل يعني انه حق كائن والمراد ان هذه السكرة قد قربت منكم فاستعدوا لها فهي لقربها كالحاصلة مثل قوله تعالى اتى امر الله وروي أن عائشة قالت عند وفاة أبي بكر:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْني الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتىٰ ... إِذا حَشْرَجَتْ[1] يَوْماً وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

فقال أبو بكر لا تقولي ذلك ولكنه كما قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ويقال لمن جاءته سكرة الموت **﴿ذلك﴾** أي ذلك الموت **﴿ما كنت منه تحيد﴾** أي تهرب وتميل **﴿ونفخ في الصور﴾** قد مر تفسيره **﴿ذلك يوم الوعيد﴾** أي ذلك اليوم يوم وقوع الوعيد الذي خوّف الله به عباده ليستعدّوا ويقدموا العمل الصالح له .

﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ
مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ
قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾
مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ
فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ
قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠
بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ
مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾

(١) حشرج حشرجة : غرغر عند الموت وتردد نفسه .

[ **القراءة** ] قرأ نافع وأبو بكر يوم يقول بالياء والباقون بالنون .

[ **الحجة** ] الياء على معنى يقول الله تعالى والنون أشبه بقوله قد قدمت اليكم بالوعيد وقوله وما أنا بظلام للعبيد .

[ **اللغة** ] السوق الحث على السير والحديد الحادّ مثل الحفيظ والحافظ والعنيد الجائر عن القصد وهو العنود والعاند وناقة عنود لا تستقيم في سيرها والعنيد المتحير(١) منه .

[ **الإعراب** ] هذا ما لديّ عتيد ما ها هنا نكرة موصوفة وتقديره هذا شيء ثابت لديّ عتيد فالظرف صفة لما وكذلك عتيد. جهنم لا ينصرف للتعريف والتأنيث وأصله من قولهم بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر وقيل هو أعجمي فلا ينصرف للتعريف والعجمة وقوله القيا في جهنم قيل فيه أقوال ( أحدها ) أن العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان يقول للرجل الواحد قوما واخرجا ويحكى عن الحجاج انه كان يقول يا حرسيّ اضربا عنقه يريد اضرب قال الفراء سمعت من العرب من يقول ويلك ارحلاها وانشدني بعضهم :

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لاَ تَحْبِسَانَا ... بِنَزْعِ أُصُولِهِ وَاجْتَزَّ شِيحَا(٢)

وأنشدني أبو ثروان :

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَا ابْنَ عَفَّانَ انْزَجِرْ ... وَإِنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعَا(٣)

قال وترى ان ذلك منهم لأجل ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه اثنان وكذلك الرفقة ادنى ما تكون ثلاثة فجرى كلام الواحد على صاحبيه الا ترى أن الشعراء اكثر شيء قيلا يا صاحبي ويا خليلي قال امرؤ القيس :

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ ... لِنَقْضِيَ حَاجَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ
فَإِنَّكُمَا إِنْ تُنْظِرَانِيَ لَيْلَةً ... مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدىٰ أُمِّ جُنْدُبِ

ثم قال :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً ... وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تُطَيَّبِ

(١) وفي نسخة : المتجبر .
(٢) الشيح : نبات كثير الأنواع طيب الرائحة يقوي طبخ اللحم سريعاًولا تحبسنا بقلع اصول الأشجار للشيء حتى يطول المكث بل اجتزّ الشيح واشويه .
(٣) الممنع : الممنوع شدد للمبالغة .

فرجع إلى الواحد لأن اول الكلام واحد في لفظ الاثنين وانشد أيضاً :

خَليلَيَّ قُوما فِي عَطَالَةَ فَانْظُرا أَناراً تَرىٰ مِنْ نَحْوِ ما بَيْنَ أَمْ بَرْقا[١]

ولم يقل تريا ( والثاني ) انه إنما ثني ليدل على التكثير كأنه قال الق الق فثني الضمير ليدل على تكرير الفعل وهذا لشدة ارتباط الفاعل بالفعل حتى إذا كرر احدهما فكأن الثاني كرر وهذا قول المازني ومثله عنده قال رب ارجعون إنما جمع ليدل على التكرير كأنّه قال ارجعني ارجعني ارجعني وحمل عليه قول امرىء القيس « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » ونحو ذلك أي كأنه قال قف قف ( والثالث ) أن الأمر تناول السائق والشهيد فكأنه قال يا أيها السائق ويا أيها الشهيد القيا ( والرابع ) انه يريد النون الخفيفة فكان الْقَيْن فأجرى الوصل مجرى الوقف فأبدل من النون الفاً كما قال الأعشى :

وَذا النُّسُكِ الْمَنْصُوبِ لا تَنْسُكَنَّهُ وَلا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ وَالله فَاعْبُدا[٢]

ويؤيد هذا القول ما روي عن الحسن انه قرأ أَلْقياً بالتنوين. الذي جعل مع الله إلّهاً آخر إن كان مبتدأ فخبره قوله فالقياه ويجوز أن يكون نصباً بمضمر يفسّره فألقياه ويجوز أن يكون نصباً بدلاً من قوله كل كفار ولا يجوز أن يكون جراً صفة لكفّار لأن النكرة لا توصف بالموصول انما الموصول وصلة إلى وصف المعارف بالجمل .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن حال الناس بعد البعث فقال ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ أي وتجيء كل نفس من المكلفين في يوم الوعيد ومعها سائق من الملائكة يسوقها أي يحثها على السير إلى الحساب وشهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها وشاهده منها وكتبه عليها فلا يجد إلى الهرب ولا إلى الجحود سبيلاً وقيل السائق من الملائكة والشهيد الجوارح تشهد عليها عن الضحاك ﴿لقد كنت في غفلة﴾ أي يقال له لقد كنت في سهو ونسيان ﴿من هذا﴾ اليوم في الدنيا والغفلة ذهاب المعنى عن النفس ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ الذي كان في الدنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك حتى ظهر لك الأمر وإنما تظهر الأمور في الآخرة بما يخلق الله تعالى من العلوم الضرورية فيهم فيصير بمنزلة كشف الغطاء لما يرى وإنما يراد به جميع المكلفين برّهم وفاجرهم لأن معارف الجميع ضرورية

(١) عطالة : جبل منيف بالسودة من ديارات بني سعد وفي اللسان اناراً ترى من ذي ابانين ام برقاً وبين اسم موضع .
(٢) قد مر البيت في ج ١

﴿فبصرك اليوم حديد﴾ أي فعينك اليوم حادة النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهة وقيل معناه فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ ولا يراد به بصر العين كما يقال فلان بصير بالنحو والفقه وقيل هو خاص في الكافر أي فأنت اليوم عالم بما كنت تنكره في الدنيا عن ابن عباس ﴿وقال قرينه﴾ يعني الملك الشهيد عليه عن الحسن وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وقيل قرينه الذي قيض له من الشياطين عن مجاهد وقيل قرينه من الانس ﴿هذا ما لدي عتيد﴾ إن كان المراد به الملك الشهيد فمعناه هذا حسابه حاضر لديّ في هذا الكتاب أي يقول لربه كنت وكلتني به فما كتبت من عمله حاضر عندي وان كان المراد به الشيطان أو القرين من الانس فالمعنى هذا العذاب حاضر عندي معدّ لي بسبب سيئاتي ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾ هذا خطاب لخازن النار وقيل خطاب للملكين الموكلين به وهما السائق والشهيد عن الزجاج وقد ذكرنا ما قيل فيه وروى أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن الأعمش أنه قال حدثنا أبو المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لي ولعليّ القيا في النار من أبغضكما وادخلا الجنة من أحبكما وذلك قوله القيا في جهنم كل كفار عنيد والعنيد الذاهب عن الحق وسبيل الرشد ﴿منّاع للخير﴾ الذي أمر الله به من بذل المال في وجوهه ﴿معتدٍ﴾ ظالم متجاوز يتعدّى حدود الله ﴿مريب﴾ أي شاكّ في الله وفيما جاء من عند الله وقيل متهم يفعل ما يرتاب بفعله ويظن به غير الجميل مثل المليم الذي يفعل ما يلام عليه وقيل انها نزلت في الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو أخيه في الإسلام فمنعهم فيكون المراد بالخير الإسلام ﴿الذي جعل مع الله إلَهاً آخر﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فألقياه في العذاب الشديد﴾ هذا تأكيد للأول فكأنه قال افعلا ما أمرتكما به فإنه مستحق لذلك ﴿قال قرينه﴾ أي شيطانه الذي اغواه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وانما سمي قرينه لأنه يقرن به في العذاب وقيل قرينه من الإنس وهم علماء السوء والمتبوعون ﴿ربنا ما اطغيته﴾ أي ما أضللته وما أوقعته في الطغيان باستكراه أي لم أجعله طاغياً ﴿ولكن كان في ضلال﴾ من الإيمان ﴿بعيد﴾ أي ولكنه طغى باختياره السوء ومثل هذا قوله وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴿قال﴾ الله تعالى لهم ﴿لا تختصموا لديّ﴾ أي لا يخاصم بعضكم بعضاً عندي ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ في دار التكليف ولم تنزجروا وخالفتم أمري ﴿ما يبدل القول لديّ﴾ المعنى ان الذي قدمته لكم في دار الدنيا من اني أعاقب من جحدني وكذب رسلي وخالفني في أمري لا يبدل بغيره ولا يكون خلافه ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ أي لست بظالم احداً في عقابي لمن استحقه بل هو الظالم لنفسه بارتكابه المعاصي التي استحق بها ذلك وإنما قال

بظلام على وجه المبالغة رداً على من أضاف الظلم إليه تعالى وتقدس عن ذلك **﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت﴾** يتعلق يوم بقوله ما يبدل القول لديّ الآية وقيل يتعلق بتقدير اذكر يا محمد ذلك اليوم الذي يقول الله فيه لجهنم هل امتلأت من كثرة ما ألقي فيك من العصاة **﴿وتقول﴾** جهنم **﴿هل من مزيد﴾** قال انس طلبت الزيادة وقال مجاهد المعنى معنى الكفاية اي لم يبق مزيد لامتلائها ويدل على هذا القول قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقيل في الوجه الأول إن هذا القول كان منها قبل دخول جميع اهل النار فيها ويجوز ان تكون تطلب الزيادة على ان يزاد في سعتها كما عن النبي ﷺ أنه قيل له يوم فتح مكة الا تنزل دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار لأنه كان قد باع دور بني هاشم لما خرجوا إلى المدينة فعلى هذا يكون المعنى وهل بقي زيادة فأما الوجه في كلام جهنم فقيل فيه وجوه ( أحدها ) انه خرج مخرج المثل اي ان جهنم من سعتها وعظمتها بمنزلة الناطقة التي إذا قيل لها هل امتلأت تقول لم امتلىء وبقي فيّ سعة كثيرة ومثله قول عنترة :

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ　　وَشَكَا إليَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ[1]

وقال آخر :

امْتَلأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطني　　مَهْلاً رُوَيْداً قَدْ مَلأْتُ بَطْني[2]

( وثانيها ) انه سبحانه يخلق لجهنم آلة الكلام فتتكلم وهذا غير منكر لأن من أنطق الأيدي والجوارح والجلود قادر على ان ينطق جهنم ( وثالثها ) أنه خطاب لخزنة جهنم على وجه التقرير لهم هل امتلأت جهنم فيقولون بلى لم يبق موضع لمزيد ليعلم الخلق صدق وعده عن الحسن قال ومعناه ما من مزيد أي لا مزيد كقوله هل من خالق غير الله وهو قول واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد :

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾

(١) مرّ البيت في ج ٦　　(٢) مر البيت أيضاً في ج ١

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن
قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ
شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ
فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الحجاز وحمزة وخلف وادبار بكسر الهمزة والباقون وادبار السجود بالفتح وفي الشواذ قراءة ابن عباس وأبي العالية ويحيى بن يعمر فنقِّبوا في البلاد بكسر القاف وقراءة السدي والقي السمع وقراءة أبي عبد الرحمن السلمي وطلحة وما مسنا من لغوب بفتح اللام .

[ **الحجة** ] قال أبو علي إدبار مصدر والمصادر تجعل ظروفاً على ارادة اضافة اسماء الزمان اليها وحذفها كقولك جئتك مقدم الحاج وخفوق النجم وخلافة فلان تريد في ذلك كله وقت كذا فكذلك يقدر هنا وقت ادبار السجود الا أن المضاف المحذوف في هذا الباب لا يكاد يظهر ولا يستعمل فهذا أدخل في باب الظروف من قول من فتح فكأنه أمر بالتسبيح بعد الفراغ من الصلاة ومن فتح جعله جمع دبر أو دبر مثل قفل واقفال وطُنْب وأطناب وقد استعمل ذلك ظرفاً نحو جئتك في دبر الصلاة وفي ادبار الصلاة قال اوس بن حجر :

عَلى دُبُرِ الشَّهْرِ الْحَرامِ بِأَرْضِنا وَما حَوْلَها جَدْبٌ سِنُونَ تَلَمَّعُ[1]

وأما من قرأ فنقبوا فقد قال ابن جني أنه فعلوا من النقب أي ادخلوا وغوروا في الأرض فإنكم لا تجدون لكم محيصاً وقوله أو القى السمع معناه أو القى السمع منه وقوله وما مسنا من لغوب فيمكن ان يكون من المصادر التي جاءت على فعول بفتح الفاء كالوضوء والولوغ

(١) تلمعت السنة كما قيل عام أبقع أي فيه خصب وجدب .

والوزوع والقبول وهي صفات مصادر محذوفةأي توضأت وضوءاً أي وضوءاً[1] حسناً وكذلك هذا أي وما مسنا من لغوب لغوب أي تعب متعب .

[ اللغة ] الإزلاف التقريب إلى الخير ومنه الزلفة والزلفى وازدلف اليه أي اقترب والمزدلفة منزلة قريبة من الموقف وهو المشعر وجَمْع ومنه قول الراجز :

نـاجٍ طَـوَاهُ الأَيْـنُ مِـمَّـا أَوْجَـفـا طَيَّ الـلَّيـالـي زُلَـفـاً فَـزُلَـفـا

سَمٰاوَةَ الْهِلَالِ حَتَّى احْقَوْقَفا[2]

والتنقيب التفتيح بما يصلح للسلوك وهو من النقب الذي هو الفتح قال امرؤ القيس :

لَـقَـدْ نَـقَّـبْـتُ فِـي الآفـاقِ حَـتَّـى رَضِـيـتُ مِـنَ الْـغَـنِـيـمَـةِ بِـالإِيٰـابِ

أي طوّفت في طرقها وسرت في نقوبها واللغوب الإعياء .

[ الإعراب ] غير بعيد صفة مصدر محذوف تقديره ازلافاً غير بعيد ويجوز أن يكون منصوباً على الحال من الجنة ولم يقل غير بعيدة لأنه في تقدير النسب أي غير ذات بعد وقوله لكل أوّاب يجوز أن يكون في موضع رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أي هو لكل أواب ولا يجوز أن يكون خبراً بعد خبر تقديره هذا الموعود هذا لكل أواب حفيظ ولا يجوز أن تتعلق اللام بتوعدون لأن الأوابين هم الموعودون لا الموعود لهم. من خشي الرحمن يجوز أن يكون في محل جر على البدل من أواب فيتم الكلام عند قوله ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾ ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره محذوف على تقدير يقال لهم ادخلوها فعلى هذا يكون تمام الكلام عند قوله ﴿ لكل أواب حفيظ ﴾ ويقتضي أن يكون ادخلوها خطاباً للمتقين وتقديره وتزلف الجنة للمتقين ويقال لهم أدخلوها بسلام .

[ المعنى ] لما أخبر سبحانه عما أعده للكافرين والعصاة عقبه بذكر ما أعده للمتقين فقال ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ أي قربت الجنة وأدنيت للذين اتقوا الشرك والمعاصي حتى يروا ما فيها من النعيم والجنة هي البستان الّذي يجمع كل لذة من الأنهار والأشجار وطيب

---

(١) في بعض النسخ وضوء وَضوءاً حسناً .

(٢) ناجٍ : البعير السريع ينجو بمن ركبها والأين: الأعياء وما في مما أوجفا مصدرية أي من إيجافه وهو اعدائه وسماوة الهلال أي كشخصه واحقوقف الهلال: اعوجّ وكل ما طال واعوجّ فقد احقوقف كظهر البعير وشخص القمر وقد مر البيت في ج ٥

الثمارَ ومن الأزواج الكرام والحور الحسان والخدم من الولدان ومن الأبنية الفاخرة المـزينة بالياقوت والزمرد والعقيان نسأل الله التوفيق لما يقرب من رضاه ﴿**غير بعيد**﴾ أي هي قريبة منهم لا يلحقهم ضرر ولا مشقة في الوصول إليها وقيل معناه ليس ببعيد مجيء ذلك لأن كل آت قريب ومثله قول الحسن كأنك بالدنيا كأن لم تكن وبالآخرة كأن لم تزل ﴿ **هذا ما توعدون** ﴾ أي هذا الذي ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب على السنة الرسل ﴿ **لكل أواب** ﴾ أي تواب رجّاع إلى الطاعة عن الضحاك وابن زيد وقيل لكل مسبح عن ابن عباس وعطاء ﴿ **حفيظ** ﴾ لما أمر الله به متحفظ من الخروج إلى ما لا يجوز من سيئة تدنسه أو خطيئة تحط منه وتشينه ﴿ **من خشي الرحمٰن بالغيب** ﴾ أي هو من خاف الله وأطاعه وآمن بثوابه وعقابه ولم يره وقيل بالغيب أي في الخلوة بحيث لا يراه أحد عن الضحاك والسدي ﴿ **وجاء بقلب منيب** ﴾ أي ودام على ذلـك حتى وافى الآخـرة بقلب مقبـل على طـاعـة الله راجـع إلى الله بضمـائـره ﴿ **ادخلوها بسلام** ﴾ أي يقال لهم ادخلوا الجنة بأمان من كل مكروه وسلامة من كل آفة وقيل بسـلام من الله وملائكتـه عليهم ﴿ **ذلك يـوم الخلود** ﴾ الوقت الـذي يبقون فيـه في النعيم مؤبدين لا إلى غاية ﴿**لهم ما يشاؤون فيها**﴾ أي لهم في الجنة ما تشتهيه أنفسهم ويريدونه من أنواع النعم ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾ أي وعندنا زيادة على ما يشاؤونه مما لم يخطر ببالهم ولم تبلغهم أمانيهم وقيل هو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن** ﴾ أي كثيراً أهلكنا قبل هؤلاء من القرون الذين كذبوا رسلهم ﴿ **هم أشد منهم بطشاً** ﴾ أي الذين أهلكناهم كانوا أشد قـوة من هؤلاء وأكثر عدة وعدّة[1] ولم يتعذر علينا ذلك فما الذي يؤمّن هؤلاء من مثله ﴿ **فنقبوا في البـلاد** ﴾ أي فتحوا المسالك في البلاد بشدة بطشهم أصله من النقب وهو الطريق وقيل معناه سـاروا في البلاد وطوّفوا فيها بقوتهم وسلكوا كل طريق وسافروا في أعمار طويلة ﴿ **هل من محيص** ﴾ أي هل من محيد عن الموت ومنجىً من الهلاك يعني لم يجدوا في جميع ذلك من الموت والهلاك منجىً ومهرباً ﴿ **إن في ذلك** ﴾ أي فيما أخبرته وقصصته ﴿ **لذكرى** ﴾ أي ما يعتبر به ويتفكر فيه ﴿ **لمن كان له قلب** ﴾ معنى القلب هنا العقل عن ابن عباس من قولهم أين ذهب قلبك وفلان قلبه معه وإنما قال ذلك لأن من لا يعي الذكر لا يعتد بماله من القلب وقيل لمن كان له قلب حيّ. عن قتادة ﴿ **أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾ أي استمع ولم يشغل قلبه بغير ما يستمع وهو شهيد لما يسمع فيفقهه غير غافل عنه ولا ساهٍ عن ابن عباس ومجاهد والضحاك

(١) في المخطوطة: مدة بدل عدة.

يقال ألق إليّ سمعك أي اسمع قال ابن عباس كان المنافقون يجلسون عند رسول الله ﷺ ثم يخرجون فيقولون ماذا قال آنفاً[١] ليس قلوبهم معهم وقيل هو شهيد على صفة النبي في الكتب السالفة يريد أهل الكتاب عن قتادة ﴿ **ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب** ﴾ أي نصب وتعب أكذب الله تعالى بهذا اليهود فإنهم قالوا استراح الله يوم السبت فلذلك لا تعمل[٢] فيه شيئاً ﴿ **فاصبر على ما يقولون** ﴾ يا محمد من بهتهم وكذبهم وقولهم أنك ساحر أو مجنون واحتمل ذلك حتى يأتي الله بالفرج وهذا قبل أن أمر الله بالقتال ﴿ **وسبح بحمد ربك** ﴾ أي وصلّ واحمد الله تعالى سمى الصلاة تسبيحاً لأن الصلاة تشتمل على التسبيح والتحميد عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل أراد به التسبيح بالقول تنزيهاً لله تعالى عما لا يليق به ﴿ **قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾ يعني صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر عن قتادة وابن زيد ﴿ **ومن الليل فسبحه** ﴾ يعني المغرب والعشاء الآخرة وقيل ومن الليل يعني صلاة الليل ويدخل فيه صلاة المغرب والعشاء عن مجاهد وروي عن أبي عبد الله ( ع ) أنه سئل عن قوله ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾ فقال تقول حين تصبح وحين تمسي عشرات مرات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ﴿ **وأدبار السجود** ﴾ فيه أقوال ( أحدها ) أن المراد به الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر عن علي بن أبي طالب ( ع ) والحسن بن علي ( ع ) والحسن والشعبي وعن ابن عباس مرفوعاً إلى النبي ﷺ ( وثانيها ) أنه التسبيح بعد كل صلاة عن ابن عباس ومجاهد ( وثالثها ) أنه النوافل بعد المفروضات عن ابن زيد والجبائي ( ورابعها ) أنه الوتر من آخر الليل روي ذلك عن أبي عبد الله ( ع ) .

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ
قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾
إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ

(١) فيها أيضاً [ أي ] .
(٢) وفي بعض النسخ : لا نعمل .

وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

[ **الإعراب** ] واستمع يوم ينادي المنادي تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي فحذف المضاف وهو مفعول به وليس بالظرف ويوم يسمعون بدل من يوم ينادي المنادي وكذلك يوم تشقق الأرض ويجوز أن ينتصب يوم تشقق بقوله وإلينا المصير أي يصيرون إلينا في ذلك اليوم .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ والمراد به جميع المكلفين ﴿**واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب**﴾ أي اصغ إلى النداء وتوقعه يعني صيحة القيامة والبعث والنشور ينادي بها المنادي وهي النفخة الثانية ويجوز أن يكون المراد واستمع ذكر حالهم يوم ينادي المنادي وقيل أنه ينادي منادٍ من صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة قومي لفصل القضاء وما أعد الله لكم من الجزاء عن قتادة وقيل أن المنادي هو إسرافيل يقول يا معشر الخلائق قوموا للحساب عن مقاتل وإنما قال من مكان قريب لأنه يسمعه الخلائق كلهم على حد واحد فلا يخفى على أحد قريب ولا بعيد فكأنهم نودوا من مكان يقرب منهم ﴿ **يوم يسمعون الصيحة بالحق** ﴾ والصيحة المرة الواحدة من الصوت الشديد وهذه الصيحة[1] هي النفخة الثانية وقوله بالحق أي بالبعث عن الكلبي وقيل يعني أنها كائنة حقاً عن مقاتل ﴿ **ذلك يوم الخروج** ﴾ من القبور إلى أرض الموقف وقيل هو اسم من أسماء القيامة عن أبي عبيدة واستشهد بقول الشاعر :

أَلَيْسَ يَوْمٌ سُمِّيَ الْخُرُوجَا أَعْظَمُ يَوْمٍ رَجَّةً رُجُوجَا

﴿ **إنا نحن نحيي ونميت** ﴾ أخبر سبحانه عن نفسه أنه هو الذي يحيي الخلق بعد أن كانوا جماداً أمواتاً ثم يميتهم بعد أن كانوا أحياء ثم يحييهم يوم القيامة وهو قوله ﴿ **وإلينا المصير يوم تشقق** ﴾ أي تتشقق ﴿ **الأرض عنهم** ﴾ تتصدع فيخرجون منها ﴿ **سراعاً** ﴾ يسرعون إلى الداعي بلا تأخير ﴿ **ذلك حشر** ﴾ والحشر الجمع بالسوق من كل جهة ﴿ **علينا يسير** ﴾ أي سهل علينا غير شاقّ هين غير متعذر مع تباعد ديارهم وقبورهم ثم عزّى سبحانه نبيه ﷺ فقال ﴿ **نحن أعلم بما يقولون** ﴾ أي بما يقوله هؤلاء الكفار في تكذيبك وجحود نبوتك وانكار البعث لا يخفى علينا من أمرهم شيء ﴿ **وما أنت عليهم بجبار** ﴾ أي بمسلط قادر على قلوبهم فتجبرهم على الإيمان وإنما بعثت منذراً داعياً مرغباً وهذا معنى قول ابن

(١) وفي نسخة: من النفخة الثانية .

عباس وقال تغلب جاءت أحرف على فعال بمعنى مفعل مثل دراك بمعنى مدرك وسراع بمعنى مسرع وسيف سقاط بمعنى مسقط وبكاء بمعنى مبكى قال علي بن عيسى لم يسمع من ذلك الإدرَاك من أدركت وقيل جبار من جبرته على الأمر بمعنى أجبرته وهي لغة كنانة وقيل معناه ما أنت عليهم بفظ غليظ لا تحلُم عنهم فاحتمل أذاهم **﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾** إنما خص بالذكر من يخاف وعيد الله لأنه الذي ينتفع به .

# (٥١) سورة الذاريات مكية وآياتها ستون

## [ عدد آيها ]

ستون آية بالإجماع .

[ **فضلها** ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأ سورة الذاريات[١] أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبّت وجرت في الدنيا وروى داود بن فرقد عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ سورة الذاريات في يومه أو ليلته أصلح الله له معيشته وأتاه برزق واسع ونور له في قبره[٢] بسراج يزهر إلى يوم القيامة .

[ **تفسيرها** ] لما ختم الله تعالى سورة قٓ بالوعيد افتتح هذه السورة بتحقيق الوعيد فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ
ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ
مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾

(١) وفي بعض النسخ : في يومه وليلته .

(٢) وفي المخطوطة : ونور له قبره .

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢
يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ ﴾

[ **اللغة** ] ذرت الريح التراب تذروه ذرواً إذا طيرته وأذرته تذريه بمعناه والحبك الطرايق التي تجري على الشيء كالطرائق التي ترى في السماء وفي الصافي من الماء إذا مرت عليه الريح وهو تكسر جار فيه ويقال للشعر الجعد حبك والواحد حباك وحبيكة والحبك حسن أثر الصنعة في الشيء واستواؤه يقال حبكه يحبكه ويحبُكه قال زهير في الحبك :

مُكَلَّلٌ بِأُصُولِ النَّجْمِ تَنْسِجُهُ ... رِيحٌ خَرِيقٌ لِضَاحِي مَائِهِ حُبُكُ(١)

والخراص الكذاب والخرص الظن والحدس وسمي الحَزْر(٢) حرصاً منه ويقال كم خرص أرضك بكسر الخاء وأصل الخرص القطع من قولهم خرص فلان كلاماً واخترصه إذا اقتطعه من غير أصل والغمرة من غمره الماء يغمره وغمره الدين إذا غطاه بكثرته والغَمْر السيد الكثير العطاء لأنه يغمر بعطائه .

[ **الإعراب** ] قال الزجاج يوم نصب على وجهين ( أحدهما ) أن يكون على معنى يقع الجزاء يومهم على النار يفتنون ( والآخر ) أن يكون لفظه نصب ومعناه معنى رفع لأنه مضاف إلى جملة كلام تقول يعجبني يوم أنت قائم ويوم أنت تقوم إن شئت فتحته وإن شئت رفعته كما قال الشاعر :

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ ... حَمَامَةٌ فِي غُصُونٍ ذَاتِ أَوْ قَالٍ(٣)

وروي غير أن نطقت بالرفع لما أضاف غير إلى أن وليست بمتمكنة فتح وكذلك لما أضاف يوم إلى الجملة فتح وكما قرىء من خزي يومئذ ففتح يوم وهو في موضع خفض لأنك أضفته إلى غيرمتمكن وقيل أنه لما جرى في كلامهم ظرفاً بقي في موضع الرفع على ذلك

(١) كلل فلاناً : ألبسه الاكليل والنجم النبات والخريق : الريح الباردة الشديدة الهبابة والضاحي : البارز الظاهر، يصف روضه .
(٢) حزره أي قدره بظن .
(٣) الوَقَل : أصول السعف التي لم تستقص فبقيت بارزة في الجذع فأمكن المرتقي أن يرتقي فيها .

الاستعمال وجاء مفتوحاً كما جاء في قوله ومنا دون ذلك وقوله لقد تقطع بينكم .

[ **المعنى** ] ﴿ **والذاريات ذرواً** ﴾ روي أن ابن الكوا سأل أمير المؤمنين علياً ( ع ) وهو يخطب على المنبر فقال ما الذاريات ذرواً قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال ﴿ **فالجاريات يسرا** ﴾ قال السفن قال ﴿ **فالمقسمات أمرا** ﴾ قال الملائكة وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد فالذاريات الرياح تذرو التراب وهشيم النبت أي تفرقه ﴿ **فالحاملات وقرا** ﴾ السحاب تحمل ثقلاً من الماء من بلد إلى بلد فتصير موقرة به والوقر بالكسر ثقل الحمل على ظهرأو في[1] بطن والوقرثقل الأذن ﴿**فالجاريات يسرا**﴾ السفن تجري ميسرة على الماء جرياً سهلاً إلى حيث سيرت وقيل هي السحاب تجري يسرا إلى حيث سيرها الله من البقاع وقيل هي النجوم السبعة السيارة الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد ﴿ **فالمقسمات أمراً** ﴾ الملائكة يقسّمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لكثرة ما فيها من المنافع للعباد ولم تضمنه من الدلالة على وحدانية الله تعالى وبدائع صنعه وقيل أن التقدير فيها القسم برب هذه الأشياء لأنه لا يجوز القسم إلا بالله عز اسمه وقال أبو جعفر وأبو عبد الله ( ع ) أنه لا يجوز لأحد أن يقسم إلا بالله تعالى والله سبحانه يقسم بما يشاء من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال ﴿ **إنما توعدون** ﴾ أي من الثواب والعقاب والجنة والنار ﴿ **لصادق** ﴾ أي صدق لا بد من كونه فهو اسم وضع موضع المصدر وقيل معناه ذو صدق كقوله عيشة راضية ﴿ **وإن الدين لواقع** ﴾ أي إن الجزاء وقيل أن الحساب لكائن يوم القيامة ثم أنشأ قسماً آخر فقال ﴿**والسماء ذات الحبك**﴾ أي ذات الطرائق الحسنة لكنا لا نرى تلك الحبك لبعدها عنا عن الحسن والضحاك وقيل ذات الخلق الحسن المستوي عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والربيع وقيل ذات الحسن والزينة عن علي ( ع ) وروى علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا ( ع ) قال قلت له أخبرني عن قول الله تعالى ﴿ **والسماء ذات الحبك** ﴾ فقال محبوكة إلى الأرض وشبك بين أصابعه فقلت كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله تعالى يقول رفع السماء بغير عمد فقال سبحان الله أليس يقول بغير عمد ترونها قلت بلى قال فثم عمد ولكن لا ترى فقلت فكيف ذلك جعلني الله فداك قال فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه أرض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة والأرض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة ثم هكذا إلى الأرض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة

(١) وفي المخطوطة : أو بطن .

فوقها قبة وعرش الرحمن فوق السماء السابعة وهو قوله ﴿ **خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن** ﴾ وصاحب الأمر وهو النبي ﷺ والوصي(١) علي بعده وهو على وجه الأرض وإنما يتنزل الأمر إليه من فوق من بين السماوات والأرضين قلت فما تحتنا إلا أرض واحدة قال وما تحتنا إلا أرض واحدة وان الست لفوقنا ﴿ **إنكم لفي قول مختلف** ﴾ هذا جواب القسم أي انكم يا أهل مكة في قول مختلف في قول محمد ﷺ فبعضكم يقول شاعر وبعضكم يقول مجنون وفي القرآن يقولون أنه سحر وكهانة ورجز وما سطره الأولون وقيل معناه منكم مكذب بمحمد ﷺ ومنكم مصدق به ومنكم شاك فيه وفائدته أن دليل الحق ظاهر فاطلبوا الحق بدليله وإلا هلكتم ﴿ **يؤفك عنه من أفك** ﴾ أي يصرف عن الإيمان به من صرف عن الخير أي المصروف عن الخيرات كلها من صرف عن هذا الدين وقيل معناه يؤفك عن الحق والصواب من أفك فدل ذكر القول المختلف على ذكر الحق فجازت الكناية عنه وقيل معناه يصرف عن هذا القول أي بسببه ومن أجله عن الإيمان من صرف فالهاء في عنه تعود إلى القول المختلف عن مجاهد فيكون الصارف لهم أنفسهم كما يقال فلان معجب بنفسه وأعجب بنفسه وكما يقال أين يذهب بك لمن يذهب في شغله وقيل أن الصارف لهم رؤساء البدع وأئمة الضلال لأن العامة تبع لهم ﴿ **قتل الخراصون** ﴾ أي لعن الكذابون يعني الذين يكذبون على الله وعلى رسوله وقيل معناه لعن المرتابون عن ابن عباس قال ابن الأنباري وإنما كان القتل بمعنى اللعنة هنا لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك ثم وصف سبحانه هؤلاء الكفار فقال ﴿ **الذين هم في غمرة** ﴾ أي في شبهة وغفلة غمرهم الجهل ﴿ **ساهون** ﴾ أي لاهون عما يجب عليهم وقيل هم في ضلالتهم متمادون عن ابن عباس وقيل في عمى مترددون عن قتادة وقيل أن أول مراتب الجهل السهو ثمّ الغفلة ثم الغمرة فتكون الغمرة عبارة عن المبالغة في الجهل أي هم في غاية الجهل ساهون عن الحق وعما يراد بهم ﴿ **يسئلون ايان يوم الدين** ﴾ أي متى وقت الجزاء انكاراً واستهزاءاً لا على وجه الاستفادة لمعرفته فأجيبوا بما يسوؤهم من الحق الذي لا محالة أنه نازل بهم فقيل ﴿ **يوم هم على النار يفتنون** ﴾ أي يكون هذا الجزاء في يوم يعذبون فيها ويحرقون بالنار وقال عكرمة ألم تر أن الذهب إذا أدخل النار قيل فتن أي فهؤلاء يفتنون بالإحراق كما يفتن الذهب بإحراق الغش الذي فيه ويقول لهم خزنة النار ﴿ **ذوقوا فتنتكم** ﴾ أي عذابكم وحريقكم ﴿ **هذا الذي كنتم به تستعجلون** ﴾ في الدنيا تكذيباً به واستبعاداً له فقد حصلتم الآن فيه وعرفتم صحته .

(١) وفي نسخة: والولي من بعده وفي نسخة : والوصي من بعده .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ
مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟
قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾
وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ
رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ
مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير حفص مثل ما بالرفع والباقون بالنصب .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من رفع مثلاً جعله وصفاً لحق وجاز أن يكون مثل وإن كان مضافاً إلى معرفة صفة للنكرة لأن مثلاً لا يختص بالإضافة لكثرة الأشياء التي يقع التماثل بها بين المتماثلين فلما لم تخصه الإضافة ولم يزل عنه الإبهام والشياع الذي كان فيه قبل الإضافة بقي على تنكره فقالوا مررت برجل مثلك فلذلك في الآية لم يتعرف بالإضافة إلى أنكم تنطقون وان كان قوله انكم تنطقون بمنزلة نطقكم وما في قوله ﴿ **مثل ما أنكم تنطقون** ﴾ زائدة وأما من نصب فقال مثل ما انكم فيحتمل ثلاثة أضرب ( أحدها ) أنه لما أضاف مثل إلى مبني وهو قوله ﴿**انكم**﴾ بناه كما بنى يومئذ في نحو قوله ﴿**من عذاب يومئذ**﴾ و« على حين عاتبت المشيب على الصبى» وقوله :

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ ... حَمَامَةٌ في غُصُونٍ ذاتِ أَوْ قَال

فغير في موضع رفع بأنه فاعل يمنع وإنما بنيت هذه الأسماء المبهمة نحو مثل ويوم وحين وغير إذا أضيفت إلى المبني لأنها تكتسي منه البناء لأن المضاف يكتسي من المضاف إليه ما فيه من التعريف والتنكير والجزاء والاستفهام تقول هذا غلام زيد وصاحب القاضي فيتعرف الإسم بالإضافة إلى المعرفة وتقول غلام من يضرب فيكون استفهاماً وتقول صاحب من يضرب أضرب فيكون جزاء فمن بنى هذه المبهمة إذا أضافها إلى مبني جعل البناء أحد ما

يكتسيه من المضاف إليه ولا يجوز على هذا جاءني صاحب الخمسة عشر ولا غلام هذا لأن هذين من الأسماء غير المبهمة والمبهمة في ابهامها وبعدها من الاختصاص كالحروف التي تدل على أمور مبهمة فلما أضيفت إلى المبنية جاز ذلك فيها والبناء على الفتح في مثل قول سيبويه ( والقول الثاني ) أن تجعل ما مع مثل بمنزلة شيء واحد وبنيته على الفتح وإن كانت ما زائدة وهذا قول أبي عثمان وأنشد في ذلك قول الشاعر :

وَتَـدَاعَـى مِـنْـخَـرَاهُ بِـدَمٍ مِثْلَ مَا أَثْمَرَ حُمَّاضُ الْجَبَلِ[١]

فذهب إلى أن مثل مع ما بمنزلة شيء واحد وينبغي أن يكون أثمر صفة لمثل ما لأنه لا يخلو من أن يكون صفة له أو يكون مثلاً مضافاً إلى الفعل فلا تجوز الإضافة لأنا لم نعلم مثلاً أضيف إلى الفعل في موضع فكذلك لا نضيفه في هذا الموضع إلى الفعل فإذا لم تجز الإضافة كان وصفاً وإذا كان وصفاً وجب أن يعود منه إلى الموصوف ذكر فيحذف كما يحذف الذكر العائد من الصفة إلى الموصوف وقد يجوز أن لا يقدّر مثل مع ما كشيء واحد ولكن تجعله مضافاً إلى ما فيكون التقدير مثل شيء أثمره حماض الجبل فبني مثل على الفتح لإضافتها إلى ما وهو غير متمكن ولا يكون لأبي عثمان حينئذ في البيت حجة على كون مثل مع ما بمنزلة شيء واحد ويجوز أن يكون ما والفعل بمنزلة المصدر فيكون مثل أثمار الحمّاض فيكون كقوله ﴿ **وما كانوا بآياتنا يجحدون** ﴾ وقوله ﴿ **بما كانوا يكذبون** ﴾ ( والقول الثالث ) هو أن ينصب على الحال من النكرة في النطق وهو قول أبي عمرو الجرمي وذو الحال الذكر المرفوع في قوله لحق والعامل في الحال هو الحق لأنه من المصادر التي وصف بها ويجوز أن يكون الحال من النكرة الذي هو حق في قوله أنه لحق وإلى هذا ذهب أبو عمرو ولم يعلم أنه جعله حالاً من الذكر الذي في حق وهذا لا خلاف في جوازه وقد حمل أبو الحسن قوله تعالى ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا** ﴾ على الحال وذو الحال كل أمر حكيم وهو نكرة فهذه وجوه النصب في مثل ما .

[ **الإعراب** ] كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون يجوز أن يكون قليلاً خبر كان وفاعله ما يهجعون والتقدير كانوا قليلاً هجوعهم ويجوز أن يكون قليلاً صفة مصدر محذوف على تقدير كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً فتكون ما زائدة ويهجعون خبر كان . ومن في قوله من الليل يجوز أن يكون بمعنى الباء كما يكون الباء بمعنى من في قوله عيناً يشرب بها عباد الله أي منها

(١) الحُمّاض : بقلة بريّة تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ولها ثمرة حمراء وهي من ذكور البقول .

فيكون التقدير كانوا يهجعون بالليل قليلاً وقيل ان قوله ما يهجعون بمنزلة هجوعهم وهو بدل من الواو في كانوا وقوله من الليل في موضع الصفة لقليل والتقدير كان هجوعهم قليلاً من الليل وقوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم ان رفعت آيات بالابتداء وجعلت في الأرض خبراً كان الضمير في قوله وفي أنفسكم كالضمير في خبر المبتدأ وان قدرت آيات مرتفعة بالظرف كان الضمير في قوله وفي أنفسكم كالضمير في الفعل كقولهم قام زيد وقعد والتقدير وفي أنفسكم آيات وكذا قوله فيما بعد وفي موسى أي وفي موسى آيات وفي هود آيات وفي ثمود آيات وفي قوم نوح آيات وفي عاد آيات .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه ما أعده لأهل الجنة فقال **﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾** مر تفسيره **﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾** أي ما أعطاهم من الخير والكرامة **﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾** يعني في دار التكليف **﴿محسنين﴾** يفعلون الطاعات ويحسنون إلى غيرهم بضروب الاحسان ثم ذكر احسانهم في أعمالهم فقال **﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾** أي كانوا يهجعون قليلاً من الليل يصلون أكثر الليل عن الزهري وإبراهيم والهجوع النوم بالليل دون النهار وقيل معناه كانوا قلَّ ليلة تمر بهم إلا صلّوا فيها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهو المروي عن أبي عبد الله ( ع ) والمعنى كان الذي ينامون فيه كله قليلاً ويكون الليل اسماً للجنس وقال مجاهد لا ينامون كل الليل وقيل ان الوقف على قوله قليلاً على معنى كانوا من الناس قليلاً ثم ابتدأ فقال من الليل ما يهجعون فيكون ما بمعنى النفي عن الضحاك ومقاتل وهذا على نفي النوم عنهم البتة أي كانوا يحيون الليل بالقيام في الصلاة وقراءة القرآن وأقول ان ما اذا كان نفياً لا يتقدم عليه ما كان في حيزه إلا أن يتعلق قوله من الليل بفعل محذوف يدل عليه قوله يهجعون كما تقوله في قوله **﴿إني لكما لمن الناصحين﴾** وكانوا فيه من الزاهدين **﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾** قال الحسن مدّوا الصلاة إلى الاسحار ثم أخذوا بالأسحار في الاستغفار وقال أبو عبد الله ( ع ) كانوا يستغفرون الله في الوتر سبعين مرة في السحر وقيل ان معناه وبالأسحار هم يصلون وذلك ان صلاتهم بالأسحار طلب منهم للمغفرة عن مجاهد ومقاتل والكلبي ثم ذكر سبحانه صدقاتهم فقال **﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾** والسائل هو الذي يسأل الناس والمحروم هو المحارَف[١] عن ابن عباس ومجاهد وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل عن قتادة والزهري وقيل هو الذي لا سهم له في الغنيمة عن إبراهيم النخعي والأصل ان المحروم هو الممنوع الرزق بترك السؤال أو

(١) المحارف: المحروم المحدود اذا طلب فلا يُرزق، خلاف مبارك .

ذهاب المال أو خراب الضيعة أو سقوط السهم من الغنيمة لأن الانسان يصير فقيراً بهذه الوجوه ويريد سبحانه بقوله حق ما يلزمهم لزوم الديون من الزكوات وغير ذلك او ما الزموه أنفسهم من مكارم الاخلاق قال الشعبي اعياني ان اعلم ما المحروم وفرق قوم بين الفقير والمحروم بأنه قد يحرمه الناس بترك الاعطاء وقد يحرم نفسه بترك السؤال فإذا سأل لا يكون ممن حرم نفسه بترك السؤال وإنما حرمه الغير وإذا لم يسأل فقد حرم نفسه ولم يحرمه الناس ﴿وفي الأرض آيات﴾ أي دلالات بينات وحجج نيّرات ﴿للموقنين﴾ الذين يتحققون توحيد الله وإنما خص الموقنين لأنهم ينظرون فيها فيحصل لهم العلم بموجبها وآيات الأرض ما فيها من أنواع المخلوقات من الجبال والبحار والنبات والأشجار كل ذلك دالّ على كمال قدرته وحكمته .

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدٌ

﴿وفي أنفسكم﴾ أي وفي أنفسكم أيضاً آيات دالات على وحدانيته ﴿أفلا تبصرون﴾ أي أفلا ترون أنها مصرفة من حال إلى حال ومنتقلة من صفة إلى أخرى إذ كنتم نطفاً فصرتم احياء ثم كنتم أطفالاً فصرتم شباباً ثم كهولاً فهلا دلكم ذلك على أن لها صانعاً صنعها ومدبراً دبرها ومصرفاً فاصرفها على مقتضى الحكمة وقيل إن المراد بذلك اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع عن ابن عباس في رواية عطاء وقيل يريد سبيل الخلاء والبول والأكل والشرب من مدخل واحد والمخرج من سبيلين وتم الكلام عند قوله ﴿وفي أنفسكم﴾ ثم عنفهم فقال أفلا تبصرون وقيل يعني انه خلقك سميعاً بصيراً تغضب وترضى وتجوع وتشبع وذلك كلّه من آيات الله تعالى عن الصادق ( ع ) وقيل إن المعنى أفلا تبصرون بقلوبكم نظر من كأنه يرى الحق بعينه ﴿وفي السماء رزقكم﴾ ينزله الله إليكم بأن يرسل الغيث والمطر عليكم فيخرج به من الأرض انواع ما تقتاتونه وتلبسونه وتنتفعون به ﴿وما توعدون﴾ من الثواب والعقاب عن عطاء وقيل من الجنة والنار عن مجاهد والضحاك وقيل معناه وفي السماء تقدير رزقكم أي ما قسمه لكم مكتوب في أم الكتاب وجميع ما توعدون في السماء أيضاً لأن الملائكة تنزل من السماء لقبض الأرواح ولاستنساخ الاعمال ولإنزال العذاب ويوم القيامة للجزاء والحساب كما قال ويوم تشقّق السماء بالغمام ونزّل الملائكة تنزيلاً ثم قال سبحانه ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ أقسم سبحانه بنفسه ان ما ذكر من امر الرزق والآيات حق لا شك فيه عن الزجاج وقيل يعني ان ما قضى في الكتاب كائن عن الكلبي ﴿مثل ما انكم تنطقون﴾ أي مثل نطقكم الذي تنطقون به فكما لا تشكون فيما تنطقون فكذلك لا

تشكوا في حصول ما وُعدتم به شبّه الله تعالى تحقق ما أخبر عنه بتحقّق نطق الآدمي ووجوده فأراد أنه لحق كما ان الآدمي ناطق وهذا كما تقول انه لحق كما انك هاهنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه في صدقه وتحقق وجوده كالذي تعرفه ضرورة .

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ
ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ
مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ
إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ
وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ
وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً
مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ
فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾
وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

[ اللغة ] الروغ الذهاب إلى الشيء في خفية يقال راغ يروغ روغاً ورَوَغاناً وهو أروغ من ثعلب والصرة شدة الصياح وهو من صرير الباب ويقال للجماعة صرّةٌ أيضاً قال امرؤ القيس :

فَأَلْحَقَنا بِالْهادِيات وَدُونَهُ ... جَواحِرُها في صَرَّةٍ لَمْ تُزَيَّلِ [1]

---

(١) الهاديات : المتقدمات والجواحر : المتخلفات ولم تزيل : لم تتفرق .

والصكّ الضرب باعتماد شديد وهو ان تصتك ركبتا الرجل والعقيم العاقر وأصل العقم الشدّ وجاء في الحديث تعقم اصلاب المشركين فلا يستطيعون السجود أي تشد وداء عقام إذا اشتد حتى إذا يأس منه ان يبرأ ومعاقم الفرس مفاصله يشد بعضها ببعض والعقيم والعقمة ثياب معلمة أي شدت بها الأعلام وعقمت المرأة فهي معقومة وعقيم من نساء عقم وعقمت أيضاً ورجل عقيم من قوم عقمى قال الشاعر :

عَقُمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ … إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ

والريح العقيم التي لا تنشىء السحاب للمطر والملك عقيم يقطع الولادة لأن الأب يقتل الابن على الملك والخطب الأمر الجليل ومنه الخطبة لأنها كلام بليغ لعقد امر جليل يستفتح بالتحميد والتمجيد والخطاب اجل من الإبلاغ .

[ **المعنى** ] لمّا قدّم سبحانه الوعد والوعيد عقب ذلك بذكر بشارة إبراهيم ومهلك قوم لوط تخويفاً للكفار أن ينزل بهم مثل ما أنزل بأولئك فقال ﴿**هل أتاك**﴾ يا محمد وهذا اللفظ يستعمل إذا أخبر الإنسان بخبر ماض فيقال هل اتاك خبر كذا وإن علم انه لم يأته ﴿**حديث ضيف إبراهيم المكرمين**﴾ عند الله وذلك انهم كانوا ملائكة كراماً ونظيره قوله بل عباد مكرمون وقيل اكرمهم ابراهيم فرفع مجالسهم وخدمهم بنفسه عن مجاهد[1] لأن اضياف الكرام مكرمون وكان إبراهيم اكرم الناس وأظهرهم فتوّة وسماهم ضيفاً من غير أن اكلوا من طعامه لأنهم دخلوا مدخل الأضياف واختلف في عددهم فقيل كانوا اثني عشر ملكاً عن ابن عباس ومقاتل وقيل كان جبرائيل ومعه سبعة املاك عن محمد بن كعب وقيل كانوا ثلاثة جبرائيل وميكائيل وملك آخر ﴿**إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً**﴾ أي حين دخلوا على إبراهيم فقالوا له على وجه التحية سلاماً أي اسلم سلاماً فقال لهم جواباً عن ذلك، سلام وقرىء سلم وهذا مفسر في سورة هود ﴿**قوم منكرون**﴾ أي قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وذلك انه ظنهم من الانس ولم يعرفهم عن ابن عباس والانكار نفي صحة الأمر ونقيضه الاقرار والاعتراف ﴿**فراغ إلى أهله**﴾ أي ذهب إليهم خفياً وإنما راغ مخافة أن يمنعوه من تكلف مأكول كعادة الظرفاء ﴿**فجاء بعجل سمين**﴾ وكان مشوياً لقوله في آية أخرى حينئذ قال قتادة وكان عامة مال إبراهيم (ع) البقر ﴿**فقرّبه إليهم**﴾ ليأكلوا فلم يأكلوا فلما رآهم لا يأكلون عرض عليهم ﴿**فقال ألا تأكلون**﴾ وفي الكلام حذف كما ترى ﴿**فأوجس منهم خفية**﴾ أي

(١) [ وقيل ] .

فلما امتنعوا من الاكل اوجس منهم خيفة والمعنى خاف منهم وظن أنهم يريدون به سوءاً **﴿قالوا﴾** أي قالت الملائكة **﴿لا تخف﴾** يا إبراهيم **﴿وبشّروه بغلام عليم﴾** أي يكون عالماً إذا كبر وبلغ والغلام المبشر به هو إسماعيل عن مجاهد وقيل هو إسحاق لأنه من سارة وهذه القصة لها عن أكثر المفسرين وهذا كله مفسر فيما مضى **﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾** أي فلما سمعت البشارة امرأته سارة أقبلت في ضجة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل في جماعة عن الصادق (ع) وقيل في رفقه[1] عن سفيان والمعنى أخذت تصيح وتولول كما قالت يا ويلتي **﴿فصكت وجهها﴾** أي جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجباً عن مقاتل والكلبي وقيل لطمت وجهها عن ابن عباس والصك ضرب الشيء بالشيء العريض **﴿وقالت عجوز عقيم﴾** أي أنا عجوز عاقر فكيف ألد **﴿قالوا كذلك قال ربك﴾** أي كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاماً فلا تشكي فيه **﴿إنه هو الحكيم العليم﴾** بخفايا الأمور **﴿قال﴾** إبراهيم (ع) لهم **﴿فما خطبكم﴾** أي فما شأنكم ولأي امر جئتم **﴿أيها المرسلون﴾** وكأنه قال قد جئتم لأمر عظيم فما هو **﴿قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾** أي عاصين لله كافرين لنعمه استحقوا العذاب والهلاك وأصل الجرم القطع فالمجرم القاطع للواجب بالباطل فهؤلاء اجرموا بأن قطعوا الإيمان بالكفر **﴿لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك﴾** هذا مفسر في سورة هود **﴿للمسرفين﴾** أي للمكثرين من المعاصي المتجاوزين الحد فيها وقيل أرسلت الحجارة على الغائبين وقلبت القرية بالحاضرين **﴿فأخرجنا من كان فيها﴾** أي في قرى قوم لوط **﴿من المؤمنين﴾** وذلك قوله فأسر بأهلك الآية وذلك أن الله تعالى أمر لوطاً بأن يخرج هو ومن معه من المؤمنين لئلا يصيبهم العذاب **﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾** أي غير أهل بيت من المسلمين يعني لوطاً وبنتيه وصفهم الله بالإيمان والإسلام جميعاً لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم والإيمان هو التصديق بجميع ما أوجب الله التصديق به والإسلام هو الاستسلام لوجوب عمل الفرض الذي أوجبه الله وألزمه ووجدان الضالة هو ادراكها بعد طلبها **﴿وتركنا فيها﴾** أي وأبقينا في مدينة قوم لوط **﴿آية﴾** أي علامة **﴿الذين يخافون العذاب الأليم﴾** أي تدلهم على أن الله أهلكهم فيخافون مثل عذابهم والترك في الأصل ضد الفعل ينافي الأخذ في محل القدرة عليه والقدرة عليه قدرة على الأخذ وعلى هذا فالترك غير داخل غير داخل في أفعال الله تعالى فالمعنى هنا انا أبقينا فيها عبرة ومثله قوله وتركهم في ظلمات وقيل انه الانقلاب لان الاقتلاع البلدان لا يقدر عليه إلا الله تعالى .

---

(١) وفي نسختين: في رنة

﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ
إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ
سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ
مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن
شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ
لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ الكسائي الصعقة والباقون الصاعقة بالألف وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم وقوم نوح بالجر والباقون قوم نوح بالنصب .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قال أبو زيد الصاعقة التي تقع من السماء والصاقعة التي تصقع الرؤوس وقال الأصمعي الصاعقة والصاقعة سواء وانشد الأصمعي :

يَحْكُونَ بِالْمَصْقُولَةِ الْقَوَاطِعِ    تَشَقُّقَ الْبَرْقِ مِنَ الصَّوَاقِعِ

وأما الصعقة فقيل انها مثل الزجرة وهو الصوت الذي يكون عن الصاعقة قال بعض الرجاز

لاحَ سَحَابٌ فَرَأَيْنَا بَرْقَهُ    ثُمَّ تَدَانَىٰ فَسَمِعْنَا صَعْقَهُ

ومن جرّ قوم نوح حمله على قوله وفي موسى أي وفي قوم نوح وقوله وفي موسى إذ أرسلناه عطف على أحد شيئين اما ان يكون على وتركنا فيها آية وفي موسى أو على قوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي موسى أي وفي ارسال موسى آيات واضحة وفي قوم نوح آية ومن نصب فقال وقومَ نوح جاز في نصبه أيضاً امران كلاهما حمل على المعنى ( أحدهما ) ان

قوله اخذتهم الصاعقة يدل على اهلكناهم فكأنه قال وأهلكنا قوم نـوح ( والآخر ) ان قـوله فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم يدل على اغرقناهم فكأنه قال أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح .

[ **اللغة** ] الركن الجانب الذي يعتمد عليه يقال رَكِن يركَن ورَكَن يركُن أيضاً مثل نصر ينصر. والمليم الذي أتى بما يلام عليه والملوم الذي وقع به اللوم وفي المثل رب لائم مليم ورب ملوم لا ذنب له والعتو والتجبر والتكبر واحد وجمع الريح ارواح ورياح ومنه راح الرجل إلى منزله أي رجع كالريح والرميم الذي انتفى رمه بانتفاء ملائمة بعضه لبعض وأما رمّه يُرِمّه رمّاً والشيء مرموم اي مصلح بملائمة بعضه لبعض وأصل الرميم السحيق البالي من العظم .

[ **المعنى** ] ثم بيّن سبحانه ما نزل بالأمم فقال ﴿**وفي موسى**﴾ أي وفي موسى أيضاً آية ﴿**إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين**﴾ أي بحجة ظاهرة وهي العصا ﴿**فتولى بـركنه**﴾ أي فأعرض فرعون عن قبـول الحق بما كان يتقوى به من جنده وقومه كـالركن الـذي يقوى بـه البنيان والباء في قوله بركنه للتعدية اي جعلهم يتولون ﴿**وقال**﴾ لموسى ﴿**ساحر أو مجنون**﴾ أي هو ساحر أو مجنون وفي ذلك دلالة على جهل فرعـون لأن الساحـر هو اللطيف الحيلة وذلك ينافي صفـة المجنون المختلط العقـل فكيف يوصف شخص واحـد بهاتين الصفتين ﴿**فأخذناه وجنوده فنبـذناهم في اليم**﴾ أي فـطرحناهم في البحـر كما يلقى الشيء في البـر ﴿**وهو مليم**﴾ أتى بما يلام عليه من الكفر والجحود والعتوّ ﴿**وفي عاد**﴾ عطف على ما تقدم أي وفي عاد أيضاً آية أي دلالة فيها عظة وعبرة ﴿**إذ أرسلنا عليهم**﴾ أي حين اطلقنـا عليهم ﴿**الريح العقيم**﴾ وهي التي عقمت عن أن تأتي بخير من تنشئـة سحاب أو تلقيـح شجر أو تذرية طعام أو نفع حيوان فهي كالمرأة الممنوعة عن الولادة إذ هي ريح الاهلاك ثم وصفها فقـال ﴿**ما تـذر من شيء أتت عليه**﴾ أي لم تتـرك هذه الـريح شيئاً تمر عليـه ﴿**إلا جعلته كالرميم**﴾ أي كالشيء الهالك البالي وهو نبات الأرض إذا يبس وديس وقيـل الرميم العـظم البالي السحيق ﴿**وفي ثمود**﴾ أيضاً آية ﴿**إذ قيل لهم تمتعوا**﴾ وذلك انهم لما عقروا الناقة قال لهم صالح تمتعوا ثلاثة أيام وهو قوله ﴿**تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم**﴾ أي فخرجوا عن أمر ربهم ترفعاً عنه واستكباراً ﴿**فأخذتهم الصاعقة**﴾ بعد مضيّ الأيام الثلاثة وهو الموت عن ابن عباس وقيل هو العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك عن مقاتل ﴿**وهم ينظرون**﴾ اليها جهـاراً لا يقدرون على دفعهـا ﴿**فما استـطاعوا من قيـام**﴾ أي من نهوض والمعنى انهم لم ينهضوا من تلك الصرعة ﴿**وما كانوا منتصرين**﴾ أي ممتنعين من العذاب وقيل معناه ما كانوا طالبين ناصراً يمنعهم من عذاب الله ﴿**وقوم نوح**﴾ أي وأهلكنا قوم نوح من ﴿**قبل**﴾ أي من

قبل عاد وثمود ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ أي خارجين عن طاعة الله إلى معاصيه وعن الإيمان إلى الكفر فاستحقوا لذلك الإهلاك .

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا
بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ
إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم
مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا
قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾
مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ
ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة يحيى والأعمش ذو القوة المتين بالخفض .

[ **الحجة** ] قال ابن جني هذا يحتمل امرين ( أحدهما ) أن يكون وصفاً للقوة وذكره على معنى الحبل يريد قوى الحبل كقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى ( والآخر ) أن يكون

المراد الرفع وصفاً للرزاق إلا أنه جاء على لفظ القوة لجوارها إياه على قولهم هذا جحر ضبّ خرب فهذا ضعيف .

[ اللغة ] ألا يد القوة يقال آد الرجل بأيد ايداً إذا اشتد وقوي والمؤيّد الأمر العظيم والايساع الاكثار من اذهاب الشيء في الجهات والماهد هو الموطىء للشيْء وهو المهيىء لما يصلح الاستقرار عليه يقال مهد يمهد مهداً ومهد تمهيداً مثل وطىء توطئة والتواصي ان يوصي القوم بعضهم الى بعض والوصية التقدمة في الأمر بالأشياء المهمة مع النهي عن المخالفة وأصل الذنوب الدلو الممتلىء ماء يؤنث ويذكر قال:

لَـنـا ذَنُوبٌ وَلَـكُـمْ ذَنُـوبٌ فَإِنْ أَبَـيْـتُـمْ فَـلَنَـا الْـقَـلِيـبُ(١)

وقال علقمة:

وَفِي كُـلِّ حَيٍّ قَـدْ خَـبَـطْتَ بِنِـعْـمَـةٍ فَـحَـقٌّ لِـشَـاسٍ مِـنْ نَـدَاكَ ذَنُـوبُ(٢)

[ المعنى ] ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ تقديره وبنينا السماء بنيناها بقوة عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة أي خلقناها ورفعناها على حسن نظامها ﴿وإنا لموسعون﴾ أي قادرون على خلق ما هو أعظم منها عن ابن عباس وقيل معناه وأنا لموسعون الرزق على الخلق بالمطر عن الحسن وقيل معناه وإنا لذو سعة لخلقنا أي قادرون على رزقهم لا نعجز عنه فالموسع ذو الوسع والسعة أي الغنى والجدة ﴿والأرض فرشناها﴾ أي وفرشنا الأرض فرشناها أي بسطناها ﴿فنعم الماهدون﴾ نحن إذ فعلنا ذلك للمنافع ومصالح العباد لا لجر نفع ولا لدفع ضرر ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ أي وخلقنا من كل شيء صنفين مثل الليل والنهار والأرض والسماء والشمس والقمر والجن والإنس والبر والبحر والنور والظلمة عن الحسن ومجاهد وقيل الزوجين الذكر والأنثى عن ابن زيد ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي لكي تعلموا أن خالق الأزواج واحد فرد لا يشبهه شيء ﴿ففروا إلى الله﴾ أي فاهربوا من عقاب الله إلى رحمته وثوابه بإخلاص العبادة له وقيل ففروا إلى الله بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته ويقطعكم عما أمركم به وقيل معناه حجوا عن الصادق (ع) ﴿إني لكم منه﴾ أي من الله ﴿نذير﴾ مخوّف من عقابه ﴿مبين﴾ لكم ما أرسلت به ﴿ولا تجعلوا مع الله إلّهاً آخر﴾ أي لا تعبدوا معه معبوداً آخر من الأصنام والأوثان ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ والوجه في تكريره أن

---

(١) بقسم الماء ويقول: لنا دلو منه ولكم دلو فإن لم ترضوا بالقسمة فنقهركم نملك الماء نحن فقط .

(٢) خبط زيد عمراً بخير: اعطاه من غير معرفة بينهما وشاس اخو الشاعر .

الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول إذ تقديره اني لكم منه نذير في الامتناع من جعل إلّه آخر معه وتقدير الأول إني لكم منه نذير في ترك القرار اليه بطاعته فهو كقولك انذرك ان تكفر بالله أنذرك ان تتعرض لسخط الله والنذير المخبر بما يحذر منه وهو يقتضي المبالغة والمنذر صفة جارية على الفعل والمبين الذي يأتي ببيان الحق من الباطل ثم قال **﴿كذلك﴾** أي الأمر كذلك وهو انه **﴿ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾** أي لم يأت الذين من قبلهم يعني كفار مكة من الأمم رسول إلا قالوا ساحر محتال بالحيل اللطيفة أو مجنون به جنون فهو مغطّى على عقله بما لا يتوجه للادراك به ثم قال سبحانه **﴿اتواصوا به﴾** أي أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب والاستفهام للتوبيخ **﴿بل هم قوم طاغون﴾** معناه لم يتواصوا بذلك لكنهم طاغون طغوا في معصية الله وحملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيب أنبيائي ثم قال للنبي ﷺ **﴿فتولّ عنهم﴾** أي فأعرض عنهم يا محمد فقد بلّغت وأنذرت وهو قوله **﴿فما أنت بملوم﴾** أي في كفرهم وجحودهم بل اللائمة والذم عليهم من حيث لا يقبلون ما تدعوهم إليه قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ والمؤمنون وظنوا أن الوحي قد انقطع وان العذاب قد حل حتى نزلت الآية الثانية وروي بالإسناد عن مجاهد قال خرج علي بن أبي طالب (ع) مغتماً مشتملاً في قميصه فقال لما نزلت فتول عنهم فما أنت بملوم لم يبق أحد منا إلا أيقن بالهلكة حين قيل للنبي ﷺ فتول عنهم فلما نزل **﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾** طابت نفوسنا ومعناه عِظْ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكر تنفعهم عن الكلبي **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوني﴾** أي لم أخلق الجن والإنس إلا لعبادتي والمعنى لعبادتهم إياي عن الربيع فإذا عبدوني استحقوا الثواب وقيل إلا لآمرهم وأنهاهم وأطلب منهم العبادة عن مجاهد واللام لام الغرض والمراد أن الغرض في خلقهم تعريضهم للثواب وذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات فصار كأنه سبحانه خلقهم للعبادة انه إذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض ويكون كمن هيّأ طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلوه فحضروا ولم يأكله بعضهم فإنه لا ينسب إلى السفه ويصح غرضه فإن الأكل موقوف على اختيار الغير وكذلك المسألة فإن الله إذا أزاح علل المكلفين من القدرة والآلة والالطاف وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد أتي من قبل نفسه لا من قبله سبحانه وقيل معناه إلا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً عن ابن عباس **﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾** هذا نفي الإيهام عن خلقهم لعبادته ان يكون ذلك لعائدة نفع يعود عليه تعالى فبين أنه لعائدة النفع على الخلق دونه تعالى لاستحالة النفع عليه لأنه غني لنفسه فلا يحتاج الى غيره وكل الخلق يحتاج إليه وقيل معناه ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم وما أريد

أن يطعموا أحـداً من خلقي وانما أسنـد الإطعام الى نفسـه لأن الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال احد فقد أطعمه ﴿**ان الله هو الرزاق**﴾ لعباده وللخلائق كلهم فلا يحتاج الى معين ﴿**ذو القوة**﴾ أي ذو القدرة ﴿**المتين**﴾ أي القوي الذي يستحيل عليه العجز والضعف إذ هو القادر لنفسه يقال متُن متانة فهو متين إذا قوي ﴿**فإن الذين ظلموا**﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿**ذنوباً مثل ذنوب اصحابهم**﴾ أي نصيباً من العذاب مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا نحو قوم نوح وعاد وثمود ﴿**فلا يستعجلون**﴾ بإنزال العذاب عليهم فإنهم لا يفوتون ﴿**فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون**﴾ هذا يدل على أنهم أخّروا إلى يوم القيامة والويـل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في الهلكة .

[ **النظم** ] وجه اتصال قوله ﴿**والسماء بنيناها بأيد**﴾ بما قبله هو أنه في قوم نوح آية وفي السماء أيضاً آية فهو متصل به في المعنى .

# (٥٢) سورة الطور مكية وآياتها تسع وأربعون

[ عدد آيها ]

تسع وأربعون آية كوفي شامي وثمان بصري وسبع حجازي .

[ اختلافها ] آيتان والطور عراقي شامي دعّاً كوفي شامي .

[ فضلها ] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال ومن قرأ سورة والطور[١] كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب وروى محمد بن هشام عن أبي جعفر ( ع ) قال من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا والآخرة .

[ تفسيرها ] لما ختم الله سورة الذاريات بالوعيد افتتح هذه السورة بوقوع الوعيد فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ

(١) في بعض النسخ : سورة الطور .

مَوۡرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرًا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾
ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٍ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ
دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ
أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ
عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾

**[ اللغة ]** قال المبرد يقال لكل جبل طور فإذا دخلت الألف واللام للمعرفة فهو لشيء بعينه والرقّ جلد يكتب فيه وأصله من اللمعان يقال ترقرق الشيء إذا لمع والرقراق ترقرق السراب والمسجور المملوء يقال سجرت التنور أي ملأتها ناراً وعين سجراء ممتلئة فيها حمرة كأنها احمرت مما هو حولها كالسجار للتنور قال لبيد:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعا     مَسْجُورَةً مُتَجاوِراً قُلاَّمُها[1]

والمور تردد الشيء بالذهاب والمجيء كما يتردد الدخان ثم يضمحل مار يمور موراً فهو مائر وروى بيت الأعشى :

كَأَنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارَتِها     مَوْرُ السَّحابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَجَلُ

وقيل مر السحابة والخوض الدخول في الماء بالقدم وشبه به الدخول في القول والدع الدفع يقال دعه يدعّه دعّاً وصكّه يصكّه صكّاً مثله .

**[ الإعراب ]** والطور الواو للقسم وما بعده عطف عليه والعامل في قوله ﴿ **يوم تمور السماء موراً** ﴾ قوله واقع أي يقع في ذلك اليوم ويجوز أن يكون يوم هاهنا على تقدير إذا ويكون العامل فيه جوابه وهو الفاء وما بعده من قوله ﴿ **فويل يومئذ للمكذبين** ﴾ كما جاء ﴿ **ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون** ﴾ وقوله ﴿ **ويوم يدعّون** ﴾ بدل من قوله ﴿ **يوم تمور السماء** ﴾ وإن شئت كان التقدير فيه يوم يدعّون إلى نار جهنم دعّاً يقال لهم هذه

(١) مر البيت في ج ٦

النار التي كنتم بها تكذبون فيعمل فيه يقال. ﴿ أفسحر هذا ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ أم أنتم ﴾ أي بل أنتم لا تبصرون .

[ المعنى ] ﴿ والطور ﴾ أقسم الله سبحانه بالجبل الذي كلم عليه موسى ( ع ) بالأرض المقدسة عن الجبائي وجماعة من المفسرين وقيل هو الجبل أقسم به لما أودع فيه من أنواع نعمه عن مجاهد والكلبي ﴿ وكتاب مسطور ﴾ أي مكتوب وهو الكتاب الذي كتبه الله لملائكته في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون وقيل هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وهو الرق المنشور وقيل هو صحائف الأعمال التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة فمنهم آخذ كتابه بيمينه وآخذ بشماله وهذا كقوله ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ﴾ عن الفراء وقيل هو التوراة كتبها الله لموسى فخص الطور بالذكر لبركتها وكثرة منافعها في الدنيا وذكر الكتاب لعظم موقعها من الدين عن الكلبي وقيل أنه القرآن يكتبه المؤمنون ﴿ في رق منشور ﴾ أي وينشرونه لقراءته والرق ما يكتب فيه وقيل الرق هو الورق عن أبي عبيدة وقيل إنما ذكر الرق لأنه من أحسن ما يكتب فيه وإذا كتبت الحكمة فيما هو على هذه الصفة كان أبهى والمنشور المبسوط ﴿ والبيت المعمور ﴾ وهو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة عن ابن عباس ومجاهد وروي أيضاً عن أمير المؤمنين ( ع ) قال ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبداً وروي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال البيت المعمور في السماء الدنيا وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل كل يوم طلعت فيه الشمس وإذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه[1] سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلّون فيه فيفعلون ثم لا يعودون إليه أبداً وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ البيت الذي في السماء الدنيا يقال له الضراح وهو بفناء البيت الحرام لو سقط سقط عليه يدخله كل يوم ألف[2] ملك لا يعودون إليه[3] أبداً وقيل البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام معمور بالحج والعمرة عن الحسن وهو أول مسجد وضع للعبادة في الأرض ﴿ والسقف المرفوع ﴾ هو السماء عن علي ( ع ) ومجاهد وقتادة وابن زيد قالوا هي كالسقف للأرض رفعها الله ﴿ والبحر المسجور ﴾ أي المملوء عن قتادة وقيل هو الموقد المحمى بمنزلة التنور عن مجاهد والضحاك والأخفش وابن زيد ثم قيل أنه تحمى البحار يوم القيامة فتجعل نيراناً ثم تفجر بعضها في بعض ثم تفجر إلى النار ورد به

(١) في المخطوطة: عنه . (٢) في نسخة: سبعون ألف ملك . (٣) في بعض النسخ : فيه .

الحديث ﴿ **ان عذاب ربك لواقع** ﴾ هذا جواب القسم أقسم الله بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم القدرة على أن تعذيب المشركين حق واقع لا محالة ﴿ **ما له من دافع** ﴾ يدفع عنهم ذلك العذاب ثم بين سبحانه أنه متى يقع فقال ﴿ **يوم تمور السماء موراً** ﴾ أي تدور دوراناً وتضطرب وتموج وتتحرك وتستدير كل هذه من عبارات المفسرين ﴿ **وتسير الجبال سيراً** ﴾ أي تسير الجبال وتزول من أماكنها حتى تستوي الأرض ﴿ **فويل يومئذ للمكذبين** ﴾ دخلت الفاء لأن في الكلام معنى المجازاة والتقدير إذا كان هذا فويل لمن يكذب الله ورسوله ﴿ **الذين هم في خوض** ﴾ أي في حديث باطل يخوضون وهو الحديث الذي كان يخوض فيه الكفار من انكار البعث وتكذيب النبي ﷺ ﴿ **يلعبون** ﴾ أي يلهون بذكره ﴿ **يوم يدعون** ﴾ أي يدفعون ﴿ **إلى نار جهنم دعا** ﴾ أي دفعاً بعنف وجفوة قال مقاتل هو أن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعون إلى جهنم دفعاً على وجوههم حتى إذا دنوا قال لهم خزنتها ﴿ **هذه النار التي كنتم بها تكذبون** ﴾ في الدنيا ثم وبخوهم[1] لما عاينوا بما كانوا يكذبون به وهو قوله ﴿ **أفسحر هذا** ﴾ الذي ترون أنتم ﴿ **أم أنتم لا تبصرون** ﴾ وذلك أنهم كانوا ينسبون محمداً ﷺ إلى السحر وإلى أنه يغطي على الأبصار بالسحر فلما شاهدوا ما وعدوا به من العذاب وبخوا بهذا ثم يقال لهم ﴿ **اصلوها** ﴾ أي قاسوا شدتها ﴿ **فاصبروا** ﴾ على العذاب ﴿ **أولا تصبروا** ﴾ عليه ﴿ **سواء عليكم** ﴾ الصبر والجزع ﴿ **إنما تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ في الدنيا من المعاصي بكفركم وتكذيبكم الرسول .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ
وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ
عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ
عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَـٰهُم

(١) وفي بعض النسخ : وبّخهم .

بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا
وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ
مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو واتبعناهم بالنون والألف وقطع الهمزة ذرياتهم بالألف وكسر التاء ألحقنا بهم ذرياتهم كذلك وقرأ أهل المدينة واتبعتهم بالتاء ووصل الهمزة ذريتهم بالرفع ألحقنا بهم ذرياتهم على الجمع وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة واتبعتهم ذريتهم ألحقنا بهم ذريتهم كذلك وقرأ ابن عامر ويعقوب وسهل اتبعتهم ذرياتهم جمع[1] ألحقنا بهم ذرياتهم أيضاً وقرأ ابن كثير وما التناهم بكسر اللام والباقون التناهم بفتح اللام وقرأ أهل المدينة والكسائي أنه هو البر الرحيم بالفتح والباقون أنه بالكسر وفي الشواذ قراءة عبد الله وإبراهيم وزوجناهم بعيس عين وقراءة الأعرج وما آلتناهم على أفعلناهم .

[ **الحجة** ] قال أبو علي الذرية تقع على الصغير والكبير فالأول نحو قوله ﴿ **ذرية طيبة** ﴾ والثاني نحو قوله ﴿ **ومن ذريته داود وسليمان** ﴾ فإن حملت الذرية في الآية على الصغار كان قوله ﴿ **بإيمان** ﴾ في موضع نصب على الحال من المفعولين أي اتبعتهم بإيمان من الآباء ذريتهم ألحقنا الذرية بهم في أحكام الإسلام فجعلناهم في حكمهم في أنهم يرثون ويورثون ويدفنون في مقابر المسلمين وحكمهم حكم الآباء في أحكامهم إلا فيما كان موضوعاً عن الصغير لصغره وإن جعلت الذرية للكبار كان قوله بإيمان حالاً من الفاعلين الذين هم ذريتهم أي ألحقنا بهم ذريتهم في احكام الدنيا والثواب في الآخرة ﴿ **وما ألتناهم من عملهم** ﴾ أي من جزاء عملهم من شيء كما قال فلا تظلم نفس شيئاً وكما قال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ومن قرأ ذريتهم فأفرد فلأن الذرية تقع على الكثرة فاستغنى بذلك عن جمعه وكذا القول في بهم ذريتهم في أنه أفرد ذريتهم

---

(١) ليس في بعضها لفظة جمع .

والحق التاء في اتبعتهم لتأنيث الإسم ومن جمعه فلأن المجموع قد يجمع نحو أقوام وطرقات وفي الحديث أنّكنّ صواحبات يوسف ومن قرأ التناهم بكسر اللام فيشبه أن يكون فعلنا لغة كما قالوا نَقَم ينقِم ونقِم ينقَم ومن قرأ ندعوه أنه بالفتح فالمعنى لأنه هو البر الرحيم ومن كسر قطع الكلام عما قبله واستأنف قال ابن جني المرأة العيساء البيضاء ومثله جمل أعيس وناقة عيساء قال كأنها البكرة العيساء ويقال ألته يألته ألتاً وآلته يولته إيلاتاً ولاته يليته ليتاً وولته يلته ولتاً أي نقصه قال الحطيئة :

أَبْلغْ لَدَيْكَ بَني سَعْدٍ مُغَلْغَلَةٍ جَهْدَ الرِّسَالَةِ لا أَلْتاً وَلا كَذِباً

[ المعنى ] لما تقدم وعيد الكفار عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال ﴿ إن المتقين ﴾ الذين يجتنبون معاصي الله خوفاً من عقابه ﴿ في جنات ﴾ أي في بساتين تجنّها الأشجار ﴿ ونعيم ﴾ أي وفي نعيم ﴿ فاكهين بما آتاهم ربهم ﴾ أي متنعّمين بما أعطاهم ربهم من أنواع النعيم وقيل فاكهين معجبين بما آتاهم ربهم عن الزجاج والفراء ﴿ووقاهم﴾ أي وصرف عنهم ﴿ ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا ﴾ أي يقال لهم كلوا واشربوا ﴿ هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾ أكلاً وشرباً هنيئاً مأمون العاقبة من التخمة والسقم ثم ذكر حالهم في الأكل والشرب فقال ﴿ متكئين على سرر مصفوفة ﴾ والسرر جمع سرير والمصفوفة المصطفة الموصول بعضها ببعض وقيل إن في الكلام حذفاً تقديره متكئين على نمارق موضوعة على سرر لكنه حذف لأن اللفظ يدل عليه من حيث إن الاتّكاء جلسة راحة ودعة ولا يكون ذلك إلا على الوسائد والنمارق ﴿ وزوجناهم بحور عين ﴾ فالحور البيض النقيات في حسن وكمال والعين الواسعات الأعين في صفاء وبهاء ومعناه قرنّا هؤلاء المتقين بحور عين على وجه التمتيع لهم والتنعيم وعن زيد بن أرقم قال جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون فقال والذي نفسي بيده إن الرجل منهم ليؤتى قوة مائة رجل على الأكل والشرب والجماع قال فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال عرق يفيض مثل ريح المسك فإذا كان ذلك ضمر بطنه ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ يعني بالذرية أولادهم الصغار والكبار لأن الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء فالولد يحكم له بالإسلام تبعاً لوالده واتبع بمعنى تبع ومن قرأ وأتبعناهم فهو منقول من تبع ويتعدى إلى المفعولين وقيل الإتباع إلحاق الثاني بالأول في معنى يكون الأول عليه لأنه لو ألحق به من غير أن يكون في معنى هو عليه لم يكن إتباعاً وكان إلحاقاً والمعنى أنا نلحق الأولاد بالآباء في الجنة والدرجة من أجل

إيمان الآباء لتقرّ أعين الآباء باجتماعهم معهم في الجنّة كما كانت تقرُّ بهم في الدنيا عن ابن عباس والضحاك وابن زيد وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنهم البالغون ألحقوا بدرجات آبائهم وان قصرت أعمالهم تكرمة لآبائهم فإن قيل كيف يلحقون بهم في الثواب ولم يستحقوه فالجواب أنهم يلحقون بهم في الجمع لا في الثواب والمرتبة وروى زاذان عن علي (ع) قال قال رسول الله ﷺ إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ثم قرأ هذه الآية وروي عن الصادق قال أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة ﴿ **وما ألتناهم من عملهم من شيء** ﴾ أي لم ننقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذرياتهم عن ابن عباس ومجاهد وتم الكلام ثم ذكر سبحانه أهل النار فقال ﴿ **كل امرىء بما كسب رهين** ﴾ أي كل امرىء كافر مرتهن في النار بما كسب أي عمل من الشرك عن مقاتل والمؤمن من لا يكون[1] مرتهناً لقوله كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين فاستثنى المؤمنين وقيل معناه كل انسان يعامَل بما يستحقه ويجازى بحسب ما عمله إن عمل طاعة أثيب وإن عمل معصية عوقب ولا يؤاخذ أحد بذنب غيره ثم ذكر سبحانه ما يزيدهم من الخير والنعمة فقال ﴿ **وأمددناهم بفاكهة** ﴾ أي أعطيناهم حالاً بعد حال فإن الإمداد هو الإتيان بالشيء بعد الشيء والفاكهة جنس الثمار ﴿ **ولحم مما يشتهون** ﴾ أي وأعطيناهم وأمددناهم بلحم من الجنس الذي يشتهونه ﴿ **يتنازعون فيها كأساً** ﴾ أي يتعاطون كأس الخمر ثم وصف الكأس فقال ﴿ **لا لغو فيها ولا تأثيم** ﴾ أي لا يجري بينهم باطل لأنَّ اللغو ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا بين شرب الخمر والتأثيم تفعيل من الإثم يقال ثمّه إذا جعله ذا اثم يعني أن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين وقيل معناه لا يتسابّون عليها ولا يؤثّم بعضهم بعضاً عن مجاهد ﴿ **ويطوف عليهم** ﴾ للخدمة ﴿ **غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون** ﴾ في الحسن والصباحة والصفاء والبياض والمكنون المصون المخزون وقيل أنه ليس على الغلمان مشقة في خدمة أهل الجنة بل لهم في ذلك اللذة والسرور إذ ليست تلك الدار دار محنة وذكر عن الحسن أنه قال قيل يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم فقال والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** ﴾ أي يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا عن ابن عباس وهو قوله ﴿ **قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين** ﴾ أي خائفين في دار الدنيا من العذاب ﴿ **فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾ أي عذاب جهنم والسموم من أسماء جهنم عن الحسن وقيل

---

(١) وبعض النسخ : والمؤمن لا يكون .

أن المعنى يسأل بعضهم بعضاً عما فعلوه في الدنيا فاستحقوا به المصير إلى الثواب والكون في الجنان فيقولون إنا كنا في دار التكليف مشفقين أي خائفين رقيقي القلب فإن الاشفاق رقة القلب عما يكون من الخوف على الشيء والشفقة نقيض الغلظة وأصله الضعف من قولهم ثوب شفق أي ضعيف النسج ومنه الشفق للحمرة عند غروب الشمس لأنها حمرة ضعيفة وقوله في أهلنا مشفقين يريد فيمن يختص به ممن هو أولى بنا والأهل هو المختص بغيره من جهة ما هو أولى به والسموم الحر الذي يدخل في مسام البدن يتألم به وأصله من السم الذي هو مخرج النفس فكل خرق سم أو من السم الذي يقتل قال الزجاج يريد عذاب سموم جهنم وهو ما يوجد من لفحها وحرها ﴿ **إنا كنا من قبل** ﴾ أي في الدنيا ﴿ **ندعوه** ﴾ أيّ ندعو الله تعالى ونوحّده ونعبده ﴿ **انه هو البر** ﴾ أي اللطيف وأصله اللطف مع عظم الشأن ومنه البرة للطفها مع عظم النفع بها وقيل البر الصادق فيما وعده ﴿ **الرحيم** ﴾ بعباده .

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير المسيطرون بالسين وفي الغاشية بمصيطر بالصاد وقرأ ابن عامر كليهما بالسين وقرأ بإشمام الزّاء[١] فيهما حمزة إلا العجلي فإنه قرأ بالصاد فيهما وقرأ الباقون بالصاد فيهما .

[ **الحجة** ] قال أبو عبيدة المسيطرون الأرباب يقال تسيطرت عليّ اتخذتني خولاً والأصل السين وكل سين بعده طاء يجوز أن تقلب صاداً تقول صطر وسطر وقد مرّ بيانه في سورة الفاتحة .

[ **اللغة** ] الكاهن الذي يذكر أنه يخبر عن الحق على طريق العزائم والكهانة صنعة الكاهن والمنون المنية وريبها الحوادث التي تريب عند مجيئها قال :

تَرَبَّصْ بِهَا رَيْبَ الْمَنُونِ لَعَلَّهَا ... سَيَهْلِكُ عَنْهَا بَعْلَهَا أَوْ سَيَجْنَحُ[٢]

والتربص الانتظار بالشيء من انقلاب حال له إلى خلافها والاحلام جمع الحلم وهو الإمهال الذي يدعو إليه العقل والحكمة والمسيطر الملزم غيره أمراً من الأمور قهراً مأخوذ من السطر والمثقل المحمول عليه ما يشق حمله .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال ﴿ **فذكر** ﴾ يا محمد أي فعظ هؤلاء المكلّفين ولا تترك دعوتهم وإن أساءوا قولهم فيك ﴿ **فما أنت بنعمة ربك** ﴾ أي بإنعام ربك عليك بالنبوة وهذا قسم ﴿ **بكاهن** ﴾ وهو الذي يوهم أنه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن ﴿ **ولا مجنون** ﴾ وهو الموءوف بما يغطي على عقله وقد علم الكفار أنه ﷺ ليس بكاهن ولا مجنون لكن قالوا ذلك على جهة التكذيب عليه ليستريحوا إلى ذلك كما يستريح السفهاء إلى التكذيب على أعدائهم ﴿ **أم يقولون** ﴾ أي بل يقولون ﴿ **هو شاعر نتربص به ريب المنون** ﴾ أي ننتظر به حدثان الموت وحوادث الدهر فيهلك كما هلك من تقدم من الشعراء والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى المنية وأم هذه[٣] المنقطعة بمعنى الترك والتحول كقول علقمة[٤] .

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتَوْدَعْتَ مَكْتُومُ ... أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْرُومُ

فكأنه قال[٥] حبلها مصروم لأن بعده قوله :

---

(١) وفي نسخة : الزاء . (٢) أي انتظر بها حوادث الدهر فأما يهلك بعلها أو ينصرف عنها ويتركها فتزوجها .

(٣) وفي المخطوطة : هذه هي المنقطعة . (٤) وفي نسختين : علقمة بن عبدة . (٥) وفيهما بل أحبلها .

أَمْ هَـلْ كَبيـرٌ بَكَىٰ لَـمْ يَقْضِ عَـبْـرَتَـهُ إِثْـرَ الأَحِبَّةِ يَـوْمَ الْـبَـيْـنِ مَـشْـكُـومُ[1]

ثم قال سبحانه ﴿ **قل** ﴾ لهم يا محمد ﴿ **تربصوا فإني معكم من المتربصين** ﴾ أي انكم إن تربصتم فيَّ حوادث الدهر فإني منتظر مثل ذلك بكم وتربص الكفار بالنبي ﷺ والمؤمنين قبيح وتربص النبي ﷺ والمؤمنين بالكفار وتوقعهم لهلاكهم حسن وقوله فتربصوا وإن كان بصيغة الأمر فالمراد به التهديد ﴿ **أم تأمرهم أحلامهم بهذا** ﴾ أي بل أتأمرهم عقولهم بما يقولونه لك ويتربصونه بك قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالأحلام والعقول فأزرى الله سبحانه بعقولهم حيث لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل ثم أخبر سبحانه عن طغيانهم فقال ﴿ **أم هم قوم طاغون** ﴾ وقرأ مجاهد بل هم قوم طاغون وبل في المعنى قريبة من أم هنا إلا أن ما بعد بل متيقن وما بعد أم مشكوك فيه والمعنى أن عقولهم لم تأمرهم بهذا ولم تدعهم إليه بل حملهم الطغيان على تكذيبك ﴿ **أم يقولون تقوله** ﴾ أي افتعل القرآن وتكذبه من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول ولا يقال ذلك إلا في الكذب ﴿ **بل لا يؤمنون** ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا بل ثبت أنه من عند الله ولكنهم لا يصدقون بذلك عناداً وحسداً واستكباراً ثم ألزمهم سبحانه الحجة تحدّاهم فقال ﴿ **فليأتوا بحديث مثله** ﴾ أي مثل القرآن وما يقاربه في نظمه وفصاحته وحسن بيانه وبراعته ﴿ **إن كانوا صادقين** ﴾ في أنه تقوله محمد ﷺ فإذا لم يقدروا على الإتيان بمثله فليعلموا أن محمداً ﷺ لم يتقوله من تلقاء نفسه بل هو من عند الله تعالى ثم احتج عليهم بابتداء الخلق فقال ﴿ **أم خلقوا من غير شيء** ﴾ أي أم خلقوا لغير شيء أي أخلقوا باطلاً لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون ونحو هذا عن الزجاج وقيل معناه أم خلقوا عبثاً وتركوا سدى عن ابن كيسان وهذا في المعنى مثل الأول وقيل معناه أخلقوا من غير خالق ومدبّر دبّرهم ﴿ **أم هم الخالقون** ﴾ أنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر عن ابن عباس ﴿ **أم خلقوا السماوات والأرض** ﴾ واخترعوهما فلذلك لا يقرّون بالله وبأنه خالقهم ﴿ **بل لا يوقنون** ﴾ بأن لهم إلَهاً يستحق العبادة وحده وإنك نبي من جهة الله ﴿ **أم عندهم خزائن ربك** ﴾ أي بأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا عن مقاتل وعكرمة وقيل أراد خزائن المطر والرزق عن الكلبي وابن عباس وقيل خزائنه مقدوراته فلا يأتيهم إلا ما يحبّون عن الجبائي[2] ﴿ **أم هم المسيطرون** ﴾ أي الأرباب المسلطون على

---

(١) قوله : لم يقض عبرته حال من الضمير في بكى الراجع إلى الكبير وبكى وصف لكبير وإثر الأحبة متعلق ببكى والبين : الفراق ومشكوم مأخوذ من الشكيمة وهي حديدة معترضة في فم الفرس أي مسدود فوه .

(٢) وفي نسخة : بدل الجبائي : ابن عباس .

الناس فليس عليهم مسيطر ولا لهم ملزم ومقوم وقيل معناه أم هم المالكون الناس القاهرون لهم عن الجبائي ﴿ **أم لهم سلّم** ﴾ أي مرقى ومصعد إلى السماء ﴿ **يستمعون فيه** ﴾ الوحي من السماء فقد وثقوا بما هم عليه وردّوا ما سواه ﴿**فليأت مستمعهم بسلطان مبين**﴾ أي بحجة ظاهرة واضحة ان ادعى ذلك والتقدير يستمعون عليه فهو كقوله ﴿**ولأصلبنكم في جذوع النخل**﴾ وإنما قيل لهم ذلك لأن كل من يدعي ما لا يعلم ببداية(١) العقول فعليه إقامة البينة والحجة ﴿**أم له البنات ولكم البنون**﴾ وهذا تسفيه لأحلامهم إذ أضافوا إلى الله سبحانه ما أنفوا منه وهذا غاية في جهلهم إذ جوزوا عليه سبحانه الولد ثم ادّعوا أنه اختار الأدون على الأعلى ﴿**أم تسألهم أجراً**﴾ أي ثواباً على أداء الرسالة وعلى ما جئتهم به من الدين والشريعة ﴿**فهم من مغرم مثقلون**﴾ أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم فمنعهم ذلك عن الإيمان بك .

﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ
فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ
ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾
وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾
فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ
لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾
وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء والباقون بفتحها وقرأ زيد عن يعقوب وادبار النجوم بفتح الألف والباقون بكسرها .

(٣) وفي نسخة ببداهة العقول .

[ **الحجة** ] يقال صعق الرجل يصعق ومن قرأ يصعقون بضم **الياء** فإنه على نقل الفعل بالهمزة صعقهم[١] واصعقهم غيرهم وحكى ابو الحسن صعق فعلى هذا يجوز ان يكون يصعقون منه ومن قرأ وأدبار النجوم فإنه يكون كقولهم اعقاب النجوم قال:

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَداة كَناظِرٍ مَعَ الصُّبحِ في أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ[٢]

[ **اللغة** ] الكيد هو المكر وقيل هو فعل ما يوجب الغيظ في خفية والكسف جمع كسفة فهو مثل سدرة وسدر والكسفة القطعة من الغيم بقدر ما يكسف ضوء الشمس والمركوم هو الموضوع بعضه على بعض .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿**ام عندهم الغيب فهم يكتبون**﴾ أي اعندهم الغيب حتى علموا أنَّ محمداً ﷺ يموت قبلهم وهذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون عن قتادة وقيل أعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ويخبرون به الناس عن ابن عباس وقيل هو جواب لقولهم ان كان أمر الآخرة حقاً كما تدعون فلنا الجنة ومثله ولئن رجعت الى ربي إن لي عنده للحسنى عن الحسن والغيب الذي لا يعلمه إلا الله هو ما لا يعلمه العاقل ضرورة ولا عليه دلالة فالله عالم به لأنه يعلمه لنفسه والعالم لنفسه يعلم جميع المعلومات فلا يخفى عليه شيء منها ﴿**أم يريدون كيداً**﴾ أي مكراً بك وتدبير سوء في بابك سرّاً على ما دبّروه في دار الندوة ﴿**فالذين كفروا هم المكيدون**﴾ اي هم المجزيون بكيدهم فإن ضرر ذلك يعود عليهم ويحيق بهم مكرهم كما جزى الله سبحانه اهل دار الندوة بكيدهم ان قتلهم ببدر ﴿**أم لهم إله غير الله**﴾ يرزقهم ويحفظهم وينصرهم يعني ان الذين اتخذوهم آلهة لا تنفعهم لا تدفع عنهم ثم نزَّه سبحانه نفسه فقال ﴿**سبحان الله عما يشركون**﴾ به من الآلهة ثم ذكر سبحانه عنادهم وقسوة قلوبهم فقال ﴿**وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً**﴾ يعني ان عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لن ينتهوا عن كفرهم وقالوا هو قطعة من السحاب وهو قوله ﴿**يقولوا سحاب مركوم**﴾ بعضه على بعض وكل هذه الأمور المذكورة بعد ام في هذه السورة الزامات لعبدة الأوثان على مخالفة القرآن ثم قال سبحانه يخاطب النبي ﷺ ﴿**فذرهم**﴾ يا محمد اي اتركهم ﴿**حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون**﴾ اي يهلكون بوقوع الصاعقة عليهم وقيل الصعقة النفخة الاولى التي يهلك عندها جميع الخلائق ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال ﴿**يوم لا**

---

(١) في سائر النسخ : صعقوهم.

(٢) يشبّه حاله في وصال الليلى وهجرانها ويأسه من الوصال بمن ينظر في اعقاب النجم عند الصباح وهو آيس منه لانه في حال الغروب.

يغني عنهم كيدهم شيئاً﴾ اي لا تنفعهم حيلتهم ولا تدفع عنهم شيئاً ﴿ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا﴾ يعني كفار مكة ﴿عذاباً دون ذلك﴾ اي دون عذاب الآخرة يعني القتل يوم بدر عن ابن عباس وقيل يريد عذاب القبر عن ابن عباس أيضاً والبراء بن عازب وقيل هو الجوع في الدنيا والقحط سبع سنين عن مجاهد وقيل هو مصائب الدنيا عن ابن زيد وقيل هو عام جميع ذلك ﴿ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾ ما هو نازل بهم ﴿واصبر﴾ يا محمد ﴿لحكم ربك﴾ الذي حكم به والزمك التسليم له إلى ان يقع عليهم العذاب الذي حكمنا عليهم وقيل واصبر على أذاهم ختى يرد امر الله عليك بتخليصك ﴿فإنك بأعيننا﴾ أي بمرأى منا ندركك ولا يخفى علينا شيء من أمرك ونحفظك لئلا يصلوا الى شيء من امرك ونحفظك لئلا يصلوا الى شيء من مكروهك ﴿وسبّح بحمد ربك حين تقوم﴾ من نومك عن ابي الأحوص وقيل حين تقوم إلى الصلاة المفروضة فقل سبحانك اللهم وبحمدك عن الضحاك وقيل معناه وصلّ بأمر ربك حين تقوم من مقامك عن ابن زيد وقيل الركعتان قبل صلاة الفجر عن ابن عباس والحسن وقيل حين تقوم من نوم القائلة وهي صلاة الظهر عن زيد ابن اسلم وقيل حين تقوم من المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك لا إله الا انت اغفر لي وتب عليّ عن عطا وسعيد بن جبير وقد روي مرفوعاً انه كفارة المجلس وقيل معناه اذكر الله بلسانك حين تقوم الى الصلاة الى ان تدخل في الصلاة عن الكلبي فهذه سبعة اقوال ﴿من الليل فسبحة﴾ يعني صلاة الليل وروى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) في هذه الآية قالا ان رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل ثلاث مرات فينظر في آفاق السماء ويقرأ الخمس من آل عمران التي آخرها انك لا تخلف الميعاد ثم يفتتح صلاة الليل الخبر بتمامه وقيل معناه صل المغرب والعشاء الآخرة عن مقاتل وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح وقيل يعني صلاة الفجر المفروضة عن الضحاك وقيل إن المعنى لا تغفل عن ذكر ربك صباحاً ومساءً ونزّهه في جميع احوالك ليلاً نهاراً فإنه لا يغفل عنك وعن حفظك وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه قد ضمن حفظه وكلاءته حتى يبلغ رسالته .

# (٥٣) سورة النجم مكية وآياتها اثنتان وستون

المعذل عن ابن عباس وقتادة غير آية منها نزلت بالمدينة **﴿الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش﴾** الآية وعن الحسن قال هي مدنية.

[ **عدد آيها** ] اثنتان وستون آية كوفي وآية في الباقين .

[ **اختلافها** ] ثلاث آيات من الحق شيئاً كوفي ممن تولّى شامي الحياة الدنيا غير شامي .

[ **فضلها** ] أُبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة النجم اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ﷺ ومن جحد به . يزيد بن خليفة عن أبي عبد الله ( ع ) قال من كان يدمن قراءة والنجم في كل يوم او في كل ليلة عاش محموداً بين الناس وكان مفقوداً وكان محبّباً بين الناس .

[ **تفسيرها** ] افتتح الله سبحانه هذه السورة بذكر النبي ﷺ كما ختم بذكر سورة الطور حتى اتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ
ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] أمال حمزة والكسائي وخلف أواخر آيات هذه السورة كلها وجميع أشباهها وقرأ المدينة وأبوعمرو بين الفتح والكسر إلى الفتح أقرب وكذلك كل سورة آياتها على الياء مثل سورة طه والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والضحى وأشباهها وكل ما كان على وزن فعلى أو فُعلى أو فِعلى في جميع القرآن فإن أبا عمرو يقرؤها بين الفتح والكسر أيضاً في رواية شجاع وأكثر الروايات عن اليزيدي والباقون يفتحون ويفخمون وابن كثير وعاصم أشد تفخيماً في ذلك كله .

[ **الحجة** ] اما ترك الامالة والتفخيم للألف فهو قول كثير من الناس والإمالة أيضاً قول كثير منهم فمن ترك كان مصيباً ومن أخذ بها كان مصيباً .

[ **اللغة** ] الهُوِيّ والنزول والسقوط نظائر هوى يهوى هَويا أو هُوياً قال الهذلي :

وَإذا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ ... يَهْوي مَخارِمَها هُوِيّ الأجْدَلِ[١]

ومنه سميت الهاوية لأنها تهوي بأهلها من اعلاها إلى اسفلها والغي الخيبة ومنه الغواية والوحي القاء المعنى إلى النفس في خفية إلا انه صار كالعلم فيما يلقيه الملك إلى النبي من البشر[٢] عن الله تعالى ومنه قوله وأوحى ربك إلى النحل أي الهمها مراشدها والقوة القدرة وأصله الشدة وأصل المرة شدة الفتل ثم تجري المرة على القدرة فالمرة والقوة والشدة نظائر والأفق ناحية السماء وجمعه آفاق وقد سمي نواحي الأرض آفاقاً على التشبيه قال الشاعر في المعنى الأول :

أَخَذْنا بِآفاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمُ ... لَنا قَمَراها وَالنُّجُومُ الطَّوالِعُ

وقال امروء القيس في المعنى الثاني :

لَقَدْ طَوَّفْتُ في الأفاقِ حَتَّى ... رَضيتُ مِنَ الْغَنيمَةِ بِالإِيابِ

---

(١) المخارم : افواه الفجاج والفجاج جمع الفج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين والاجدل : الصقر. يشبه فرساً بالصفر اي إذا سرت به في فجاج الارض رأيته يهوى من افواه الفجاج هُوِيّ الصقر.

(٢) وفي نسخة : السر.

والتدلي الامتداد إلى جهة السفل يقال دلاه صاحبه فتدلى والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن مقدار الشيء .

[ الاعراب ] وهو بالأفق الأعلى مبتدأ وخبر في موضع الحال وقال الفراء هو معطوف على الضميرفي استوى أي استوى جبرائيل والنبي ﷺ بالأفق الأعلى والتقدير استوي هو وهو قال وحسن ذلك لئلا يتكرر هو وأنشد :

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـنَّـبْـعَ يَـصْـلُبُ عُـودُهُ وَلَا يَـسْتَـوِي وَالْـخِـرْوَعُ الْمُـتَقَـصِّـفُ(١)

قال الزجاج وهذا لا يجوز إلا في الشعر لأنهم يستقبحون استويت وزيد وإنما المعنى فاستوى جبرائيل وهو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل فأحب رسول الله ﷺ ان يراه على صورته الحقيقية فاستوى في افق المشرق فملأ الأفق :

[ المعنى ] ﴿والنجم إذا هوى﴾ فقيل في معناه أقوال (أحدها) ان الله أقسم بالقرآن إذ أنزل نجوماً متفرقة على رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة عن الضحاك ومجاهد والكلبي فسمي القرآن نجماً لتفرقه في النزول والعرب تسمي التفريق تنجيماً والمفرق منجماً(وثانيها) انه أراد بالنجم الثريا أقسم بها إذا سقطت وغابت مع الفجر عن ابن عباس ومجاهد والعرب تطلق اسم النجم على الثريا خاصة قال ابو ذؤيب :

فَـوَرَدْنَ وَالْـعَـيُّـوقُ مَـقْـعَـدَ رَابِـيِّ الضُّـرَبَـاءِ فَـوْقَ النَّجْمِ لَا يَـتَـتَلَّعُ(٢)

قال ابن دريد والثريا سبعة انجم ستة ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس بـه أبصارهم (وثالثها) ان المراد به جماعة النجوم إذا هوت أي سقطت وغابت وخفيت عن الحسن وأراد به الجنس كما قال الراعي :

وَبَـاتَ يَـعُـدُّ النَّـجْـمَ فِي مُـسْـتَـحِـيـرَةٍ سَـرِيـعٍ بِـأَيْـدِي الْأَكِلِينَ جُمُـودُهَـا(٣)

---

(١) النبع شجر ينبت في قلة الجبل تتخذ منه القِسّي ومن اغصانه السهام والخروع نبت يعظم قرب المياه ومن ثمره المسهل المعروف بزيت الخِروَع والمتقصف المزدحم بعضه على بعض مقصود عدم تساويهما في الشدة واللين.

(٢) رباُهم وربألهم اي صار ربيئة لهم اي راقبهم والضرباء جمع الضريبة بمعنى الضارب ولا يتتلع اي لا يشخص للامر ولا يرفع رأسه للنهوض وعن ابن برى صوابه :

(٣) خلف النجم وكذا في رواية سيبويه المستحيرة: الجفنة الدسمة الكبيرة.

ثم[١] قيل اشار بأفول النجم إلى طلوعه لأن ما يأفل يطلع فاستدل بأفوله وطلوعه على وحدانية الله تعالى وحركات النجم وتوصف بالهوي عن الجبائي وقيل ان هويّة سقوطه يوم القيامة فيكون كقوله وإذا الكواكب انتشرت عن الحسن (ورابعها) انه يعني به الرجوم من النجوم وهو ما يرمي به الشياطين عند استراق السمع عن ابن عباس وروت العامة عن جعفر الصادق (ع) انه قال محمد رسول الله[٢] ﷺ نزل من السماء السابعة ليلة المعراج ولما نزلت السورة أخبر بذلك عتبة بن أبي لهب فجاء الى النبي ﷺ وطلق ابنته وتفل في وجهه وقال كفرت بالنجم وبرب النجم فدعا ﷺ عليه وقال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فخرج عتبة إلى الشام فنزل في بعض الطريق والقى الله عليه الرعب فقال لأصحابه انيموني بينكم ليلاً[٣] ففعلوا فجاء اسد فافترسه من بين الناس وفي ذلك يقول حسان :

سَائِلْ بَنِي الْأَصْفَرِ إِنْ جِئْتَهُمْ ... مَا كَانَ أَنْبَاءُ بَنِي وَاسِعِ
لَا وَسَّعَ اللَّهُ لَهُ قَبْرَهُ ... بَلْ ضَيَّقَ اللَّهُ عَلَى الْقَاطِعِ
رَمَى رَسُولَ الله مِنْ بَيْنِهِمْ ... دُونَ قُرَيْشٍ رَمْيَةَ الْقَاذِعِ[٤]
وَاسْتَوْجَبَ الدَّعْوَةَ مِنْهُ بِمَا ... بُيِّنَ لِلنَّاظِرِ وَالسَّامِعِ
فَسَلَّطَ اللَّهُ بِهِ كَلْبَهُ ... يَمْشِي الْهُوَيْنَا مِشْيَةَ الْخَادِعِ[٥]
وَالْتَقَمَ الرَّأْسَ بِيَافُوخِهِ ... وَالنَّحْرَ مِنْهُ قَفْرَةَ الْجَائِعِ
مَنْ يَرْجِعِ الْعَامَ إِلَى أَهْلِهِ ... فَمَا أَكِيلُ السَّبْعِ بِالرَّاجِعِ
قَدْ كَانَ هٰذَا لَكُمُ عِبْرَةً ... لِلسَّيِّدِ الْمَتْبُوعِ وَالتَّابِعِ

**﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾** يعني النبي أي ما عدل عن الحق وما فارق الهدى الى الضلال وما فوى فيما يؤديه اليكم ومعنى غوى ضل وإنما اعاده تأكيداً وقيل معناه ما خاب عن اصابة الرشد وقيل ما خاب سعيه بل ينال ثواب الله وكرامته **﴿وما ينطق عن الهوى﴾** اي وليس ينطق بالهوى وهكذا كما يقال رميت بالقوس وعنِ القوس وقيل معناه ولا يتكلم بالقرآن وما يؤديه اليكم عن الهوى الذي هو ميل الطبع **﴿ان هـ .إلا وحي يوحى﴾** أي ما القرآن وما ينطق به من الأحكام إلا وحي من الله يوحي اليه أي يأتيه به جبرائيل وهو قوله **﴿علمه شديد القوى﴾** يعني جبرائيل (ع) أي القوي في نفسه وخلقته عن ابن عباس

---

(١) وفي نسخة : وقيل. (٢) وفي المخطوطة ليس لفظة رسول الله. (٣) وليس فيها ايضاً .

(٤) قذعه: رماه بالفحش وسوء القول.

(٥) وفي المخطوطة بعدهذا : حتى اتاه وسط اصحابه وقد علاهم سنة الهاجع.

والربيع وقتادة والقوي جمع القوة ﴿ذو مرة﴾ أي ذو قوة وشدة في خلقه عن الكلبي قال ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود فرفعها إلى السماء ثم قبلها ومن شدته صيحته لقوم ثمود حتى هلكوا وقيل معناه ذو صحة وخلق حسن عن ابن عباس وقتادة وقيل شديد القوى في ذات الله ذو مرة اي صحة في الجسم سليم من الآفات والعيوب وقيل ذو مرة اي ذو مرور في الهواء ذاهباً وجائياً ونازلاً وصاعداً عن الجبائي ﴿فاستوى﴾ جبرائيل على صورته التي خلق عليها بعد انحداره إلى محمد ﷺ ﴿وهو﴾ كناية عن جبرائيل (ع) أيضاً ﴿بالأفق الأعلى﴾ يعني افق المشرق والمراد بالأعلى جانب المشرق وهو فوق جانب المغرب في صعيد الأرض لا في الهواء قالوا ان جبرائيل كان يأتي النبي ﷺ في صورة الآدميين فسأله النبي ﷺ ان يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء اما في الأرض ففي الأفق الأعلى وذلك ان محمداً ﷺ كان بحراء فطلع له جبرائيل (ع) من المشرق فسدّ الأفق إلى المغرب فخر النبي ﷺ مغشياً عليه فنزل جبرائيل (ع) في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وهو قوله ﴿ثم دنا فتدلى﴾ وتقديره ثم تدلى اي قرب بعد بعده وعلوه في الأفق الأعلى فدنا من محمد ﷺ قال الحسن وقتادة ثم دنا جبرائيل (ع) بعد استوائه بالافق الأعلى من الأرض فنزل إلى محمد ﷺ وقال الزجاج معنى دنا وتدلى واحد لأن معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب كما تقول قد دنا مني فلان وقرب ولو قلت قرب مني ودنا جاز وقيل ان المعنى استوى جبرائيل (ع) أي ارتفع وعلا إلى السماء بعد ان علّم محمداً ﷺ عن سعيد بن المسيب وقيل استوى اي اعتدل واقفاً في الهواء بعد ان كان ينزل بسرعة ليراه النبي ﷺ عن الجبائي وقيل معناه استوى جبرائيل (ع) ومحمد ﷺ بالافق الأعلى يعني السماء الدنيا ليلة المعراج عن الفراء ﴿فكان قاب قوسين﴾ اي كان ما بين جبرائيل ورسول الله قاب قوسين والقوس ما يرمي به عن مجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس وخصت بالذكر على عادتهم يقال قاب قوس وقيب قوس وقيد قوس وقاد قوس وهو اختيار الزجاج وقيل معناه وكان قدر ذراعين عن عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير وشقيق ابن سلمة وروي مرفوعاً عن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ في قوله فكان قاب قوسين او ادنى قال قدر ذراعين او ادنى من ذراعين فعلى هذا يكون معنى القوس ما يقاس به الشيء والذراع يقاس به قال ابن السكيت قاس الشيء يقوسه قوساً لغة في قاسه يقيسه إذا قدره وقوله ﴿أو أدنى﴾ قال الزجاج ان العباد قد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحدد فالمعنى فكان على ما تقدرونه انتم قدر قوسين او أقل من ذلك وهو كقوله أو يزيدون وقد مر القول فيه وقال عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ رأى جبرائيل

(ع) وله ستمائة جناح اورده البخاري ومسلم في الصحيح ﴿ **فأوحى إلى عبده ما اوحى**﴾ أي فأوحى الله على لسان جبرائيل الى محمد ﷺ ما اوحى وما يحتمل ان تكون مصدرية ويحتمل ان تكون بمعنى الذي وقيل معناه فأوحى جبرائيل (ع) إلى عبد الله محمد ﷺ ما اوحى الله تعالى اليه عن الحسن والربيع وابن زيد وهو رواية عطا عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيماً فآوى إلى قوله ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾ وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الأمم حتى تدخلها امتك وقيل اوحى الله اليه سراً بسرّ وفي ذلك يقول القائل :

بَيْنَ الْمُحبِّينَ سِرٌ لَيْسَ يُفْشِيهِ قَوْلٌ وَلَا قَلَمٌ لِلْخَلْقِ يَحْكِيهِ
سِرٌّ يُمَازِجُهُ أُنْسٌ يُقَابِلُهُ نُورٌ تَحَيَّرَ في بَحْرٍ مِنَ التِّيهِ

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وهشام ما كذب بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب افتمرونه بغير الف والباقون افتمارونه وقرأ ابن كثير والشموني عن الاعمش وابي بكر ومنآئة بالمد والهمزة والباقون ومناة بغير همزة ولا مد وروي عن علي (ع) وابي هريرة وابي الدرداء وزر بن حبيش جنه المأوى بالهاء وعن ابن عباس ومجاهد واللات بتشديد التاء .

[ **الحجة** ] من قرأ كذب بتشديد الذال فمعناه ما كذب قلب محمد ﷺ ما رآه بعينه تلك الليلة بل صدّقه وحققه ومن قرأ بالتخفيف فمعناه ما كذب فؤاده فيما رأى وقال ابو علي

كذب فعل يتعدى إلى مفعول بدلالة قوله :

كَـذَبَـتْـكَ عَـيْـنُـكَ أَمْ رَأَيْـتَ بِـوَاسِطٍ غَـلَسَ الـظَّلَامِ مِـنَ الـرُّبَـابِ خِـيَـالا

ومعنى كذبتك عينك ارتك ما لا حقيقة له فعلى هذا يكون المعنى لم يكذب فؤاده ما ادركه بصره اي كانت رؤيته صحيحة غير كاذبة وإدراكاً على الحقيقة ويشبه ان يكون الذي شدد اراد هذا المعنى واكده. افتمارونه على ما يرى اي اترومون إزالته عن حقيقة ما ادركه وعلمه بمجادلتكم او اتجحدونه ما قد علمه ولم يعترض عليه فيه شك فإن معنى قوله افتمارونه اتجادلونه جدالاً تريدون به دفعه عما علمه وشاهده من الآيات الكبرى ومن قرأ افتمرونه فمعناه افتجحدونه ومناة صنم من حجارة واللات والعزى كانتا من حجارة ايضاً ولعل منائة بالمد لغة ومن قرأ جنة المأوى يعني فعله يريد جن عليه فأجنه الله والمأوى وهو الفاعل والمعنى ستره وقال الاخفش ادركه وعن ابن عباس قال كان رجل بسوق عكاظ يلتّ السويق والسمن عند صخرة فإذا باع السويق والسمن صب على الصخرة ثم يلتّ فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة إعظاماً لذلك الرجل .

[ المعنى ] ثم بين سبحانه ما رآه النبي ﷺ ليلة الأسرى وحقق رؤيته فقال ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ اي لم يكذب فؤاد محمد ما رآه بعينه فقوله ما رأى مصدر في موضع نصب لأنه مفعول كذب والمعنى أنه ما أوهمه الفؤاد أنه رأى ولم يربل صدقه الفؤاد رؤيته قال المبرد معنى الآية انه رأى شيئاً فصدق فيه قال ابن عباس رأى محمد ﷺ ربه بفؤاده وروي ذلك عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي (ع) وهذا يكون بمعنى العلم اي علمه علماً يقيناً بما رآه من الآيات الباهرات كقول ابراهيم (ع) ولكن ليطمئن قلبي وان كان عالماً قبل ذلك وقيل ان الذي رآه هو جبرائيل على صورته التي خلقه الله عليها عن ابن عباس مسعود وعائشة وقتادة وقيل ان الذي رآه هو ما رآه من ملكوت الله تعالى واجناس مقدوراته عن الحسن قال وعرج بروح محمد ﷺ الى السماء وجسده في الأرض وقال الأكثرون وهو الظاهر من مذهب اصحابنا والمشهور في اخبارهم ان الله تعالى صعد بجسمه الى السماء حياً سليماً حتى رأى ما رأى من ملكوت السماوات بعينه ولم يكن ذلك في المنام وهذا المعنى ذكرناه في سورة بني إسرائيل والفرق بين الرؤية في اليقظة وبين الرؤية في المنام ان رؤية الشيء في اليقظة هو ادراكه بالبصر على الحقيقة ورؤيته في المنام تصوره بالقلب على توهم الادراك بحاسة البصر من غير ان يكون كذلك وعن ابي العالية قال سُئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ليلة المعراج قال رأيت نهراً ورأيت وراء النهر حجاباً ورأيت وراء الحجاب نوراً لم أر غير ذلك

وروي عن أبي ذر وابي سعيد الخدري ان النبي ﷺ سُئل عن قوله ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأيت نوراً وروي ذلك عن مجاهد وعكرمة وذكر الشعبي عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس انه قال إن محمداً ﷺ رأي ربه قال الشعبي واخبرني مسروق قال سألت عائشة عن ذلك فقالت انك لتقول قولاً انه ليقف شعري منه قال مسروق قلت رويداً يا أم المؤمنين وقرأت عليها والنجم إذا هوى حتى انتهيت الى قوله قاب قوسين او ادنى فقالت رويداً أنّى يذهب بك إنما رأى جبرائيل في صورة من حدثك ان محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب والله تعالى يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ومن حدثك ان محمداً ﷺ يعلم الحس من الغيب فقد كذب والله تعالى يقول ان الله عنده علم الساعة الى آخره ومن حدثك ان محمداً ﷺ كتم شيئاً من الوحي فقد كذب والله تعالى يقول بلغ ما انزل اليك من ربك ولقد بين الله سبحانه ما رآه النبي ﷺ بياناً شافياً فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى **﴿افتمارونه﴾** اي افتجادلونه **﴿على ما يرى﴾** وذلك انهم جادلوه حين اسري به فقالوا له صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في طريق الشام وغير ذلك مما جادلوه به ومن قرأ أفتمرونه فالمعنى أفتجحدونه يقال مريت الرجل حقه إذا جحدته وقيل معناه أفتدفعونه عما يرى وعلى في موضع عن عن المبرد والمعنيان متقاربان لأن كل مجادل جاحد **﴿ولقد رآه نزلة اخرى﴾** اي رأى جبرائيل في صورته التي خلق عليها نازلاً من السماء نزلة اخرى وذلك انه رآه مرتين في صورته على ما مر ذكره **﴿عند سدرة المنتهى﴾** اي رآه محمد ﷺ وهو عند سدرة المنتهى وهي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة انتهى اليها علم كل ملك عن الكلبي ومقاتل وقيل اليها ينتهي ما يعرج إلى السماء وما يهبط من فوقها من امر الله عن ابن مسعود والضحاك وقيل اليها تنتهي ارواح الشهداء وقيل اليها ينتهي ما يهبط به من فوقها ويقبض منها واليها ينتهي ما يعرج من الأرواح ويقبض منها والمنتهى موضع الانتهاء وهذه الشجرة حيث انتهى اليه الملائكة فاضيفت اليه وقيل هي شجرة طوبى عن مقاتل والسدرة هي شجرة النبوة **﴿عندها جنة المأوى﴾** اي عند سدرة المنتهى جنة المقام وهي جنة الخلد وهي في السماء السابعة وقيل في السماء السادسة وقيل هي الجنة التي كان اوى اليها آدم وتصير اليها ارواح الشهداء عن الجبائي وقتادة وقيل هي التي يصير اليها اهل الجنة عن الحسن وقيل هي التي يأوي اليها جبرائيل والملائكة عن عطا عن ابن عباس **﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾** قيل يغشاها الملائكة امثال الغربان حين يقعن على الشجر عن الحسن ومقاتل وروي أن النبي ﷺ قال رأيت على كل ورقة من اوراقها ملكاً قائماً يسبح الله تعالى وقيل يغشاها من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى عن الحسن وقيل

يغشاها فراش من ذهب عن ابن عباس ومجاهد وكأنها ملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى والمعنى انه رأى جبرائيل (ع) على ما صورته في الحال التي يغشى فيها السدرة من امر الله ومن العجائب المنبهة على كمال قدرة الله تعالى ما يغشاها وإنما ابهم الأمر فيما يغشى لتعظيم ذلك وتفخيمه كما قال **﴿فأوحى الى عبده ما أوحى﴾** وقوله ما يغشى ابلغ لفظ في هذا المعنى **﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾** اي ما زاغ بصر محمد ﷺ ولم يمل يميناً ولا شمالاً وما طغى اي ما جاوزالقصد ولا الحد الذي حدد له وهذا وصف ادبه صلوات الله عليه وآله في ذلك المقام إذا لم يلتفت جانباً ولم يمل بصره ولم يمده امامه الى حيث ينتهي **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾** وهي الآيات العظام التي رآها تلك الليلة مثل سدرة المنتهى وصورة جبرائيل (ع) ورؤيته وله ستمائة جناح قد سدّ الأفق بأجنحته عن مقاتل وابن زيد والجبائي ومن للتبعيض اي رأى بعض آيات ربه وقيل انه رأى رفرفاً اخضر من رفارف الجنة قد سد الأفق عن ابن مسعود وقيل انه قد رأى ربع بقلبه عن ابن عباس فعلى هذا فيمكن ان يكون المراد انه رأى من الآيات ما ازداد به يقيناً الى يقينه والكبرى تأنيث الأكبر وهو الذي يصغر مقدار غيره عنده في معنى صفته ولما قصَّ الله سبحانه هذه الأقاصيص عقبها سبحانه بأن خاطب المشركين فقال **﴿افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾** اي اخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله وتعبدون معها الملائكة وتزعمون ان الملائكة بنات الله وقيل معناه افرأيتم ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله لأنه كان منهم من يقول إنما نعبد هؤلاء لأنهم بنات الله عن الجبائي وقيل انهم زعموا ان الملائكة بنات الله وصوروا اصنامهم على صورهم وعبدوها من دون الله واشتقوا لها اسماء من اسماء الله فقالوا اللات من الله والعزى من العزيز وكان الكسائي يختار الوقف على اللات بالتاء لإتباع المصحف لأنها كتبت بالتاء والعزى تأنيث الأعز وهي بمعنى العزيزة وقيل ان اللات صنم كانت ثقيف تعبده والعزى صنم ايضاً عن الحسن وقتادة وقيل انها كانت شجرة سمرة عظيمة لغطفان يعبدونها فبعث اليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها وقال:

يَا عُزَّ كَفْرَانَكِ لا سُبْحَانَكِ    إنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكِ

عن مجاهد وقال قتادة كانت مناة صنما بقديد بين مكة والمدينة وقال الضحاك والكلبي كانت لهذيل وخزاعة يعبدها اهل مكة وقيل ان اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في الكعبة يعبدونها والثالثة نعت لمناة والأخرى نعت لها أيضاً ومعنى الآية اخبروني عن هذه الاصنام هل ضرت أو نفعت أو فعلت ما يوجب ان تعدل بالله فحذف لدلالة الكلام عليه .

﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ
ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى
ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٢٣ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ
مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥ * وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ
لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ
إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۝٢٨ فَأَعْرِضْ
عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ
مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۝٣٠

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير غير ابن فليح[١] ضئزى بالهمز والباقون بغير همز .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قوله تلك إذا قسمة ضيزى أي ما نسبتموه إلى الله سبحانه من اتخاذ البنات قسمة جائرة وقولهم قسمة ضيزى ومشية حيكى حمله النحويون على انه في الأصل فعلى بالضم وان كان اللفظ على فعلى كما ان البيوت والعصى في الأصل فعول وان كانت الفاء مكسورة وإنما حملوها على انها فعلى لأنهم لم يجدوا شيئاً من الصفات على

(١) وفي المخطوطة : الخمس .

فعلى كما وجدوا الفُعلى والفَعلى وقال ابو عبيدة ضزته حقه وضزته اضوزه اي نقصته ومنعته فمن جعل العين منه واواً فالقياس ان يقول ضوزى وقد حكي ذلك فأما من جعله ياء من قولك ضزته فكان القياس أيضاً ان يقول ضوزى ولا يحتفل بانقلاب الياء إلى الواو لأن ذلك إنما ذكره في بيض وعين جمع بيضاء وعيناء لقربة من الطرف وقد بعد من الطرف هاهنا بحرف التأنيث وليست هذه العلامة في تقدير الانفصال كالتاء فكان القياس ان لا يحفل بانقلابها إلى الواو .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه منكراً على كفار قريش قولهم الملائكة بنات الله والاصنام كذلك ﴿**الكم الذكر وله الأنثى**﴾ اي كيف يكون ذلك كذلك وانتم لو خيرتم لاخترتم الذكر على الأنثى فكيف اضفتم اليه تعالى ما لا ترضونه لأنفسكم ﴿**تلك إذاً قسمة ضيزى**﴾ اي جائرة غير معتدلة بمعنى ان القسمة التي قسمتم من نسبة الأناث إلى الله تعالى وايثاركم بالبنين قسمة غير عادلة ﴿**ان هي إلا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم**﴾ أي ليس تسميتكم لهذه الأصنام بأنها آلهة وانها بنات الله إلا اسامي لا معاني تحتها لأنه لا ضر عندها ولا نفع فهي تسميات القيت على جمادات ﴿**ما أنزل الله بها من سلطان**﴾ اي لم ينزل الله كتاباً لكم فيه حجة بما تقولونه عن مقاتل ثم رجع إلى الاخبار عنهم بعد المخاطبة فقال ﴿**إن يتبعون إلا الظن**﴾ الذي ليس بعلم ﴿**وما تهوى الأنفس**﴾ أي وما تميل اليه نفوسهم ﴿**ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾ أي البيان والرشاد بالكتاب والرسول عجب سبحانه من حالهم حيث لم يتركوا عبادتها مع وضوح البيان ثم انكر عليهم تمنيهم شفاعة الأوثان فقال لهم ﴿**أم للانسان**﴾ اي للكافر ﴿**ما تمنى**﴾ من شفاعة الاصنام ﴿**فلله الآخرة والاولى**﴾ فلا يملك فيهما أحد شيئاً إلا بإذنه وقيل معناه بل للانسان ما تمنى من غير جزاء لا ليس الأمر كذلك لأن لله الآخرة والأولى يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وقيل معناه ليس للانسان ما تمنى من نعيم الدنيا والآخرة بل يفعله الله تعالى بحسب المصلحة ويعطي الآخرة للمؤمنين دون الكافرين عن الجبائي وهذا هو الوجه الأوجه لأنه اعم فيدخل تحته الجميع ثم أكد ذلك بقوله ﴿**وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً**﴾ جمع الكنايةلأن المراد بقوله وكم من ملك الكثرة ﴿**إلا من بعد أن يأذن الله**﴾ لهم في الشفاعة ﴿**لمن يشاء ويرضى**﴾ لهم ان يشفعوا فيه أي من اهل الإيمان والتوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه كما قال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ثم ذم سبحانه مقالتهم فقال ﴿**ان الذين لا يؤمنون بالآخرة**﴾ أي

لا يصدقون بالبعث والثواب والعقاب ﴿ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ حين زعموا انهم بنات الله ﴿وما لهم به﴾ اي بذلك التسمية ﴿من علم﴾ أي ما يستيقنون أنهم اناث وليسوا عالمين[١] ﴿ان يتبعون إلا الظن﴾ الذي يجوز أن يخطىء ويصيب في قولهم ذلك ﴿وان الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ الحق هنا معناه العلم اي الظن لا يغني عن العلم شيئاً ولا يقوم مقام العلم ثم خاطب نبيه ﷺ فقال ﴿فأعرض﴾ يا محمد ﴿عن من تولى عن ذكرنا﴾ ولم يقر بتوحيدنا ﴿ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ فمال إلى الدنيا ومنافعها أي لا تقابلهم على افعالهم واحتملهم ولا تدع مع هذا وعظمهم ودعاءهم إلى الحق ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ اي الاعراض عن التدبر في أمور الآخرة وصرف الهمة إلى التمتع باللذات العاجلة منتهى علمهم وهو مبلغ خسيس لا يرضى به لنفسه عاقل لأنه من طباع البهائم ان يأكل في الحال ولا ينتظر العواقب وفي الدعاء اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ﴿ان ربك﴾ يا محمد ﴿هو اعلم﴾ منك ومن جميع الخلق ﴿بمن ضل عن سبيله﴾ اي بمن جار وعدل عن سبيل الحق الذي هو سبيله ﴿وهو اعلم بمن اهتدى﴾ اليها فيجازي كلا منهم على حسب اعمالهم .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

(١) وفي نسخة : عالمين بذلك .

أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾

[ **اللغة** ] قال الفراء اللمم ان يفعل الإنسان الشيء في الحين ولا يكون له عادة ومنه المام الخيال والإلمام الزيارة التي لا تمتد وكذلك اللمام قال امية :

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمّاً وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا

وقد روي ان النبي ﷺ كان ينشدهما ويقولهما اي لم يلم بمعصية وقال أعشى باهلة :

تَكْفِيهِ حُزَّةُ فِلْذانٍ أَلَمَّ بِها مِنَ الشَّواءِ وَيَرْوي شُرْبَهُ الْغُمَرُ(١)

أجنة جمع جنين قال رؤبة «أَجِنَّةٌ في مُسْتَكِنَّاتِ الْحَلَقِ»(٢) وقال عمرو بن كلثوم :

وَلا شَمْطَاءُ لَمْ يَتْرُكْ شَقاها لَها مِنْ تِسْعَةٍ إلَّا جَنِينا(٣)

اي دفيناً في قبره واكدى اي قطع العطاء كما تقطع البئر الماء واشتقاقه من كدية الركية وهي صلابة تمنع الماء إذا بلغ الحافر اليها يئس من الماء فيقال اكدى إذا بلغ الكُدية ويقال كديت أصابعه إذا كلت فلم تعمل شيئاً وكديت أظفاره إذا غلظت وكدى النبت إذا قل ريعه والاصل واحد فيها :

[ **الاعراب** ] إلا اللمم منصوب على الاستثناء من الأثم والفواحش لأن اللمم دونهما الا انه منهما. إذ أنشأكم العامل في إذ قوله اعلم بكم في بطون امهاتكم يجوز ان يتعلق بنفس اجنة وتقديره إذ انتم مستترون في بطون امهاتكم ويجوز ان يتعلق بمحذوف فيكون صفة لأجنة وقوله الا تزر وازرة وزر أخرى تقديره أنه لا تزر وهو في موضع جر بدلاً من قوله ما في صحف موسى وما اسم موصول .

[ **النزول** ] نزلت الآيات السبع أفرأيت الذي تولى في عثمان بن عفان كان يتصدق وينفق ماله فقال له اخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن ابي سرح ما هذا الذي تصنع يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوباً وإني اطلب بما اصنع رضى الله وارجو

---

(١) الحُزَّة: القطعة من اللحم والفلذان جمع الفلذة وهي قطعة الكبد. والغمر: القدح الصغير.

(٢) مستكنات الحلق اي بواطن الرحم.

(٣) الشمطاء: التي خالط بياض رأسها سواد.

عفوه فقال له عبد الله اعطني ناقتك وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه وأشهد عليه وامسك عن الصدقة فنزلت أفرأيت الذي تولى اي يوم احد حين ترك المركز واعطى قليلاً ثم قطع نفقته إلى قوله وان سعيه سوف يرى فعاد عثمان إلى ما كان عليه عن ابن عباس والسدّي والكلبي وجماعة من المفسرين وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت انهم في النار قال اني خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه ان هو اعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه تمام ما ضمن له فنزلت أفرأيت الذي تولى عن الإيمان واعطى صاحبه الضامن قليلاً واكدى اي بخل بالباقي عن مجاهد وابن زيد وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه ربما كان يوافق رسول الله ﷺ في بعض الأمور عن السدي وقيل نزلت في رجل قال لأهله جهزوني حتى انطلق إلى هذا الرجل يريد النبي ﷺ فتجهز وخرج فلقيه رجل من الكفار فقال له اين تريد فقال محمداً لعلي اصيب من خيره قال له الرجل اعطني جهازك واحمل عنك اثمك عن عطاء بن يسار وقيل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله اعطى قليلاً واكدى اي لم يؤمن به عن محمد بن كعب القرظي .

[ **المعنى** ] ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته وسعة ملكه فقال **﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾** وهذا اعتراض بين الآية الاولى وبين قوله **﴿ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا﴾** واللام في ليجزي تتعلق بمعنى الآية الاولى لأنه إذا كان اعلم بهم جازى كلا منهم بما يستحقه وذلك لام العاقبة وذلك ان علمه بالفريقين أدى إلى جزائهم باستحقاقهم وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك ولذلك اخبر به في قوله ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي في الآخرة الذين أساؤوا أي أشركوا بما عملوا من الشرك **﴿ويجزي الذين احسنوا﴾** اي وحدوا ربهم **﴿بالحسنى﴾** اي بالجنة وقيل ان اللام في ليجزي يتعلق بما في قوله ولله ما في السموات وما في الارض لأن المعنى في ذلك انه خلقهم ليتعبدهم[1] فمنهم المحسن ومنهم المسيء وإنما كلفهم ليجزي كلا منهم بعلمه[2] عمله فتكون اللام للغرض ثم وصف سبحانه الذين احسنوا فقال **﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم﴾** اي عظائم الذنوب **﴿والفواحش﴾** جمع فاحشة وهي اقبح الذنوب وافحشها وقد بينا اختلاف الناس في الكبائر في سورة النساء وقد قيل ان الكبيرة كل ذنب ختم بالنار والفاحشة كل ذنب

---

(١) وفي نسخة : ليستعبدهم .
(٢) ليس في النسخ لفظة بعلمه.

فيه الحد ومن قرأ كبير الأثم فلأنه يضاف الى واحد في اللفظ وإن كان يراد به الكثرة **﴿الا اللمم﴾** اختلف في معناه فقيل هو صغار الذنوب كالنظر والقبلة وما كان دون الـزنا عن ابن مسعود وابي هريرة والشعبي وقيل هو ما الّموا به في الجـاهلية من الأثم فهـو معفو عنـه في الإسلام عن زيد بن ثابت وعلى هذا فيكون الاستثناء منقطعاً وقيل هو ان يلم بالذنب مرة ثم يتوب ولا يعود عن الحسن والسدي وهو اختيار الزجاج لأنه قال اللمم هو ان يكون الإنسان قد الم بالمعصية ولم يقم على ذلك ويدل على ذلك قوله **﴿ان ربك واسع المغفرة﴾** قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب ومعناه ان رحمته تسع[1] جميع الذنوب لا تضيق عنه وتم الكلام هنا ثم قال **﴿هو اعلم بكم﴾** يعني قبل ان خلقكم **﴿إذ أنشأكم من الأرض﴾** اي انشأ اباكم آدم من اديم الأرض وقـال البلخي يجوز ان يكـون المراد بـه جميع الخلق اي خلقكم من الأرض عند تناول الأغذية المخصوصة التي خلقها من الأرض واجرى العادة بخلق الأشياء عند ضرب من تركيبها فكأنه سبحانه انشأهم منها **﴿وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾** أي في وقت كونكم اجنة في الأرحام اي علم من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صـائرة عن الحسن وقيل معناه انه سبحانه علم ضعفكم وميل طبـاعكم إلى اللمم وعلم حين كنتم في الارحام ما تفعلون إذا خرجتم وإذا علم ذلك منكم قبل وجوده فكيف لا يعلم ما حصل منكم **﴿فلا تزكوا انفسكم﴾** اي لا تعظموها ولا تمدحوها بما ليس لها فاني اعلم بها وقيل معناه لا تزكوها بما فيها من الخير ليكون اقرب إلى النسك والخشوع وابعد من الرياء **﴿هو اعلم بمن اتقى﴾** اي اتقى الشرك والكبائر وقيل هو اعلم بمن بر واطاع واخلص العمل **﴿أفرأيت الذي تولى﴾** اي ادبر عن الحق **﴿واعطى قليلاً واكدى﴾** أي امسك عن العطية وقـطع عن الفراء وقيل منع منعاً شديداً عن المبرد **﴿اعنده علم الغيب﴾** اي ما غاب عنه من أمر العذاب **﴿فهو يرى﴾** اي يعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه **﴿ام لم ينبأ بما في صحف موسى﴾**اي بل ألم يخبر ولم يحدث بما في اسفار التوراة**﴿وإبراهيم﴾**أي وفي صحف ابـراهيم **﴿الذي وفّى﴾** اي تمم واكمل ما أمر به وقيل بلغ قومه وادى ما أمر به اليهم وقيل أكمل ما أوجب الله عليه من كل ما أمر وامتحن به ثم بين ما في صحفهما فقال **﴿الا تزر وازرة وزر اخرى﴾** أي لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى والمعنى لا تؤخذ نفس باثم غيرها **﴿وان ليس للانسان إلا ما سعى﴾** عطف على قوله الا تزر وهذا ايضاً مـا في صحف إبراهيم ومـوسى اي ليس له من الجزاء الا جزاء ما عمله دون ما عمله غيره ومتى دعا غيره إلى الإيمان فأجابه اليه فهو محمود

---

(١) وفي المخطوطة: واسعة تسع.

على ذلك على طريق التبع وكأنه من اجل عمله صار له الحمد على هذا ولو لم يعمل شيئاً لما استحق جزاء لا ثواباً ولا عقاباً(١) عن ابن عباس في رواية الوالبي قال ان هذا منسوخ الحكم في شريعتنا لأنه سبحانه يقول الحقنا بهم ذرياتهم رفع درجة الذرية وان لم يستحقوها بأعمالهم ونحو هذا قال عكرمة ان ذلك لقوم إبراهيم وموسى فأما هذه الأمة فلهم ما سعى غيرهم نيابة عنهم ومن قال انه غير منسوخ الحكم قال الآية تدل على منع النيابة في الطاعات إلا ما قام عليه الدليل كالحج وهو ان امرأة قالت يا رسول الله ان ابي لم يحج قال فحجي عنه **﴿وان سعيه سوف يرى﴾** يعني ان ما يفعله الإنسان ويسعى فيه لابد ان يرى فيما بعد بمعنى انه يجازي عليه وبين ذلك بقوله **﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾** اي يجازي على الطاعات بأوفى ما يستحقه من الثواب الدائم والهاء في يجزاه عائدة إلى السعي والمعنى انه يرى العبد سعيه يوم القيامة ثم يجزى سعيه اوفى الجزاء .

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ
وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ
إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ
وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا
ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ
كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا
غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ
ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾

(١) وفي نسخة : وعن ابن عباس .

أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾
وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾ ۩

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة والبصرة غير سهل عادَلُّولىٰ مدغمة غير منونة ولا مهموزة إلا في رواية قالون عن نافع فإنه روي عنه عاد لُؤلى مهموزة ساكنة وقرأ الباقون عاداً الأولى منونة مهموزة غير مدغمة وقرأ عاصم وحمزة ويعقوب وثمود فما أبقى بغير تنوين والباقون وثموداً بالتنوين .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قال أبو عثمان أساء عندي أبو عمرو في قراءته لأنه أدغم النون في لام المعرفة واللام إنما تحركت بحركة الهمزة وليست بحركة لازمة والدليل على ذلك أنك تقول الحَمَر فإذا طرحت حركة الهمزة على اللام لم يحذف ألف الوصل لأنها ليست بحركة لازمة قال أبو عثمان ولكن كان أبو الحسن روى عن بعض العرب أنه كان يقول هذا لَحمر قد جاء فيحذف ألف الوصل لحركة اللام وقال أبو علي القول في عادا الأولى أن من حقق الهمزة في الأولى سكن لام المعرفة وإذا سكنت لام المعرفة والتنوين من قولك عاداً المنصوب ساكنٌ التقى ساكنان النون في عاداً ولام المعرفةفحركت التنوين بالكسرلالتقاء الساكنين أن يحذفه هنا قول من لم يدغم وقياس قول من قال أحد الله فحذف التنوين لإلتقاء الساكنين أن يحذفه هنا أيضاً كما حذفه في أحد الله وكما حذفه في قوله ﴿ ولا ذاكراً لله﴾ إلا أن ذا لا يدخل في القراءة وإن كان قياساًوجاء في الشعر كثيراً وجاء في بعض القراءة ويجوز في قول من خفف الهمزة من الأولى على قول من قال الحَمر فلم يحذف الهمزة التي للوصل أن يحرك التنوين فيقول عادنِ الولى[1] كما يقول ذلك إذا حقق الهمزة لأن اللام على هذا في تقدير السكون فكما تكسر التنوين لإلتقاء الساكنين كذا تكسره في هذا القول لأن التنوين في تقدير الإلتقاء مع الساكن ومن حرك لام المعرفة وحذف همزة الوصل فقياسه أن يسكن النون من عادنِ فيقول عادن لولى لأن اللام[2] ليس في تقدير السكون كما كان في الوجه الأول كذلك ألا ترى أنه حذف همزة الوصل فإذا كان كذلك ترك النون على سكونها كما تتركه في نحو عاد ذاهب فأما قول أبي عمرو عاد لولى فإنه لما خفف الهمزة التي هي منقلبة عن الفاء لاجتماع الواوين أولا ألقى حركتها على اللام الساكنة وقبل اللام نون ساكنة فأدغمها في اللام كما يدغمها في الراء في نحو من رّاشد وذلك بعد أن يقلبها لاما أو راءاً فإذا ادغمها فيها صار عاد

(١) وفي نسختين : عادن لولى .

(٢) وفيهما : لأن اللام الان .

لّولى وخرج عن الاساءة التي نسبها إليه أبو عثمان من وجهين ( أحدهما ) أن يكون تخفيف الهمزة من قوله الأولى على قول من قال لَحْمَر كأنه يقول في التخفيف للهمزة قبل الادغام لولى فخرجت اللام من حكم السكون بدلالة حذف همزة الوصل معه فحسن الإدغام فيه ( والوجه الآخر ) أن يكون أدغم على قول من قال الـوُلى الحَمَر فلم يحـذف الهمزة التي للوصل مع القاء الحركة على لام المعرفة لأنه في تقدير السكون فلا يمتنع أن يدغم فيه كما لا يمتنع أن يدغم في نحو رد وفر وعض وإن كانت لاماتهن سواكن وتحركها للإدغام كما تحركت السواكن التي ذكرنا للإدغام وأما ما روي عن نافع من أنه همز فقال عاد لؤلى فإنه كما روي عن ابن كثير من قوله على سؤقه فوجهه أن الضمة لقربها من الواو وأنه لم يحجز بينهما شيء صارت كأنها عليها فهمزها كما تهمز الواوات إذا كانت مضمومة نحو ادؤر والغوؤر وهذه لغة قد رويت وحكيت وإن لم تكن بتلك الفاشية .

[ **اللغة** ] المنى التقدير يقال منى يمني فهو مان قال الشاعر « حتى تبين ما يمني لـك الماني » ومنه المنية لأنها المقدرة والنشأة الصنعة المخترعة خلاف المشيئة واقنى من القنية وهي أصل المال وما يقتنى والإقتناء جعل الشيء للنفس على الدوام ومنه القناة لأنها مما تقتنى والشعرى النجم الذي خلف الجوزاء وهو أحد كوكبي ذراع الأسد وقسم[1] المرزم وكانوا يعبدونها في الجاهلية والمؤتفكة المنقلبة وهي التي صار أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها ائتفكت بهم تأتفك ائتفاكاً ومنه الإفك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهته وأهوى أي أنزل بها في الهواء ومنه أهوى بيده ليأخذ كذا وهوى يهوى نزل في الهوى[2] فأما إذا نزل في سلم أو درج فلا يقال أهوى ولا هوى وأزفت الآزفة أي دنت الدانية قال النابغة :

أزِفَ التَـرَّحُّـلُ غَيْـرَ أنَّ رِكَـابَـنَـا ... لَمَّـا تَـزُلْ بِـرِحَـالِنَـا وَكَـأَنْ قَـدِ

وقال كعب بن زهير :

بَانَ الشَّبَـابُ وَأَمْسَى الشَّيبُ قَدْ أزِفَا ... وَلاَ أرى لِشَبَابٍ ذَاهِبٍ خَلَفَا

والسمود اللهو والسامد اللاهي يقال سمد يسمُد قال :

رَمَى الْحَـدَثَـانُ نِسْـوَةَ آلِ حِـرْبٍ ... بِمِـقْـدَارٍ سَـمَـدْنَ لَـهُ سُمُـودا
فَـرَدَّ شُـعُـورَهُنَّ الـسُّـودَ بِـيضـاً ... وَرَدَّ وُجُـوهَـهُـنَّ الـبِـيضَ سُـودا

(١) في سائر النسخ : فم المرزم .

(٢) وفي نسختين الهواء.

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿ **وإن إلى ربك المنتهى** ﴾ يعني وإن إلى ثواب ربك وعقابه آخر الأمر والمنتهى والآخر واحد وهو المصير إلى حيث ينقطع العمل عنده ﴿ **وأنه هو أضحك وأبكى** ﴾ أي فعل سبب الضحك والبكاء من السرور والحزن كما يقال أضحكني فلان وأبكاني عن عطاء والجبائي وقيل أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار عن مجاهد والضحك والبكاء من فعل الإنسان قال الله تعالى ﴿ **فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً** ﴾ وقال تعجبون وتضحكون فنسب الضحك إليهم وقال الحسن أن الله سبحانه هو الخالق للضحك والبكاء والضحك تفتح أسرار الوجه عن سرور وعجب في القلب فإذا هجم على الإنسان منه ما لا يمكنه دفعه فهو من فعل الله والبكاء جريان الدمع على الخد عن غمّ في القلب وربما كان عن فرح يمازجه تذكر حزن فكأنه عن رقة في القلب وقيل معنى الآية أضحك الأشجار بالأنوار وأبكى السحاب بالأمطار وقيل أضحك المطيع بالرحمة وأبكى العاصي بالسخطة ﴿ **وأنه هو أمات وأحيا** ﴾ أي خلق الموت فأمات به الأحياء لا يقدر على ذلك غيره لأنه لو قدر على الموت لقدر على الحياة فإن القادر على الشيء قادر على ضده ولا يقدر أحد على الحياة إلا الله تعالى وخلق الحياة التي يحيا بها الحيوان فأمات الخلق في الدنيا وأحياهم في العقبى للجزاء ﴿ **وأنه خلق الزوجين** ﴾ أي الصنفين ﴿ **الذكر والأنثى** ﴾ من كل حيوان ﴿ **من نطفة إذا تمنى** ﴾ أي إذا خرجت منهما وتنصب في الرحم والنطفة ماء الرجل والمرأة التي يخلق منها الولد عن عطاء والضحاك والجبائي وقيل تمنى أي تقدر وهو أصله فالمعنى تلقى على تقدير في رحم الأنثى ﴿ **وإن عليه النشأة الأخرى** ﴾ أي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة يعني عليه أن يبعث الناس إحياء للجزاء فإن قيل إن لفظة على كلمة إيجاب فكيف يجب على الله سبحانه ذلك فالجواب أنه سبحانه إذا كلف الخلق فقد ضمن الثواب فإذا فعل فيهم الآلام فقد ضمن العوض فإذا لم يعوض في الدنيا وخلى بين المظلوم والظالم فلا بد من دارٍ أخرى يقع فيها الجزاء والإنصاف والانتصاف وقد وعد سبحانه بذلك فيجب الوفاء به ﴿ **وأنه هو أغنى وأقنى** ﴾ أي أغنى الناس بالأموال وإعطاء القنية وأصول المال وما يدّخرونه بعد الكفاية عن أبي صالح وقيل أقنى أي أخدم عن الحسن ومجاهد وقتادة وقيل أغنى مؤل وأقنى أرضى بما أعطى عن ابن عباس وقيل أغنى بالقناعة وأقنى بالرضا عن سفيان وقيل أغنى بالكفاية وأقنى بالزيادة وقيل أغنى من شاء وأقنى أي أفقر وحرم من شاء عن ابن زيد ﴿ **وأنه هو رب الشعرى** ﴾ أي خالق الشعرى ومخترعها ومالكها أي فلا تتخذوا المربوب المملوك إلّهاً وقيل إن خزاعة كانت تعبدها وأول من عبدها أبو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته وكان المشركون يسمونه ﷺ ابن أبي

كبشة لمخالفته إياهم في الدين كما خالف أبو كبشة غيره في عبادة الشعرى ﴿ **وأنه أهلك عاداً الأولى** ﴾ وهو عاد بن أرم وهم قوم هود أهلكهم الله بريح صرصر عاتية وكان لهم عقب فكانوا عاداً الأخرى قال ابن إسحاق أهلكوا ببغي بعضهم على بعض فتفانوا بالقتل ﴿ **وثمود** ﴾ أي وأهلك ثمود ﴿ **فما أبقى** ﴾ ولا يجوز أن يكون منصوباً بأبقى لأن ما لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا يقال زيداً ما ضربت لأنها تجري مجرى الإستفهام في أن لها صدر الكلام وإنما فتحت أن في هذه المواضع كلها لأن جميعها في صحف إبراهيم وموسى فكأنه قال أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى وبأنه كذا وكذا ﴿ **وقوم نوح من قبل** ﴾ أي وأهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود ﴿ **أنهم كانوا هم أظلم وأطغى** ﴾ من غيرهم لطول دعوة نوح وعتوهم على الله في الكفر والتكذيب ﴿ **والمؤتفكة** ﴾ يعني قرى قوم لوط المخسوفة ﴿ **أهوى** ﴾ أي أسقط أهواها جبرائيل بعد أن رفعها واتبعهم الله بالحجاةر وذلك قوله ﴿**فغشاها ما غشى** ﴾ أي ألبسها من العذاب ما ألبس يعني الحجارة المسومة التي رموا بها من السماء عن قتادة وابن زيد وقيل أنه تفخيم لشأن العذاب الذي نالها من جهة أبهامه في قوله ﴿ **ما غشى** ﴾ فكأنه قال قد حل بهم من العذاب والتنكيل ما يجل عن البيان والتفصيل ﴿ **فبأي آلاء ربك تتمارى** ﴾ أي بأي نعم ربك ترتاب وتشك أيها الإنسان فيما أولاك أو فيما كفاك عن قتادة وقيل لما عد الله سبحانه ما فعله مما يدل على وحدانيته قال فبأي نعم ربك التي تدل على وحدانيته تتشكك وإنما ذكّره بالنعم بعد تعديد النقم لأن النقم التي عددت هي نعم علينا لما لنا فيها من اللطف في الانزجار عن القبيح إذ نالهم تلك النقم بكفرانهم النعم ﴿ **هذا نذير من النذر الأولى** ﴾ أشار إلى رسول الله ﷺ عن قتادة والنذر الأولى الرسل قبله وقيل هو إشارة إلى القرآن والنذر الأولى صحف إبراهيم وموسى عن أبي مالك وقيل معناه هذه الأخبار التي أخبر بها عن إهلاك الأمم الأولى نذير لكم عن الجبائي ﴿ **أزفت الآزفة** ﴾ أي دنت القيامة واقتربت الساعة وإنما سميت القيامة أزفة أي دانية لأن كل ما هو آت قريب ﴿ **ليس لها من دون الله كاشفة** ﴾ أي إذا غشيت الخلق شدائدها وأهوالها لم يكشف عنهم أحد ولم يردّها عن عطاء والضحاك وقتادة وتأنيث كاشفة على تقدير نفس كاشفة أو جماعة كاشفة ويجوز أن يكون مصدراً كالعافية والعاقبة والواقية والخائنة فيكون المعنى ليس لها من دون الله كشف أي لا يكشف عنها غيره ولا يظهرها سواه كقوله ﴿ **لا يجليها لوقتها** ﴾ إلا هو ﴿ **أفمن هذا الحديث** ﴾ يعني بالحديث ما قدم من الإخبار عن الصادق ( ع ) وقيل معناه أفمن هذا القرآن ونزوله من عند الله على محمد ﷺ وكونه معجزاً ﴿ **تعجبون** ﴾ أيها المشركون ﴿ **وتضحكون** ﴾ إستهزاء ﴿ **ولا**

**تبكون** ﴾ إنزجاراً لما فيه من الوعيد ﴿ **وأنتم سامدون** ﴾ أي غافلون لاهون معرضون عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الغناء كانوا إذا سمعوا القرآن عـارضوه بـالغناء ليشغلوا النـاس عن استماعه عن عكرمة ﴿ **فاسجدوا لله واعبدوا** ﴾ أمرهم سبحانه بالسجود له والعبادة خـالصاً مخلصاً وفي الآية دلالة على أن السجود هاهنا واجب على ما ذهب إليه أصحابنا لأن ظاهر الأمر يقتضي الوجوب .

# (٥٤) سورة القمر مكية وآياتها خمس وخمسون

وهي خمس وخمسون آية بالإجماع .

[ فضلها ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة اقتربت الساعة في كل غب بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن قرأها كل ليلة كان أفضل وجاء يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق وروى يزيد بن خليفة عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ سورة اقتربت الساعة أخرجه الله من قبره على ناقة من نوق الجنة .

[ تفسيرها ] ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر أزوف الآزفة وافتتح هذه السورة بمثله فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ

عَسِرٌ ﴿٨﴾ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وكل أمر مستقر بالجر والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير ونافع يوم يدع الداع بغير ياء ومهطعين إلى الداعي بياء في الوصل وروي عن ورش يوم يدع الداعي بياء في الوصل وقرأهما أبو جعفر وأبو عمرو بإثبات الياء في الوصل والباقون بغير ياء في وصل ولا وقف وقد تقدم القول في هذا النحو وقرأ ابن كثير إلى شيء نكر بالتخفيف والباقون نكر بضمتين وقرأ أهل العراق غير عاصم خاشعاً أبصارهم والباقون خشعاً وفي الشواذ قراءة حذيفة وقد إنشق القمر وقراءة مجاهد والجحدري وأبي قلابة إلى شيء نكر .

[ **الحجة** ] من قرأ مستقر بالجر جعله صفة لأمر ومن قرأه بالرفع جعله خبراً لكل أمر وأما قراءة نكر فإنه على فُعُل وهو أحد الحروف التي جاءت صفة على هذه الزنة ومثله ناقة أُجد ومشية سجُحُ صفة قال :

دَعُوا التَّحَاجُزَ وَامْشُوا مَشْيَةً سُجُحاً إِنَّ الرِّجَالَ ذَوُو عَضْبٍ وَتَذْكِيرٍ[١]

ومن قرأ نكر خففه مثل رسل وكتب والضمة في تقدير الثبات ومن قرأ خاشعاً أبصارهم فإنه كما لم يلحق علامة التأنيث لم يجمع وحسن أن لا يؤنث لأن التأنيث ليس بحقيقي ومن قال خشعاً فقد أثبت ما يدل على الجمع وهو على لفظ الأفراد ودل لفظ الجمع على لفظ ما يدل عليه التأنيث الذي ثبت في نحو قوله في الآية الأخرى ﴿ **خاشعة أبصارهم وخشعت الأصوات للرحمن** ﴾ قال الزجاج ولك في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد نحو قوله ﴿ **خاشعاً أبصارهم** ﴾ ولك التوحيد والتأنيث نحو خاشعة أبصارهم ولك الجمع نحو خشعاً أبصارهم تقول مررت بشباب حسن أوجههم وحسان وجوههم وحسنة أوجههم قال :

وَشَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ مِنْ أَيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍّ

قال ابن جني قراءة حذيفة وقد انشق القمر يجري مجرى الموافقة على إسقاط العذر ورفع التشكك أي قد كان انشقاق القمر متوقعاً دلالة على قرب الساعة فإذا كان قد انشق

---

(١) التحاجز : التمانع والسَّجَع : اللين السهل والعضب : السيف القاطع وذكّر الفاس وغيره جعل على رأسه القطعة من الفولاذ .

وانشقاقه من أشراطها وقد يوكد الأمر في قرب وقوعها وذلك أنّ قد إنما هو جواب وقوع أمر كان متوقعاً .

[ اللغة ] في إقتربت زيادة مبالغة على قرب كما أن في اقتدر زيادة مبالغة على قدر لأن أصلّ افتعل اعداد المعنى بالمبالغة نحو اشتوى إذا اتخذ شواء بالمبالغة في أعداده والأهواء جمع الهوى وهو رقة القلب بميل الطباع كرقة هواء الجو يقال هوي يهوى هوىً فهو هوٍ إذا مال طبعه إلى الشيء والمزدجر المتعظ مفتعل من الزجر إلا أن التاء أبدلت دالاً لتوافق الزاي بالجهر ويقال أنكرت الشيء فهو منكر ونكرته فهو منكور وقد جمع الأعشى بين اللغتين فقال :

وَأنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ مِنَ الْحَوَادِثِ إلاَّ الشَّيبَ وَالصَّلَعا(١)

والنكر والمنكر الشيء الذي تأباه النفس ولا تقبله من جهة نفور الطبع عنه وأصله من الإنكار الذي هو نقيض الإقرار والإجداث القبور جمع جدث والجدف بالفاء لغة فيه والإهطاع الإسراع في المشي .

[ الإعراب ] فما تُغني النذريجوز أن يكون ما للجحد فيكون حرفاً ويجوز أن يكون إستفهاماً فيكون إسماً والتقدير في الأول فلا تغني النذر وفي الثاني فأي شيء تغني النذر قال الزجاج قوله فتولَّ عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر وقف التمام فتول عنهم ويوم منصوب بقوله ﴿ **يخرجون من الأجداث** ﴾ وأما حذف الواو من يدعو في الكتاب فلأنها تحذف في اللفظ لالتقاء الساكنين فأجريت في الكتاب على ما يلفظ بها وأما الداعي فإثبات الياء فيه أجود ويجوز حذفها لأن الكسرة تدل عليها وقوله ﴿ **خشعاً أبصارهم** ﴾ منصوب على الحال من الواو في يخرجون وفيه تقديم وتأخير تقديره يخرجون خشعاً أبصارهم من الأجداث وإن شئت كان حالاً من الضمير المجرور في قوله فتول عنهم ومهطعين أيضاً منصوب على الحال وإني مغلوب تقديره دعا ربه بأني مغلوب وقرأ عيسى بن عمر أني بالكسر على إرادة القول أي فدعا ربه قال إني مغلوب ومثله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا التقدير قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا .

[ المعنى ] ﴿ **إقتربت الساعة** ﴾ أي قربت الساعة التي تموت فيها الخلائق وتكون القيامة والمراد فاستعدوا لها قبل هجومها ﴿ **وانشق القمر** ﴾ قال ابن عباس اجتمع المشركون

---

(١) الصَلَع انحسار شعر مقدّم الرأس .

إلى رسول الله ﷺ فقالوا إن كنت صادقاً فشقّ لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله ﷺ إن فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله ينادي يا فلان يا فلان أشهدوا وقال ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال لنا رسول الله ﷺ اشهدوا اشهدوا وروي أيضاً عن ابن مسعود أنه قال والذي نفسي بيده لقد رأيت حراء بين فلقي القمر وعن جبير بن مطعم قال إنشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقال ناس سحرنا محمد فقال رجل إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم وقد روى حديث إنشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس وجبير بن مطعم وعبد الله بن عمر وعليه جماعة المفسرين إلا ما روي عن عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال معناه وسينشق القمر وروي ذلك عن الحسن وأنكره أيضاً البلخي وهذا لا يصح لأن المسلمين أجمعوا على ذلك فلا يعتد بخلاف من خالف فيه ولأن إشتهاره بين الصحابة يمنع من القول بخلافه ومن طعن في ذلك بأنه لو وقع انشقاق القمر في عهد رسول الله ﷺ لما كان يخفى على أحد من أهل الإقطار فقوله باطل لأنه يجوز أن يكون الله تعالى قد حجبه عن أكثرهم بغيم وما يجري مجراه ولأنه قد وقع ذلك ليلاً فيجوز أن يكون الناس كانوا نياماً فلم يعلموا بذلك على أن الناس ليس كلهم يتأملون ما يحدث في السماء وفي الجو من آية وعلامة فيكون مثل إنقضاض الكواكب وغيره مما يغفل الناس عنه وإنما ذكر سبحانه إقتراب الساعة مع إنشقاق القمر لأن إنشقاقه من علامة نبوة نبينا ﷺ ونبوته وزمانه من إشراط اقتراب الساعة ﴿ **وأن يروا آية يعرضوا** ﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن عناد كفار قريش وأنهم إذا رأوا آية معجزة أعرضوا عن تأملها والإنقياد لصحتها عناداً وحسداً ﴿ **ويقولوا سحر مستمر**﴾ أي قوي شديد يعلو كل سحر عن الضحاك وأبي العالية وقتادة وهو من امرار الحبل وهو شدّة فتله واستمر الشيء إذا قوي واستحكم وقيل معناه سحر ذاهب مضمحلّ لا يبقى عن مجاهد وهو من المرور وقال المفسرون لما انشق القمر قال مشركو قريش سحرنا محمد فقال الله سبحانه ﴿ **وأن يروا آية يعرضوا عن التصديق والإيمان بها** ﴾ قال الزجاج وفي هذا دلالة على أن ذلك قد كان ووقع وأقول ولأنه تعالى قد بين أن يكون آية على وجه الأعجاز وإنما يحتاج إلى الآيةالمعجزة في الدنيا ليستدل الناس بها على صحةالنبوة ويعرف صدق الصادق لا في حال إنقطاع التكليف والوقت الذي يكون الناس فيه ملجئين إلى المعرفة ولأنه سبحانه قال ويقولوا سحر مستمر وفي وقت الإلجاء لا يقولون للمعجز أنه سحر ﴿ **وكذبوا** ﴾ أي بالآية التي شاهدوها ﴿ **واتبعوا أهواءهم** ﴾ في التكذيب وما زين لهم الشيطان من الباطل الذي هم عليه

﴿ **وكل أمر مستقر** ﴾ فالخير يستقر بأهل الخير والشر يستقر بأهل الشر عن قتادة والمعنى أن كل أمر من خير وشر مستقر ثابت حتى يجازى به صاحبه أما في الجنة أو في النار وقيل معناه لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف عن الكلبي ﴿ **ولقد جاءهم** ﴾ أي ولقد جاء هؤلاء الكفار ﴿ **من الأنباء** ﴾ يعني الأخبار العظيمة في القرآن بكفر من تقدم من الأمم وإهلاكنا إياهم ﴿ **ما فيه مزدجر** ﴾ أي متعظ وهو بمعنى المصدر أي وازدجار عن الكفر وتكذيب الرسل ﴿ **حكمة بالغة** ﴾ يعني القرآن حكمة[1] تامة قد بلغت الغاية والنهاية ﴿ **فما تُغني النذر** ﴾ أي أي شيء تنفع النذر مع تكذيب هؤلاء وأعراضهم وهو جمع النذير وقيل معناه فلا تغني النذر شيئاً أي أن الأنبياء الذين بعثوا إليهم لا يغنون عنهم شيئاً من عذاب الله الذي استحقوه بكفرهم لأنهم خالفوهم ولم يقبلوا منهم عن الجبائي وقيل النذر هي الزواجر المخوفة وآيات الوعيد ثم أمره سبحانه بالإعراض عنهم فقال ﴿ **فتول عنهم** ﴾ أي أعرض عنهم ولا تقابلهم على سفههم وهاهنا وقف تام ﴿ **يوم يدع الداع إلى شيء نكر** ﴾ أي منكر غير معتاد ولا معروف بل أمر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاماً واختلف في الداعي فقيل هو إسرافيل يدعو الناس إلى الحشر قائماً على صخرة بيت المقدس عن مقاتل وقيل بل الداعي يدعوهم إلى النار ويوم ظرف ليخرجون أي في هذا اليوم يخرجون من الأجداث ويجوز أن يكون التقدير في هذا اليوم يقول الكافرون وقوله ﴿ **خشعاً أبصارهم** ﴾ يعني خاشعة أبصارهم أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب وإنما وصف الأبصار بالخشوع لأن ذلة الذليل أو عزة العزيز تتبين في نظره وتظهر في عينه ﴿ **يخرجون من الأجداث** ﴾ أي من القبور ﴿ **كأنهم جراد منتشر** ﴾ والمعنى أنهم يخرجون فزعين يدخل بعضهم في بعض ويختلط بعضهم ببعض لا جهة لأحد منهم فيقصدها كما أن الجراد لا جهة لها فتكون أبداً متفرقة في كل جهة قال الحسن الجراد يتلبد حتى إذا طلعت عليها الشمس إنتشرت فالمعنى أنهم يكونون ساكنين في قبورهم فإذا دعوا خرجوا وانتشروا وقيل إنما شبههم بالجراد لكثرتهم وفي هذه الآية دلالة على أن البعث إنما يكون لهذه البنية لأنها الكائنة في الأجداث خلافاً لمن زعم أن البعث يكون للأرواح ﴿ **مهطعين إلى الداعي** ﴾ أي مقبلين إلى صوت الداعي عن قتادة وقيل مسرعين إلى إجابة الداعي عن أبي عبيدة وقيل ناظرين قبل الداعي قائلين هذا يوم عسر عن الفراء وأبي علي الجبائي وهو قوله ﴿ **يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾ أي صعب شديد وقد قيل أيضاً في قوله ﴿ **فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر** ﴾ أقوال أخر ( أحدها ) أن المعنى فأعرض عنهم إذا تعرضوا لشفاعتك

---

(١) [ بالغة ].

يوم يدع الداعي وهو يوم القيامة فلا تشفع لهم ذلك اليوم كما لم يقبلوا منك اليوم ( وثانيها ) أن معناه فتول عنهم فإنهم يرون ما ينزل بهم من العذاب يوم يدع الداعي وهو يوم القيامة فحذف الفاء من جواب الأمر ( وثالثها ) أن معناه فتول عنهم فإنهم يوم يدعو الداعي صفتهم كذا وكذا وهي ما بينه إلى قوله يوم عسر ( ورابعها ) فتول عنهم واذكر يوم يدع الداعي إلى آخره عن الحسن ﴿ **كذبت قبلهم** ﴾ أي قبل كفار مكة ﴿ **قوم نوح فكذبوا عبدنا** ﴾ نوحاً كما كذبك يا محمد هؤلاء الكفار وجحدوا نبوتك ﴿ **وقالوا مجنون** ﴾ أي هو مجنون قد غطي على عقله ﴿ **وازدجر** ﴾ أي زجر بالشتم والرمي بالقبيح عن ابن زيد وقيل معناه زجر بالوعيد وتوعد بالقتل فهو مثل قوله ﴿ **لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** ﴾ ﴿ **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر** ﴾ أي فقال يا رب قد غلبني هؤلاء الكفار بالقهر لا بالحجة فانتصر أي فانتقم لي منهم بالإهلاك والدمار نصرة لدينك ونبيك وفي هذا دلالة على وجوب الإنقطاع إلى الله تعالى عند سماع الكلام القبيح من أهل الباطل .

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا
فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ
﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ
مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد والباقون بالتخفيف .

[ **الحجة** ] وجه التخفيف أن فعلنا بالتخفيف يدل على القليل والكثير ووجه التثقيل أنه

يخص الكثير[١] ويقويه قوله ﴿ مفتّحة لهم الأبواب ﴾ .

[ **اللغة** ] الهمر صب الدمع والماء بشدة والإنهمار الإنصباب قال امرؤ القيس :

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحىٰ فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْهَمِرِ[٢]

والتفجير تشقيق الأرض عن الماء والعيون جمع عين الماء وهو ما يفور من الأرض مستديراً كاستدارة عين الحيوان فالعين مشتركة بين عين الحيوان وعين الماء وعين الذهب[٣] وعين السحاب وعين الركبة والدسر المسامير التي تشد بها السفينة وأحدها دسار ودسير ودسرت السفينة أدسرها دسراً إذا شددتها وقيل إن أصل الباب الدفع يقال دسره بالرمح إذا دفعه بشدة والدسر صدر السفينة لأنه يدسر به الماء أي يدفع ومنه الحديث في العنبر هو شيء دسره البحر ومدّكر أصله مذتكر فقلبت التاء دالاً لتواخي الذال بالجهر ثم أدغمت الذال فيها والنذر إسم من الإنذار يقوم مقام المصدر يقال أنذره نذراً بمعنى إنذاراً ومثله أنزله نزلاً بمعنى إنزالاً ويجوز أن يكون جمع نذير والصرصر الريح الشديدة الهبوب حتى يسمع صوتها وهو مضاعف صر يقال صرّ وصرصر وكبّ وكبكب ونهْ ونهنه والمستمر الجاري على طريقة واحدة وإعجاز النخل اسافله والنخل يذكر ويؤنث والمنقعر المنقلع عن أصله لأن قعر الشيء قراره وتقعّر في كلامه تقعّراً إذا تعمّق .

[ **الإعراب** ] عيوناً نصب على التمييز أو الحال والأصل وفجرنا عيون الأرض والمعنى وفجرنا جميع الأرض عيوناً ويجوز أن يكون تقديره بعيون فحذف الجار ويجوز أن يكون التقدير وفجرنا من الأرض عيوناً وقوله على أمر[٤] في موضع نصب على الحال وقوله ﴿ **بأعيننا** ﴾ في موضع نصب بأنه ظرف مكان جزاء منصوب بأنه مفعول له ويجوز أن يكون مصدراً وضع موضع الحال والمعنى فعلنا ذلك مجازين جزاء وآية منصوبة على الحال من الهاء في تركناها .

[ **المعنى** ] ثم بين سبحانه إجابته لدعاء نوح ( ع ) فقال ﴿ **ففتحنا أبواب السماء** ﴾ هاهنا حذف معناه فاستجبنا لنوح دعاءه ففتحنا أبواب السماء أي أجرينا الماء من السماء

---

(١) في نسختين: الكثير بالكثير . وفي نسخة الكثير بالتكثير .

(٢) مرتِ الريح السحاب : استدرته واستخرج ما فيها من الماء وانتحى البعير : اعتمد في سيره على أيسره والشؤبوب : الدفعة من المطر وشدّة دفع الشيء والجنوب يحتمل ريح الجنوب أو نقطة الجنوب .

(٣) في نسخة: عين الذهب وعين الميزان وفي نسخة: الميزاب.

(٤) في المخطوطة: على أمر قد قدر .

كجريانه إذا فتح عنه باب كان مانعاً له وذلك من صنع الله الذي لا يقدر عليه سواه وجاز ذلك على طريق البلاغة ﴿ **بماء منهمر** ﴾ أي منصب إنصباباً شديداً لا ينقطع ﴿ **وفجرنا الأرض عيوناً** ﴾ أي شققنا الأرض بالماء عيوناً حتى جرى الماء على وجه الأرض ﴿ **فالتقى الماء** ﴾ يعني فالتقى الماءان : ماء السماء وماء الأرض وإنما لم يثن لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير ﴿ **على أمر قد قدر** ﴾ فيه هلاك القوم أي على أمر قد قدره الله تعالى وهو هلاكهم وقيل على أمر قد قدره الله تعالى وعرف مقداره فلا زيادة فيه ولا نقصان وقيل معناه أنه كان قدر ماء السماء مثل[1] ما قدر ماء الأرض عن مقاتل وقيل معناه على أمر قدر عليهم في اللوح المحفوظ ﴿ **وحملناه على ذات ألواح** ﴾ أي وحملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح مركبة[2] بعضها إلى بعض وألواحها خشباتها التي منها جمعت ﴿ **ودسر** ﴾ أي مسامير شدّت بها السفينة عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل هو صدر السفينة يدسر بها الماء عن الحسن وجماعة وقيل هي اضلاع السفينة عن مجاهد وقيل الدسر طرفاها وأصلها والألواح جانباها عن الضحاك ﴿ **تجري** ﴾ السفينة في الماء ﴿ **بأعيننا** ﴾ أي بحفظنا وحراستنا وبمرأىً منا ومنه قولهم عين الله عليك وقيل معناه بأعين أولياؤنا ومن وكلناهم بها من الملائكة وقيل معناه تجري بأعين الماء التي اتبعناها ﴿ **جزاء لمن كان كفر** ﴾ أي فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم ثواباً لمن كان قد كفر به وجحد أمره وهو نوح ( ع ) والتقدير لمن جحد نبوته وأنكر حقه وكفر بالله فيه ﴿ **ولقد تركناها** ﴾ أي تركنا هذه الفعلة التي فعلناها ﴿ **آية** ﴾ أي علامة يعتبر بها وقيل معناه تركنا السفينة ونجاة من فيها وإهلاك الباقين دلالة باهرة على وحدانية الله تعالى وعبرة لمن إتعظ بها وكانت السفينة باقية حتى رآها أوائل هذه الأمة عن قتادة وقيل في كونها آية أنها كانت تجري بين ماء السماء وماء الأرض وقد كان غطاها على ما أمر الله تعالى ﴿ **فهل من مدّكر** ﴾ أي متذكر يعلم أن ذلك حق فيعتبر به ويخاف وقيل معناه فهل من طالب علم فيعان عليه عن قتادة ﴿ **فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ هذا استفهام عن تلك الحالة ومعناه التعظيم لذلك العذاب أي كيف رأيتم إنتقامي منهم وإنذاري إياهم وقال الحسن النذر جمع نذير وإنما كرر سبحانه هذا القول في هذه السورة لأنه سبحانه لما ذكر أنواع الأنذار والعذاب عقد التذكير بشيء شيء منه على التفصيل ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر** ﴾ أي سهلناه للحفظ والقراءة حتى يقرأ كله ظاهراً وليس من كتب الله المنزلة كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن عن سعيد بن جبير والتيسير للشيء هو تسهيله بما ليس فيه كثير مشقة على النفس فمن سهل له

(١) ليس في ساير النسخ لفظة « ما ».

(٢) في ساير النسخ : جمع بعضها .

طريق العلم فهو حقيق بأخذ الحظ الجزيل منه لأن التسهيل أكبر داع إليه وتسهيل القرآن للذكر هو خفة ذلك على النفس بحسن البيان وظهور البرهان في الحِكَم السنية والمعاني الصحيحة الموثوق بها لمجيئها من قبل الله تعالى وإنما صار الذكر من أجل ما يدعى إليه ويحث عليه لأنه طريق العلم لأن الساهي عن الشيء أو عن دليله لا يجوز أن يعلمه في حال سهوه فإذا تذكر الدلائل عليه والطرق المؤدية إليه تعرض لعلمه من الوجه الذي ينبغي له ﴿ **فهل من مدَّكر** ﴾ أي متعظ معتبر به ناظر فيه ثم قال سبحانه ﴿ **كذبت عاد** ﴾ أي بالرسول الذي بعثه الله إليهم وهو هود (ع) فاستحقوا الهلال فأهلكهم ﴿ **فكيف كان عذابي** ﴾ لهم ﴿ **ونذر** ﴾ أي وإنذاري إياهم ثم بين كيفية إهلاكهم فقال ﴿ **إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً** ﴾ أي شديدة الهبوب عن ابن زيد وقيل باردة عن ابن عباس وقتادة من الصر وهو البرد ﴿ **في يوم نحس** ﴾ أي في يوم شؤم ﴿ **مستمر** ﴾ أي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسته سبع ليال وثمانية أيام حتى أتت عليهم ومستمر من صفة اليوم أي يوم مستمر ضرره عام هلاكه وقيل هو نعت للنحس أي استمر بهم العذاب والنحس في الدنيا حتى إتصل بالعقبى قال(١) الزجاج وقيل أنه كان في يوم الأربعاء في آخر الشهر لا تدور رواه العياشي بالإسناد عن أبي جعفر (ع) ﴿ **تنزع الناس** ﴾ أي تقتلع هذه الريح الناس ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدقّ رقابهم فيصيرون ﴿ **كأنهم إعجاز نخل منقعر** ﴾ أي أسافل نخل منقلع لأن رؤوسهم سقطت عن أبدانهم عن مجاهد وقيل معناه تنزع الناس من حفر حفروها ليمتنعوا بها عن الريح وقيل معناه تنزع أرواح الناس عن الحسن ﴿ **فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ وهو تعظيم للعذاب النازل بهم وتخويف لكفار مكة .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا
وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

(١) في نسخة: قاله.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟
صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾
إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر وحمزة ستعلمون بالتاء والباقون بالياء وفي الشـواذ قراءة أبي السماك أبشر منا بالرفع واحداً نتبعه بالنصب وقراءة أبي قلابة الكذاب الأشرّ بالتشديد وقراءة مجاهد الأشر بضم الشين خفيفة وقراءة الحسن كهشيم المحتظر بفتح الظاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي وجه الياء أن قبله غيبة وهو قوله فقالوا أبشرا منا(١) سيعلمون ووجه التاء على أنه قيل لهم ستعلمون وقال ابن جني قوله أبشر عندي مرفوع بفعل يدل عليه قوله ﴿ **القي الذكر عليه** ﴾ فكأنه قال أيبعث بشر منا فأماإنتصابواحداً فإن شئت جعلته حالاً من الضمير في قوله ﴿ **منا** ﴾ أي ينبأ بشر كائن منا والناصب لهذه الحال الظرف كقولك زيد في الدار جالساً وإن شئت جعلته حالاً من الضمير في قوله ﴿ **نتبعه** ﴾ أي نتبعه واحـداً أي منفرداً لا ناصر له وقوله ﴿ **الأشر** ﴾ بتشديد الراء هو الأصل المرفوض لأن أصل قولهم هذا خير منه(٢) وشر منه هذا أخير منه وهذا أشر منه فكثر إستعمال هاتين الكلمتين فحذفت الهمزة منهما وأما الأشر فإنه مما جاء على فعل وفعل من الصفات كحذِر وحذُر ويقِظ ويُقظ ووطِف ووطُف وعجِز وعجُز وأمـا المحتظر فـإنه مصـدر أي كهشيم الإحتظار كقـولك كـآجر البنـاء وخشب النجارة ويجوز أن يكون المحتظر الشجر أي كهشيم الشجر المتخذة منه الحظيرة أي كما تتهافت من الشجر المجعول حظيرة والهشيم ما تهشم منه وانتثر .

[ **اللغة** ] السعر جمـع سعير وهو النار المسعرة والسعر الجنون يقال ناقة مسعـورة إذا كانت كأن بها جنوناً وسُعر(٣) فلان جنوناً وأصله إلتهاب الشيء والتعاطي التناول والمحتـظر الذي يعمل الحظيرة على بستانه أو غنمه(٤) وهو المنع من الفعل .

[ **الإعراب** ] أبشرا منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره وتقديره إنتبع بشراً منا وقوله ﴿ **منا** ﴾ صفة أي ابشرا كائناً منا وواحداً صفة بعد صفة والبشـر يقع على الـواحد والجمـع وقوله ﴿ **من بيننا** ﴾ في محل النصب على الظرف وفتنة منصوب بأنـه مفعول لـه ويجوز أن

---

(١) في نسخة: فقيل. (٢) [ هذا ]. (٣) وفي نسختين : واستعر. (٤) [ وهو من الحظر ].

يكون مصدراً وضع موضع الحال أي فاتنين لهم .

[ المعنى ] ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر** ﴾ قد فسرناه وقيل أنه سبحانه إنما أعاد ذكر التيسير لينبىء أنه يسرّه على كل حال وكل وجه من وجوه التيسير فمن الوجوه التي يسر الله تعالى بها القرآن هو أن أبان عن الحكم الذي يعمل عليه والمواعظ التي يرتدع بها والمعاني التي تحتاج إلى التنبيه عليها والحجج التي يميز بها بين الحق والباطل عن علي بن عيسى ﴿ **كذبت ثمود بالنذر** ﴾ أي بالإنذار الذي جاءهم به صالح ومن قال إن النذر جمع نذير قال معناه أنهم كذبوا الرسل بتكذيبهم صالحاً لأن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الجميع لأنهم متفقون في الدعاء إلى التوحيد وإن اختلفوا في الشرائع ﴿ **فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه** ﴾ أي أنتبع آدمياً مثلنا وهو واحد ﴿ **أنا إذاً لفي ضلال** ﴾ أي نحن إن فعلنا ذلك في خطأ وذهاب عن الحق ﴿ **وسعر** ﴾ أي وفي عناء وشدة عذاب فيما يلزمنا من طاعته عن قتادة وقيل في جنون عن ابن عباس في رواية عطاء والفائدة في الآية بيان شبهتهم الركيكة التي حملوا أنفسهم على تكذيب الأنبياء من أجلها وهي أن الأنبياء ينبغي أن يكونوا جماعة وذهب عليهم أن الواحد من الخلق يصلح لتحمل أعباء الرسالة وإن لم يصلح له غيره من جهة معرفته بربه وسلامة ظاهره وباطنه وقيامه بما كلف من الرسالة ﴿ **ألقى الذكر عليه من بيننا** ﴾ هذا استفهام إنكار وجحود أي كيف ألقي الوحي عليه وخص بالنبوة من بيننا وهو واحد منا ﴿ **بل هو كذاب** ﴾ فيما يقول ﴿ **أشر** ﴾ أي بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بالنبوة ثم قال سبحانه ﴿ **سيعلمون غداً من الكذاب الأشر** ﴾ وهذا وعيد لهم أي سيعلمون يوم القيامة إذا نزل بهم العذاب أهو الكذاب أم هم في تكذيبه وهو الأشر البطر أم هم فذكر مثل لفظهم مبالغة في توبيخهم وتهديدهم وإنما قال غداً على وجه التقريب على عادة الناس في ذكرهم الغد والمراد به العاقبة قالوا إن مع اليوم غداً ﴿ **إنا مرسلو الناقة فتنة لهم** ﴾ أي نحن باعثو الناقة بإنشائها على ما طلبوها معجزة لصالح وقطعاً لعذرهم وامتحاناً واختباراً لهم وهاهنا حذف وهو أنهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء تضع ثم ترد ماءهم فتشربه ثم تعود عليهم بمثله لبناً فقال سبحانه أنا باعثوها كما سألوها فتنة لهم عن ابن عباس ﴿ **فارتقبهم** ﴾ أي انتظر أمر الله فيهم وقيل فارتقبهم أي انتظر ما يصنعون ﴿ **واصطبر** ﴾ على ما يصيبك من الأذى حتى يأتي أمر الله فيهم ﴿ **ونبئهم** ﴾ أي أخبرهم ﴿ **إن الماء قسمة بينهم** ﴾ يوم للناقة ويوم لهم ﴿ **كل شرب محتضر** ﴾ أي كل نصيب من الماء يحضره أهله لا يحضر آخر معه ففي يوم الناقة تحضره الناقة وفي يومهم يحضرونه هم وحضر واحتضر بمعنى واحد وإنما قال قسمة بينهم تغليباً لمن

يعقل والمعنى يوم لهم ويوم لها وقيل إنهم كانوا يحضرون الماء إذا غابت الناقة ويشربونه وإذا حضرت حضروا اللبن وتركوا الماء لها عن مجاهد ﴿ فنادوا صاحبهم ﴾ أي دبّروا في أمر الناقة بالقتل فدعوا واحداً من أشرارهم وهو قدار بن سالف عاقر الناقة ﴿ فتعاطى فعقر ﴾ أي تناول الناقة بالعقر فعقرها وقيل أنه كمن لها في أصل صخرة فرماها بسهم فانتظم(١) به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها وكان يقال له أحمر ثمود وأحيمر ثمود قال الزجاج والعرب تغلط فتجعله أحمر عاد فتضرب به المثل في الشؤم قال زهير :

وَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ أي فانظر كيف أهلكتهم وكيف كان عذابي لهم وإنذاري إياهم ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ﴾ يريد صيحة جبرائيل ( ع ) عن عطاء وقيل الصيحة العذاب ﴿ فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ أي فصاروا كهشيم وهو حطام الشجر المنقطع بالكسر والرض الذي يجمعه صاحب الحظيرة الذي يتخذ لغنمه حظيرة تمنعها من برد الريح والمعنى أنهم بادوا وهلكوا فصاروا كيبيس الشجر المفتت(٢) إذا تحطم عن ابن عباس وقيل معناه صاروا كالتراب الذي يتناثر من الحائط فتصيبه الرياح فيتحظر مستديراً عن سعيد بن جبير .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ
لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾
وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن
ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم
بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ

(١) انتظم الصيد : طعنه أو رماه حتى ينفذه .
(٢) وفي نسخة : المتفتت .

ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

[ **الإعراب** ] سحر إذا كان نكرة يراد به سحر من الأسحار يقال رأيت زيداً سحراً من الأسحار فإذا أردت سحر يومك قلت أتيته بسحرَ وأتيته سحرَ وقوله ﴿ **نعمة** ﴾ مفعول له وقوله ﴿ **بكرة** ﴾ ظرف زمان فإذا كان معرفة بأن تريد بكرة يومك تقول أتيته بكرةَ وغدوةَ لم تصرفهما فبكرة هنا نكرة .

[ **المعنى** ] ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدَّكـر** ﴾ قال قتادة أي فهل من طالب علم يتعلم ﴿ **كذبت قوم لوط بالنذر** ﴾ أي بالإنذار وقيل بالرسل على ما فسّرناه ﴿ **أنا أرسلنا عليهم حاصباً** ﴾ أي ريحاً حصبتهم أي رمتهم بالحجارة والحصباء قال ابن عباس يريد ما حصبوا به من السماء من الحجارة في الريح قال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شِمَـالَ الشَّـامِ تَضْـرِبُنَـا بِحَاصِبٍ كَنَـدِيفِ الْقُطْنِ مَنْثُورِ[١]

ثم إستثنى آل لوط فقال ﴿ **إلا آل لوط نجيناهم** ﴾ أي خلصناهم ﴿ **بسحر** ﴾ من ذلك العذاب الذي أصاب قومه ﴿ **نعمة من عندنا** ﴾ أي إنعاماً فيكون مفعولاً له ويجوز أن يكون مصدراً وتقديره أنعمنا عليهم بذلك نعمة ﴿ **كذلك** ﴾ أي كما أنعمنا عليهم ﴿ **نجزي من شكر** ﴾ قال مقاتل يريد من وحد الله تعالى لم يعذب مع المشركين ﴿ **ولقد أنذرهم** ﴾ لوط ﴿ **بطشتنا** ﴾ أي أخذنا إياهم بالعذاب ﴿ **فتماروا بالنذر** ﴾ أي تدافعوا بالإنذار على وجه الجدال بالباطل وقيل معناه فشكوا ولم يصدقوه وقالوا كيف يهلكنا وهو واحد منا وهو تفاعلوا من المرية ﴿ **ولقد راودوه عن ضيفه** ﴾ أي طلبوا منه أن يسلّم إليهم أضيافه ﴿ **فطمسنا أعينهم** ﴾ أي محوناها والمعنى عميت أبصارهم عن الحسن وقتادة وقيل معناه أزلنا تخطيط وجوههم حتى صارت ممسوحة لا يرى أثر عين وذلك أن جبرائيل ( ع ) صفق أعينهم بجناحه صفقة فاذهبها والقصة مذكورة فيما مضى وتم الكلام ثم قال ﴿ **فذوقوا عذابي ونذر** ﴾ أي فقلنا لقوم لوط لما أرسلنا عليهم العذاب ذوقوا عذابي ونذري ﴿ **ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر** ﴾ أي أتاهم صباحاً عذاب نازل بهم حتى هلكوا جميعاً ﴿ **فذوقوا عذابي ونذر** ﴾ ووجه التكرار أن الأول عند الطمس والثاني عند الإئتفاك[٢] فكلما تجدد العذاب تجدد

---

(١) الضمير في تضربنا راجع إلى الشمال والمراد ريح الشمال أي كانت ريح الشمال تضربنا بالعرض منثورة فيها كالقطن المندوف ومر البيت في ج ٦

(٢) ائتفكت البلدة بأهلها : إنقلبت .

التقريع ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ مر معناه ﴿ ولقد جاء آل فرعون ﴾ النذر أي متابعي فرعون بالقرابة والدين ﴿ النذر ﴾ أي الإنذار وقيل هو جمع نـذير يعني الآيـات التي أنذرهم بها موسى ﴿ كذبوا بآياتنا كلها ﴾ وهي الآيات التسـع التي جاءهم بهـا موسى وقيل بجميع الآيات لأن التكذيب بالبعض تكذيب بالكل ﴿فأخذناهم﴾ بـالعذاب ﴿ أخـذ عزيز ﴾ أي قادر لا يمتنع عليه شيء فيما يريد ﴿ مقتدر ﴾ على ما يشاء .

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ يعقوب عن[1] رويس سنهزم الجمع والباقون سيهزم الجمع وفي الشواذ قراءة أبي السماك أنا كل شيء بالرفع وقراءة زهير[2] والقرقني والأعمش ونهر بضتين .

[ **الحجة** ] قال ابن جنى الرفع في قوله ﴿ أنا كل شيء خلقناه ﴾ أقوى من النصب وإن كانت الجماعة على النصب وذلك أنه من مواضع الإبتداء فهو كقولك زيد ضربته وهو مذهب

---

(١) وفي نسختين : غير رويس بدل عن رويس.

(٢) وفي نسختين: زهير الفرقني وفي نسخة: والقرقبي .

صاحب الكتاب لأنها جملة وقعت في الأصل خبراً عن المبتدأ في قولك نحن كل شيء خلقناه بقدر فهو كقولك زيد هند ضربها ثم دخلت أنّ فنصبت الإسم وبقي الخبر على تركيبه الذي كان عليه واختيار محمد بن يزيد النصب لأن تقديره أنا فعلنا كذا قال والفعل منتظر بعد أنا فلما دل عليه ما قبله حسن إضماره قال ابن جني وهذا ليس بشيء لأن الأصل في خبر المبتدأ أن يكون إسماً لا فعلاً جزاء(١) منفرداً فما معنى توقع الفعل هنا وخبر إن وأخواتها كأخبار المبتدأ وقوله نُهُر جمع نَهَر فيكون كأسد وأُسَد ووُثُن ووَثَن ويجوز أن يكون جمع نَهْر كسُقُف وسَقْف ورُهُن ورَهْن .

[ المعنى ] ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال ﴿**اكفاركم خير**﴾ وأشد وأقوى ﴿**من اولئكم**﴾ الذين ذكرناهم وقد اهلكناهم وهذا استفهام انكار اي لستم افضل من قوم نوح وعاد وثمود لا في القوة ولا في الثروة ولا في كثرة العدد والعدة والمراد بالخير ما يتعلق بأسباب الدنيا لا أسباب الدين والمعنى انه إذا هلك أولئك الكفار فما الذي يؤمّنكم ان ينزل بكم ما نزل بهم ﴿**أم لكم براءة في الزبر**﴾ أي ألكم براءة من العذاب في الكتب السالفة أنه لن يصيبكم ما اصاب الأمم الخالية ﴿**أم يقولون نحن جميع منتصر**﴾ أي أم يقول هؤلاء الكفار نحن جميع امرنا ننتصر من اعدائنا عن الكبي والمعنى انهم يقولون نحن يد واحدة على من خالفنا ننتصر ممن عادانا فيدلون بقوتهم واجتماعهم ووحد منتصر للفظ الجميع فإنه واحد في اللفظ وان كان اسماً للجماعة كالرهط والجيش أي كما انهم ليسوا بخير من أولئك ولا لهم براءة فكذلك لاجمع لهم يمنع عنهم عذاب الله وينصرهم وان قالوا نحن مجتمعون متناصرون فلا نرام ولا نقصد ولا يطمع احد في غلبتنا ثم قال سبحانه ﴿**سيهزم الجمع**﴾ اي جمع كفار مكة ﴿**ويولون الدبر**﴾ اي ينهزمون فيولونكم أدبارهم في الهزيمة ثم اخبر سبحانه نبيه ﷺ انه سيظهره عليهم ويهزمهم فكانت هذه الهزيمة يوم بدر فكان موافقة الخبر للمخبر من معجزاته ثم قال سبحانه ﴿**بل الساعة موعدهم**﴾ أي ان موعد الجميع للعذاب يوم القيامة ﴿**والساعة أدهى وأمر**﴾ فالأدهى الأعظم في الدهاء والدهاء عظم سبب الضرر مع شدة انزعاج النفس وهو من الداهية اي البلية التي ليس في ازالتها حيلة والمعنى ان ما يجري عليهم من القتل والاسر يوم بدر وغيره لا يخلصهم من عقاب الآخرة بل عذاب الآخرة اعظم في الضرر واقطع وأمرّ أي أشد مرارة من القتل والأسر في الدنيا وقيل الأمرّ الأشد في استمرار البلاء لأن اصل المر النفوذ ثم بيّن سبحانه حال القيامة فقال ﴿**ان المجرمين في ضلال وسعر**﴾ اي في ذهاب

---

(١) وفي نسخة : خبراً منفرداً وفي اخرى لا خبراً منفرداً.

عن وجه النجاة وطريق الجنة في نار مسعرة عن الجبائي وقيل في ضلال أي في هلاك وذهاب عن الحق وسعر أي عناء وعذاب ﴿**يوم يسحبون**﴾ اي يجرّون ﴿**في النار على وجوههم**﴾ يعني ان هذا العذاب يكون لهم في يوم يجرهم الملائكة فيه على وجوههم في النار ويقال لهم ﴿**ذوقوا مس سقر**﴾ يعني اصابتها اياهم بعذابها وحرّها وهو كقولهم وجدت مس الحمى وسقر جهنم وقيل هي باب من أبوابها واصل السقر التلويح يقال سقرته الشمس وصقرته إذا لوحته وإنما لم ينصرف للتعريف والتأنيث ﴿**انا كل شيء خلقناه بقدر**﴾ اي خلقنا كل شيء خلقناه مقدراً بمقدار توجبه الحكمة لم نخلقه جزافاً ولا تخبيتاً[1] فخلقنا العذاب أيضاً على قدر الاستحقاق وكذلك كل شيء في الدنيا والآخرة خلقناه مقدراً بمقدار معلوم عن الجبائي وقيل معناه خلقنا كل شيء على قدر معلوم فخلقنا اللسان للكلام واليد للبطش والرجل للمشي والعين للنظر والاذن للسماع والمعدة للطعام ولو زاد أو نقص عما قدرناه لما تم الغرض عن الحسن وقيل معناه جعلنا لكل شيء شكلاً يوافقه ويصلح له كالمرأة للرجل والأتان للحمار وثياب الرجال للرجال وثياب النساء للنساء عن ابن عباس وقيل خلقنا كل شيء بقدر مقدر وقضاء محتوم في اللوح المحفوظ ﴿**وما امرنا إلا واحدة كلمح بالبصر**﴾ أي واما امرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر عن ابن عباس والكلبي ومعنى اللمح النظر بالعجلة وهو خطف البصر والمعنى إذا أردنا قيام الساعة اعدنا الخلق وجميع المخلوقات[2] في قدر لمح البصر في السرعة وقيل معناه وما امرنا إذا اردنا ان نكون شيئاً إلا مرة واحدة لم نحتج فيه إلى ثانية وإنما نقول له كن فيكون كلمح البصر في سرعته من غير ابطاء ولا تأخير عن الجبائي ﴿**ولقد اهلكنا أشياعكم**﴾ أي اشباهكم ونظائركم ففي الكفر من الأمم الماضية عن الحسن وسماهم اشياعهم لما وافقوهم في الكفر وتكذيب الأنبياء ﴿**فهل من مدكر**﴾ اي فهل من متذكر لما يوجبه هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ما سلف من اعمال الكفار لئلا يقع به ما وقع بهم من الإهلاك ﴿**وكل شيء فعلوه في الزبر**﴾ اي في الكتب التي كتبها الحفظة وهذه إشارة الى انهم غير مغفول عنهم عن الجبائي وقيل معناه ان جميع ذلك مكتوب عليهم في الكتاب المحفوظ لأنه من أعظم العبرة في علم ما يكون قبل ان يكون على التفصيل ﴿**وكل صغير وكبير مستطر**﴾ اي وما قدموه من اعمالهم من صغير وكبير مكتوب عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل معناه كل صغير وكبير من الأرزاق والآجال والموت

---

(١) وفي نسخة : تنحيتاً ولا معنى مناسب لهما وفي نسخة : تعبثاً ولعله يناسب المورد.

(٢) وفي المخطوطة : الحيوانات.

والحياة ونحوها مكتوب في اللوح المحفوظ ﴿**ان المتقين في جنات ونهر**﴾ أي أنهار يعني انهار الجنة من المـاء والخمر والعسـل[1] وضع نهـر في موضـع انهار لأنـه اسم جنس يقع على الكثيروالقليل والاولى ان يكون إنما وحّد لوفاق الفواصل والنهر هو المجرى الواسع من مجاري الماء ﴿**في مقعد صدق**﴾ أي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل وصفه بالصدق لكونه رفيعاً مرضياً وقيل لدوام النعيم به وقيـل لأن الله صدق وعـد أوليائـه فيه ﴿**عنـد مليك مقتدر**﴾ اي عند الله سبحانه فهـو المالـك القادر الـذي لا يعجزه شيء وليس المـراد قرب المكان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً بل المراد انهم في كنفه وجواره وكفايته حيث تنـالهم غواشي رحمته وفضله .

(١) في المخطوطة: الخمر واللبن والعسل.

# (٥٥) سورة الرحمن مدنية وآياتها ثمان وسبعون

وقيل مكية غير آية نزلت بالمدينة يسأله من في السماوات والأرض عن عطاء وقتادة وعكرمة واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل مدنية عن الحسن وهمام عن قتادة وأبي حاتم .

[ **عدد آيها** ] ثمان وسبعون آية كوفي شامي سبع حجازي ست بصري .

[ **اختلافها** ] خمس آيات الرحمن كوفي شامي خلق الإنسان الاول غير المدني وضعها للأنام غير المكي المجرمون غير البصري شواظ من نار حجازي .

[ **فضلها** ] ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه وادى شكر ما انعم الله عليه وروي عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبي ﷺ قال لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لا تدعوا قراءة الرحمن والقيام بها فإنها لا تقر في قلوب المنافقين وتأتي ربها يوم القيامة في صورة آدمي في أحسن صورة واطيب ريح حتى تقف من الله موقفاً لا يكون احد أقرب إلى الله سبحانه منها فيقول لها من الذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن قراءتك فتقول يا رب فلان وفلان وفلان فتبيض وجوههم فيقول لهم اشفعوا فيمن أحببتم فيشفعون حتى لا يبقى لهم غاية ولا احد يشفعون له فيقول لهم ادخلوا الجنة واسكنوا فيها حيث شئتم. حماد بن عثمان قال قال الصادق (ع) يجب ان يقرأ الرجل سورة الرحمن يوم الجمعة فكلما قرأ فبأي آلاء ربكما تكذبان قال لا بشيء من آلائك يا رب[١] اكذب وعنه (ع) قال من قرأ سورة الرحمن ليلاً يقول عند كل فبأي آلاء ربكما تكذبان لا بشيء من آلائك يا رب اكذب وكل الله به ملكاً ان قرأها في أول الليل يحفظه حتى يصبح وان قرأها حين

(١) وفي نسختين : ربنا نكذب.

يصبح وكل الله به ملكاً يحفظه حتى يمسي .

[ تفسيرها ] ختم الله سبحانه سورة القمر باسمه وافتتح هذه السورة ايضاً باسمه فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ
ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ
يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى
ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾
وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ
ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

[ القراءة ] قرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان بالنصب فيهما جميعاً وقرأ حمزة والكسائي وخلف والحب ذو العصف بالرفع والريحان بالجر والباقون بالرفع في الجميع وفي الشواذ قراءة ابي السماك والسماء رفعها بالرفع وقرأ بلال بن ابي بردة ولا تخسروا بفتح التاء والسين وبكسر السين أيضاً .

[ الحجة ] قال ابو علي قال أبو عبيدة العصف الذي يعصف فيؤكل من الزرع وهي العصيفة قال علقمة بن عبدة .

تَسْقي مَذانِبَ قَدْ مالَتْ عَصيفَتُها حُدُودُها مِنْ أتي الماءِ مَطْموم (١)

---

(١) المذنب : مسيل الماء الى الأرض ومسيل في الحضيض اذا لم يكن واسعاً وطمّ الماء غمر وطمّ فلان الاناء : ملأه والآتي : السيل الغريب وبضم الالف مصدراً في يصف عبرته وكثرة بكائه .

والـريحان الحب الـذي يؤكل يقـال سبحانـك وريحانـك اي ورزقك قـال النمـر بن تغلب(١).

سَـلامُ الإلَـهِ وَرَيْـحَـانُـهُ وَرَحْـمَـتُـهُ وَسَـمَـاءٌ دَرِرُ

وقيـل العصف والعصيفة ورق الـزرع وعن قتـادة العصف التبن ومن قـرأ والحب ذا العصف حمله على وخلق الحب وخلق والريحان وهو الرزق ويقوي ذلك قوله فأخرجنـا به أزواجاً من نبات شتى ومن رفع الريحان فالتقدير فيها فاكهة والريحان والحبّ ذو العصف ومن جر فالتقدير فالحب ذو العصف وذو الريحان أي من الحب الرزق فإن قلت فإنَّ العصف والعصيفة رزق ايضاً فكأنه قال ذو الرزق وذو الرزق قيل هذا لا يمتنـع لأن العصيفة رزق غيـر الرزق الذي اوقع الريحان عليه وكأن الريحان اريد به الحب إذا خلص من لفائفه فاوقع عليه الرزق لعموم المنفعة به وانه رزق للناس وغيرهم ويبعد ان يكون الريحان المشموم في هذا الموضع إنما هو قوت الناس والأنعام كما قال فأخرجنا به ازواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم وقوله والسماء رفعها قال ابن جني الرفع هنا اظهر من قراءة الجماعة وذلـك انه صـرفه إلى الابتـداء لأنه عـطفه على الجملة المـركبة من المبتـدأ والخبر وهي قـولـه والنجم والشجـر يسجدان فأما قراءة العامة بالنصب فإنها معطوفة على يسجدان وحدها وهي جملة من فعـل وفاعل والعطف يقتضي التماثل في تركيب الجمل فيصير تقديره يسجدان ورَفَعَ السماء فلما اضمر رفع فسره بقوله رفعها كقولك قام زيد وعمراً ضربته اي وضربت عمراً لتعطف جملة من فعل وفاعل على أخرى مثلها واما قوله تخسروا بفتح التاء فإنه على حذف حرف الجر أي لا تخسروا في الميزان فلما حذف حرف الجر أفضى اليه الفعل فنصبه كقوله واقعدوا لهم كل مرصد أي في كل مرصـد أو على كل مـرصد وأما تخسروا بفتـح التاء وكسـر السين فعلى خسرت الميزان وإنما المشهور اخسرته تقول خسر الميزان واخسرته ويشبه ان يكون خسرته لغة في اخسرته نحو اجبرت الرجل وجبرته واهلكته وهلكته .

[ اللغة ] الرحمن هو الذي وسعت رحمته كل شيء فلذلك لا يوصف به إلا الله تعالى وأما راحم ورحيم فيجوز أن يوصف بهما العباد والبيان هو الأدلة الموصلة إلى العلم وقيل البيان اظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره كتميز معنى رجل من معنى فرس ومعنى قادر من معنى عاجـز ومعنى عام من معنى خـاص والحسبان مصـدر حسبته احسبـه حسابـاً وحسباناً نحو السكران والكفران وقيل هو جمع حساب كشهاب وشهبان والنجم من النبات ما

(١)وفي نسخة : التولب.

لم يقم على ساق نحو العشب والبقل والشجر ما قام على ساق واصله الطلوع يقال نجم القرن والنبات إذا طلعا وبه سمي نجم السماء لطلوعه والأكمام جمع كم وهو وعاء ثمرة النخل تكمم في وعائه إذا اشتمل عليه والآلاء النعم واحدها إلى على وزن معى وإلى على وزن قفا عن أبي عبيدة .

[ **الاعراب** ] الرحمن آية مع انه ليس بجملة لأنه في تقدير الله الرحمن حتى تصح الفاصلة فهو خبر مبتدأ محذوف نحو قوله سورة انزلناها أي هذه سورة الا تطغوا تقديره لأن لا تطغوا فهو في محل نصب بأنه مفعول له ولفظه نفي ومعناه نهي ولذلك عطف عليه بقوله واقيموا الوزن وقوله فيها فاكهة مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال.

[ **المعنى** ] ﴿**الرحمن**﴾ افتتح سبحانه هذه السورة بهذا الاسم ليعلم العباد ان جميع ما وصفه يعد من افعاله الحسنى إنما صدرت من الرحمة التي تشمل جميع خلقه وكأنه جواب لقولهم وما الرحمن في قوله وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وقد روي انه لما نزل قوله قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن قالوا ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة فقيل لهم الرحمن ﴿**علم القرآن**﴾ اي علم محمداً ﷺ القرآن وعلّمه محمد ﷺ أمته عن الكلبي وقيل هو جواب لأهل مكة حين قالوا إنما يعلمه بشر فبين سبحانه ان الذي علمه القرآن هو الرحمن والتعليم هو تبيين ما به يصير من لم يعلم عالماً والاعلام ايجاد ما به يصير عالماً ذكر سبحانه النعمة فيما علم من الحكمة بالقرآن الذي احتاج اليه الناس في دينهم ليؤدوا ما يجب عليهم ويستوجبوا الثواب بطاعة ربهم قال الزجاج معنى علم القرآن يسّره لأن يذكر ﴿**خلق الإنسان**﴾ اي اخرجه من العدم إلى الوجود والمراد بالإنسان هنا آدم ( ع ) عن ابن عباس وقتادة ﴿**علمه البيان**﴾ اي اسماء كل شيء واللغات كلها قال الصادق ( ع ) البيان الاسم الاعظم الذي به علم كل شيء وقيل الإنسان اسم الجنس وقيل[1] معناه الناس جميعاً. علمه البيان اي النطق والكتابة والخط والفهم والافهام حتى يعرف ما يقول وما يقال له عن الحسن وابي العالية وابن زيد والسدي وهذا هو الاظهر الأعم وقيل البيان هو الكلام الذي يبين به عن مراده وبه يتميز من سائر الحيوانات عن الجبائي وقيل خلق الإنسان يعني محمداً ﷺ علمه البيان يعني ما كان وما يكون عن ابن كيسان ﴿**الشمس والقمر بحسبان**﴾ اي يجريان بحسبان ومنازل لا يعدوانها وهما يدلان على عدد الشهور والسنين والأوقات عن ابن عباس وقتادة فأضمر يجريان وحذفه لدلالة الكلام عليه وتحقيق معناه انهما يجريان على وتيرة واحدة

(١) ليس في المخطوطة لفظة قيل.

وحساب متفق على الدوام لا يقع فيه تفاوت فالشمس تقطع بروج الفلك في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وشيء والقمر في ثمانية وعشرين يوماً فيجريان ابداً على هذا الوجه وإنما خصهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيرة للناس من النور والضياء ومعرفة الليل والنهار ونضج الثمار إلى غير ذلك فذكرهما لبيان النعمة بهما على الخلق **﴿والنجم والشجر يسجدان﴾** يعني بالنجم نبت الأرض الذي ليس له ساق وبالشجر ما كان له ساق يبقى في الشتاء عن ابن عباس وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وقيل اراد بالنجم نجم السماء وهو موحد والمراد به جميع النجوم والشجر يسجدان لله بكرة وعشياً كما قال في موضع آخر والشجر والدواب عن مجاهد وقتادة وقال اهل التحقيق ان المعنى في سجودهما هو ما فيهما من الآية الدالة على حدوثهما وعلى أن لهما صانعاً انشأهما وما فيهما من الصنعة والقدرة التي توجب السجود وقيل سجودهما سجود ظلالهما كقوله يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون عن الضحاك وسعيد بن جبير والمعنى فيه ان كل جسم له ظل فهو يقتضي الخضوع بما فيه من دليل الحدوث واثبات المحدث المدبر وقيل معنى سجودهما انه سبحانه يصرفهما على ما يريده من غير امتناع فجعل ذلك خضوعاً ومعنى السجود الخضوع كما في قوله **﴿ترى الاكم فيها سجداً للحوافر﴾** عن الجبائي **﴿والسماء رفعها﴾** اي ورفع السماء رفعها فوق الارض دل سبحانه بذلك على كمال قدرته **﴿ووضع الميزان﴾** يعني آلة الوزن للتوصل الى الإنصاف والإنتصاف عن الحسن وقتادة قال قتادة هو الميزان المعهود ذو اللسانين وقيل المراد بالميزان العدل والمعنى انه امرنا بالعدل عن الزجاج ويدل عليه قوله **﴿الا تطغوا في الميزان﴾** اي لا تتجاوزوا فيه العدل والحق إلى البخس والباطل تقديره فعلت ذلك لئلا تطغوا ويحتمل أيضاً ان يكون لا تطغوا نهياً منفرداً وتكون ان مفسرة بمعنى اي وقيل ان المراد بالميزان القرآن الذي هو أصل الدين فكأنه تعالى بين ادلة العقل وأدلة السمع وإنما اعاد سبحانه ذكر الميزان من غير اضمار ليكون الثاني قائماً بنفسه في النهي عنه إذا قيل لهم لا تطغوا في الميزان **﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾** اي اقيموا لسان الميزان بالعدل إذا اردتم الأخذ والاعطاء **﴿ولا تخسروا الميزان﴾** اي لا تنقصوه بالبخس والجور بل سووه بالانصاف والعدل قال سفيان بن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب **﴿والأرض وضعها للأنام﴾** لما ذكر السماء الأرض في مقابلتها اي وبسط الأرض ووطأها للناس وقيل الأنام كل شيء فيه روح عن ابن عباس وقيل الأنام الجن والانس عن الحسن وقيل جميع الخلق من كل ذي روح عن مجاهد وعبر عن الأرض بالوضع لما عبر عن السماء بالرفع وفي ذلك بيان النعمة على الخلق وبيان وحدانية الله تعالى كما في رفع السماء **﴿فيها فاكهة﴾** اي في الأرض ما يتفكه به من الوان

الثمار المأخوذة من الاشجار **﴿والنخل ذات الاكمام﴾** اي الأوعية والغلف وثمر النخل يكون في غلف ما لم ينشق وقيل الاكمام ليف النخل الذي تكم فيه عن الحسن وقيل معناه ذات الطلع لأنه الذي يتغطى بالاكمام عن ابن زيد **﴿والحب﴾** يريد جميع الحبوب مما يحرث في الأرض من الحنطة والشعير وغيرهما **﴿ذو العصف﴾** اي ذو الورق فإذا يبس وديس صار تبناً عن مجاهد والجبائي وقيل العصف التبن لأن الريح تعصفه اي تطيره عن ابن باس وقتادة والضحاك وقيل هو بقل الزرع وهو أول ما ينبت منه عن السدي والفراء **﴿والريحان﴾** يعني الرزق في قول الاكثرين وقال الحسن وابن زيد هو ريحانكم الذي يشم وقال الضحاك الريحان الحب المأكول والعصف الورق الذي لا يؤكل فهو رزق الدواب والريحان رزق الناس فذكر سبحانه قوت الناس والانعام ثم خاطب الانس والجن بقوله **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** أي فبأي نعم ربكما من هذه الأشياء المذكورة تكذبان لأنها كلها منعم عليكم بها والمعنى انه لا يمكن جحد شيء من هذه النعم فأما الوجه لتكرار هذه الآية في هذه السورة فإنما هو التقرير بالنعم المعدودة والتأكيد في التذكير بها فكلما ذكر سبحانه نعمة انعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره اما احسنت اليك حين اطلقت لك مالاً اما أحسنت اليك حين ملكتك عقاراً اما احسنت اليك حين بنيت لك داراً فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقرره به ومثله كثير في كلام العرب واشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليباً .

عَلىٰ أنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إذا طُرِدَ الْيَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ
عَلىٰ أنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إذا مَا ضِيمَ جِيرانُ الْمُجِيرِ
عَلىٰ أنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إذا رُجِفَ الْعِضَاةُ مِنَ الدَّبُورِ
عَلىٰ أنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إذا خَرَجَتْ مُخَبَّأَةُ الْخُدُورِ
عَلىٰ أنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ ... إذا مَا أعْلِنَتْ نَجْوى الصُّدُورِ

وقالت ليلى الاخيية ترثي توبة بن الحمير :

لَنِعْمَ الْفَتىٰ يَا تَوْبَ كُنْتَ وَلَمْ تَكُنْ ... لِتُسْبَقَ يَوْماً كُنْتَ فِيهِ تُجَاوِلُ
وَنِعْمَ الْفَتىٰ يَا تَوْبَ كُنْتَ إذا الْتَقَتْ ... صُدُورُ الْعَوالِي وَاسْتَشالَ[1] الأَسافِلُ
وَنِعْمَ الْفَتىٰ يَا تَوْبَ كُنْتَ لِخَائِفٍ ... أتَاكَ لِكَيْ تَحْمِي وَنِعْمَ الْمُجَامِلُ

---

(١) استشال: ارتفع .

وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ جَاراً وَصَاحِباً | وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ حِينَ تُنَاضِلُ
لَعَمْرِي لأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ | وَلَوْ لَامَ فِيهِ نَاقِصُ الرَّأْيِ جَاهِلُ
لَعَمْرِي لأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ | إِذَا كَثُرَتْ بِالْمُلْجِمِينَ التَّلَاتِلُ(١)
أَبىٰ لَكَ ذَمَّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كُلَّمَا | ذُكِرْتَ أُمُورٌ مُحْكَمَاتٌ كَوَامِلُ
أَبىٰ لَكَ ذَمَّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كُلَّمَا | ذُكِرْتَ سَمَاحٌ حِينَ تَأْوِي الأَرَامِلُ
فَلَا يُبْعِدَنْكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ إِنَّمَا | كَذَاكَ الْمَنَايَا عَاجِلَاتٌ وَآجِلُ
وَلَا يُبْعِدَنَكَ اللَّهُ يَا تَوْبُ إِنَّمَا | لَقِيتَ حِمَامَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ عَاجِلُ

فخرجت في هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعاني التي عددتها وقال الحارث بن عباد :

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي | لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ(٢)

وكرر هذه اللفظة قرباً مربط النعامة مني في أبيات كثيرة وفي أمثال هذا كثرة وهذا هو الجواب بعينه عن التكرار لقوله ويل يومئذ للمكذبين في المرسلات .

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾
وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾
بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾
يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾
وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

(١) التلاتل : الشدائد .
(٢) النعامة اسم فرسه ولقحت الناقة عن حيال اي بعدان لم تكن تلقح .

تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو
ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة والبصرة يخرج منهما بضم الياء وفتح الراء والباقون يخرج بفتح الياء وضم الراء وقرأ حمزة ويحيى عن أبي بكر المنشئات بكسر الشين والباقون بفتح الشين .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ يُخرج كان قوله بيّناً لأن ذلك إنما يُخرج ولا يخرج بنفسه ومن قرأ يخرج جعل الفعل للؤلؤ والمرجان وهو اتساع لأنه إذا أخرج ذلك فقد خرج وقال يخرج منهما اللؤلؤ ولم يقل من أحدهما على حذف المضاف كما قال على رجل من القريتين عظيم على ذلك وقال أبو الحسن زعم قوم أنه يخرج من العذاب(١) أيضاً والمرجان صغار اللؤلؤ واحدها مرجانة قال ذو الرمة :

كَـأَنَّ عُـرَى الْـمَـرْجَـانِ مِنْـهَـا تَعَـلَّقَتْ     عَلَىٰ أُمِّ خَشْفٍ مِنْ ظِبَـاءِ الْمَشَـاقِـرِ(٢)

والمنشآت المجردات المرفوعات فمن فتح الشين فلأنها أنشئت وأجريت ولم تفعل ذلك انفسها ومن قرأ المنشئات نسب الفعل اليها على الاتساع كما يقال مات زيد ومرض عمرو ونحو ذلك مما يضاف الفعل إليه إذا وجد فيه وهو في الحقيقة لغيره وكان المعنى المنشئات السير فحذف المفعول للعلم به واضافة السير اليها اتساع أيضاً لأن سيرها إنما يكون في الحقيقة بهبوب الريح أو دفع الصراري(٣) .

[ **اللغة** ] الصلصال الطين اليابس الذي يسمع منه صلصلة والفخار الطين الذي طبخ

---

(١) وفي نسخة : العذب .
(٢) يصف امرأة وعُرى المرجان اي أطواقها والخشف ولد الظباء. المشاقر من الرمل: المنصوب في الارض. واسم موضع .
(٣) الصراري الملاح .

بالنار حتى صار خزفاً والمارج المضطرب المتحرك وقيل المختلط يقال مرج الأمر أي اختلط ومرجت عهود القوم وأماناتهم قال الشاعر :

مَـرَجَ الـدِّيـنُ فـأَعْـدَدْتُ لَـهُ مُـشْـرِفَ الحـارِكِ مَـحْـبُـوكَ الْكَـتَـدا[١]

ومرج الدابة في المرعى إذا خلاها لترعى والبرزخ الحاجز بين الشيئين والجواري السفن لأنها تجري في الماء واحدتها جارية ومنه الجارية للمرأة الشابة لأنها يجري فيها ماء الشباب والأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء :

وإنَّ صَـخْـراً لَـتَـأْتَـمُّ الْـهَـدَاةُ بِـهِ كَـأَنَّـهُ عَـلَـمٌ فـي رَأْسِـهِ نـارُ

وقال جرير « إذا قطعن علماً بدا[٢] علما » والفناء انتفاء الأجسام والصحيح أنه معنى يضاد الجواهر[٣] باق لا ينتفي الا بضد أو ما يجري مجرى الضد وضده الفناء .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه عاطفاً على ما تقدم من الأدلة على وحدانيته والإبانة عن نعمه على خلقه فقال ﴿**خلق الإنسان**﴾ يعني به آدم وقيل جميع البشر لأن اصلهم آدم ( ع ) ﴿**من صلصال**﴾ أي طين يابس وقيل حمأ منتن ويحتمل الوجهين جميعاً لأنه كان حمأ مسنوناً ثم صار يابساً ﴿**كالفخار**﴾ أي كالآجر والخزف ﴿**وخلق الجان**﴾ أي أبا الجن قال الحسن هو إبليس أبو الجن وهو مخلوق من لهب النار كما أن آدم ( ع ) مخلوق من طين ﴿**من مارج من نار**﴾ أي من نار مختلط أحمر وأسود وأبيض عن مجاهد وقيل المارج الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ فبأي نعمه تكذبان أيها الثقلان أي أبأن خلقكما من نفس واحدة ونقلكما من التراب والنار إلى الصورة التي أنتم عليها تكذبان ﴿**رب المشرقين ورب المغربين**﴾ يعني مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل المراد بالمشرقين مشرق الشمس والقمر وبالمغربين مغرب الشمس والقمر بين سبحانه قدرته على تصريف الشمس والقمر ومن قدر على ذلك قدر على كل شيء ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان**﴾ ذكر سبحانه عظيم قدرته حيث خلق البحرين العذب والمالح يلتقيان ثم لا يختلط أحدهما بالآخر وهو قوله بينهما برزخ أي حاجز من قدرة الله فلا يبغي الملح على العذب فيفسده ولا العذب على الملح فيفسده ويختلط به ومعنى مرج أرسل عن ابن عباس وقيل المراد بالبحرين بحر السماء وبحر

---

(١) الحارك: اعلى الكاهل والمحبوك: المحكم الخلق والصنعة والكَتِد مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس.

(٢) وفي المخطوطة: ابدا علم وفي أخرى: علم بدا علم . (٣) [ لأن الجوهر ] .

الأرض فإن في السماء بحراً يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كل سنة وبينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول وبحر الأرض من الصعود عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وقيل انهما بحر فارس وبحر الروم عن الحسن وقتادة فإن آخر طرف هذا يتصل بآخر طرف ذلك والبرزخ بينهما الجزائر وقيل مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتهما لا يبغيان أي لا يطلبان أن لا يختلطا[1] ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وقيل المرجان خرز أحمر كالقضبان يخرج من البحر وهو السد عن عطاء الخراساني وأبي مالك وبه قال ابن مسعود لأنه قال حجر وإنما قال منهما وإنما يخرج من الملح دون العذب لأن الله سبحانه ذكرهما وجمعهما وهما بحر واحد فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما عن الزجاج قال الكلبي وهو مثل قوله ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ وإنما هو واحدة منهن وقوله ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ والرسل من الانس دون الجن وقيل يخرج منهما أي من ماء السماء ومن ماء البحر فإن القطر إذا جاء من السماء تفتحت الأصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ عن ابن عباس ولذلك حمل البحرين على بحر السماء وبحر الأرض وقيل ان العذب والملح يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح ولا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذي يلتقي فيه الملح والعذب وذلك معروف عند الغواصين وقد روي عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وسفيان الثوري ان البحرين علي وفاطمة عليهما السلام بينهما برزخ محمد ﷺ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين عليهما السلام ولا غرو أن يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما فإن البحر إنما يسمى بحراً لسعته وقد قال النبي ﷺ لفرس ركبه وأجراه فأحمده وجدته بحر اي كثير المعاني الحميدة ﴿وله الجوار﴾ أي السفن الجارية في الماء تجري بأمر الله ﴿المنشئات في البحر﴾ أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض وركب حتى ارتفعت وطالت وقيل هي المبتدآت للسير مرفعة القلاع قال مجاهد ما رفع له القلاع فهو منشأ وما لم ترفع قلاعه فليس بمنشأ والقلاع جمع قلع وهو شراع السفينة ﴿كالأعلام﴾ أي كالجبال قال مقاتل شبه السفن في البحر بالجبال في البر وقيل المنشئات بكسر الشين وهي أن ينشىء الموج بصدرها حيث تجري فيكون الأمواج كالأعلام من الله سبحانه على عباده بأن علمهم اتخاذ السفن ليركبوها وان جعل الماء على صفة تجري السفن عليه لأجلها ﴿كل من عليها فان﴾ أي كل من على الأرض من حيوان فهو هالك يفنون ويخرجون من الوجود إلى العدم كنى عن الأرض وان لم يجر لها ذكر كقول أهل المدينة ما بين لابتيها أي لابتي

(١) وفي نسختين: ان يختلطا .

المدينة وانما جاز ذلك لكونه معلوماً ﴿ويبقى وجه ربك﴾ أي ويبقى ربك الظاهر بأدلته ظهور الإنسان بوجهه ﴿ذو الجلال﴾ أي العظمة والكبرياء واستحقاق الحمد والمدح بإحسانه الذي هو في أعلى مراتب الإحسان وانعامه الذي هو أصل كل انعام ﴿والإكرام﴾ يكرم أنبياءه وأولياءه بألطافه وأفضاله مع عظمته وجلاله وقيل معناه أنه أهل أن يعظم وينزه عما لا يليق بصفاته كما يقول الإنسان لغيره أنا أكرمك عن كذا وأجلّك عنه كقوله أهل التقوى أي أهل ان يتقى وتقول العرب هذا وجه الرأي وهذا وجه التدبير بمعنى أنه الرأي والتدبير قال الأعشى :

وَأَوَّلِ الْحُكْمِ عَلىٰ وَجْهِهِ لَيْسَ قَضَائي بِالْهَوىٰ الْجَائِرِ

أي قرر الحكم كما هو وقيل ان المراد بالوجه ما يتقرب به إلى الله تعالى وأنشد :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

ومتى قيل وأي نعمة في الفناء فالجواب ان النعمة فيه التسوية بين الخلق فيه وأيضاً فإنه وصلة إلى الثواب وتنبيه على أنَّ الدنيا لا تدوم وأيضاً فإنه لطف للمكلف لأنه لو عجل الثواب لصار ملجأ إلى العمل ولم يستحق الثواب ففصل بين الثواب والعمل ليفعل الطاعة لحسنها فيستحق الثواب ﴿يسأله من في السماوات والأرض﴾ أي لا يستغني عنه أهل السماوات والأرض فيسألونه حوائجهم عن قتادة وقيل يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة وتسأل الملائكة لهم أيضاً الرزق والمغفرة عن مقاتل ﴿كل يوم هو في شأن﴾ اختلف في معناه فقيل إن شأنه سبحانه إحياء قوم وإماتة آخرين وعافية قوم ومرض آخرين وغير ذلك من الإهلاك والإنجاء والحرمان والإعطاء والأمور الأخر التي لا تحصى وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله كل يوم هو في شأن قال من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين وعن ابن عباس انه قال إن مما خلق الله تعالى لوحاً من درة بيضاء دواته ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله كل يوم هو في شأن وقال مقاتل نزلت في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً وقيل ان الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشأن الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب عن سفيان بن عيينة وقيل شأنه جل ذكره أن يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكراً من أصلاب الآباء الى الأرحام وعسكراً من الأرحام الى الدنيا وعسكراً من الدنيا إلى القبر ثم يرتحلون جميعاً إلى

الله تعالى وقيل شأنه إيصال المنافع إليك ودفع المضار عنك فلا تغفل عن طاعة من لا يغفل
عن برك عن أبي سليمان الداراني .

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ
ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟
لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾
يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً
كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ
عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾
يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم سيفرغ بالياء والباقون بالنون وقرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين والباقون بضمها وقرأ ابن كثير وأهل البصرة غير يعقوب ونحاس بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة قتادة والأعمش سنفرغ بفتح النون والراء وقراءة الأعرج سيفرغ بفتح الياء والراء ورواية أبي حاتم عن الأعمش سيفرغ وقراءة عيسى الثقفي سنفرغ

بكسر النون وفتح الراء وروي عن أبي عبد الله (ع) هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان اصلياها فلا تموتان فيها ولا تحييان .

[ **الحجة** ] قال أبو علي وجه الياء في سيفرغ ان الغيبة قد تقدم في قوله وله الجوار وقوله هو في شأن ويقال فرغ يفرغ وفرغ يفرغ وليس الفراغ هنا فراغاً عن شغل ولكن تأويله القصد كما قال جرير :

الآنَ فَقَدْ فَرَغْتُ إِلىٰ نُمَيْرٍ فَهٰذا حِينَ صِرْتُ لَهُمْ عَذابا

وقرأ ابن عامر ايه الثقلان بضم الهاء وقد مضى الوجه فيه والشواظ والشواظ فيه لغتان. ابو عبيدة هو اللهب لا دخان فيه قال رؤبة :

إنَّ لَهُمْ مِنْ حَرْبِنا أيْقاظاً[1] وَنارِ حَرْبٍ تَسْعَرُ الشُّواظَا

والنحاس الدخان قال الجَعْدي :

تُضِيءُ كَضَوْءِ سِراجِ السَّلِيطِ[2] لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ فِيهِ نُحاسا

قال أبو علي إذا كان الشواظ اللهب لا دخان فيه ضعفت قراءة من قرأ ونحاس بالجر ولا يكون على تفسير أبي عبيدة إلا الرفع في نحاس على تقدير يرسل عليكما شواظ ويرسل نحاس أي يرسل هذا مرة وهذا اخرى وقد يجوز من وجه آخر على أن تقديره يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس فتحذف الموصوف وتقيم الصفة مقامه كقوله ومن آياته يريكم البرق ومن الذين هادوا يحرفون الكلم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به ومن أهل المدينة مردوا على النفاق فحذف الموصوف في ذلك كله فكذلك في الآية فإن قلت هذا فاعل والفاعل لا يحذف فقد جاء :

فَما راعَنا إلَّا يَسِيرُ بِشُرْطَةٍ وَعَهْدي بِهِ قَيْناً يَفُشُّ بِكِيرِ[3]

على ان هذا الحذف قد جاء في المبتدأ في الآية التي تلونا[4] أو بعضها وقد قالوا تسمع بالمعيدي لا أن تراه فإذا حذف الموصوف بقي بعده من نحاس الذي هو صفة لشيء

---

(١) وفي بعض النسخ : اقياظاً .

(٢) السليط : الزيت وكل دهن عصر من حبّ جيّد .

(٣) فشّ الوطب أخرج ما فيه من الريح وذلك بأن يحل وكائه ويفتح فاه فتخرج منه الريح التي كان قد نفخها فيه .

(٤) في نسخة تها .

محذوف وحذف من لأن ذكره قد تقدم في قوله من نار فحسن لذلك حذفها كما حسن حذف الجار من قولهم على من تنزل انزل وكما أنشده أبو زيد من قول الشاعر :

وَأَصْبَحَ مِنْ آسْمَاءَ قَيْسٌ كَقَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ لَا يَدْرِي بِمَا هُوَ قَابِضُ

أي بما هو قابض عليه فحذف لدلالة الكلام المتقدم عليه وكما حذف الجار عند الخليل في قوله « ان لم يجد يوماً على من يتكل » يريد عنده من يتكل عليه فحذف الجار لأنه جرى ذكره قبل فيكون انجرار نحاس على هذا بمن المضمرة لا بالإشراك في من التي جرت في قوله من نار فإذاإنجر بمن لم يكن للشواظ الذي هو اللهب قسط من الدخان .

[ اللغة ] الثقلان اصله من الثقل وكل شيء له وزن وقدر فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعامة ثقل قال:

فَتَذَكَّرَا ثَقَلاً رَثِيداً بَعْدَ مَا أَلْقَتْ ذُكَاءُ يَمِينَهَا فِي كَافِرِ(١)

وإنما سميت الإنس والجن ثقلين لعظم خطرهما وجلالة شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من الحيوانات ولثقل وزنهما بالعقل والتمييز ومنه قول النبي ﷺ إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي سماهما ثقلين لعظم خطرهما وجلالة قدرهما وقيل ان الجن والانس سميا ثقلين لثقلهما على الأرض أحياء وأمواتاً ومنه قوله وأخرجت الأرض أثقالها أي أخرجت ما فيها من الموتى والعرب تجعل السيد الشجاع ثقلاً على الأرض قالت الخنساء :

أَبَعْدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيدِ حَلَّتْ بِهِ الأَرْضُ أَثْقَالُهَا

والمعنى أنه لما مات حل عنها ثقل بموته لسؤدده ومجده وقيل ان المعنى زينت موتاها به من التحلية والأقطار جمع القطر وهو الناحية يقال طعنه فقطره إذا ألقاه على أحد قطريه وهما جانباه والسيما مشتق من السوم وهو رفع الثمن عن مقداره والعلامة ترفع باظهارها لتقع المعرفة بها والناصية شعر مقدم الرأس وأصله الاتصال من قول الشاعر « قيٌّ تناصيها بلادقيّ »(٢) أي تتصل بها فالناصية متصلة بالرأس والاقدام جمع قدم وهو العضو الذي يقدم صاحبه للوطء به على الأرض والآني الذي بلغ نهاية حرّه انى يأني انيا .

(١) فتذكرا أي الظليم والنعامة والرثيد ما رثد أي نضد ووضع بعضه فوق بعض .
(٢) القيّ بالكسر: قفر الأرض .

[ **المعنى** ] لما ذكر سبحانه الفناء والإعادة عقب ذلك بذكر الوعيد والتهديد فقال ﴿ **سنفرغ لكم ايه الثقلان** ﴾ أي سنقصد لحسابكم أيها الجن والإنس عن الزجاج قال والفراغ في اللغة على ضربين ( أحدهما ) القصد للشيء يقال سأفرغ لفلان أي سأجعله قصدي ( والآخر ) الفراغ من شغل والله عز وجل لا يشغله شأن عن شأن وقيل معناه سنعمل عمل من يفرغ للعمل فيجوده من غير تضجيع فيه وقيل سنفرغ لكم من الوعيد بتقضي أيامكم المتوعد فيها فشبه ذلك بمن فرغ من شيء وأخذ في آخر والشغل والفراغ من صفات الأجسام التي تحلها الأعراض وتشغلها عن الأضداد في تلك الحال ولذلك وجب أن يكون في صفة القديم تعالى مجازاً ويدل على أن الثقلين المراد بهما الجن والانس قوله ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا** ﴾ أي تخرجوا هاربين من الموت يقال نفذ الشيء من الشيء إذا خلص منه كالسهم ينفذ من الرمية ﴿ **من أقطار السماوات والأرض** ﴾ أي جوانبهما ونواحيهما والمعنى حيث ما كنتم أدرككم الموت ﴿ **فانفذوا** ﴾ أي فاخرجوا فلن تستطيعوا أن تهربوا منه ﴿ **لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ أي حيث توجهتم فثم ملكي ولا تخرجون من سلطاني فأنا آخذكم بالموت عن عطاء ومعنى السلطان القوة التي سلط[1] بها على الأمر ثم الملك والقدرة والحجة كلها سلطان وقيل لا تنفذون إلا بسلطان أي لا تخرجون إلا بقدرة من الله وقوة يعطيكموها بأن يخلق لكم مكاناً آخر سوى السماوات والأرض ويجعل لكم قوة تخرجون بها إليه فبين سبحانه بذلك أنهم في حبسه وأنه مقتدر عليهم لا يفوتونه وجعل ذلك دلالة على توحيده وقدرته وزجراً لهم عن معصيته ومخالفته وقيل إن المعنى في الآية إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات والأرض فاعلموا فإنه لا يمكنكم ذلك لا تنفذون إلا بسلطان أي لا تعلمونه إلا بحجة وبيان عن ابن عباس وقيل لا تنفذون إلا بسلطان معناه حيث ما شاهدتم حجة الله وسلطانه الذي يدل على توحيده عن الزجاج ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ أي بأي نعمة تكذبان أبإخباره عن تحيركم لتحتالوا له بعمل الطاعة واجتناب المعصية أو بإخباره عنكم إنكم لا تنفذون إلا بحجة لتستعدوا لذلك اليوم ﴿ **يرسل عليكما شواظ من نار** ﴾ وهو اللهب الأخضر المنقطع من النار ﴿ **ونحاس** ﴾ وهو الصفر المذاب للعذاب عن مجاهد وابن عباس وسفيان وقتادة وقيل النحاس الدخان عن ابن عباس في رواية أخرى وسعيد بن جبير وقيل النحاس المهل عن ابن مسعود والضحاك والمعنى لا تنفذون ولو جاز أن تنفذوا وقدرتم عليه لأرسل عليكم العذاب من النار المحرقة وقيل معناه أنه يقال لهم

---

(١) في المخطوطة : يتسلط .

ذلك يوم القيامة ﴿ **يرسل عليكما** ﴾ أي يرسل على من أشرك منكما وقد جاء في الخبر يحاط على الخلق بالملائكة[١] بلسان من نار ينادون يا معشر الجن والإنس إن إستطعتم أن تنفذوا من إلى قوله ﴿ **يرسل عليكما شواظ من نار** ﴾ وروى مسعدة بن صدقة عن كليب قال كنا عند أبي عبد الله ( ع ) فأنشأ يحدثنا فقال إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد وذلك أنه يوحي إلى السماء الدنيا أن أهبطي بمن[٢] فيك فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس والملائكة ثم يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين فلا يزالون كذلك حتى يهبط أهل سبع سماوات فيصير الجن والإنس في سبع سرادقات من الملائكة ثم ينادي منادٍ ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم** ﴾ الآية فينظرون فإذا قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة وقوله ﴿ **فلا تنتصران** ﴾ أي فلا تقدران على دفع ذلك عنكما وعن غيركما وعلى هذا فيكون فائدة الآية إن عجز الثقلين عن الهرب من الجزاء كعجزهم عن النفوذ من الأقطار وفي ذلك اليأس من رفع الجزاء بوجه من الوجوه ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ أي بإخباره إياكم عن هذه الحالة لتتحرزوا عنها أم بغيره من النعم فإن وجه النعمة في إرسال الشواظ من النار والنحاس على الثقلين هو ما في ذلك لهم من الزجر في دار التكليف عن مواقعة القبيح وذلك نعمة جزيلة ﴿ **فإذا إنشقت السماء** ﴾ يعني يوم القيامة إذا تصدعت السماء وإنفك بعضها من بعض ﴿ **فكانت وردة** ﴾ أي فصارت حمراء كلون الفرس الورد وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة أو الصفرة فيكون في الشتاء أحمر وفي الربيع اصفر وفي اشتداد البرد أغبر سبحان خالقها والمصرف لها كيف يشاء والوردة واحدة الورد فشبه السماء يوم القيامة في إختلاف ألوانها بذلك وقيل أراد به وردة النبات وهي حمراء وقد تختلف ألوانها ولكن الأغلب في ألوانها الحمرة فتصير السماء كالوردة في الإحمرار ثم تجري ﴿ **كالدهان** ﴾ وهو جمع الدهن عند إنقضاء الأمر وتناهي المدة قال الحسن هي كالدهان التي يصب بعضها على بعض بألوان مختلفة قال الفراء شبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه وهو قول مجاهد والضحاك وقتادة وقيل الدهان الأديم الأحمر وجمعه أدهنة عن الكلبي وقيل هو عكر الزيت يتلون ألواناً عن عطاء بن أبي رياح ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ وجه النعمة في انشقاق السماء حتى وقع التقرير بها هو ما في الإخبار به من الزجر والتخويف في دار الدنيا ﴿ **فيومئذ** ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ **لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان** ﴾ أي لا يسأل المجرم عن جرمه في ذلك الموطن

---

(١) في نسختين : وبلسان .

(٢) في نسخة : « بما » .

لما يلحقه من الذهول الذي تحار له العقول وإن وقعت المسألة في غير ذلك الوقت بدلالة قوله ﴿ **وقفوهم أنهم مسؤولون** ﴾ وتقدير الآية فيومئذ لا يسأل أنس عن ذنبه ولا جان عن ذنبه وقيل معناه فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان سؤال استفهام ليعرف ذلك بالمسألة من جهته لأن الله تعالى قد أحصى الأعمال وحفظها على العباد وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ للمحاسبة وقيل إن أهل الجنة حسان الوجوه وأهل النار سود الوجوه فلا يسألون من أي الحزبين هم ولكن يسألون عن أعمالهم سؤال تقريع وروي عن الرضا ( ع ) أنه قال فيومئذ لا يسأل منكم عن ذنبه أنس ولا جان والمعنى أن من اعتقد الحق ثم أذنب ولم يتب في الدنيا عذب عليه في البرزخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه ﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم** ﴾ أي بعلامتهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون عن الحسن وقتادة وقيل بإمارات الخزي ﴿ **فيؤخذ بالنواصي والأقدام** ﴾ فتأخذهم الزبانية فتجمع بين نواصيهم وأقدامهم بالغل ثم يسحبون في النار ويقذفون فيها عن الحسن وقتادة وقيل تأخذهم الزبانية بنواصيهم وبأقدامهم فتسوقهم إلى النار والله أعلم ﴿ **هذه جهنم** ﴾ أي ويقال لهم هذه جهنم ﴿ **التي يكذب بها المجرمون** ﴾ الكافرون في الدنيا قد أظهرها الله تعالى حتى زالت الشكوك فأدخلوها ويمكن أنه لما أخبر الله سبحانه أنهم يؤخذون بالنواصي والأقدام قال للنبي ﷺ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون من قومك فسيردونها فليهن عليك أمرهم ﴿ **يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾ أي يطوفون مرة بين الجحيم ومرة بين الحميم فالجحيم النار والحميم الشراب عن قتادة وقيل معناه أنهم يعذبون بالنار مرة ويتجرعون من الحميم يصب عليهم ليس لهم من العذاب أبداً فرج عن ابن عباس والآني الذي إنتهت حرارته وقيل الآني الحاضر ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ الوجه في ذلك أن التذكير بفعل العقاب والإنذار به من أكبر النعم لأن في ذلك زجراً عما يستحق به العذاب وحثاً وبعثاً على فعل ما يستحق به الثواب .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى

ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

[ **القراءة** ] قرأ الكسائي وحده لم يطمثهن بكسر الميم في إحداهما وضمها في الأخرى والباقون بكسر الميم في الحرفين معاً .

[ **الحجة** ] قال أبو علي يطمث ويطمث لغتان وقال أبو عبيدة لم يطمثهن أي لم يمسهن يقال ما طمث هذا البعير حبل قط أي ما مسه قال رؤبة « كالبيض لم يطمث بهن طامث » .

[ **اللغة** ] الإفنان جمع فنن وهو الغصن الغضّ الورق ومنه قولهم هذا فن آخر أي نوع آخر ويجوز أن يكون جمع فن والإتكاء الإستناد للتكرمة والإمتاع والتكأة تطرح للإنسان في مجالس الملوك للإكرام والإجلال وهو من وكأت السقاء إذا شددته ومنه قولهم العين وكأ السته والفرش جمع فراش وهو الموطأ الممهد للنوم عليه والبطائن جمع بطانة وهو باطن الظهارة والجنى الثمرة التي قد أدركت على الشجرة وهو صلح أن يجنى ومنه قول عمرو بن عدي :

هٰذا جَناي وَخِيارُهُ فِيهِ إذْ كُلُّ جانٍ يَدُهُ إلىٰ فِيهِ

وتمثل به علي (ع) وأصل الطمث الدم يقال طمثت المرأة إذا حاضت وطمثت إذا دميت بالاقتضاض وبعير لم يطمث إذا لم يمسه حبل ولا رحل قال الفرزدق :

دُفِعْنَ إلَيَّ لَمْ يُطْمَثْنَ قَبْلِي وَهُنَّ أَصَحُّ مِنْ بِيضِ النَّعامِ

[ **الإعراب** ] متكئين حال من المجرورة باللام أي لهم جنتان في هذه الحالة وما بين قوله ﴿ **جنتان** ﴾ إلى قوله ﴿ **متكئين** ﴾ صفات لجنتين بطائنها من استبرق إبتداء وخبر في

موضع الجر وصف لفرش وقوله ﴿ **وجنى الجنتين** ﴾ دانٍ إعتراض وقوله ﴿ **فيهن قاصرات** ﴾ الطرف صفة أخرى لفرش وقوله ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾ حال لقاصرات الطرف أي مشابهات للياقوت والمرجان وقوله ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ إعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ولهم من دونهما جنتان .

[ **المعنى** ] ثم عقب سبحانه الوعيد بالوعد فقال ﴿ **ولمن خاف مقام ربه** ﴾ أي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة قال مجاهد وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها وقيل هذا لمن راقب الله تعالى في السر والعلانية جملة فما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عرض له من خير عمله وأفضى به إلى الله تعالى لا يطلع عليه أحد وقال الصادق ( ع ) من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول من خير وشر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال فله ﴿ **جنتان** ﴾ أي جنة عدن وجنة النعيم عن مقاتل وقيل بستانان من بساتين الجنة إحداهما داخل القصر والأخرى خارج القصر كما يشتهي الإنسان في الدنيا وقيل إحدى الجنتين منزله والأخرى منزل أزواجه وخدمه عن الجبائي وقيل جنة من ذهب وجنة من فضة ثم وصف الجنتين فقال ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ أي ذواتا ألوان من النعيم عن ابن عباس وقيل ذواتا ألوان من الفواكه عن الضحاك وقيل ذواتا أغصان عن الأخفش والجبائي ومجاهد أي ذواتا أشجار لأن الأغصان لا تكون إلا من الشجر فدل بكثرة أغصانها على كثرة أشجارها وبكثرة أشجارها على تمام حالها وكثرة ثمارها لأن البستان إنما يكمل بكثرة الأشجار والأشجار لا تحسن إلا بكثرة الأغصان ﴿ **فيهما عينان تجريان** ﴾ أي في الجنتين عينان من الماء تجريان بين أشجارهما وقيل عينان إحداهما السلسبيل والأخرى التسنيم عن الحسن وقيل إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين عن عطية العوفي ﴿ **فيهما من كل فاكهة زوجان** ﴾ أي في كلتا الجنتين من كل ثمرة نوعان وضربان متشاكلان كتشاكل الذكر والأنثى فلذلك سماهما زوجين وذلك كالرطب واليابس من العنب والزبيب والرطب واليابس من التين وكذلك سائر الأنواع لا يقصر يابسه عن رطبه في الفضل والطيب وقيل معناه فيهما من كل نوع من الفاكهة ضربان ضرب معروف وضرب من شكله غريب لم يعرفوه في الدنيا ﴿ **متكئين** ﴾ حال ممّن ذكروا في قوله ﴿ **ولمن خاف مقام ربه** ﴾ أي قاعدين كالملوك ﴿ **على فرش بطائنها من استبرق** ﴾ أي من ديباج غليظ ذكر البطانة ولم يذكر الظهارة لأن البطانة تدل على أن لها ظهارة والبطانة دون الظهارة فدلّ على أن الظهارة فوق الاستبرق وقيل إن الظهائر من سندس وهو الديباج الرقيق والبطانة من استبرق وقيل الاستبرق الحرير الصيني

وهو بين الغليظ والدقيق وروي عن ابن مسعود أنه قال هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هذا مما قال الله تعالى ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين** ﴾ ﴿ **وجنى الجنتين دانٍ** ﴾ الجنى الثمر المجتنى أي تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً عن ابن عباس وقيل ثمار الجنتين دانية إلى أفواه أربابها فيتناولونها متكئين فإذا اضطجعوا نزلت بإزاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك عن مجاهد ﴿ **فيهن** ﴾ أي في الفرش التي ذكرها ويجوز أن يريد في الجنان لأنها معلومة وإن لم تذكر ﴿ **قاصرات الطرف** ﴾ قصرن طرفهن على أزواجهن لم يردن غيرهم عن قتادة وقال أبو[1] ذر أنها تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك فالحمد لله الذي جعلني زوجتك وجعلك زوجي والطرف جفن العين لأنه طرف لها ينطبق عليها تارة وينفتح تارة ﴿ **لم يطمثهن** ﴾ أي لم يفتضهن والإفتضاض النكاح بالتدمية والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن ﴿ **أنس قبلهم ولا جان** ﴾ فهن أبكار لأنهن خلقن في الجنة فعلى هذا القول هؤلاء من حور الجنة وقيل هن من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ أنشئن خلق عن الشعبي والكلبي أي لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان قال الزجاج وفي هذه الآية دليل على أن الجنّي يغشى كما يغشى الأنسي وقال ضمرة بن حبيب وفيها دليل على أن للجن ثواباً وأزواجاً من الحور فالأنسيات للإنس والجنيات للجن قال البلخي المعنى إن ما يهب الله لمؤمني الأنس من الحور لم يطمثهن أنس وما يهب الله لمؤمني الجن من الحور لم يطمثهن جان ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾ أي هن على صفاء الياقوت في بياض المرجان عن الحسن وقتادة وقال الحسن المرجان أشد اللؤلؤ بياضاً وهو صغاره وفي الحديث أن المرأة من أهل الجنة يرى مخ ساقها[2] من وراء سبعين حلة من حرير عن ابن مسعود كما يرى السلك من وراء الياقوت ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ أي ليس جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة وقيل هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة عن ابن عباس وجاءت الرواية عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال هل تدرون ما يقول ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن ربكم يقول هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة وقيل معناه هل جزاء من أحسن إليكم بهذه النعم إلا أن تحسنوا في شكره وعبادته وروى العياشي بإسناده عن الحسين بن سعيد عن عثمان بن عيسى عن علي بن سالم قال سمعت أبا عبد الله

---

(١) وفي نسخة: ابن زيد بدل أبو ذر.

(٢) وفي نسخة : ساقَيْها .

(ع) يقول آية في[1] كتاب الله مسجلة قلت ما هي قال قول الله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان جرت في الكافر والمؤمن والبر والفاجر ومن صنع إليه معروف فعليه أن يكافىء به وليس المكافأة أن تصنع كما صنع حتى يربي فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالإبتداء .

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا
جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ
خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾
تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

[ القراءة ] قرأ ابن عامر ذو الجلال بالرفع والباقون بالجر وفي الشواذ قراءة النبي ﷺ والجحدري ومالك بن دينار وابن محيصن والحسن وزهير القرقبي على رفارف خضر وعباقري حسان وقراءة الأعرج خضر بضمتين .

قال أبو علي من قرأ ذي الجلال فجر جعله صفة لربك وزعموا أن ابن مسعود قرأ ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام بالياء في كلتيهما وقال الأصمعي لا يقال الجلال إلا

(١) وفي نسخة : من .

في الله تعالى فهذا يقوي الجر إلا أن الجلال قد جاء في غير الله قال :

فَـلا ذا جَـلالٍ هِبْنَـهُ لِجَـلالِـهِ وَلا ذا ضِيـاعٍ هُنَّ يَتْـرُكْنَ لِلْفَقْـرِ

ومن رفع أجراه على الإسم قال ابن جني روى قطرب عباقري بكسر القاف غير مصروف ورويناه عن أبي حاتم عباقري بفتح القاف غير مصروف أيضاً قال أبو حاتم ولا يشبه إلا أن يكون عباقر بفتح[1] القاف على ما تتكلم به العرب قال ولو قالوا عباقري بكسر القاف وصرفوا لكان أشبه بكلام العرب كالنسب إلى مداين مدايني والرفارف رياض الجنة عن سعيد بن جبير وعبقر موضع قال امرؤ القيس :

كَـأَنَّ صَلِيـلَ الْمَـرْوِحِينَ تَشُـدُّهُ صلِيـلُ زُيُـوفٍ يُنْتَقَـدْنَ بِعَبْقَـرا[2]

وقال زهير :

بِخَيْـلٍ عَلَيْهـا جِنَّـةٌ عَبْقَـرِيَّـةٌ[3] جَـدِيرُونَ يَـوْماً أَنْ يَنـالُوا أَوْ يَسْتَعْلُوا

وأما ترك صرف عباقري فشاذ في القياس ولا يستنكر شذوذه في القياس مع استمراره في الإستعمال كما جاء عن الجماعة إستحوذ عليهم الشيطان فهو شاذ في القياس مطرد في الإستعمال وليس لنا أن نتلقى قراءة رسول الله ﷺ إلا بقبولها وأما خضر بضم الضاد فقليل وهو من مواضع الشعر كما قال طرفة « وراد أو شقر ».

[ **اللغة** ] الدهمة السواد وإدهام الزرع إذا علاه السواد رِيّا ومنه الدهماء وتصغيره الدهيماء للداهية سميت بذلك لظلامها والدهماء القدر والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء غير المعجمة لأن النضح الرَّش وبالخاء كالبزل والنضّاخة الفوارة التي ترمي بالماء صعداً والرمان مشتقّ من رمَّ يرم رمّاً لأن من شأنه أن يرمّ الفؤاد بجلائه له والخيرات جمع خيرة والرجل خير والرجال خيار وأخيار قال :

وَلَقَـدْ طَعَنْتُ مَجامِـعَ الـرَّبَـلاتِ رَبَـلاتِ هِنْـدٍ خَيْـرَةَ الْمَلَكَـاتِ[4]

---

(١) وفي نسختين : بكسر القاف.

(٢) الصليل : صوت وقع الحديد بعضه على بعض والمرو : الحجارة الصلبة والزيف : الدرهم الردي : وانتقد الدرهم أخرج منه الزيف يصف فرسه بأنّ وقع الحجارة بعضها على بعض حين شدة عَدْوه بمنزلة وقع الدراهم الزائفة بعضها على بعض حين ينتقدها النقاد في قرية بعبقر.

(٣) المراد من عبقر في هذا البيت هو الموضع الذي كانت العرب تزعم أنه كثير الجن.

(٤) الرَبلة والرَبَلة كل لحمة غليظة وقيل : أصول الأفخاذ والمراد من مجامع الربلات الفرج ومن الطعن الجماع.

وقال الزجاج أصل خيرات خيّرات فخفف والخيام جمع خيمة وهي بيت من الثياب على الأعمدة والأوتاد مما يتخذ للاصحار والرفوف رياض الجنة من قولهم رفّ النبات يرفّ أي صار غضاً نضراً وقيل الرفوف المجالس وقيل الوسائد وقيل إن كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف قال ابن مقبل:

وَإِنَّا لَنَزَّالُونَ تَغْشىٰ نِعَالَنَا سَوَاقِطُ مِنْ أَصْنَافِ رَيْطٍ وَرَفْرَفِ[1]

والعبقري عتاق الزرابي والطنافس المخملة الموشمة وهو اسم الجنس واحدته عبقرية قال أبو عبيدة كل شيء من البُسُط عبقري وكل ما بولغ في وصفه بالجودة نسب إلى عبقر وهو بلد كان يوشى فيه البُسُط وغيرها .

[ المعنى ] ثم قال سبحانه ﴿ومن دونهما جنتان﴾ أي ومن دون الجنتين اللتين ذكرناهما لمن خاف مقام ربه جنتان أخريان دون الجنتين الأوليين فإنهما اقرب الى قصره ومجالسه في قصره ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة إلى جنة على ما هو معروف من طبع البشر من شهوة مثل ذلك ومعنى دون هنا مكان قريب من الشيء بالإضافة الى غيره مما ليس له مثل قربه وهو ظرف مكان وإنما كان التنقل من جنة إلى جنة أخرى أنفع لأنه أبعد من الملل الذي طبع عليه البشر وقيل ان المعنى انهما دون الجنتين الاوليين في الفضل فقد روي عن النبي ﷺ انه قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وروى العياشي بالإسناد عن أبي بصير عن ابي عبد الله ( ع ) قال قلت له جعلت فداك اخبرني عن الرجل المؤمن تكون امرأة مؤمنة يدخلان الجنة يتزوج احدهما الآخر فقال يا ابا محمد ان الله حكم عدل إذا كان هو افضل منها خيره فإن اختارها كانت من ازواجه وان كانت هي خيراً منه خيّرها فإن اختارته كان زوجاً لها قال وقال ابو عبد الله ( ع ) لا تقولن الجنة واحدة ان الله يقول ومن دونهما جنتان ولا تقولن درجة واحدة ان الله يقول درجات بعضها فوق بعض إنما تفاضل القوم بالأعمال قال وقلت له ان المؤمنين يدخلان الجنة فيكون احدهما ارفع مكاناً من الآخر فيشتهي ان يلقى صاحبه قال من كان فوقه فله ان يهبط ومن كان تحته لم يكن له ان يصعد لأنه لا يبلغ ذلك المكان ولكنهم إذا احبوا ذلك واشتهوه التقوا على الاسرة وعن العلاء بن سيابة عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له ان الناس يتعجبون منا إذا قلنا يخرج قوم من جهنم[2] فيدخلون الجنة فيقولون لنا فيكونون مع اولياء الله في الجنة فقال يا علاء ان الله

---

(١) الريط جمع الريطة وهي كل ملاءة ليست ذات قطعتين متشامّتين بل كلها نسج واحد وقطعة واحدة.

(٢) وفي نسخة: من النار .

يقول ومن دونهما جنتان لا والله لا يكونون مع اولياء الله قلت كانوا كافرين قال (ع) لا والله لو كانوا ما دخلوا الجنة قلت كانوا مؤمنين قال لا والله لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النار ولكن بين ذلك وتأويل هذا لو صح الخبر انهم لم يكونوا من افاضل المؤمنين واخيارهم ثم وصف الجنتين فقال ﴿مدهامتان﴾ اي من خضرتهما قد اسودتا من الري وكل نبت اخضر فتمام خضرته ان يضرب الى السواد وهو على أتم ما يكون من الحسن وهذا على قول من قال ان الجنات الأربع لمن خاف مقام ربه وهو قول ابن عباس وقيل الأوليان للسابقين والأخريان للتابعين عن الحسن ﴿فيهما عينان نضاختان﴾ اي فوارتان بالماء ينبع من اصلهما ثم يجريان عن الحسن قال ابن عباس تنضخ على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور وقيل تنضخان بأنواع الخبرات ﴿فيهما فاكهة﴾ يعني ألوان الفاكهة ﴿ونخل ورمان﴾ وحكى الزجاج عن يونس النحوي وهو من قدماء النحويين أن النخل والرمان من افضل الفواكه وإنما فصلا بالواو لفضلهما قال الأزهري ما علمت ان احداً من العرب قال في النخل والكرم وثمارها انها ليست من الفاكهة وإنما قال ذلك من قال لقلة علمه بكلام العرب وتأويل القرآن العربي المبين والعرب تذكر الأشياء جملة ثم تختص شيئاً منها بالتسمية تنبيهاً على فضل فيه كما قال سبحانه من كان عدواً لله وملائكته وكتبه ورسله وجبرائيل وميكائيل ﴿فيهن﴾ يعني في الجنات الأربع ﴿خيرات حسان﴾ اي نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه روته أم سلمة عن النبي ﷺ وقيل خيرات فاضلات في الصلاح والجمال عن الحسن حسان في المناظر والألوان وقيل انهن نساء الدنيا ترد عليهم في الجنة وهن اجل من الحور العين وقيل خيرات مختارات عن جرير بن عبد الله وقيل لسن بذربات ولا زفرات ولا بَخِرات ولا متطلعات ولا متسوفات(١) ولا متسلطات ولا طماخات ولا طوّافات في الطرق ولا يَغِرن ولا يؤذين وقال عقبة بن عبد الغفار ونساء اهل الجنة يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين باصوات لم يسمع الخلائق مثلها : نحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن ونحن خيرات حسان حبيبات الازواج كرام وقالت عائشة ان الحور العين إذا قلن هذه المقالة اجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضئات وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن فغلبتهن والله ﴿حور﴾ اي بيض حسان البياض عن ابن عباس ومجاهد ومنه الدقيق الحواري لشدة بياضه والعين الحوراء إذا كانت شديدة بياض البياض شديدة سواد السواد وبذلك يتم حسن العين ﴿مقصورات في الخيام﴾ اي محبوسات

(١) وفي المخطوطة : المتشوقات والمتشوق من يظهر الشوق تكلفاً.

في الحجال مستورات في القباب عن ابن عباس وابي العالية والحسن والمعنى انهن مصونات مخدرات لا يبتذلن[١] وقيل مقصورات اي قصرن على ازواجهن فلا يردن بدلاً منهم عن مجاهد والربيع وقيل إن لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلاً عن ابن مسعود وروي عن النبي ﷺ انه قال الخيمة درة واحدة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها اهلا (؟) للمؤمن لا يراه الآخرون وعن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع عن وهب[٢] وعن انس عن النبي ﷺ قال مررت ليلة أسري بي بنهرٍ حافتاه قباب المرجان فنوديت منه السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء جوارٍ[٣] من الحور العين استأذنَّ ربهن عز وجل ان يسلّمن عليك فأذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نيأس[٤] ازواج رجال كرام ثم قرأ ﷺ حور مقصورات في الخيام **﴿لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان﴾** مر معناه والوجه في التكرير الإبانة عن ان صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة القاصرات الطرف **﴿متكئين على رفرف خضر﴾** اي على فرش مرتفعة عن الجبائي وقيل الرفرف رياض الجنة والواحدة رفرفة عن سعيد بن جبير وقيل هي المجالس عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل هي المرافق يعني الوسائد عن الحسن **﴿وعبقري حسان﴾** اي وزرابي حسان عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهي الطنافس وقيل العبقري الديباج عن مجاهد وقيل هي البسط عن الحسن قال القتيبي كل ثوب موشى فهو عبقري وهو جمع ولذلك قال حسان ثم ختم السورة بما ينبغي أن يبجل به ويعظم فقال **﴿تبارك اسم ربك﴾** اي تعاظم وتعالى اسم ربك لأنه استحق ان يوصف بما لا يوصف به غيره من كونه قديماً وإلّهاً وقادراً لنفسه وعالماً لنفسه وحياً لنفسه وغير ذلك **﴿ذي الجلال﴾** اي ذي العظمة والكبرياء **﴿والاكرام﴾** يكرم اهل دينه وولايته عن الحسن وقيل معناه عظمة البركة في اسم ربك فاطلبوا البركة في كل شيء بذكر اسمه وقيل ان اسم صلة لمعنى تبارك ربك قال لبيد :

إِلَى الْحَـوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّـلامِ عَلَيْكُمَـا ... وَمَنْ يَبْـكِ حَـوْلاً كـامِـلاً فَقَـدِ اعْتَـذَرَ

وقيل ان المعنى ان اسمه منزّه عن كل سوء له الاسماء الحسنى وقد صح عن النبي ﷺ انه قال انطقوا بياذا الجلال والإكرام اي داوموا عليه .

---

(١) وفي المخطوطة : لا يتبدلن.

(٢) في نسخة حور.

(٣) وفي سائر النسخ عن ذهب.

(٤) وفي نسخة : لانبئس وفي اخرى : لا نيبس.

# (٥٦) سورة الواقعة مكية وآياتها ست وتسعون

وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي **﴿وتجعلون رزقكم انكم تكذبون﴾** وقيل إلا قوله ثلة من الأولين وقوله افبهذا الحديث انتم مدهنون نزلت في سفره إلى المدينة .

[ **عدد آيها** ] تسع وتسعون آية حجازي شامي سبع بصري ست كوفي .

[ **اختلافها** ] اربع عشرة آية فأصحاب الميمنة واصحاب المشئمة واصحاب الشمال ثلثهن غير الكوفي والمدني الأخير انشأناهن غير البصري في سموم وحميم غير المكي وكانوا يقولون مكي واباريق مكي والمدني الأخير موضونة حجازي كوفي وحور عين كوفي والمدني الأول تأثيماً عراقي شامي والمدني الأخير والآخرين غير شامي والمدني الأخير لمجموعون شامي والمدني الأخير فروح وريحان شامي .

[ **فضلها** ] ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الواقعة كتب ليس من الغافلين وعن مسروق قال من اراد ان يعلم نبأ الأولين[١] ونبأ اهل الجنة ونبأ اهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة وروي ان عثمان بن عفان دخل على عبد الله بن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له ما تشتكي قال ذنوبي قال ما تشتهي قال رحمة ربي قال افلا ندعو الطبيب قال الطبيب امرضني قال افلا نأمر بعطائك قال منعتنيه وانا محتاج اليه وتعطينيه وانا مستغن عنه قال يكون لبناتك قال لا حاجة لهن فيه فقد امرتهن ان يقرأن سورة الواقعة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابداً وروى العياشي بالإسناد عن زيد الشحام عن ابي جعفر ( ع ) قال من قرأ سورة الواقعة قبل

(١) [ والاخرين ].

ان ينام لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وعن ابي بصير عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ في كل ليلة جمعة الواقعة أحبه الله وحببه إلى الناس أجمعين ولم ير في الدنيا بؤساً أبداً ولا فقراً ولا آفة من آفات الدنيا وكان من رفقاء أمير المؤمنين تمام الخبر .

[ **تفسيرها** ] ختم الله سبحانه سورة الرحمن بصفة الجنة وافتتح هذه السورة أيضاً بصفة القيامة والجنة فاتصلت أحداهما بالأخرى اتصال النظير للنظير فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾
إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ
هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ
مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾
عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة الحسن والثقفي وابي حيوة خافضة رافعة بالنصب .

[ **الحجة** ] هذا منصوب على الحال قال ابن جني وقوله ليس لوقعتها كاذبة حال اخرى قبلها اي إذا وقعت الواقعة صادقة الوقعة خافضة رافعة فهذه ثلاثة احوال ومثله مررت بزيد جالساً متكأً ضاحكاً وان شئت ان تأتي باضعاف ذلك جاز وحسن كما ان لك ان تأتي للمبتدأ من الأخبار بما شئت فتقول زيد عالم جميل فارس كوفي بزاز ونحو ذلك الا ترى ان الحال زيادة في الخبر وضرب منه .

[ **اللغة** ] الكاذبة مصدر مثل العافية والعاقبة والرج التحريك باضطراب واهتزاز ومنه

قولهم ارتج السهم عند خروجه من القوس والبس الفت كما يبس السويق اي يلت قال الشاعر: « لا تخبزا خبزاً وبسّابسا » والبسيس السويق أو الدقيق يتخذ زاداً وبست أيضاً سيقت عن الزجاج قال الشاعر «وانبس حبّات الكثيب الأهيل» والهباء غبار كالشعاع في الرقة وكثيراً ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة والانبثاث افتراق الاجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة والازواج الاصناف التي بعضها مع بعض كما يقال للخفين زوجان والثلاثة الجماعة واصله القطعة من قولهم ثل عرشه إذا قطع ملكه بهدم سريره والثلة القطعة من الناس والموضوئة المنسوجة المتداخلة كصفة الدرع المضاعفة قال الأعشى :

وَمِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً ... تُسَاقُ إِلَى الْحَيِّ عِيراً فَعِيرا

ومنه وضين الناقة وهو البطان من السيور[1] إذا نسج بعضه على بعض مضاعفاً .

[ الاعراب ] إذا وقعت الواقعة ظرف من معنى ليس لأن التقدير لا يكون لوقعتها كاذبة وليس نفي الحال فلا يكون إذا ظرفا منه ويجوز ان يكون العامل في إذا محذوفاً لدلالة الموضع عليه كأنه قال إذا وقعت الواقعة كذلك فاز المؤمنون وخسر الكافرون وقال ابو علي تقديره فهي خافضة رافعة فاضمر المبتدأ مع الفاء وجعلها جواب إذا أي خفضت قوماً ورفعت قوماً إذ ذاك فخافضة رافعة خبر المبتدأ المحذوف وقوله إذا رجت الأرض رجاً بدل من قوله إذا وقعت الواقعة ويجوز ان يكون ظرفاً من يقع أي يقع في ذلك الوقت ويجوز ان يكون خبراً عن إذا الاولى ونظيره إذا تزورني إذا ازور زيداً أي وقت زيارتك اياي وقت زيارتي زيداً قال ابن جني ويجوز ان يفارق إذا الظرفية كقول لبيد :

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

وقوله سبحانه حتى إذا كنتم في الفلك فإذا مجرورة عند ابي الحسن بحتى وذلك يخرجها من الظرفية واقول فعلى هذا لا يكون قوله إذا ظرفا في الموضعين بل كل واحد منهما في موضع الرفع لكونهما مبتدأ وخبراً بخلاف ما ظنه بعض المجودين من محققي زماننا في النحو فإنه قال قال عثمان يعني ابن جني العامل في إذا وقعت قوله إذا رجت وهذا خطأ فاحش فاصحاب الميمنة رفع بالابتداء والتقدير فأصحاب الميمنة ما هم أي أيُّ شيء هم واصحاب المشئمة اي أي شيء هم وهذه اللفظة مجراة مجرى التعجب ومتكئين ومتقابلين نصب على الحال .

(١) السيور جمع السير وهو كل مدة . (ثلة) مستقبلة من جلد غير مدبوغ يخصف به النعل .

[ **المعنى** ] **﴿إذا وقعت الواقعة﴾** اي إذا قامت القيامة عن ابن عباس والواقعة اسم القيامة كالآزفة وغيرها والمعنى إذا حدثت الحادثة وهي الصيحة عند النفخة الأخيرة لقيام الساعة وقيل سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشدة أو لشدة وقعها وتقديره إذكروا إذا وقعت الواقعة وهذا حث على الاستعداد لها **﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾** أي ليس لمجيئها وظهورها كذب ومعناه انها تقع صدقاً وحقاً فليس فيها ولا في الإخبار عنها ووقوعها كذب وقيل معناه ليس لوقوعها قضية كاذبة اي ثبت وقوعها بالسمع والعقل **﴿خافضة رافعة﴾** اي تخفض ناساً وترفع آخرين عن ابن عباس وقيل تخفض اقواماً الى النار وترفع اقواماً إلى الجنة عن الحسن والجبائي والمعنى الجامع للقولين انها تخفض رجالاً كانوا في الدنيا مرتفعين وتجعلهم اذلة بإدخالهم النار وترفع رجالاً كانوا في الدنيا أذلة وتجعلهم اعزة بإدخالهم الجنة **﴿إذا رجت الارض رجاً﴾** اي حركت حركة شديدة وقيل زلزلت زلزالاً شديداً عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أي رجفت بإماتة من على ظهرها من الأحياء وقيل معناه رجت بما فيها كما يرج الغربال بما فيه فيكون المراد ترج باخراج من في بطنها من الموتى **﴿وبست الجبال بساً﴾** أي فتّت[١] فتاً عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقيل معناه كسرت كسراً عن السدي[٢] عن سعيد ابن المسيب وقيل قلعت من اصلها عن الحسن وقيل سيرت عن وجه الأرض تسييراً عن الكلبي وقيل بسطت بسطاً كالرمل والتراب عن ابن عطية وقيل جعلت كثيباً مهيلاً بعد ان كانت شامخة طويلة عن ابن كيسان **﴿فكانت هباء منبثاً﴾** اي غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذ دخل من الكوة ثم وصف سبحانه احوال الناس بأن قال **﴿وكنتم ازواجاً ثلاثة﴾** أي اصنافاً ثلاثة ثم فسرها فقال **﴿فاصحاب الميمنة﴾** يعني اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم عن الضحاك والجبائي وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنةوقيل هم اصحاب اليمن والبركة على انفسهم والثواب من الله سبحانه بما سعوا من الطاعة وهم التابعون بإحسان عن الحسن والربيع ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيماً لشأنهم فقال **﴿ما أصحاب الميمنة﴾** أي أيّ شيء هم كما يقال هم ما هم **﴿وأصحاب المشئمة﴾** وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وقيل هم المشائيم على انفسهم بما عملوا من المعصية ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيماً لشأنهم في العذاب فقال **﴿ما أصحاب المشئمة﴾** ثم بين سبحانه الصنف الثالث فقال **﴿والسابقون السابقون﴾** اي والسابقون إلى اتباع الأنبياء الذين صاروا ائمة الهدى فهم

---

(١) فتّ الشيء دقه وكسره.

(٢) في المخطوطة : وسعيد بن المسيب.

السابقون الى جزيل الثواب عند الله عن الجبائي وقيل معناه السابقون الى طاعة الله وهم السابقون إلى رحمته والسابق الى الخير إنما كان أفضل لأنه يقتدى به في الخير وسبق إلى اعلى المراتب قبل من يجيء بعده فلهذا يميز[1] بين التابعين فعلى هذا يكون السابقون الثاني خبراً عن الأول ويجوز أن يكون الثاني تأكيداً للأول والخبر ﴿**أولئك المقربون**﴾ اي والسابقون إلى الطاعات يقربون إلى رحمة الله في اعلى المراتب وإلى جزيل ثواب الله في اعظم الكرامة ثم اخبر تعالى اين محلهم فقال ﴿**في جنات النعيم**﴾ لئلا يتوهم متوهم ان التقريب يخرجهم إلى دار أخرى فأعلم سبحانه انهم مقربون من كرامة الله في الجنة لأن الجنة درجات ومنازل بعضها ارفع من بعض وقد قيل في السابقين انهم السابقون إلى الإيمان عن مقاتل وعكرمة وقيل السابقون إلى الهجرة عن ابن عباس وقيل إلى الصلوات الخمس عن علي (ع) وقيل إلى الجهاد عن الضحاك وقيل إلى التوبة واعمال البر عن سعيد بن جبير وقيل إلى كل ما دعا الله اليه عن ابن كيسان وهذا اولى لأنه يعم الجميع وكان عروة بن الزبير يقول تقدموا تقدموا وعن أبي جعفر (ع) قال السابقون اربعة ابن آدم المقتول وسابق في[2] امة موسى (ع) وهو مؤمن آل فرعون وسابق في أمة عيسى (ع) وهو حبيب النجار والسابق في امة محمد ﷺ علي ابن ابي طالب (ع) ﴿**ثلة من الأولين**﴾ أي هم ثلة يعني جماعة كثيرة العدد من الأولين من الأمم الماضية ﴿**وقليل من الآخرين**﴾ من امة محمد لأن من سبق الى اجابة نبينا ﷺ قليل بالاضافة إلى من سبق إلى اجابة النبيين قبله عن جماعة من المفسرين وقيل معناه جماعة من اوائل هذه الأمة وقليل من اواخرهم ممن قرب حالهم من حال اولئك قال مقاتل يعني سابقي الأمم وقليل من الآخرين من هذه الأمة ﴿**على سرر موضونة**﴾ اي منسوجة كما يوضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض قال المفسرون منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والجواهر ﴿**متكئين عليها**﴾ اي مستندين جالسين جلوس الملوك ﴿**متقابلين**﴾ اي متحاذين كل واحد منهم بإزاء الآخر وذلك اعظم في باب السرور والمعنى أن بعضهم ينظر الى وجه بعض لا ينظر في قفاه لحسن معاشرتهم وتهذب اخلاقهم .

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾

(١) في المخطوطة: من التابعين.

(٢) فيها ايضاً سابق امة . . . . بدون لفظة في .

وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ
ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسۡمَعُونَ
فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابو جعفر وحمزة والكسائي وحور عين بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة ابن أبي اسحاق ولا ينزفون بفتح الياء وكسر الزاي وقراءة ابي بن كعب وابن مسعود وحوراً عيناً .

[ **الحجة** ] قال ابو علي وجه الرفع في وحور عين انه لما قال يطوف عليهم ولدان مخلدون دل هذا الكلام وما ذكر بعد على أن لهم فيها كذا وكذا ولهم فيها حور عين وكذلك من نصب حمل على المعنى لأن الكلام دل على يمنحون ويملكون وهذا مذهب سيبويه ويجوز ان يحمل الرفع على قوله على سرر موضونة والتقدير وعلى سرر موضونة حور عين أو وحور عين على سرر موضونة لأن الوصف قد جرى عليهن فاختصصن فجاز ان يرفع بالابتداء ولم يكن كالنكرة إذا لم يوصف نحو فيها عين وقوله على سرر موضونة خبر لقوله تعالى ثلة من الأولين وقليل من الآخرين فكذلك يجوز ان يكون خبراً عنهن ويجوز في ارتفاع وحور عين ان يكون عطفاً على الضمير في متكئين ولم يؤكد لكون طول الكلام بدلاً من التأكيد ويجوز أيضاً ان يعطفه على الضمير في متقابلين ولم يؤكد لطول الكلام أيضاً وقد جاء ما اشركنا ولا آباؤنا فهذا اجدر وقال الزجاج الرفع أحسن الوجهين لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بهذه الاشياء انه قد ثبت لهم ذلك فكأنه قال ولهم حور عين ومثله مما حمل على هذا[1] المعنى قول الشاعر :

بَادَتْ وَغَيَّرَ آيَهُنَّ مَعَ البِلَى ... إلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ

ثم قال بعده :

وَمُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَاءُ قَذَالِهِ ... فَبَدَا وَغَيَّرَ سَارَهُ المِعْزَاءُ[2]

لأنه لما قال إلا رواكد كان المعنى بها رواكد فحمل ومشجج على المعنى وقال غيره

(١) ليس في المخطوطة لفظة هذا.

(٢) مر البيت ومعناه في ص١٤١ من هذا الجزء.

تقديره وهناك حور عين قال أبو علي وجه الجرأن يكون يحمله على قوله اولئك المقربون في جنات النعيم التقدير أولئك المقربون في جنات النعيم وفي حور عين اي وفي مقاربة حور عين أو معاشرة حور عين فحذف المضاف فإن قلت فلم لا تحمله على الجار في قوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون بكذا وبحور عين فهذا يمكن ان يقال إلا ان ابا الحسن قال في ذا بعض الوحشة قال ابن جني[1] نزف البئر ينزفها نزفاً إذا استقى ماؤها وانزفت الشيء إذا افنيته قال الشاعر.

لَعَمْرِيَ لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ     لَبِئْسَ النَّدامَى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرَا[2]

[ المعنى ] ثم اخبر سبحانه ان ﴿يطوف عليهم ولدان﴾ اي وُصَفاء وغلمان للخدمة ﴿مخلدون﴾ اي باقون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون عن مجاهد وقيل مقرطون والخلَدَ القرط يقال خلَّد جاريته إذا حلاها بالقرطة عن سعيد بن جبير والفراء واختلف في هذه الولدان فقيل انهم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا[3] فأنزلوا هذه المنزلة عن علي(ع) والحسن وقد روي عن النبي ﷺ انه سأل عن اطفال المشركين فقال هم خدم أهل الجنة وقيل بل هم من خدم الجنة على صورة الولدان خلقوا لخدمة اهل الجنة ﴿بأكواب﴾ وهي القداح الواسعة الرؤوس لا خراطيم لها عن قتادة ﴿وأباريق﴾ وهي التي لها خراطيم وعرى وهو الذي يبرق من صفاء لونه ﴿وكأس من معين﴾ اي ويطوفون ايضاً عليهم بكأس خمر معين اي ظاهر للعيون جار ﴿لا يصدعون عنها﴾ اي لا يأخذهم من شربها صداع وقيل لا يتفرقون عنها ﴿ولا ينزفون﴾ أي لا تنزف عقولهم بمعنى لا تذهب بالسكر عن مجاهد وقتادة والضحاك ومن قرأ ينزفون حمله على انه لا تفنى خمرهم ﴿وفاكهة ما يتخيرون﴾ اي ويطوفون عليهم بفاكهة مما يختارونه ويشتهونه يقال تخيرت الشيء اخذت خيره ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ اي وبلحم طير مما يتمنون فإن اهل الجنة إذا اشتهوا لحم الطير خلق الله سبحانه لهم الطير نضيجاً حتى لا يحتاج إلى ذبح الطير وايلامه قال ابن عباس يخطر على قلبه الطير فيصير[4] ممثلاً بين يديه على ما اشتهى ﴿وحور عين﴾ قد مر بيانه ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ أي الدر المصون المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي قال عمر ابن أبي ربيعة:

---

(١) في المخطوطة: قال ابن جني يقال..

(٢) الندامى جمع ندمان وهو المنادم على الشرب أي بئس المصاحبون انتم في حال السكر والصحو.

(٣) في نسخة فيعاقبوا عليها وفي.

(٤) وفي نسختين: فيطير.

وَهْـيَ زَهْـرَاءُ مِـثْـلُ لُـؤْلُـؤَةِ الْـغَـوَّا ص مِـيـزَتْ مِنْ جَـوْهَـرٍ مَـكْـنُـونِ

﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ اي نفعل ذلك الجزاء اعمالهم وطاعاتهم التي عملوها في دار التكليف الدنيا ﴿لا يسمعون فيها﴾ اي في الجنة ﴿لغواً﴾ اي ما لا فائدة فيه من الكلام لأن كل ما يتكلمون به فيه فائدة ﴿ولا تأثيماً﴾ اي لا يقول بعضهم لبعض أثمت لأنهم لا يتكلمون بما فيه اثم عن ابن عباس وقيل معناه لا يتخالفون على شرب الخمر كما يتخالفون في الدنيا ولا يأثمون بشربها كما يأثمون في الدنيا ﴿إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾ اي لا يسمعون إلا قول بعضهم لبعض على وجه التحية سلاماً سلاماً والمعنى انهم يتداعون بالسلام على حسن الآداب وكريم الأخلاق اللذين يوجبان التواد ونصب سلاماً على تقدير سلمك الله سلاماً بدوام النعمة وكمال الغبطة(١) ويجوز ان يعمل سلام في سلاماً لأنه يدل على عامله كما يدل قوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتاً على العامل في نبات فإن المعنى انبتكم فنبتم نباتاً ويجوز ان يكون سلاماً نعتاً لقوله قيلا ويجوز ان يكون مفعول قيل فالوجوه الثلاثة تحتملها الآية :

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ إسماعيل وحمزة وحماد ويحيى عن أبي بكر وخلف عرباً ساكنة الراء والباقون عرباً بضمتين.

[ **الحجة** ] العروب الحسنة التبعل قال لبيد :

وَفي الْحُـدُوجِ عَـرُوبٌ غَيْـرُ فَـاحِشَـةٍ رَيَّـا الـرَّوَادِفِ يَعْشَىٰ دُونَهَـا الْـبَصَـرُ(٢)

(١) في نسخة : العطية.

(٢) الحدج : مركب من مراكب النساء. نحو الهودج والمحفّة والريّا مؤنث الريان وهو. الاخض الناعم من الاغصان =

والفعول يجمع على فُعُل وفعل فمن التثقيل قوله «فاصبري انك من قوم صبر» والتخفيف في ذلك شائع مطرد

[ **اللغة** ] السدر شجر النبق وأصل الخضد عطف العود اللين فمن هاهنا المخضود الذي لا شوك له لأن الغالب ان الرطب اللين لا شوك له والطلح قال أبو عبيدة هو كل شجر عظيم كثير الشوك قال بعض الحداة.

بَشَّرَهَا دليلُهَا وَقَالا غَداً تَرَيْنَ الطَّلْحَ وَالجِبَالا

وقال الزجاج الطلح شجر ام غيلان فقد يكون على احسن حال والمنضود من نضدت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض والبكر التي لم يفترعها الرجل فهي على خلقتها الأولى من حال الإنشاء ومنه البكرة لأول النهار والباكورة لأول الفاكهة والبكر الفتي من الابل وجمعه بكار وبكارة وجاء القوم على بكرتهم وبكرة أبيهم عن الأزهري والاتراب جمع ترب وهو اللُّدة الذي ينشأ مع مثله في حال الصبا وهو مأخوذ من لعب الصبي بالتراب أي هم كالصبيان الذين هم على سن واحد قال ابن[1] ابي ربيعة :

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تُهَادي بَيْنَ عَشْرٍ كَوَاعِبٍ أَتْرَابِ[2]

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه اصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال ﴿**وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين**﴾ هو مثل قوله ما أصحاب الميمنة وقد مر معناه ﴿**في سدر مخضود**﴾ أي[3] في نبق مخضود أي منزوع الشوكة قد خضد شوكة أي قطع عن ابن عباس وعكرمة وقتادة وقيل هو الذي خضد بكثرة حمله وذهاب شوكه وقيل هو الموقر حملاً عن الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان وقال الضحاك نظر المسلمون إلى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره وقالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت هذه الآية ﴿**وطلح منضود**﴾ قال ابن عباس وغيره هو شجر الموز وقيل ليس بالموز ولكنه شجرله ظل بارد رطب عن الحسن وقيل هو شجر يكون باليمن وبالحجاز من احسن الشجر منظراً وإنما ذكر هاتين الشجرتين لأن

---

= وغيرها ووجه ريان : كثير اللحم والروادف الاعجاز اعلم جمع ردف او الرادفة والردف هو. . .

(١) في المخطوطة : عمرو بن أبي ربيعة.

(٢) المهاة: الشمس. . . والبقرة الوحشية وقيل نوع من البقر الوحشي وهي اشبه بالمعز الاهلية وقرونها صلاب جداً تشبه بها المرئة في سمنها وجمالها وحسن عينيها وفلان يهادي بين اثنين اي يتمايل أو بالنباء للمفعول اي يمشي بينهما معتمداً عليهما لضعفه والمراد مشية المتبختر.

(٣) وفي المخطوطة: (فسدر) اي في نبق (مخضود) اي منزوع . .

العرب كانوا يعرفون ذلك فإن عامة أشجارهم أم غيلان ذات انوار ورائحة طيبة وروت العامة عن علي (ع) انه قرأ عنده رجل وطلح منضود فقال ما شأن الطلح إنما هو وطلع كقوله ونخل طلعها هضيم فقيل له ألا تغيره فقال إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحرك رواه عنه إبنه الحسن وقيس بن سعد(١) ورواه اصحابنا عن يعقوب بن شعيب قال قلت لأبي عبد الله (ع) وطلح منضود قال لا وطلع منضود والمنضود الذي نضد بعضه على بعض نضد بالحمل من أوله إلى آخره فليست له سوق بارزة فمن عروقه إلى افنانه ثمر كله **﴿وظل ممدود﴾** اي دائم لا تنسخه الشمس فهو باق لا يزول والعرب تقول لكل شيء طويل لا ينقطع ممدود قال لبيد :

غَلَبَ الْبَقَاءَ وَكَانَ غَيْرَ مُغَلَّبِ     دَهْرٌ طَوِيلٌ دائِمٌ مَمْدُودُ

وقد ورد في الخبر ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وروي ايضاً ان اوقات الجنة كغدوات الصيف لا يكون فيه حر ولا برد **﴿وماء مسكوب﴾** اي مصبوب يجري الليل والنهار ولا ينقطع عنهم فهو مسكوب بسكب الله إياه في مجاريه وقيل مسكوب مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج وقيل مسكوب يجري دائماً في غير اخدود عن سفيان وجماعة وقيل مسكوب ليشرب على ما يرى من حسنه وصفائه لا يحتاجون إلى تعب في استقائه **﴿وفاكهة كثيرة﴾** اي وثمار مختلفة كثيرة غير قليلة والوجه في تكرير ذكر الفاكهة البيان عن اختلاف صفاتها فذكرت اولاً بأنها متخيرة وذكرت هنا بأنها كثيرة ثم وصفت بقوله **﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾** اي لا تنقطع كما تنقطع فواكه الدنيا في الشتاء وفي اوقات مخصوصة ولا تمتنع ببعد متناول أو شوك يؤذي اليد كما يكون ذلك في الدنيا وقيل انها غير مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان لا يتوصل اليها إلا بالثمن **﴿وفرش مرفوعة﴾** اي بسط عالية كما يقال بناء مرفوع وقيل مرفوع بعضها فوق بعض عن الحسن والفراء وقيل معناه ونساء مرتفعات القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن عن الجبائي قال ولذلك عقبه بقوله انا انشأناهن انشاءاً ويقال لامرأة الرجل هي فراشه ومنه قول النبي ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر **﴿إنا أنشأناهن إنشاءاً﴾** أي خلقناهن خلقاً جديداً قال ابن عباس يعني النساء الآدميات والعجز الشمط يقول خلقتهن بعد الكبر والهرم في الدنيا خلقاً آخر وقيل معناه انشأنا الحور العين كما هن عليه على هيئاتهن لم ينتقلن من حال إلى حال كما يكون في الدنيا **﴿فجعلناهن ابكاراً﴾** أي عذارى عن الضحاك وقيل لا يأتيهن ازواجهن إلا وجدوهن ابكاراً **﴿عرباً﴾** اي متحننات على ازواجهن متحببات اليهم وقيل عاشقات

---

(١) قيل أيضاً: قيس بن سعيد.

لأزواجهن عن ابن عباس وقيل العروب اللعوب مع زوجها انساً به كأنس العرب بكلام العربي ﴿اترابا﴾ اي متشابهات مستويات في السن عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل امثال ازواجهن في السن ﴿لأصحاب اليمين﴾ اي هذا الذي ذكرناه لأصحاب اليمين جزاءاً وثواباً على طاعاتهم ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ أي جماعة من الأمم الماضية التي كانت قبل هذه الأمة وجماعة من مؤمني هذه الأمة قال الحسن سابقو الأمم الماضية اكثر من سابقي هذه الأمة وتابعو الأمم الماضية مثل تابعي هذه الأمة ان اصحاب اليمين منهم مثل اصحاب اليمين منا وإنما نكر سبحانه الثلة ليدل على أنه ليس لجميع الأولين والآخرين وإنما هو لجماعة منهم كما يقال رجل من جملة الرجال وهذا الذي ذكرناه قول مقاتل وعطاء وجماعة من المفسرين وذهب جماعة منهم ان الثلتين جميعاً من هذه الأمة وهو قول مجاهد والضحاك واختيار الزجاج وروي ذلك مرفوعاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال جميع الثلتين من امتي ومما يؤيد القول الأول ويعضده من طريق الرواية ما رواه نقلة الاخبار بالإسناد عن ابن مسعود قال تحدثنا عند رسول الله ﷺ ليلة حتى اكثرنا الحديث ثم رجعنا إلى اهلنا فلما اصبحنا غدونا إلى رسول الله ﷺ فقال عرضت علي الأنبياء الليلة بأتباعها من اممها فكان النبي تجيء معه الثلة من امته والنبي معه العصابة من امته والنبي معه النفر من امته والنبي معه الرجل[١] من أمته والنبي ما معه من امته أحد حتى إذا اتى اخي موسى في كبكبة من بني إسرائيل فلما رأيتهم اعجبوني فقلت اي رب من هؤلاء فقال هذا اخوك موسى بن عمران ومن معه من بني إسرائيل فقلت رب فأين امتي قال انظر عن يمينك فإذا ظراب[٢] مكة قد سدت بوجوه الرجال فقلت[٣] من هؤلاء فقيل هؤلاء امتك أرضيت قلت رب رضيت وقال[٤] انظر عن يسارك فإذا الافق قد انسد[٥] بوجوهه الرجال فقلت رب من هؤلاء قيل هؤلاء امتك أرضيت قلت رب رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين الفاً من امتك يدخلون الجنة لا حساب عليهم قال فأنشأ عكاشة بن محصن من بني اسد[٦] من خزيمة فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم انشأ رجل آخر فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة فقال نبي الله فداكم ابي وامي ان استطعتم ان تكونوا من السبعين فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من اهل الظراب فإن عجزتم[٧] وقصرتم فكونوا من اهل الافق واني قد رأيت ثم ناساً كثيراً يتهاوشون كثيراً فقلت هؤلاء السبعون الفاً فاتفق

---

(١) وفي المخطوطة: رجل. (٢) الظراب. (٣) في المخطوطة: رب من. . . . (٤) فيها قيل.
(٥) فيها أيضاً: سد. (٦) فيها ايضاً. ابن خزيمة. (٧) فيها: فقصرتم.

رأينا على انهم ناس ولدوا في الإسلام فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه فانتهى[١] حديثهم إلى رسول الله ﷺ فقال ليس كذلك ولكنهم الذين لا يسرقون ولا يتكبرون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ثم قال اني لارجو ان يكون من تبعني ربع اهل الجنة قال فكبرنا ثم قال إني لارجو ان يكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال اني لارجو ان يكونوا شطر أهل الجنة ثم تلا رسول الله ﷺ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين .

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾
وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ
ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟
يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ
إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ
ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ
مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر ءَإذا متنا بهمزتين أئنا لمبعوثون بهمزتين ايضاً ولم يجمع بين استفهامين إلا في هذا الموضع من القرآن وقد ذكرنا مذهب غيره من القراء فيما تقدم ومذهبه ايضاً في امثاله وقرأ اهل المدينة وعاصم وحمزة شرب الهيم بضم الشين والباقون بفتحها .

[ **الحجة** ] قال ابو علي إن الحق الف الاستفهام في قوله أئنا أو لم تلحق كان إذا متعلقاً بشيء دل عليه قوله أإنا لمبعوثون ألا ترى ان إذا ظرف من الزمان فلا بد له من فعل أو

---

(١) في نسختين: فانهى.

معنى فعل يتعلق به ولا يجوز ان يتعلق بقوله متنا لأنه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف وإذا لم يجز حمله على هذا الفعل ولا على ما بعد ان من حيث لم يعمل ما بعد ان فيما قبلها كما لا يعمل ما بعد لا فيما قبلها فكذلك لا يجوز ان يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله علمت انه يتعلق بشيء دل عليه قوله أئنا لمبعوثون وذلك نحشر أو نبعث ونحوهما مما يدل عليه هذا الكلام واما الشرب فهو نحو الأكل والضرب والشرب كالشغل والنكر واما الشرب فالمشروب كالطحن ونحوه وقد يكون الشرب جمع شارب مثل راكب ورَكْب وتاجر وتَجْر وراجل ورجل .

[ **اللغة** ] السموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن ومسام البدن خروقه ومنه اخذ السم الذي يدخل في المسام واليحموم الأسود الشديد السواد باحتراق النار وهو يفعول من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار يقال حممت الرجل إذا سخمت وجهه بالفحم والمترف الممتنع من اداء الواجبات طلباً للترفه وهي الرفاهية والنعمة والحنث نقض العهد المؤكد بالحلف والهيم الابل العطاش التي لا تروى من الماء لداء يصيبها والواحد اهيم والأنثى هيماء .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه أصحاب الشمال فقال ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾ وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى جهنم أو الذين يأخذون كتبهم بشمالهم أو الذين يلزمهم حال الشؤم والنكد ﴿ **في سموم وحميم** ﴾ أي في ريح حارة تدخل مسامهم وخروقهم وفي ماء مغلي حار انتهت حرارته ﴿ **وظل من يحموم** ﴾ أي دخان أسود شديد السواد عن ابن عباس وأبي مالك ومجاهد وقتادة وقيل اليحموم جبل في جهنم يستغيث أهل النار إلى ظله ثم نعت ذلك الظل فقال ﴿ **لا بارد ولا كريم** ﴾ أي لا بارد المنزل ولا كريم المنظر عن قتادة وقيل لا بارد يستراح إليه لأنه دخان جهنم ولا كريم فيشتهى مثله وقيل ولا كريم أي ولا منفعة فيه بوجه من الوجوه والعرب إذا أرادت نفي صفة الحمد عن شيء نفت عنه الكرم وقال الفراء العرب تجعل الكريم تابعاً لكل شيء نفت عنه وصفاً تنوي به الذم تقول ما هو بسمين ولا كريم وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة ثم ذكر سبحانه أعمالهم التي أوجبت لهم هذا فقال ﴿ **انهم كانوا قبل ذلك مترفين** ﴾ أي كانوا في الدنيا متنعمين عن ابن عباس وذلك أن عذاب المترف أشد ألماً وبين سبحانه أن الترف ألهاهم عن الانزجار وشغلهم عن الاعتبار وكانوا[1] يتركون الواجبات طلباً لراحة أبدانهم ﴿ **وكانوا يصرون على الحنث**

(١) في بعض النسخ : فكانوا .

**العظيم** ﴾ أي الذنب العظيم عن مجاهد وقتادة والإصرار أن يقيم عليه فلا يقلع عنه ولا يتوب منه وقيل الحنث العظيم الشرك أي لا يتوبون عنه عن الحسن والضحاك وابن زيد وقيل كانوا يحلفون لا يبعث الله من يموت وإن الأصنام أنداد الله عن الشعبي والأصم ﴿ **وكانوا يقولون ءإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون** ﴾ أي ينكرون البعث والنشور والثواب والعقاب فيقولون مستبعدين لذلك منكرين له ءإذا خرجنا من كوننا أحياء وصرنا تراباً أنبعث ﴿ **أو آباؤنا الأولون** ﴾ أي أو يبعث آباؤنا الذين ماتوا قبلنا ويحشرون إن هذا البعيد ومن قرأ أو آباؤنا بفتح الواو فإنها واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **إن الأولين والآخرين** ﴾ أي الذين تقدموكم من آبائكم وغير آبائكم والذين يتأخرون عن زمانكم ﴿ **لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم** ﴾ يجمعهم الله ويبعثهم ويحشرهم إلى وقت يوم معلوم عنده وهو يوم القيامة ﴿ **ثم إنكم أيها الضالون** ﴾ الذين ضللتم عن طريق الحق وجزتم عن الهدى ﴿ **المكذبون** ﴾ بتوحيد الله وإخلاص العبادة له ونبوة نبيه ﴿ **لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون** ﴾ مفسر في سورة الصافات ﴿ **فشاربون عليه من الحميم** ﴾ الشجر يؤنث ويذكر فلذلك قال منها ثم قال عليه وكذلك الثمر يؤنث ويذكر ﴿ **فشاربون شرب الهيم** ﴾ أي كشرب الهيم وهي الإبل التي أصابها الهيام وهو شدة العطش فلا تزال تشرب الماء حتى تموت عن ابن عباس وعكرمة وقتادة وقيل هي الأرض الرملية التي لا تروى بالماء عن الضحاك وابن عيينة ﴿ **هذا نزلهم يوم الدين** ﴾ النزل الأمر الذي ينزل عليه صاحبه والمعنى هذا طعامهم وشرابهم يوم الجزاء في جهنم .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ
فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾
ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا

فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ
ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ
بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير نحن قدرنا بالتخفيف والباقون قدرنا بالتشديد وقرأ أبو بكر ءانا لمغرمون بهمزتين والباقون بهمزة واحدة .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قدرنا في معنى قدرنا ويدل عليه قوله :

وَمُفْـرِهَـةٍ عَنْسٍ قَـدَرْتُ لِسَـاقِهـا فَخَـرَّتْ كَمَا تَتَّايَعُ الـرِّيحُ بِـالقَفْـلِ(١)

والمعنى قدرت ضربي لساقها فضربتها فخرت ومثله في المعنى :

فَـإِنْ تَعْتَـذِر بِـالْمَحْـلِ مِنْ ذي ضُـرُوعِهـا عَلَى الضَّيْفِ نَجْرَحُ في عَراقِيبِهـا نَصْلي(٢)

[ **اللغة** ] يقال أمنى يمني ومنى يمني بمعنى ومنه قراءة أبي السماك تمنون بفتح التاء والأصل من المنى وهو التقدير قال الشاعر :

لا تَـأْمَـنَـنَّ وإنْ أَمْـسَيْـتَ فـي حَـرَمٍ حَـتَّى تُـلاقِـيَ مَـا يَمْـنِي لَـكَ الْـمَـانِي

ومنه المنية لأنها مقدرة تأتي على مقدار والحطام الهشيم الذي لا ينتفع به في مطعم

(١) أفرهت الناقة : إذا كانت تنتج الفره أي النوق الخفيفات في السير والعنس الناقة الصلبة القوية وأتايع الريح بورق الشجر فأذهبت به والقفل ما يبس من الشجر .

(٢) المحل : الجدب . الكيد . السعاية . العرقوب : عصب غليظ موتر فوق عقب الانسان ومن الدابة في رجلها ومنزلة الركبة في يدها والنصل حديدة السهم والسيف والرمح والسكين يقول ان تعتذر للضيف بأن ليس في ضروعها لبن نشقّ عراقيبها بالنصل ونجرحها .

ولا غذاء وأصل الحطم الكسر والحطم السواق بعنف يحطم بعضها على بعض قال « قد لَفَّهَا اللَّيْلَ بِسَوّاقٍ حُطَم » والتفكه أصله تناول ضروب الفواكه للأكل والفكاهة المزاح ومنه حديث زيد كان من أفكه الناس مع أهله ورجل فكه طيب النفس والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض وأصل الباب اللزوم والغرام العذاب اللازم قال الأعشى :

إنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَراماً وَإذن يُعْـ طِ جَزيلاً فإنَّهُ لا يُبالِي

والنار مأخوذة من النور قال الحارث :

فَتَنَوَّرْتُ نارَها مِنْ بَعيدٍ بِخَزازَى هَيْهاتَ مِنْكِ الصِّلاءُ(١)

والإيراء إظهار النار بالقدح يقال أورى يوري ووريت بك زنادي أي أضاء بك أمري ويقال قدح فأورى إذا أظهر النار فإذا لم يور قيل قدح فأكبى والمقوي النازل بالقواء من الأرض ليس بها أحد وأقوت الدار خلت من أهلها قال النابغة :

أقْوى وَأقْفَرَ مِنْ نعْمٍ وَغَيَّرها هُوجُ الرِّياحِ بِها التُّربِ مَوّارُ(٢)

وقال عنترة :

حُيِّيتُ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عَهْدُهُ أقْوى وَأقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ(٣)

[ المعنى ] ثم احتج سبحانه عليهم في البعث بقوله ﴿ نحن خلقناكم ﴾ أي نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئاً وأنتم تعلمون ذلك عن مقاتل ﴿ فلولا تصدقون ﴾ أي فهلا تصدقون ولم لا تصدقون بالبعث لأن من قدر على الإنشاء والابتداء قدر على الإعادة ثم نبههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحة ما ذكره فقال ﴿ أفرأيتم ما تمنون ﴾ أي ما تقذفون وتصبّون في أرحام النساء من النطف فيصير ولداً ﴿ ءانتم تخلقونه ﴾ أي ءأنتم تخلقون ما تمنون بشراً ﴿ أم نحن الخالقون ﴾ فإذا لم تقدروا أنتم وأمثالكم على ذلك فاعلموا أن الله سبحانه الخالق لذلك وإذا ثبت أنه قادر على خلق الولد من النطفة وجب أن

(١) تنور النار من بعيد: تبصّرها وخزازى جبل كانوا يوقدون عليه غداة الغارة والصلاء: الشواء. والوقود. والعظيم من النار.

(٢) الهوج جمع الهوجاء وهي الريح التي لا تستوي في هبوبها وتقلع البيوت والهابي من هبا الغبار أي سطع وموضع هابى التراب أي كأن ترابه هباء في الرقة وتراب هابٍ أي منتشر في الجو وموّار مبالغة من مار الشيء أي تحرّك بسرعة وجاء وذهب.

(٣) مر البيت في ج ٣

يكون قادراً على إعادته بعد موته لأنه ليس بأبعد منه ثم بين سبحانه أنه كما بدأ الخلق فإنه يميتهم فقال ﴿ **نحن قدرنا بينكم الموت** ﴾ التقدير ترتيب الأمر على مقدار أي نحن أجرينا الموت بين العباد على مقدار كما تقتضيه الحكمة فمنهم من يموت صبياً ومنهم من يموت شاباً ومنهم من يموت كهلاً وشيخاً وهرماً عن مقاتل وقيل معناه قدرناه بأن سوينا فيه بين المطيع والعاصي وبين أهل السماء والأرض عن الضحاك ﴿ **وما نحن بمسبوقين** ﴾ قيل أنه من تمام ما قبله أي لا يسبقنا أحد منكم على ما قدرناه من الموت حتى يزيد في مقدار حياته وقيل أنه ابتداء كلام يتصل به ما بعده والمعنى وما نحن بمغلوبين ﴿ **على أن نبدل أمثالكم** ﴾ أي نأتي بخلق مثلكم بدلاً منكم وتقديره نبدلكم بأمثالكم فحذف المفعول الأول والجار من المفعول الثاني قال الزجاج معناه أن أردنا أن نخلق خلقاً غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا ﴿ **وننشئكم فيما لا تعلمون** ﴾ من الصور أي إن أردنا أن نجعل منكم القردة والخنازير لم نسبق ولا فاتنا ذلك وتقديره كما لم نعجز عن تغيير أحوالكم بعد خلقكم لا نعجز عن أحوالكم بعد موتكم وقيل أراد النشأة الثانية أي ننشئكم فيما لا تعلمون من الهيئات المختلفة فإن المؤمن يخلق على أحسن هيئة وأجمل صورة والكافر على أقبح صورة وقيل إنما قال ذلك لأنهم علموا حال النشأة الأولى كيف كانت في بطون الأمهات وليست الثانية كذلك لأنها تكون في وقت لا يعلمه العباد ﴿ **ولقد علمتم النشأة الأولى** ﴾ أي المرة الأولى من الإنشاء وهو ابتداء الخلق حين خلقتم[1] من نطفة وعلقة ومضغة ﴿ **فلولا تذكرون** ﴾ أي فهلا تعتبرون وتستدلون بالقدرة عليها على الثانية ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون** ﴾ أي ما تعملون في الأرض وتلقون فيها من البذر ﴿ **ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ أي ءأنتم تنبتونه وتجعلونه زرعاً أم نحن المنبتون فإن من قدر على إنبات الزرع من الحبة الصغيرة وإن يجعلها حبوباً كثيرة قدر على إعادة الخلق إلى ما كانوا عليه وروي عن النبي ﷺ أنه قال لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت ﴿ **لو نشاء لجعلناه** ﴾ أي جعلنا ذلك الزرع ﴿ **حطاماً** ﴾ أي هشيماً لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء وقيل تبنا لا قمح فيه عن عطاء ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ أي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم عن عطاء والكلبي ومقاتل وقيل معناه تندمون وتتأسفون على ما أنفقتم فيه عن عكرمة وقتادة والحسن وأصله من التفكه بالحديث وهو التلهي به فكأنه قال فظلتم تتروحون إلى التندم كما يتروح الفكه إلى الحديث بما يزيل الهم وقيل معناه يتلاومون عن عكرمة أي يلوم بعضكم بعضاً على التفريط في طاعة الله ﴿ **إنا لمغرمون** ﴾ أي

---

(١) في بعض النسخ : خلقهم .

تقولون إنا لمغرمون والمعنى أنا قد ذهب مالنا كله ونفقتنا وضاع وقتنا ولم نحصل على شيء وقيل معناه انا لمعذبون مجدودون[١] عن الحظ عن مجاهد وفي رواية أخرى عنه أنا لمولع بنا وفي رواية أخرى منه انا لملقون في الشر وقيل محارفون عن قتادة ومن قرأ ءانا على الاستفهام حمله على أنهم يقومون فيقولون منكرين لذلك ومن قرأ انا على الخبر حمله على أنهم مخبرون بذلك عن أنفسهم ثم يستدركون فيقولون ﴿ **بل نحن محرومون** ﴾ أي مبخوسو[٢] الحظ محارفون ممنوعون من الرزق والخير ثم قال سبحانه منبهاً على دلالة أخرى ﴿ **أفرأيتم الماء الذي تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن** ﴾ أي من السحاب ﴿ **أم نحن المنزلون** ﴾ نعمة منا عليكم ورحمة بكم ثم قال ﴿ **لو نشاء جعلناه اجاجاً** ﴾ أي مرّاً شديد المرارة وقيل هو الذي اشتدت ملوحته ﴿ **فلولا تشكرون** ﴾ أي فهلا تشكرون على هذه النعمة السنية التي لا يقدر عليها أحد غير الله ثم نبه سبحانه على دلالة أخرى فقال ﴿ **أفرأيتم النار التي تورون** ﴾ أي تستخرجونها وتقدحونها بزنادكم من الشجر ﴿ **ءأنتم أنشأتم شجرتها** ﴾ التي تنقدح النار منها أي ءانتم أنبتّموها وابتدأتموها ﴿ **أم نحن المنشئون** ﴾ لها فلا يمكنْ أحداً أن يقول أنه أنشأ تلك الشجرة غير الله تعالى والعرب تقدح بالزند والزندة وهو خشب يحك بعضه ببعض فتخرج منه النار وفي المثل « في كل شجر نار واستمجد[٣] المرخ والعفار» ﴿ **نحن جعلناها تذكرة** ﴾ أي نحن جعلنا هذه النار تذكرة للنار الأخرى الكبرى فإذا رآها الرائي ذكر جهنم واستعاذ بالله منها عن عكرمة ومجاهد وقتادة وقيل معناه تذكرة يتذكر بها ويتفكر فيها فيعلم أن من قدر عليها وعلى إخراجها من الشجر الرطب قدر على النشأة الثانية ﴿ **ومتاعاً للمقوين** ﴾ أي وجعلناها بلغة ومنفعة للمسافرين عن ابن عباس والضحاك وقتادة يعني الذين نزلوا الأرض القِيّ وهو القفر وقيل للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين عن عكرمة ومجاهد والمعنى أن جميعهم يستضيئون بها من في الظلمة ويصطلون من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز وعلى هذا فيكون المقوي من الأضداد فيكون المقوي الذي صار ذا قوة من المال والنعمة والمقوي أيضاً الذاهب ماله النازل بالقواء من الأرض فالمعنى ومتاعاً للأغنياء والفقراء ولما ذكر سبحانه ما يدل على توحيده وانعامه على عبيده قال ﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ أي فبرّىء الله تعالى مما يقولونه في وصفه ونزهه عما لا يليق بصفاة وقيل معناه قل

---

(١) وفي سائر النسخ محدودون بالمهملة وجدّ النخل بالجيم أي صرمه وقطعه وحدّ الله عنا الشر أي كفّه وصرفه .

(٢) وفي نسخة : محبوسو الحظ .

(٣) أي استكثرا من النار ومعنى المثل : كأنهما أخذا من النار ما هو حسبهما يقال شبّها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض .

سبحان ربي العظيم فقد صح عن النبي ﷺ أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها في ركوعكم .

﴿ * فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ
لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ
مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ
رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾
وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا
تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم بموقع النجوم بغير ألف والباقون بمواقع النجوم على الجمع وروى بعضهم عن عاصم أنكم تكذبون بالتخفيف والقراءة المشهورة بالتشديد وفي الشواذ قراءة الحسن والثقفي فلا قسم بخير ألف وقراءة علي (ع ) وابن عباس ورويت عن النبي ﷺ وتجعلون شكركم .

[ **الحجة** ] قال أبو عبيدة فلا أقسم بمواقع النجوم أي فاقسم ومواقعها مساقطها حيث تغيب وقال غيره أنه مواقع القرآن حين نزل على النبي ﷺ نجوماً فأما الجمع في ذلك وإن كان مصدراً فلاختلاف ذلك فإن المصادر وسائر أسماء الأجناس إذا اختلفت جاز جمعها ومن قرأ بموقع فافرد فلأنه اسم جنس ومن قرأ تكذبون فالمعنى تجعلون رزقكم الذي رزقكموه الله فيما قال ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء مباركاً** ﴾ إلى قوله ﴿ **رزقاً للعباد** ﴾ وقال وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم انكم تكذبون في أن تنسبوا هذا الرزق إلى غير الله تعالى فتقولون مطرنا بنوء كذا فهذا وجه التخفيف ومن قرأ تكذّبون فالمعنى انكم تكذبون

بالقرآن لأن الله تعالى هو الذي رزقكم ذلك على ما جاء في قوله تعالى ﴿ رزقاً للعباد ﴾ فتنسبونه أنتم إلى غيره فهذا تكذيبكم بما جاء به التنزيل وأما ما روي من قوله وتجعلون شكركم فالمعنى تجعلون مكان الشكر الذي يجب عليكم التكذيب وقد يكون المعنى وتجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف المضاف وقال ابن جني هو على وتجعلون بدل شكركم ومثله قول العجاج :

رَبَّيْتُهُ حَتَّى إذا تَمَعْدَدَا(١) كَانَ جَزائِي بِالْعَصَا أَنْ أُجْلَدَا

أي كان بدل جزائي الجلد بالعصا وأما قوله فلأقسم فالتقدير لأنا أقسم وهو فعل الحال يدل على ذلك أن جميع ما في القرآن من الأقسام إنما هو حاضر الحال لا وَعْدُ الإقسام كقوله ﴿ والتين والزيتون والشمس وضحاها ﴾ ولذلك حملت لا على الزيادة في قوله ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ ونحوه نعم ولو أريد به الفعل المستقبل للزمت منه النون فقيل لأقسمن .

[ اللغة ] القسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر بما يجعله في قسم الصواب دون الخطأ والعظيم هو الذي يقصر مقدار ما يكون من غيره عما يكون منه وهو ضربان عظيم الشخص وعظيم الشأن والكريم هو الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان القرآن من شأنه أن يعطي الخير الكثير بأدلته المؤدية إلى الحق كان كريماً على حقيقة معنى الكريم لا على التشبيه بطريق المجاز والكريم في صفات الله تعالى من الصفات النفسية التي يجوز أن يقال فيها لم يزل كريماً لأن حقيقته تقتضي ذلك من جهة أن الكريم هو الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان القادر على الكرم الذي لا يمنعه مانع من شأنه أن يعطي الخير الكثير صح أن يقال أنه لم يزل كريماً والمدهن الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر كالدهن في سهولة ذلك عليه والاسراع فيه يقال ادهن يدهن وداهن يداهن مثل نافق والدين هو الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان أي كما تجزي تجزى والدين العمل الذي يستحق به الجزاء .

[ الإعراب ] فلولا إذا بلغت الحلقوم العامل في إذا محذوف يدل عليه الفعل الواقع بعد لولا وهو ترجعونها في فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها وجواب الشرط أيضاً هو مدلول قوله فلولا ترجعونها ولولا هذه للتحضيض بمعن هلا ولا يقع بعدها إلا الفعل ويكون التقدير فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم فلولا ان كنتم فكرر لولا ثانياً لطول الكلام .

(١) تَمَعْدَدَا الغلام : شبّ وغلظ وذهبت عنه رطوبة الصبا .

[ **المعنى** ] ثم أكّد سبحانه ما تقدم ذكره بقوله ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم** ﴾ ولا زائدة والمعنى فأقسم عن سعيد بن جبير ويجوز أن يكون لا ردّاً لما يقوله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة ثم استأنف القسم فقال اقسم وقيل أن لا تزاد في القسم فيقال لا والله لا أفعل وقال امرؤ القيس :

لَا وَأَبِيكِ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ لَا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنّي أَفِرُّ

والمعنى وأبيك وقيل أن المعنى لا أقسم على هذه الأشياء فإن أمرها أظهر وآكد من أن يحتاج فيه إلى اليمين عن أبي مسلم واختلف في معنى مواقع النجوم فقيل هي مطالع النجوم ومساقطها عن مجاهد وقتادة وقيل انكدارها وهو انتشارها يوم القيامة عن الحسن وقيل هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا فيكون المعنى فلا أقسم بها وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أن مواقع النجوم رجومها للشياطين وكان المشركون يقسمون بها فقال سبحانه ﴿ **فلا أقسم بها** ﴾ وقيل معناه أقسم بنزول القرآن فإنه نزل متفرقاً قِطَعا نجوماً عن ابن عباس ﴿ **وانه لقسم لو تعلمون عظيم** ﴾ قال الزجاج والفراء وهذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والضمير في إنه يعود إلى القسم ودل عليه قوله أقسم والمعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون ففصل بين الصفة والموصوف بالجملة ثم ذكر المقسم به فقال ﴿ **إنه لقرآن كريم** ﴾ معناه إن الذي تلوناه عليك لقرآن كريم أي عام المنافع كثير الخير ينال الأجر العظيم بتلاوته والعمل بما فيه وقيل كريم عند الله تعالى أكرمه الله تعالى وأعزه لأنه كلامه عن مقاتل وقيل كريم لأنه كلام رب العزة ولأنه محفوظ عن التغيير والتبديل ولأنه معجز ولأنه يشتمل على الأحكام والمواعظ وكل جليل خطير وعزيز فهو كريم ﴿ **في كتاب مكنون** ﴾ أي مستور من خلقه عند الله وهو اللوح المحفوظ أثبت الله فيه القرآن عن ابن عباس وقيل هو المصحف الذي في أيدينا عن مجاهد ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾ معناه في القول الأول لا يمسه إلا الملائكة الذين وصفوا بالطهارة من الذنوب وفي القول الثاني إلا المطهرون من الشرك عن ابن عباس وقيل المطهرون من الاحداث والجنابات وقالوا(١) لا يجوز للجنب والحائض والمحدث مس المصحف عن محمد بن علي الباقر (ع) وطاووس وعطاء وسالم وهو مذهب مالك والشافعي فيكون خبراً بمعنى النهي وعندنا أن الضمير يعود إلى القرآن فلا يجوز لغير الطاهر مس كتابة القرآن ﴿ **تنزيل من رب العالمين** ﴾ أي هذا القرآن منزل من عند الله تعالى الذي

(١) وفي نسخة : وقيل بدل قالوا .

خلق العباد ودبّرهم على ما أراد على نبيه محمد ﷺ ثم خاطب سبحانه أهل مكة فقال ﴿ **أفبهذا الحديث** ﴾ الذي حدثناكم به وأخبرناكم فيه عن حوادث الأمور وهو القرآن ﴿ **أنتم مدهنون** ﴾ أي مكذبون عن ابن عباس وقيل مدهنون ممالئون للكفار على الكفر به عن مجاهد وقيل منافقون على التصديق به أي تقولون آمنا به وتدهنون فيما بينكم وبين المشركين إذا خلوتم فقلتم إنا معكم قال مؤرج هو الذي يلين جانبه ليخفي كفره وأصله من الدهن ﴿ **وتجعلون رزقكم انكم تكذبون** ﴾ أي وتجعلون حظكم من الخير الذي هو كالرزق لكم انكم تكذبون به وقيل وتجعلون شكر رزقكم التكذيب عن ابن عباس قال أصاب الناس عطش في بعض أسفاره فدعا ﷺ فسقوا فسمع رجلاً يقول مطرنا بنوء كذا فنزلت الآية وقيل معناه وتجعلون حظكم من القرآن الذي رزقكم الله التكذيب به عن الحسن ﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم** ﴾ أي فهلا إذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت ﴿ **وأنتم** ﴾ يا أهل الميت ﴿ **حينئذ تنظرون** ﴾ أي ترون تلك الحال وقد صار إلى أن تخرج نفسه وقيل معناه تنظرون لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم** ﴾ بالعلم والقدرة ﴿ **ولكن لا تبصرون** ﴾ ذلك ولا تعلمونه وقيل معناه ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون رسلنا القابضين روحه ﴿ **فلولا أن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين** ﴾ يعني فهلا ترجعونها أي فهلا ترجعون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم وتردونها إلى موضعها إن كنتم غير مجزيين بثواب وعقاب وغير محاسبين وقيل غير مدينين معناه غير مملوكين وقيل غير مبعوثين عن الحسن والمراد أن الأمر إن كان كما تقولونه من أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله يحاسب ويجازي فهلا رددتم الأرواح والنفوس من حلوقكم إلى أبدانكم إن كنتم صادقين في قولكم فإذا لم تقدروا على ذلك فاعلموا أنه من تقدير مقدر حكيم وتدبير مدبر عليم .

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ يعقوب فروح بضم الراء وهو قراءة النبي ﷺ وابن عباس وأبي جعفر الباقر وقتادة والحسن والضحاك وجماعة والباقون فروح بفتح الراء .

[ **الحجة** ] قال ابن جني هو راجع إلى معنى الروح فكأنه قال فتمسك روح وممسكها هو الروح وكما تقول هذا الهواء هو الحياة وهذا السماع هو العيش وهو الروح .

[ **الإعراب** ] وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين قال علي ابن عيسى دخلت كاف الخطاب كما تدخل في ناهيك به شرفاً وحسبك به كرماً أي لا تطلب زيادة على جلالة حاله فكذلك سلام لك منهم أي لا تطلب زيادة على سلامهم جلالة وعظم منزلة قال ابن جني في الكلام تقديم وتأخير والتقدير مهما يكن من شيء فسلام لك من أصحاب اليمين ان كان من أصحاب اليمين ولا ينبغي أن يكون موضع ان كان إلا هذا الموضع لأنه لو كان موضعه بعد الفاء يليها لكان قوله فسلام لك جواباً له في اللفظ لا في المعنى ولو كان جواباً في اللفظ لوجب ادخال الفاء عليه لأنه لا يجوز في سعة الكلام ان كان من أصحاب اليمين سلام له فلما وجد[1] الفاء فيه ثبت انه ليس بجواب لقوله ان كان في اللفظ واذا ثبت انه ليس بجواب له في اللفظ ثبت أن موقع ان كان بعده لا قبله قال فإن قيل إنما بدل الفاء التي تكون جواباً لقوله ان كان لأجل الفاء التي تدخل جواباً لأما لأنه لا يدخل حرف معنى على مثله قيل إنما تدخل الفاء التي لأما عليه لأنه ليس بجواب لقوله إن كان فلو كان جواباً له لما دخلت عليه هذه الفاء في قوله فأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك على أن فاء اما قد يكون موقعه بعد الفاء لا يليها وأما لها موضعان من الكلام ( أحدهما ) أن يكون لتفصيل الجمل نحو قولك جاءني القوم فأما زيد فأكرمته وأما عمرو فأهنته ومنه ما في الآية ( والثاني ) أن تكون مركبة من أن وما ويكون ما عوضاً من كان وذلك قولك اما أنت منطلقاً انطلقت معك والمعنى إن كنت منطلقاً إنطلقت معك فموضع ان نصب لأنه مفعول له وأنشد سيبويه :

أَبـا خُـراشَـةَ أَمّـا أَنْـتَ ذا نَـفَـرٍ  فـإنَّ قَـوْمِيَ لَمْ تَـأْكُلْهُـمُ الضَّـبُعُ

أي من أجل ان كنت والضبع السنة الشديدة .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه صفات الخلق عند الموت فقال **﴿فأما إن كان من المقربين﴾** أي فإن كان ذلك المحتضر الذي بلغت روحه الحلقوم من المقربين عند الله وهم

(١) في نسخة هكذا: علما وجد ( لم يوجد خ ) .

السابقون الذين ذكروا في أول السورة ﴿**وفروح**﴾ أي فله روح وهو الراحة والاستراحة عن ابن عباس ومجاهد يعني من تكاليف الدنيا ومشاقها وقيل الروح الهواء الذي تستلذه النفس ويزيل عنها الهم ﴿**وريحان**﴾ يعني الرزق في الجنة وقيل هو الريحان المشموم من ريحان الجنة يؤتى به عند الموت فيشمه عن الحسن وأبي العالية وقتادة وقيل الروح الرحمة والريحان كل نباهة وشرف وقيل الروح النجاة من النار والريحان الدخول في دار القرار وقيل روح في القبر وريحان في الجنة وقيل روح في القبر وريحان في القيامة ﴿**وجنة نعيم**﴾ يدخلونها ﴿**واما إن كان من أصحاب اليمين**﴾ أي ان كان المتوفى من أصحاب اليمين ﴿**فسلام لك من أصحاب اليمين**﴾ أي فترى فيهم ما تحب لهم من السلامة من المكاره والخوف وقيل معناه فسلام لك أيها الإنسان الذي هو من أصحاب اليمين من عذاب الله وسلمت عليك ملائكة الله عن قتادة قال الفراء فسلام لك إنك من أصحاب اليمين فحذف انك وقيل معناه فسلام لك منهم في الجنة لأنهم يكونون معك ويكون لك بمعنى عليك ( سؤال ) يقال لمَ يتبرك باليمين ( والجواب ) إن العمل ميسر بها لأن الشمال معسر العمل بها من نحو الكتابة والأعمال الدقيقة ﴿**واما إن كان من المكذبين**﴾ بالبعث والرسل وآيات الله ﴿**الضالين**﴾ عن الهدى الذاهبين عن الصواب والحق ﴿**فنزل من حميم**﴾ أي فنزلهم الذي أعد لهم من الطعام والشراب من حميم جهنم ﴿**وتصلية جحيم**﴾ أي ادخال نار عظيمة كما قال ويصلى سعيراً في قراءة من شدد ﴿**إن هذا لهو حق اليقين**﴾ أضاف الحق إلى اليقين وهما واحد للتأكيد أي هذا الذي أخبرتك به من منازل هؤلاء الأصناف الثلاثة هو الحق الذي لا شك فيه واليقين الذي لا شبهة معه وقيل تقديره حق الأمر اليقين ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾ أي نزه الله سبحانه عن السوء والشرك وعظمه بحسن الثناء عليه وقيل معناه نزه اسمه عما لا يليق به فلا تضف اليه صفة نقص أو عملاً قبيحاً وقيل معناه قولوا سبحان ربي العظيم والعظيم في صفة الله تعالى معناه ان كل شيء سواه يقصر عنه فإنه القادر العالم الغني الذي لا يساويه شيء ولا يخفى عليه شيء جلت آلاؤه وتقدست اسماؤه .

# (٥٧) سُورَةُ الحَدِيدِ مَدَنِيَّة وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

[ عدد آيها ]

تسع وعشرون آية عراقي وثمان في الباقين .

[ اختلافها ] آيتان من قبله العذاب كوفي والانجيل بصري .

[ فضلها ] أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله العرباض بن سارية قال إن النبي ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول إن فيهن آيةأفضل من ألف آيةوروى عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي جعفر ( ع ) قال من قرأ المسبحات كلها قبل ان ينام لم يمت حتى يدرك القائم عليه السلام وإن مات كان في جوار رسول الله ﷺ الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ سورة الحديد والمجادلة في صلاة فريضة ادمنها لم يعذبه الله حتى يموت أبداً ولا يرى في نفسه ولا في أهله سوء أبداً ولا خصاصة في بدنه .

[ تفسيرها ] لما ختم الله سبحانه سورة الواقعة بالتسبيح افتتح هذه السورة بالتسبيح وعقبه بالدلائل الموجبة للتسبيح فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا
وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى
ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾

[ المعنى ] ﴿سبح لله﴾ أي نزهه وأثنى عليه بما هو أهله وبرّأه من كل سوء ﴿ما في السماوات والأرض﴾ قال مقاتل يعني كل شيء من ذي الروح وغيره وكل خلق فيهما ولكن لا تفقهون تسبيحهم وتحقيقه ان العقلاء يسبحونه قولاً واعتقاداً ولفظاً ومعنى وما ليس بعاقل من سائر الحيوانات والجمادات فتسبيحه ما فيه من الادلة الدالة على وحدانيته وعلى الصفات التي باين بها جميع خلقه وما فيه من الحجج على أنه لا يشبه خلقه وان خلقه لا يشبهه فعبر سبحانه عن ذلك بالتسبيح ويجوز أن تكون ما هاهنا بمعنى من كما حكى أبو زيد عن أهل الحجاز أنهم كانوا إذا سمعوا الرعد قالوا سبحان ما سبحت له فيكون واقعاً على العقلاء من الملائكة والجن والانس ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أي القادر الذي لا يمتنع عليه شيء المحكم لأفعاله العليم بوجوه الصواب في التدبير ﴿له ملك السماوات والأرض﴾ أي له التصرف في جميع ما في السماوات والأرض من الموجودات بما يشاء من التصرف وليس لأحد منعه منه وذلك هو الملك الأعظم فإن كل ما يملكه من عداه فإنه سبحانه هو الذي ملكه إياه وله منعه منه ﴿يحيي ويميت﴾ أي يحيي الأموات للبعث ويميت الأحياء في الدنيا وقيل يحيي الأموات بأن يجعل النطفة وهي جماد حيواناً ويميت الاحياء إذا بلغوا آجالهم التي قدرها لهم ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ يقدر على المعدومات بإيجادها وانشائها وعلى الموجودات بتغييرها وافنائها وعلى أفعال العباد ومقدوراتهم بالإقدار عليها وسلبهم القدرة عليها ﴿هو الأول﴾ أي أول الموجودات وتحقيقه أنه سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الأوقات لأنه قديم وما عداه محدث والقديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الاوقات ﴿والآخر﴾ بعد فناء كل شيء لأنه يفني الأجسام كلها وما فيها من الاعراض ويبقى

وحده ففي هذا دلالة على فناء الأجسام وقيل الأول قبل كل شيء بلا ابتداء والآخر بعد كل شيء بلا انتهاء فهو الكائن لم يزل والباقي لا يزال ﴿والظاهر﴾ وهو الغالب العالي على كل شيء فكل شيء دونه ﴿والباطن﴾ العالم بكل شيء فلا أحد أعلم منه عن ابن عباس وقيل الظاهر بالأدلة والشواهد والباطن الخبير العالم بكل شيء وقيل معنى الظاهر والباطن أنه العالم بما ظهر والعالم بما بطن وقيل الظاهر بأدلته والباطن من احساس خلقه وقيل الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب وقيل الأول ببره إذ هداك والآخر بعفوه إذ قبل توبتك والظاهر بإحسانه وتوفيقه إذا أطعته والباطن بستره إذا عصيته عن السديّ وقيل الأول بالخلق والآخر بالرزق والظاهر بالإحياء والباطن بالإماتة عن ابن عمر وقيل هو الذي أوّل الأول وأخّر الآخر وأظهر الظاهر وأبطن الباطن عن الضحاك وقيل الأول بالازلية والآخر بالأبدية والظاهر بالأحدية والباطن بالصمدية عن أبي بكر الوراق وقيل إن الواوات مقحمة والمعنى هو الأول الآخر الظاهر والباطن لأن كل من كان منا أولاً لا يكون آخراً ومن كان منّا ظاهراً لا يكون باطناً عن عبد العزيز بن يحيى وقيل هو الأول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم عن يمان وقال البلخي هو كقول القائل فلان أول هذا الأمر وآخره وظاهره وباطنه أي عليه يدور الأمر وبه يتم ﴿وهو بكل شيء﴾ يصح أن يكون معلوماً ﴿عليم﴾ لأنه عالم لذاته ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ لما في ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شيء بعد شيء من جهته ولما في الاخبار به من المصلحة للمكلفين ولولا ذلك لكان يخلقهما في لحظة واحدة لأنه القادر لذاته ﴿ثم استوى على العرش﴾ المعروف في السماء وقيل استوى على الملك فمن قال بالأول قال استواؤه عليه كونه قادراً على خلقه وافنائه وتصريفه قال البعيث :

ثُمَّ اسْتَوىٰ بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

وبشر هذا هو بشر بن مروان ولّاه اخوه عبد الملك العراق وقيل معناه ثم عمد وقصد إلى خلق العرش وقد مر بيانه ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها﴾ أي يعلم ما يدخل في الأرض ويستتر فيها ويعلم ما يخرج من الأرض من سائر انواع النبات والحيوان والجماد لا يخفى عليه شيء منها ﴿وما ينزل من السماء وما يعرج فيها﴾ أي ويعلم ما ينزل من السماء من مطر وغير ذلك من أنواع ما ينزل منها ويعلم ما يعرج في السماء من الملائكة وما يرفع إليها من أعمال الخلق ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ بالعلم الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأحوالكم ﴿والله بما تعملون﴾ من خير وشر ﴿بصير﴾ أي عليم ﴿له ملك

**السماوات والأرض﴾** يتصرف فيهما كيف يشاء **﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾** يوم القيامة يعني أن جميع من ملكه شيئاً في الدنيا يزول ملكه عنه وينفرد سبحانه بالملك كما كان كذلك قبل أن خلق الخلق **﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾** أي يدخل ما نقص من الليل في النهار وما نقص من النهار في الليل أي حسب ما دبّره فيه من مصالح عباده عن عكرمة وابراهيم **﴿وهو عليم بذات الصدور﴾** أي هو عالم بأسرار خلقه وما يخفونه من الضمائر والاعتقادات والارادات والكراهات والعزائم في قلوبهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذا تحذير من المعاصي .

﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ
مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ
كَبِيرٞ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ
بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ
عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن
قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ
بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ
خَبِيرٞ ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو وحده وقد أخذ بضم الهمزة ميثاقكم بالرفع والباقون اخذ بفتح الهمزة ميثاقكم بالنصب وقرأ ابن عامر وكلّ وعد الله الحسنى بالرفع والباقون كلّا بالنصب .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قرأ وقد أخذ أنه قد تقدم وما لكم لا تؤمنون بالله

والضمير يعود إلى اسم الله تعالى وحجة من قرأ وقد أُخذ أنه على هذا المعنى وانه قد عرف اخذ الميثاق وأن الله قد أخذه وحجة النصب في كلا وعد الله الحسنى بيّن لأنه بمنزلة زيداً وعدت خيراً وحجة ابن عامر أن الفعل إذا تقدم عليه مفعوله لم يقو عمله في قوّته إذا تأخر ألا ترى انهم قالوا في الشعر[١] زيد ضربت ولو تأخر المفعول فوقع بعد الفاعل لم يجز ذلك فيه ومما جاء من ذلك في الشعر قوله :

قَـدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَـارِ تَـدَّعي عَـلَيَّ ذَنْبـاً كُـلُّهُ لَـمْ أَصْـنَـعِ

فرووه بالرفع لتقدمه على الفعل وإن لم يكن شيء يمنع من تسلط الفعل عليه فكذلك قـوله وكـلٌ وعد الله الحسنى يكـون على إرادة الهـاء وحـذفهـا كمـا يحـذف من الصفـات والصلات .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه المكلفين فقال ﴿**آمنوا بالله**﴾ معاشر العقلاء أي صدّقوا الله وأقرّوا بوحدانيته واخلاص العبادة له ﴿**ورسولـه**﴾ أي وصدقـوا رسولـه واعترفـوا بنبوتـه ﴿**وأنفقوا**﴾ في طاعة الله والوجوه التي أمركم بالإنفاق فيها ﴿**مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾ أي من المال الذي استخلفكم الله فيه بوراثتكم إياه عمن قبلكم عن الحسن ونبه سبحانه بهـذا على أن ما في أيدينا يصير لغيرنا كما صار الينا ممّن قبلنا وحثّنا على استيفاء الحظ منه قبل أن يصير[٢] لغيرنا ثم بين سبحانه ما يكافيهم على ذلك إذا فعلوه فقال ﴿**فالذين آمنوا منكم**﴾ بالله ورسوله ﴿**وأنفقوا**﴾ في سبيله ﴿**لهم أجر كبير**﴾ أي جزاء وثواب عظيم دائم لا يشوبه كدر ولا تنغيص ثم وبّخهم سبحـانه فقـال ﴿**ومـا لكم لا تؤمنـون بـالله**﴾ أي وأيّ شيء يمنعكم من الإيمان بالله مع وضوح الدلائل على وحدانيته ﴿**والرسول يـدعوكم**﴾ إلى مـا ركب الله في عقولكم من معرفة الصانع وصفاتـه ﴿**لتؤمنوا بـربكم وقد أخـذ ميثاقكم**﴾ بمـا أودع الله في قلوبكم من دلالات العقل الموصلة إلى الإيمان به فإن الميثاق هو الأمر المؤكد الذي يجب العمل به ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ أي ان كنتم مصدقين بحق فالآن فقد ظهرت اعلامه ووضحت براهينه والمعنى أي عذر لكم في ترك الإيمان وقد أزاحت[٣] العلل وارتفعت الشبه ولزمتكم الحجج العقلية والسمعية فالعقلية ما في فطرة العقول والسمعية دعوة الرسول المؤيدة بالأدلة المؤدية إلى المدلول والذي يبين هذا قوله ﴿**هو الـذي ينزل على عبـده**﴾ يعني محمداً ﷺ

(١) ليس في بعض النسخ لفظة : في الشعر.

(٢) في نسخة : يصير الامر لغيرنا .

(٣) في نسختين : وقد انزاحت .

﴿آيات بينات﴾ أي حججاً منيرة وبراهين واضحة ﴿ليخرجكم الله﴾ بالقرآن والأدلة وقيل ليخرجكم الرسول بالدعوة وقيل ليخرجكم المنزلَ والأول أوجه ﴿من الظلمات إلى النور﴾ أي من الكفر إلى الإيمان بالتوفيق والهداية والألطاف والأدلة ﴿وان الله بكم لرؤوف رحيم﴾ حين بعث الرسول ونصب الأدلة والرأفة والرحمة واحد وإنما جمع بينهما للتأكيد وقيل الرأفة النعمة على المضرور والرحمة النعمة على المحتاج وفي هذا دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر فإنه بيّن ان الغرض في انزال القرآن الإيمان به ثم حثهم سبحانه على الإنفاق فقال ﴿وما لكم ألّا تنفقوا في سبيل الله﴾ أي أيّ شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرّب إلى الله تعالى ﴿ولله ميراث السماوات والأرض﴾ يعني يفني الخلق ويبقى هو والمعنى فيه أن الدنيا وأموالها ترجع إلى الله فلا يبقى لأحد فيها ملك ولا أمر كما يرجع الميراث الى مستحقّيه فاستوفوا حظكم من أموالكم قبل أن تخرج من أيديكم ثم بين سبحانه فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله فقال ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ بين سبحانه ان الانفاق قبل فتح مكة إذا انضم إليه الجهاد أكثر ثواباً عند الله من النفقة والجهاد بعد ذلك وذلك أن القتال قبل الفتح كان اشد والحاجة الى النفقة وإلى الجهاد كان أكثر وأمسّ وفي الكلام حذف تقديره لا يستوي هؤلاء مع الذين انفقوا بعد الفتح فحذف لدلالة الكلام عليه وقال الشعبي أراد فتح الحديبية ثم سوّى سبحانه بين الجميع في الوعد بالخير والثواب في الجنة فقال ﴿وكلًّا وعد الله الحسنى﴾ أي الجنة والثواب فيها وان تفاضلوا في مقادير ذلك ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أي لا يخفى عليه شيء من إنفاقكم وجهادكم فيجازيكم بحسب نياتكم وبصائركم واخلاصكم في سرائركم .

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ
وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ
نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ
يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ
مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم

بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾
يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ
وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم
بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ *

[ القراءة ] القراءة(١) في فيضاعفه والاختلاف فيه قد مضى ذكره في سورة البقرة وقرأ حمزة انظرونا بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء والباقون انظرونا بهمزة الوصل وضم الظاء وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب لا تؤخذ منكم بالتاء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة سهل بن شعيب وبإيمانهم بكسر الهمزة وقراءة سماك بن حرب وغركم بالله الغرور بضم الغين .

[ الحجة ] قال أبو علي النظر هو تقليب العين إلى الجهة التي فيها المرئي والمراد رؤيته(٢) ومما يدل على ذلك قوله

فَيَا مَيَّ هَلْ يُجْزِي بُكَائِي بِمِثْلِهِ ... مِرَاراً وَأَنْفَاسِي إِلَيْكِ الزَّوَافِرُ
وَإِنِّي مَتَى أُشْرِفْ عَلَى الْجَانِبِ الَّذِي ... بِهِ أَنْتِ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِبِ نَاظِرُ

فلو كان النظر الرؤية لم يطلب عليه الجزاء لأن المحب لا يستثيب من النظر إلى محبوبه شيئاً بل يريد ذلك ويتمناه ويدل على ذلك قول الآخر :

وَنَظْرَةِ ذِي شَجَنٍ وَامِقٍ ... إِذَا مَا الرَّكَائِبُ جَاوَزْنَ مِيلا

وأما قوله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة فالمعنى أنه سبحانه لا ينيلهم رحمته وقد تقول نظر إليّ فلان إذا كان ينيلك شيئاً ويقول القائل انظر اليّ نظر الله اليك يريد أنلني خيراً أنالك الله ونظرت فعل يستعمل وما تصرف منه على ضروب ( أحدها ) أن تريد به نظرت إلى الشيء فتحذف الجار وتوصل الفعل ومن ذلك ما أنشده أبو الحسن :

(١) ليس في نسخة : القراءة في .
(٢) اي مقصود الناظر رؤيته في تلك الجهة من بين الجوانب أي يقلّب الحدقة .

ظَـاهِـرَاتِ الْجَمَـالِ وَالْحُسْنِ يَنْـظُرْنَ     كَـمَـا يَـنْـظُرُ الأَرَاكَ الـظِّبَـاءُ

والمعنى ينظرن إلى الأراك فحذف الجار والآخر أن تريد به تأملت وتدبرت وهو فعل غير متعد فمن ذلك قولهم اذهب فانظر زيداً أبو من هو فهذا يرادُ به التأمل ومن ذلك قوله انظر كيف ضربوا لك الأمثال وانظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وقد يتعدى هذا بالجار كقوله أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت فهذا خص على التأمل وقد يتعدى هذا يعني نحو قوله أفلم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض .

فأما قول امرىء القيس :

فَـلَمَّـا بَـدَا حَـوْرَانُ وَالآلُ دُونَـهُ[١]     نَـظَرْتَ فَـلَمْ تَـنْـظُرْ بِـعَـيْـنِـكَ مَـنْـظَـرا

فيجوز أن يكون نظرت[٢] لم تر بعينك منظراً إلى الآل[٣] وقد جوز ان يعني بالنظر الرؤية على الاتساع لأن تقليب البصر نحو المبصر تتبعه الرؤية وقد يجري على الشيء لفظ ما يتبعه ويقترن به كقولهم للمزادة راوية وللقناء عُذرة[٤] وقد يكون نظرت فلم تنظر مثل تكلمت ولم تتكلم أي لم تأت بكلام على حسب ما يراد فكذلك نظرت فلم تنظر بعينك منظراً كما تريد أولم ترَ منظراً يروق وضرب آخر من نظرت هو ان تريد به انتظرته من ذلك قوله غير ناظرين إناه ومثله قول الفرزدق :

نَـظَرْتُ كَـمَـا انْـتَـظَرْتُ الـلَّهَ حَـتَّـى     كَـفَـاكَ الـمَـاحِـلِـينَ لَـكَ الْـمِـحَـالاَ[٥]

يريد انتظرت كما انتظرت وقد يكون انظرت في معنى انتظرت تطلب بقولك انظرني التنفيس الذي يطلب بالانتظار فمن ذلك قوله :

أَبَـا هِـنْـدٍ فَـلاَ تَـعْـجَـلْ عَـلَيْـنَـا     وَانْـظُرْنَـا نُـخَـبِّـرْكَ الْـيَـقِـيـنَـا

ومن ذلك قوله فأنظرني الى يوم يبعثون إنما هو طلب الإمهال والتسويف فالمطلوب بقوله وانظرنا نخبرك اليقينا تنفيس وفي قوله فانظرني الى يوم يبعثون تسويف وتأخير وكذلك ما

---

(١) حوران موضع بالشام والآل : هو الذي تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وقيل هو والسراب واحد .

(٢) في نسخة : بمعنى نظرت .

(٣) في نسخة منظراً تعرف به الآل وفي أخرى تعرفه في الال .

(٤) العذرة فناء لدار سميت بذلك لان العذرة كانت تلقى في الافنية وفي اصل النسخة ، ( ط صيدا ) للقناء غدرة والقناء : الجانب يفيء عليه الفيء والغدرة : الليلة المظلمة ولا يبعد صحته أيضاً .

(٥) محل به إلى السلطان : كاده بسعاية إليه .

جاء في الحديث من انظار المعسر وكذلك قوله انظرونا نقتبس من نوركم أي نفسونا نقتبس وانتظروا علينا وليس تسرع من تسرع إلى تخطئة من قال انظرونا بشيء ولا ينبغي ان يقال فيما لطف انه خطأ وقوله فاليوم لا تؤخذ منكم فدية حسن التاء لتأنيث الفاعل ويحسن الياء للفصل الواقع بين الفعل والفاعل ولأن التأنيث غير حقيقي وأما قوله بأيمانهم فقد قال ابن جني هو معطوف على قوله بين أيديهم ويكون الظرف الذي هو بين أيديهم معناه الحال فيتعلق بمحذوف أي يسعى كائناً بين أيديهم وإذا كان كذلك جاز أن يعطف عليه الباء وما جرته اي كائناً بإيمانهم كقوله ذلك بما قدمت يداك وقوله الغرور معناه الاغترار وهو مقدر على حذف المضاف اي وغركم بالله سلامة الاغترار اي سلامتكم مع اغتراركم وقال الزجاج الغرور كل ما غر من متاع الدنيا .

[ **اللغة** ] القرض ما تعطيه غيرك ليقضيكه واصله القطع فهو قطعه عن مالكه باذنه على ضمان رد مثله والعرب تقول لي عندك قرض صدق وقرض سوء اذا فعل به خيراً أو شراً قال الشاعر:

وَيقْضيّ[1] سَلاْمَانُ بْنُ مَفْرَجَ قَرْضَهَا بِمَا قَدَّمَتْ أيْدِيهِمُ وأزَلَّتِ

والمضاعفة الزيادة على المقدار مثله أو أمثاله والاقتباس اخذ النار ويقال قبسته ناراً واقتبسته علماً والتربص الترقب والانتظار .

[ **الإعراب** ] من ذا قال الفراء ذا صلة لمن قال ورأيتها في مصحف عبد الله منذ الذي والنون موصولة بالذال والذي[2] قيل إن المعنى من هذا الذي ومن في موضع رفع بالابتداء والذي خبره على القول الأول وعلى القول الثاني يكون ذا مبتدأ والذي خبره والجملة خبر من كذا ذكره ابن فضال وأقول إن الصحيح ان يكون ذا مبتدأ والذي يقرض الله صفته ومن خبر المبتدأ قدم عليه لما فيه من معنى الاستفهام . يوم ترى المؤمنين يتعلق بقوله ولهم أجر كريم ويوم يقول المنافقون يتعلق بقوله ذلك هو الفوز العظيم ويجوز أن يكون التقدير واذكر يوم يقول ويجوز ان يكون بدلاً من يوم ترى له باب في موضع جر صفة لسور باطنه فيه الرحمة صفة لباب .

[ **المعنى** ] ثم حث سبحانه على الإنفاق فقال ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً** ﴾

---

(١) وفي ثلاث نسخ : ويجزى.

(٢) ليس في نسختين لفظة : الذي.

أي طيبة به نفسه عن مقاتل وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة ﴿ **فيضاعفه له** ﴾ أي يضاعف له لجزاء من بين سبع إلى سبعين إلى سبعماية وقال أهل التحقيق القرض الحسن أن يجمع عشرة أوصاف أن يكون من الحلال لأن النبي ﷺ قال إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب وأن يكون من أكرم ما يملكه دون أن يقصد الرديء بالإنفاق لقوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وإن يتصدق وهو يحب المال ويرجو الحياة لقوله لما سئل عن[1] الصدقة أفضل الصدقة أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت النفس التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا وأن يضعه في الأخلّ الأحوج الأولى بأخذه ولذلك خص الله أقواماً بأخذ الصدقات وهم أهل السهمان وأن يكتمه ما أمكن لقوله وأن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وأن لا يتبعه المن والأذى لقوله ﴿ **لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى** ﴾ وأن يقصد به وجه الله ولا يرائي بذلك لأن الرياء مذموم وأن يستحقر ما يعطي وإن كثر لأن متاع الدنيا قليل وأن يكون من أحب ماله إليه لقوله ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ فهذه الأوصاف العشرة إذا استكملتها الصدقة كان ذلك قرضاً حسناً ﴿ **وله أجر كريم** ﴾ أي جزاء خالص لا يشوبه صفة نقص فالكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان ذلك الأجر يعطي النفع العظيم وصف بالكريم والأجر الكريم هو الجنة ﴿ **يوم ترى** ﴾ يا محمد ﴿ **المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾ على الصراط يوم القيامة وهو دليلهم إلى الجنة ويريد بالنور الضياء الذي يرونه ويمرّون فيه عن قتادة وقيل نورهم هديهم عن الضحاك وقال قتادة أن المؤمن يضيء له نور كما بين عدن إلى صنعاء ودون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء له نوره إلا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود ويؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من نوره مثل الجبل وأدناهم نوراً نوره على أبهامه يطفأ مرة ويقد أخرى وقال الضحاك وبأيمانهم يعني كتبهم التي أعطوها ونورهم بين أيديهم وتقول لهم الملائكة ﴿ **بشراكم اليوم جنات** ﴾ أي الذي تبشرون به اليوم جنات ﴿ **تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾ أي مؤبدين دائمين لا تفنون ﴿ **ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ أي الظفر بالمطلوب ثم ذكر حال المنافقين في ذلك اليوم فقال ﴿ **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا** ﴾ ظاهراً وباطناً ﴿ **انظرونا نقتبس من نوركم** ﴾ قال الكلبي يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون قالوا أنظرونا نقتبس من نوركم أي نستضيء بنوركم ونبصر الطريق فنتخلص من هذه الظلمات وقيل إنهم إذا

(١) في نسختين: عن أفضل. .

خرجوا من قبورهم اختلطوا فيسعى المنافقون في نور المؤمنين فإذا ميّزوا[١] بقوا في الظلمة فيستغيثون ويقولون هذا القول ﴿ **قيل** ﴾ أي فيقال للمنافقين ﴿ **ارجعوا وراءكم** ﴾ أي ارجعوا إلى المحشر حيث أعطينا النور ﴿ **فالتمسوا نوراً** ﴾ فيرجعون فلا يجدون نوراً عن ابن عباس وذلك أنه قال تغشى الجميع ظلمة شديدة ثم يقسم النور ويعطى المؤمن نوراً ويترك الكافر والمنافق وقيل معنى قوله ارجعوا وراءكم ارجعوا إلى الدنيا إن أمكنكم فاطلبوا النور منها فإنا حملنا النور منها بالإيمان والطاعات وعند ذلك يقول المؤمنون ربنا اتمم لنا نورنا ﴿ **فضرب بينهم بسور** ﴾ أي ضرب بين المؤمنين والمنافقين سور والباء مزيدة لأن المعنى حيل بينهم وبينهم بسور وهو حائط بين الجنة والنار عن قتادة وقيل هو سور على الحقيقة ﴿ **له باب** ﴾ أي لذلك السور باب ﴿ **باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله** ﴾ أي من قبل ذلك الظاهر ﴿ **العذاب** ﴾ وهو النار وقيل باطنه أي باطن ذلك السور فيه الرحمة أي الجنة التي فيها المؤمنون وظاهره أي وخارج السور من قبله يأتيهم العذاب يعني أن المؤمنين يسبقونهم ويدخلون الجنة والمنافقون يجعلون في النار والعذاب وبينهم السور الذي ذكره الله ﴿ **ينادونهم** ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين ﴿ **ألم نكن معكم** ﴾ في الدنيا نصوم ونصلي كما تصومون وتصلون ونعمل كما تعملون ﴿ **قالوا بلى** ﴾ أي يقول المؤمنون لهم بلى كنتم معنا ﴿ **ولكنكم فتنتم أنفسكم** ﴾ أي استعملتموها في الكفر والنفاق وكلها فتنة وقيل معناه تعرضتم للفتنة بالكفر والرجوع عن الإسلام وقيل معناه أهلكتم أنفسكم بالنفاق ﴿ **وتربصتم** ﴾ بمحمد ﷺ الموت وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه عن مقاتل وقيل تربصتم بالمؤمنين الدوائر ﴿ **وارتبتم** ﴾ أي شككتم في الدين ﴿ **وغرتكم الأماني** ﴾ التي تمنيتموها بأن تعود الدائرة على المؤمنين ﴿ **حتى جاء أمر الله** ﴾ أي الموت وقيل القاؤهم في النار عن قتادة وقيل جاء أمر الله في نصرة دينه ونبيه وغلبته إياكم ﴿ **وغركم بالله الغرور** ﴾ يعني الشيطان غركم بحلم الله وإمهاله وقيل الغرور الدنيا ﴿ **فاليوم لا يؤخذ منكم فدية** ﴾ أيها المنافقون أي بدل بأن تفدوا أنفسكم من العذاب ﴿ **ولا من الذين كفروا** ﴾ أي ولا من سائر الكفار الذين أظهروا الكفر ﴿ **مأواكم النار** ﴾ أي مقركم وموضعكم الذي تأوون إليه النار ﴿ **هي مولاكم** ﴾ أي هي أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب والمعنى أنها هي التي تلي عليكم لأنها قد ملكت أمركم فهي أولى بكم من كل شيء ﴿ **وبئس المصير** ﴾ أي بئس المأوى والمرجع الذي تصيرون إليه .

(١) في نسخة: تميزوا .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ
وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ
ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ
أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ
نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا
مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ نافع وحفص وما نزل من الحق خفيفة الزاي والباقون نزل بالتشديد وقرأ رويس ولا تكونوا بالتاء والباقون بالياء وقرأ ابن كثير وأبو بكر إن المصدقين والمصدقات بتخفيف الصاد والباقون بالتشديد .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من خفف ما نزل ففي نزل ذكر مرفوع بأنه الفاعل يعود إلى الموصول ويقوّي التخفيف قوله ﴿ **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** ﴾ ومن شدد ففاعل الفعل

الضمير العائد إلى اسم الله تعالى والعائد إلى الموصول الضمير المحذوف من الصلة ومن قرأ ولا تكونوا فإنه على الخطاب والنهي ومن قرأ ولا يكونوا بالياء فإنه عطف على تخشع وهو منصوب ويجوز أن يكون مجزوماً على النهي للغائب ومن خفف المصدقين والمصدقات فإن معناه أن المؤمنين والمؤمنات وأما قوله ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ فهو في المعنى كقوله ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ لأن أقراض الله من الأعمال الصالحة وحجة من خفف أنه أعم من المصدقين ألا ترى أن المصّدّقين مقصور على الصدقة والمصدقين يعم التصديق والصدقة فهو اذهب في باب المدح ومن حجة من ثقّل أنهم زعموا أن في قراءة أبيّ أن المتصدقين والمتصدقات ومن حجتهم أن قوله ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ إعتراض بين الخبر والمخبر عنه والاعتراض بمنزلة الصفة فهو للصدقة أشدّ ملائمة منه للتصديق وليس التخفيف كذلك ومن حجة من خفف أن يقول لا نحمل قوله ﴿ واقرضوا الله ﴾ على الاعتراض ولكنا نعطفه على المعنى ألا ترى أن قوله إن المصدقين والمصدقات معناه إن الذين صدقوا فكأنه في المعنى إن المصدقين وأقرضوا فحمل وأقرضوا الله على المعنى لما كان من معنى المصدقين الذين صدقوا فكأنه قال إن الذين صدقوا وأقرضوا .

[ **اللغة** ] يقال أنى يأني أنى إذا حان والخشوع لين القلب للحق والانقياد له ومثله الخضوع والحق ما دعا إليه العقل وهو الذي من عمل به نجا ومن عمل بخلافه هلك والحق مطلوب كل عاقل في نظره وإن أخطأ طريقه والقسوة غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق والأمد الوقت الممتد وهو والمدة واحد والهيج جفاف النبت .

[ **النزول** ] قيل إن قوله ﴿ ألم يأن للذين آمنوا ﴾ الآية نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عما في التوراة فإن فيها العجائب فنزلت الر تلك آيات الكتاب المبين إلى قوله ﴿ لمن الغافلين ﴾ فخبّرهم أن هذا القرآن أحسن القصص وأنفع لهم من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزلت آية الله نزّل أحسن الحديث كتاباً ﴿ فكفوا عن سؤال ﴾ سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان فنزلت هذه الآية عن الكلبي ومقاتل وقيل نزلت بالمؤمنين قال ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً وقيل إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن بهذه الآية عن ابن عباس وقيل كانت الصحابة بمكة مجدبين فلما هاجروا أصابوا الريف والنعمة فتغيروا عما كانوا عليه فقست قلوبهم والواجب أن يزدادوا الإيمان

واليقين والإخلاص في طول صحبة الكتاب عن محمد بن كعب .

[ **المعنى** ] ثم دعاهم سبحانه إلى الطاعة بقوله ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا** ﴾ أي أما حان للمؤمنين ﴿ **أن تخشع قلوبهم** ﴾ أي ترقّ وتلين قلوبهم ﴿ **لذكر الله** ﴾ أي لما يذكّرهم الله به من مواعظه ﴿ **وما نزل من الحق** ﴾ يعني القرآن ومن شدد فالمراد وما نزّله الله من الحق ﴿ **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب** ﴾ من اليهود والنصارى ﴿ **من قبل فطال عليهم الأمد** ﴾ أي طال الزمان بينهم وبين أنبيائهم وقيل طال عليهم الأمد للجزاء أي لم يعاجلوا بالجزاء فاغتروا بذلك ﴿ **فقست قلوبهم** ﴾ أي فغلظت قلوبهم وزال خشوعها ومرنوا على المعاصي واعتادوها وقيل طالت أعمارهم وساءت أعمالهم فقست قلوبهم وينبغي أن يكون هذا متوجهاً إلى جماعة مخصوصة لم يوجد منهم الخشوع التام فحثّوا على الرقة والخشوع فأما من وصفهم الله تعالى بالخشوع والرقة والرحمة فطبقة من المؤمنين فوق هؤلاء عن الزجاج ومن كلام عيسى ( ع ) لا تكثروا والكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد والناس رجلان مبتلىً ومعافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية ﴿ **وكثير منهم فاسقون** ﴾ أي خارجون عن طاعة الله تعالى إلى معصيته أي فلا تكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم ثم قال ﴿ **اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها** ﴾ أي يحييها بالنبات بعد اليبس والجدوبة أي فكذلك يحيي الكافر بالهدى إلى الإيمان بعد موته بالضلال والكفر بأن يلطف له ما يؤمن عنده وقيل معناه[1] أن الله يلين القلوب بعد قسوتها بالإلطاف والتوفيقات ﴿ **قد بينا لكم الآيات** ﴾ أي الحجج الواضحات والدلائل الباهرات ﴿ **لعلكم تعقلون** ﴾ فترجعون إلى طاعتنا وتعملون بما أمرناكم به ﴿ **إن المصدقين والمصدقات** ﴾ قد مضى الوجه في اختلاف القراءتين ومعناهما ﴿ **واقرضوا الله قرضاً حسناً** ﴾ أي وانفقوا في وجوه الخير ﴿ **يضاعف لهم** ﴾ ذلك القرض الحسن أي يجازون أمثال ذلك ﴿ **ولهم أجر كريم** ﴾ مر معناه ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله** ﴾ أي صدقوا بتوحيد الله وأقرّوا بنبوة رسله ﴿ **أولئك هم الصديقون** ﴾ قال مجاهد كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وشهيد وقرأ هذه الآية والصديق الكثير الصدق المبالغ فيه وهو اسم مدح وتعظيم ﴿ **والشهداء عند ربهم** ﴾ أي واولئك الشهداء عند ربهم والتقدير أولئك الصديقون عند ربهم والشهداء عند ربهم ثم قال ﴿ **لهم أجرهم ونورهم** ﴾ أي لهم ثواب طاعاتهم ونور إيمانهم الذي يهتدون به إلى طريق الجنة وهذا قول عبد الله بن

---

(١) في نسختين : أعلموا أن.

مسعود ورواه البراء بن عازب عن النبي ﷺ وروى العياشي بالإسناد عن منهال القصاب قال قلت لأبي عبد الله ( ع ) إدع الله أن يرزقني الشهادة فقال إن المؤمن شهيد وقرأ هـذه الآية وعن الحرث بن المغيرة قال كنا عند أبي جعفر ( ع ) فقال العارف منكم هذا الأمر المنتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد(١) والله مع قائم آل محمد ( ع ) بسيفه ثم قال بل والله كمن جاهد مع رسول الله ﷺ بسيفه ثم قال الثالثة بـل والله كمن استشهد مـع رسول الله ﷺ في فسطاطه وفيكم آية من كتاب الله وقلت وأيّ آيـة جعلت فداك قـال قول الله ﴿ عـز وجل ﴾ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ثم قال صرتـم والله صادقين شهداء عند ربكم وقيل إن الشهداء منفصل مما قبله مستأنف والمراد بالشهداء الأنبياء ( ع ) الذين يشهدون للأمم وعليهم وهو قول ابن عباس ومسروق ومقاتل بن حيان واختـاره الفراء والزجاج وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله عن مقاتل بن سليمان وابن جرير ﴿ **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم** ﴾ يبقون فيها دائمين ثم زهد سبحانه المؤمنين في الدنيا والركون إلى لذاتها فقال ﴿ **اعلموا أنما الحياة الـدنيا** ﴾ يعني أن الحيـاة في هذه الدار الدنيا ﴿ **لعب ولهو** ﴾ أي بمنزلة اللهو واللعب إذ لا بقاء لـذلك ولا دوام ويـزول عن وشيك كما يزول اللهو واللعب قال مجاهد كل لعب لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما ألهى عن الآخرة ﴿ **وزينة** ﴾ تتزينون بها في الدنيا وقيل أراد بذلـك أنها تتحلى في أعين أهلها ثم تتلاشى ﴿ **وتفـاخر بينكم** ﴾ أي يفـاخر الـرجل بهـا قرينـه وجاره عن ابن عبـاس ﴿ **وتكاثر في الأموال والأولاد** ﴾ قال يجمع ما لا يحل له تكاثراً به ويتطاول على أولياء الله بماله وولده وخدمه والمعنى أنه يفني عمره في هذه الأشياء ثم بيّن سبحانه لهذه الحياة شبهاً فقال ﴿ **كمثل غيث** ﴾ أي مطر ﴿ **أعجب الكفار نباته** ﴾ أي أعجب الزُرّاع ما ينبت من ذاك الغيث قال الزجاج ويجوز أن يكون المراد الكفار بالله لأن الكافر أشد إعجاباً بالدنيا من غيره ﴿ **ثم يهيج** ﴾ أي ييبس ﴿ **فتريـه مصفّراً** ﴾ وهـو إذا قارب اليبس ﴿ **ثم يكـون حطامـاً** ﴾ يتحطم ويتكسر بعد يبسه وشرح هذا المثل قد تقدم في سورة يونس ﴿ **وفي الآخرة عـذاب شديد** ﴾ لأعداء الله عن مقاتل ﴿ **ومغفرة من الله ورضـوان** ﴾ لأوليائـه وأهل طـاعته ﴿ **ومـا الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ لمن اغتر بهـا ولم يعمل لآخـرته قـال سعيد بن جبيـر متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منه وقيل معناه والعمل للحياة الـدنيا متـاع الغرور وأنـه كهذه الأشيـاء التي مثل بهـا في الزوال والفناء .

(١) في المخطوطة : كمن جالد .

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا
كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ
ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾
مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ
مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا
فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ
فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن
يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ
بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ
وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو بما أتيكم مقصوراً والباقون بالمد وقرأ أهل المدينة والشام فإن الله الغني الحميد لأنهم وجدوا في مصاحفهم كذلك والباقون فإن الله هو الغني بإثبات هو وكذلك هو في مصاحفهم .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قصر اتيكم أنه معادل به فاتكم فكما أن الفعل للفائت في قوله ﴿ **فأتكم** ﴾ فكذلك(١) للآتي في قوله بما آتيكم قال الشاعر :

وَلا فَـرِحٌ بِـخَـيْـرٍ إنْ أتـاهُ وَلا جَزِعٌ مِنَ الْحَدَثانِ لاعِ (٢)

---

(١) في نسخة : فكذلك يكون الفعل.

(٢) اللاعي : من يفزع من أدنى شيء.

وحجة من مدّ أن الخير الذي يأتيهم هو من عند الله وهو المعطي لذلك وفاعل آتاكم هو الضمير العائد إلى اسم الله والهاء محذوفة من الصلة تقديره بما آتاكموه وقوله ﴿ **إن الله هو الغنّي الحميد** ﴾ ينبغي أن يكون هو فصلاً ولا يكون مبتدأ لأن الفصل حذفه أسهل ألا ترى أنه لا موضع للفصل من الإعراب وقد يحذف فلا يخلّ بالمعنى .

[ **اللغة** ] أعدت مشتقة من العدد والأعداد وضع الشيء لما يكون في المستقبل على ما يقتضيه من عدد الأمر الذي له . الفضل والأفضال واحد وهو النفع الذي كان للقادر أن يفعله بغيره وله أن لا يفعله والأسى الحزن والتآسي تخفيف الحزن بالمشاركة في حاله .

[ **الإعراب** ] في كتاب يتعلق بمحذوف تقديره إلا هي كائنة في كتاب فهو في محل الرفع بأنه خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يتعلق بفعل محذوف تقديره ألا قد كتبت في كتاب فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال أي لا مكتوبة لكيلا تأسوا تأسوا منصوب بنفس كي واللام هي اللام الجارة ، الذين يبخلون في موضع جر على البدل من مختال فخور فعلى هذا لا يجوز الوقف على فخور ويجوز أن يكون محله رفعاً على الابتداء ويكون خبره محذوفاً كما حذف جواب لو من قوله ولو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال ويكون التقدير الذين يبخلون فإنهم يستحقّون العذاب ويجوز أن يكون محله رفعاً أو نصباً على الذم .

[ **المعنى** ] ثم رغب سبحانه في المسابقة لطلب الجنة فقال ﴿ **سابقوا** ﴾ أي بادروا العوارض القاطعة عن الأعمال الصالحة وسارعوا إلى ما يوجب الفوز في الآخرة ﴿ **إلى مغفرة من ربكم** ﴾ قال الكلبي إلى التوبة وقيل إلى الصف الأول وقيل إلى النبي ﷺ ﴿ **وجنة عرضها كعرض السماء والأرض** ﴾ أي وسابقوا إلى استحقاق ثواب جنة هذه صفتها وذكر في ذكر العرض دون الطول وجوه ( أحدها ) أن عظم العرض يدل على عظم الطول ( والآخر ) أن الطول قد يكون بلا عرض ولا يكون عرض بلا طول ( وثالثها ) أن المراد به أن العرض مثل السماوات والأرض وطولها لا يعلمه إلا الله تعالى قال الحسن أن الله يفني الجنة ثم يعيدها على ما وصفه فلذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء والأرض وقال غيره إن الله قال عرضها كعرض السماء والأرض والجنة المخلوقة في السماء السابعة فلا تنافي ﴿ **أعدت للذين آمنوا** ﴾ أي ادّخرت وهيئت للمؤمنين ﴿ **بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ﴾ معناه أنه يجزي الدائم الباقي على القليل الفاني ولو اقتصر في الجزاء على قدر ما يستحق بالأعمال كان عدلاً منه لكنه تفضل بالزيادة وقيل معناه أن أحداً لا ينال خيراً في الدنيا

والآخرة إلا بفضل الله فإنه سبحانه لو ولم يدعنا إلى الطاعة ولم يبين لنا الطريق ولم يوفقنا للعمل الصالح لما إهتدينا إليه وذلك كله من فضل الله وأيضاً فإنه سبحانه تفضل بالأسباب التي يفعل بها الطاعة من التمكين والإلطاف وكمال العقل وعرض المكلف للثواب فالتكليف أيضاً تفضل وهو السبب الموصل إلى الثواب وقال أبو القاسم البلخي والبغداديون من أهل العدل إن الله سبحانه وتعالى لو اقتصر لعباده في طاعاتهم على مجرد إحساناته السالفة إليهم لكان عدلاً فلهذا جعل سبحانه الثواب والجنة فضلاً وفي هذه الآية أعظم رجاء لأهل الإيمان لأنه ذكر أن الجنة معدّة للمؤمنين ولم يذكر مع الإيمان شيئاً آخر ﴿ **والله ذو الفضل العظيم** ﴾ أي ذو الإفضال العميم والإحسان الجسيم إلى عباده ثم قال ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض** ﴾ مثل قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمرات ﴿ **ولا في أنفسكم** ﴾ من الأمراض والثكل بالأولاد ﴿**إلا في كتاب**﴾ يعني إلا وهو مثبت مذكور في اللوح المحفوظ ﴿**من قبل أن نبرأها**﴾ قبل أن أي من يخلق الأنفس ليستدل ملائكته به على أنه عالم لذاته يعلم الأشياء بحقائقها ﴿**إن ذلك على الله يسير**﴾ أي إثبات ذلك على كثرته هيّن على الله يسير سهل غير عسير ثمّ بين سبحانه لم فعل لذلك فقال ﴿ **لكيلا تأسوا على ما فاتكم** ﴾ أي فعلنا ذلك لئلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا ﴿ **ولا تفرحوا بما آتاكم**﴾ أي بما أعطاكم الله منها والذي يوجب نفي الأسى والفرح من هذا أن الإنسان إذا علم أن ما فات منها ضمن الله تعالى عليه العوض[1] في الآخرة فلا ينبغي أن يحزن لذلك وإذا علم أن ما ناله منها كلف الشكر عليه والحقوق الواجبة فيه فلا ينبغي أن يفرح به وأيضاً فإذا علم أن شيئاً منها لا يبقى فلا ينبغي أن يهتم له بل يجب أن يهتم لأمر الآخرة التي تدوم ولا تبيد وفي هذه الآية إشارة إلى أربعة أشياء ( الأول ) حسن الخلق لأن من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها لا يحسد ولا يعادي ولا يشاحّ فإن هذه من أسباب سوء الخلق وهي من نتائج حب الدنيا ( وثانيها ) استحقار الدنيا وأهلها إذا لم يفرح بوجودها ولم يحزن لعدمها ( وثالثها ) تعظيم الآخرة لما ينال فيها من الثواب الدائم الخالص من الشوائب ( ورابعها ) الإفتخار بالله دون أسباب الدنيا ويروى أن علي بن الحسين (ع) جاءه رجل فقال له ما الزهد فقال الزهد عشرة أجزاء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا وإن الزهد كله في آية من كتاب الله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقيل لبزر جمهر مالك أيها الحكيم لا تأسف على ما فات ولا تفرح بما هو آت فقال إن الفائت لا يتلافى بالعبرة

(١) في المخطوطة بدل عليه العوض في الآخرة: العوض في غيره .

والآتي لا يستدام بالخبرة وعن عبد الله بن مسعود قال لئن[١] جمرة الحسرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ أي متكبر بما أوتي فخور على الناس بالدنيا ﴿ الذين يبخلون ﴾ بمنع الواجبات ﴿ ويأمرون الناس بالبخل ﴾ وفي الحديث أن النبي ﷺ سأل عن سيّد بني عوف فقالوا جد بن قيس على أنه يُزنّ[٢] بالبخل فقال ﷺ وأيّ داء أدوى من البخل سيدكم البراء بن معرور ومعنى يزن يتهم ويقرف ﴿ ومن يتول ﴾ أي يعرض عما دعاه الله إليه ﴿ فإن الله هو الغني ﴾ عنه وعن طاعته وصدقته ﴿ الحميد ﴾ في جميع أفعاله ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾ أي بالدلائل والمعجزات ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب ﴾ المكتوب الذي يتضمن الأحكام وما يحتاج إليه الخلق من الحلال والحرام كالتوراة والإنجيل والقرآن ﴿ والميزان ﴾ أي وأنزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفتين الذي يوزن به عن ابن زيد والجبائي ومقاتل بن سليمان وقيل معناه أنزلنا صفة الميزان ﴿ ليقوم الناس ﴾ في معاملاتهم ﴿ بالقسط ﴾ أي بالعدل والمراد وأمرنا بالعدل كقوله ﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴾ عن قتادة ومقاتل ابن حيان ﴿ وأنزلنا الحديد ﴾ روي عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال أن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح وقال أهل المعاني معنى أنزلنا الحديد أنشأناه وأحدثناه كقوله ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ وإلى هذا ذهب مقاتل فقال معناه بأمرنا كان الحديد وقال قطرب معنى أنزلنا هنا هيّأنا وخلقنا من النُزُل وهو ما يهيأ للضيف أي أنعمنا بالحديد وهيأناه لكم وقيل أنزل مع آدم من الحديد العلاة وهي السندان والكلبتان والمطرقة عن ابن عباس ﴿ فيه بأس شديد ﴾ أي يمتنع به ويحارب به عن الزجاج والمعنى أنه يتخذ منه آلتان آلة للدفع وآلة للضرب كما قال مجاهد فيه جنّة وسلاح ﴿ ومنافع للناس ﴾ يعني ما ينتفعون به في معاشهم مثل السكين والفأس والإبرة وغيرها مما يتخذ من الحديد من الآلات وقوله ﴿ وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾ معطوف على قوله ليقوم الناس بالقسط أي ليعاملوا بالعدل وليعلم الله نصرة من ينصره موجودة وجهاد من جاهد مع رسوله موجوداً وقوله ﴿ بالغيب ﴾ أي بالعلم الواقع بالاستدلال والنظر من غير مشاهدة بالبصر ﴿ إن الله قوي ﴾ على الإنتقام من أعدائه ﴿ عزيز ﴾ أي منيع من أن يعترض عليه في أرضه وسمائه .

---

(١) في نسخة لأن الحَسّ جمرة . . وفي أخرى: لأن الحَسَنَّ جمرات حرقت وفي أخرى أيضاً لأن الحَسَنّ جمرة أحرقت.

(٢) زنّ فلاناً بخير أو شر أي ظنه به .

[ النظم ] وجه اتصال قوله ﴿ وما أصاب من مصيبة ﴾ الآية بما قبلها أنه سبحانه لما بيّن الثواب على الطاعات عقبه ببيان الأعواض على مقاساة المصائب والملمّات فقال لا يذهب علينا عوض من أصابته مصيبة مّا فإن كانت من فعلنا نعوضه بالأضعاف من جزائنا وإن كان من فعل عبادنا فباستيفائنا ذلك منهم ثم أكّد ذلك بقوله ﴿ لكيلا تأسوا ﴾ الآية لأن المصيبة لو كانت بغير عوض في العاقبة لازداد الأسى والحزن فإن الحزن كل الحزن في الخسران الذي ليس له جبران ثم عقب ذلك بقوله ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾ الآية فبين أنه سبحانه لطف لعباده بما يدعو إلى الخشوع والخضوع وترك الخيلاء .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

[ اللغة ] التقفية جعل الشيء في أثر شيء على الإستمرار فيه ولهذا قيل لمقاطع الشعر

قوافٍ إذ كانت تتبع البيت على أثره مستمرة في غيره على منهاجه والرهبانية أصلها من الرهبة وهي الخوف إلا أنها عبادة مختصة بالنصارى لقول النبي ﷺ لا رهبانية في الإسلام والابتداع ابتداء أمر لم يحتذ فيه على مثال ومنه البدعة إذ هي إحداث أمر على خلاف السنة والكفل الحظ ومنه الكفل الذي يتكفل به الراكب وهو كساء أو نحوه يحويها على الإبل إذا أراد أن يرقد فيه فيحفظه من السقوط ففيه حظ من التحرز من الوقوع .

[ **الإعراب** ] ورهبانية منصوب بفعل مضمر يفسره قوله ﴿ **ابتدعوها** ﴾ التقدير وابتدعوا رهبانية ابتدعوها وقوله ﴿ **ما كتبناها عليهم** ﴾ في محل النصب لأنه صفة لرهبانية . ابتغاء رضوان الله نصب لأنه بدل من ها في كتبناها والتقدير كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله أي إتباع أوامره ولم نكتب عليهم الرهبانية ولا في لئلا يعلم زائدة وأن في أن لا يقدرون مخففة من الثقيلة واسمه محذوف وتقديره أنّهم لا يقدرون ولا هنا يدل على الإضمار في أن مع تخفيف أن .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الأنبياء بقصة إبراهيم ( ع ) ونوح ( ع ) فقال سبحانه ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم** ﴾ وإنما خصهما بالذكر لفضلهما ولأنهما أبوا الأنبياء ﴿ **وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب** ﴾ يعني أن الأنبياء كلهم من نسلهما وذريتهما وعليهم أنزل الكتاب ثم أخبر عن حال ذريتهما فقال ﴿ **فمنهم مهتدٍ** ﴾ إلى طريق الحق ﴿ **وكثير منهم فاسقون** ﴾ أي خارجون عن طاعة الله إلى معصيته ﴿ **ثم قفينا على آثارهم برسلنا** ﴾ أي ثم إتبعنا بالإرسال على آثار من ذكرناهم من الأنبياء برسل آخرين إلى قوم آخرين وأنفذناهم رسولاً بعد رسول ﴿ **وقفينا بعيسى بن مريم** ﴾ بعدهم فأرسلناه رسولاً ﴿ **وآتيناه الإنجيل** ﴾ أي وأعطينا عيسى بن مريم الإنجيل ﴿ **وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه** ﴾ في دينه يعني الحواريين وأتباعهم اتبعوا عيسى ﴿ **رأفة** ﴾ وهي أشد الرقة[1] ﴿ **ورحمة** ﴾ وإنما أضاف الرأفة والرحمة إلى نفسه لأنه سبحانه جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة بالأمر به والترغيب فيه ووعد الثواب عليه وقيل لأنه خلق في قلوبهم الرأفة والرحمة وإنما مدحهم على ذلك وإن كان من فعله لأنهم تعرضوا لهما ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم** ﴾ وهي الخصلة من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة أما في كنيسة أو إنفراد عن الجماعة أو غير ذلك من الأمور التي يظهر فيها نسك صاحبه والمعنى ابتدعوا رهبانية لم نكتبها عليهم وقيل إن الرهبانية التي ابتدعوها هي رفض النساء واتخاذ الصوامع عن قتادة قال[2] وتقديره

(١) في نسخة : أشدّ الرقة والرحمة.

(٢) ليس في أكثر النسخ : لفظة قال .

ورهبانية ما كتبناها عليهم ﴿ **إلا** ﴾ إنهم اتبعوها ﴿ **ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها** ﴾ وقيل إن الرهبانية التي ابتدعوها لحاقهم بالبراري والجبال في خبر مرفوع عن النبيّ ﷺ فما رعاها الذين بعدهم حق رعايتها وذلك لتكذيبهم بمحمد ﷺ عن ابن عباس وقيل إن الرهبانية هي الإنقطاع عن الناس للإنفراد بالعبادة ما كتبناها أي ما فرضناها عليهم وقال الزجاج إن تقديره ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله إتباع ما أمر به فهذا وجه قال وفيها وجه آخر جاء في التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا أسراباً وصوامع وابتدعوا ذلك فلما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع ودخلوا عليه لزمهم تمامه كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يفرض عليه لزمه أن يتمّه قال وقوله ﴿ **فما رعوها حق رعايتها** ﴾ على ضربين ( أحدهما ) أن يكونوا قصروا فيما ألزموه أنفسهم ( والآخر ) وهو الأجود أن يكونوا حين بعث النبي ﷺ فلم يؤمنوا به كانوا تاركين لطاعة الله فما رعوا تلك الرهبانية حق رعايتها ودليل ذلك قوله ﴿ **فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم** ﴾ يعني الذين آمنوا بالنبي ﷺ ﴿ **وكثير منهم فاسقون** ﴾ أي كافرون انتهى كلام الزجاج ويعضد هذا ما جاءت به الرواية عن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال يا ابن أم عبد هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله أعلم فقال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بمعاصي الله فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى ( ع ) يعنون محمّداً ﷺ فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم** ﴾ إلى آخرها ثم قال يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة وعن ابن مسعود قال دخلت على النبي ﷺ فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها إثنتان وهلك سائرهن فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى ( ع ) فقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة لموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانيّهم يدعونهم إلى دين الله تعالى ودين عيسى ( ع ) فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله لهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال النبي ﷺ من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون ثم قال سبحانه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ أي اعترفوا بتوحيد الله وصدّقوا بموسى وعيسى ( ع ) ﴿ **اتقوا الله وآمنوا برسوله** ﴾ محمد ﷺ عن ابن عباس وقيل معناه يا أيها الذين آمنوا ظاهراً آمنوا باطناً ﴿ **يؤتكم كفلين** ﴾ أي يؤتكم

نصيبين ﴿ من رحمته ﴾ نصيباً لإيمانكم بمن تقدم من الأنبياء ونصيباً لإيمانكم بمحمد ﷺ عن ابن عباس ﴿ ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾ أي هدى تهتدون به عن مجاهد وقيل النور القرآن وفيه الأدلة على كل حق والبيان لكل خير وبه يستحق الضياء الذي يمشي به يوم القيامة عن ابن عباس ﴿ ويغفر لكم ﴾ أي ويستر عليكم ذنوبكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ قال سعيد بن جبير بعث رسول الله ﷺ جعفراً في سبعين راكباً إلى النجاشي يدعوه فقدم عليه ودعاه فاستجاب له وآمن به فلما كان عند إنصرافه قال ناس ممن آمن به من أهل مملكته وهم أربعون رجلاً إئذن لنا فنأتي هذا النبي فنسلم[1] به فقدموا مع جعفر فلما رأوا ما بالمسلمين من الخَصاصة استأذنوا رسول الله ﷺ وقالوا يا نبي الله إن لنا اموالاً ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فأنزل الله فيهم ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ إلى قوله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾ بما صبروا فخروا على المسلمين فقالوا يا معشر المسلمين أما من آمن بكتابكم وكتابنا فله أجران ومن آمن منا بكتابنا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا فنزل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله وآمنوا برسوله ﴾ الآية فجعل لهم أجرين وزادهم النور والمغفرة ثم قال ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ وقال الكلبي كان هؤلاء أربعة وعشرين رجلاً قدموا من اليمن على رسول الله ﷺ وهو بمكة لم يكونوا يهودا ولا نصارى وكانوا على دين الأنبياء فأسلموا فقال لهم أبو جهل بئس القوم أنتم والوفد لقومكم فردوا عليه وما لنا لا نؤمن بالله الآية فجعل الله لهم ولمؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه أجرين إثنين فجعلوا يفخرون على أصحاب رسول الله ﷺ ويقولون نحن أفضل منكم لنا أجران ولكم أجر واحد فنزل ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ إلى آخر السورة وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال من كانت له أمة فعلمها[2] فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها واعتقها وتزوجها فله أجران وأيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه (ع) وآمن بمحمد ﷺ فله أجران وأيما مملوك أدّى حق الله وحق مواليه فله أجران أورده البخاري ومسلم في الصحيح ﴿ لئلا يعلم ﴾ أي لأن يعلم ولا مزيدة ﴿ أهل الكتاب﴾ يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وحسدوا المؤمنين منهم ﴿ ألا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ وإن هذه

---

(١) وفي نسخة: فنلمّ به بدل فنسلم به.

(٢) في نسختين: يعلّمها بدل فعلّمها.

هي المخففة من الثقيلة والتقدير أنهم لا يقدرون ومعناه جعلنا الأجرين لمن آمن بمحمد ﷺ ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله ﴿ **وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء** ﴾ فآتى المؤمنين منهم أجرين ﴿ **والله ذو الفضل العظيم** ﴾ يتفضل على من يشاء من عباده المؤمنين وقيل إن المراد بفضل الله هنا النبوة أي لا يقدرون على نبوة الأنبياء ولا على صرفها عمن شاء الله أن يخصه بها فيصرفونها عن محمد ﷺ إلى من يحبونه بل هي بيد الله يعطيها من يشاء ممن هو أهلها ويعلم أنه يصلح لها وقيل إنما تدخل لا صلة في كل كلام دخل في أواخره أو أوائله جحد وإن لم يكن مصرحاً به نحو قوله ﴿ **ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك وما يشعركم إنها إذا جاءت لا يؤمنون وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون** ﴾ عن الفراء وقيل أن لا هنا في حكم الثبات والمعنى لأن لا يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون أن يؤمنوا لأن من لا يعلم أنه لا يقدر يعلم أنه يقدر فعلى هذا يكون المراد لكي يعلموا أنهم يقدرون على أن يؤمنوا فيحوزوا الفضل والثواب وقيل إن معناه لئلا يعلم اليهود والنصارى أن النبي ﷺ والمؤمنين لا يقدرون على ذلك فقد علموا أنهم لا[(١)] يقدرون عليه أي إن آمنتم كما أمركم الله آتاكم الله من فضله فعلم أهل الكتاب[(٢)] خلافه وعلى هذا فالضمير في يقدرون ليس لأهل[(٣)] وقال أبو سعيد السيرا في معناه أن الله يفعل بكم هذه الأشياء لئلا يعلم أي ليتبين جهل أهل الكتاب وأنهم لا يعلمون أن ما يؤتيكم الله من فضله لا يقدرون على تغييره وإزالته عنكم ففي هذه الوجوه لا يحتاج إلى زيادة لا .

(١)وفي نسختين : يقدرون.

(٢) [ ذلك ولم يعلموا ].

(٣) [ الكتاب ].

# (٥٨) سورة المجادلة مدنية وآياتها اثنتان وعشرون

[ عدد آيها ] إحدى وعشرون آية مكي والمدني الأخير وآيتان في الباقين .

[ إختلافها ] آية في الأذلين غير المكي والمدني الأخير .

[ فضلها ] أبيّ بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة .

[ تفسيرها ] لما ختم الله سورة الحديد بذكر فضله على من يشاء من عباده افتتح هذه السورة بذكر بيان فضله في إجابة الدعوة كما أجاب دعاء تلك المرأة فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي
وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا
قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ عاصم يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء وقرأ أهل البصرة وابن كثير يَظّهّرون بتشديد الظاء والهاء وفتح الياء وقرأ الباقون يَظّاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وروي عن بعضهم ما هن أمهاتهم برفع التاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي ظاهر من امرأته وظهر مثل ضاعف وضعف وتدخل التاء على كل واحد منهما فيصير تظاهر وتظهر ويدخل حرف المضارعة فيصير يتظاهر ويتظهر ثم تدغم الطاء في الظاء لمقاربتها لها فتصير يظاهر ويظهر بفتح الياء التي هي حرف المضارعة لأنها للمطاوعة كما تفتحها في يتدحرج الذي هو مطاوع دحرجته فتدحرج ووجه الرفع في قوله ﴿ **ما هن أمهاتهم** ﴾ أنه لغة بني تميم قال سيبويه وهو أقيس الوجهين وذلك أن النفي كالاستفهام فكما لا يغيّر الاستفهام الكلام عما كان عليه في الواجب ينبغي أن لا يغيره النفي عما كان عليه في الواجب ووجه النصب أنه لغة أهل الحجاز والأخذ بلغتهم في القرآن أولى وعليها جاء ما هذا بشراً .

[ **اللغة** ] الإشتكاء إظهار ما بالإنسان من مكروه والشكاية إظهار ما يصنعه به غيره من المكروه والتحاور التراجع وهي المحاورة يقال حاوره محاورة أي راجعه الكلام وتحاورا قال عنترة :

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَىٰ      وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلامَ مُكَلِّمِي

والمحادّة المخالفة وأصله من الحد وهو المنع ومنه الحد الحاجز بين الشيئين قال النابغة :

إلاَّ سُلَيْمَانَ إذْ قَالَ الْمَلِيكُ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ

الكبت مصدر كبت الله العدو أي أذله وأخزاه .

[ النزول ] نزلت الآيات في امرأة من الأنصار ثم من الخزرج واسمها خولة بنت خويلد عن ابن عباس وقيل خولة بنت ثعلبة عن قتادة ومقاتلين وزوجها أوس بن الصامت وذلك أنها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها فلما إنصرفت أرادها فأبت عليه فغضب عليها وكان امرءاً فيه سرعة ولمم فقال لها أنت عليّ كظهر أمّي ثم ندم على ما قال وكان الظهار من طلاق أهل الجاهلية فقال لها ما أظنكِ إلا وقد حرمتِ عليّ فقالت لا تقل ذلك وأت رسول الله ﷺ فاسأله فقال إني أجد أني أستحيي منه أن اسأله عن هذا قالت فدعني اسأله فقال سليه فأتت النبي ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غانية ذات مال وأهل حتى إذا كل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبرت سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه فتنعشني به فقال ﷺ ما أراك إلا حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً وأنه أبو ولدي وأحب الناس إلى فقال ﷺ ما أراك إلا حرمت عليه ولم أؤمر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله ﷺ وإذا قال لها رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وقالت أشكو إلى الله فاقتي وحاجتي وشدة حالي اللهم فأنزل على لسان نبيك وكان هذا أول ظهار في الإسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت أنظر في أمري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عائشة أقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ وكان ﷺ إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي زوجك فتلا عليه رسول الله ﷺ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها إلى تمام الآيات قالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺوأنا في ناحية البيت اسمع بعض كلامها ويخفى عليّ بعضه إذ أنزل الله قد سمع فلما تلا عليه هذه الآيات قال له هل تستطيع أن تعتق رقبة قال إذاً يذهب مالي كله والرقبة غالية وأني قليل المال فقال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين فقال والله يا رسول الله أني إذا لم آكل ثلاث مرات كلَّ بصري وخشيت أن تغشى عيني قال فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً قال لا والله إلا أن تعينني على ذلك يا رسول الله فقال أني معينك بخمسة عشر صاعاً وأنا داع لك بالبركة فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً فدعا له البركة فاجتمع لهما أمرهما .

[ المعنى ] ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾ أي تراجعك في أمر زوجها

عن أبي العالية ﴿ **وتشتكي إلى الله** ﴾ وتظهر شكواها وما بها من المكروه فتقول اللهم أنك تعلم حالي فارحمني فإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا ﴿ **والله يسمع تحاوركما** ﴾ أي تخاطبكما ومراجعتكما الكلام ﴿ **إن الله سميع بصير** ﴾ أي يسمع المسموعات ويرى المرئيات والسميع البصير من هو على حالة يجب لأجلها أن يسمع المسموعات ويبصر المبصرات إذا وجدتا وذلك يرجع إلى كونه حياً لا آفة به ثم قال سبحانه يذم الظهار ﴿ **الذين يظاهرون منكم من نسائهم** ﴾ أي يقولون لهن أنتن كظهور أمهاتنا ﴿ **ما هن أمهاتهم** ﴾ أي ما اللواتي تجعلونهن من الزوجات كالأمهات بأمهات أي لسن بأمهاتهم ﴿ **إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم** ﴾ أي ما أمهاتهم إلا الوالدات ﴿ **وإنهم** ﴾ يعني المظاهرين ﴿ **ليقولون منكراً من القول** ﴾ لا يعرف في الشرع ﴿ **وزوراً** ﴾ أي كذباً لأن المظاهر إذا جعل ظهر امرأته كظهر أمه وليست كذلك كان كاذباً ﴿ **وإن الله لعفو غفور** ﴾ عفا عنهم وغفر لهم وأمرهم بالكفارة ثم بيّن سبحانه حكم الظهار فقال ﴿ **والذين يظاهرون من نسائهم** ﴾ يعني الذين يقولون القول الذي حكيناه ﴿ **ثم يعودون لما قالوا** ﴾ إختلف المفسرون والفقهاء في معنى العود هنا فقيل إنه العزم على وطئها عن قتادة وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وقيل العود هو أن يمسكها بالعقد ولا يتبع الظهار بطلاق وذلك أنه إذا ظاهر منها فقد قصد التحريم فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدأه ولا كفارة وإذا سكت عن الطلاق بعد الظهار زماناً يمكنه أن يطلق فيه فذلك الندم منه على ما ابتدأه وهو عود إلى ما كان عليه فحينئذ تجب الكفارة وهو مذهب الشافعي واستدل على ذلك بما روي عن ابن عباس أنه فسر العود في الآية بالندم فقال يندمون ويرجعون إلى الألفة وقال الفراء يعودون لما قالوا وإلى ما قالوا وفيما قالوا معناه يرجعون عما قالوا يقال عاد لما فعل أي نقض ما فعل ويجوز أن يقال عاد لما فعل يريد فعله مرة أخرى وقيل إن العود هو أن يكرر لفظ الظهار عن أبي العالية وهو مذهب أهل الظاهر واحتجوا بأن ظاهر لفظ العود يدل على تكرير القول قال أبو علي الفارسي ليس في هذا ظاهر كما ادّعوا لأن العود قد يكون إلى شيء عليه قبل وقد سميت الآخرة معاداً ولم يكن فيها أحد ثم صار إليها وقال الأخفش تقدير الآية والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون إلى نسائهم أي فعليهم تحرير رقبة لما نطقوا به من ذكر التحريم. والتقديم والتأخير كثير في التنزيل وأما ما ذهب إليه أئمة الهدى من آل محمد ﷺ فهو أن المراد بالعود إرادة الوطء ونقض القول الذي قاله فإن الوطء لا يجوز له إلا بعد الكفارة ولا يبطل حكم قوله الأول إلا بعد الكفارة ﴿ **فتحرير رقبة** ﴾ أي فعليهم تحرير رقبة ﴿ **من قبل أن يتماسّا** ﴾ أي من قبل أن يجامعها فيتماسّا والتحرير هو أن يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق بأن يقول

المالك لمن يملكه أنت حر ﴿ **ذلكم توعظون به** ﴾ أي ذلكم التغليظ في الكفارة توعظون به أي أن غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار قاله الزجاج ﴿ **والله بما تعملون خبير** ﴾ أي عليم بأعمالكم فلا تدعوا ما وعظكم به من الكفارة قبل الوطء فيعاقبكم عليه ﴿ **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسَّا** ﴾ أي فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين قبل الجماع والتتابع عند أكثر الفقهاء أن يوالي بين أيام الشهرين الهلاليين أو يصوم ستين يوماً وقال أصحابنا أنه إذا صام شهراً ومن الثاني شيئاً ولو يوماً واحداً ثم أفطر لغير عذر فقد أخطأ إلا أنه يبني عليه ولا يلزمه الإستئناف وإن أفطر قبل ذلك استأنف ومتى بدأ بالصوم وصام بعض ذلك ثم وجد الرقبة لا يلزمه الرجوع إليها وإن رجع كان أفضل وقال قوم أنه يلزمه الرجوع إلى العتق وقوله ﴿ **فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً** ﴾ أي فمن لم يطق الصوم لعلة أو كبر فإطعام ستين مسكيناً فعليه إطعام ستين فقيراً لكل مسكين نصف صاع عند أصحابنا فإن لم يقدر فمد ﴿**ذلك**﴾ أي افترض ذلك الذي وصفناه ﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله**﴾ أي لتصدقوا بما أتى به الرسول وتصدقوا بأن الله أمر به﴿**وتلك حدود الله**﴾يعني ما وصفه من الكفارات في الظهار أي هي شرائع الله وأحكامه ﴿**وللكافرين عذاب أليم**﴾ أي وللجاحدين المتعدين حدود الله عذاب مؤلم في الآخرة ﴿**إن الذين يحادون الله ورسوله**﴾ أي يخالفون أمر الله ويعادون رسوله ﴿**كبتوا**﴾ أي أذلوا وأخزوا ﴿**كما كبت الذين من قبلهم**﴾ أي كما أخزي الذين من قبلهم من أهل الشرك ﴿**وقد أنزلنا آيات بينات**﴾ أي حججاً واضحات من القرآن وما فيه من الأدلة والبيان ﴿**وللكافرين**﴾ الجاحدين لما أنزلناه ﴿**عذاب مهين**﴾ يهينهم ويخزيهم فأما الكلام في مسائل الظهار وفروعها فموضعه كتب الفقه .

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ
أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ
ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ

ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ
وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ
وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ
يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ
فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ
وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا
بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر وحده ما تكون بالتاء والباقون بالياء وقرأ يعقوب وسهل ولا أكثر بالرفع والباقون بالنصب وقرأ حمزة ورويس عن يعقوب ينتجون والباقون يتناجون وقرأ رويس أيضاً فلا تنتجوا .

[ **الحجة** ]قال ابن جني التذكير في قوله﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة**﴾هو الوجه لما هناك من الشياع وعموم الجنسية كقولك ما جاءني من امرأة وما حضرني من جارية وأما تكون بالتاء فلاعتزام لفظ التأنيث حتى كأنه قال ما تكون نجوى ثلاثة وقوله ولا أكثر بالرفع معطوف على محل الكلام قبل دخول من فإن قوله من نجوى في محل رفع بأنه فاعل يكون ومن زائدة والقراءة الظاهرة أكثر بالفتح في موضع الجر وقوله ﴿ **ينتجون يفتعلون من النجوى** ﴾ والنجوى مصدر كالدعوى والعدوى ومثل ذلك في أنه على فعلى التقوى إلا أن الواو فيها مبدلة وليست بلام ولما كان مصدراً وقع للجمع على لفظ الواحد في قوله تعالى : ﴿ **إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى** ﴾ أي هم ذوو نجوى وقوله ﴿ **ما يكون من نجوى** ﴾ ثلاثة قال أبو علي : ثلاثة يحتمل جره أمرين (أحدهما) أن يكون مجروراً بإضافة نجوى إليه كأنه ما يكون من أسرار ثلاثة إلا هو رابعهم أي لا يخفى عليه ذلك كما قال ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم ويجوز أن يكون ثلاثة جرا على الصفة على قياس قوله تعالى ﴿ **وإذ هم**

**نجوى** ﴾ فيكون المعنى ما يكون من متناجين ثلاثة وأما النجي فصفة تقع على الكثرة كالصديق والرفيق والحميم ومثله الغري وفي التنزيل خلصوا نجياً وأما قول حمزة ينتجون وقول سائرهم متناجون فإن يفتعلون ويتفاعلون قد يجريان مجرى واحد ومن ثم قالوا ازدوجوا واعتوروا فصححوا الواو وإن كانت على صورة يجب فيها الاعتلال لما كان بمعنى تعاوروا وتزاوجوا كما صح عور وحول لما كان بمعنى أفعالّ ويشهد لقراءة حمزة قول النبي ﷺ في علي صلوات الرحمن عليه لما قال له بعض أصحابه أتناجيه دوننا قال ما أنا أنتجيته بل الله انتجاه .

[ **اللغة** ] النجوى هي أسرار ما يرفع كل واحد إلى آخر وأصله من النجوة الارتفاع من الأرض والنجاء الارتفاع في السير والنجاة الارتفاع من البلاء .

[ **الإعراب** ] هو رابعهم مبتدأ وخبر في محل جر بأنه صفة ثلاثة وتقول فلان رابع أربعة إذا كان واحد أربعة ورابع ثلاثة إذا جعل ثلاثة أربعة بكونه معهم ويجوز على هذا أن يقال رابع ثلاثة ولا يجوز رابع أربعة لأنه ليس فيه معنى الفعل . حسبهم جهنم مبتدأ وخبر ويصلونها في موضع نصب على الحال .

[ **النزول** ] قال ابن عباس نزل قوله ﴿ **ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى** ﴾ الآية في اليهود والمنافقين أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا واخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو مصيبة أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فنزلت الآية .

[ **المعنى** ] ثم بين سبحانه وقت ذلك العذاب فقال ﴿ **يوم يبعثهم الله جميعاً** ﴾ أي يحشرهم إلى أرض المحشر ويعيدهم أحياء ﴿ **فينبئهم بما عملوا** ﴾ أي يخبرهم ويعلمهم بما عملوه من المعاصي في دار الدنيا ﴿ **أحصاه الله** ﴾ عليهم وأثبته في كتاب أعمالهم ﴿ **ونسوه والله على كل شيء شهيد** ﴾ معناه أنه يعلم الأشياء كلها من جميع وجوهها لا يخفى عليه شيء منها ومنه قوله ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو** ﴾ أي علم الله ثم بين سبحانه أنه يعلم ما يكون في العالم فقال ﴿ **ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ يعني جميع المعلومات والخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المكلفين وهو استفهام معناه التقرير أي ألم

تعلم وقيل ألم تر إلى الدلالات المرئية من صنعته الدالة على أنه عالم بجميع المعلومات ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ بالعلم يعني أن نجواهم معلومة عنده كما تكون معلومة عند الرابع الذي هو معهم وقيل السرار ما كان بين اثنين والنجوى ما كان بين ثلاثة وقال بعضهم النجوى كل حديث كان سرا أو علانية وهو اسم للشيء الذي يتناجى به ﴿ **ولا خمسة إلا هو سادسهم** ﴾ أي ولا يتناجى خمسة إلا وهو عالم بسرهم كسادس معهم ﴿ **ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم أينما كانوا** ﴾ المعنى أنه عالم بأحوالهم وجميع متصرفاتهم فرادى وعند الاجتماع لا يخفى عليه شيء منها فكأنما هو معهم ومشاهد لهم وعلى هذا يقال إن الله مع الإنسان حيثما كان لأنه إذا كان عالماً به لا يخفى عليه شيء من أمره حسن هذا الإطلاق لما فيه من البيان فأما أن يكون معهم على طريق المجاورة فذلك محال لأنه من صفات الأجسام وقد دلت الأدلة على أنه ليس بصفات الأجسام ﴿ **ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة** ﴾ أي يخبرهم بأعمالهم ﴿ **إن الله بكل شيء عليم** ﴾ لا يخفى عليه خافية ﴿ **ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى** ﴾ أي ألم تعلم حال الذين نهوا عن المناجاة وأسرار الكلام بينهم دون المسلمين بما يغم المسلمين ويحزنهم وهم اليهود والمنافقون ﴿ **ثم يعودون لما نهوا عنه** ﴾ يعني إلى ما نهوا عنه أي يرجعون إلى المناجاة بعد النهي ﴿ **ويتناجون بالإثم والعدوان** ﴾ في مخالفة الرسول وهو قوله ﴿ **ومعصية الرسول** ﴾ وذلك أنه نهاهم عن النجوى فعصوه ويجوز أن يكون الإثم والعدوان ذلك السر الذي يجري بينهم لأنه شيء يسوء المسلمين ويوصي بعضهم بعضاً بترك أمر الرسول والمعصية له ﴿ **وإذا جاءوك حيّوك بما لم يحيّك به الله** ﴾ وذلك أن اليهود كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه أنهم يقولون السلام عليك وكان النبي ﷺ يردّ على من قال ذلك فيقول وعليك وقال الحسن كان اليهودي يقول السأم عليك أي أنكم ستسأمون دينكم هذا وتملونه فتدعونه ومن قال السأم الموت فهو سأم الحياة بذهابها ﴿ **ويقولون في أنفسهم** ﴾ أي يقول بعضهم لبعض وقيل معناه أنهم لو تكلموا لقالوا هذا الكلام وإن لم يكن منهم قول ﴿ **لولا يعذبنا الله بما نقول** ﴾ أي يقولون لو كان هذا نبياً كما يزعم فهلا يعذبنا الله ولا يستجيب له فينا قوله وعليكم يعني السأم وهو الموت فقال سبحانه ﴿ **حسبهم** ﴾ أي كافيهم ﴿ **جهنم يصلونها** ﴾ يوم القيامة ويحترقون فيها ﴿ **فبئس المصير** ﴾ أي فبئس المرجع والمآل جهنم لما فيها من أنواع العذاب والنكال ثم نهى المؤمنين عن مثل ذلك فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلاتتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول** ﴾ أي لا تفعلوا كفعل المنافقين واليهود ﴿ **وتناجوا بالبر والتقوى** ﴾ أي بأفعال الخير والطاعة والخوف من

عذاب الله واتقاء معاصي الله ﴿ **واتقوا الله الذي إليه** ﴾ أي إلى جزائه ﴿ **تحشرون** ﴾ يوم القيامة ﴿ **إنما النجوى من الشيطان** ﴾ يعني نجوى المنافقين والكفار بما يسوء المؤمنين ويغمهم من وساوس الشيطان وبدعائه واغوائه يفعل ذلك النجوى ﴿ **ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً** ﴾ أي نجواهم لا يضرهم شيئاً وقيل إن الشيطان لا يضرهم شيئاً ﴿ **إلا بإذن الله** ﴾ يعني بعلم الله وقيل بأمر الله لأن سببه بأمره وهو الجهاد وخروجهم إليه وقيل بأمر الله لأنه يلحقهم الآلام والأمراض عقيب ذلك ﴿ **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ في جميع أمورهم دون غيره وقيل إن الآية المراد بها أحلام المنام التي يراها الإنسان في نومه فيحزنه وورد في الخبر عن عبد الله بن مسعود قال قال النبي ﷺ إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه وعن ابن عمر عنه قال لا يتناجَ اثنان دون الثالث .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ
وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾
ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ
قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى
ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ

مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ عاصم وحده في المجالس على الجمع والباقون في المجلس على التوحيد وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم غير يحيى مختلف عنه قيل انشزوا فانشزوا بالضم والباقون بالكسر .

[ **الحجة** ] قال أبو علي في المجلس زعموا أنه مجلس رسول الله ﷺ وإذا كان كذلك فالوجه الافراد ويجوز أن يجمع على هذا على أن يجعل لكل جالس مجلس أي موضع جلوس ويكون المجلس على إرادة العموم مثل قولهم كثر الدينار والدرهم فيشتمل على هذا جميع المجالس ومثله قوله إن الإنسان لفي خسر وقوله ﴿ **انشزوا** ﴾ أي قوموا والنشز المرتفع من الأرض قال :

تَرَى الثَّعْلَبَ الْحَوْلِيَّ فِيهَا كَأَنَّهُ إِذَا مَا عَلَا نَشْزَ أَحِصَانٌ مُجَلَّلُ[1]

ومنه نشوز المرأة على زوجها وينشُز وينشِز مثل يعكف ويعكف ويعرش ويعرش .

[ **اللغة** ] التفسح الاتساع في المكان والتفسح والتوسّع واحد وفسح له في المجلس يفسح فسحاً ومكان فسيح وفي صفة النبي ﷺ كان فسيح ما بين المنكبين أي بعيد ما بينهما لسعة صلبه والإشفاق الخوف ورقة القلب والنشوز الارتفاع عن الشيء بالذهاب عنه .

[ **النزول** ] قال قتادة كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ فإذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنّوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقال المقاتلان كان رسول الله ﷺ في الصفة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء اناس من أهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم النبي ﷺ ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا[2] عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر قم يا فلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف الكراهية في وجوههم وقال المنافقون للمسلمين

---

(١) الثعلب الحولي أي في السنة الأولى من العمر والحصان من فحل الخيل والمجلل الملبس جلا .

(٢) في نسختين : وما ردوا .

ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء إن قوماً أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم فنزلت الآية ﴿ وأما ﴾ قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا ﴾ الآية فإنها نزلت في الأغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته فأمر الله سبحانه بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فنزلت آية الرخصة عن مقاتل بن حيان وقال أمير المؤمنين صلوات الرحمن عليه إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول ﴾ الآية كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما أردت أن أناجي رسول الله ﷺ قدمت درهماً فنسختها الآية الأخرى ﴿ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ﴾ الآية فقال صلوات الله عليه بي خفف الله عن هذه الأمة ولم ينزل في أحد قبلي ولم ينزل في أحد بعدي وقال ابن عمر وكان لعلي بن أبي طالب ( ع ) ثلاث لو كانت لي واحدة منهن لكانت أحب إليّ من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى وقال مجاهد وقتادة لما نهوا عن مناجاته صلوات الرحمن عليه حتى يتصدقوا لم يناجه إلا علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلوات قدم ديناراً فتصدق به ثم نزلت الرخصة .

[ **المعنى** ] لما قدم سبحانه النهي عن النجوى لما فيه من إيذاء المؤمنين عقبه بالأمر بالتفسح لما في تركه من إيذائهم أيضاً فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس** ﴾ أي اتسعوا فيه وهو مجلس النبي ﷺ عن قتادة ومجاهد وقيل المراد به مجالس الذكر كلها ﴿ **فافسحوا يفسح الله لكم** ﴾ أي فتوسعوا يوسع الله لكم مجالسكم في الجنة ﴿ **وإذا قيل انشزوا** ﴾ أي ارتفعوا وقوموا ووسعوا على اخوانكم ﴿ **فانشزوا** ﴾ أي فافعلوا ذلك وقيل معناه وإذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير فانشزوا ولا تقصروا عن مجاهد وقيل معناه وإذا قيل لكم ارتفعوا في المجلس وتوسعوا للداخل فافعلوا فإن رسول الله ﷺ لا يقرّب ولا يرفع إلا بإذن الله وأمره وقيل معناه وإذا نودي للصلاة فانهضوا فإن رجالاً كانوا يتثاقلون عن الصلاة عن عكرمة والضحاك وقيل وردت في قوم كانوا يطيلون المكث عند رسول الله ﷺ فيكون كل واحد منهم يحب أن يكون آخر خارج فأمرهم الله أن ينشزوا أي يقوموا إذا قيل لهم انشزوا ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ قال ابن عباس يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات وقيل معناه لكي يرفع الله الذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله ﷺ درجة والذين أوتوا العلم بفضل علمهم وسابقتهم درجات في الجنة وقيل درجات في مجلس رسول الله ﷺ فأمر الله سبحانه أن يقرّب العلماء من نفسه فوق المؤمنين الذين لا يعلمون العلم ليبين فضل العلماء على

غيرهم وفي هذه الآية دلالة على فضل العلماء وجلالة قدرهم وقد ورد أيضاً في الحديث أنه قال ﷺ فضل العالم على الشهيد درجة وفضل الشهيد على العابد درجة وفضل النبي على العالم درجة وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وفضل العالم على سائر الناس كفضلي على أدناهم رواه جابر بن عبد الله وقال علي (ع) من جاءته منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الأنبياء درجة ﴿ **والله بما تعملون خبير** ﴾ أي عليم ثم خاطب سبحانه المؤمنين مرة أخرى وقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجوٰيكم صدقة** ﴾ أي إذا ساررتم الرسول فقدموا قبل أن تسارّوه صدقة وأراد بذلك تعظيم النبي ﷺ وأن يكون ذلك سبباً لأن يتصدقوا فيؤجروا عنه وتخفيفاً عنه ﷺ قال المفسرون فلما نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا ضن كثير من الناس فكفوا عن المسألة فلم يناج أحد إلا علي بن أبي طالب على ما مضى ذكره قال مجاهد وما كان إلا ساعة وقال مقاتل بن حيان كان ذلك ليالي عشراً ثم نسخت بما بعدها وكانت الصدقة مفوضة إليهم غير مقدرة ﴿ **ذلك** ﴾ أي ذلك التصدق بين يدي مناجاة النبي ﷺ ﴿ **خير لكم** ﴾ لأن فيه اداء واجب وتحصيل ثواب ﴿ **وأطهر** ﴾ أي وأدعى لكم إلى مجانبة المعاصي وتركها وأزكى لكم تتطهرون بذلك بمناجاته كما تقدم الطهارة على الصلاة ﴿ **فإن لم تجدوا** ﴾ ما تتصدقون به ﴿ **فإن الله غفور** ﴾ يستر عليكم ترك ذلك ﴿ **رحيم** ﴾ يرحمكم وينعم عليكم ثم قال سبحانه ناسخاً لهذا الحكم ﴿ **أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات** ﴾ يعني أخفتم الفاقة يا أهل الميسرة وبخلتم بالصدقة بين يدي نجواكم وهذا توبيخ لهم على ترك الصدقة إشفاقاً من العيلة ﴿ **فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم** ﴾ لتقصيركم فيه ﴿ **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله** ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ **ورسوله** ﴾ أي وأطيعوا رسوله أيضاً ﴿ **والله خبير بما تعملون** ﴾ أي عالم بأعمالكم من طاعة ومعصية وحسن وقبيح فيجازيكم بها ثم قال سبحانه ﴿ **ألم تر** ﴾ يا محمد ﴿ **إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم** ﴾ والمراد به قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود ويفشون إليهم أسرار المؤمنين ويجتمعون معهم على ذكر مساءة النبي ﷺ والمؤمنين عن قتادة وابن زيد ﴿ **ما هم منكم ولا منهم** ﴾ يعني أنهم ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود ﴿ **ويحلفون على الكذب** ﴾ أي ويحلفون أنهم لم ينافقوا ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ أنهم منافقون ﴿ **أعد الله لهم عذاباً شديداً** ﴾ أي في الآخرة ﴿ **انهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾ أي بئس العمل عملهم وهو النفاق وموالاة أعداء الله .

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ

ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ
يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ
ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ
مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ
إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم
بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ
حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ محمد بن حبيب الشموني عن الأعشى عن أبي بكر أو عشيراتهم على الجمع والباقون أو عشيرتهم على التوحيد وفي الشواذ قراءة الحسن اتخذوا إيمانهم بكسر الهمزة ورواية بعضهم عن عاصم كتب بضم الكاف في قلوبهم الإيمان بالرفع .

[ **الحجة** ] من قرأ ايمانهم حذف المضاف أي اتخذوا إظهار إيمانهم جنة ومن قرأ كتب في قلوبهم الإيمان فهو على حذف المضاف أيضاً أي كتب في قلوبهم علامة الإيمان

ومن أسند الفعل إلى الفاعل فلتقدم ذكر الإسم على ذلك ويدل عليه قوله ﴿ **وأيدهم بروح منه** ﴾ .

[ **اللغة** ] الجنة السترة التي تقي البلية وأصله الستر ومنه المجن الترس والاستحواذ الاستيلاء على الشيء بالاقتطاع له وأصله من حاذه يحوذه حوذاً مثل حازه يحوزه حوزاً .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه تمام الخبر عن المنافقين فقال ﴿ **اتخذوا ايمانهم** ﴾ التي يحلفون بها ﴿ **جنة** ﴾ أي سترة وترساً يدفعون بها عن نفوسهم التهمة والظنة إذا ظهرت منهم الريبة ﴿ **فصدوا** ﴾ نفوسهم وغيرهم ﴿ **عن سبيل الله** ﴾ الذي هو الحق والهدى ﴿ **فلهم عذاب مهين** ﴾ يهينهم ويذلهم ويخزيهم ﴿ **لن تغني عنهم أموالهم** ﴾ التي جمعوها ﴿ **ولا أولادهم** ﴾ الذين خلفوهم ﴿ **من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ ظاهر المعنى ﴿ **يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له** ﴾ أي يقسمون لله ﴿ **كما يحلفون لكم** ﴾ في دار الدنيا بأنهم كانوا مؤمنين في الدنيا في اعتقادهم وظنهم لأنهم كانوا يعتقدون أن ما هم عليه هو الحق ﴿ **ويحسبون أنهم على شيء** ﴾ أي ويحسب المنافقون في الدنيا أنهم مهتدون لأن في الآخرة تزول الشكوك وقال الحسن في القيامة مواطن فموطن يعرفون فيه قبح الكذب ضرورة فيتركونه وموطن يكونون فيه كالمدهوش فيتكلمون بكلام الصبيان الكذب وغير الكذب ويحسبون أنهم على شيء في ذلك الموضع الذي يحلفون فيه بالكذب ﴿ **إلا أنهم هم الكاذبون** ﴾ في ايمانهم وأقوالهم في الدنيا وقيل معناه أولئك هم الخائبون كما يقال كذب ظنه أي خاب أمله ﴿ **استحوذ عليهم الشيطان** ﴾ أي استولى عليهم وغلب عليهم لشدة اتباعهم إياه ﴿ **فأنساهم ذكر الله** ﴾ حتى لا يخافون الله ولا يذكرونه ﴿ **أولئك حزب الشيطان** ﴾ أي جنوده ﴿ **ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ يخسرون الجنة ويحصل لهم بدلها النار ﴿ **إن الذين يحادون الله ورسوله** ﴾ أي يخالفونه في حدوده ويشاقونه وهم المنافقون ﴿ **أولئك في الأذلين** ﴾ فلا أحد أذل منهم في الدنيا ولا في الآخرة قال عطاء يريد الذل في الدنيا والخزي في الآخرة ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي** ﴾ أي كتب الله في اللوح المحفوظ وما كتبه فلا بد من أن يكون أجرى قوله كتب الله مجرى القسم فأجابه بجواب القسم قال الحسن ما أمر الله نبياً قط بحرب إلا غلب أما في الحال أو فيما بعد وقال قتادة كتب الله كتاباً فأمضاه لأغلبن أنا ورسلي ويجوز أن يكون المعنى قضى الله ووعد لأغلبن أنا ورسلي بالحجج والبراهين وإن جاز أن يُغلب بعضهم في الحرب ﴿ **إن الله قوي عزيز** ﴾ أي غالب قاهر لمن نازع أولياءه ويروى أن المسلمين قالوا لما رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى

ليفتحنّ الله علينا الروم وفارس فقال المنافقون أتظنون أن فارساً[١] والروم كبعض القرى التي غلبتم عليها فأنزل الله هذه الآية ثم قال سبحانه ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله** ﴾ أي يوالون من خالف الله ورسوله والمعنى لا تجتمع موالاة الكفار مع الإيمان والمراد به الموالاة في الدين ﴿**ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ أي وإن قربت قرابتهم منهم فإنهم لا يوالونهم إذا خالفوهم في الدين وقيل إن الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة ينذرهم بمجيء رسول الله إليهم وكان ﷺ أخفى ذلك فلما عوتب على ذلك قال أهلي بمكة أحببت أن يحوطوهم بيد تكون لي عندهم وقيل انها نزلت في عبد الله بن أبيّ وابنه عبيد الله بن عبد الله وكان هذا الابن عند النبي ﷺ فشرب النبي ﷺ فقال ابق فضلة من شرابك اسقها أبي لعل الله يطهر قلبه فأعطاه فأتى بها أباه فقال ما هذا فقال بقية شراب رسول الله ﷺ جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال هلا جئتني ببول أمك فرجع إلى النبي ﷺ فقال إئذن لي في قتله فقال بل ترفق به عن السُّدّيّ ثم قال سبحانه ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان** ﴾ أي ثبت في قلوبهم الإيمان بما فعل بهم من الألطاف فصار كالمكتوب عن الحسن وقيل كتب في قلوبهم علامة الإيمان ومعنى ذلك أنها سمة لمن يشاهدهم من الملائكة على أنهم مؤمنون كما أن قوله في الكفار وطبع الله على قلوبهم علامة يعلم من شاهدها من الملائكة أنه مطبوع على قلبه عن أبي علي الفارسي ﴿ **وأيدهم بروح منه** ﴾ أي قوّاهم بنور الإيمان ويدل عليه قوله وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان عن الزجاج وقيل معناه وقوّاهم بنور[٢] الحجج والبراهين حتى اهتدوا للحق وعملوا به وقيل قوّاهم بالقرآن الذي هو حياة القلوب من الجهل عن الربيع وقيل أيدهم بجبرائيل في كثير من المواطن ينصرهم ويدفع عنهم ﴿ **ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم** ﴾ بإخلاص الطاعة والعبادة منهم ﴿ **ورضوا عنه** ﴾ بثواب الجنة وقيل رضوا عنه بقضائه عليهم في الدنيا فلم يكرهوه ﴿ **أولئك حزب الله** ﴾ أي جند الله وأنصار دينه ودعاة خلقه ﴿ **ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ ألا كلمة تنبيه أن جنود الله وأولياءه هم المفلحون الناجون الظافرون بالبغية .

---

(١) في المخطوطة : ان فارس .

(٢) في نسخة : بنور في الحجج .

# (٥٩) سورة الحشر مدنية وآياتها أربع وعشرون

[ عدد آيها ]

وهي أربع وعشرون آية بالإجماع .

[ فضلها ] أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السماوات السبع ولا الأرضون السبع والهوامّ والرياح والطير والشجر والدواب والشمس والقمر والملائكة إلا صلّوا عليه واستغفروا له وإن مات من يومه أو ليلته مات شهيداً وعن أبي سعيد المكاري عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ إذا أمسى الرحمن والحشر وكّل الله بداره ملكاً شاهراً سيفه حتى يصبح .

[ تفسيرها ] لما ختم الله سورة المجادلة بذكر حزب الشيطان وحزب الله افتتح هذه السورة بقهره حزب الشيطان وما نالهم بالجلاء من الخزي والهوان ونصرة حزبه من أهل الإيمان فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى

قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ
فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم
مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو يخرّبون بالتشديد والباقون يخربون ساكنة الخاء وخفيفة الراء وفي الشواذ قراءة طلحة بن مصرف يشاقق الله بقافين على الإظهار كالتي في الأنفال .

[ **الحجة** ] يقال خرب الموضع وأخربته وخربته قال الأعشى « وأخربت من أرض قوم دياراً » وحكي عن أبي عمرو أن الإخراب أن يترك الموضع خرباً والتخريب الهدم .

[ **اللغة** ] الحشر جمع الناس من كل ناحية ومنه الحاشر الذي يجمع النّاس إلى ديوان الخراج والجلاء الانتقال عن الديار والأوطان للبلاء يقال جلا القوم عن منازلهم جلاء وأجليتهم اجلاء واللينة النخلة وأصله من اللون قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وجمعها ليان قال امرؤ القيس :

وَسَالِفَةٍ كَسَحُوقِ اللِّيَانِ     أَضْرَمَ فِيهَا الْغَوِيُّ السُّعُرُ(١)

وقال ذو الرمة :

طِرَاقُ الْخَوَافي وَاقِعٌ فَوْقَ لِينَةٍ     بِنَدي لَيْلَةٍ في رِيشِه يَتَرَقْرَقُ(٢)

فكأن اللينة نوع من النخل أي ضرب منه وقيل هو من اللين للين ثمرها .

---

(١) السالفة: ناحية مقدم العنق والمراد هنا: العنق والسحوق من النخل: الجرداء الطويلة وأضرم النار. أوقدها وأشعلها الغرض تشبيه عنق فرسه بالنخلة الجرداء التي أشعل النار فيها بشدة .

(٢) ريش طراق إذا كان بعضها فوق بعض والخوافي ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ويترقرق أي يتحرك .

[ الإعراب ] مانعتهم حصونهم ارتفع حصونهم بقوله مانعتهم لأن اسم الفاعل جرى خبراً لأنّ فيرفع ما بعده .

[ النزول ] قيل نزلت السورة في اجلاء بني النضير من اليهود فمْنهم من خرج إلى خيبر ومنهم من خرج إلى الشام عن مجاهد وقتادة وذلك أن النبي ﷺ لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك منهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً وظهر على المشركين قالوا والله أنه للنبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا تردّ له راية فلما غزا غزاة أحد وهزم المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأتوا قريشاً وحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ثم دخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجد وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة ثم رجع كعب بن الأشرف وأصحابه إلى المدينة ونزل جبرائيل فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه وأبو سفيان وأمره بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلم(١) الأنصاري وكان أخاه من الرضاعة قال محمد بن إسحاق خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم النبي يستعينهم في الدية قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقال انكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه ورسول الله إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخرة ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وقال لأصحابه لا تبرحوا فخرج راجعاً إلى المدينة ولما استبطأوا النبي ﷺ قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلاً المدينة فأقبل أصحاب النبي ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر وأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة بقتل كعب بن الأشرف فخرج ومعه سلكان بن سلامة وثلاثة من بني الحرث وخرج النبي ﷺ على أثرهم وجلس في موضع ينتظر وجوههم(٢) فذهب محمد بن مسلمة مع القوم إلى قرب قصره وأجلس قومه عند جدار وناداه يا كعب فانتبه وقال من أنت قال أنا محمد بن مسلمة أخوك جئتك استقرض منك دراهم فإن محمداً يسألنا الصدقة وليس معنا الدراهم فقال(٣) لا أقرضك إلا بالرهن قال معي رهن أنزل فخذه وكانت له امرأة بنى بها تلك الليلة عروساً فقالت لا أدعك تنزل لأني أرى حمرة الدم في ذلك الصوت فلم يلتفت

(١) في نسخة: مسلمة . (٢) في المخطوطة: رجوعهم . (٣) فيها أيضاً : قال كعب .

إليها فخرج فعانقه محمد بن مسلمة وهما يتحادثان حتى تباعدا من القصر إلى الصحراء ثم أخذ رأسه ودعا بقومه وصاح كعب فسمعت امرأته فصاحت وسمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلاً ورجع القوم سالمين إلى رسول الله ﷺ فلما أسفر الصبح أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بقتل كعب ففرحوا وأمر رسول الله ﷺ بحربهم والسير إليهم فسار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصن فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها فنادوا[1] يا محمد قد كنت تنهى عن الفحشاء فما بالك تقطع النخل وتحرقها فأنزل الله ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها الآية وهي البويرة في قول حسان .

وَهَانَ عَلىٰ سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ    حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

والبويرة تصغير بؤرة وهي إرَة النار أي حفرتها وقال ابن عباس كان النبي ﷺ حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم وأن يسيرهم إلى أذرعات بالشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعير أو سقاء فخرجوا إلى أذرعات بالشام وأريحا إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة وكان ابن عباس يسمي هذه السورة سورة بني النضير وعن محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال وعن محمد بن إسحاق كان إجلاء بني النضير مرجع النبي ﷺ من أحد وكان فتح قريظة مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان وكان الزهري يذهب إلى أن اجلاء بني النضير كان قبل أحد على رأس ستة أشهر من وقعة بدر .

[ المعنى ] ﴿ **سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾ مضى تفسيره ﴿ **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب** ﴾ يعني يهود بني النضير ﴿ **من ديارهم** ﴾ بأن سلط الله المؤمنين عليهم وأمر نبيه ﷺ بإخراجهم من منازلهم وحصونهم وأوطانهم ﴿ **لأول الحشر** ﴾ اختلف في معناه فقيل كان جلاؤهم ذلك أول حشر اليهود إلى الشام ثم يحشر الناس يوم القيامة إلى أرض الشام أيضاً وذلك الحشر الثاني عن ابن عباس والزهري والجبائي قال ابن عباس قال لهم النبي ﷺ أخرجوا قالوا إلى أين قال إلى أرض المحشر وقيل معناه لأول الجلاء عن البلخي لأنهم كانوا أول من أجلي من أهل الذمة من جزيرة العرب ثم أجلى اخوانهم من اليهود لئلا يجتمع في بلاد العرب دينان وقيل انما قال

(١) في نسختين فنادوه .

لأول الحشر لأن الله فتح على نبيه ﷺ في أول ما قاتلهم عن يمان بن رباب ﴿ **ما ظننتم أن يخرجوا** ﴾ أي لم تظنوا أيها المؤمنون أنهم يخرجون من ديارهم لشدتهم وشوكتهم ﴿ **وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله** ﴾ أي وظن بنو النضير أن حصونهم لوثاقتها تمنعهم من سلطان الله وانزال العذاب بهم على يد رسول الله ﷺ حيث حصنوها وهيّأوا آلات الحرب فيها ﴿**فأتاهم الله** ﴾ أي فأتاهم أمر الله وعذابه ﴿ **من حيث لم يحتسبوا** ﴾ أي لم يتوهموا أن يأتيهم لما قدروا في أنفسهم من المنعة جعل الله سبحانه امتناعهم من رسوله امتناعاً منه ﴿ **وقذف في قلوبهم الرعب** ﴾ وألقى سبحانه في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿ **يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين** ﴾ أي يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا لا أنهم خربوا ما استحسنوا منها حتى لا يكون للمسلمين ويخربها المؤمنون من خارج ليصلوا إليهم عن الحسن وقيل أن معنى تخريبها بأيدي المؤمنين أنهم عرضوها لذلك عن الزجاج وقيل أنهم كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم بنقض الموادعة وبأيدي المؤمنين بالمقاتلة ﴿ **فاعتبروا يا أولي الأبصار** ﴾ أي فاتعظوا يا أولي العقول والبصائر وتدبروا وانظروا فيما نزل بهم ومعنى الاعتبار النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها والمراد استدلوا بذلك على صدق الرسول إذ كان وعد المؤمنين أن الله سبحانه سيورثهم ديارهم وأموالهم بغير قتال فجاء المخبر على ما أخبر فكان آية دالة على نبوته ولا دليل في الآية على صحة القياس في الشريعةلأن الاعتبار ليس من القياس في شيء لما ذكرناه ولأنه لا سبيل لأهل القياس إلى العلم بالترجيح ولا يعلم كل من الفريقين علة الأصل للآخر فإن علة الربا عند أحدهما الكيل والوزن والجنس وعند الآخر الطعم والجنس وفي الدراهم والدنانير لأنهما جنس الأثمان وقال آخرون أشياء أخر وليس هذا باعتبار إذ لا سبيل إلى المعرفة به ﴿ **ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء** ﴾ أي حكم عليهم أنهم يجلون عن ديارهم[1] وينقلون عن أوطانهم ﴿ **لعذبهم في الدنيا** ﴾ بعذاب الإستئصال[2] أو القتل والسبي كما فعل ببني قريظة لأنه تعالى علم أن كلا الأمرين في المصلحة سواء وقد سبق حكمه بالجلاء ﴿ **ولهم في الآخرة** ﴾ مع الجلاء عن الأوطان ﴿ **عذاب النار** ﴾ لأن أحداً منهم لم يؤمن وقيل أن ذلك مشروط بالإصرار وترك التوبة ﴿ **ذلك** ﴾ الذي فعلنا بهم ﴿ **بأنهم شاقوا الله** ﴾ أي خالفوا الله ورسوله ثم توعد من حذا حذوهم وسلك سبيلهم في مشاقة الله ورسوله فقال ﴿ **ومن يشاقّ الله** ﴾ أي يخالفه ﴿ **فإن الله شديد العقاب** ﴾ يعاقبهم على مشاقّتهم أشد العقاب ﴿ **ما قطعتم من لينة** ﴾ أي نخلة كريمة

---

(١) جملة « وينقلون عن ديارهم » زائدة .

(٢) في المخطوطة ليست لفظة « أو » .

من أنواع النخيل عن مجاهد وابن زيد وقيل كل نخلة سوى العجوة عن ابن عباس وقتادة ﴿ أو تركتموها قائمة على أصولها ﴾ فلم تقطعوها ولم تقلعوها ﴿ فبإذن الله ﴾ أي بأمره كل ذلك سائغ لكم علم الله سبحانه ذلك وأذن فيه ليذل به أعداءه ﴿ وليخزي الفاسقين ﴾ من اليهود ويهينهم به لأنّهم إذا رأوا عدوهم يتحكم في أموالهم كان ذلك خزياً لهم .

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر كيـلا تكون بـالتاء دولـة بالـرفع والبـاقون يكـون باليـاء دولة بالنصب .

[ **الحجة** ] قال ابن جني منهم من لا يفصل بين الدولة والدولة ومنهم من يفصل بينهما فقال الدولة بالفتح للمُلك والدولة بالضم في الملك وتكون هنا هي التامة أي كيلا يقع دولة أو تحدث دولة وبين الأغنياء إن شئت كانت صفة لدولة وإن شئت كانت متعلقة بنفس دولة أي تداولاً بين الأغنياء وإن شئت علقتها بنفس تكون أي لا يحـدث بين الأغنياء منكم وإن شئت جعلتها كان الناقصة وجعلت بين خبراً عنها والأول أوجه ومعناه كيـلا تقع دولـة فيه أو عليه يعني على المفاء من عند الله .

[ **اللغة** ] الفيء رد ما كان للمشركين على المسلمين بتمليك الله إياهم ذلـك على ما شرط فيه يقال فاء يفيء فيئاً إذا رجع وأفأته انا عليه أي رددته عليه والإيجاف الإيضاع وهـو تسيير الخيل أو الركاب من وجف يجف وجيفاً وهو تحرك باضطراب فالإيجاف الازعاج للسير والركاب الابل والخصاصة الإملاق والحاجة وأصله الاختصاص وهو الانفراد بالأمـر فكأنـه انفراد الإنسان عما يحتاج إليه وقيل أصله الفرجة يقال للقمر بدا من خَصاص الغيم أي فرجته ومنه الخص البيت من القصب لما فيه من الفرج والشحّ والبخل واحد وقيل أن الشح بخل مع حرص .

[ **النزول** ] قال ابن عباس نزل قوله **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾** الآية في أموال كفار أهل القرى وهم قريظة وبني النضير وهما بالمدينة وفدك وهي من المدينة على ثلاثة أميال وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها الله لرسوله يحكم فيها ما أراد وأخبر أنها كلها له فقال أناس فهلا قسمها فنزلت الآية وقيل إن الآية الأولى بيان أموال بني النضير خاصة لقوله **﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم ﴾** الآية والثانيـة بيانَ الأمـوال التي أصيبت بغير قتـال وقيل انهما واحد والآية الثانية بيان قسم المال الذي ذكره الله في الآية الأولى وقال أنس بن مالك أهدي لبعض الصحابة رأس مشويّ وكان مجهوداً فوجه به إلى جار له فتداولته تسعة أنفس ثم عاد إلى الأول فنزل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وعن ابن عبـاس قال قال رسول الله ﷺ يوم بني النضير للانصار أن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولـم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقال الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديـارنا ونؤثـرهم بالغنيمـة ولا نشاركهم فيهـا

فنزلت ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ﴾ الآية وقيل نزلت في سبعة عطشوا في يوم أحد فجيء بماء يكفي لأحدهم فقال واحد منهم ناول فلاناً حتى طيف على سبعتهم وماتوا ولم يشرب أحد منهم فأثنى الله سبحانه عليهم وقيل نزلت في رجل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال أطعمني فإني جائع فبعث إلى أهله فلم يكن عندهم شيء فقال من يضيفه هذه الليلة فأضافه رجل من الأنصاروأتى به منزله ولم يكن عنده إلا قوت صبية له فأتوا بذلك إليه وأطفأوا السراج وقامت المرأة إلى الصبية فعلّلتهم حتى ناموا وجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله ﷺ فظن الضيف أنهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما أصبحا غدوا إلى رسول الله ﷺ فنظر إليهما وتبسم وتلا عليهما هذه الآية وأما الذي رويناه بإسناد صحيح عن أبي هريرة أن الذي أضافه ونوّم الصبية وأطفأ السراج علي ( ع ) وفاطمة ( ع ) .

[ المعنى ] ثم بين سبحانه حال أموال بني النضير فقال ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم﴾ أي من اليهود الذين أجلاهم وإن كان الحكم سارياً في جميع الكفار الذين حكمهم حكمهم ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ والإيجاف دون التقريب وقيل الايجاف في الخيل والايضاع في الابل وقيل هما مستعملان فيهما جميعاً أي فما أوجفتم عليه خيلاً ولا ابلاً والمعنى لم تسيروا اليها على خيل ولا ابل وإنما كانت ناحية من[1] المدينةمشيتم إليها مشياً وقوله عليه أي على ما افاء الله والركاب الابل التي تحمل القوم واحدتها راحلة ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ أي يمكنهم من عدوهم من غير قتال بأن يقذف الرعب في قلوبهم جعل الله أموال بني النضير لرسوله خالصة يفعل بها ما يشاء فقسمها رسول الله ﷺبين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ثم ذكر سبحانه حكم الفيء فقال ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ أي من أموال كفار أهل القرى ﴿فلله﴾ يأمركم فيه بما أحب ﴿وللرسول﴾ بتمليك الله إياه ﴿ولذي القربى﴾ يعني أهل بيت رسول الله وقرابته وهم بنو هاشم ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ منهم لأن التقدير ولذي قرباه ويتامى أهل بيته ومساكينهم وابن السبيل منهم وروى المنهال بن عمرو عن علي بن الحسين ( ع ) قال قلت قوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال هم قربانا ومساكيننا وابناء سبيلنا وقال جميع الفقهاء هم يتامى الناس عامة وكذلك المساكين وابناء السبيل وقد روي أيضاً ذلك عنهم ( ع ) وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر ( ع ) أنه قال كان أبي يقول لنا سهم رسول

(١) في نسخة : من نواحي المدينة .

الله ﷺ وسهم ذي القربى ونحن شركاء الناس فيما بقي والظاهر يقتضي أن ذلك لهم سواء كانوا أغنياء أو فقراء وهو مذهب الشافعي وقيل إن مال الفيء للفقراء من قرابة رسول الله ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب وروي عن الصادق (ع) أنه قال نحن قوم فرض الله طاعتنا ولنا الانفال ولنا صفو المال يعني ما كان يصطفى لرسول الله ﷺ من فره الدواب وحسان الجواري والدرة الثمينة والشيء الذي لا نظير له ثم بين سبحانه أنه لم فعل ذلك فقال **﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾** والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة أي لئلا يكون الفيء متداولاً بين الرؤساء منكم يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية وهذا خطاب للمؤمنين دون الرسول وأهل بيته (ع) قال الكلبي نزلت في رؤساء المسلمين قالوا له يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وأنشدوا :

لَـكَ الْمِـرْبَاعُ مِنْـهَا والصَّـفَـايَـا وَحُكْمُكَ والنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ[1]

فنزلت الآية فقالت الصحابة سمعاً وطاعة لأمر الله وأمر رسوله ثم قال سبحانه **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** أي ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه وارضوا به وما أمركم به فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا عنه فإنه لا يأمر ولا ينهى إلا عن أمر الله وهذا عام في كل ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه وان نزل في آية الفيء وروى زيد الشحام عن أبي عبد الله (ع) قال ما أعطى الله نبياً من الأنبياء شيئاً إلا وقد أعطى محمداً ﷺ قال لسليمان فامنن او امسك بغير حساب وقال لرسول الله ﷺ ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا **﴿فاتقوا الله﴾** في ترك المعاصي وفعل الواجبات **﴿إن الله شديد العقاب﴾** لمن عصاه وترك أوامره وفي هذه الآية اشارة إلى أن تدبير الأمة إلى النبي ﷺ وإلى الأئمة القائمين مقامه ولهذا قسم رسول الله ﷺ اموال خيبر ومنّ عليهم في رقابهم وأجلى بني النضير وبني قينقاع وأعطاهم شيئاً من المال وقتل رجال بني قريظة وسبى ذراريهم ونساءهم وقسم أموالهم على المهاجرين ومنّ على أهل مكة ثم قال سبحانه **﴿للفقراء المهاجرين﴾** الذين هاجروا من مكة إلى المدينة ومن دار الحرب إلى دار الإسلام **﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾** التي كانت لهم **﴿يبتغون﴾** أي يطلبون **﴿فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله﴾** أي وينصرون دين الله **﴿ورسوله أولئك هم الصادقون﴾** في الحقيقة عند الله العظيم المنزلة عنده قال الزجاج بين سبحانه من المساكين الذين لهم الحق فقال للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم ثم ثنى سبحانه بوصف الأنصارومدحهم حتى

(١) النشيطة ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل الوصول إلى الموضع الذي قصدوه .

طابت انفسهم عن الفيء فقال ﴿**والذين تبوأوا الدار**﴾ يعني المدينة وهي دار الهجرة تبوأها الانصار قبل المهاجرين وتقدير الآية والذين تبوأوا الدار من قبلهم ﴿**والإيمان**﴾ لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين وعطف الإيمان على الدار في الظاهر لا في المعنى لأن الإيمان ليس بمكان يتبوأوا لتقدير وآثروا الإيمان وقيل ﴿**من قبلهم**﴾ )أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم وقيل معناه قبل إيمان المهاجرين والمراد به أصحاب ليلة العقبة وهم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على حرب الأبيض والأحمر يحبون من هاجر إليهم لأنهم احسنوا إلى المهاجرين واسكنوهم دورهم وأشركوهم في أموالهم ﴿**ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا**﴾ أي لا يجدون في قلوبهم حسداً وحزازة وغيظاً مما أعطي المهاجرون دونهم من مال بني النضير ﴿**ويؤثرون على أنفسهم**﴾ أي ويؤثرون المهاجرين ويقدمونهم على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم ﴿**ولو كان بهم خصاصة**﴾ أي فقر وحاجة بيّن سبحانه أن ايثارهم لم يكن عن غنى عن المال ولكن كان عن حاجة فيكون ذلك اعظم لأجرهم وثوابهم عند الله ويروى ان أنس بن مالك كان يخلف بالله تعالى ما في الأنصار بخيل ويقرأ هذه الآية ﴿**ومن يوق شح نفسه**﴾ أي ومن يدفع عنه ويمنع عنه بخل نفسه ﴿**فأولئك هم المفلحون**﴾ أي المنجحون الفائزون بثواب الله ونعيم جنته وقيل من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عنه ولم يمنع شيئاً امره الله بأدائه فقد وقي شح نفسه عن ابن زيد وقيل شح النفس هو أخذ الحرام ومنع الزكاة عن سعيد ابن جبير وفي الحديث لا يجتمع الشح والإيمان في قلب رجل مسلم ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل مسلم وقيل في موضع قوله والذين تبوأوا الدار قولان ( أحدهما ) أنه رفع على الابتداء وخبره يحبون من هاجر إليهم إلى آخره لأن النبي ﷺ لم يقسم لهم شيئاً من الفيء إلا لرجلين أو لثلاثة على اختلاف الرواية فيه ( والآخر ) أنه في موضع جر عطفاً على الفقراء المهاجرين وعلى هذا فيكون قوله يحبون من هاجر إليهم وما بعده في موضع نصب على الحال ثم ثلث سبحانه بوصف التابعين فقال ﴿**والذين جاءوا من بعدهم**﴾ يعني من بعد المهاجرين والأنصار وهم جميع التابعين لهم إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل هم كل من أسلم[١] بعد انقطاع الهجرة وبعد إيمان الانصار عن الأصم وأبي مسلم والظاهر ان المراد والذين خلفوهم ويجوز أن يكون المراد من بعدهم في الفضل وقد يعبر بالقبل والبعد عن الفضل كقول النبي ﷺ نحن الآخرون السابقون أي الآخرون في الزمان السابقون في الفضل ﴿**يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾ أي

---

(١) في المخطوطة: من أسلم قبل . . .

يدعون ويستغفرون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا﴾ أي حقداً وغشا وعداوة سألوا الله سبحانه أن يزيل ذلك بلطفه وهاهنا احتراز لطيف وهو انهم احسنوا الدعاء للمؤمنين ولم يرسلوا القول ارسالاً والمعنى اعصمنا ربنا من إرادة السوء بالمؤمنين ولا شك ان من أبغض مؤمناً وأراد به السوء لأجل ايمانه فهو كافر وإذا كان لغير ذلك فهو فاسق ﴿ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ أي متعطف على العباد منعم عليهم .

﴿ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ
وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟
لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾
لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا
يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن
وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا
ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وأبو عمرو من وراء جدار على التوحيد والباقون من وراء جدر على الجمع وفي الشواذ قراءة أبي رجاء وأبي حية جدر بسكون الدال .

[ **الحجة** ] قال أبو علي المعنى في الجمع انهم لا يصحرون معكم للقتال ولا يبرزون لكم ولا يقاتلونكم حتى يكون بينكم وبينهم حاجز من حصن او سور فإذا كان كذلك فالمعنى على الجمع إذ ليس المعنى انهم يقاتلونهم من وراء جدار واحد ولكن من وراء جدر كما لا

يقاتلونكم إلا في قرىء محصنة فكما ان القرى جماعة كذلك الجدر ينبغي أن تكون جمعاً فكان المراد في الافراد الجمع لأنه يعلم انهم لا يقاتلونهم من وراء جدار واحد قال ابن جني ويجوز أن يكون جدار تكسير جدار فتكون الف جدار في الواحد كألف كتاب وفي الجمع كألف ضرام وكرام ومثله ناقة هجان ونوق هجان ودرع دلاص وادرع دلاصن قال ومثله قوله سبحانه واجعلنا للمتقين إماماً يكون إمام على ما شرحناه .

[ **الإعراب** ] لأنتم اشد رهبة في صدورهم من الله أي من رهبتهم من الله فحذف. كمثل الذين من قبلهم أي مثلهم كمثل الذين من قبلهم فحذف المبتدأ وكذلك قوله كمثل الشيطان .

[ **المعنى** ] لما وصف سبحانه المهاجرين الذين هاجروا الديار والاوطان ثم مدح الانصار الذين تبوؤا الدار والإيمان ثم ذكر التابعين بإحسان وما يستحقونه من النعيم في الجنان عقب ذلك بذكر المنافقين وما أسرّوه من الكفر والعصيان فقال ألم تر يا محمد **﴿إلى الذين نافقوا﴾** فأبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان **﴿يقولون لاخوانهم﴾** في الكفر **﴿الذين كفروا من أهل الكتاب﴾** يعني يهود بني النضير **﴿لئن أخرجتم﴾** من دياركم وبلادكم **﴿لنخرجن معكم﴾** مساعدين لكم **﴿ولا نطيع فيكم﴾** أي في قتالكم ومخاصمتكم **﴿أحداً أبداً﴾** يعنون محمداً ﷺ وأصحابه ووعدوهم النصر بقولهم **﴿وان قوتلتم لننصرنكم﴾** أي لندفعن عنكم ثم كذّبهم الله في ذلك بقوله **﴿والله يشهد انهم لكاذبون﴾** فيما يقولونه من الخروج معهم والدفاع عنهم ثم أخبر سبحانه انهم يخلفونهم ما وعدوه من النصر والخروج بقوله **﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم﴾** أي ولئن قدّر وجود نصرهم لأن ما نفاه الله تعالى لا يجوز وجوده **﴿ليولنّ الأدبار﴾** أي ينهزمون ويسلمونهم وقيل معناه لئن نصرهم من يفي منهم لولوا الادبار فعلى هذا لا تنافي بين قوله لا ينصرونهم وقوله لئن نصروهم فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية عما لا يكون منهم ان لو كان كيف كان يكون **﴿ثم لا ينصرون﴾** أي ولو كان لهم هذه القوة وفعلوا لم ينتفع اولئك بنصرتهم نزلت الآية قبل اخراج بني النضير وأخرجوا بعد ذلك وقوتلوا فلم يخرج معهم منافق ولم ينصروهم كما أخبر الله تعالى بذلك وقيل أراد بقوله لإخوانهم بني النضير وبني قريظة فأخرج بنو النضير ولم يخرجوا معهم وقوتل بنو قريظة فلم ينصروهم ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال **﴿لأنتم أشد رهبة﴾** أي خوفاً **﴿في صدورهم﴾** أي في قلوب هؤلاء المنافقين **﴿من الله﴾** المعنى أن خوفهم منكم أشد من خوفهم من الله لأنهم يشاهدونكم ويعرفونكم ولا يعرفون الله وهو قوله

**﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾** الحق ولا يعلمون عظمة الله وشدة عقابه **﴿لا يقاتلونكم﴾** معاشر المؤمنين **﴿جميعاً إلا في قرى محصنة﴾** أي ممتنعة حصينة المعنى أنهم لا يبرزون لحربكم وإنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى **﴿أو من وراء جدر﴾** أي يرمونكم من وراء الجدران بالنبل والحجر **﴿بأسهم بينهم شديد﴾** أي عداوة بعضهم لبعض شديدة يعني أنهم ليسوا بمتفقي القلوب وقيل معناه قوتهم فيما بينهم شديدة فإذا لاقوكم جبنوا ويفزعون[١] منكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب **﴿تحسبهم جميعاً﴾** أي مجتمعين في الظاهر **﴿وقلوبهم شتى﴾** أي مختلفة متفرقة خذلهم الله باختلاف كلمتهم وقيل إنه عنى بذلك قلوب المنافقين وأهل الكتاب عن مجاهد **﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾** ما فيه الرشد مما فيه الغي وإنما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى لاختلاف دواعيهم وأهوائهم وداعي الحق واحد وهو العقل الذي يدعو إلى طاعة الله والإحسان في الفعل **﴿كمثل الذين من قبلهم قريباً﴾** أي مثلهم في اغترارهم بعددهم وبقوتهم وبقول المنافقين كمثل الذين من قبلهم يعني المشركين الذين قتلوا ببدر وذلك قبل غزاة بني النضير لستة أشهر عن الزهري وغيره وقيل إن الذين من قبلهم قريباً هم بنو قينقاع عن ابن عباس وذلك أنهم نقضوا العهد مرجع رسول الله ﷺ من بدر فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا وقال عبد الله بن أبيّ لا تخرجوا فإني آتي النبي ﷺ فأكلمه فيكم أو أدخل معكم الحصن فكان هؤلاء ايضاً في ارسال عبد الله بن أبيّ اليهم ثم ترك[٢] نصرتهم كاولئك **﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾** أي عقوبة كفرهم **﴿ولهم عذاب أليم﴾** في الآخرة .

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ
قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ
ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ
فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ

(١) في نسخة تفرقوا وفي أخرى يفرقون بدل يفزعون . (٢) في المخطوطة : ثم تركه .

بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ
أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ
وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

[ اللغة ] أصل غد غـدو الا انه لم يأت في القرآن الا محذوف الواو وجاء في الشعـر بحذف الواو واثباتها(١)

وَمَـا الـنَّـاسُ إلَّا كَـالـدِّيَارِ وأَهْـلُهَـا ... بِـهَـا يَـوْمَ حَـلُّوهـا وَغـدواً بـلاقِـعُ

وقال آخر:

لَا تَـقْـلُوَاهَـا وَادْلُـوَاهَـا دَلْـواً ... إنَّ مَـعَ الْـيَـوْمِ أَخَـاهَـا غَـدْواً(٢)

[ المعنى ] ثم ضرب سبحانه لليهود والمنافقين مثلاً فقال **﴿كمثل الشيطان﴾** أي مثل المنافقين في غرورهم لبني النضير وخذلانهم إياهم كمثل الشيطان **﴿إذ قال للإنسان اكفر﴾** وهو عابد بني اسرائيل عن ابن عباس قال أنه كان في بني إسرائيل عابد اسمه برصيصاً عبد الله زماناً من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعـوّذهم فيبرؤن على يـده وانه أتي بامرأة في شرف قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي احد اخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا ثم أتى بقية اخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئاً يكبر عليّ ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه(٣) فأقـر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال أنا الذي ألقيتك في هذا فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه قال نعم قـال اسجد لي سجـدة واحدة فقال كيف اسجد لك وأنا على هذه الحالة فقال اكتفي منك بالإيماء فأومى له بالسجود فكفر بالله وقتل الرجل فهو قوله كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر **﴿فلما كفر قال إني بريء منك﴾** ضرب الله هذه القصة لبني النضير حين اغتروا بالمنافقين ثم تبرأوا منهم عند الشدة

(١) [ قال الشاعر في اثباتها ] .
(٢) تلا الابل : طردها وعاد ساقها ودلا الناقة : سيرها رويداً .
(٣) في نسخة : فاستزلوه .

وأسلموهم وقيل أراد كمثل الشيطان يوم بدر إذ دعا إلى حرب رسول الله ﷺ فلما رأى الملائكة رجع القهقرى وقال اني أخاف الله وقيل أراد بالشيطان والانسان اسم الجنس لا المعهود فإن الشيطان أبدا يدعو الإنسان إلى الكفر ثم يتبرأ منه وقت الحاجة عن مجاهد وإنما يقول الشيطان ﴿**إني أخاف الله رب العالمين**﴾ يوم القيامة ثم ذكر سبحانه أنهما صارا إلى النار بقوله ﴿**فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها**﴾ يعني عاقبة الفريقين الداعي والمدعو من الشيطان ومن اغواه من المنافقين واليهود انهما معذبان في النار ﴿**وذلك جزاء الظالمين**﴾ أي وذلك جزاؤهم ثم رجع إلى موعظة المؤمنين فقال سبحانه ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد**﴾ يعني ليوم القيامة والمعنى لينظر كل امرىء ما الذي قدمه لنفسه أعملاً صالحاً ينجيه أم سيئاً يوبقه ويرديه فإنه وارد عليه قال قتادة إن ربكم قرّب الساعة حتى جعلها كغد وأمركم بالتدبر والتفكر فيما قدمتم ﴿**واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**﴾ إنما كرر الأمر بالتقوى لأن الأولى للتوبة عما مضى من الذنوب والثانية لاتقاء المعاصي في المستقبل وقيل إن الثانية تأكيد للأولى ﴿**ولا تكونوا كالذين نسوا الله**﴾ أي تركوا أداء حق الله ﴿**فأنساهم أنفسهم**﴾ بأن حرمهم حظوظهم من الخير والثواب وقيل نسوا الله بترك ذكره بالشكر والتعظيم فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذي نسي به بعضهم بعضاً كما قال فسلموا على أنفسكم أي ليسلم بعضكم على بعض عن الجبائي ويريد به بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع عن ابن عباس ﴿**أولئك هم الفاسقون**﴾ الذين خرجوا من طاعة الله إلى معصيته ﴿**لا يستوي اصحاب النار وأصحاب الجنة**﴾ أي لا يتساويان لأن هؤلاء يستحقون النار وأولئك يستحقون الجنة ﴿**أصحاب الجنة هم الفائزون**﴾ بثواب الله الظافرون بطلبتهم .

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ

لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

[ **فضلها** ] عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ومن قاله حين يمسي كان بتلك المنزلة وعن أبي هريرة قال سألت حبيبي رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم فقال عليك بآخر سورة الحشر وأكثر قراءتها فأعدت عليه فأعاد عليّ وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجبت له الجنة وعن أنس عن النبي ﷺ قال من قرأ لو أنزلنا هذا القرآن إلى آخرها فمات من ليلته مات شهيداً .

[ **اللغة** ] التصدع التفرق بعد التلاؤم ومثله التفطر يقال صدعه يصدعه صدعاً ومنه الصداع في الرأس والقدوس المعظم بتطهير صفاته من ان تدخلها صفة نقص قال ابن جني ذكر سيبويه في الصفة السبوح والقدوس بالضم والفتح وإنما باب الفعّول الاسم كشُبُّوط وسمّور وتنّور وسفّود والمهيمن اصله مثيمن على مفيعل من الأمانة فقلبت الهمزة هاء فخم اللفظ بها لتفخيم المعنى .

[ **المعنى** ] ثم عظم سبحانه حال القرآن فقال ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله**﴾ تقديره لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن ويشعر به مع غلظه وجفاء طبعه وكبر جسمه لخشع لمنزله وتصدع من خشية الله تعظيماً لشأنه فالإنسان أحق بهذا لو عقل الأحكام التي فيه وقيل معناه لو كان الكلام ببلاغته يصدع الجبل لكان هذا القرآن يصدعه وقيل إن المراد به ما يقتضيه الظاهر بدلالة قوله وإن منها لما يهبط من خشية الله وهذا وصف للكافر بالقسوة حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن الذي لو نزل على جبل لتخشع ويدل على أن هذا تمثيل قوله ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**﴾ أي ليتكفروا ويعتبروا ثم أخبر سبحانه بربوبيته وعظمته فقال ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو**﴾ أي هو المستحق للعبادة الذي لا تحق العبادة إلا له ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ أي عالم بما يشاهده العباد وعالم بما يغيب عنهم علمه وقيل عالم الغيب معناه عالم بما لا يقع عليه الحس من

المعدوم والموجود الذي لا يدرك مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب وغيرها والشهادة أي عالم بما يصح عليه الادراك بالحواس وقيل معناه عالم السر والعلانية عن الحسن وفي هذا وصفه سبحانه بأنه عالم بجميع المعلومات لأنها لا تعدو هذين القسمين وعن أبي جعفر (ع) قال الغيب ما لم يكن والشهادة ما كان **﴿هو الرحمن﴾** أي المنعم على جميع خلقه **﴿الرحيم﴾** بالمؤمنين ثم أعاد سبحانه قوله **﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك﴾** يعني السيد المالك لجميع الأشياء الذي له التصرف فيها على وجه ليس لأحد منعه منه وقيل هو الواسع القدرة **﴿القدوس﴾** أي الطاهر من كل عيب ونقص وآفة المنزه عن القبائح وقيل هو المطهر عن الشريك والولد لا يوصف بصفات الأجسام ولا بالتجزئة والانقسام وقيل هو المبارك الذي تنزل البركات من عنده عن الحسن **﴿السلام﴾** أي الذي سلم عباده من ظلمه وقيل هو المسلم من كل عيب ونقص وآفة وقيل هو الذي من عنده ترجى السلامة عن الجبائي وهو اسم من السلامة وأصله مصدر فهو مثل الجلال والجلالة **﴿المؤمن﴾** الذي أمن خلقه من ظلمه لهم إذ قال لا يظلم مثقال ذرة عن ابن عباس[1] وقيل الذي آمن بنفسه قبل إيمان خلقه به عن الحسن وأشار إلى قوله **﴿شهد الله أنه لا إلـه إلا هو﴾** الآية والمعنى أنه بيّن لخلقه توحيده وإلهيته بما أقام لهم من الدلائل وقيل معناه المصدق لما وعد المحقق له كالمؤمن الذي يصدق قوله فعله وقيل هو الذي أمن أولياؤه عذابه وقيل هو الداعي إلى الإيمان الآمر به الموجب لأهله اسمه عن أبي مسلم **﴿المهيمن﴾** أي الأمين حتى لا يضيع لأحد عنده حق عن ابن عباس والضحاك والجبائي وقيل هو الشاهد عن مجاهد وقتادة كأنه شهيد على إيمان من آمن به وقيل هو المؤمن في المعنى لأن أصله المؤيمن إلا أنه أشد مبالغة في الصفة وقيل هو الرقيب على الشيء يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء **﴿العزيز﴾** أي القادر الذي لا يصح عليه القهر وقيل هو المنيع الذي لا يرام ولا يمتنع عليه مرام **﴿الجبار﴾** وهو العظيم الشأن في الملك والسلطان ولا يستحق ان يوصف به على هذا الاطلاق إلا الله تعالى فإن وصف به العباد فإنما يوضع اللفظ في غير موضعه ويكون ذماً وقيل هو الذي يذل له من دونه ولا تناله يد وقيل هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد عن السدي ومقاتل وهو اختيار الزجاج فيكون من جَبره على كذا إذا أكرهه وقيل هو الذي يجبر الفقير من قولهم جبر الكسير إذا اصلحه عن واصل بن عطا **﴿المتكبر﴾** أي المستحق لصفات التعظيم وقيل هو الذي يكبر عن كل سوء عن قتادة وقيل هو المتعالي عن صفات المحدثين المتعظم عما لا

---

(١) في نسخة: والجبائي .

يليق به ﴿**سبحان الله عما يشركون**﴾ أي تنزيهاً له عما يشرك به المشركون من الأصنام وغيرها ﴿**هو الله الخالق**﴾ للأجسام والأعراض المخصوصة وقيل المقدر للأشياء بحكمته المحدث للأشياء على إرادته ﴿**البارىء**﴾ المنشىء للخلق الفاعل للأجسام والأعـراض ﴿**المصور**﴾ الذي صور الأجسام على اختلافها مثل الحيوان والجماد ﴿**لـه الأسماء الحسنى**﴾ نحـو الله الـرحمن الرحيم القـادر العالم الحي وقـد مر بيـانه في سـورة الأعراف ﴿**يسبـح لـه مـا في السماوات والأرض**﴾ أي ينزهه جميع الأشياء فالحي يصفه بالتنزيه والجماد يدل على تنزيهه ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾ وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ اسم الله الأعظم في ست آيات في آخر سورة الحشر .

# (٦٠) سورة الممتحنة مدنية وآياتها ثلاث عشرة

وقيل سورة الامتحان وقيل سورة المودة مدنية وهي ثلاث عشرة آية بالاجماع .

[ فضلها ] ابيّ بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة. أبو حمزة الثمالي عن علي بن الحسين ( ع ) قال من قرأ سورة الممتحنة في فرائضه ونوافله امتحن الله قلبه للإيمان ونور له بصره ولا يصيبه فقراً أبداً ولا جنون في ولده ولا في بدنه .

[ تفسيرها ] وجه اتصالها بما قبلها انه لما ذكر سبحانه في سورة الحشر الكفار والمنافقين افتتح هذه السورة بذكر تحريم موالاتهم وايجاب معاداتهم فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى
وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ج تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ
وَمَآ أَعْلَنتُمْ ج وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١) إِن
يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم

بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ
أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾
قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ
لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ
وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ
وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ
مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو يفصل بينكم بضم الياء وفتح الصاد على التخفيف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم يفصل بضم الياء وكسر الصاد مشدداً وقرأ عاصم ويعقوب وسهل يفصل بفتح الياء وكسر الصاد مخففاً وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الصاد مشدداً وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمرو انا براء منكم على مثال فعال .

[ **الحجة** ] قال أبو علي ذهب أبو الحسن في هذا النحو ان الظرف اقيم مقام الفاعل وترك على الفتح الذي كان يجري عليه في الكلام لجريه في أكثر الكلام منصوباً وكذلك تقول في قوله **﴿وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك﴾** وكذلك يجيء قياس قوله لقد تقطع بينكم فاللفظ على قوله مفتوح والموضع رفع كما كان اللفظ في قوله وكفى بالله وما جاءني من رجل مجروراً والموضع رفع والقول في قراءة ابن عامر يفصل مثل القول في يفصل وقول عاصم يفصل حسن والضمير يرجع إلى اسم الله تعالى ودل عليه قوله وانا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم وكذلك قول من قرأ يفصل وبريء في تكسيره أربعة أوجه براء كالشريف والشرفاء وهو قراءة الجماعة وبراء نحو ظريف وظراف وأبرياء كصديق وأصدقاء وبراء كتؤام ورباب

وعليه بيت الحارث بن حلزة «فإنا من قتلهم لبراء» قال الفراء أراد به براء فحذف الهمزة التي هي لام تخفيفاً وأخذ هـذا الموضـع من أبي الحسن في قولـه ان أشياء أصله أشيئاء وهذا المذهب يوجب ترك صرف براء لأنها همزة التأنيث .

[ **الإعـراب** ] ذهب الزجـاج إلى أن التقديـر إن كنتم خرجتم جهـاداً في سبيلي فـلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وقيل ان الكلام قد تم عند قوله اولياء ثم قال تلقون اليهم على تقدير أتلقون فحذف الهمزة كقوله وتلك نعمة تمنها علي وتقديره أو تلك نعمة وقيل ان قوله تلقون إليهم بالمودة في موضع النصب على الحال من الضمير في لا تتخذوا والباء مزيدة والتقدير تُلقون إليهم المودة كما قال الشاعر:

فَلَمَّـا رَجَتْ بِالشُّـرْبِ هَـزَّ لَهَـا الْعَصَـا      شَـحِيـحٌ لَـهُ عِـنْـدَ الإزَاءِ نَـهِـيـم[1]

أي رجت الشرب ويجوز أن يكون مفعول تلقـون محذوفـاً والباء تتعلق بـه أي تلقون اليهم ما تريدون بالمودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا جملة في موضع نصب على الحال من العدو أو من الهاء والميم في قوله تلقون إليهم وإياكم منصوب بالعطف على الرسول ان كنتم خرجتم جواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدمه من الكلام عليه أي ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي فلا تتخذوا عـدوي وعدوكم أوليـاء وجهاداً مفعـول له أي للجهـاد ويجوز أن يكـون مصدراً وضع موضع الحال وابتغاء مـرضاتي معـطوف عليه على الـوجهين والتقديـر للحال خرجتم مجاهدين في سبيلي مبتغين مرضاتي . وحده يجوز أن يكون مصدراً محذوف الزوائد والتقدير توحدونه توحيداً او توحدونه ايحاداً فيكون مصـدراً وضع مـوضع الحـال ويجوز ان يكون مصدر فعل ثلاثي تقديره يحد وحده والتقدير حتى تؤمنوا بالله واحداً . إلا قول إبراهيم منصوب على الاستثناء والمستثنى منه الضمير المستكن فيما يتعلق به اللام في قوله قد كانت لكم اسوة حسنة والتقدير ثبتت لكم في إبراهيم إلا في قوله لاستغفرن لك .

[ **النزول** ] نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وذلك ان سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هشام اتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة بعد بدر بسنتين فقال لها رسول الله ﷺ امسلمة جئت قالت لا قال امهـاجرة جئت قـالت لا قال فمـا جاء بـك قالت كنتم الأصـل والعشيرة والمـوالي وقد ذهب مـواليّ واحتجت حاجـة شـديـدة فقـدمت عليكم لتعـطوني وتكسـوني

---

(١) الازاء: مصب الماء في الحوض ونهم الاكل في الطعام: شره وحرص وافرط الشهوة فيه وكان لا تمتلىء عينه ولا تشبع .

وتحملوني قال فأين انت من شبان مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني بعد وقعة بدر فحث رسول الله ﷺ عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها واعطوهـا نفقة وكـان رسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وكتب معها كتاباً إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير عن ابن عباس وعشرة دراهم عن مقاتل بن حيان وكساها بـرداً على ان توصـل الكتاب إلى أهل مكة وكتب في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرائيل فأخبر النبي ﷺ بما فعل فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً وعمـر والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وأبا مرثد وكانوا كلهم فرساناً وقال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فخذوه منها فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي ذكره رسول الله ﷺ فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فنحوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتـاباً فهمـوا بالرجوع فقال علي (ع) والله ما كذبنا ولا كذبنا وسلّ سيفه وقال لها اخرجي الكتـاب والا والله لاضربن عنقك فلما رأت الجدّ أخرجته من ذؤابتها قد أخبأته في شعرها فرجعوا بالكتاب الى رسول الله ﷺ فأرسل إلى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت عريراً فيهم أي غريباً وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن اتخذ عندهم يداً وقد علمت ان الله ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئاً فصدقـه رسول الله ﷺ وعذره فقام عمر بن الخطاب وقال دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فغفر لهم فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن أبي رافع قال سمعت علياً (ع) يقول بعثنا رسول الله ﷺ انا والمقداد والزبير وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخرجنا وذكر نحوه .

[ المعنى ] **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾** خـاطب سبحانـه المؤمنين ونهاهم ان يتخذوا الكافرين أولياء يوالونهم ويستنصرون بهم وينصـرونهم **﴿تلقون اليهم بالمودة﴾** أي تلقون إليهم المودة وتبذلون لهم النصيحة يقال القيت إليك بسري وقيل معناه تلقون إليهم اخبار رسول الله ﷺ بالمودة التي بينكم وبينهم عن الزجاج **﴿وقـد كفروا بما جاءكم من الحق﴾** وهو القرآن والإسلام **﴿يخرجـون الرسـول وإياكم﴾** من مكـة **﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾** أي لأن تؤمنوا أو كراهة ان تؤمنوا فكأنه قال يفعلون ذلك لايمـانكم بالله

ربكم الذي خلقكم ﴿**إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي**﴾ والمعنى ان كان غرضكم في خروجكم وهجرتكم الجهاد وطلب رضاي فأوفوا خروجكم حقه من معاداتهم ولا تلقوا اليهم بالمودة ولا تتخذوهم اولياء ﴿**تسرون إليهم بالمودة**﴾ أي تعلمونهم في السر أن بينكم وبينهم مودة وقيل الباء للتعليل أي تعلمونهم بأحوال الرسول في السر بالمودة التي بينكم وبينهم فعل من يظن أنه يخفى عليّ ما يفعله ﴿**وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم**﴾ لا يخفى عليّ شيء من ذلك فاطلع رسولي عليه ﴿**ومن يفعله منكم**﴾ أي ومن أسر إليهم بالمودة والقي اليهم أخبار رسولي منكم يا جماعة المؤمنين بعد هذا البيان ﴿**فقد ضل سواء السبيل**﴾ أي عدل عن طريق الحق وجار عن سبيل الرشد وفي هذه الآية دلالة على أن الكبيرة لا تخرج عن الإيمان لأن احد من المسلمين لا يقول ان حاطباً قد خرج من الإيمان بما فعله من الكبيرة الموبقة ﴿**أن يثقفوكم**﴾ يعني ان هؤلاء الكفار ان يصادفوكم مقهورين ويظفروا بكم ﴿**يكونوا لكم اعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء**﴾ أي يمدّوا إليكم أيديهم بالضرب والقتل ويبسطوا إليكم ألسنتهم بالشتم والمعنى انهم يعادونكم ولا ينفعكم ما تلقون اليهم ولا يتركون غاية في الحاق السوء بكم باليد واللسان ﴿**وودوا**﴾ مع ذلك ﴿**لو تكفرون**﴾ بالله كما كفروا وترجعون عن دينكم ﴿**لن تنفعكم أرحامكم**﴾ أي ذوو ارحامكم والمعنى قراباتكم ﴿**ولا أولادكم**﴾ أي لا يحملنكم قراباتكم ولا أولادكم التي بمكة على خيانة النبي ﷺ والمؤمنين فلن ينفعكم اولئك الذين عصيتم الله لأجلهم ﴿**يوم القيامة يفصل**﴾ الله ﴿**بينكم**﴾ فيدخل أهل الإيمان والطاعة الجنة وأهل الكفر والمعصية النار ويميز بعضكم من بعض ذلك اليوم فلا يرى القريب المؤمن في الجنة قريبه الكافر في النار وقيل معناه يقضي بينكم من فصل القضاء ﴿**والله بما تعملون بصير**﴾ أي عليم بأعمالكم علم الله سبحانه بما عمله حاطب من مكاتبة اهل مكة حتى أخبر نبيَّه ﷺ بذلك ثم ضرب سبحانه لهم ابراهيم مثلاً في ترك موالاة الكفار فقال ﴿**قد كانت لكم اسوة حسنة**﴾ أي اقتداء حسن ﴿**في إبراهيم**﴾ خليل الله ﴿**والذين معه**﴾ ممن آمن به واتبعه وقيل الذين معه من الانبياء عن ابن زيد ﴿**إذ قالوا لقومهم**﴾ الكفار ﴿**انا برآء منكم**﴾ فلا نواليكم ﴿**ومما تعبدون من دون الله**﴾ أي وبراء من الأصنام التي تعبدونها ويجوز أن يكون ما مصدرية فيكون المعنى ومن عبادتكم الاصنام ﴿**كفرنا بكم**﴾ أي يقولون لهم جحدنا دينكم وانكرنا معبودكم ﴿**وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً**﴾ فلا يكون بيننا موالاة في الدين ﴿**حتى تؤمنوا بالله وحده**﴾ أي تصدقوا بوحدانية الله واخلاص التوحيد والعبادة له قال الفراء يقول الله تعالى أفلا تأتسي يا حاطب بإبراهيم وقومه فتبرأ من أهلك كما تبرؤا منهم أي من قومهم الكفار ﴿**إلا قول إبراهيم لأبيه لاستغفرن لك**﴾ أي اقتدوا بإبراهيم في كل اموره

إلا في هذا القول فلا تقتدوا به فيه فإنه عليه السلام انما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إياه بالإيمان فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قال الحسن وانما تبين له ذلك عند موت أبيه ولو لم يستثن ذلك لظن انه يجوز الاستغفار للكفار مطلقاً من غير موعدة بالإيمان منهم فنهوا ان يقتدوا به في هذا خاصة عن مجاهد وقتادة وابن زيد وقيل كان آزر ينافق إبراهيم ويريه انه مسلم ويعده اظهار الاسلام فيستغفر له عن الحسن والجبائي ثم قال **﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾** إذا أراد عقابك ولا يمكنني دفع ذلك عنك **﴿ربنا عليك توكلنا﴾** أي وكانوا يقولون ذلك **﴿وإليك انبنا﴾** أي إلى طاعتك رجعنا **﴿وإليك المصير﴾** أي إلى حكمك المرجع وهذه حكاية لقول إبراهيم وقومه ويحتمل ان يكون تعليماً لعباده ان يقولوا ذلك فيفوضوا امورهم اليه ويرجعون اليه بالتوبة **﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾** معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا ببلاء من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق لما أصابهم هذا البلاء عن مجاهد وقيل معناه ولا تسلطهم علينا فيفتنونا عن دينك وقيل معناه الطف بنا حتى نصبر على أذاهم ولا نتبعهم فنصير فتنة لهم وقيل معناه اعصمنا من موالاة الكفار فانا اذا واليناهم ظنوا انا صوبناهم وقيل معناه لا تخذلنا اذا حاربناهم فلو خذلتنا لقالوا لو كان هؤلاء على الحق لما خذلوا **﴿واغفر لنا ربنا﴾** ذنوبنا **﴿انك انت العزيز﴾** الذي لا يغالب **﴿والحكيم﴾** الذي لا يفعل الا الحكمة والصواب وفي هذا تعليم للمسلمين ان يدعوا بهذا الدعاء .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾
لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ
فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن

تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾

[ النزول ] نزل قوله ﴿لا ينهاكم الله﴾ الآية في خزاعة وبني مدلج وكانوا صالحوا رسول الله على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً عن ابن عباس .

[ المعنى ] ثم أعاد سبحانه في ذكر الأسوة فقال ﴿لقد كان لكم فيهم﴾ أي في إبراهيم ومن آمن معه ﴿أسوة حسنة﴾ أي قدوة حسنة وإنما أعاد ذكر الأسوة لأن الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول فإن الثاني فيه بيان ان الأسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب والأول فيه بيان أن الأسوة في المعاداة للكفار وقوله ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ بدل من قوله لكم وهو بدل البعض من الكل مثل قوله ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ وفيه بيان ان هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة وهو قوله واليوم الآخر وقيل يرجو ثواب الله وما يعطيه من ذلك في اليوم الآخر ﴿ومن يتول﴾ أي ومن يعرض عن هذا الاقتداء بإبراهيم والأنبياء والمؤمنين والذين معه فقد أخطأ حظ نفسه وذهب عما يعود نفعه إليه فحذفه لدلالة الكلام عليه وهو قوله ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾ أي الغني عن ذلك المحمود في جميع افعاله فلا يضره توليه ولكنه ضرّ نفسه ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾ أي من كفار مكة ﴿مودة﴾ بالإسلام قال مقاتل لما أمر الله سبحانه المؤمنين بعداوة الكفار عادوا أقرباءهم فنزلت هذه الآية والمعنى أن موالاة الكفار لا تنفع والله سبحانه قادر على أن يوفقهم للإيمان وتحصل المودة بينكم وبينهم فكونوا على رجاء وطمع من الله أن يفعل ذلك وقد فعل ذلك حين أسلموا عام الفتح فحصلت المودة بينهم وبين المسلمين ﴿والله قدير﴾ على نقل القلوب من العداوة الى المودة وعلى كل شيء يصح ان يكون مقدوراً له ﴿والله غفور﴾ لذنوب عباده ﴿رحيم﴾ بهم إذا تابوا وأسلموا ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ أي ليس ينهاكم الله عن مخالطة اهل العهد الذين عاهدوكم على ترك القتال وبرهم ومعاملتهم بالعدل وهو قوله ﴿أن تبروهم وتقسطوا اليهم﴾ أي وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد عن الزجاج وقيل ان المسلمين استأمروا النبي ﷺ في أن يبرّوا أقرباءهم من المشركين وذلك قبل أن يؤمروا بقتال جميع المشركين فنزلت هذه الآية وهي منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل انه عنى بالذين لم يقاتلوكم من آمن من اهل مكة ولم يهاجر عن قتادة وقيل هي عامة في كل من كان بهذه الصفة عن ابن الزبير والذي عليه الاجماع ان بر الرجل من يشاء من اهل الحرب قرابة كان او غير قرابة ليس بمحرم وإنما الخلاف في

اعطائهم مال لزكاة والفطرة والكفارات فلم يجوزه اصحابنا وفيه خلاف بين الفقهاء وقوله أن تبروهم في موضع جر بدل من الذين وهو بدل الاشتمال وتقديره لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ أي العادلين وقيل يحب الذين يجعلون لقراباتهم قسطاً مما في بيوتهم من المطعومات ثم قال ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين﴾ من أهل مكة وغيرهم ﴿وأخرجوكم من دياركم﴾ أي منازلكم واملاككم ﴿وظاهروا على اخراجكم﴾ أي عاونوا على ذلك وعاضدوهم وهم العوام والاتباع عاونوا رؤساءهم على الباطل ﴿ان تولوهم﴾ أي ينهاكم الله عن ان تولوهم وتوادّوهم وتحبوهم والمعنى ان مكاتبتكم بينهم[1] باظهار سر المؤمنين موالاة لهم ﴿ومن يتولهم﴾ منكم أي يوالهم وينصرهم ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ يستحقون بذلك العذاب الأليم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ
ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ
إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ
مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ
ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ
أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

(١) في نسختين: مكاتبتهم بدل مكاتبتكم بينهم .

[ **القراءة** ] قرأ أهل البصرة ولا تمسكوا بالتشديد والباقون ولا تمسكوا بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الأعرج فعقبتم بالتشديد وقراءة النخعي والزهري ويحيى بن يعمر بخلاف فعقبتم خفيفة القاف من غير الف وقراءة مسروق فعقبتم بكسر القاف من غير الف والقراءة المشهورة فعاقبتم وقرأ مجاهد فاعقبتم .

[ **الحجة** ] حجة من قرأ لا تمسكوا قوله فإمساك بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً وامسك عليك زوجك وحجة من قال ولا تمسّكوا قوله والذين يمسّكون بالكتاب يقال امسكت بالشيء ومسكت به وتمسكت به قال ابن جني روينا عن قطرب قال فعاقبتم اصبتم عقبى منهن يقال عاقب الرجل شيئاً إذا اخذ شيئاً وانشد لطرفة «فعقبتم بذنوب غير مر» جمع مره فسروه على[1] اعطيتم وعدتم وقال في قوله ولم يعقب لم يرجع وحكي عن الأعمش انه قال عقبتم غنمتم وقد يجوز ان يكون عقبتم بوزن غنمتم وبمعناه جميعاً وروي ايضاً بيت طرفة فعقبتم بكسر القاف وحكى ابو عوانة عن المغيرة قال قرأت على إبراهيم فعاقبتم فأخذها على فعقبتم خفيفة ومعنى أعقبتم صنعتم بهم مثل ما صنعوا بكم .

[ **النزول** ] قال ابن عباس صالح رسول الله ﷺ بالحديبية مشركي مكة على ان من أتاه من اهل مكة رده عليهم ومن اتى اهل مكة من اصحاب رسول الله ﷺ فهو لهم ولم يردّوه عليه وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبي ﷺ بالحديبية فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقال مقاتل هو صيفي[2] ابن الراهب في طلبها وكان كافراً فقال يا محمد أردد عليّ امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا منا وهذه طينة الكتاب لم تجفّ بعد فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانهن أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى أرض ولا التماس دنيا وما خرجت إلا حبّاً لله ولرسوله فاستحلفها رسول الله ﷺ ما خرجت بغضاً لزوجها ولا عشقاً لرجل منا وما خرجت إلا رغبة في الإسلام فحلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك فأعطى رسول الله ﷺ زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يردها عليه فتزوجها عمر بن الخطاب فكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء إذا امتحنّ ويعطي ازواجهن مهورهن قال الزهري ولما نزلت هذه الآية وفيها قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قرنية[3] بنت ابي امية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن ابي

(١) في نسخة : ما اعطيتم بدل اعطيتم . (٢) في نسختين : صيف بدل صيفي . (٣) في المخطوطة : قريبة بدل قرنية .

سفيان وهما على شركهما بمكة(١) والأخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية ام عبد الله بن عمر فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما وكانت عند طلحة بن عبد الله اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة عند قومها كافرة ثم تزوجها في الإسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن امية وكانت ممن فرت الى رسول الله ﷺ من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالداً وأميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة ففرت منه وهو يومئذ كافر إلى رسول الله ﷺ فزوجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة ابي العاص بن الربيع فاسلمت ولحقت بالنبي ﷺ في المدينة وأقام ابو العاص مشركاً بمكة ثم اتى المدينة فأمنته زينب ثم أسلم فردها عليه رسول الله وقال الجبائي لم يدخل في شرط صلح الحديبية إلا رد الرجال دون النساء ولم يجر للنساء ذكر وان ام كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكة فجاء اخواها الى المدينة فسألا رسول الله ﷺ ردها عليهما فقال رسول الله ﷺ إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء فلم يردها عليهما قال الجبائي وإنما لم يجر هذا الشرط في النساء لأن المرأة إذا اسلمت لم تحل لزوجها الكافر فكيف ترد عليه وقد وقعت الفرقة بينهما .

[ **المعنى** ] لما قطع سبحانه الموالاة بين المسلمين والكافرين بيّن حكم النساء المهاجرات وازواجهن فقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن**﴾ بالإيمان اي استوصفوهن الإيمان وسماهن مؤمنات قبل أن يؤمن لأنهن اعتقدن الإيمان ﴿**الله اعلم بإيمانهن**﴾ اي كنتم تعلمون بالامتحان ظاهر إيمانهن والله يعلم حقيقة إيمانهن في الباطن ثم اختلفوا في الامتحان على وجوه (احدها) أن الامتحان ان يشهدن أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله عن ابن عباس (وثانيها) ما روي عن ابن عباس أيضاً في رواية اخرى أن امتحانهن ان يحلفن ما خرجن الا للدين والرغبة في الإسلام ولحب الله ورسوله ولم يخرجن لبغض زوج ولا لالتماس دنيا وروي ذلك عن قتادة ﴿**وثالثها**) ان امتحانهن بما في الآية التي بعد وهو أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين الآية عن عائشة ثم قال سبحانه ﴿**فإن علمتموهن مؤمنات**﴾ يعني في الظاهر ﴿**فلا ترجعوهن إلى الكفار**﴾ اي لا تردوهن اليهم ﴿**لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن**﴾ وهذا يدل على وقوع

(١) ليس في بعضها لفظة بمكة .

الفرقة بينهما بخروجها مسلمة وان لم يطلق المشرك ﴿**وآتوهم ما انفقوا**﴾ اي وآتوا ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن من المهر عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قال الزهري لولا الهدنة لم يرد الى المشركين الصادق كما كان يفعل قبل ﴿**ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن**﴾ أي ولا جناح عليكم معاشر المسلمين أن تنكحوا المهاجرات إذا أعطيتموهن مهورهن التي يستحل بها فروجهن لأنهن بالإسلام قد بن من ازواجهن ﴿**ولا تمسكوا بعصم الكوافر**﴾ اي لا تمسكوا بنكاح الكافرات واصل العصمة المنع وسمي النكاح عصمة لأن المنكوحة تكون في حبال الزوج وعمصته وفي هذا دلالة على انه لا يجوز العقد على الكافرة سواء كانت حربية أو ذمية وعلى كل حال لأنه عام في الكوافر وليس لأحد ان يخص الآية بعابدة الوثن لنزولها بسببهن لأن المعتبر بعموم اللفظ لا بالسبب ﴿**واسألوا ما انفقتم**﴾ اي إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدة فاسألوهم ما انفقتم من المهر إذا منعوها ولم يدفعوها اليكم كما يسألونكم مهور نسائهم إذا هاجرن اليكم وهو قوله ﴿**وليسألوا ما انفقوا ذلكم**﴾ يعني ما ذكر الله في هذه الآية ﴿**حكم الله يحكم بينكم والله عليم**﴾ بجميع الأشياء ﴿**حكيم**﴾ فيما يفعل ويأمر به قال الحسن كان في صدر الإسلام تكون المسلمة تحت الكافر والكافرة تحت المسلم فنسخته هذه الآية قال الزهري ولما نزلت هذه الآية آمن المؤمنون بحكم الله وادّوا ما امروا به من نفقات المشركين على نسائهم وأبى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما أمرهم به من اداء نفقات المسلمين فنزل ﴿**وإن فاتكم شيء من ازواجكم**﴾ أي أحد من ازواجكم ﴿**إلى الكفار**﴾ فلحقن بهم مرتدات ﴿**فعاقبتم**﴾ معناه فغزوتم وأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فظفرتم وكانت العاقبة لكم وقيل معناه فخلفتم[١] من بعدهم وصار الأمر عن مؤرج وقيل ان عقب وعاقب مثل صغّر وصاغر بمعنى عن الفراء وقيل عاقبتم بمصير ازواج الكفار اليكم إما من جهة سبي او مجيئهن مؤمنات عن علي بن عيسى ﴿**فآتوا الذين ذهبت ازواجهم**﴾ اي نساؤهم من المؤمنين ﴿**مثل ما انفقوا**﴾ من المهور عليهن من رأس الغنيمة وكذلك من ذهبت زوجته الى من بينكم وبينه عهد فنكث في اعطاء المهر فالذي ذهبت زوجته يعطى المهر من الغنيمة ولا ينقص شيئاً من حقه بل يعطي كملا عن ابن عباس والجبائي وقيل معناه إن فاتكم احد من ازواجكم الى الكفار الذين بينكم وبينهم عهد فغنمتم فأعطوا زوجها صداقها الذي كان ساق اليها من الغنيمة ثم نسخ هذا الحكم[٢] في براءة فنبذ الى كل ذي عهد عهده عن قتادة وقال علي بن عيسى معناه فأعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل

(١) في نسخة فلحقتم بدل فخلفتم.

(٢) في المخطوطة سورة براءة.

مـا انفقوا من المهـور كما عليهم ان يـردوا عليكم مثـل مـا انفقتم لمن ذهب من ازواجكم ﴿واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون﴾ اي اجتنبوا معاصي الله الذي انتم تصدقون به ولا تجاوزا امره وقال الزهري فكان جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجـرين راجعات عن الإسلام ست نسوة: ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عيـاض بن شداد الفهـري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر أبت وارتدت وبروع[1] بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبـدة بنت عبد العزى بن فضلة وزوجها عمرو بـن عبدود وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فاعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسـائهم من الغنيمة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ
عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْـرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ
أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ
وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا
غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ
أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

[ **الاعراب** ] من اصحاب القبور اي من بعث اصحاب القبور فحذف المضاف ويجوز ان يكون من تبييناً للكفار والتقدير كما يئس الكفار الذين هم من اصحاب القبور من الآخرة .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه بيعة النساء وكان ذلك يوم فتح مكة لمـا فرغ النبي ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا جاءتـه النساء يبـايعنه فنـزلت هذه الآيـة فشرط الله تعـالى في

---

(١) في نسخة برزع.

مبايعتهن ان يأخذ عليهن هذه الشروط وهو قوله **﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾** على هذه الشرائط وهي **﴿أن لا يشركن بالله شيئاً﴾** من الأصنام والأوثان **﴿ولا يسرقن﴾** لا من ازواجهن ولا من غيرهم **﴿ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن﴾** على وجه من الوجوه لا بالواد ولا بالإسقاط **﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه﴾** اي بكذب يكذبنه في مولود يوجد **﴿بين ايديهن وارجلهن﴾** اي لا يلحقن بازواجهن غير اولادهم عن ابن عباس وقال الفراء كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فذلك البهتان المفترى بين ايديهن وارجلهن وذلك ان الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها وليس المعنى على نهيهن من ان يأتين بولد من الزنا فينسبنه إلى الازواج لأن الشرط بنهي الزنا قد تقدم وقيل البهتان الذي نهين عنه قذف المحصنات والكذب على الناس وإضافة الأولاد الى الازواج على البطلان في الحاضر والمستقبل من الزمان **﴿ولا يعصينك في معروف﴾** وهو جميع ما يأمرهن به لأنه لا يأمر الا بالمعروف والمعروف نقيض المنكر وهو كل ما دل العقل والسمع على وجوبه أو ندبه وسمي معروفاً لأن العقل يعترف به من جهة عظم حسنه ووجوبه وقيل عنى بالمعروف النهي عن النوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيب وخمش الوجه والدعاء بالويل عن المقاتلين والكلبي والأصل ان المعروف كل بر وتقوى وامر وافق طاعة الله تعالى **﴿فبايعهن﴾** على ذلك **﴿واستغفر لهن الله﴾** اي اطلب من الله ان يغفر لهن ذنوبهن ويسترها عليهن **﴿إن الله غفور﴾** أي صفوح عنهن **﴿رحيم﴾** منعم عليهن وروي ان النبي ﷺ با يعهن وكان على الصفا وكان عمر أسفل منه وهند بنت عتبة متنقبة متنكرة مع النساء خوفاً أن يعرفها رسول الله ﷺ فقال ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئاً فقالت هند انك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك اخذته على الرجال وذلك انه بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط فقال ﷺ ولا تسرقن فقالت هند إن ابا سفيان رجل ممسك واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي أم لافقال ابو سفيان ما اصبت من مالي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فأعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ﷺ ولا تزنين فقالت هند او تزني الحرة فتبسم عمر بن الخطاب لما جرى بينه وبينها في الجاهلية فقال ﷺ ولا تقتلن اولادكن فقالت هند ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً وانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتله علي بن أبي طالب (ع) يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم النبي ﷺ ولما قال ولا تأتين ببهتان فقالت هند والله ان البهتان قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ولما قال ولا يعصينك في معروف فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وروى الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان النبي ﷺ

يبايع النساء بالكلام بهذه الآية أن لا يشركن بالله شيئاً وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلا يد امرأة يملكها رواه البخاري في الصحيح وروي انه ﷺ كان إذا بايع النساء دعا بقدح ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن فيه وقيل انه كان يبايعهن من وراء الثوب عن الشعبي والوجه في بيعة النساء مع انهن لسن من اهل النصرة بالمحاربة هو اخذ العهد عليهن بما يصلح من شأنهن في الدين والأنفس والازواج وكان ذلك في صدر الاسلام ولئلا ينفتق بهن فتق لما وضع من الأحكام فبايعهن النبي ﷺ حسماً لذلك ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾** اي لا تتولوا اليهود وذلك ان جماعة من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار المسلمين يتواصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهى الله عن ذلك عن المقاتلين وقيل اراد جميع الكفار اي لا تتخذوا كافراً من الكفار اولياء ثم وصف الكفار فقال **﴿قد يئسوا من الآخرة﴾** اي من ثواب الآخرة **﴿كما يئس الكفار من اصحاب القبور﴾** يعني ان اليهود بتكذيبهم محمداً ﷺ وهم يعرفون صدقه وانه رسول قد يئسوا من ان يكون لهم في الآخرة حظ وخير كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من ان يكون لهم في الآخرة حظ لأنهم قد ايقنوا بعذاب الله عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل كما يئس كفار العرب من ان يحيا اهل القبور ابداً عن الحسن وقيل كما يئس الكفار من ان ينالهم خير من اصحاب القبور وقيل يريد بالكفار هاهنا الذين يدفنون الموتى اي يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من الآخرة كما يئس الذين دفنوا الموتى منهم .

[ **النظم** ] ختم الله سبحانه السورة بالأمر بقطع الموالاة من الكفار كما افتتحها به .

# (٦١) سورة الصف مدنية وآياتها أربع عشرة

وتسمى سورة الحواريين وسورة عيسى (ع) مدنية وهي اربع عشرة آية بلا خلاف .

[ **فضلها** ] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة عيسى (ع) كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه: ابو بصير عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الصف وأدمن قراءتها في فرائضه ونوافله صفه الله مع ملائكته وانبيائه المرسلين .

[ **تفسيرها** ] لما ختم الله سبحانه السورة بقطع موالاة الكفار افتتح هذه السورة بإيجاب ذلك ظاهراً وباطناً ثم بالأمر بالجهاد فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ
مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد
تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾

[ اللغة ] المقت البغض والرصّ إحكام البناء يقال رصصت البناء اي احكمته واصله من الرصاص اي جعلته كأنه بني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله .

[ الاعراب ] لم حذفت الألف من ما لشدة الاتصال مع ضعف حرف الاعتلال آخر الكلام لأنه حرف تعيير في موضع تعيير مقتاً نصب على التمييز وان تقولوا في موضع رفع بأنه فاعل كبر والتقدير كبر هذا القول مقتاً عند الله وقيل ان الفاعل مضمر فيه والتقدير كبر المقت مقتاً عند الله نحو نعم رجلاً زيد والمخصوص بالذم ان تقولوا صفا مصدر في موضع الحال أي مصطفين .

[ النزول ] نزل قوله لم تقولون مالا تفعلون في المنافقين عن الحسن وقيل نزل في قوم كانوا يقولون إذا لقينا العدو لم نفرّ ولم نرجع عنهم ثم لم يفوا بما قالوا وانفلوا يوم احد حتى شج وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته عن مقاتل والكلبي وقيل نزلت في قوم قالوا جاهدنا وابلينا وفعلنا ولم يفعلوا وهم كذبة عن قتادة(١) وقيل لما اخبر الله سبحانه رسوله بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا بعد قتالاً لنفرغن فيه وسعنا ثم فروا يوم أحد فعيرهم الله تعالى بذلك عن محمد بن كعب وقيل كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون وددنا لو ان الله دلنا على احب الاعمال اليه فنعمل به فأخبرهم الله ان افضل الاعمال إيمان لا شك فيه والجهاد فكره ذلك ناس وشق عليهم وتباطأوا عنه فنزلت الآية عن ابن عباس وقيل كان رجل يوم بدر قد آذى المسلمين فقتله صهيب في القتال فقال رجل يا رسول الله قتلت فلاناً ففرح بذلك رسول الله ﷺ فقال عمرو عبد الرحمن لصهيب اخبر النبي ﷺ انك قتلته وان فلاناً ينتحله فقال صهيب انما قتلته لله ولرسوله فقال عمرو(٢) وعبد الرحمن يا رسول الله إنما قتله صهيب فقال كذلك يا ابا يحيى قال نعم يا رسول الله فنزلت الآية والآية الاخرى عن سعيد بن المسيب .

[ المعنى ] ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ مرّ تفسيره وإنما اعيد هاهنا لأنه استفتاح السورة بتعظيم الله من جهة ما سبح له بالآية التي فيه كما يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم وإذا دخل المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح به ﴿يا

---

(١) في نسخة : مقاتل بدل قتادة.

(٢) في نسخة عمرو بن عبد الرحمن في الموضعين .

**أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾** قيل إن الخطاب للمنافقين وهو تقريع لهم بأنهم يظهرون الإيمان ولا يبطنونه وقيل ان الخطاب للمؤمنين وتعيير لهم ان يقولوا شيئاً ولا يفعلونه قال الجبائي هذا على ضربين (أحدهما) ان يقول سأفعل ومن عزمه ان لا يفعله فهذا قبيح مذموم ( والآخر) ان يقول سأفعل ومن عزمه ان يفعله والمعلوم انه لا يفعله فهذا قبيح لأنه لا يدري أيفعله أم لاولا ينبغي في مثل هذاان يقرن بلفظة ان شاء الله **﴿كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾** أي كبر هذا القول وعظم مقتاً عند الله وهو ان تقولوا ما لا تفعلونه وقيل معناه كبر ان تقولوا ما لا تفعلونه وتعدوا من أنفسكم ما لا تفون به مقتاً عند الله **﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾** أي يصفون انفسهم عند القتال صفاً وقيل يقاتلون في سبيله مصطفين **﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾** كأنه بني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله وقيل كأنه حائط ممدود رص على البناء في احكامه واتصاله واستقامته اعلم الله سبحانه انه يحب من ثبت في القتال ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص ومعنى محبة الله اياهم انه يريد ثوابهم ومنافعهم ثم ذكر سبحانه حديث موسى (ع) في صدق نيته وثبات عزيمته على الصبر في اذى قومه تسلية للنبي ﷺ في تكذيبهم اياه فقال **﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم﴾** هذا انكار عليهم ايذاءه بعد ما علموا انه رسول الله والرسول يعظم ويبجل ولا يؤذى وكان قومه آذوه بأنواع من الأذى وهو قولهم اجعل لنا إلهاً واذهب انت وربك فقاتلا وما روي في قصة قارون انه دس إليه امرأة وزعم انه زنى بها ورموه بقتل هارون وقيل ان ذلك حين رموه بالادرة وقد ذكرنا ذلك عند قوله **﴿ولا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾** الآية **﴿فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم﴾** اي فلما مالوا عن الحق والاستقامة حلاهم وسوء اختيارهم ومنعهم الالطاف التي يهدي بها قلوب المؤمنين كقوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه عن أبي مسلم وقيل ازاغ الله قلوبهم عما يحبون الى ما يكرهون ولا يجوز ان يكون المراد ازاغ الله قلوبهم عن الإيمان لأن الله تعالى لا يجوز ان يزيغ احداً عن الإيمان وأيضاً فإنه يخرج الكلامَ عن الفائدة لأنهم إذا زاغوا عن الإيمان فقد حصلوا كفاراً فلا معنى لقوله ازاغهم الله عن الإيمان **﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** اي لا يهديهم الله إلى الثواب والكرامة والجنة التي وعدها المؤمنين وقيل لا يفعل بهم الالطاف التي يفعلها بالمؤمنين بل يخليهم واختيارهم عن ابي مسلم .

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ
يَـٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ

مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ
مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ
بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

[ **القراءة** ] فتح اهل البصرة والحجاز وابو بكر الياء من قوله من بعدي اسمه احمد ولم يفتحه الباقون وقرأ ابن كثير واهل الكوفة غير ابي بكر متم نوره مضافاً والباقون متم نوره بالنصب والتنوين .

[ **الحجة** ] الإضافة ينوي بها الانفصال كما في قوله انا مرسلو الناقة وذائقة الموت والنصب في متم نوره على انه في حال الفعل وفيما يأتي .

[ **الاعراب** ] قوله اسمه احمد في موضع جر لكونه وصفاً للرسول كما أَنّ قوله يأتي في موضع جر أيضاً وتقديره اسمه قول احمد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وكذلك قوله يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة اي يجدون ذكره مكتوباً ألا ترى ان الشخص لا يكتب كما ان احمد عبارة عن الشخص والاسم قول والقول لا يكون الشخص وخبر المبتدأ يكون المبتدأ في المعنى ومفعول قوله يريدون محذوف وتقديره يريدون ذم الإسلام او يريدون هذا القول ليطفئوا نور الله أي لإطفاء نور الله والله متم نوره في موضع نصب على الحال.

**المعنى**] ثم عطف سبحانه بقصة عيسى (ع) على قصة موسى فقال **﴿وإذ قال عيسى ابن مريم﴾** أي واذكر إذ قال عيسى بن مريم لقومه الذين بعث اليهم **﴿يا بني إسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة﴾** المنزلة على موسى **﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾** يعني نبينا محمداً ﷺ كما قال الشاعر:

صَلَّى الْإِلَٰهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ　　وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

ولهذا الاسم معنيان (أحدهما) ان يجعل احمد مبالغة من الفاعل أي هو اكثر حمداً لله من غيره (والآخر) ان يجعل مبالغة من المفعول اي يحمد بما فيه من الأخلاق والمحاسن اكثر مما يحمد غيره وصحت الرواية عن الزهري عن محمد بن جبير بن المطعم عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ ان لي اسماء أنا أحمد وانا محمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي اورده البخاري في الصحيح وقد تضمنت الآية ان عيسى بشر قومه بمحمد ﷺ وبنبوته وأخبرهم برسالته وفي هذه البشرى معجزة لعيسى (ع) عند ظهور محمد ﷺ وامر لأمته أن يؤمنوا به عند مجيئه **﴿فلما جاءهم﴾** أحمد **﴿بالبينات﴾** أي بالدلالات الظاهرة والمعجزات الباهرة **﴿قالوا هذا سحر مبين﴾** اي ظاهر **﴿ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب﴾** أي من اشد ظلماً ممن اختلق الكذب على الله وقال لمعجزاته سحر وللرسول انه ساحر كذاب **﴿وهو يدعى إلى الإسلام﴾** الذي فيه نجاته وقيل يدعى إلى الاستسلام لأمره والانقياد لطاعته **﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾** الذين ظلموا انفسهم بفعل الكفر والمعاصي قال ابن جريج هم الكفار والمنافقون ويدل عليه قوله بعد **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾** اي يريدون اذهاب نور الإيمان والإسلام بفاسد الكلام الجاري مجرى تراكم الظلام فمثلهم فيه كمثل من حاول اطفاء نور الشمس بفيه **﴿والله متم نوره﴾** أي مظهر كلمته ومؤيد نبيه ومعلن دينه وشريعته ومبلغ ذلك غايته **﴿ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله﴾** محمداً ﷺ **﴿بالهدى﴾** من التوحيد واخلاص العبادة له **﴿ودين الحق﴾** وهو دين الإسلام وما تعبّد به الخلق **﴿ليظهره على الدين كله﴾** بالحجة والتأييد والنصرة **﴿ولو كره المشركون﴾** وفي هذه دلالة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ لأنه سبحانه قد اظهر دينه على جميع الأديان بالاستعلاء والقهر واعلاء الشأن كما وعده ذلك في حال الضعف وقلة الاعوان واراد بالدين جنس الأديان فلذلك ادخل الألف واللام وروى العياشي بالإسناد عن عمران بن ميثم عن عباية انه سمع أمير المؤمنين (ع ) يقول هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أظهر بعدُ ذلك قالوا نعم قال كلا فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقى قرية إلا وينادى فيها بشهادة ان لا إله إلا الله بكرة وعشياً .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ
تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى
ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ
فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد والباقون تنجيكم بالتخفيف وقرأ اهل الحجاز وأبو عمرو انصاراً بالتنوين لله بغير الف والباقون أنصار الله بالإضافة إلى الله .

[ **الحجة** ] قال ابو علي حجة من قرأ تنجيكم بالتشديد قوله ونجّينا الذين آمنوا وحجة التخفيف فأنجاه الله من النار.

[ **اللغة** ] التجارة طلب الربح في شراء المتاع واستعير هنا لطلب الربح في اعمال الطاعة والجهاد مقاتلة العدو.

[ **الاعراب** ] إنما جاز تؤمنون بالله مع انه محمول على تجارة وخبر عنها ولا يصح ان يقال للتجارة تؤمنون وإنما يقال[1] وان تؤمنوا بالله لأنه جاء على طريق ما يدل على خبر التجارة لا على نفس الخبر إذ الفعل يدل على مصدره وإنما انعقاده بالتجارة في المعنى لا في اللفظ وفي ذلك توطئة لما يبنى على المعنى في الايجاز[2] والعرب تقول هل لك في خير تقوم إلى فلان فتعوده وان تقوم اليه وقوله يغفر لكم ذنوبكم في كونه مجزوماً وجهان

(١) كذا في النسخ والظاهر زيادة الواو .

(٢) في المخطوطة الاتجار بدل الايجاز .

(أحدهما) انه جواب هل أدلكم وهو قول الفراء وانكره أصحابنا البصريون وقالوا ان الدلالة على التجارة لا توجب المغفرة (والآخر) انه محمول على المعنى لأن قوله تؤمنون بالله معناه آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيله وهو أمر جاء على لفظ الخبر ويدل على ذلك قراءة عبد الله بن مسعود آمنوا بالله وجاهدوا ولا يمتنع ان يأتي الأمر بلفظ الخبر كما أتى الخبر بلفظ الامر في قوله فليمدد له الرحمن مداً المعنى فمد له الرحمن مداً لأن القديم تعالى لا يأمر نفسه ومثل ذلك اسمع بهم وأبصرلفظه أمرومعناه خبرويجوز أن يكون قوله تؤمنون مرفوعاً بسقوط ان والموصول والصلة في موضع جر على البدل من تجارة وتقديره هل أدلكم على تجارة إيمان بالله وقوله وأخرى في موضع جر بأنها صفة لموصوف محذوف مجرور بالعطف على تجارة تقديره وعلى تجارة اخرى محبوبة وقال الزجاج تقديره ولكم تجارة اخرى فعلى هذا يكون اخرى صفة موصوف محذوف مرفوع بالابتداء وتحبونها صفة بعد صفة ونصر خبر مبتدأ محذوف تقديره هي نصر من الله. من أنصاري إلى الله إلى هاهنا بمعنى مع أي مع الله .

[ **المعنى** ] لما تقدم ذكر الرسول عقبه سبحانه بذكر الدعاء إلى قبول قوله ونصرته والعمل بشريعته فقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ وهو خطاب للمؤمنين على العموم وقيل هو خطاب لمن تقدم ذكرهم في اول السورة ﴿**هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم**﴾ صورته صورة العرض والمراد به الأمر على سبيل التلطف في الاستدعاء إلى الإخلاص في الطاعة والمعنى هل ترغبون في تجارة منجية من العذاب الأليم وهو الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس وذلك قوله ﴿**تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم**﴾ وإنما انزل هذا لما قالوا لو نعلم اي الأعمال افضل واحب إلى الله لعملناه فجعل الله سبحانه ذلك العمل بمنزلة التجارة لأنهم يربحون فيها رضى الله والفوز بالثواب والنجاة من العقاب ﴿**ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**﴾ اي ما وصفته وذكرته لكم انفع لكم وخير عاقبة لو علمتم ذلك واعترفتم بصحته وقيل ان معناه ان التجارة التي دللتكم عليها خير لكم من التجارة التي انتم مشتغلون بها لأنها تؤدي إلى ربح لا يزول ولا يبيد وهذه تؤدي إلى ربح يزول ويبيد ان كنتم تعلمون مضار الأشياء ومنافعها يغفر لكم ذنوبكم فإنكم ان علمتم بذلك ﴿**يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة**﴾ أي مواضع تسكنونها مستلذة مستطابة ﴿**في جنات عدن**﴾ أي اقامة لا تبغون عنها حولاً ﴿**ذلك الفوز العظيم**﴾ لا ما يعده الناس فوزاً من طول البقاء وولاية الدنيا وسأل الحسن عمران بن الحصين وابا هريرة عن تفسير قوله ومساكن طيبة في جنات عدن فقالا على الخبير سقطت

سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال قصر من لؤلؤ في الجنة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام في كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة قال ويعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله ثم قال سبحانه **﴿واخرى تحبونها﴾** اي وتجارة اخرى أو خصلة أخرى تحبونها عاجلاً مع ثواب الآجل وهذا من الله تعالى زيادة ترغيب إذ علم سبحانه ان فيهم من يحاول عاجل النصر إما رغبة في الدنيا وإما تأييداً للدين فوعدهم ذلك بأن قال **﴿نصر من الله وفتح قريب﴾** اي تلك الخصلة او تلك التجارة نصر من الله لكم على اعدائكم وفتح قريب لبلادهم يعني النصر على قريش وفتح مكة عن الكلبي وقيل يريد فتح فارس والروم وسائر فتوح الإسلام على العموم عن عطاء وقريب معناه قريب كونه وقيل قريب منكم يقرب الرجوع منه الى اوطانكم **﴿وبشر المؤمنين﴾** أي بشرهم بهذين الثوابين عاجلاً وآجلاً على الجهاد وهو النصر في الدنيا والجنة في العقبى ثم حض سبحانه المؤمنين على نصرة دينه فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله﴾** أي انصار دينه وأعوان نبيه وإنما أضاف الى نفسه كما يقال للكعبة بيت الله وقيل لحمزة بن عبد المطلب اسد الله والمعنى دوموا على ما انتم عليه من النصرة **﴿كما قال عيسى بن مريم﴾** اي مثل قول عيسى بن مريم للحواريين وهم خاصة الأنبياء وسموا بذلك لأنهم اخلصوا من كل عيب عن الزجاج وقيل سموا بذلك لبياض ثيابهم وقيل لأنهم كانوا قصارين **﴿من انصاري إلى الله﴾** والمعنى قل يا محمد اني ادعوكم الى هذا الأمر كما دعا عيسى قومه فقال من انصاري مع الله ينصرني مع نصرة الله اياي وقيل الى الله أي فيما يقرب إلى الله كما يقال اللهم منك واليك **﴿قال الحواريون نحن انصار الله﴾** اي انصار دين الله وأولياء الله وقيل انهم إنما سموا نصارى لقولهم نحن انصار الله **﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل﴾** اي صدقت بعيسى **﴿وكفرت طائفة اخرى﴾** به قال ابن عباس يعني في زمن عيسى (ع) وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون وابتع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث محمد ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرين وذلك قوله **﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾** اي عالين غالبين وقيل معناه اصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ بأن عيسى كلمة الله وروحه عن إبراهيم وقيل بل ايدّوا في زمانهم على من كفر بعيسى عن مجاهد وقيل

معناه فآمنت طائفة من بني اسرائيل بمحمد ﷺ وكفرت طائفة به فأصبحوا قاهـرين لعدوهم بالحجة والقهر والغلبة وبالله التوفيق .

( تم الجزء التاسع من التفسير )
ويليه الجزء العاشر والأخير
وأوله سورة الجمعة

# مجمع البيان

## في

# تفسير القرآن

لمؤلفه

الشيخ ابى على الفضل بن الحسن الطبرسي

من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولى المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

شبكة كتب الشيعة

الجزء العاشر

دار المعرفة

للطباعة والنشر

shiabooks.net

mktba.net ⟵ رابط بديل

جَمِيعُ الحُقوق محفوظة للنّاشِر

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

مستديرة المطار - تجاه بنك مبكو - شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٣٢ - برقياً معرفكار بيروت. لبنان

# (٦٢) سورة الجمعة مدنية
# وآياتها إحدى عشرة

وهي إحدى عشرة آية بالإجماع .

[ فضلها ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الجمعة أعطي عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين . منصور بن حازم عن أبي عبد الله ( ع ) قال من الواجب على كل مؤمن إذا كان لنا شيعة أن يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة وسبّح اسم ربك وفي صلاة الظهر بالجمعة والمنافقين فإذا فعل فكأنما يعمل عمل رسول الله ﷺ وكان ثوابه وجزاؤه على الله الجنة .

[ تفسيرها ] لمّا ختم الله سبحانه سورة الصف بالترغيب في عبادته والدعاء إليها وذكر تأييد المؤمنين بالنصر والظهور على الأعداء افتتح هذه السورة ببيان قدرته على ذلك وعلى جميع الأشياء فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن
قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾

[ **اللغة** ] الإسفار الكتب واحدها سِفْر وإنما سمي بذلك لأنه يكشف عن المعنى بإظهاره يقال سفر الرجل عمامته إذا كشفها وسفرت المرأة عن وجهها فهي سافرة ومنه والصبح إذا أسفر .

[ **الإعراب** ] وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين إن هذه مخففة من إنَّ ولهذا لزمها اللام الفارقة في خبر كان لئلا يلتبس بإن النافية وآخرين مجرورة لأنه صفة محذوف معطوف على الاميين أي وفي قوم آخرين ويحتمل أن يكون منصوباً بالعطف على هم في يعلّمهم. يحمل أسفاراً في موضع النصب على الحال . بئس مثل القوم المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس مثل القوم الذين كذّبوا بآيات الله مثلهم فيكون الذين في موضع جرّ ويجوز أن يكون التقدير بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وعلى هذا يكون الذين في موضع رفع وهو المخصوص بالذم .

[ **المعنى** ] ﴿ **يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ أي ينزّهه سبحانه كل شيء ويشهد له بالوحدانية والربوبية بما ركب فيها من بدائع الحكمة وعجائب الصنعة الدالة على أنه قادر عالم حي قديم سميع بصير حكيم لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء وإنما قال مرة سبح ومرة يسبح إشارة إلى دوام تنزيهه في الماضي والمستقبل ﴿ **الملك** ﴾ أي القادر على تصريف الأشياء ﴿ **القدوس** ﴾ أي المستحق للتعظيم الطاهر عن كل نقص ﴿ **العزيز** ﴾ القادر الذي لا يمتنع عليه شيء ﴿ **الحكيم** ﴾ العالم الذي يضع الأشياء موضعها ﴿ **هو الذي بعث في الأميين** ﴾ يعني العرب وكانت أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ ولم يبعث إليهم نبي عن مجاهد وقتادة وقيل يعني أهل مكة لأن مكة تسمى أم القرى ﴿ **رسولاً منهم** ﴾ يعني محمداً ﷺ نسبه نسبهم وهو من جنسهم كما قال ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز** ﴾ عليه ووجه النعمة في أنه جعل النبوة في أمي موافقته لما تقدمت البشارة به في كتب الأنبياء

السالفة ولأنه أبعد من توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة بالحكم التي تلاها والكتب التي قرأها وأقرب إلى العلم بأن ما يخبرهم به من إخبار الأمم الماضية والقرون الخالية على وفق ما في كتبهم ليس ذلك إلا بالوحي ﴿ **يتلوا عليهم آياته** ﴾ أي يقرأ عليهم القرآن المشتمل على الحلال والحرام والحجج والأحكام ﴿ **ويزكيهم** ﴾ أي ويطهّرهم من الكفر والذنوب ويدعوهم إلى ما يصيرون به أزكياء ﴿ **ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ الكتاب القرآن والحكمة الشرائع وقيل إن الحكمة تعمّ الكتاب والسنة وكل ما أراده الله تعالى فإن الحكمة هي العلم الذي يعمل عليه فيما يجتبى أو يجتنب من أمور الدين والدنيا ﴿ **وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ معناه وما كانوا من قبل بعثه إليهم إلا في عدول عن الحق وذهاب عن الدين بيّن ظاهر ﴿ **وآخرين منهم** ﴾ أي ويعلم آخرين من المؤمنين ﴿ **لما يلحقوا بهم** ﴾ وهم كل مَنْ بعد الصحابة إلى يوم القيامة فإن الله سبحانه بعث النبي إليهم وشريعته تلزمهم وإن لم يلحقوا بزمان الصحابة عن مجاهد وابن زيد وقيل هم الأعاجم ومن لا يتكلم بلغة العرب فإن النبي ﷺ مبعوث إلى من شاهده وإلى كل من بعدهم من العرب والعجم عن ابن عمر وسعيد بن جبير وروي ذلك عن أبي جعفر (ع) وروي أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية فقيل له من هؤلاء فوضع يده على كتف سلمان وقال لو كان الإيمان في الثريا لنالته رجال من هؤلاء وعلى هذا فإنما قال منهم لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم فإن المسلمين كلهم يد واحدة على من سواهم وأمة واحدة وإن إختلف أجناسهم كما قال سبحانه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ومن لم يؤمن بالنبي ﷺ فإنهم ليسوا ممن عناهم الله تعالى بقوله ﴿ **وآخرين منهم وإن كان مبعوثاً إليهم بالدعوة** ﴾ لقوله ﴿ **سبحانه ويزكيهم ويعلمهم** ﴾ ومن لم يؤمن فليس ممن زكاه وعلمه القرآن والسنة وقيل إن قوله ﴿ **لما يلحقوا بهم** ﴾ يعني في الفضل والسابقة فإن التابعين لا يدركون شأن السابقين من الصحابة وخيار المؤمنين ﴿ **وهو العزيز** ﴾ الذي لا يغالب ﴿ **الحكيم** ﴾ في جميع أفعاله ﴿ **ذلك فضل الله** ﴾ يعني النبوة التي خصّ الله بها رسوله عن مقاتل ﴿ **يؤتيه** ﴾ أي يعطيه ﴿ **من يشاء** ﴾ بحسب ما يعلمه من صلاحه للبعثة وتحمل أعباء الرسالة ﴿ **والله ذو الفضل العظيم** ﴾ ذو المنّ العظيم على خلقه ببعث محمد ﷺ وروى محمد بن أبي عمير عن هشام بن سالم يرفعه قال جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إن للأغنياء ما يتصدّقون وليس لنا ما نتصدّق ولهم ما يحجّون وليس لنا ما نحجّ ولهم ما يعتقون وليس لنا ما نعتق فقال ﷺ من كبّر الله مائة مرة كان أفضل من عتق رقبة ومن سبّح الله مائة مرة كان أفضل من مائة فرس في سبيل الله يسرجها ويلجمها ومن هلّل الله مائة مرة كان أفضل الناس عملاً في ذلك اليوم إلا من زاد فبلغ ذلك الأغنياء فقالوه فرجع

الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله قد بلغ الأغنياء ما قتل فصنعوه فقال ﷺ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ثم ضرب سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة مثلاً فقال ﴿ **مثل الذين حملوا التورية** ﴾ أي كلّفوا القيام بها والعمل بما فيها ﴿ **ثم لم يحملوها** ﴾ حق حملها من أداء حقّها والعمل بموجبها لأنهم حفظوها ودوّنوها كتبهم ثم لم يعملوا بما فيها ﴿ **كمثل الحمار يحمل أسفاراً** ﴾ لأن الحمار الذي يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يحسّ بما فيها فمثل من يحفظ الكتاب ولا يعمل بموجبه كمثل من لا يعلم ما فيما يحمله قال ابن عباس فسواء حمل على ظهره أو جحده إذا لم يعمل به وعلى هذا فمن تلا القرآن ولم يفهم معناه وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه كان هذا المثل لاحقاً به وإن حفظه وهو طالب لمعناه فليس من أهل هذا المثل وأنشد أبو سعيد الضرير في ذلك :

زَوامِلُ لِلأَسْفارِ لا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِجَيِّدِها إلاّ كَعِلْمِ الأَباعِرِ
لَعَمْرُكَ ما يَدْرِي المَطِيُّ إذا غدا بِأَسْفارِهِ إذْ راحَ ما في الغَرائِرِ(١)

﴿ **بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله** ﴾ معناه بئس القوم قوم هذا مثلهم لأنه سبحانه ذمّ مثلهم والمراد به ذمّهم واليهود كذبوا بالقرآن والتوراة حين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿ **والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ أي لا يفعل بهم من الإلطاف التي يفعلها بالمؤمنين الذين بها يهتدون وقيل لا يثيبهم ولا يهديهم إلى الجنة وعن محمد بن مهران قال يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم وتلا هذه .

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن
زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ
ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ

(١) قائله مروان بن سليمان وزوامل جمع الزاملة : البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع وفي اللسان « للاشعار » بدل « للأسفار » « وبأرساقه » مكان « بأسفاره » وقال انه هجا قوماً من رواة الشعر .

تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ
فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن
فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟
تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ
مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

[ اللغة ] الزعم قول عن ظن أو علم ولذلك صار من باب الظن والعلم وعمل ذلك العمل قال :

فَـإِنْ تَـزْعَمِينِي كُنْتُ أَجْهَـلُ فِيكُمُ ... فَـإِنِّي شَـرَيْتُ الْحِلْمَ بَعْدَكَ بِـالْجَهْـلِ

والأولياء جمع ولي وهو الحقيق بالنصرة التي يوليها عند الحاجة والله ولي المؤمنين لأنه يوليهم النصرة عند حاجتهم والمؤمن ولي الله لهذه العلة ويجوز أن يكون لأنه يولي المطيع له نصرة عند حاجته والتمني هو قول القائل لما كان ليته لم يكن ولما لم يكن ليته كان فهو يتعلق بالماضي والمستقبل وهو من جنس الكلام عن الجبائي والقاضي وقال أبو هاشم هو معنى في النفس يوافق هذا القول والجُمُعة والجُمْعة لغتان وجمعها جُمَع وجُمْعات قال الفراء وفيها لغة ثالثة جُمَعة بفتح الميم كضُحَكَة[1] وهمزة وإنما سمي جمعة لأنه تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لأنه تجتمع فيه الجماعات وقيل إن أول من سمّاها جمعة كعب بن لؤي وهو أول من قال أما بعد وكان يقال للجمعة العروبة عن أبي سلمة وقيل إن أول من سمّاها جمعة الأنصار قال ابن سيرين جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي ﷺ المدينة وقيل قبل أن تنزل الجمعة قالت الأنصار لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم أيضاً مثل ذلك فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله عز وجل ونشكره وكما قالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة

(١) رجل ضحكة أي كثير الضحك .

فصلّى بهم يومئذ وذكرهم فسمّوه يوم الجمعة حين اجتمعوا اليه فذبح لهم اسعد بن زرارة شاة فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة وذلك لقلتهم فأنزل الله تعالى في ذلك إذا نودي للصلاة الآية فهذه أول جمعة جمعت في الإسلام فأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه فقيل انه قدم رسول الله ﷺ مهاجراً حتى نزل قباً على عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحى فأقام بقبا يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسّس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ اليوم في ذلك الموصع مسجد وكانت هذه الجمعة أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ في الإسلام فخطب في هذه الجمعة وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل فقال الحمد لله احمده وأستعينه وأستغفره واستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنوّ من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضّه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت وحين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان من سوى ذلك يودُّ لو أن بينه وبينه امداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يبدّل القول لديَّ وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فلهذا صارت الخطبة شرطاً في انعقاد الجمعة .

[ **النزول** ] قال جابر بن عبد الله أقبلت عير ونحن نصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة فانفض الناس إليها فما بقي غير اثني عشر رجلاً أنا فيهم فنزلت الآية وإذا رأوا تجارة أو لهواً وقال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشية أن يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي ﷺ إلا رهط فنزلت الآية فقال والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى احد منكم لسال بكم الوادي ناراً وقال المقاتلان بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ثم أحد بني الخزرج ثم أحد بني زيد بن مَناة من الشام بتجارة وكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلا أتته وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق أو برّ أو غيره فينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس ليتبايعوا معه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة فقال ﷺ لولا هؤلاء لسموت عليهم الحجارة من السماء وأنزل الله هذه الآية وقيل لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط عن الكلبي عن ابن عباس وقيل إلا احد عشر رجلاً عن ابن كيسان وقيل انهم فعلوا ذلك ثلاثِ مرات في كل يوم مرة لعير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة عن قتادة ومقاتل .

[ **المعنى** ] لمّا تقدّم ذكر اليهود في انكارهم ما في التوراة أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يخاطبهم بما يفحمهم فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**يا أيها الذين هادوا**﴾ أي سمّوا يهوداً ﴿**إن زعمتم انكم أولياء الله**﴾ أي إن كنتم تظنون على زعمكم انكم أنصار الله وان الله ينصركم ﴿**من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**﴾ انكم أبناء الله وأحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه ثم أخبر سبحانه عن حالهم في كذبهم واضطرابهم في دعواهم وانهم غير واثقين بذلك فقال ﴿**ولا يتمنونه أبداً بما قدَّمت أيديهم**﴾ من الكفر والمعاصي ﴿**والله عليم بالظالمين**﴾ أي عالم بأفعالهم وأحوالهم وقد تقدَّم تفسير الآيتين في سورة البقرة وفيه معجزة للرسول لأنه أخبر أنهم لا يتمنون الموت أبداً لما يعرفون من صدق النبي ﷺ وكذبهم فكان الأمر كما قال وروي أنه ﷺ قال لو تمنّوا لماتوا عن آخرهم ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**إن الموت الذي تفرّون منه فإنه ملاقيكم**﴾ أي إنكم وان فررتم من الموت وكرهتموه فإنه لا بدّ ينزل بكم ويلقاكم ويدرككم ولا ينفعكم الهرب منه وإنما قال فإنه ملاقيكم بالفاء سواء فروا منه أو لم يفروا منه فإنه ملاقيهم مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه لأنه إذا كان الفرار بمنزلة السبب في ملاقاته فلا معنى للتعرض للفرار لأنه لا يباعد منه وإلى هذا المعنى اشار امير

المؤمنين (ع) في قوله كل امرىء لاق ما يفرّ منه والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته وقال زهير :

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

ولا شك أنها تناله هابها أو لم يهبها ولكنه إذا كانت هيبته بمنزلة السبب للمنية فالهيبة لا معنى لها وقيل إن التقدير قل إن الموت هو الذي تفرون منه فجعل الذي في موضع الخبر لا صفة للموت ويكون فإنه مستأنفاً **﴿ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾** أي ترجعون إلى الله الذي يعلم سركم وعلانيتكم يوم القيامة **﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾** في دار الدنيا ويجازيكم بحسبها ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة﴾** أي إذا أذن لصلاة الجمعة وذلك إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة وذلك لأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ نداء سواه قال السايب بن زيد كان لرسول الله ﷺ مؤذن واحد بلال فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام للصلاة ثم كان أبو بكر وعمر كذلك حتى إذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد اذاناً فأمر بالتأذين الأول على سطح دار له بالسوق ويقال له الزوراء وكان يؤذن له عليها فإذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذنه فإذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه **﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾** أي فامضوا إلى الصلاة مسرعين غير متثاقلين عن قتادة وابن زيد والضحاك وقال الزجاج معناه فامضوا إلى السعي الذي هو الإسراع وقرأ عبد الله بن مسعود فامضوا إلى ذكر الله وروي ذلك عن علي بن أبي طالب (ع) وعمر بن الخطاب وأبي بن كعب وابن عباس وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) وقال ابن مسعود لو علمت الاسراع لأسرعت حتى يقع ردائي عن كتفي وقال الحسن ما هو السعي على الاقدام وقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقيل المراد بذكر الله الخطبة التي تتضمن ذكر الله والمواعظ **﴿وذروا البيع﴾** أي دعوا المبايعة قال الحسن كل بيع تفوت فيه الصلاة يوم الجمعة فإنه بيع حرام لا يجوز وهذا هو الذي يقتضيه ظاهر الآية لأن النهي يدل على فساد المنهي عنه **﴿ذلكم﴾** يعني ما أمرتكم به من حضور الجمعة واستماع الذكر واداء الفريضة وترك البيع **﴿خير لكم﴾** وأنفع لكم عاقبة **﴿إن كنتم تعلمون﴾** منافع الأمور ومضارها ومصالح أنفسكم ومفاسدها وقيل معناه اعلموا ذلك عن الجبائي وفي هذه الآية دلالة على وجوب الجمعة وفي تحريم جميع التصرفات عند سماع اذان الجمعة لأن البيع إنما خصّ بالنهي عنه لكونه من أعم التصرفات في أسباب المعاش وفيها دلالة على أن الخطاب للاحرار لأن العبد

لا يملك البيع وعلى اختصاص الجمعة بمكان ولذلك أوجب السعي إليه وفرض الجمعة لازم جميع المكلفين إلا اصحاب الاعذار من السفر أو المرض أو العمى أو العرج أو أن يكون امرأة أو شيخاً هما لا حراك به أو عبداً أو يكون على رأس اكثر من فرسخين من الجامع وعند حصول هذه الشرائط لا يجب إلا عند حضور السلطان العادل أو من نصبه السلطان للصلاة والعدد يتكامل عند أهل البيت (ع) بسبعة وقيل ينعقد بثلاثة سوى الإمام عن أبي حنيفة والثوري وقيل إنما ينعقد بأربعين رجلاً احراراً بالغين مقيمين عن الشافعي وقيل ينعقد باثنين سوى الإمام عن أبي يوسف وقيل ينعقد بواحد كسائر الجماعات عن الحسن وداود والاختلاف بين الفقهاء في مسائل الجمعة كثير موضعه كتب الفقه **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾** يعني إذا صليتم الجمعة وفرغتم منها فتفرقوا في الأرض **﴿وابتغوا من فضل الله﴾** أي واطلبوا الرزق في البيع والشراء وهذا اباحة وليس بأمر وايجاب وروي عن انس عن النبي ﷺ قال في قوله فإذا قضيت الصلاة فانتشروا الآية ليس بطلب دنيا ولكن عبادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله وقيل المراد بقوله **﴿وابتغوا من فضل الله﴾** طلب العلم عن الحسن وسعيد بن جبير ومكحول وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال الصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت وروى عمرو بن زيد عن أبي عبد الله قال اني لأركب في الحاجة التي كفاها الله ما اركب فيها إلا التماس أن يراني الله اضحى في طلب الحلال أما تسمع قول الله عز اسمه فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله أرأيت لو أن رجلاً دخل بيتاً وطين عليه بابه ثم قال رزقي ينزل علي كان يكون هذا اما انه احد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم قال قلت من هؤلاء الثلاثة قال رجل تكون عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له لأن عصمتها في يده لو شاء أن يخلّي سبيلها لخلّى سبيلها والرجل يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه فيجحده حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له لأنه ترك ما أمر به والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا ينتشر ولا يطلب ولا يلتمس حتى يأكله ثم يدعو فلا يستجاب له **﴿واذكروا الله كثيراً﴾** أي اذكروه على إحسانه واشكروه على نعمه وعلى ما وفّقكم من طاعته وإداء فرضه وقيل إن المراد بالذكر هنا الفكر كما قال تفكُّر ساعة خير من عبادة سنة وقيل معناه اذكروا الله في تجارتكم وأسواقكم كما روي عن النبي ﷺ أنه قال من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب له ألف حسنة ويغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر **﴿لعلكم تفلحون﴾** أي لتفلحوا وتفوزوا بثواب النعيم علّق سبحانه الفلاح بالقيام بما تقدّم ذكره من اعمال الجمعة وغيرها وصحّ الحديث عن ابي ذر قال قال رسول الله ﷺ من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله ولبس

صالح ثيابه ومسَّ من طيب بيته أو دهنه ثم لم يفرّق بين اثنين غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام بعدها أورده البخاري في الصحيح وروى سلمان التميمي عن النبي ﷺ قال إن الله عز وجل في كل يوم جمعة ستمائة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار ثم اخبر سبحانه عن جماعة قابلوا اكرم الكرم بألأم اللؤم فقال **﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً﴾** أي عاينوا ذلك وقيل معناه إذا علموا بيعاً وشراء أو لهواً وهو الطبل عن مجاهد وقيل المزامير عن جابر **﴿انفضوا اليها﴾** أي تفرّقوا عنك خارجين اليها وقيل مالوا اليها والضمير للتجارة وإنما خصّت بردّ الضمير اليها لأنها كانت أهمّ اليهم وهم بها أسر من الطبل لأن الطبل إنما دلَّ على التجارة عن الفراء وقيل عاد الضمير إلى أحدهما اكتفاء به وكأنه على حذف والمعنى وإذا رأوا تجارة انفضوا اليها وإذا رأوا لهواً انفضوا اليه فحذف اليه لأن اليها يدل عليه وروي عن أبي عبد الله (ع) انه قال انصرفوا اليها **﴿وتركوك قائماً﴾** تخطب على المنبر قال جابر بن سمرة ما رأيت رسول الله ﷺ خطب إلا وهو قائم فمن حدثك انه خطب وهو جالس فكذّبه وسئل عبد الله بن مسعود اكان النبي ﷺ يخطب قائماً فقال أما تقرأ وتركوك قائماً وقيل اراد قائماً في الصلاة ثم قال تعالى **﴿قل﴾** يا محمد لهم **﴿ما عند الله﴾** من الثواب على سماع الخطبة وحضور الموعظة والصلاة والثبات مع النبي ﷺ **﴿خير﴾** وأحمد عاقبة وانفع **﴿من اللهو و﴾** من **﴿التجارة والله خير الرازقين﴾** يرزقكم وان لم تتركوا الخطبة والجمعة .

# (٦٣) سورة المنافقون مدنية وآياتها إحدى عشرة

مدنية بالإجماع وهي إحدى عشرة آية .

[ فضلها ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة المنافقين برأ من النفاق .

[ تفسيرها ] لما ختم الله سورة الجمعة بما هو من علامات النفاق من ترك النبي ﷺ قائماً في الصلاة أو في الخطبة والاشتغال باللهو وطلب الارتفاق افتتح هذه السورة بذكر المنافقين أيضاً فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾
ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ
وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ
كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ

يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو غير عباس والكسائي خُشْب ساكنة الشين والباقون خُشُب بضمها وقرأ نافع وروح عن يعقوب وسهل لووا بتخفيف الواو والباقون لوَّوا بتشديدها وهو اختيار أبي عبيدة وفي الشواذ قراءة الحسن اتخذوا إيمانِهم بالكسر .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ خُشْب جعله مثل بدنة وبُدْن ومثله أسد وأُسْد ووثن ووُثْن في قوله ﴿ **إن يدعون من دونه إلا أُثنا** ﴾ قال سيبويه هي قراءة والتثقيل أن فُعُل قد جاء في نظيره قالوا أُسُد كما قالوا في جمع ثمر ثُمُر قال الشاعر « يَقْدُمُ أَقْداماً عَلَيْكُمْ كَالأُسُد » قال أبو الحسن التحريك في خشب لغة أهل الحجاز وحجة من قرأ لووا بالتخفيف قوله ﴿ **ليّاً بألسنتهم** ﴾ فاللّيّ مصدر لوى مثل طوى طياً والتثقيل لأن الفعل للجماعة فهو كقوله مفتّحة لهم الأبواب وقد جاء « تَلْوِيَةَ الخاتِنِ زُبَّ المُعْذَرُ »[1] أنشده أبو زيد وقوله إيمانِهم بالكسر هو على حذف المضاف أي اتخذوا اظهار إيمانهم جنَّة وقد مرَّ أمثال ذلك .

[ **اللغة** ] الجُنَّة السترة المتخذة لدفع الأذية كالسلاح المتخذ لدفع الجراح والجَنّة البستان الذي يجنّه الشجر والجِنّة الجنون الذي يستر العقل والفقه العلم بالشيء فقّهت الحديث افقهه وكل علم فقه إلا لما اختصّ به علم الشريعة وكل من علمها يقال أنه فقيه وأفقهتك الشيء بينت لك وفقه الرجل بالضم صار فقيهاً قال ابن دريد الجسم كل شخص مدرك وكل عظيم الجسم جسيم وجسام والأجسم العظيم الجسم قال الشاعر :

وَأَجْسَمُ مِنْ عَادٍ جُسُومِ رِجَالِهِم وَأَكْثَرُ إِنْ عُدُّوا عَدِيداً مِنَ الرَّمْلِ

واختلف المتكلمون في حدّ الجسم فقال المحققون منهم هو الطويل العريض العميق ولذلك متى ازداد ذهابه في هذه الجهات الثلاث قيل أجسم وجسيم وقيل هو المؤلف وقيل هو القائم بالنفس ومعناه أنه لا يحتاج إلى محل والصحيح القول الأول والأجسام ما تأتلف من الجواهر وهي أجزاء لا تتجزء ائتلفت بمعان يقال لها المؤتلفات فإذا رفعت عنها بقيت أجزاء لا تتجزء واختلف في أقل أجزاء الأجسام والصحيح أنه ما تألف من ثمانية أجزاء وقيل من ستة أجزاء عن أبي الهذيل وقيل من أربعة أجزاء عن البلخي .

---

(١) الزب : الذكر. والمعذر؛ مفعول من أعذر الغلام والجارية ختنهما .

[ الإعـراب ] ساء مـا كانـوا يعملون تقديـره ساء العمـل عملهم فقولـه ﴿ مـا كـانـوا يعملون ﴾ موصول وصلة في موضع رفع بأنه مبتدأ أو خبر مبتدأ محـذوف هو المخصـوص بالذم . أنّى يؤفكون أنّى في موضع نصب على الحال بمعنى كيف والتقدير أجاحدين يؤفكون ويجوز أن يكون في محل النصب على المصدر والتقدير أيّ أفك يؤفكون وقيل معناه من أين يؤفكون أي يصرفون عن الحق بالباطل عن الزجاج فعلى هـذا يكون منصـوباً على الـظرف ويصدّون في موضع نصب على الحال .

[ المعنى ] خاطب الله سبحانه نبيّه فقال ﴿ إذا جاءك ﴾ يا محمد ﴿ المنافقون ﴾ وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر واشتقاقه من النفق والنافقاء كما قال الشاعر :

لِلمُؤْمِنيـنَ أُمُـورٌ غَيْـر مُـخْـزِيَـةٍ وَلِـلْمُـنَـافِـقِ سِـرٌّ دُونَـهُ نَـفَـقُ

﴿ قالوا نشهد إنك لرسول الله ﴾ أي اخبـروا بأنهم يعتقـدون انك رسـول الله ﴿ والله يعلم ﴾ يا محمد ﴿ انك لرسوله ﴾ على الحقيقة وكفى بالله شهيداً ﴿ والله يشهد أن المنافقين لكـاذبون ﴾ في قـولهم انهم يعتقدون أنـك رسول الله فكـان إكذابهم في اعتقـادهم وأنهم يشهدون ذلك بقلوبهم ولم يكذبوا فيما يرجع إلى ألسنتهم لأنهم شهدوا بذلك وهم صادقون فيه وفي هذا دلالة على أن حقيقة الإيمان إنما هو بالقلب ومن قال شيئاً واعتقد خلافـه فهو كاذب ﴿ اتخذوا ايمانهم جنة ﴾ أي سـترة يستترون بهـا من الكفر لئـلا يقتلوا ولا يسبوا ولا تؤخذ أموالهم ﴿ فصدّوا عن سبيل الله ﴾ أي فأعرضـوا بذلـك عن دين الإسلام وقيـل معناه منعـوا غيرهم عن اتبـاع سبيل الحق بـأن دعوهم إلى الكفـر في الباطن وهـذا من خـواص المنافقين يصدّون العوام عن الدين كما تفعل المبتدعة ﴿ انهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ أي بئس الذين يعملونه من إظهار الإيمان مـع إبطان الكفـر والصد عنِ السبيـل ﴿ ذلك بـأنهم آمنوا ﴾ بألسنتهم عند الإقرار بلا إله إلا الله محمـد رسول الله ﴿ ثم كفـروا ﴾ بقلوبهم لما كـذبوا بهـذا عن قتادة وقيـل معناه آمنـوا ظـاهـراً عنـد النبي والمسلمين ثم كفـروا إذا خلوا بالمشركين وإنما قال ثم كفروا لأنهم جدّدوا الكفر بعد إظهار الإيمان ﴿ فطبع على قلوبهم ﴾ أي ختم عليها بسمة تميز بها الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة وقيل لما ألفوا الكفر والعناد ولم يصغوا إلى الحق ولا فكروا في المعاد خلاهم الله واختيارهم وخذلهم فصار ذلك طبعاً على قلوبهم وهو الفهم إلى ما اعتادوه من الكفر عن أبي مسلم ﴿ فهم لا يفقهون ﴾ أي لا يعلمون الحق من حيث أنهم لا يتفكرون حتى يميزوا بين الحق والباطـل ﴿ وإذا رأيتهم تعجبـك أجسامهم ﴾ بحسن منظرهم وتمام خلقتهم وجمـال بزتهم ﴿ وان يقـولـوا تسمـع

**لقولهم** ﴾ أي وإذا قالوا شيئاً اصغيت إلى كلامهم لحسن منطقهم وفصاحة لسانهم وبلاغة بيانهم ﴿ **كأنهم خشب مسندة** ﴾ أي كأنهم أشباح بلا أرواح شبَّههم الله في خلوّهم من العقول والافهام بالخشب المسندة إلى شيء لا أرواح فيها وقيل أنه شبَّههم بخشب نخرة متآكلة لا خير فيها ويحسب من رآها أنها صحيحة سليمة من حيث أن ظاهرها يروق وباطنها لا يفيد فكذلك المنافق ظاهره معجب رائع وباطنه عن الخير زائغ ﴿ **يحسبون كل صيحة عليهم** ﴾ وصفهم الله تعالى بالخور والهلع أي يظنون كل صيحة يسمعونها كائنة عليهم والمعنى يحسبون أنها مهلكتهم وأنهم هم المقصودون بها جبناً ووجلاً وذلك مثل أن ينادي مناد في العسكر أو يصيح أحد بصاحبه أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة وقيل معناه إذا سمعوا صيحة ظنّوا أنها آية منزلة في شأنهم وفي الكشف عن حالتهم لما عرفوا من الغش والخيانة في صدورهم ولذلك قيل المريب خائف ثم أخبر سبحانه بعداوتهم فقال ﴿ **هم العدو** ﴾ لك وللمؤمنين في الحقيقة ﴿ **فاحذرهم** ﴾ أن تأمنهم على سرّك وتوقهم ﴿ **قاتلهم الله** ﴾ أي أخزاهم ولعنهم وقيل أنه دعاء عليهم بالهلاك لأن من قاتله الله فهو مقتول ومن غالبه فهو مغلوب ﴿ **أنّى يؤفكون** ﴾ أي أنّى يصرفون عن الحق مع كثرة الذلالات وهذا توبيخ وتقريع وليس باستفهام عن أبي مسلم وقيل معناه كيف يكذبون من الإفك ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا** ﴾ أي هلمُّوا ﴿ **يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم** ﴾ أي أكثروا تحريكها بالهزء لها استهزاء بدعائهم إلى ذلك وقيل أمالوها اعراضاً عن الحق وكراهة لذكر النبي ﷺ وذلك لكفرهم واستكبارهم ﴿ **ورأيتهم** ﴾ يا محمد ﴿ **يصدُّون** ﴾ عن سبيل [ الله ][1] الحق ﴿ **وهم مستكبرون** ﴾ أي متكبرون مظهرون أنه لا حاجة لهم إلى الاستغفار .

﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ

(١) ما بين المعقفتين غير موجود في المخطوطتين .

إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ
أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا
إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو وأكون بالنصب والباقون وأكن بالجزم وقرأ حماد ويحيى بما يعملون بالياء والباقون بالتاء .

[ **الحجة** ] من قرأ واكن عطفه على موضع قوله فأصدّق لأنه في موضع فعل مجزوم ألا ترى أنك إذا قلت أخرني أصدق كان جزماً بأنه جواب الجزاء وقد أغنى السؤال عن ذكر الشرط والتقدير أخرني فإنك إن تؤخرني أصدق فلما كان الفعل المنتصب بعد الفاء في موضع فعل مجزوم بأنه جواب الشرط حمل قوله وأكن عليه ومثل ذلك قوله ﴿ **ومن يضلل الله فلا هادي له** ﴾ ويَذرْهم لما كان فلا هادي له في موضع فعل مجزوم حمل ويذرهم عليه ومثل ذلك قول الشاعر :

فَـأَبْـلُونـي بَـلِيَّـتَـكُـمْ لَـعَـلّي أُصَـالِـحُـكُـمْ وَسْتَـدْرِجْ نَـوِيَّـا[1]

حمل واستدرج على موضع الفاء المحذوفة وما بعدها من لعلّي وكذلك قوله :

أَيَّـا سَـلَكْتَ فَـإِنَّـني لَـكَ كَـاشِـحٌ وَعَلَى انْتِقَـاصِـكَ في الحَيَـاةِ وَازْدَدِ[2]

حمل وازدد على موضع الفاء وما بعدها وأما قول أبي عمرو وأكون فإنما حمله على اللفظ دون الموضع وكان الحمل على اللفظ أولى لظهوره في اللفظ وقربه وزعموا أن في

(١) الشعر في جامع الشواهد .

(٢) الكاشح ؛ العدو المبغض .

حرف أبيّ فأتصدق وأكون ومن قرأ بما يعملون بالياء فعلى قوله ولن يؤخّر الله نفساً لأن النفس وإن كان واحداً في اللفظ فالمراد به الكثرة ومن قرأ بالتاء كان خطاباً شائعاً .

[ اللغة ] الانفضاض التفرق وفضّ الكتاب إذا فرَّقه ونشره وسميت الفضة فضة لتفرقها في أثمان الأشياء المشتراة وكل شيء يشغلك عن شيء فقد ألهاك عنه قال :

أَلْهىٰ بَنِي جُشَمٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ

وقال امرؤ القيس :

فَمِثْلِكَ حُبْلىٰ قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ[1]

[ النزول ] نزلت الآيات في عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم من قتل ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فبينا الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان الجهني من بني عوف بن خزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين فأعان الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيراً فقال عبد الله بن أبي لجعال إنك لهتاك فقال وما يمنعني أن أفعل ذلك واشتد لسان جعال على عبد الله فقال عبد الله والذي يحلف به لآزرنك ويهمك غير هذا وغضب ابن أبي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم حديث السن فقال ابن أبي قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ ثم أقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتوهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا من بلادكم ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد ﷺ في عزّ من الرحمن ومودّة من المسلمين والله لا أحبّك بعد كلامك هذا فقال عبد الله اسكت فإنما كنت ألعب فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ

(١) الشعر من المعلقات وقد مر بمعناه في المجلد الثالث فراجع .

وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل وأرسل إلى عبد الله فأتاه فقال ما هذا الذي بلغني عنك فقال عبد الله والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك قطّ وإن زيداً لكاذب وقال من حضر من الأنصار يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الغلام وهم في حديثه فعذره رسول الله ﷺ وفشت الملامة من الأنصار لزيد ولما استقل رسول الله ﷺ فسار لقيه أسيد بن الحضير فحيّاه بتحية النبوة ثم قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله ﷺ أوما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل فقال أسيد فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه وانه ليرى أنك قد استلبته ملكاً وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله انه قد بلغني أنك تريد قتل أبي فإن كنت لا بدَّ فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرّ بوالديه مني وأني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي أن يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال بل ترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا مسّ الأرض وقعوا نياماً إنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن أبي ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع[1] يقال له بقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله ﷺ وذلك ليلاً فقال مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة قيل من هو قال رفاعة فقال رجل من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة وأخبر رسول الله ﷺ بذلك أصحابه وقال ما أزعم أني أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله تعالى أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب فإذا هي كما قال فجاؤوا بها وآمن ذلك المنافق فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود وقد مات ذلك اليوم قال زيد بن أرقم فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة جلست في البيت لما بي من الهمّ والحياء فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله بن أبي ثم أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد فرفعه عن

(١) كذا في النسخ لكن في السيرة لابن هشام « النقيع » بالنون .

الرحل ثم قال يا غلام صدق فوك ووعت أذناك ووعى قلبك وقد أنزل الله فيما قلت قرآناً وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فقال مالك ويلك قال والله لا تدخلها إلا بإذن رسول الله ولتعلمن اليوم مَن الأعزّ من الأذلّ فشكا عبد الله ابنه إلى رسول الله ﷺ فأرسل إليه أن خَلِّ عنه يدخل فقال أما إذا جاء أمر رسول الله ﷺ فنعم فدخل فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات فلما نزلت هذه الآيات وبان كذب عبد الله قيل له نزل فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوّى رأسه ثم قال أمرتموني أن أؤمن فقد آمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد فنزل ﴿**وإذا قيل لهم تعالوا**﴾ إلى قوله ﴿**ولكن المنافقين لا يعلمون**﴾ .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه أن استغفاره لا ينفعهم فقال ﴿ **سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم** ﴾ أي يتساوى الاستغفار لهم وعدم الاستغفار ﴿ **لن يغفر الله لهم** ﴾ لأنهم يبطنون الكفر وإن أظهروا الإيمان ﴿ **إن الله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾ أي لا يهدي القوم الخارجين عن الدين والإيمان إلى طريق الجنة قال الحسن أخبره سبحانه أنهم يموتون على الكفر فلم يستغفر لهم وقد كان النبي ﷺ يستغفر لهم على ظاهر الحال بشرط حصول التوبة وأن يكون الباطن مثل الظاهر فبيَّن الله تعالى أن ذلك لا ينفعهم مع إبطانهم الكفر والنفاق ثم قال سبحانه ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله** ﴾ من المؤمنين المحتاجين ﴿ **حتى ينفضوا** ﴾ أي يتفرّقوا عنه وإنما قالوا هم من عند محمد ﷺ ولكن الله سبحانه سمّاه رسول الله ﷺ تشريفاً له وتعظيماً لقدره ﴿ **ولله خزائن السماوات والأرض** ﴾ وما بينهما من الأرزاق والأموال والاغلاق فلو شاء لأغناهم ولكنّه تعالى يفعل ما هو الأصلح لهم ويمتحنهم بالفقر ويتعبدهم بالصبر ليصبروا فيؤجروا وينالوا الثواب وكريم المآب ﴿ **ولكن المنافقين لا يفقهون** ﴾ ذلك على الحقيقة لجهلهم بوجوه الحكمة وقيل لا يفقهون أن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿ **يقولون لإن رجعنا إلى المدينة** ﴾ من غزوة بني المصطلق ﴿ **ليخرجن الأعز** ﴾ يعنون نفوسهم ﴿ **منها الأذل** ﴾ يعنون رسول الله ﷺ والمؤمنين فردَّ الله سبحانه عليهم بأن قال ﴿ **ولله العزة ولرسوله** ﴾ بإعلاء الله كلمته واظهاره دينه على الأديان ﴿ **وللمؤمنين** ﴾ بنصرته إياهم في الدنيا وادخالهم الجنة في العقبى وقيل ولله العزة بالربوبية ولرسوله بالنبوة وللمؤمنين بالعبودية أخبر سبحانه بذلك ثم حقّقه بأن أعزَّ رسوله والمؤمنين وفتح عليهم مشارق الأرض ومغاربها وقيل عز الله خمسة عزّ الملك والبقاء وعزّ العظمة والكبرياء وعزّ البذل والعطاء وعزّ الرفعة والعلاء وعزّ الجلال والبهاء وعزّ الرسول خمسة عزّ

السبق والابتداء وعزّ الاذان والنداء وعزّ قدم الصدق على الأنبياء وعزّ الاختيار والاصطفاء وعزّ الظهور على الأعداء وعزّ المؤمنين خمسة عزّ التأخير بيانه نحن الآخرون السابقون وعزّ التيسير بيانه ولقد يسّرنا القرآن للذكر يريد الله بكم اليسر وعزّ التبشير ، بيانه وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً وعزُّ التوقير، بيانه وأنتم الأعلون وعزُّ التكثير، بيانه أنهم أكثر الامم ﴿ **ولكن المنافقين لا يعلمون** ﴾ فيظنون أن العزة لهم وذلك لجهلهم بصفات الله تعالى وما يستحقُّه أولياؤه ووجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله ولله العزة جميعاً أن عزّ الرسول والمؤمنين من جهته عزّ اسمه وإنما يحصل به وبطاعته فلله العز بأجمعه ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم** ﴾ أي لا تشغلكم ﴿ **أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله** ﴾ أي عن الصلوات الخمس المفروضة وقيل ذكر الله جميع طاعاته عن أبي مسلم وقيل ذكره شكره على نعمائه والصبر على بلائه والرضا بقضائه وهو إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يغفل المؤمن عن ذكر الله في بؤس كان أو نعمة فإن إحسانه في الحالات لا ينقطع ﴿ **ومن يفعل ذلك** ﴾ أي من يشغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿ **فأولئك هم الخاسرون** ﴾ خسروا ثواب الله ورحمته ﴿ **وانفقوا مما رزقناكم** ﴾ في سبيل البر فيدخل فيه الزكوات وسائر الحقوق الواجبة ﴿ **من قبل أن يأتي أحدكم الموت** ﴾ أي أسباب الموت ﴿ **فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب** ﴾ أي هلاّ أخّرتني وذلك إذا عاين علامات الآخرة فيسأل الرجعة إلى الدنيا ليتدارك الفائت قالوا وليس في الزجر عن التفريط في حقوق الله آية أعظم من هذه وقوله ﴿ **إلى أجل قريب** ﴾ أي مثل ما أجلت لي في دار الدنيا ﴿ **فأصّدق** ﴾ أي فأتصدق وازكي مالي وأنفقه في سبيل الله ﴿ **وأكن من الصالحين** ﴾ أي من الذين يعملون الأعمال الصالحة وقيل من الصالحين أي من المؤمنين والآية في المنافقين عن مقاتل وقيل من المطيعين لله والآية في المؤمنين عن ابن عباس قال ما من أحد يموت وكان له مال فلم يؤدّ زكاته وأطاق الحج فلم يحجّ إلا سأل الرجعة عند الموت قالوا يا ابن عباس اتّق الله فإنما نرى هذا الكافر يسأل الرجعة فقال أنا أقرأ عليكم قرآنا ثم قرأ هذه الآية إلى قوله ﴿ **من الصالحين** ﴾ قال الصلاح هنا الحجّ وروي ذلك عن أبي عبد الله ( ع ) ﴿ **ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها** ﴾ يعني الأجل المطلق الذي حكم بأن الحي يموت عنده والأجل المقيد هو الأجل المحكوم بأن العبد يموت عنده إن لم يقتطع دونه أولم يزد عليه أولم ينقص منه على ما يعلمه الله من المصلحة ﴿ **والله خبير بما تعملون** ﴾ أي عليم بأعمالكم يجازيكم بها .

[ **النظم** ] وجه اتصال هذه الآية الأخيرة بما قبلها أن معناه أنه سبحانه لو علم أنكم تتوبون لجعل في أجلكم تأخيراً إلى وقت آخر ولكنّه علم أنكم لا تتوبون .

# (٦٤) سورة التغابن مدنية وآياتها ثماني عشرة

وقال ابن عباس مكية غير ثلاث آيات من آخرها نزلن بالمدينة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن من ازواجكم** ﴾ إلى آخر السورة .

**[ عدد آيها ]**

ثماني عشرة آية بالإجماع .

**[ فضلها ]** أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة. ابن أبي العلاء عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة التغابن في فريضته كانت شفيعة له يوم القيامة وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها ثم لا تفارقه حتى يدخل الجنة .

**[ تفسيرها ]** لمّا ختم الله تعالى تلك السورة بذكر الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية افتتح هذه السورة ببيان حال المطيع والعاصي فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾

يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ج
وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾

[ المعنى ]﴿ **يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ تسبيح المكلفين بالقول وتسبيح الجمادات بالدلالة ﴿ **له الملك** ﴾ منفرداً دون غيره والألف واللام لاستغراق الجنس والمعنى أنه المالك لجميع ذلك والمتصرف فيه كيف يشاء ﴿ **وله الحمد** ﴾ على جميع ذلك لأن خلق ذلك أجمع ـ الغرض فيه الإحسان إلى خلقه والنفع لهم به فاستحقَّ بذلك الحمد والشكر ﴿ **وهو على كل شيء قدير** ﴾ يوجد المعدوم ويفني الموجود ويغيّر الأحوال كما يشاء ﴿ **هو الذي خلقكم** ﴾ أي أنشأكم وأوجدكم عن عدم كما أراد والخطاب للمكلفين عن الجبائي وقيل بل هو عام وقد تمَّ الكلام هنا ثم ابتدأ فقال ﴿ **فمنكم كافر** ﴾ لم يقرّ بأن الله خلقه كالدهرية ﴿ **ومنكم مؤمن** ﴾ مقرّ بأن الله خلقه عن الزجاج وقيل معناه فمنكم كافر في السرِّ مؤمن في العلانية كالمنافقين ومنكم مؤمن في السرّ كافر في العلانية كعمار زذويه عن الضحاك وقيل فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب يريد في شأن الأنواء عن عطاء بن أبي رباح والمراد بالآية ظاهر فلا معنى للاسترواح إلى مثل هذه التأويلات والمعنى أن المكلفين جنسان منهم كافر فيدخل فيه أنواع الكفر ومنهم مؤمن ولا يجوز حمله على أنه سبحانه خلقهم مؤمنين وكافرين لأنه لم يقل كذلك بل أضاف الكفر والإيمان إليهم وإلى فعلهم ولدلالة العقول على أن ذلك يقع على حسب قصودهم وأفعالهم ولذلك يصحّ الأمر والنهي والثواب والعقاب وبعثة الأنبياء على أنه سبحانه لو جاز أن يخلق الكفر والقبائح لجاز أن يبعث رسولاً يدعو إلى الكفر والضلال ويؤيّده بالمعجزات تعالى عن ذلك وتقدّس هذا وقد قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وقال النبي ﷺ كل مولود يولد على الفطرة تمام الخبر وقال ﷺ حكاية عن الله سبحانه خلقت عبادي كلهم حنفاء ونحو ذلك من الأخبار كثير ﴿ **والله بما تعملون بصير** ﴾ أي خلق الكافر وهو عالم بما يكون منه من الكفر وخلق المؤمن وهو عالم بما يكون منه من الإيمان فيجازيهما على حسب أعمالهما ﴿ **خلق السماوات والأرض بالحق** ﴾ أي بالعدل وبأحكام الصنعة وصحة التقدير وقيل معناه للحق وهو أن خلق العقلاء تعريضاً إياهم للثواب العظيم وخلق ما عداهم تبعاً لهم لما في خلقهما لهم من اللطف ﴿ **وصوَّركم** ﴾ يعني البشر كلهم ﴿**فأحسن صوركم**﴾ من حيث

الحكمة وقبول العقل لا قبول الطبع لأن في جملتهم من ليس على هذه الصفة وقيل فأحسن صوركم من حيث قبول الطبع لأن ذلك هو المفهوم من حسن الصور فهو كقوله ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ وإن كان في جملتهم من هو مشوّه الخلق لأن ذلك عارض لا يعتدُّ به في هذا الوصف فالله سبحانه خلق الإنسان على أحسن صور الحيوان كله والصورة عبارة عن بنية مخصوصة ﴿ **وإليه المصير** ﴾ أي إليه المرجع والمآل يوم القيامة ﴿ **يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرّون وما تعلنون** ﴾ أي ما يسرّه بعضكم إلى بعض وما يخفيه في صدره عن غيره والفرق بين الإسرار والإخفاء أن الاخفاء أعم لأنه قد يخفي شخصه ويخفي المعنى في نفسه والاسرار يكون في المعنى دون الشخص ﴿ **والله عليم بذات الصدور** ﴾ أي بأسرار الصدور وبواطنها ثم أخبر سبحانه أن القرون الماضية جوزوا بأعمالهم فقال ﴿ **ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل** ﴾ أي من قبل هؤلاء الكفار ﴿ **فذاقوا وبال أمرهم** ﴾ أي وخيم عاقبة كفرهم وثقل أمرهم بما نالهم من العذاب بالإهلاك والاستئصال ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾ أي مؤلم يوم القيامة .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ
﴿ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ
وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ
وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ
أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ
ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ
عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ

بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ رويس عن يعقوب يوم نجمعكم بالنون والباقون بالياء وقرأ أهل المدينة وابن عامر نكفر عنه وندخله بالنون فيهما والباقون بالياء .

[ **الحجة** ] حجة الياء أن الإسم الظاهر قد تقدم ووجه النون أنه كقوله﴿**سبحان الذي أسرى بعبده**﴾ ثم جاء وآتينا موسى الكتاب.

[ **الإعراب** ] ذلك بأنه الهاء ضمير الأمر والشأن. أبشر مبتدأ وإنما جاز أن يكون مبتدأ مع كونه نكرة لأن الاستفهام سوغ ذلك كما أن النفي أيضاً كذلك لكونهما غير موجبين يقال أرجل في الدار أم امرأة ولا رجل في الدار ولا امرأة وقيل أنه فاعل فعل مضمر يفسّره قوله يهدوننا كأنه قال أيهدينا بشر يهدوننا وإنما أضمر لأن الاستفهام بالفعل أولى وقوله أن لن يبعثوا تقديره أنهم لن يبعثوا فسدت الجملة عن المفعولين بما جرى فيها من ذكر الحديث والمحدث عنه ولما كان لن في لن يبعثوا دليل الاستقبال تعينت أن قبلها لأن تكون مخففة من الثقيلة لأن لن يمنعها من أن تكون ناصبة للفعل يوم نجمعكم ظرف لتبعثن .

[ **المعنى** ] لمّا قرَّر سبحانه خلقه بأنهم أتيهم اخبار من مضى من الكفار واهلاكهم عقَّبه ببيان سبب إهلاكهم فقال ﴿ **ذلك** ﴾ أي ذلك العذاب الذي نالهم في الدنيا والذي ينالهم في الآخرة ﴿ **بأنه كانت تأتيهم** ﴾ أي بسبب أنه كانت تجيئهم ﴿ **رسلهم** ﴾ من عند الله ﴿ **بالبينات** ﴾ أي بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات ﴿ **فقالوا** ﴾ لهم ﴿ **ابشر يهدوننا** ﴾ لفظه واحد والمراد به الجمع على طريق الجنس بدلالة قوله ﴿ **يهدوننا** ﴾ والمعنى أخلق مثلنا يهدوننا إلى الحق ويدعوننا إلى غير دين آبائنا استصغاراً منهم للبشر أن يكونوا رسلاً من الله إلى أمثالهم واستكباراً وأنفة من اتباعهم ﴿ **فكفروا** ﴾ بالله وجحدوا رسله ﴿ **وتولوا** ﴾ أي أعرضوا عن القبول منهم والتفكر في آياتهم ﴿ **واستغنى الله** ﴾ بسلطانه عن طاعة عباده وإنما كلَّفهم لنفعهم لا لحاجة منه إلى عبادتهم وقيل معناه واستغنى الله بما أظهره لهم من البرهان وأوضحه من البيان عن زيادة تدعو إلى الرشد وتهدي إلى الإيمان ﴿ **والله غني حميد** ﴾ أي غني عن أعمالكم مستحمد إليكم بما ينعم به عليكم وقيل حميد أي محمود في جميع أفعاله لأنها كلها احسان ثم حكى سبحانه ما يقوله الكفار فقال ﴿ **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا** ﴾ قال ابن عمر زَعَم زاملة الكذب وقال شريح زعم كنية الكذب

بيَّن الله سبحانه بعض ما لأجله اختاروا الكفر على الإيمان وهو أنهم كانوا لا يقرُّون بالبعث والنشور فأمر النبي ﷺ بأن يكذبهم فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **بلى وربي** ﴾ أي وحق ربي على وجه القسم ﴿ **لتبعثن** ﴾ أي لتحشرنَّ أكَّد تكذيبهم بقوله بلى وباليمين ثم أكَّد اليمين باللام والنون ﴿ **ثم لتنبؤنَّ بما عملتم** ﴾ أي لتخبرنَّ وتحاسبنَّ بأعمالكم وتجازون عليها ﴿ **وذلك** ﴾ البعث والحساب مع الجمع والجزاء ﴿ **على الله يسير** ﴾ أي سهل هيّن لا يلحقه مشقة ولا معاناة فيه ﴿ **فآمنوا** ﴾ معاشر العقلاء ﴿ **بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا** ﴾ وهو القرآن سمّاه نوراً لما فيه من الأدلة والحجج الموصلة إلى الحق فشبَّه بالنور الذي يهتدى به إلى الطريق ﴿ **والله بما تعملون خبير** ﴾ أي عليم ﴿ **يوم يجمعكم ليوم الجمع** ﴾ وهو يوم القيامة أي ذلك البعث والجزاء يكون في يوم يجمع فيه خلق الأولين والآخرين ﴿ **ذلك يوم التغابن** ﴾ وهو تفاعل من الغبن وهو أخذ شرّ وترك خير أو أخذ خير وترك شر فالمؤمن ترك حظه من الدنيا وأخذ حظه من الآخرة فترك ما هو شرّ له وأخذ ما هو خير له فكان غابنا والكافر ترك حظه من الآخرة وأخذ حظه من الدنيا فترك الخير وأخذ الشر فكان مغبوناً فيظهر في ذلك اليوم الغابن والمغبون وقيل يوم التغابن غبن أهل الجنة أهل النار عن قتادة ومجاهد وقد روي عن النبي ﷺ في تفسير هذا قوله ما من عبد مؤمن يدخل الجنةإلا أُري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً وما من عبد يدخل النار إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة ﴿ **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته** ﴾ أي معاصيه ﴿ **ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا** ﴾ أي مؤبدين فيها ولا يفنى ما هم فيه من النعيم أبداً ﴿ **ذلك الفوز العظيم** ﴾ أي النجاح الذي ليس وراءه شيء من العظمة ﴿ **والذين كفروا** ﴾ بالله ﴿ **وكذَّبوا بآياتنا** ﴾ أي بحججنا ودلائلنا ﴿ **أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير** ﴾ أي المآل والمرجع .

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ

وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا
أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن
تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة طلحة بن مصرف نهد قلبه بالنون وقراءة السلمي يهد قلبه بضم الياء والباء على ما لم يسم فاعله وقراءة عكرمة وعمرو بن دينار يهدأ قلبه مهموزاً وقراءة مالك بن دينار يهدا بالألف .

[ **الحجة** ] من قرأ يهدأ مهموزاً فمعناه يطمئن قلبه كما قال سبحانه وقلبه مطمئن بالإيمان ومن قرأ بالألف فإنه لين الهمز تخفيفاً .

[ **النزول** ] نزل قوله ﴿ **من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم** ﴾ في قوم أرادوا الهجرة فثبطهم نساؤهم وأولادهم عنها عن ابن عباس ومجاهد .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه ﴿ **ما أصاب من مصيبة** ﴾ أي ليس تصيبكم مصيبة ﴿ **إلا بإذن الله** ﴾ والمصيبة المضرة التي تلحق صاحبها كالرمية التي تصيبها وإنما عمَّ ذلك سبحانه وإن كان في المصائب ما هو ظلم وهو سبحانه لا يأذن بالظلم لأنه ليس منها إلا ما أذن الله في وقوعه أو التمكن منه وذلك اذن للملك الموكل به كأنه قيل لا يمنع من وقوع هذه المصيبة وقد يكون ذلك بفعل التمكين من الله فكأنه يأذن له بأن يكون وقيل معناه إلا بتخلية الله بينكم وبين من يريد فعلها عن البلخي وقيل أنه خاص فيما يفعله الله تعالى أو يأمر به وقيل معناه بعلم الله أي لا يصيبكم مصيبة إلا والله عالم بها ﴿ **ومن يؤمن بالله** ﴾ أي يصدّق به ويرضى بقضائه ﴿ **يهد قلبه** ﴾ أي يهد الله قلبه حتى يعلم أن ما أصابه فبعلم الله فيصبر عليه ولا يجزع لينال الثواب والأجر وقيل معناه ومن يؤمن بتوحيد الله ويصبر لأمر الله يعني عند نزول المصيبة يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول إنا لله وإنا إليه راجعون عن ابن عباس. وقيل إن المعنى يهد

قلبه فإن ابتلي صبر وإن اعطي شكر وإن ظلم غفر عن مجاهد وقال بعضهم في معناه من يؤمن بالله عند النعمة فيعلم أنها فضل من الله يهد قلبه للشكر ومن يؤمن بالله عند البلاء فيعلم أنه عدل من الله يهد قلبه للصبر ومن يؤمن بالله عند نزول القضاء يهد قلبه للاستسلام والرضا ﴿ **والله بكل شيء عليم** ﴾ فيجازي كل امرىء بما عمله ﴿ **وأطيعوا الله** ﴾ في جميع ما أمركم به ﴿ **وأطيعوا الرسول** ﴾ في جميع ما أتاكم به ودعاكم إليه وفيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ **فإن توليتم** ﴾ أي فإن أعرضتم عن القبول منه ﴿ **فإنما على رسولنا البلاغ المبين** ﴾ أي ليس عليه إلا تبليغ الرسالة وقد فعل والمراد ليس عليه قهركم على الردّ إلى الحق وإنما عليه البلاغ الظاهر البيّن فحذف للإيجاز والاختصار ﴿ **الله لا إله إلا هو** ﴾ ولا تحقّ العبادة إلا له ﴿ **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ والتوكل تفويض الأمور إليه والرضا بتقديره والثقة بتدبيره وقد أمر الله عباده بذلك فينبغي لهم أن يستشعروا ذلك في سائر أحوالهم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم** ﴾ يعني أن بعضهم بهذه الصفة ولذلك أتى بلفظة من وهي للتبعيض يقول أن من هؤلاء مَنْ هو عدوٌّ لكم في الدين فاحذروهم أن تطيعوهم وقيل انه سبحانه إنما قال ذلك لأن من الأزواج من يتمنى موت الزوج ومن الأولاد من يتمنى موت الوالد ليرث ماله وما من عدوّ أعدى ممن يتمنى موت غيره ليأخذ ماله وكذلك يكون من يحملك على معصية الله لمنفعة نفسه ولا عدوَّ أشد عداوة ممن يختار ضررك لمنفعته قال عطاء يعني قوماً أرادوا الغزو فمنعهم هؤلاء وقال مجاهد يريد قوماً أرادوا طاعة الله فمنعوهم ﴿ **وان تعفوا** ﴾ أي تتركوا عقابهم ﴿ **وتصفحوا وتغفروا** ﴾ أي تتجاوزوا عنهم وتستروا ما سبق منهم إن عادوا إلى الحالة الجميلة وذلك أن الرجل من هؤلاء إذا هاجر ورأى الناس قد سبقوه بالهجرة وفقهوا في الدين هَمَّ أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه عن الهجرة وأن يلحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم فأمر سبحانه بالعفو والصفح ﴿ **فإن الله غفور رحيم** ﴾ يغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم وقيل هو عام أي إن تعفوا وتصفحوا عمن ظلمكم فإن الله يغفر بذلك كثيراً من ذنوبكم عن الجبائي ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ أي محنة وابتلاء وشدة للتكليف عليكم وشغل عن أمر الآخرة فإن الإنسان بسبب المال والولد يقع في الجرائم عن ابن مسعود قال لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن . وروى عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين (ع) وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ إليهما فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر وقال صدق الله عز وجل إنما أموالكم وأولادكم فتنة

نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم أخذ في خطبته ﴿ **والله عنده أجر عظيم** ﴾ أي ثواب جزيل وهو الجنة يعني فلا تعصوه بسبب الأموال والأولاد ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر والذخر ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾ أي ما أطقتم والاتقاء الامتناع من الردى باجتناب ما يدعو إليه الهوى ولا تنافي بين هذا وبين قوله اتّقوا الله حق تقاته لأن كل واحد منهما الزام لترك جميع المعاصي فمن فعل ذلك فقد اتقى عقاب الله لأن من لم يفعل قبيحاً ولا أخلَّ بواجب فلا عقاب عليه إلا أن في أحد الكلامين تبييناً أن التكليف لا يلزم العبد إلا فيما يطيق وكل أمر أمر الله به فلا بدَّ أن يكون مشروطاً بالاستطاعة وقال قتادة قوله ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾ ناسخ لقوله ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾ وكأنه يذهب إلى أن فيه رخصة لحال التقية وما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقة وإن كانت القدرة حاصلة معه وقال غيره ليس هذا بناسخ وإنما هو مبيّن لإمكان العمل بهما جميعاً وهو الصحيح ﴿ **واسمعوا** ﴾ من الرسول ما يتلو عليكم وما يعظكم به ويأمركم وينهاكم ﴿ **وأطيعوا** ﴾ الله والرسول ﴿ **وانفقوا** ﴾ من أموالكم في حق الله ﴿ **خيراً لأنفسكم** ﴾ مثله فآمنوا خيراً لكم وانتهوا خيراً لكم وقد مضى ذكر ذلك وقال الزجاج معناه قدّموا خيراً لأنفسكم من أموالكم ﴿ **ومن يوق شحَّ نفسه** ﴾ حتى يعطي حق الله من ماله ﴿ **فأولئك هم المفلحون** ﴾ أي المنجحون الفائزون بثواب الله وقال الصادق (ع) من أدّى الزكاة فقد وقي شحَّ نفسه ﴿ **ان تقرضوا الله قرضاً حسناً** ﴾ قد مضى معناه واطلاق اسم القرض هنا تلطف في الاستدعاء إلى الإنفاق ﴿ **يضاعفه لكم** ﴾ أي يعطي بدله أضعاف ذلك من واحد إلى سبعمائة إلى مالا يتناهى فإن ثواب الصدقة يدوم ﴿ **ويغفر لكم** ﴾ ذنوبكم ﴿ **والله شكور** ﴾ أي مثيب مجاز على الشكر ﴿ **حليم** ﴾ لا يعاجل العباد بالعقوبة وهذا غاية الكرم ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ أي السر والعلانية وقيل المعدوم والموجود وقيل غير المحسوس والمحسوس ﴿ **العزيز** ﴾ القادر ﴿ **الحكيم** ﴾ العالم وقيل المحكم لأفعاله .

# (٦٥) سورة الطلاق مدنية وآياتها اثنتا عشرة

وتسمى سورة النساء القصرى قال ابن مسعود في حديث العدة من شاء باهلته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد قوله ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً** ﴾ وإنما أراد قوله ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ فإذا كانت حاملة فعدتها وضع الحمل وهي مدنية بالإجماع .

**[ عدد آيها ]**

إحدى عشرة آية بصري واثنتا عشرة آية في الباقين .

[ **اختلافها** ] ثلاث آيات يجعل له مخرجاً كوفي مكي والمدني الأخير واليوم الآخر شامي يا أولي الألباب المدني الأول .

[ **فضلها** ] أبي ابن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الطلاق مات على سنّة رسول الله ﷺ أبو بصير عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ سورة الطلاق والتحريم في فريضته أعاذه الله تعالى من أن يكون يوم القيامة ممن يخاف أو يحزن وعوفي من النار وادخله الله الجنة بتلاوته إياهما ومحافظته عليهما لأنهما للنبي ﷺ .

[ **تفسيرها** ] لما ختم الله سورة التغابن بذكر النساء والتحذير منهن افتتح هذه السورة بذكرهن وذكر أحكامهن وأحكام فراقهن فقال .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟

ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ
إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ
حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ
أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ ۖ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ
ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ
ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن
يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ
لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ
إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ
ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ
مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ
يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

[ القراءة ] قرأ حفص عن عاصم بالغ بغير تنوين أمره بالجر على الإضافة والباقون بالغ بالتنوين أمره بالنصب وفي الشواذ قراءة داود بن أبي هند أن الله بالغ بالتنوين أمره بالرفع وروي عن ابن عباس وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله وعلي بن الحسين ( ع ) وزيد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد فطلقوهن في قبل عدتهن .

[ الحجة ] قال أبو علي قوله بالغُ أَمْرَه على سيبلغ أمره فيما يريده فيكم فهذا هو الأصل

وهو حكاية حال ومن أضاف حذف التنوين استخفافاً والمعنى معنى ثبات التنوين مثل عارض ممطرنا وأما قوله في قبل عدتهن فإنه تفسير للقراءة المشهورة فطلقوهن لعدتهن أي عند عدتهن ومثله قوله ﴿ **لا يجليها لوقتها** ﴾ أي عند وقتها ومن قرأ بالغ أمره فالمعنى أمره بالغ ما يريده الله به وقد بلغ أمر الله ما أراده فالمفعول على ما رأيت محذوف .

[ **الاعراب** ] واللائي لم يحضن مبتدأ خبره محذوف لدلالة الكلام عليه فإذا جاز حذف الجملة بأسرها جاز حذف بعضها وقد جاء أيضاً في الصفة وإن قلَّ نحو قوله ﴿**واوتيت من كل شيء تقديره من كل شيء تؤتاه**﴾ .

[ **المعنى** ] نادى سبحانه نبيَّه فقال ﴿**يا أيها النبي** ﴾ ثم خاطب امته فقال ﴿**إذا طلقتم النساء**﴾ لأنه السيد المقدم فإذا نودي وخوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب عن الحسن وغيره وقيل ان تقديره يا ايها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء عن الجبائي فعلى هذا يكون النبي ﷺ خارجاً عن الحكم وعلى القول الأول حكمه حكم امته في امر الطلاق وعلى هذا انعقد الإجماع والمعنى إذا اردتم طلاق النساء مثل قوله سبحانه إذا قمتم الى الصلاة وقوله فإذا قرأت القرآن ﴿**فطلقوهن لعدتهن**﴾ أي لزمان عدتهن وذلك أن يطلّقها في طهر لم يجامعها فيه عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وابن سيرين وقتادة والضحاك والسدي فهذا هو الطلاق للعدة لأنها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فالمعنى فطلّقوهن لطهرهنّ الذي يحصينه من عدتهن ولا تطلقوهن لحيضهن الذي لا يعتددن به من قرئهن فعلى هذا يكون العدة الطهر على ما ذهب اليه اصحابنا وهو مذهب الشافعي وقيل ان المعنى قبل عدتهن اي في طهر لم يجامعها فيه العدة الحيض كما يقال توضأت للصلاة ولبست السلاح للحرب وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وقيل ان اللام للسبب فكأنه قال فطلقوهن ليعتددن ولا شبهة ان هذا الحكم للمدخول بها لأن المطلقة قبل المسيس لا عدة عليها وقد ورد به التنزيل في سورة الاحزاب وهو قوله فمالكم عليهن من عدة تعتدونها وظاهر الآية يقتضي انه إذا طلقها في الحيض أو في طهر قد جامعها فيه فلا يقع الطلاق لأن الأمر يقتضي الإيجاب وبه قال سعيد بن المسيب وذهبت اليه الشيعة الإمامية وقال باقي الفقهاء يقع الطلاق وان كان بدعة وخلاف المأمور به وكذلك ان جمع بين التطليقات الثلاث فإنها بدعة عند أبي حنيفة واصحابه وان كانت واقعة وعند المحققين من اصحابنا يقع واحدة عند حصول شرائط صحة الطلاق والطلاق في الشرع عبارة عن تخلية المرأة بحل عقدة من عقد النكاح وذلك ان يقول انت طالق يخاطبها أو يقول هذه طالق ويشير

اليها أو يقول فلانة بنت فلان طالق ولا يقع الطلاق عندنا إلا بهذا اللفظ لا بشيء من كنايات الطلاق سواء اراد بها الطلاق أو لم يرد بها وفي تفصيل ذلك اختلافات بين الفقهاء ليس هاهنا موضعه وقد يحصل الفراق بغير الطلاق كالارتداد واللعان كالخلع عند كثير من اصحابنا وان لم يسم ذلك طلاقاً ويحصل أيضاً بالفسخ للنكاح باشياء مخصوصة وبالرد بالعيب وإن لم يكن ذلك طلاقاً وروى البخاري ومسلم عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر انه طلق امرأته وهي حائض تطليقة واحدة فأمر رسول الله ﷺ ان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض عنده حيضة اخرى ثم يمهلها حتى تطهر من حيضها فإذا اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وروى البخاري عن سليمان بن حرب وروى مسلم عن عبد الرحمن بن بشر عن بهر وكلاهما عن شعبة عن انس بن سيرين قال سمعت ابن عمر يقول طلق ابن عمر امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلقها إن شاء وجاءت الرواية عن علي بن ابي طالب (ع) عن النبي ﷺ انه قال تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش وعن ثوبان رفعه الى النبي ﷺ فقال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة وعن أبي موسى الاشعري عن النبي ﷺ قال لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات[1] وعن انس عن النبي ﷺ انه قال ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إلا منافق هذه الأحاديث الأربعة منقولة عن تفسير الثعلبي ثم قال سبحانه ﴿واحصوا العدة﴾ اي عدوا الاقراء التي تعتدّ بها وقيل معناه عدّوا اوقات الطلاق لتطلقوا للعدة وإنما امر الله سبحانه بإحصاء العدة لأن لها فيها حقاً وهي النفقة والسكنى وللزوج فيها حقاً وهي المراجعة ومنعها عن الأزواج لحقه وثبوت نسب الولد فأمره تعالى بإحصائها ليعلم وقت المراجعة ووقت فوت المراجعة وتحريمها عليه ورفع النفقة والسكنى ولكيلا تطول العدة لاستحقاق زيادة النفقة أو تقصرها لطلب الزوج والعدة هي قعود المرأة عن الزوج حتى تنقضي المدة المرتبة في الشريعة وهي على ضروب فضرب يكون بالاقراء لمن تحيض وضرب يكون بالأشهر للصغيرة التي لم تبلغ المحيض ومثلها تحيض وهي التي بلغت تسع سنين وإذا كان سنّها اقل من ذلك فلا عدة عليها عند اكثر اصحابنا وقال بعضهم عدتها بالشهور وبه قال الفقهاء وكذلك الكبيرة الآيسة من المحيض ومثلها تحيض عدتها بالشهور وحدّه اصحابنا بأن

---

(١) قال الجزري: ومنه الحديث ان الله لا يحب الذواقين والذواقات يعني السربعى الطلاق «انتهى» قيل وتفسيره ان لا يطمئن ولا تطمئن كلما تزوج او تزوجت كرهاً ومدأ أعينهما إلى غيرهما .

يكون سنّها اقل من خمسين سنة ومن ستين سنة للقرشيات فإن كان سنها اكثر من ذلك فلا عدة عليها عند اكثر اصحابنا والمتوفى عنها زوجها عدتها بالشهور أيضاً والضرب الثالث من العدة يكون بوضع الحمل في الجميع الا في المتوفى عنها زوجها فإن عدتها عند اصحابنا أبعد الأجلين وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء ثم ان عدة الطلاق للحرة ثلاثة قروءا أو ثلاثة اشهرو لأمة قرءان أو شهر ونصف ووضع الحمل لا يختلف قال سبحانه ﴿**واتقوا الله ربكم**﴾ ولا تعصوه فيما أمركم به ﴿**ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن**﴾ هن أيضاً يعني في زمان العدة لا يجوز للزوج أن يخرج المطلقة المعتدة من مسكنه الذي كان يسكنها فيه قبل الطلاق وعلى المرأة أيضاً أن لا تخرج في عدتها إلا لضرورة ظاهرة فإن خرجت أَثِمَت ﴿**إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**﴾ أي ظاهرة ومن قرأ بفتح الياء فالمراد بفاحشة مظهرة اظهرتها واختلف في الفاحشة فقيل إنها الزنا فتخرج لإقامة الحد عليها عن الحسن ومجاهد والشعبي وابن زيد وقيل هي البذاء على اهلها فيحل لهم اخراجها عن ابن عباس وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) وروى علي بن اسباط عن أبي الحسن الرضا قال الفاحشة أن تؤذي اهل زوجها وتسبّهم وقيل هي النشوز فإن طلقها على نشوز فلها أن تتحوّل من بيت زوجها عن قتادة وقيل هي خروجها قبل انقضاء العدة عن ابن عمر وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال ان كل معصية لله تعالى ظاهرة فهي فاحشة ﴿**وتلك حدود الله**﴾ يعني ما ذكره سبحانه من احكام الطلاق وشروطه ﴿**ومن يتعد حدود الله**﴾ بأن يطلق على غير ما امر الله تعالى به ﴿**فقد ظلم نفسه**﴾ أي أثم فيما بينه وبين الله عز وجل وخرج عن الطاعة إلى المعصية وفعل ما يستحق به العقاب ﴿**لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امراً**﴾ أي بغير رأي الزوج في محبة الطلاق ويوقع في قلبه المحبة لرجعتها فيما بين الطلقة الواحدة والثانية وفيما بين الثانية والثالثة قال الضحاك والسدي وابن زيد لعل الله يحدث الرجعة في العدة وقال الزجاج وإذا طلقها ثلاثا في وقت واحد فلا معنى . له لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امراً وفي هذه الآية دلالة على ان الواجب في التطليق أن يوقع متفرقاً ولا يجوز الجمع بين الثلاث لأن الله تعالى اكّد قوله فطلقوهن لعدتهن بقوله واحصوا العدة ثم زاد في التأكيد بقوله واتقوا الله ربكم فيما حدّه الله لكم فلا تعتدوه ثم قرّر سبحانه حق الزوج في المراجعة بقوله لاتخرجوهن من بيوتهن فإن الزوجة إذا لم ترم بيتها تمكن الزوج من مراجعتها ثم دلّ بقوله وتلك حدود الله على ان من تعدّى حدود الله تعالى في الطلاق بطل حكمه وصار قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امراً تأكيداً لحدود الله في الطلاق واعلاماً بأن حق الرجعة لا ينقطع بجمع الطلاق فكأنه قال كونوا على رجاء الفائدة بالرجعة

فقد يحدث الله الرغبة بعد الطلاق فإن قـالوا قد أمر الله سبحانه في الآية بطلاق العدة فكيف تقدمون انتم طلاق السنة على طلاق العدة فالجواب ان طلاق السنة أيضاً طلاق العدة الا ان اصحـابنا رضي الله عنهم قـد اصطلحـوا على ان يسمّوا الـطلاق الذي لا يـزاد عليـه بعـد المراجعة طلاق السنة والطلاق الذي يزاد عليه بشرط المراجعة طلاق العدة ومما يعضـد ما ذكرته ما اشتهر من الأخبار في كتبهم ورواياتهم ونقل عن متقدميهم مثل زرارة بن اعين وبكير ابن اعين ومحمد بن مسلم وغيرهم فمن ذلك ما رواه يونس عن بكير بن اعين عن أبي جعفر (ع) قال الطلاق ان يطلق الرجل المرأة على طهر من غير جماع ويشهد رجلين عدلين على تطليقه ثم هو أحق برجعتها ما لم تمض ثلاثة قروء فهذا الطلاق الذي أمر الله به في القرآن وأمر به رسول الله ﷺ في سنة وكل طلاق لغير مدة فليس بطلاق وعن جرير قال سألت ابا عبد الله (ع) عن طلاق السنة فقال على طهر من غير جماع بشاهدي عدل ولا يجوز الطلاق إلا بشاهدين والعدة وهو قوله فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة الآية وروى الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن زرارة عن أبي جعفر (ع) انـه قال كـل طلاق لا يكـون على السنة واطلاق على العدة فليس بشيء قال زرارة قلت لأبي جعفر فسِّر لي طلاق السنة وطلاق العدة فقال اما طلاق السنة فهو إن الرجل إذا اراد ان يطلق امرأته فلينتظر بها حتى تطمث وتطهر فإذا خرجت من طمثها طلقها تطليقة من غير جماع ويشهد شاهدين عدلين على ذلك ثم يدعها حتى تمضي اقراؤها وقد بانت منه وكان خاطباً من الخطاب إن شات تزوجته وإن شاءت لم تتزوجه وعليه نفقتها والسكنى ما دامت في العدة وهما يتوارثان حتى تنقضي العدة واما طلاق العدة فإذا اراد الرجل ان يطلق امرأته طلاق العدة فلينتظر بها حتى تحيض وتخرج من حيضها ثم يطلقها تطليقة من غير جماع ويشهد شاهدين عدلين ويراجعها من يومه ذلك إن احب او بعد ذلك بأيام قبل ان تحيض ويشهد على رجعتها ويواقعهـا وتكون معـه حتى تحيض فإذا حاضت وخرجت من حيضها طلَّقها تطليقة اخرى من غير جماع ويشهد على ذلك ايضاً متى شاء قبل ان تحيض ويشهد على رجعتها ويواقعها وتكون معه حتى تحيض الحيضة الثالثة فإذا خرجت من حيضها طلَّقها الثالثة بغير جماع ويشهد على ذلك فإذا فعل ذلك فقد بانت منه ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره والروايات في هذا كثيرة عن ائمة الهدى (ع) فعلى هذا فإنه يتركها في طلاق السنة حتى تعتد ثلاثة قروء فإذا مضى ثلاثة قروء فإنها تبين منه بواحدة وإذا تزوجها بعد ذلك بمهر جديد كانت عنده على تطليقتين باقيتين فإن طلَّقها اخرى طلاق السنة وتركها حتى تمضي اقراؤها فلا يراجعها فقد بانت منه بإثنتين فإن تزوجها بعد ذلك وطلَّقها لم تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره ولو شاء أن يراجعها بعد الطلقة الأولى والثانية لكان ذلك اليه

فقد تبيَّن أن هذا الطلاق هو طلاق للعدة أيضاً الا أن الفرق بينهما ما ذكرناه ﴿**فإذا بلغن اجلهن**﴾ معناه فإذا قاربن أجلهن الذي هو الخروج من العدة ﴿**فأمسكوهن بمعروف**﴾ اي راجعوهن بما يجب لهن من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصحبة ﴿**أو فارقوهن بمعروف**﴾ بأن تتركوهن حتى يخرجن من العدة فتبين منكم ولا يجوز ان يكون المراد بقوله فإذا بلغن اجلهن إذا انقضى اجلهن لأن الزوج لا يملك الرجعة بعد انقضاء العدة بل هي تملك نفسها وتبين منه بواحدة ولها أن تتزوج من شاءت من الرجال ﴿**واشهدوا ذوي عدل منكم**﴾ قال المفسرون امروا أن يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة شاهدي عدل حتى لا تجحد المرأة المراجعة بعد انقضاء العدة ولا الرجل الطلاق وقيل معناه واشهدوا على الطلاق صيانة لدينكم وهو المروي عن أئمتنا (ع) وهذا اليق بالظاهر لأنا إذا حملناه على الطلاق كان امراً يقتضي الوجوب وهو من شرائط صحة الطلاق ومن قال ان ذلك راجع الى المراجعة حمله على الندب ﴿**واقيموا الشهادة لله**﴾ هذا خطاب للشهود اي اقيموها لوجه الله واقصدوا بأدائها التقرب الى الله لا الطلب لرضا المشهود له والإشفاق من المشهود عليه ﴿**ذلكم**﴾ الأمر بالحق يا معشر المكلفين ﴿**يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾ أي يؤمر به المؤمنون لينزجروا به عن الباطل وخصَّ المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا به فالطاعة الواجبة فيها وعظ بأن رغب فيها باستحقاق الثواب وفي تركها العقاب والمندوبة فيها وعظ باستحقاق المدح والثواب على فعلها والمعاصي فيها وعظ بالزجر عنها والتخويف من فعلها باستحقاق العقاب والترغيب في تركها بما يستحق على الإخلال بها من الثواب ﴿**ومن يتق الله**﴾ فيما امره به ونهاه عنه ﴿**يجعل له مخرجاً**﴾ من كل كرب في الدنيا والآخرة عن ابن عباس وروي عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال قرأ رسول الله ﷺ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة وعنه قال من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً وقيل معناه ومن يطلق للسنة يجعل الله له مخرجاً في الرجعة ﴿**ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ عن عكرمة والشعبي والضحاك وقيل انها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي اسر العدو ابنا له فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك وشكا اليه الفاقة فقال له اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو في بيته إذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب ابلا وجاء بها إلى ابيه فذلك قوله ويرزقه من حيث لا يحتسب وروي عن الصادق (ع) انه قال ويرزقه من حيث لا يحتسب أي يبارك له فيما أتاه وعن أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ قال إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم ومن يتق الله الآية فما زال يقولها ويعيدها ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ أي ومن يفوّض أمره إلى الله

ووثق بحسن تدبيره وتقديره فهو كافية يكفيه أمر دنياه ويعطيه ثواب الجنة ويجعله بحيث لا يحتاج إلى غيره وفي الحديث من سرَّه أن يكون اقوى الناس فليتوكل على الله **﴿ان الله بالغ أمره﴾** أي يبلغ ما أراد من قضاياه وتدابيره على ما أراده ولا يقدر أحد على منعه عما يريده وقيل معناه انه منفذ أمره فيمن يتوكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه **﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾** أي قدر الله لكل شيء مقداراً وأجلاً لا زيادة فيها ولا نقصان وقيل بيَّن لكل شيء مقداراً بحسب المصلحة في الإباحة والإيجاب والترغيب والترهيب كما بيَّن في الطلاق والعدة وغيرهما وقيل قد جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء وقتاً وغاية ومنتهى ينتهي إليه ثم بيَّن سبحانه اختلاف احكام العدة باختلاف احوال النساء فقال **﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم﴾** فلا يحضن **﴿إن ارتبتم﴾** فلا تدرون لكبر ارتفع حيضهن ام لعارض ثلاثة اشهر وهن اللواتي امثالهن يحضن لانهن لو كنَّ في سن من لا تحيض لم يكن للارتياب معنى وهذا هو المروي عن ائمتنا (ع) وقيل معناه إن شككتم فلم تدروا أدمهن دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة اشهر عن مجاهد والزهري وابن زيد وقيل معناه إن ارتبتم في حكمهن فلم تدروا ما الحكم فيهن **﴿واللائي لم يحضن﴾** تقديره واللآئي لم يحضن إن ارتبتم فعدتهن أيضاً ثلاثة اشهر وحذف لدلالة الكلام الأول عليه وهن اللواتي لم يبلغن المحيض ومثلهن تحيض على ما مرَّ بيانه **﴿واولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾** قال ابن عباس هي في المطلقات خاصة وهو المروي عن ائمتنا (ع) فأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً فعدتها ابعد الأجلين فإذا مضت بها اربعة اشهر وعشر ولم تضع انتظرت وضع الحمل وقال ابن مسعود وابي بن كعب وقتادة واكثر الفقهاء انه عام في المطلقات والمتوفى عنها زوجها فعدتهن وضع الحمل فإن كانت المرأة حاملاً باثنين ووضعت واحد لم تحل للازواج حتى تضع جميع الحمل لقوله ان يضعن حملهن وروى اصحابنا انها إذا وضعت واحداً انقطعت عصمتها من الزوج ولا يجوز لها ان تعقد على نفسها لغيره حتى تضع الآخر فأما إذا كانت قد توفيّ عنها زوجها فوضعت قبل الأشهر الأربعة والعشر وجب عليها ان تستوفي اربعة اشهر وعشراً **﴿ومن يتق الله﴾** في جميع ما أمره بطاعته فيه **﴿يجعل له من أمره يسراً﴾** اي يسهل عليه أمور الدنيا والآخرة إما بفرج عاجل أو عوض آجل وقيل يسهل عليه فراق اهله ويزيل الهموم عن قلبه **﴿ذلك﴾** يعني ما ذكره سبحانه من الاحكام في الطلاق والرجعة والعدة **﴿أمر الله انزله اليكم ومن يتق الله﴾** بطاعته **﴿يكفر عنه سيئاته﴾** من الصلاة إلى الصلاة ومن الجمعة إلى الجمعة قال الربيع إن الله قد قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن أقرضه جازاه ومن وثق به انجاه ومن دعاه اجابه ولبّاه وتصديق ذلك

في كتاب الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه **﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب﴾** الآية **﴿ويعظم له أجراً﴾** في الآخرة وهو ثواب الجنة.

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ
حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ
وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ
أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن
تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ
وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا
عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا
خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ روح عن يعقوب مختلفاً عنه من وِجدكم بكسر الواو والقراءة بضم الواو وقرأ ابن كثير وكائن بالمد والهمز والباقون وكأين بالهمز والتشديد .

[ **الحجة** ] يقال وجدت في المال جِدَّةً ووَجْدا ووِجْدا ووُجْدا بتعاقب الحركات الثلاث على الواو ووجدت الضالة وِجْدانا ووجدت من الحزن وَجْدا ومن الغضب موجدة ووجدانا وكأين اصله أَيٌّ دخلت عليها الكاف الجارة كما دخلت على ذا في كذا فموضع كأين رفع

بالابتداء كما ان كذا كذلك ولا موضع للكاف كما ان الكاف في كذا كذلك قال ابو علي مثقل هذا في انه دخل على المبتدأ حرف الجر فصار مع المجرور في موضع رفع قولهم بحسبك أن تفعل كذا يريدون حسبك فعل كذا فالجار مع المجرور في موضع رفع وانشد ابو زيد :

بِحَسْبِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِم غَنِيٌّ مُضَر

واكثر العرب تستعملها مع من وكذلك ما جاء في التنزيل ومما جاء منه في الشعر قوله :

وَكَائِنْ بِالأَبَاطِحِ مِنْ صَدِيقٍ يَرَانِي إِنْ أُصِبْتُ هُوَ الْمُصَابَا(١)

وقول الآخر :

وَكَائِنْ إِلَيْكُمْ قَادَ مِنْ رَأْسِ فِتْنَةٍ جُنُوداً وَأَمْثَالُ الْجِبَالِ كَتَائِبُهْ(٢)

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه حال المطلقة في النفقة والسكنى فقال ﴿اسكنوهن﴾ اي في بيوتكم ﴿من حيث سكنتم﴾ من المساكن ﴿من وجدكم﴾ أي من ملككم وما تقدرون عليه عن السدي وابي مسلم وقيل هو من الوجدان أي مما تجدونه من المساكن عن الحسن والجبائي وقيل من سعتكم وطاقتكم من الوجد الذي هو المقدرة قال الفراء يعول على ما يجد فإن كان موسعاً وسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيراً فعلى قدر ذلك ويجب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية بلا خلاف فأما المبتوتة ففيها خلاف فذهب اهل العراق إلى أن لها السكنى والنفقة معاً وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وذهب الشافعي إلى أن لها السكنى بلا نفقة وذهب الحسن وأبو ثور إلى أنه لا سكنى لها ولا نفقة وهو المرويّ عن ائمة الهدى ( ع ) وذهب اليه اصحابنا ويدل عليه ما رواه الشعبي قال دخلت على فاطمة بنت قيس بالمدينة فسألتها عن قضاء رسول الله ﷺ فقالت طلقّني زوجي البتة فخاصمته إلى رسول الله ﷺ في السكنى والنفقة فلم يجعل لي سكنى ولا نفقة وأمرني ان اعتدّ في بيت ابن أم مكتوم وروى الزهري عن عبد الله ان فاطمة بنت قيس كانت تحت ابي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي وانه خرج مع علي بن ابي طالب ( ع ) إلى اليمن حين أمَّره رسول الله ﷺ

(١) قائله جرير والاباطح جمع الابطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى واصبت اي وقعت في المصيبة المصاب ايضاً من المصيبة اي يرى مصيبتي مصيبته .

(٢) الكتائب جمع الكتيبة : القطعة من الجيش .

على اليمن فأرسل إلى امرأته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت لها من طلاقها فأمر عياش ابن أبي ربيعة والحرث بن هشام ان ينفقا عليها فقالا والله مالك من نفقة فأتت النبي ﷺ فذكرت له قولهما فلم يجعل لها نفقة إلا ان تكون حاملاً فاستأذنته في الانتقال فأذن لها فقالت أنى انتقل يا رسول الله قال عند ابن أم مكتوم وكان اعمى تضع ثيابها عنده ولا يراها فلم تزل هناك حتى مضت عدتها فأنكحها النبي ﷺ اسامة بن زيد قال فأرسل اليها مروان بن الحكم قبيصة بن ذؤيب فسألها عن هذا الحديث ثم قال مروان لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة وسنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان بيني وبينكم القرآن قال الله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن إلى قوله لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً قالت هذا لمن كانت له مراجعة وايّ أمر يحدث بعد الثلاث ثم قال سبحانه **﴿ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن﴾** أي لا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير في السكنى والنفقة والكسوة طالبين بالإضرار التضييق عليهن ليخرجن وقيل المعنى اعطوهن من المسكن ما يكفيهن لجلوسهن ومبيتهن وطهارتهن ولا تضايقوهن حتى يتعذر عليهن السكنى عن أبي مسلم **﴿وإن كن أولات حمل﴾** أي كن حوامل **﴿فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾**، لأن عدتهن إنما تنقضي بوضع حملهن أمر الله سبحانه بالإنفاق على المطلقة الحامل سواء كانت رجعية أو مبتوتة **﴿فإن ارضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾** أي فإن ارضعن الولد لأجلكم بعد البينونة فأعطوهن أجر الرضاع يعني أجرة المثل **﴿وأتمروا بينكم بمعروف﴾** هذا خطاب للرجل والمرأة والائتمار قبول الأمر وملاقاته بالتقبل أمر الله تعالى المرضعة والمرضع له بالتلقي لأمره عز وجل ولأمر صاحبه إذا كان حسناً وقيل معناه وليأمر بعضكم بعضاً بالجميل في ارضاع الوالد اي بتراضي الوالد والوالدة بعد وقوع الفرقة في الأجرة على الأب وارضاع الولد بحيث لا يضرّ بمال الوالد ولا بنفس الولد ولا يزاد على الأجر المتعارف ولا ينقص الولد عن الرضاع المعتاد قال الكسائي اصله التشاور ومنه يأتمرون بك اي يتشاورون والأقوى عندي أن يكون المعنى دّبروا باا معروف بينكم في أمر الولد ومراعاة امه حتى لا يفوت الولد شفقتها وغير ذلك ويدل عليه قول امرىء القيس .

أَحَارِ بْنَ عَمْرٍو كَأَنِّي خَمِرْ وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ[1]

يعني ما يدبّره في نفسه لأن الرجل بما دبِّر أمراً ليس برشد فيعدو عليه ويهلكه **﴿وان تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾** والمعنى فإن اختلفتم في الرضاع وفي الأجر فسترضع له امرأة

(١) خمير: من خالطه داء أو حبّ. وفي قائل الشعر ومعناه خلاف ذكره في اللسان في مادة «أمر» فراجع.

أخرى اجنبية أي فليسترضع الوالد غير والدة الصبي ثم قال سبحانه **﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾** أمر سبحانه أهل التوسعة ان يوسعوا على نسائهم المرضعات أولادهن على قدر سعتهم **﴿ومن قدر عليه﴾** أي ضيق عليه **﴿رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾** والمعنى ومن كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك وعلى حسب امكانه وطاقته **﴿لا يكلف الله نفساً الا ما أتاها﴾** أي الا بقدر ما اعطاها من الطاقة وفي هذا دلالة على انه سبحانه لا يكلّف احداً ما لا يقدر عليه وما لا يطيقه **﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾** أي بعد ضيق سعة وبعد فقر غنى وبعد صعوبة الأمر سهولة وفي هذا تسلية للصحابة فإن الغالب على أكثرهم في ذلك الوقت الفقر ثم فتح الله تعالى عليهم البلاد فيما بعد **﴿وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله﴾** أي وكم من أهل قرية عتوا على الله وعلى انبيائه يعني جاوزوا الحدَّ في العصيان والمخالفة **﴿فحاسبناها حساباً شديداً﴾** بالمناقشة والاستقصاء باستيفاء الحق وايفائه قال مقاتل حاسبها الله تعالى بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب وهو قوله **﴿وعذّبناها عذاباً نكراً﴾** فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة وهو عذاب الاستئصال وقيل هو عذاب النار فإن اللفظ ماض بمعنى المستقبل والنكر المنكر الفظيع الذي لم ير مثله وقيل ان في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره فعذّبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر المصائب والبلايا وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً وقيل الحساب الشديد هو الذي ليس فيه عفو **﴿فذاقت وبال امرها﴾** أي ثقل عاقبة كفرها **﴿وكان عاقبة امرها خسرا﴾** أي خسرانا في الدنيا والآخرة وهو قوله **﴿أعدَّ الله لهم عذاباً شديداً﴾** يعني عذاب النار وهذا يدلُّ على ان المراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا ثم قال **﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب﴾** أي يا اصحاب العقول ولا تفعلوا مثل ما فعل اولئك فينزل بكم مثل ما نزل بهم ثم وصف اولي الألباب بقوله **﴿والذين آمنوا﴾** وخصَّ المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك دون الكفار ثم ابتدأ سبحانه فقال **﴿قد انزل الله اليكم ذكراً﴾** يعني القرآن وقيل يعني الرسول عن الحسن وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع).

[ **النظم** ] الوجه في اتصال قوله وكأين من قرية عتت عن أمر ربها الآية بما قبله انه سبحانه بيَّن ان الخوف في مقابلة الرجاء وسبيل العاقل أن يحترز من المخوف ويقدم الاحتراز عن الخوف على الرجاء والذي يقوي جانب الخوف انه اهلك الامم الماضية بسبب عصيانها وتمردّها عن أمر ربها .

﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ

ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل المدينة والشام ندخله بالنون والباقون بالياء لتقدم الاسم على لفظ الغيبة والنون معناها معنى الياء .

[ **الاعراب** ] رسولاً ينتصب على ثلاثة اوجه (احدها) ان يكون بدلاً من ذكراً بدل الكل من الكل فعلى هذا يجوز أن يكون الرسول جبرائيل (ع ) ويجوز ان يكون محمداً ﷺ (والثاني) أن يكون مفعول فعل محذوف تقديره ارسل رسولاً ويدل على اضماره قوله قد انزل الله اليكم ذكراً فعلى هذا يكون الرسول معناه محمداً ﷺ (والثالث) ان يكون مفعول قوله ذكراً ويكون تقديره انزل الله اليكم ان ذكر رسولاً ويكون الرسول يحتمل الوجهين .

[ **المعنى** ] ﴿**رسولاً**﴾ إذا كان المراد به الوجه الأول وهو ان يكون بدلاً من ذكراً والمراد به النبي ﷺ أو جبرائيل (ع ) فيجوز أن يكون المراد بالذكر الشرف أي ذا ذكر رسولاً ﴿**يتلوا عليكم آيات الله مبينات**﴾ أي واضحات ﴿**ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات**﴾ أي من ظلمات الكفر ﴿**إلى النور**﴾ أي نور الإيمان وقيل من ظلمات الجهل إلى نور العلم وإنما شبَّه الإيمان بالنور لأنه يؤدّي الى نور القبر والقيامة والجنة وشبَّه الكفر بالظلمة لأنه يؤيّ إلى ظلمة القبر وظلمة جهنم ﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ابداً قد احسن الله له رزقاً**﴾ أي يعطيه احسن ما يعطي احداً وذلك مبالغة في وصف نعيم الجنة ﴿**الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن**﴾ أي وخلق من الأرض مثلهن في العدد لا في الكيفية لأن كيفية السماء مخالفة لكيفية الأرض وليس في القرآن آية تدل على ان الأرضين سبع مثل السماوات إلا هذه الآية ولا خلاف في السماوات انها سماء فوق سماء واما الأرضون فقال قوم انها سبع ارضين طباقاً بعضها فوق بعض كالسماوات لأنها لو كانت مصمتة لكانت ارضاً واحدة وفي كل ارض خلق خلقهم الله

كما شاء وروى ابو صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين ليس بعضها فوق بعض يفرق بينهن البحار ويظل جميعهن السماء والله سبحانه اعلم بصحة ما استأثر بعلمه واشتبه على خلقه وقد روى العياشي بإسناده عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن (ع ) قال بسط كفه ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا عليها قبة والأرض والثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة حتى ذكر الرابعة والخامسة والسادسة فقال والأرض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن فوق السماء السابعة وهو قوله سبع سماوات ومن الأرض مثلهن **﴿يتنزل الأمر بينهن﴾** وإنما صاحب الأمر النبي ﷺ وهو على وجه الأرض وإنما يتنزل الأمر من فوق بين السماوات والأرضين فعلى هذا يكون المعنى تتنزل الملائكة بأوامره إلى الأنبياء وقيل معناه يتنزل الأمر بين السماوات والأرضين من الله سبحانه بحياة بعض وموت بعض وسلامة حي وهلاك آخر وغنى انسان وفقر آخر وتصريف الامور على الحكمة **﴿لتعلموا ان الله على كل شيء قدير﴾** بالتدبير في خلق السماوات والأرض والاستدلال بذلك على ان صانعهما قادر لذاته عالم لذاته وذلك قوله **﴿وان الله قد احاط بكل شيء علماً﴾** ومعناه ان معلوماته متميزة له بمنزلة ما قد احاط به فلم يفته شيء منها وكذلك قوله ولا يحيطون به علماً معناه أنه ليس بمنزلة ما يحضره العلم بمكانه فيكون كأنه قد أحاط به .

# (٦٦) سُورَةُ التَّحْرِيمِ مَدَنِيَّة وَآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

مدنية اثنتا عشرة آية بالإجماع .

[ **فضلها** ] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأسورة ﴿**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك**﴾ اعطاه الله توبة نصوحاً .

[ **تفسيرها** ] لمّا تقدَّم في تلك السورة احكام النساء في الطلاق وغيره افتتح سبحانه هذه السورة باحكامهن ايضاً فقال .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ
مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ
أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ
وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ
نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ
قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ الكسائي وحده عرف بالتخفيف والباقون عرف بالتشديد واختار التخفيف أبو بكر بن عياش وهو من الحروف العشر التي قال اني ادخلتها في قراءة عاصم من قراءة علي إبن ابي طالب ( ع ) حتى استخلصت قراءته يعني قراءة علي ( ع ) وهي قراءة الحسن وابي عبد الرحمن السلمي وكان أبو عبد الرحمن إذا قرأ انسان بالتشديد حصبه وقرأ اهل الكوفة تظاهرا عليه خفيفة الظاء والباقون تظاهراً بالتشديد .

[ **الحجة** ] قال أبو علي التخفيف في عرف انه جازي عليه لا يكون إلا كذلك ولا يجوز أن يكون بمعنى العلم لأن النبي ﷺ إذا اظهره الله على ما كان اسرَّه اليه علم ذلك ولم يجز أن يعلم من ذلك بعضه مع اظهار الله اياه عليه ولكن يعلم جميعه وهذا كما تقول لمن يسيء او يحسن انا اعرف لأهل(١) الإساءة أي لا يخفى عليّ ذلك ولا مقابلته مما يكون وفقاً له فالمعنى جازى على بعض ذلك واعرض عن بعض ومثله وما تفعلوا من خير يعلمه الله فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره أي يرى جزاءه وقوله يرى من رؤية العين وكان مما جازى عليه : تطليقه حفصة تطليقة واحدة واما عرَّف بالتشديد فمعناه عرف بعضه واعرض عن بعض فلم يعرفه اياه على وجه التكرم والإغضاء واما تظاهرا فالأصل فيه وان تتظاهرا بتائين فخفّف في القراءة الأولى بالحذف وفي القراءة الآخرة بالإدغام .

[ **اللغة** ] الحرام القبيح الممنوع منه بالنهي ونقيضه الحلال وهو الحسن المطلق بالإذن فيه والتحريم تبيين أن الشيء حرام لا يجوز والتحريم ايجاب المنع والابتغاء الطلب ومنه البغي طلب الاستعلاء بغير الحق والتحلة والتحليل بمعنى وهما مصدران لقولهم حللت له كذا وتحلة اليمين فعل ما يسقط التبعة فيه واليمين واحد الأيمان وهو الحلف وكأنه مأخوذ من القوة لأنه يقوّي كلامه بالحلف وقيل انه مأخوذ من الجارحة لأن عادتهم كانت عند الحلف ضرب الأيدي على الأيدي والإسرار القاء المعنى الى نفس المحدث على وجه الإخفاء عن غيره والتظاهر التعاون والظهير المعين واصله من الظهر والسائح الجاري والعرب تصف

(١) [ الاحسان واعرف لاهل ].

بذلك الماء الجاري الدائم الجرية ثم تصف به الرجل الذي يضرب في الأرض ويقطع البلاد فتقول سائح وسياح والثيب الراجعة من عند الزوج بعد الافتضاض من ثاب يثوب إذا رجع والبكر هي التي على أول حالها قبل الافتضاض .

[ **الاعراب** ] قيل في جمع القلوب في قوله صغت قلوبكما وجوه (أحدها) أن التثنية جمع في المعنى فوضع الجمع موضع التثنية كما قال وكنا لحكمهم شاهدين وإنما هو داود وسليمان (والثاني) أن اكثر ما في الإنسان اثنان اثنان نحو اليدين والرجلين والعينين وإذا جمع اثنان الى اثنين صار جمعاً فيقال أيديهما واعينهما ثم حمل ما كان في الانسان واحداً على ذلك لئلا يختلف حكم لفظ اعضاء الانسان (والثالث) ان المضاف اليه مثنى فكرهوا ان يجمعوا بين تثنيتين فصرفوا الأول منهما إلى لفظ الجمع لأن لفظ الجمع اخف لأنه اشبه بالواحد فإنه يعرب بإعراب الواحد ويستأنف كما يستأنف الواحد وليست التثنية كذلك لأنها لا تكون إلا على حد واحد ولا يختلف ومن العرب من يثني فيقول قلباهما قال الراجز فجمع بين اللغتين «ظَهْراهُما مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنِ»[١] وقال الفرزدق .

بِمَا فِي فُؤادَيْنا مِنَ الْبَثِّ وَالْهَوىٰ فَيَبْرَءُ مُنْهاضُ الْفُؤادِ الْمُشَغَّفُ[٢]

ومن العرب من يفرد ويروى ان بعضهم قرأ قبدت لهما سَوْاَتَهما والوجه في الإفراد أن الإضافة إلى التثنية تغني عن تثنية المضاف وفي جبريل اربع لغات جبريل على وزن قنديل وجبرئيل على وزن عنديل وجبرل على وزن حجمرش وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وهو خارج عن اوزان العرب لأنه ليس في العربية مثل قنديل وقد قرىء بذلك كله وقد ذكرنا اختلاف القراءة فيه في سورة البقرة ومن العرب من يقول جبرال بتشديد اللام ومنهم من يبدل من اللام نوناً وقوله هو مولاه يجوز في هو وجهان (أحدهما) أن يكون فصلاً دخل ليفصّل بين النعت والخبر والكوفيون يسمونه عماداً (والثاني) أن يكون مبتدأ ومولاه الخبر والجملة خبر إن ومن جعل مولاه بمعنى السيد والخالق كان الوقف على قوله مولاه وجبريل مبتدأ وصالح المؤمنين عطف عليه والملائكة عطف ايضاً وظهير خبره وجاز ذلك لأن

---

(١) نسبه في اللسان والكتاب وشرح الاشموني الى خطام المجاشعي . وقيل هو لهميان بن قحافة . وهذا عجز بيت قبله «ومهمهين قذفين مرتين» ومهمه ـ كجعفر ـ. الصحراء المقفرة سموها بذلك على تقدير ان سالكها لخوفه منها يقول لمن معه : مه، مه، يريد كف عن الكلام . والقذف: الارض الواسعة جداً . والمرت: الأرض لا نبات فيها ولا ماء . شبه ظهر الأرض بظهر الترس في الاحديداب لتأكيد انها لا تنبت شيئاً .

(٢) قوله : «منهاض» من هاض العظم : كسره بعد الجبر . والمشغف؛ الذي وصل الحزن شغافه اي سويداء قلبه .

فعيلاً يقع على الواحد والجمع كفعول قال سبحانه خلصوا نجيا فظهير كنجي وقال فإنهم عدولي ومن جعل مولاه بمعنى ولي وناصر جاز أن يكون الوقف على قوله وجبريل وعلى صالح المؤمنين ويبتدىء والملائكة بعد ذلك فيكون ظهير عائداً إلى الملائكة .

[ النزول ] اختلف اقوال المفسرين في سبب نزول الآيات فقيل ان رسول الله ﷺ كان إذا صلى الغداة يدخل على ازواجه امرأة امرأة وكان قد اهديت لحفصة بنت عمر بن الخطاب عكة من عسل[1] فكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ حبسته وسقته منها وان عائشة انكرت احتباسه عندها فقالت لجويرية حبشية عندها إذا دخل رسول الله ﷺ على حفصة فادخلي عليها فانظري ماذا تصنع فاخبرتها الخبر وشأن العسل فغارت عائشة وارسلت إلى صواحبها فاخبرتهن وقالت إذا دخل عليكن رسول الله ﷺ فقلن انا نجد منك ريح المغافير وهو صمغ العرفط كريه الرائحة وكان رسول الله ﷺ يكره ويشق عليه أن يوجد منه ريح غير طيبة لأنه يأتيه الملك قال فدخل رسول الله على سودة قالت فما اردت ان أقول ذلك لرسول الله ﷺ ثم اني فرقت من عائشة فقلت يا رسول الله ما هذه الريح التي اجدها منك اكلت المغافير فقال لا ولكن حفصة سقتني عسلاً ثم دخل على امرأة امرأة وهنَّ يقلن له ذلك فدخل على عائشة فأخذت بأنفها فقال لها ما شأنك قالت اجد ريح المغافير اكلتها يا رسول الله قال لا بل سقتني حفصة عسلاً فقالت جرست[2] إذاً نحلُها العرفطَ فقال والله لا اطعمه ابداً فحرَّمه على نفسه وقيل ان التي كانت تسقي رسول الله ﷺ العسل ام سلمة عن عطاء بن أبي مسلم وقيل بل كانت زينب بنت جحش قال عائشة ان رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً فتواطأت انا وحفصة أيَّتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل اني أجد منك ريح المغافير اكلت مغافير فدخل على أحداهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن اعود اليه فنزلت الآيات وقيل ان رسول الله ﷺ. قسم الأيام بين نسائه فلما كان يوم حفصة قالت يا رسول الله ان لي إلى أبي حاجة فأذن لي ان ازوره فأذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله ﷺ إلى جاريته مارية القبطية وكان قد اهداها له المقوقس فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقاً فجلست عند الباب فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقاً فقالت حفصة إنما أذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما ما رأيت لي حرمة وحقاً ؟ فقال ﷺ اليس هي جاريتي قد احلَّ الله ذلك لي اسكتي فهو حرام عليَّ التمس بذلك رضاك

(١) العكة : وعاء اصغر من القربة .

(٢) جرس الشيء لحسه بلسانه .

فلا تخبري بهذا امرأة منهن وهو عندك امانة فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشّرك ان رسول الله قد حرَّم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواجه فنزلت يا ايها النبي لم تحرّم فطلّق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوماً وقعد في مشربة ام إبراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير عن قتادة والشعبي ومسروق وقيل إن النبي ﷺ خلافي يوم لعائشة مع جاريته أم إبراهيم مارية القبطية فوقفت حفصة على ذلك فقال لها رسول الله ﷺ لا تعلمي عائشة ذلك وحرَّم مارية على نفسه فاعلمت حفصة عائشة الخبر واستكتمتها اياه فأطّلع الله نبيه ﷺ على ذلك وهو قوله وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً يعني حفصة عن الزجاج قال ولما حرَّم مارية القبطية اخبر حفصة انه يملك من بعده ابو بكر ثم عمر فعرفها بعض ما افشت من الخبر واعرض عن بعض ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي وقريب من ذلك ما رواه العياشي بالإسناد عن عبد الله بن عطاء المكي عن ابي جعفر ( ع ) إلا انه زاد في ذلك ان كل واحدة منهما حدثت اباها بذلك فعاتبهما رسول الله في أمر مارية وما افشتا عليه من ذلك واعرض عن ان يعاتبهما في الأمر الآخر .

[ المعنى ] ﴿يا أيها النبي﴾ ناداه سبحانه بهذا النداء تشريفاً له وتعليماً لعباده كيف يخاطبونه في اثناء محاوراتهم ويذكرونه في خلال كلامهم ﴿لم تحرّم ما احلَّ الله لك﴾ من الملاذ ﴿تبتغي مرضات ازواجك﴾ اي تطلب به رضاء نسائك وهن احق بطلب مرضاتك منك وليس في هذا دلالة على وقوع ذنب منه صغيراً أو كبير لأن تحريم الرجل بعض نسائه أو بعض الملاذ لسبب أو لغير سبب ليس بقبيح ولا داخلاً في جملة الذنوب ولا يمتنع ان يكون خرج هذا القول مخرج التوجع له ﷺ إذا بالغ في ارضاء ازواجه وتحمل في ذلك المشقة ولو ان انساناً ارضى بعض نسائه بتطليق بعضهن لجاز ان يقال له لم فعلت ذلك وتحملت فيه المشقة وان كان لم يفعل قبيحاً ولو قلنا انه عوتب على ذلك لأن ترك التحريم كان افضل من فعله لم يمتنع لأنه يحسن ان يقال لتارك النفل لِمَ لم تفعله ولم عدلت عنه ولأن تطييب قلوب النساء مما لا تنكره العقول وقد حكي ان عبد الله بن رواحة وكان من النقباء كانت له جارية فاتهمته زوجته ليلة فقال قولاً بالتعريض فقالت ان كنت لم تقربها فاقرأ القرآن قال فأنشدت .

شَهِدْتُ فَلَمْ أَكْذِبْ بِأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مِنْ عَلُ
وَأَنَّ أَبَا يَحْيىٰ وَيَحْيىٰ كِلاهُمَا لَهُ عَمَلٌ فِي دِينِهِ مُتَقَبَّلُ

وَأَنَّ الَّتِي بِالْجِزْعِ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ ... وَمَنْ دَانَها فِلٌّ عَنِ الْخَيْرِ مَعْزِلُ(١)

فقالت زدني فأنشدت :

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ نَتْلُو كِتَابَهُ ... كَمَا لَاحَ مَعْرُوفٌ مَعَ الصُّبْحِ سَاطِعُ
أَتَى بِالْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَنُفُوسُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا رَقَدَتْ بِالْكَافِرِينَ الْمَضَاجِعُ

فقالت زدني فانشدت :

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ... وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَا
وَأَنَّ مُحَمَّداً يَدْعُو بِحَقٍّ ... وَأَنَّ اللهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَا

فقالت أما إذا قرأت القرآن فقد صدقتك(٢) فأخبرت به رسول الله ﷺ فقال بعد أن تبسم خيركم خيركم لنسائه واختلف العلماء فيمن قال لامرأته أنت عليَّ حرام فقال مالك هو ثلاث تطليقات وقال أبو حنيفة إن نوى به الظهار فهو ظهار وإن نوى الإيلاء فهو إيلاء وإن نوى الطلاق فهو طلاق بائن وإن نوى ثلاثاً كان ثلاثاً وإن نوى اثنتين فواحدة بائنة وإن لم يكن له نية فهو يمين قال الشافعي إن نوى الطلاق كان طلاقاً والظهار كان ظهاراً وإن لم يكن له نية فهو يمين وروي عن ابن مسعود وابن عباس وعطاء أنه يمين وقال أصحابنا أنه لا يلزم به شيء ووجوده كعدمه وهو قول مسروق وإنما أوجب الله فيه الكفارة لأن النبي ﷺ كان حلف أن لا يقرب جاريته ولا يشرب الشراب المذكور فأوجب الله عليه أن يكفّر عن يمينه ويعود إلى استباحة ما كان حرَّمه وبيَّن أن التحريم لا يحصل إلا بأمر الله ونهيه ولا يصير الشيء حراماً بتحريم من يحرّمه على نفسه إلا إذا حلف على تركه ﴿ **والله غفور** ﴾ لعباده ﴿ **رحيم** ﴾ بهم إذا رجعوا إلى ما هو الأولى والأليق بالتقوى يرجع لهم إلى التولي ﴿ **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم** ﴾ أي قد قدر الله تعالى لكم ما تحلّلون به إيمانكم إذا فعلتموها وشرع لكم الحنث فيها لأن اليمين ينحلُّ بالحنث فسمّي ذلك تحلة وقيل معناه قد بيَّن الله لكم كفارة أيمانكم في سورة المائدة عن مقاتل قال أمر الله نبيَّه أن يكفر يمينه ويراجع وليدته فأعتق رقبة وعاد إلى

---

(١) يصف العزى وهي شجرة كانت تعبد. وقوله «فل عن الخير» ـ بالفاء ـ أي حال عنه، ويروى «ومن دونها» عوض «ومن دانها» والمراد الصنم المنصوب حول العزى.

(٢) كانت زوجته تعتقد بأن الجنب لم يقرء القرآن، وزعمت أن الأشعار من آيات القرآن؛ فلما أرت أنه يقرأ القرآن ـ بزعمها ـ تيقنت بأنه لم يجامع جاريته؛ وتخلص عبد الله بن رواحة من يدها بهذه الحيلة.

مارية وقيل معناه فرض الله عليكم كفارة أيمانكم كما قال وإن أسأتم فلها أي فعليها فسمى الكفارة تحلة لأنها تجب عند انحلال اليمين وفي هذا دلالة على أنـه قد حلف ولم يقتصـر على قوله هي عليَّ حرام لأن هذا القول ليس بيمين ﴿ والله ﴾ هو ﴿ مـوليكم ﴾ أي وليّكم يحفـظكم وينصركم وهـو أولى بكم وأولى بأن تبتغـوا رضاه ﴿ وهـو العليم ﴾ بمصـالحكم ﴿ الحكيم ﴾ في أوامره ونواهيه لكم وقيل هو العليم بما قـالت حفصة لعـائشة الحكيم في تدبيره ﴿ وإذ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه ﴾ وهي حفصة ﴿ حديثاً ﴾ أي كلاماً أمرها بإخفائه فالإسرار نقيض الإعلان ﴿ فلما نبأت ﴾ أي أخبرت غيرها بما خبرها ﴿ به ﴾ فـأفشت سرَّه ﴿ وأظهره الله عليه ﴾ أي واطّلع الله نبيَّه ﷺ على ما جـرى من افشاء سـرَّه ﴿ عرف بعضـه وأعرض عن بعض ﴾ أي عرف النبي ﷺ حفصة بعض ما ذكرت وأخبرها ببعض ما ذكـرت وأعرض عن بعض ما ذكرت وعن بعض ما جـرى من الأمر فلم يخبـرها وكـان ﷺ قد علم جميع ذلك لأن الإعراض إنما يكون بعد المعرفة لكنه أخذ بمكـارم الأخلاق والتغـافل من خلق الكرام قال الحسن مـا استقصى كريم قط وأمـا عرف بـالتخفيف فمعناه غضب عليهـا وجازاها بأن طلَّقها تطليقة ثم راجعها بأمر الله وقيل جازاها بأن هَمَّ بطلاقها ﴿ فلما نبأها به ﴾ أي فلما أخبر رسول الله ﷺ حفصة بما أظهره الله عليه ﴿ قالت ﴾ حفصة ﴿ من أنبأك هذا ﴾ أي من أخبرك بهذا ﴿ قـال ﴾ رسول الله ﷺ ﴿ نبـأني العليم ﴾ بجميع الأمـور ﴿ الخبير ﴾ بسرائر الصدور ثم خاطب سبحانه عائشة وحفصة فقال ﴿ إن تتوبا إلى الله ﴾ من التعاون على النبي ﷺ بالإيذاء والتظاهر عليه فقد حق عليكمـا التوبـة ووجب عليكم الرجـوع إلى الحق ﴿ فقد صغت ﴾ أي مالت ﴿ قلوبكما ﴾ إلى الإثم عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ضاقت قلوبكما عن سبيل الاستقامة وعدلت عن الثواب إلى ما يوجب الإثم وقيل تقديره إن تتوبا إلى الله يقبل توبتكما وقيل انه شرط في معنى الأمر أي توبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴿ وإن تظاهرا عليه ﴾ أي وإن تتعاونـا على النبي ﷺ بالإيـذاء عن ابن عباس قـال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ قال عائشة وحفصة أورده البخـاري في الصحيح ﴿ فإن الله هو مولاه ﴾ الذي يتولى حفظه وحياطته ونصرته ﴿ وجبريل ﴾ أيضاً معين له وناصر يحفظه ﴿ وصالح المؤمنين ﴾ يعني خيار المؤمنين عن الضحاك وقيـل يعني الأنبياء عن قتادة وقال الزجاج صالح هنا ينوب عن الجميع كما تقول يفعـل هذا الخيـر من الناس تريد كل خيـر قال أبـو مسلم هو صـالحوا المؤمنين على الجمـع وسقطت الـواو في المصحف لسقوطها في اللفظ ووردت الرواية من طـريق الخاص والعـام أن المراد بصـالح المؤمنين أمير المؤمنين علي (ع) وهو قول مجاهد وفي كتاب شواهد التنزيل بـالإسناد عن

سدير الصيرفي عن أبي جعفر (ع) قال لقد عرَّف رسول الله ﷺ علياً (ع) أصحابه مرّتين أما مرَّة فحيث قال من كنت مولاه فعلي مولاه وأما الثانية فحيث نزلت هذه الآية ﴿ **فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين** ﴾ الآية أخذ رسول الله ﷺ بيد علي (ع) فقال أيها الناس هذا صالح المؤمنين وقالت أسماء بنت عميس سمعت أن النبي ﷺ يقول وصالح المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ﴿ **والملائكة بعد ذلك** ﴾ أي بعد الله وجبريل وصالح المؤمنين عن مقاتل ﴿ **ظهير** ﴾ أي أعوان للنبي ﷺ وهذا من الواحد الذي يؤدّي معنى الجمع كقوله ﴿ **وحسن أولئك رفيقاً** ﴾ ﴿ **عسى ربه** ﴾ أي واجب من الله ربه ﴿ **إن طلقكن** ﴾ يا معشر أزواج النبي ﴿ **أن يبدله أزواجاً خيراً منكن** ﴾ أي أصلح له منكن ثم نعت تلك الأزواج اللائي كان يبدله بهن لو طلق نساءه فقال ﴿ **مسلمات** ﴾ أي مستسلمات لما أمر الله به ﴿ **مؤمنات** ﴾ أي مصدقات لله ورسوله مستحقات للثواب والتعظيم وقيل مصدقات في أفعالهن وأقوالهن ﴿ **قانتات** ﴾ أي مطيعات لله تعالى ولأزواجهن وقيل خاضعات متذللات لأمر الله تعالى وقيل ساكتات عن الخنا والفضول عن قتادة ﴿ **تائبات** ﴾ عن الذنوب وقيل راجعات إلى أمر الرسول تاركات لمحاب أنفسهن وقيل نادمات على تقصير وقع منهن ﴿ **عابدات** ﴾ لله تعالى بما تعبدهن به من الفرائض والسنن على الاخلاص وقيل متذللات للرسول بالطاعة ﴿ **سائحات** ﴾ أي ماضيات في طاعة الله تعالى وقيل صائمات عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل مهاجرات عن ابن زيد وأبيه زيد بن أسلم والجبائي وإنما قيل للصائم سائح لأنه يستمر في الإمساك عن الطعام كما يستمر السائح في الأرض ﴿ **ثيبات** ﴾ وهنَّ الراجعات من عند الأزواج بعد افتضاضهن ﴿ **وأبكاراً** ﴾ أي عذارى لم يكن لهن أزواج .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ
وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ
وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا
فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ
ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ
ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا
فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ
مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ حماد ويحيى عن أبي بكر نُصوحاً بضم النون والباقون بفتح النون وقرأ أهل البصرة وحفص وكتبه بضم الكاف والتاء على الجمع والباقون وكتابه على الواحد .

[ **الحجة** ] قال أبو علي يشبه أن يكون النصوح بالضم مصدراً وذلك إن ذا الرمة قال « أُحِبُّكَ حُبّاً خالَطَتْهُ نِصاحَة »[1] فالنصاحة على فِعالة وما كان على فعال من المصادر فقد يكون منه الفعول نحو الذهاب والذهوب ويكون قد وصف بالمصدر نحو عدل ورضا قال أبو الحسن نصحته في معنى صدقته وتوبة نصوح أي صادقة والفتح كلام العرب ولا أعرف الضم

(١) وبعده « وإن كنت احدى اللويات الفوارك » والنساء الفوارك : التي تبغض زوجها .

وحجة من قال وكُتُبه أنه في موضع جمع ألا ترى أنها قد صدقت بجميع كتب الله تعالى ومن قال وكتابه أراد الكثرة والشياع وقد يجيء ذلك في الأسماء المضافة كما يجيء في الأسماء المفردة كما قال ﴿**وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها**﴾.

[ **الإعراب** ] ﴿ **والذين آمنوا معه** ﴾ مبتدأ نورهم مبتدأ ثاني ويسعى بين أيديهم في موضع الخبر والجملة خبر المبتدأ الأول وقوله ﴿ **امرأة فرعون** ﴾ تقديره مثل امرأة فرعون فحذف المضاف وهو بدل من قوله مثلا .

[ **المعنى** ] لما أدّب سبحانه نساء النبي ﷺ أمر عقبيه المؤمنين بتأديب نسائهم فقال مخاطباً لهم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا** ﴾ أي احفظوا واحرسوا وامنعوا ﴿ **أنفسكم وأهليكم ناراً** ﴾ والمعنى قوا أنفسكم وأهليكم النار بالصبر على طاعة الله وعن معصيته وعن اتباع الشهوات وقوا أهليكم النار بدعائهم إلى الطاعة وتعليمهم الفرائض ونهيهم عن القبائح وحثّهم على أفعال الخير وقال مقاتل بن حيان وهو أن يؤدّب الرجل المسلم نفسه وأهله ويعلمهم الخير وينهاهم عن الشر فذلك حق على المسلم أن يفعل بنفسه وأهله وعبيده وامائه في تأديبهم وتعليمهم ثم وصف سبحانه النار التي حذّرهم منها فقال ﴿ **وقودها الناس والحجارة** ﴾ أي حطب تلك النار الناس وحجارة الكبريت وهي تزيد في قوة النار وقد مرّ تفسيره ﴿ **عليها ملائكة غلاظ شداد** ﴾ أي غلاظ القلوب لا يرحمون أهل النار أقوياء يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ وفي هذا دلالة على أن الملائكة الموكلين بالنار معصومون عن القبائح لا يخالفون الله في أوامره ونواهيه وقال الجبائي إنما عنى أنهم لا يعصونه ويفعلون ما يأمرهم به في دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف وإنما هي دار جزاء وإنما أمرهم الله تعالى بتعذيب أهل النار على وجه الثواب لهم بأن جعل سرورهم ولذاتهم في تعذيب أهل النار كما جعل سرور المؤمنين ولذاتهم في الجنة ثم حكى سبحانه ما يقال للكفار يوم القيامة فقال ﴿ **يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم** ﴾ وذلك أنهم إذا عذّبوا يأخذون في الاعتذار فلا يلتفت إلى معاذيرهم ويقال لهم لا تعتذروا اليوم فهذا جزاء فعلكم وذلك قوله ﴿ **إنما تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ ثم عاد سبحانه إلى خطاب المؤمنين في دار التكليف فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله** ﴾ من معاصيه وارجعوا إلى طاعته ﴿ **توبة نصوحاً** ﴾ أي خالصة لوجه الله وروى عكرمة عن ابن عباس قال قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما التوبة النصوح قال أن يتوب التائب ثم لا يرجع في ذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع وقال ابن مسعود التوبة النصوح هي التي تكفر كل

سيئة وهو في القرآن ثم تلا هذه الآية وقيل أن التوبة النصوح هي التي يناصح الانسان فيها نفسه باخلاص الندم مع العزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح وقيل هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعاً على أن لا يعود فيه عن الحسن وقيل هي الصادقة الناصحة عن قتادة وقيل هي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن عن الكلبي وقيل هي التوبة المقبولة ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاث خوف أن لا تقبل ورجاء أن تقبل وادمان الطاعة عن سعيد بن جبير وقيل هي أن يكون الذنب نصب عينيه ولا يزال كأنه ينظر إليه وقيل هي من النصح وهو الخياطة لأنِ العصيان يخرق الدين والتوبة ترقعه وقيل لأنها جمعت بينه وبين أولياء الله كما جمع الخياط الثوب وألصق بعضه ببعض وقيل لأنها أحكمت طاعته وأوثقتها كما أحكم الخياط الثوب وأوثقه ﴿ **عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي يحطُها عنكم ويدخلكم الجنة وعسى من الله واجب ثم قال ﴿ **يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه**﴾ أي لا يعذّبهم الله بدخول النار ولا يذلّهم بذلك بل يعزّهم بإدخالهم الجنة وقيل لا يخزي الله النبي أي لا يشوره فيما يريده من الشفاعة بل يشفعه في ذلك ﴿**نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم**﴾ مفسر في سورة الحديد وقال أبو عبد الله (ع) يسعى أئمة المؤمنين يوم القيامة بين أيديهم وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازلهم في الجنة ﴿ **يقولون ربنا** ﴾ وهو في موضع نصب على الحال تقديره قائلين ربنا ﴿ **اتمم لنا نورنا** ﴾ وقيل أن قوله والذين آمنوا معه مبتدأ ونورهم يسعى خيره ويقولون اتمم لنا نورنا خبر آخر من الذين آمنوا وحال منهم وفيه وجد آخر ذكرناه في الاعراب وقيل أتمم لنا نورنا معناه وفّقنا للطاعة التي هي سبب النور ﴿ **واغفر لنا** ﴾ أي استر علينا معاصينا ولا تهلكنا بها ﴿ **إنك على كل شيء قدير** ﴾ من اطفاء نور المنافقين واثبات نور المؤمنين ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار** ﴾ بالقتال والحرب ﴿ **والمنافقين** ﴾ بالقول الرادع عن القبيح لا بالحرب إلا أن فيه بذل المجهود فلذلك سمّاه جهاداً وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قرأ جاهد الكفار بالمنافقين وقال أن رسول الله ﷺ لم يقاتل منافقاً قطّ إنما كان يتألفهم ﴿ **وأغلظ عليهم** ﴾ أي أشدد عليهم من غير محاباة وقيل اشدد عليهم في إقامة الحد عليهم قال الحسن أكثر من يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقون فأمر الله تعالى أن يغلّظ عليهم في إقامة الحد ﴿ **ومأواهم** ﴾ أي مآل الكفار والمنافقين ﴿ **جهنم وبئس المصير** ﴾ أي المآل والمستقر ثم ضرب الله المثل لأزواج النبي حثّاً لهن على الطاعة وبياناً لهن أن مصاحبة الرسول مع مخالفته لا تنفعهن فقال ﴿ **ضرب الله مثلاً للذين كفروا أمرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا** ﴾ أي نبيّين من أنبيائنا ﴿ **صالحين فخانتاهما** ﴾ قال ابن عباس

كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس أنه مجنون وإذا آمن بنوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به وكانت امرأة لوط تدل على أضيافه فكان ذلك خيانتهما وما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتهما في الدين وقال السدي كانت خيانتهما أنهما كانتا كافرتين وقيل كانتا منافقتين وقال الضحاك خيانتهما النميمة إذا أوحى الله إليهما افشتاه إلى المشركين ﴿ **فلم يغنيا عنهما من الله شيئا** ﴾ أي ولم يغن نوح ولوط مع نبوتهما عن امرأتيهما من عذاب الله شيئاً ﴿ **وقيل** ﴾ أي ويقال لهما يوم القيامة ﴿ **ادخلا النار مع الداخلين** ﴾ وقيل أن اسم امرأة نوح واغلة واسم امرأة لوط واهلة وقال مقاتل والغة ووالهة ﴿ **وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون** ﴾ وهي آسية بنت مزاحم قيل انها لما عاينت المعجز من عصا موسى وغلبته السحرة أسلمت فلما ظهر لفرعون إيمانها نهاها فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس ثم أمر أن يلقى عليها صخرة عظيمة فلما قرب أجلها ﴿ **قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة** ﴾ فرفعها الله تعالى إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب عن الحسن وابن كيسان وقيل أنها أبصرت بيتاً في الجنة من درة وانتزع الله روحها فألقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح فلم تجد ألماً من عذاب فرعون وقيل أنها كانت تعذب بالشمس وإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة وجعلت ترى بيتها في الجنة عن سلمان ﴿ **ونجّني من فرعون وعمله** ﴾ أي دينه وقيل وجماعة عن ابن عباس ﴿ **نجّني من القوم الظالمين** ﴾ من أهل مصر قالوا قطع الله بهذه الآية طمع من ركب المعصية رجاء أن يقطعه صلاح غيره وأخبر أن معصية الغير لا تضرّ من كان مطيعاً قال مقاتل يقول الله سبحانه لعائشة وحفصة لا تكونا بمنزلة امرأة نوح وامرأة لوط في المعصية وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم وهو قوله ﴿ **ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها** ﴾ أي منعت فرجها من دنس المعصية وعفت عن الحرام وقيل معناه منعت فرجها من الأزواج لم تبتغ زوجاً ولا غيره ﴿ **فنفخنا فيه من روحنا** ﴾ أي فنفخ جبرائيل بأمرنا في جيبها من روحنا عن قتادة وقال الفراء كل شق فهو فرج وأحصنت فرجها منعت جيب درعها من جبرائيل وقيل نفخ جبرائيل في فرجها وخلق الله منه المسيح وهو الظاهر ولذلك ذكّره وقال في سورة الأنبياء فيها وعاد الضمير إلى التي أحصنت فرجها وقيل معناه خلقنا المسيح في بطنها ونفخنا فيه الروح حتى صار حياً فالضمير في فيه يعود إلى المسيح ﴿ **وصدقت بكلمات ربها** ﴾ أي بما تكلم الله تعالى وأوحاه إلى أنبيائه وملائكته وقيل صدقت بوعد الله ووعيده وأمره ونهيه ﴿ **وكتبه** ﴾ أي وصدقت بكتب الله المنزلة على أنبيائه مثل التوراة والانجيل ومن وحّد فالمراد به الانجيل ﴿ **وكانت من القانتين** ﴾ أي المطيعين لله سبحانه والدائمين على طاعته ويجوز أن يكون من القنوت في الصلاة ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها الذين كانت مريم

منهم وكانوا أهـل بيت صلاح وطـاعة ولم يقـل من القانتـات لتغليب المذكـر على المؤنث وجاءت الرواية عن معاذ بن جبل قال دخل رسول الله ﷺ على خـديجة وهي تجـود بنفسها فقال أكره ما نزل بك يا خديجة وقد جعل الله في الكره خيراً كثيراً فإذا قدمت على ضراتك فاقرأيهن مني السلام قالت يا رسول الله ومن هن قال مريم بنت عمـران وآسية بنت مـزاحم وحليمة أو كليمة أخت مـوسى شك الـراوي فقالت بـالرفـاء والبنين[1] وعن ابي موسى عن النبي ﷺ قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسـاء إلا أربع آسيـة بنت مزاحم امـرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ .

(١) أي بالسكون والطمأنينة من رفوت الرجل: إذا سكنته أو بمعنى الاتفاق وحسن الاجتمـاع. يقال ذلـك لمن تزوج امرأة .

# (٦٧) سورة الملك مكية وآياتها ثلاثون

وتسمى سورة المنجية لأنها تنجي صاحبها من عذاب القبر وقد ورد به الخبر وتسمى الواقية لما روي عن النبي ﷺ أنها الواقية من عذاب القبر وهي مكية .

[ عدد آيها ]

إحدى وثلاثون آية مكي والمدني الأخير وثلاثون آية في الباقين .

[ اختلافها ] آية واحدة قد جاءنا نذير مكي والمدني الأخير .

[ فضلها ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة تبارك فكأنما أحيا ليلة القدر وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ وددت أن تبارك الملك في قلب كل مؤمن وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال أن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك وعن ابن مسعود قال إذا وضعت الميت في قبره يؤتى من قبل رجليه فيقال له ليس لكم عليه سبيل لأنه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ بي سورة الملك ثم قال هي الممانعة من عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب وروى الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن سدير الصيرفي عن أبي جعفر ( ع ) قال سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر وهي مكتوبة في التوراة سورة الملك ومن قرأها في ليلة فقد أكثر وأطاب ولم يكتب من الغافلين وإني لأركع بها بعد العشاء الآخرة وأنا جالس وإن الذي كان يقرأها في حياته في يومه وليلته إذا دخل عليه في قبره ناكر ونكير من قبل رجليه قالت رجلاه لهما ليس لكما إلى ما قبلي سبيل قد كان هذا العبد يقوم عليَّ فيقرأ سورة الملك في كل يوم وليلة فإذا أتياه من قبل جوفه قال لهما ليس لكما إلى ما

قبلي سبيل كان هذا العبد وقد وعى سورة الملك وإذا أتياه من قبل لسانه قال لهما ليس لكما إلى ما قبلي سبيل قد كان هذا العبد يقرأ في كل يوم وليلة سورة الملك . أبو بصير عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ سورة تبارك الذي بيده الملك في المكتوبة قبل أن ينام لم يزل في أمان الله حتى يصبح وفي أمانه يوم القيامة حتى يدخل الجنة إن شاء الله .

[ **تفسيرها** ] لما ختم الله سبحانه تلك السورة بأن الوصلة لا تنفع إلا بالطاعة وأصل الطاعة المعرفة والتصديق بالكلمات الإلهية افتتح هذه السورة بدلائل المعرفة وآيات الربوبية فقال .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ
ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ
ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ
حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا
لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ حمزة والكسائي من تفوّت بتشديد الواو من غير ألف وهي قراءة الأعمش والباقون تفاوت بالألف .

[ **الحجة** ] قال أبو الحسن تفاوت أجود لأنهم يقولون تفاوت الأمر ولا يكادون يقولون تفوَّت الأمر قال وهي أظن لغة قال سيبويه قد يكون فاعل وفعل بمعنى نحو ضاعف وضعف وتفاعل مطاوع فاعل كما أن تفعل مطاوع فعل فعلى هذا القياس يكون تفاعل وتفعل بمعنى وتفاوت وتفوت بمعنى .

[ **اللغة** ] تبارك أصله من البرك وهو ثبوت الطائر على الماء والبركة ثبوت الخير بنمائه وقوله طباقاً مصدر طوبقت طباقاً فهي مطبق بعضها على بعض عن الزجاج وقيل هو جمع طبق مثل جمل وجمال والتفاوت الاختلاف والاضطراب والفطور الشقوق والصدوع من الفطر وهو الشق الخاسىء الذليل الصاغر وقيل هو البعيد مما يريده منه وقيل للكلب اخسأ واحسير من الإبل المعيي الذي لا فضل فيه للسير قال :

بِهـا جِيَفُ الْحَسْرى فَـأَمّـا عِـظامُها فَبِيضٌ وَأَمّـا جِلْدُهـا فَـصَـلِيبُ[1]

والسعير النار المسعرة واعتدنا أصله أعددنا أي هيّأنا فأبدلت الدال تاء .

[ **الإعراب** ] الذي خلق بدل من الذي بيده الملك ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف فعلى هذا الوجه يجوز الوقف على ما قبله وعلى الوجه الأول لا يجوز وقوله أيكم أحسن عملاً تعليق لأن التقدير ليبلوكم فيعلم أيكم أحسن عملاً وارتفع أيّ بالابتداء وإنما لم يعمل فيه ما قبله لأنه على أصل الاستفهام وطباقاً نصب على الحال إذا أردنا في سماوات معنى الألف واللام وإن جعلناها نكرة كان طباقاً صفتها وقوله كرتين منصوب على المصدر أي رجعتين .

[ **المعنى** ] أخبر سبحانه عن عظمته وعلو شأنه وكمال قدرته فقال ﴿ **تبارك** ﴾ أي تعالى وجلّ عما لا يجوز عليه في ذاته وأفعاله عن أبي مسلم وقيل معناه تعالى بأنه الثابت الذي لم يزل ولا يزال وقيل معناه تعاظم بالحق من ثبوت الأشياء به إذ لولاه لبطل كل شيء لأنه لا يصحّ سواه شيء إلا وهو مقدوره أو مقدور مقدوره الذي هو القدرة وقيل معناه تعالى مَنْ جميعُ البركات منه إلا أن هذا المعنى مضمر في الصفة غير مصرّح به وإنما المصرح به أنه تعالى باستحقاق التعظيم ﴿ **الذي بيده الملك** ﴾ والملك هو اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير ومعناه الذي هو المالك وله الملك يؤتيه من يشاء ويتصرف فيه كما يشاء وإنما ذكر اليد تأكيداً ولأن أكثر التصرفات والعطايا باليد ﴿ **وهو على كل شيء قدير** ﴾ من انعام وانتقام وقيل معناه أنه قادر على كل شيء يصح أن يكون مقدوراً له وهو أخصّ من قولنا وهو بكل شيء عليم لأنه لا شيء إلا ويجب أن يعلمه إذ لا شيء إلا ويصح أن يكون معلوماً في نفسه ولا يوصف سبحانه بكونه قادراً على مالا يصح أن يكون مقدوراً في نفسه مثل ما تقضى وقته مما لا يبقى ثم وصف سبحانه نفسه فقال ﴿ **الذي خلق الموت والحياة** ﴾ أي خلق الموت

---

(١) يصف برية واسعة هلكت فيها المطايا وبقي فيها جيفها .

للتعبد بالصبر عليه والحياة للتعبد بالشكر عليها وقيل خلق الموت للاعتبار والحياة للتزود وقيل إنما قدَّم ذكر الموت على الحياة لأنه إلى القهر أقرب كما قدَّم البنات على البنين في قوله ﴿ **يهب لمن يشاء إناثاً** ﴾ الآية وقيل إنما قدَّمه لأنه أقدم فإن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الأموات كالنطفة والتراب ثم اعترضت الحياة ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ﴾ أي ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي فيجازي كل عامل بقدر عمله وقيل ليبلوكم أيّكم أكثر للموت ذكراً وأحسن له استعداداً وأحسن صبراً على موته وموت غيره وأيّكم أكثر امتثالاً للأوامر واجتناباً عن النواهي في حال حياته قال أبو قتادة سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى ﴿ **أيكم أحسن عملاً** ﴾ ما عنى به فقال يقول أيكم أحسن عقلاً ثم قال أتمّكم عقلاً وأشدّكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظراً وإن كان أقلكم تطوعاً وعن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه تلا قوله تعالى ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ إلى قوله ﴿ **أيكم أحسن عملا** ﴾ ثم قال أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله وعن الحسن أيّكم أزهد في الدنيا وأترك لها ﴿ **وهو العزيز** ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿ **الغفور** ﴾ لمن تاب إليه أو لمن أراد التفضل عليه بإسقاط عقابه والتكليف إنما يصحّ بالترغيب والترهيب لأن معناه تحمل المشقة في الأمر والنهي ثم عاد سبحانه إلى وصف نفسه فقال ﴿ **الذي خلق سبع سماوات** ﴾ أي أنشأهن واخترعهن ﴿ **طباقاً** ﴾ واحدة فوق الأخرى وقيل أراد بالمطابقة المشابهة أي يشبه بعضها بعضاً في الإتقان والإحكام والاتساق والانتظام ﴿ **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت** ﴾ أي اختلاف وتناقض من طريق الحكمة بل ترى أفعاله كلها سواء في الحكمة وإن كانت متفاوتة في الصور والهيئات يعني في خلق الأشياء على العموم وفي هذا دلالة على أن الكفر والمعاصي لا يكون من خلق الله تعالى لكثرة التفاوت في ذلك وقيل معناه ما ترى يا ابن آدم في خلق السماوات من عيب واعوجاج بل هي مستقيمة مستوية كلها مع عظمها ﴿ **فارجع البصر** ﴾ أي فردّ البصر وأدره في خلق الله واستقص في النظر مرة بعد أخرى والتقدير انظر ثم ارجع النظر في السماء ﴿ **هل ترى من فطور** ﴾ أي شقوق وفتوق عن سفيان وقيل من وهن وخلل عن ابن عباس وقتادة ﴿ **ثم أرجع البصر كرتين** ﴾ أي ثم كرّر النظر مرتين لأن من نظر في الشيء كرة بعد أخرى بان له ما لم يكن بائناً وقيل معناه أدم النظر والتقدير أرجع البصر مرة بعد أخرى ولا يريد حقيقة التثنية لقوله ﴿ **وهو حسير** ﴾ ولا يصير حسيراً بمرتين ونظيره قولهم لبيك وسعديك أي البابا بعد الباب واسعاداً بعد اسعاد يعني كلما دعوتني فأنا ذو إجابة بعد إجابة وذو ثبات بمكاني بعد ثبات من قولهم لبَّ بالمكان وألب إذا ثبت وأقام وهو نصب على المصدر أي أجيبك إجابة بعد إجابة ﴿ **ينقلب إليك البصر**

**خاسئاً** ﴾ أي يرجع إليك بصرك بعيداً عن نيل المراد ذليلاً صاغراً عن ابن عباس كأنه ذلَّ كذلة من طلب شيئاً فلم يجده وأبعد عنه ﴿ **وهو حسير** ﴾ أي كالٌّ معيّ عن قتادة والتحقيق أن بصر هذا الناظر بعد الإعياء يرجع إليه بعيداً عن طلبته خائباً في بغيته ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ **ولقد زيّنا السماء الدنيا** ﴾ لأن هذه اللام هي التي يتلقى بها القسم أي حسّنّا السماء الدنيا يعني التي هي أدنى إلى الأرض وهي التي يراها الناس ﴿ **بمصابيح** ﴾ واحدها مصباح يعني الكواكب سمّاها المصابيح لإضاءتها وهي السرج ﴿ **وجعلناها رجوماً للشياطين** ﴾ الذين يسترقون السمع وقيل ينفصل من الكواكب شهب تكون رجوماً للشياطين فأما الكواكب أنفسها فليست تزول إلى أن يريد الله تعالى افناءها عن الجبائي ﴿ **واعتدنا لهم عذاب السعير** ﴾ يعني أنا جعلنا مع الكواكب رجوماً للشياطين هيّأنا لهم وادّخرنا لأجلهم عذاب النار المسعرة المشعلة وفي هذا دلالة على أن الشياطين مكلفة .

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا
شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ
سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ
فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ
كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر والكسائي فسُحُقا بضمتين والباقون بالتخفيف .

[ **الحجة** ] سُحُق وسُحْق مثل عنق وعنق وطنب وطنب ونحو ذلك وكلاهما حسن .

[ **اللغة** ] الشهيق صوت تقطيع النفس كالنزع وإذا اشتدَّ لهيب النار سمع منها ذلك الصوت كأنها تطلب الوقود قال رؤبة :

حَشْرَجَ فِي الْجَوْفِ سَحِيلاً أَوْ شَهَقْ حَتّى يُقَالُ نَاهِقٌ وَمَا نَهَقْ[1]

وقيل إن الشهيد في الصدر والزفير في الحلق والفور ارتفاع الشيء بالغليان يقال فارت القدر تفور ومنه الفوارة لارتفاعها بالماء ارتفاع الغليان ومنه فار الدم من الجرح وفار الماء من الأرض والسحق البعد يقال أسحقهم الله إسحاقاً وسحقاً أي ألزمهم الله سحقاً عن الخير فجاء المصدر على غير لفظه كما قال والله أنبتكم من الأرض نباتاً وتقديره فأسحقهم إسحاقاً وأما سحقته سحقاً فمعناه باعدته بالتفريق عن حال اجتماعه حتى صار كالغبار .

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم وعيد الشياطين الذين دعوا إلى الكفر والضلال اتبعه سبحانه بذكر الكفار الضلال فقال ﴿ **وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير** ﴾ أي بئس المآل والمرجع وإنما وصف ببئس وهو من صفات الذمّ والعقاب حسن لما في ذلك من الضرر الذي يجب على كل عاقل أن يتقيه بغاية الجهد ولا يجوز قياساً على ذلك أن يوصف به فاعل العقاب لأنه لا يقال بئس الرجل إلا على وجه الذم ووجه الحكمة في فعل العقاب ما فيه من الزجر المتقدم للمكلف ولا يمكن أن يكون مزجوراً إلا به ولولاه لكان مغرى بالقبيح ﴿ **إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً** ﴾ أي إذا طرح الكفار في النار سمعوا للنار صوتاً فظيعاً مثل صوت القدر عند فورانها وغليانها فيعظم بسمّاع ذلك عذابهم لما يرد على قلوبهم من هوله ﴿ **وهي تفور** ﴾ أي تغلي بهم كغلي المرجل ﴿ **تكاد تميز** ﴾ أي تتقطع وتتفرق ﴿ **من الغيظ** ﴾ أي شدة الغضب سمّى سبحانه شدة التهاب النار غيظاً على الكفار لأن المغتاظ هو المتقطع مما يجد من الألم الباعث على الإيقاع بغيره فحال جهنم كحال المتغيظ ﴿ **كلما ألقي فيها** ﴾ أي كلّما طرح في النار ﴿ **فوج** ﴾ من الكفار ﴿ **سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير** ﴾ أي تقول لهم الملائكة الموكّلون بالنار على وجه التبكيت لهم في صيغة الاستفهام ألم يجئكم مُخوِّف من جهة الله سبحانه يُخوّفكم عذاب هذه النار ﴿ **قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذَّبنا وقلنا ما نزل الله من شيء** ﴾ أي فيقولون في جوابهم بلى قد جاءنا مخوِّف فلم نصدّقه وكذّبناه ولم نقبل منه بل قلنا له ما نزَّل الله شيئاً مما تدعونا إليه وتحذرنا منه فتقول لهم الملائكة ﴿ **إن أنتم إلا في ضلال كبير** ﴾ أي لستم اليوم إلا في عذاب عظيم وقيل معناه قلنا للرسل ما أنتم إلا في ضلال أي ذهاب عن الصواب كبير في قولكم أنزل الله علينا كتاباً ﴿ **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل** ﴾ من النذر ما جاؤونا به ودعونا إليه وعملنا بذلك ﴿ **ما كنا في**

(١) هذا بيت من أرجوزة طويلة من أبيات منها وصف فيها حمار الوحش وأتنه التي شبه ناقته بها في الجلادة وسرعة العدو؛ والحشرجة: صوت الحمار من صدره والسحيل؛ الصوت الذي يدور في صدره . والنهيق: صوته أيضاً .

أصحاب السعير ﴾ وقال الزجاج لو كنا نسمع سمع من يعي ويفكر ونعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار وفي الحديث عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال إن الرجل ليكون من أهل الجهاد ومن أهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما يجزى يوم القيامة إلا على قدر عقله وعن أنس بن مالك قال أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ كيف عقل الرجل قالوا يا رسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم ثم قال سبحانه ﴿ فاعترفوا بذنبهم ﴾ في ذلك الوقت الذي لا ينفعهم فيه الإقرار والاعتراف والاقرار مشتق من قرَّ الشيء يقرُّ قراراً إذا ثبت والاعتراف مأخوذ من المعرفة والذنب مصدر لا يثنّى ولا يجمع ومتى جمع فاختلاف جنسه ﴿ فسحقاً لأصحاب السعير ﴾ هذا دعاء عليهم أي أسحقهم الله وأبعدهم من النجاة سحقاً وإذا قيل ما وجه اعترافهم بالذنب مع ما عليهم من الفضيحة به فالجواب أنهم قد علموا حصولهم على الفضيحة اعترفوا أم لم يعترفوا فليس يدعوهم إلى أحد الأمرين إلا مثل ما يدعوهم إلى الآخر في أنه لا فرج فيه فاستوى الأمران عليهم الاعتراف وترك الاعتراف والجزع وترك الجزع .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾
وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ
ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا
هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ
وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ
هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ
إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل
لَّجُّواْ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير النشور وأمنتم وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب بهمزة واحدة ممدودة وهو تحقيق الهمزة الأولى وتخفيف الثانية بأن تجعل بين بين وقرأ الباقون أأمنتم بهمزتين .

[ **الحجة** ] أما الأول فهو تخفيف الهمزة الأولى بأن جعلت واواً وهذا في المنفصل نظير قولهم في المتصل التُؤدة وجُوَن في جمع جؤنة فأما الهمزة التي هي فاء من قولهم أأمنتم بعد تخفيف الأولى بقلبها واواً فإنه يجوز فيه التحقيق والتخفيف فإن حقّق كان لفظه النشور وأمنتم وإن خفف كان القياس أن تجعل بين بين أعني بين الألف والهمزة لتحركها بالفتحة ومن قال «لا هناك المَرْتَعُ»[1] وقلبها ألفاً كان القياس أن يقول هنا النشور وأمنتم بقلبها ألفاً محضة وسيبويه يجيز هذا القلب في الشعر وغير حال السعة وكان قياس قول أبي عمرو على ما حكاه عنه سيبويه من أنه إذا اجتمع همزتان خفّف الأولى منهما دون الثانية أن يقلب الأولى منهما هنا واواً كما فعله ابن كثير فأما الثانية فإن شاء حقّقها وإن شاء خفّفها وتخفيفها أن تجعل بين الهمزة والألف ولعل أبا عمرو ترك هذا القول في هذا الموضع فأخذ فيه بالوجه الآخر وهو تخفيف الثانية منهما إذا التقتا دون الأولى .

[ **اللغة** ] اللطف من الله الرأفة والرحمة والرفق واللطيف الرفيق بعباده يقال لطف به يلطف لطفاً إذا رفق به والذلول من المراكب مالا صعوبة فيه ومناكب الأرض ظهورها ومنكب كل شيء أعلاه وأصله الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكباء والنشور الحياة بعد الموت يقال نشر الميت ينشر نشوراً إذا عاش وأنشره الله أحياه قال الأعشى :

(١) من عجز بيت أنشده سيبويه ولم ينسبه إلى قائل وتمامه « فأرعى فزارة لا هناك المرتع » .

حَتّى يَقُولَ النَّاسُ مِمّا رَأَوْا     يا عَجَباً لِلْمَيِّتِ النّاشِرِ(١)

وأصله من النشر ضد الطي والحاصب الحجارة التيب ترمي بها كالحصاء وحصبه بالحصاة يحصبه حصباً إذا رماه بها ويقال للذي يرمي به حاصب أي ذو حصب .

[ **الإعراب** ] بالغيب في موضع نصب على الحال « ألا يعلم من خلق » فيه وجوه ( أحدها ) أن يكون من خلق في موضع رفع بأنه فاعل يعلم والتقدير ألا يعلم من خلق الخلق ضمائر صدورهم ( الثاني ) أن يكون من خلق في موضع نصب بأنه مفعول به وتقديره ألا يعلم الله من خلقه ( والثالث ) أن يكون من استفهاماً في موضع نصب بأنه مفعول خلق وفاعل خلق الضمير المستكن فيه العائد إلى الله تعالى والأول أصح الوجوه وقوله أن يخسف بكم الأرض في موضع نصب بأنه بدل من في قوله ﴿ **من في السماء** ﴾ وهو بدل الاشتمال فإذا هي تمور إذا ظرف المفاجأة وهو معمول. قوله ﴿ **وهي تمور** ﴾ جملة في موضع نصب على الحال من يخسف بكم الأرض وذو الحال الأرض وأن يرسل بدل أيضاً مثل قوله ﴿ **ان يخسف** ﴾ وقوله ﴿ **كيف نذير** ﴾ مبتدأ وخبر والخبر مقدم والجملة متعلقة بقوله ﴿ **فستعلمون** ﴾ والتقدير فستعلمون محذور انذاري أم لا وقوله فكيف كان نكير كيف هنا خبر كان وقوله ويقبضن معطوف على صافات وإنما عطف الفعل على الإسم ومن الأصل المقرر أن الفعل لا يعطف إلا على الفعل كما أن الإسم لا يعطف إلا على الإسم لأنه وإن كان فعلاً فهو في موضع الحال فتقديره تقدير اسم فاعل وصافات حال فجاز أن يعطف عليه فكأنه قال صافات وقابضات وقد جاء مثل هذا في الشعر قال :

بـاتَ يُعشيهـا بِعَضْبٍ بـاتِرٍ     يَعْدِلُ فِي أَسْوُقِها وَجائِرِ(٢)

أمّن هذا الذي هو جند لكم مَنْ هنا استفهام في موضع رفع بالابتداء دخل عليه أم المنقطعة وهذا مبتدأ ثان والذي خبره وقد وصل بالمبتدأ والخبر وهو قوله ﴿**هو جند لكم** وينصركم صفة الجند .

---

(١) يصف جارية وقبل هذا البيت قوله « لو اسندت ميتاً إلى نحرها * عاش ولم ينقل إلى قابر » والناشر بمعنى المنشور كما في قوله تعالى ﴿ ماء دافق ﴾ بمعنى المدفوق .

(٢) يصف رجلاً كريماً وفد عليه الأضياف فبادر إلى نحر الجزور لعشاء هؤلاء الضيفان. وقوله « ويعشيها » بالعين المهملة والضمير يرجع إلى الجزور وروى بالغين المعجمة فالضمير يرجع إلى زوجة الرجل وينقلب المعنى إلى معنى آخر كما قاله العيني والعضب: السيف. والباتر: القاطع. وأسوق جمع الساق وجائر من الجور ضد العدل. والشاهد في عطف جائر على يعدل لكونه بمعنى الفعل أي يعدل ويجور .

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم الوعيد عقَّبه سبحانه بالوعد فقال ﴿ **إن الذين يخشون ربهم بالغيب** ﴾ أي يخافون عذاب ربهم باتقاء معاصيه وفعل طاعاته على وجه الاستسرار بذلك لأن الخشية متى كانت بالغيب على ما ذكرنا كانت بعيدة من الرياء خالصة لوجه الله وخشية الله بالغيب تنفع بأن يستحق عليها الثواب وخشيته في الظاهر بترك المعاصي لا يستحق بها الثواب فإذا الخشية بالغيب أفضل لا محالة وقيل بالغيب معناه أنه يخشونه ولم يروه فيؤمنون به خوفاً من عذابه وقيل يخافونه حيث لا يراهم مخلوق لأن أكثر ما ترتكب المعاصي إنما ترتكب في حال الخلوة فهم يتركون المعصية لئلّا يجعلوا الله سبحانه أهون الناظرين إليهم ولأن من تركها في هذه الحال تركها في حال العلانية أيضاً ﴿ **لهم مغفرة** ﴾ لذنوبهم ﴿ **وأجر كبير** ﴾ أي عظيم في الآخرة لا فناء له ثم قال سبحانه مهدّداً للعصاة ﴿ **وأسرّوا قولكم أو اجهروا به أنه عليم بذات الصدور** ﴾ يعني أنه عالم بإخلاص المخلص ونفاق المنافق فإن شئتم فأظهروا القول وإن شئتم فأبطنوه فإنه عليم بضمائر القلوب ومن علم إضمار القلب علم أسرار القول قال ابن عباس كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره به جبرئيل فقال بعضهم لبعض اسرُّوا قولكم لكيلا يسمع آل محمد فنزلت الآية ﴿ **ألا يعلم من خلق** ﴾ قيل في معناه وجوه ( أحدها ) ألا يعلم ما في الصدور من خلق الصدور ( وثانيها ) ألا يعلم سرّ العبد من خلقه أي من خلق العبد فعلى الوجهين يكون من خلق بمعنى الخالق ( وثالثها ) أن يكون من خلق بمعنى المخلوق والمعنى ألا يعلم الله مخلوقه ﴿ **وهو اللطيف** ﴾ أي العالم بما لطف ودقّ وقيل اللطيف بعباده من حيث يدبّرهم بألطف التدبير واللطيف التدبير من يدبر تدبيراً نافذاً لا يجفو عن شيء يدبّره به وقيل اللطيف من كان فعله في اللطف بحيث لا يهتدي إليه غيره وهو فعيل بمعنى فاعل كالقدير والعليم وقيل هو بمعنى الملطف كالبديع بمعنى المبدع وقيل اللطيف الذي يكلّف اليسير ويعطي الكثير ﴿ **الخبير** ﴾ العالم بالعباد وأعمالهم ثم عدَّد سبحانه أنواع نعمه ممتنا على عباده بذلك فقال ﴿ **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً** ﴾ أي سهلة ساكنة مسخرة تعملون فيها ما تشتهون وقيل ذلولاً لم يجعلها بحيث يمتنع المشي فيها بالحزونة والغلظ وقيل ذلولاً موطأة للتصرف فيها والمسير عليها ويمكّنكم زراعتها ﴿ **فامشوا في مناكبها** ﴾ أي في طرقها وفجاجها عن مجاهد وقيل في جبالها لأن منكب كل شيء أعلاه عن ابن عباس وقتادة ثم أن كان هذا أمر ترغيب فالمراد فامشوا في طاعة الله وإن كان للإباحة فقد أباح المشي فيها لطلب المنافع في التجارات ﴿ **وكلوا من رزقه** ﴾ أي كلوا مما أنبت الله في الأرض والجبال من الزروع والأشجار حلالاً ﴿ **وإليه النشور** ﴾ أي وإلى حكمه المرجع في القيامة وقيل معناه وإليه الإحياء للمحاسبة فهو مالك النشور والقادر عليه عن الجبائي ثم

هدَّد سبحانه الكفار زاجراً لهم عن ارتكاب معصيته والجحود لربوبيته فقال ﴿ **أأمنتم من في السماء** ﴾ أي أمنتم عذاب من في السماء سلطانه وأمره ونهيه وتدبيره لا بـدَّ أن يكون هـذا معناه لاستحالة أن يكون الله جل جلالـه في مكان أو في جهـة وقيل يعني بقـوله ﴿ **من في السماء** ﴾ الملك الموكل بعذاب العصاة ﴿ **إن يخسف بكم الأرض** ﴾ يعني أن يشقَّ الأرض فيغيبكم فيها إذا عصيتموه ﴿ **فإذا هي تمور** ﴾ أي تضطرب وتتحرك والمعنى أن الله يحـرّك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب فوقهم وهم يخسفون فيهـا حتى تلقيهم إلى أسفل والمور التردد في الذهاب والمجيء مثل الموج ﴿ **أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً** ﴾ أي ريحاً ذات حجر كمـا أرسل على قـوم لوط حجـارة من السماء وقيـل سحابـاً يحصب عليكم الحجارة ﴿ **فستعلمون** ﴾ حينئذ ﴿ **كيف نذير** ﴾ أي كيف انذاري إذا عاينتم العذاب ﴿ **ولقد كذَّب الذين من قبلهم** ﴾ رسلي وجحدوا وحدانيتي ﴿ **فكيف كـان نكير** ﴾ أي عقوبتي وتغييري ما بهم من النعم وقيل كيف رأيتم انكاري عليهم بإهلاكهم واستئصالهم ثم نبَّه سبحانه على قدرته على الخسف وارسال الحجارة فقال ﴿ **أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات** ﴾ تصف أجنحتها في الهواء فوق رؤوسهم ﴿ **ويقبضن** ﴾ أجنحتهن بعد البسط وهذا معنى الطيران وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط أي يضربن بأرجلهن ويبسـطن أجنحتهن تارة ويقبضن أخرى فالجو للطائر كالماء للسابح وقيل معناه أن من الطير ما يضرب بجناحـه فيصف ومنه ما يمسكه فيدف ومنه الصفيف والدفيف ﴿ **ما يمسكهن إلا الرحمن** ﴾ بتـوطئة الهواء لهن ولولا ذلك لسقطن وفي ذلك أعظم دلالة وأوضح برهان وحجة بأن من سخر الهواء هذا التسخير على كل شيء قدير والصف وضع الأشياء المتوالية على خط مستقيم والقبض جمع الأشياء عن حال البسط والامساك اللزوم المانع من السقوط عن علي بن عيسى ﴿ **انه بكل شيء بصير** ﴾ أي بجميع الأشياء عليم ﴿ **أم من هذا الذي هو جند لكم ينصـركم من دون الرحمن** ﴾ هذا استفهام انكار أي لا جنـد لكم ينصركم مني ويمنعكم من عـذابي إن أردت عذابكم عن ابن عباس ولفظ الجند موحد ولذلك قال هذا الذي وكأنه سبحانه يقـول للكفار بأيّ قوة تعصونني ألكم جند يدفع عنكم عذابي بيَّن بذلك أن الأصنام لا يقدرون على نصرتهم ﴿ **إن الكافرون إلا في غرور** ﴾ أي ما الكافرون إلا في غرور من الشيطان يغرّهم بأن العذاب لا ينزل بهم وقيل معناه ما هم إلا في أمر لا حقيقة له من عبادة الأوثان يتوهمون أن ذلك ينفعهم والأمر بخـلافه ﴿ **أم من هـذا الذي يـرزقكم أن أمسك رزقـه** ﴾ أي الذي يرزقكم أن أمسك الله الذي هو رازقكم أسباب رزقه عنكم وهو المطر هاهنا ﴿ **بل لجوا في عتو ونفور** ﴾ أي ليسوا يعتبرون فينظرون بل تمادوا واستمروا في اللجاج وجاوزوا الحد في

تماديهم ونفورهم عن الحق وتباعدهم عن الإيمان لما كان للمشركين صوارف كثيرة عن عبادة الأوثان وهم كانوا يتقحمون بذلك على العصيان فقد لجّوا في عتوّهم قال الفراء قوله ﴿ من هذا الذي يرزقكم ﴾ الآية تعريف حجة ألزمها الله العباد فعرفوا فأقرّوا بها ولم يردّوا لها جواباً فقال سبحانه بل لجّوا في عتوّ ونفور .

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

[ القراءة ] قرأ يعقوب تدعون ساكنة الدال خفيفة وهو قراءة الحسن والضحاك وقتادة والباقون تدَّعون بالتشديد وقرأ الكسائي فسيعلمون بالياء والباقون بالتاء .

[ الحجة ] أما قوله ﴿ تدعون ﴾ فالمعنى هذا الذي كنتم به تدعون الله كقوله تعالى ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ وأما ﴿ تدَّعون ﴾ بالتشديد فمعناه تتداعون بوقوعه قال ابن جني

يعني كان الدعوة بوقوعه فاشية بينكم كقوله تعالى في معنى العموم ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ أي لا يفشُ هذا فيكم وليس معنى تدَّعون هنا من ادعاء الحقوق وإنما بمعنى تتداعون من الدعاء لا من الدعوى كما في قول الشاعر « فَما برحت خيل تثوب وتـدعي » يعني تتداعى بينهما يا لفلان .

[ **اللغة** ] يقال كببته فأكب وهو نادر مثل قشعت الريح السحاب فأقشعت ونزفت البئر فأنزفت أي ذهب ماؤها ونسلت ريش الطائر فانسل والزلفة القربة وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع ومنه المزدلفة لقربه من مكة وقد تجمع الزلفة زُلفاً قال العجاج :

نـاجٍ طَـوٰاهُ الْأَيْـنُ مِـمّـا وَجَـفـا طَـيَّ اللَّيـالِـي زُلَـفـاً فَـزُلَـفـاً(١)

وساءه الأمر يسوؤه سوءا أي غمَّه وحزنه ومنه أساء يسيء إذا فعل ما يؤدّي إلى الغمّ وماء غور أي غائر وصف بالمصدر مبالغة كما يقال هؤلاء زور فلان وضيفه والمعين قيل أنه مفعول مأخوذ من العين فعلى هذا يكون مثل مبيع من البيع وقيل أنه من الإمعان في الجري فعلى هذا يكون على وزن فعيل فكأنه قيل ممعن في الإسراع والظهور .

[ **الإعراب** ] قليلاً صفة مصدر محذوف أي تشكرون شكراً قليلاً وما مزيدة فستعلمون من هو في ضلال مبين يحتمل أن يكون من استفهاماً فيكون اسماً موصولاً قال أبو علي دخلت الفاء في قوله فمن يجير وقوله ﴿ فمن يأتيكم ﴾ لأن أرأيتم بمعنى انتبهوا أي انتبهوا فمن يجير وانتبهوا فمن يأتيكم كما تقول قم فزيد قائم قال ولا يكون الفاء جواب الشرط وإنما يكون جواب الشرط مدلول أرأيتم قال وان شئت كان الفاء زائدة مثلها في قوله فلا تحسبنهم ويكون الاستفهام سادّاً مسدّه مفعولي أرأيتم كقولهم أرأيت زيداً ما فعل وهذا من دقائقه .

[ **المعنى** ] ثم ضرب سبحانه مثلاً للكافر والمؤمن فقال ﴿ **أفمن يمشي مكباً على وجهه** ﴾ أي منكساً رأسه إلى الأرض فهو لا يبصر الطريق ولا من يستقبله ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله وهو الكافر المقلد لا يدري أمحق هو أم مبطل هذا ﴿ **أهدى أم من يمشي سوياً** ﴾ أي مستوياً قائماً يبصر الطريق وجميع جهاته كلها فيضع قدمه حيث لا يعثر وهو المؤمن الذي سلك طريق الحق وعرفه واستقام عليه وأمكنه دفع المضار عن نفسه وجلب المنافع إليها ﴿ **على صراط مستقيم** ﴾ أي على طريق واضح قيّم وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقيل

(١) وبعده « سماوة الهلال حتى احقوقفا » قوله ناج أي الجمل الذي ينجو بصاحبه من خطر البرية. والاين: الاعياء والتعب أي هول السير الجمل كما يهزل الليالي الهلال وزلفاً فزلفاً أي درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة .

أن هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مكبًا على وجهه يوم القيامة كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عن قتادة ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ **هو الذي أنشأكم** ﴾ بأن أخرجكم من العدم إلى الوجود ﴿ **وجعل لكم السمع** ﴾ تسمعون به المسموعات ﴿ **والأبصار** ﴾ تبصرون بها المبصرات ﴿ **والأفئدة** ﴾ يعني القلوب تعقلون بها وتتدبرون فأعطاكم آلات التفكر والتمييز والوصول إلى العلم ﴿ **قليلاً ما تشكرون** ﴾ أي تشكرون قليلاً وقيل معناه قليلاً شكركم فتكون ما مصدرية ﴿ **قل** ﴾ لهم يا محمد ﴿ **هو** ﴾ الله تعالى ﴿ **الذي ذرأكم** ﴾ أي خلقكم ﴿ **في الأرض وإليه تحشرون** ﴾ منها أي تبعثون إليه يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم ثم حكى سبحانه ما كان يقوله الكفار مستبطئين عذاب الله مستهزئين بذلك فقال ﴿ **ويقولون متى هذا الوعد** ﴾ من الخسف والحاصب أو البعث والجزاء ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ في أن ذلك يكون ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إنما العلم عند الله** ﴾ يعني علم الساعة ﴿ **وإنما أنا نذير** ﴾ مخوف لكم به ﴿ **مبين** ﴾ أي مبين لكم ما أنزل الله إليَّ من الوعد والوعيد والأحكام ثم ذكر سبحانه حالهم عند نزول العذاب ومعاينته فقال ﴿ **فلما رأوه زلفة** ﴾ أي فلما رأوا العذاب قريباً يعني يوم بدر عن مجاهد وقيل معاينة عن الحسن وقيل أن اللفظ ماض والمراد به المستقبل والمعنى إذا بعثوا ورأوا القيامة قد قامت ورأوا ما أعدَّ لهم من العذاب وهذا قول أكثر المفسرين ﴿ **سيئت وجوه الذين كفروا** ﴾ أي اسودَّت وجوههم وعلتها الكآبة يعني قبحت وجوههم بالسواد وقيل معناه ظهرت على وجوههم آثار الغم والحسرة ونالهم السوء والخزي ﴿ **وقيل** ﴾ لهؤلاء الكفار إذا شاهدوا العذاب ﴿ **هذا الذي كنتم به تدَّعون** ﴾ قال الفراء تدّعون وتدعون واحد مثل تذَّخرون وتدخرون والمعنى كنتم به تستعجلون وتدعون الله بتعجيله وهو قولهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية عن ابن زيد وقيل هو تدعون من الدعوى أي تدعون أن لا جنة ولا نار عن الحسن وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالأسانيد الصحيحة عن الأعمش قال لما رأوا لعلي بن أبي طالب (ع) عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا وعن أبي جعفر (ع) فلما رأوا مكان علي (ع) من النبي ﷺ سيئت وجوه الذين كفروا يعني الذين كذبوا بفضله ﴿ **قل** ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿ **أرأيتم أن أهلكني الله ومن معي** ﴾ بأن يميتنا ﴿ **أو رحمنا** ﴾ بتأخير آجالنا ﴿ **فمن يجير الكافرين من عذاب أليم** ﴾ استحقوه بكفرهم وما الذي ينفعهم في دفع العذاب عنهم وقيل أن الكفار كانوا يتمنّون موت النبي ﷺ وموت أصحابه فقيل له قل لهم ان اهلكني الله ومن معي ذلك بأن يميتني ويميت أصحابي فمن الذي ينفعكم ويؤمنكم من العذاب فإنه واقع بكم لا محالة وقيل معناه أرأيتم أن عذبني الله ومن معي أو رحمنا أي غفر لنا فمن يجيركم أي نحن مع إيماننا

بين الخوف والرجاء فمن يجيركم مع كفركم من العذاب ولا رجاء لكم كما للمؤمنين عن ابن عباس وابن كيسان ثم قال ﴿ **قل** ﴾ لهؤلاء الكفار على وجه التوبيخ لهم ﴿ **هو الرحمن** ﴾ أي ان الذي أدعوكم إليه هو الرحمن الذي عمت نعمته جميع الخلائق ﴿ **آمنا به وعليه توكلنا** ﴾ أي عليه اعتمدنا وجميع أمورنا إليه فوَّضنا ﴿ **فستعلمون** ﴾ معاشر الكفار يوم القيامة ﴿ **من هو في ضلال مبين** ﴾ اليوم أنحن أم أنتم ومن قرأ بالياء فمعناه فسيعلم الكفار ذلك ﴿ **قل أرأيتم أن أصبح ماؤكم غوراً** ﴾ أي غائراً ناضباً في الآبار والعيون ﴿ **فمن يأتيكم بماء معين** ﴾ أي ظاهر للعيون عن أبي مسلم والجبائي وقيل بماء جارٍ عن ابن عباس وقتادة أراد سبحانه أنه المنعم بالأرزاق فاشكروه واعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وذكر مقاتل أنه أراد بقوله ﴿ **ماؤكم بئر زمزم وبئر ميمون** ﴾ وهي بئر عادية قديمة وكان ماؤهم من هاتين البئرين والمعين الذي تناله الدلاء وتراه العيون .

# (٦٨) سُورَةُ القَلَمِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ

وتسمى أيضاً سورة نٓ وهي مكية عن الحسن وعكرمة وعطاء وقال ابن عباس وقتادة من أولها إلى قوله ﴿ **سنسمه على الخرطوم** ﴾ مكي وما بعده إلى قوله ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ مدني وما بعده إلى قوله ﴿ **يكتبون** ﴾ مكي وما بعده مدني وهي اثنتان وخمسون آية بالإجماع .

[ **فضلها** ] أبيّ بن كعب قال قال النبي ﷺ ومن قرأ سورة نٓ والقلم أعطاه ثواب الذين حسن أخلاقهم علي بن ميمون عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ سورة نٓ والقلم في فريضة أو نافلة آمنه الله أن يصيبه في حياته فقر أبداً وأعاده إذا مات من ضمة القبر إن شاء الله .

[ **تفسيرها** ] ختم الله سبحانه سورة الملك بذكر تكذيب الكفار ووعيدهم وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ

حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

[القراءة] مضى ذكر اختلاف القراء في إظهار النون وإخفائها من نون في سورة ياسين فلا وجه لاعادته وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب وسهل آن كان بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام وقرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة أإن كان بهمزتين وقرأ الباقون أنْ كان بفتح الهمزة من غير استفهام .

[ **الحجة** ] قال أبو علي إن كان ذا مال لا يخلو من أن يكون العامل فيه تتلى من قوله **﴿إذا تتلى عليه اياتنا﴾** أو قال من قوله **﴿قال أساطير الأولين﴾** أو شيء ثالث فلا يجوز أن يعمل واحد منهما فيه ألا ترى أن تتلى قد أضيفت إذا إليه والمضاف إليه لا يعمل فيما قبله لا تقول القتال زيداً حين يأتي ولا يجوز أن يعمل فيه قال أيضاً لأن قال جواب إذا وحكم الجواب أن يكون بعدما هو جواب له ولا يتقدَّم عليه فكما لا يعمل فيه الفعل الأول فكذلك لا يعمل فيه الثاني فإذا لم يعمل فيه واحد من هذين الفعلين وليس في الكلام غيرهما علمت أنه محمول على شيء آخر مما دلَّ باقي الكلام عليه والذي يدل عليه هذا الكلام من المعنى هو يجحد أو يكفر أو يستكبر عن قبول الحق ونحو ذلك وإنما جاز أن يعمل فيه المعني وإن كان متقدماً عليه لشبهه بالظرف والظرف قد تعمل فيه المعاني وإن تقدم عليه ويدلُّك على مشابهته الظرف تقدير اللام معه وإنَّ من النحويين من يقول أنه في موضع جرّ كما أنه لو كانت اللام معه ظاهرة كان كذلك ومن قرأ بهمزة ممدودة فإنه يزيد همزة بعدها همزة مخففة .

[ **اللغة** ] السطر الكتابة وهو وضع الحروف على خط مستقيم واستطر اكتتب والمسطر آلة التسطير والممنون المقطوع يقال منه السير يمنُّه منّاً إذا قطعه والمنين الضعيف والخلق المرور في الفعل على عادة فالخلق الكريم الصبر على الحق وتدبير الأمور على مقتضى العقل وفي ذلك الاناة والرفق والحلم والمداراة والمفتون المبتلى بتخبيل الرأي كالمجنون يقال فتن فلان بفلانة وأصل الفتنة الابتلاء والاختبار والمهين الضعيف الذليل والمهانة الذلة

والقلة والهماز الوقاع في الناس بما ليس له أن يعيبهم به والأصل فيه الدفع بشدة اعتماد ومنه الهمزة حرف من الحروف المعجمة فهي نَبْرَة تخرج من الصدر بشدة اعتماد والنميم التضريب بين الناس بنقل الكلام الذي يغيظ بعضهم على بعض والنميم والنميمة بمعنى ومنه النمام المشموم لأنه بحدة ريحه كالمخبر عن نفسه والعتل الجافي الغليظ وأصله الدفع عتله يعتله إذا زعزعه بغلظة وجفاء والزنيم الدعي الملصق بالقوم وليس منهم وأصله الزنمة وهي الهُنَيَّةُ المتدلية تحت حلق الجدي ويقال للتيس له زنمتان قال الشاعر :

زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبُوهُ ... بَغِيُّ الأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَئِيمِ[1]

وقال حسان :

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هَاشِمٍ ... كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ[2]

ويقال وسمه يسمه وسما وسمة والخرطوم ما نتأ من الأنف وهو الذي يقع به الشم ومنه قيل خرطوم الفيل وخرطمه إذا قطع أنفه .

[ الإعراب ] بأيّكم المفتون فيه وجوه ( أحدها ) أن المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما يقال ليس له معقول وماله محصول قال الراعي :

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ ... لَحْماً وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولاً

( وثانيها ) أن يكون المفتون اسم المفعول والباء مزيدة والتقدير أيكم المفتون ويكون مبتدأ وخبراً وتكون الجملة معلقة بقوله يبصرون ( وثالثها ) أن الباء بمعنى في والمعنى في أيكم المفتون أي في أيّ الفريقين في فرقة الإسلام أو في فرقة الكفر المجنون وهذا قول الفراء وقال الراجز في زيادة الباء .

نَحْنُ بَنِي جَعْدَةَ أَصْحَابُ الْفَلَجْ ... نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ[3]

أي ونرجو الفرج .

---

(١) الزنيم : الدعي في النسب المستلحق في قوم ليس منهم لا يحتاج إليه فكأنه فيهم زنمة .

(٢) هذا البيت من الطويل قاله في هجاء أبي سفيان . قوله : نيط أي علق . والقدح : إناء يشرب فيه يروى الرحلين وفي الحديث « لا تجعلوني كقدح الراكب » معناه لا تجعلوني آخراً لأن الراكب يعلق قدحه في آخرة الرحل بعد فراغه من استصحاب الأهبة .

(٣) الفلج الظفر والفوز .

[ المعنى ] ﴿ نٓ ﴾ اختلفوا في معناه فقيل هو اسم من أسماء السورة مثل حٓم وصٓ وما أشبه ذلك وقد ذكرنا ذلك مع غيره من الأقوال في مفتتح سورة البقرة وقيل هو الحوت الذي عليه الأرضون عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدي وقيل هو حرف من حروف الرحمن في رواية أخرى عن ابن عباس وقيل هو الدواة عن الحسن وقتادة والضحاك وقيل نون لوح من نور وروي مرفوعاً إلى النبي ﷺ وقيل هو نهر في الجنة قال الله له كن مداداً فجمد وكان أبيض من اللبن وأحلى من الشهد ثم قال للقلم أكتب فكتب القلم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة عن أبي جعفر الباقر ( ع ) وقيل المراد به الحوت في البحر وهو من آيات الله إذ خلقها في الماء فإذا فارق الماء مات كما أن حيوان البرّ إذا خالط الماء مات ﴿ والقلم ﴾ الذي يكتب به أقسم الله به لمنافع الخلق فيه إذ هو أحد لساني الإنسان يؤدّي عنه ما في جنانه ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه وبه تحفظ أحكام الدين وبه تستقيم أمور العالمين وقد قيل إن البيان بيانان بيان اللسان وبيان البنان وبيان اللسان تدرسه الأعوام وبيان الأقلام باق على مرّ الأيام وقيل إن قوام أمور الدين والدنيا بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم وقد نظمه بعض الشعراء وأحسن فيما قال :

إنْ يَخْدِمِ الْقَلَمَ السَّيْفُ الَّذِي خَضَعَتْ ... لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ حِذْرَهُ الْأُمَمُ
فَالْمَوْتُ وَالْمَوْتُ شَيْءٌ لَا يُغَالِبُهُ ... مَا زَالَ يَتْبَعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
كَذَا قَضَى اللهُ لِلْأَقْلَامِ مُذْ بَرِيَتْ ... إِنَّ السُّيُوفَ لَهَا مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَمُ[1]

﴿وما يسطرون﴾ أي وما يكتبه الملائكة مما يوحي اليهم وما يكتبونه من اعمال بني آدم فكان القسم بالقلم وما يسطر بالقلم وقيل ان ما مصدرية وتقديره والقلم وسطرهم فيكون القسم بالكتابة وعلى القول الأول يكون القسم بالمكتوب ﴿ما انت بنعمت ربك بمجنون﴾ هو جواب القسم ومعناه لست يا محمد بمجنون بنعمة ربك كما تقول ما انت بنعمة ربك بجاهل وجاز تقديم معمولها به الباء لأنها زائدة مؤكدة وتقديره انتفى عنك الجنون بنعمة ربك وقيل هو كما يقال ما انت بمجنون بحمد الله وقيل معناه بما انعم عليك ربك من كمال العقل والنبوة والحكمة لست بمجنون اي لا يكون مجنوناً من انعمنا عليه بهذه النعم وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لربك كما يقال سبحانك اللهم وبحمدك أي والحمد لك وهذا تقرير لنفي الجنون عنه وقالوا ان هذا جواب لقول المشركين يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك

---

(١) برى القلم : شقّه وأرهف السيف : رققه .

لمجنون ﴿وان لك﴾ يا محمد ﴿لأجراً﴾ أي ثواباً من الله على قيامك بالنبوة وتحملك اعباء الرسالة ﴿غير ممنون﴾ أي غير مقطوع وهو ثواب الجنة يعني لا تبال بكلامهم مع مالك عند الله من الثواب الدائم والأجر العظيم وقيل غير ممنون أي لا يمنّ به عليك عن أبي مسلم والمعنى غير مكدّر بالمنّ الذي يقطع عن لزوم الشكر فقد قيل المنة تكدر الصنيعة وقال ابن عباس ليس من نبي إلا وله مثل اجر من آمن به ودخل في دينه ثم وصف سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿وانك﴾ يا محمد ﴿لعلى خلق عظيم﴾ أي على دين عظيم وهو دين الإسلام عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل معناه إنك متخلق بأخلاق الإسلام وعلى طبع كريم وحقيقة الخلق ما يأخذ به الانسان نفسه من الآداب وإنما سمّي خلقاً لأنه يصير كالخلقة فيه فأما ما طبع عليه من الأداب فإنه الخيم فالخلق هو الطبع المكتسب والخيم هو الطبع الغريزي وقيل الخلق العظيم الصبر على الحق وسعة البذل وتدبير الأمور على مقتضى العقل بالصلاح والرفق والمداراة وتحمل المكاره في الدعاء إلى الله سبحانه والتجاوز والعفو وبذل الجهد في نصرة المؤمنين وترك الحسد والحرص ونحو ذلك عن الجبائي وقالت عائشة كان خلق النبي ﷺ ما تضمنه العشر الأول من سورة المؤمنين ومن مدحه الله سبحانه بأنه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدح وقيل سمي خلقه عظيماً لأنه عاشر الخلق بخُلقه وزايلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخَلق وباطنه مع الحق وقيل لأنه امتثل تأديب الله سبحانه اياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل سمي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ويعضده ما روي عنه قال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال أدَّبني ربي فأحسن تأديبي وقال ﷺ ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار وعن أبي الدرداء قال قال النبي ﷺ ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن وعن الرضا علي بن موسى (ع) عن آبائه عن النبي ﷺ قال عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة واياكم وسوء الخلق فإن سوء الخلق في النار لا محالة وعن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال أحبكم إلى الله احسنكم أخلاقاً الموطؤن اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وأبغضكم إلى الله المشاؤن بالنميمة المفرّقون بين الأخوان الملتمسون للبراء العثرات[1] ﴿فستبصر ويبصرون﴾ أي فسترى يا محمد ويرون يعني الذين رموه بالجنون ﴿بأيكم المفتون﴾ اي أيكم المجنون الذي فتن بالجنون أأنت أم هم وقيل بأيكم الفتنة وهو الجنون يريد انهم يعلمون عند العذاب ان الجنون كان بهم حين كذبوك وتركوا دينك لابك وقيل معناه فستعلم ويعلمون في أيّ الفريقين المجنون الذي فتنه

---

(١) يعني يتفحصون حتى يقفوا على عثرة للبريء .

الشيطان ثم أخبر سبحانه انه عالم بالفريقين فقال **﴿إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله﴾** الذي هو سبيل الحق وعدل عنه وجار عن السلوك فيه **﴿وهو اعلم بالمهتدين﴾** اليه العالمين بموجبه فيجازي كُلّاً بما يستحقُّه ويستوجبه اخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القائني رحمه الله قال حدثنا الحاكم ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا أبو عبد الله الشيرازي قال حدثنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد البصري قال حدثني عمرو بن محمد بن تركي قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن شعيب عن عمرو ابن شمر عن دلهم بن صالح عن الضحاك بن مزاحم قال: لما رأت قريش تقديم النبي ﷺ علياً (ع) واعظامه له نالوا من علي وقالوا قد افتتن به محمد فأنزل الله تعالى ن والقلم وما يسطرون قسمٌ أقسم الله به ما انت يا محمد بنعمة ربك بمجنون وانك لعلى خلق عظيم يعني القرآن إلى قوله بمن ضلَّ عن سبيله وهم النفر الذين قالوا ما قالوا وهو اعلم بالمهتدين علي ابن أبي طالب عليه السلام ثم قال سبحانه للنبي ﷺ **﴿فلا تطع المكذبين﴾** بتوحيد الله عز وجل الجاحدين لنبوتك ولا تجبهم إلى ما يلتمسون منك ولا توافقهم فيما يريدون **﴿ودّوا لو تدهن فيدهنون﴾** اي ودَّ هؤلاء الكفار ان تلين لهم في دينك فيلينون في دينهم شبَّه التليين في الدين بتليين الدهن عن ابن عباس وقيل معناه ودُّوا لو تكفر فيكفرون عن الضحاك وعطاء وابن عباس في رواية أخرى وقيل معناه ودّوا لو تركن الى عبادة الأصنام فيما لؤونك والإدهان الجريان في ظاهر الحال على المقاربة مع اضمار العداوة وهو مثل النفاق وقيل ودّوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك عن الحسن ثم قال **﴿ولا تطع﴾** يا محمد **﴿كل حلاف﴾** أي كثير الحلف بالباطل لقلة مبالاته بالكذب **﴿مهين﴾** فعيل من المهانة وهي القلة في الرأي والتمييز وقيل ذليل عند الله تعالى وعند الناس وقيل كذاب لأن من عرف بالكذب كان ذليلاً حقيراً عن ابن عباس وقيل يعني الوليد بن المغيرة قال عرض على النبي ﷺ المال ليرجع عن دينه وقيل يعني الأخنس ابن شريق عن عطاء وقيل يعني الأسود بن عبد يغوث عن مجاهد **﴿همّاز﴾** أي وقاع في الناس مغتاب عن ابن عباس **﴿مشاء بنميم﴾** أي قتات يسعى بالنميمة ويفسد بين الناس ويضرب بعضهم على بعض **﴿مناع للخير﴾** أي بخيل بالمال وقيل منّاع عشيرته عن الإسلام بأن يقول من دخل دين محمد لا انفعه بشيء ابداً عن ابن عباس **﴿معتد﴾** أي مجاوز عن الحق غشوم ظلوم عن قتادة **﴿أثيم﴾** أي آثم فاجر فاعل ما يأثم به وقيل معتد في فعله أثيم في معتقده وقيل معتد في ظلم غيره اثيم في ظلم نفسه **﴿عتل بعد ذلك﴾** اي هو عتل مع كونه مناعاً للخير معتدياً اثيماً وهو الفاحش السيّء الخلق روي ذلك في خبر مرفوع وقيل هو القويُّ في كفره عن عكرمة وقيل الجافي الشديد الخصومة بالباطل

عن الكلبي وقيل الاكول المنوع عن الخليل وقيل هو الذي يعتل الناس فيجرّهم إلى حبس أو عذاب ومنه قول الشاعر :

فَيَاضَيْعَةَ الْفِتْيَانِ إذْ يَعْتِلُونَهُ بِبَطْنِ الشَّرى مِثْلَب الْفَنِيقِ الْمُسَدَّمِ (١)

﴿زنيم﴾ اي دعيّ ملصق الى قوم ليس منهم في النسب قال الشاعر :

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ تَدَاعِياً كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ (٢)

وقيل هو الذي له علامة في الشر وهو معروف بذلك فإذا ذكر بالشر سبق القلب إليه كما ان العنز يعرف بين الاغنام بالزنمة في عنقه عن الشعبي وقيل هو الهجين المعروف بالشر عن سعيد بن جبير وقيل هو الذي لا أصل له عن علي ( ع ) وقيل هو المعروف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها عن عكرمة وروي انه سأل النبي ﷺ عن العتل الزنيم فقال هو الشديد الخلق الشحيح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس الرحيب الجوف وعن شداد ابن اوس قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتلّ زنيم قلت فما الجواظ قال كل جماع مناع قلت فما الجعظري قال الفظ الغليظ قلت فما العتل الزنيم قال كل رحيب الجوف سيّء الخلق اكول شروب غشوم ظلوم زنيم قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف احداً وبلغ من ذكر عيوبه ما بلغ من ذكر عيوب الوليد بن المغيرة لأنه وصف بالحلف والمهانة والعيب للناس والمشي بالنمائم والبخل والظلم والإثم والجفا والدعوة فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة ﴿ان كان ذا مال وبنين﴾ اي لا تطعه لأن كان ذا مال وبنين يعني لماله وبنيه عن الزجاج والفراء ومن قرأ بالاستفهام فلا بدَّ أن يكون صلة ما بعده لأن الاستفهام لا يتقدّم عليه ما كان في حيزه فيكون المعنى ألأن كان ذا مال وبنين يجحد آياتنا أي جعل مجازاة النعم التي خوَّلها من البنين والمال الكفر بآياتنا وهو قوله ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ أي احاديث الأوائل التي سطرت وكتبت لا أصل لها ثم اوعده سبحانه فقال ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ اي سنسمه يوم القيامة بسمة تشوّه خلقته فيعرف من

---

(١) قائلته امرأة من طيء والشرى : جبل في ديارطيء معروف بكثرة السباع والاسود والفنيق : الفحل المكرم والمسدم : الذي جعل على فمه الكمام .

(٢) نسبه في اللسان الى خطيم التميمي وحكى عن بعض انه نسبه إلى حسان وروايته «زيادة » مكان «تداعياً» والظاهر ان المراد من الأديم في البيت : الجلد دبغ او لم يدبغ والاكارع : القوائم من الدابة وقد ورد في بيت حسان ايضاً في هجاءه لقوم من كعب سرقوا درعاً قال : فإن تذكروا كعباً إذا ما نسبتم * فهل من اديم ليس فيه اكارعه » يقول انتم من كعب بمنزلة الاكارع من الاديم ولا أديم ليس فيه اكارع فلا يضر كعباً انتسابكم اليهم اذهم الرأس وانتم الاذناب. ويقال للسفلة من الناس ايضاً الاكارع تشبيهاً بقوائم الدابة .

رآه انه من أهل النار وإنما خصَّ الأنف لأن الإنسان يعرف بوجهه والأنف وسط الوجه وهذا على عادة العرب فإنهم يقولون شمخ فلان بأنفه وارغم الله أنفه وحمي فلان انفه وقيل معناه سيجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به اهل النار من اسوداد وجوههم وجائزان يفرد بسمة لمبالغته في عداوة النبي ﷺ فيخصَّ من التشويه بما يتبين به من غيره كما كانت عداوته للرسول عداوة يتبين بها من غيره عن الزجاج وقال الفراء الخرطوم قد خصَّ بالسمة لأنه في مذهب الوجه فإن بعض الوجه يؤدّي عن الكل وقيل ان المعنى سنخطمه بالسيف في القتال حتى يبقى اثره ففعل ذلك يوم بدر عن ابن عباس وقيل سنعلمه بشين يبقى على الابد عن قتادة وقال القتيبي العرب تقول قد وسمه ميسم سوء يريدون الصق به عاراً لا يفارقه لأن السمة لا تنمحق ولا يعفو أثرها وقد الحق الله بمن ذكر عاراً لا يفارقه بما وسمه به من العيوب التي هي كالوسم في الوجه وقيل ان الخرطوم الخمر فالمعنى سنسمه على شرب الخمر قال الشاعر :

أَبَا حَاضِرٍ مَنْ يَزْنِ يُعْرَفْ زِنَاؤُهُ وَمَنْ يَشْرَبِ الْخُرْطُومَ يُصْبِحْ مُسَكَّراً

﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ
إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ
عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ
إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن
لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾
فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ
أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ
إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾

قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ
إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ
لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

[ القراءة ] قرأ أهل المدينة وأبو عمرو ان يبدّلنا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقد مرَّ ذكره في سورة الكهف.

[ اللغة ] الصرم والجداد في النخل بمنزلة الحصاد والقطاف في الزرع والكرم يقال صرمت النخلة وجددتها واصرم النخل واجدت حان ذلك منها والصريم الليل الاسود وانشد ابو عمرو .

أَلَا بَكَرَتْ وَعَاذِلَتِي تَلُومُ ... تُجَهِّلُنِي وَمَا انْكَشَفَ الصَّرِيمُ(١)

وقال الآخر :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ الْجَوْنُ الْبَهِيمُ ... فَمَا يَنْجَابُ عَنْ صُبْحٍ صَرِيمُ(٢)
إذا مَا قُلْتُ أَقْشَعَ أَوْ تَنَاهَىٰ ... جَرَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ غُيُومُ

ويسمى النهار أيضاً صريماً فهو من الاضداد لأن الليل ينصرم عند مجيء النهار والنهار ينصرم عند مجيء الليل والصريم أيضاً المصروم أي صرم جميع ثمارها وقيل الصريم منقطع الرمل الذي لا نبات فيه قال أمرؤ القيس.

وَظَلَّ لِصِيرَانِ الصَّرِيمِ غَمَاغِمٌ ... تُدَعِّسُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ الْمُعَلَّبِ(٣)

والطائف الطارق بالليل وإذا قيل طاف به صلح في الليل والنهار وانشد الفراء :

(١) العذل : اللوم والواو للحال.

(٢) الجون هنا بمعنى الأسود . وليل بهيم : لا ضوء فيه الى الصباح . وقوله « ينجاب » أي ينكشف .

(٣) صيران جمع صوار: القطيع من البقر وفي اللسان «لثيران» بالثاء وهو جمع الثور وغماغمها: اصواتها عند الذعر. واصوات الابطال في الوغى عند القتال. والدعس : الطعن. والسمهري: الرمح الصليب العود والمعلب - بالعين المهملة - الرمح الذي لوى بعلباء البعير وهو عصب العنق : وكانت العرب تشد على اجفان سيوفها الغلابى الرطبة فتجف عليها. وتشد بها الرماح إذا تصدعت فتيبس وتقوى عليه.

أَطَفْتُ بِهَا نَهَاراً غَيْرَ لَيْلٍ وَأَلْهَى رَبَّهَا طَلَبُ الرِّخَالِ [١]

والرخال الإناث من اولاد الضان واحدتها رخل والحرد المنع من قولهم حاردت السنة إذا منعت قطرها وحاردت الناقة إذا منعت لبنها قال الكميت .

وَحَارَدَتِ الْمُكْدُ الْجِلاَدُ وَلَمْ يَكُنْ بِعُقْبَةِ قِدْرِ الْمُسْتَعِيرِينَ مُعْقِبُ [٢]

ويروى النكدو هي النوق الغزيرات الألبان وقيل ان اصل الحرد القصد قال:

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّةْ [٣]

أي يقصد وحرد يحرد حرداً وقيل الحرد الغضب والحنق قال الأشهب بن رميلة :

أُسُودُ شَرىً لاَقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ دِمَاءَ الْأَسَاوِدِ [٤]

[ المعنى ] ثم قال سبحانه ﴿انا بلوناهم﴾ يعني اهل مكة أي اختبرناهم بالجوع والقحط ﴿كما بلونا اصحاب الجنة﴾ أي البستان الذي فيه الشجر قال سعيد بن جبير وهذه الجنة حديقة كانت باليمن في قرية يقال لها صروان بينها وبين صنعاء اثنا عشر ميلا كانت لشيخ وكان يمسك منها قدر كفايته وكفاية اهله ويتصدق بالباقي فلما مات قال بنوه نحن احق بها لكثرة عيالنا ولا يسعنا ان نفعل كما فعل ابونا وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم إلى ما قصَّ الله تعالى في كتابه وهو قوله ﴿إذ اقسموا﴾ أي حلفوا فيما بينهم ﴿ليصرمنها مصبحين﴾ أي ليقطعنَّ ثمرتها إذا دخلوا في وقت الصباح ﴿ولا يستثنون﴾ أي غير مستثنين في إيمانهم فلم يقولوا ان شاء الله فإن قول القائل لا فعلنَّ كذا إلا ان يشاء الله استثناء ومعناه الا أن يشاء الله منعي أو تمكين ما نعي ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ أي احاطت بها النار فاحترقت عن ابن عباس وقيل معناه طرقها طارق من أمر الله عن قتادة ﴿وهم نائمون﴾ أي في حال نومهم قال مقاتل بعث الله ناراً بالليل على جنّتهم فاحرقتها حتى صارت مسودة فذلك قوله ﴿فاصبحت كالصريم﴾ أي كالليل المظلم والصريمان الليل والنهار لا

---

(١) «والهى ربها» اي شغل زوجها مصف فجوره بأمرأة غاب عنها زوجها نهاراً.

(٢) المكد جمع المكود: الناقة الكثيرة اللبن ومثله الجلاد . والعقبة: بالضم مرقة ترد في القدر المستعارة : واعقب الرجل: رد اليه ذلك.

(٣) الجنة أو الصنيعة المغلة : التي اتت بشيء وأصلها باق.

(٤) شرى وخفية : موضعان فيهما آجام تكون فيها الأسود وتساقى القوم : سقى كل واحد صاحبه بجمام الإناء الذي يسقيان فيه .

نصرام أحداهما من الآخر عن ابن عباس وأبي عمرو بن العلاء وقيل الصريم المصروم ثماره أي المقطوع والمعنى انها صارت كأن جميع ثمارها قطعت عن الجبائي وقيل الصريم الذي صرم عنه الخير فليس فيه شيء منه عن الحسن وقيل كالصريم اي كالرملة انصرمت عن معظم الرمل عن مؤرخ وقيل كالرماد الاسود بلغة خزيمة **﴿فتنادوا مصبحين﴾** أي نادى بعضهم بعضاً وقت الصباح واصل التنادي من الندى بالقصر لأن النداء الدعاء بندي الصوت الذي يمتدّ على طريقة يا فلان لأن الصوت إنما يمتدّ للانسان بندى حلقه **﴿ان اغدوا على حرثكم﴾** أي تنادوا بأن غدوا معناه قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم والحرث الزروع والاعناب **﴿إن كنتم صارمين﴾** أي قاطعين النخل **﴿فانطلقوا﴾** أي فمضوا إليها **﴿وهم يتخافتون﴾** أي يتسارون بينهم واصله من خَفَتَ فلان يخفت إذا اخفى نفسه **﴿ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾** هذا ما كانوا يتخافتون به **﴿وغدوا على حرد﴾** أي على قصد منع الفقراء **﴿قادرين﴾** عند انفسهم وفي اعتقادهم على منعهم واحراز ما في جنتهم وقيل على حرد أي على جدّ وجهد من أمرهم عن مجاهد وقتادة وابي العالية وقيل على جدّ في المنع عن أبي عبيدة وقيل على حنق وغضب من الفقراء عن سفيان وقيل قادرين مقدرين موافاتهم في الجنة في الوقت الذي قدروا اصرامها فيه وهو وقت الصبح والتقدير قصدوا الجنة للوقت الذي قدروا اصرامها فيه عن أبي مسلم **﴿فلما رأوها﴾** أي رأوا الجنة على تلك الصفة **﴿قالوا انا الضالون﴾** ضللنا عن الطريق فليس هذا بستاننا عن قتادة وقيل معناه إنا لضالون عن الحق في امرنا فلذلك عوقبنا بذهاب ثمر جنتنا ثم استدركوا فقالوا **﴿بلْ نحن محرومون﴾** والمعنى ان هذه جنتنا ولكن حرمنا نفعها وخيرها لمنعنا حقوق المساكين وتركنا الاستثناء **﴿قال اوسطهم﴾** أي اعدلهم قولاً عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه افضلهم واعقلهم وقيل اوسطهم في السن **﴿ألم اقل لكم لولا تسبحون﴾** كأنه كان حذرهم سوء فعالهم قال لولا تستثنون عن مجاهد لأن في الاستثناء التوكل على الله والتعظيم لله والاقرار بأنه لا يقدر احد على فعل شيء الا بمشيئة الله فلذلك سمّاه تسبيحاً وقيل معناه هلّا تعظمون الله بعبادته واتّباع أمره وقيل معناه هلّا تذكرون نعم الله عليكم فتؤدّوا شكرها بأن تخرجوا حق الفقراء من اموالكم وقيل معناه هلّا نزَّهتم الله تعالى عن الظلم واعترفتم بأنه لا يظلم ولا يرضى منكم بالظلم وقيل معناه لم لا تصلون ثم حكى عنهم أنهم **﴿قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين﴾** في عزمنا على حرمان المساكين منّ حصّتهم عند الصرام فحرمنا قطعها وبالانتفاع بها والمعنى انه سبحانه منزه عن الظلم فلم يفعل بنا ما فعله ظلماً وإنما الظلم وقع منا حيث منعنا الحق **﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾** أي يلوم بعضهم بعضاً على ما فرط منهم **﴿قالوا يا ويلنا انا**

**كنا طاغين﴾** قد غلونا في الظلم وتجاوزنا الحدَّ فيه والويل غلظ المكروه الشاق على النفس والويس دونه والويح بينهما قال عمرو بن عبيد يجوز ان يكون ذلك منهم توبة ويجوز ان يكون على حدّ ما يقول الكافر إذا وقع في الشدة **﴿عسى ربنا ان يبدلنا خيراً منها﴾** أي لمّا تابوا ورجعوا إلى الله قالوا لعلَّ الله يخلف علينا ويولينا خيراً من الجنة التي هلكت **﴿انا الى ربنا راغبون﴾** أي نرغب إلى الله ونسأله ذلك ونتوب إليه مما فعلناه وقرىء يبدلنا بالتشديد والتخفيف ومعناهما واحد **﴿كذلك العذاب﴾** في الدنيا للعاصين **﴿ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون﴾** والأكبر هو الذي يصفر مقدار غيره بالاضافة اليه وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله تعالى منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقوداً وقال أبو خالد اليمامي رأيت تلك الجنة ورأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾
أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾
أَمْ لَكُمْ كِتَـٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ
لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾
سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ
إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى
ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ
وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن
يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾
وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾

[ **اللغة** ] الزعيم والكفيل والضمين والقبيل نظائر والساق للإنسان وساق الشجرة ما تقوم عليه وكل نبت له ساق ويبقى صيفاً وشتاء فهو شجرة قال طرفة .

لِلْفَتى عَقْلٌ يعيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي ساقَهُ قَدَمُهْ[١]

وتقول العرب قامت الحرب على ساق وكشفت عن ساق يريدون شدتها وقال جد ابي طرفة :

كَشَفَتْ لَكُمْ عَنْ ساقِها وَبَدا مِنَ الشَّرِ الصُّراحْ[٢]

وقال آخر :

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ ساقِها فَشُدُّوا وَجَدَّتِ الْحَربُ بِكُمْ فَجِدُّوا وَالْقَوْسُ فِيها وَتَرٌ عُرُدُّ[٣]

[ **الاعراب** ] كيف في محل نصب على الحال تقديره اجائزين تحكمون ام عادلين ويجوز ان يكون في محل المصدر وتقديره ايُّ حكم تحكمون وتحكمون في موضع النصب على الحال من معنى الفعل في قوله الكم لأن معنى قوله مالكم أيُّ شيء ثبت لكم وأم في جميع ذلك منقطعة إنَّ لكم فيه لما تخيَّرون كسرت انّ المكان اللام في لما ولولاها لوجب فتحها لأنه مفعول تدرسون وهو كقوله والله يعلم انك لرسوله وقوله إن لكم لما تحكمون مثله وان شئت قلت إنما كسرت إن لأن ما قبله يمين وهي تكسر في جواب القسم وقوله يوم يكشف عن ساق العامل في الظرف قوله فليأتوا وخاشعة ابصارهم حال ومَنْ يُكَذِّب يجوز ان يكون مفعولاً معه ويجوز ان يكون عطفاً على ضمير المتكلم من ذرني .

[ **المعنى** ] لما ذكر سبحانه ما أعدَّه بالآخرة للكافرين عقَّبه بذكر ما أعدَّه للمتقين فقال **﴿ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾** يتنعمون فيها ويختارونها على جنات الدنيا التي يحتاج صاحبها الى المشقة والعناء ثم استفهم سبحانه على وجه الانكار فقال **﴿افنجعل المسلمين كالمجرمين﴾** أي لا نجعل المسلمين كالمشركين في الجزاء والثواب وذلك انهم كانوا يقولون ان كان بعث وجزاء كما يقوله محمد فإن حالنا يكون افضل في الآخرة كما في

---

(١) فسره ابن الاعرابي فقال: معناه ان اهتدى لرشد علم انه عاقل: وان اهتدى لغير رشد علم انه على غير رشد.

(٢) الصراح ـ بالحاء المهملة ـ : المحض الخالص من كل شيء.

(٣) وترعرد : شديد وفي بعض النسخ «عرند» وهو أيضاً بمعناه. وبعده «مثل جران الفيل أو اشد» شبه الوتر بجران الفيل في توتره .

الدنيا فاخبر سبحانه ان ذلك لا يكون أبداً **﴿مالكم كيف تحكمون﴾** هذا تهجينٌ لهم وتوبيخ ومعناه أيُّ عقل يحملكم على تفضيل الكفار حتى صار سبباً لإصراركم على الكفر ولا يحسن في الحكمة التسوية بين الأولياء والاعداء في دار الجزاء **﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون﴾** معناه بل ألكم كتاب تدرسون فيه ذلك فأنتم متمسكون به لا تلتفتون الى خلافه فإذا قد عدمتم الثقة بما أنتم عليه وفي الكتاب الذي هو القرآن عليكم أكبر الحجة لأنه الدلالة القائمة إلى وقت قيام الساعة والمعجزة الشاهدة بصدق من ظهرت على يده **﴿ان لكم فيه لما تخيرون﴾** فيه وجهان (أحدهما) ان تقديره أم لكم كتاب فيه تدرسون بأن لكم فيه ما تخيرون إلا انه حذف الباء وكسرت إن لدخول اللام في الخبر (والثاني) إن معناه أن لكم لما تخيرونه عند أنفسكم والأمر بخلاف ذلك ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل الخير المطلق **﴿أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة﴾** اي بل لكم عهود ومواثيق علينا عاهدناكم بها فلا ينقطع ذلك إلى يوم القيامة **﴿ان لكم لما تحكمون﴾** لأنفسكم به من الخير والكرامة عند الله تعالى وقيل بالغة معناها مؤكدة وكل شيء متناه في الجودة والصحة فهو بالغ ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ **﴿سلهم﴾** يا محمد **﴿ أيهم بذلك زعيم ﴾** يعني أيّهم كفيل بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين **﴿أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين﴾** معناه أم لهم شركاء في العبادة مع الله وهي الأصنام فليأتوا بهؤلاء الشركاء ان كانوا صادقين في انها شركاء الله وقيل معناه ام لهم شهداء يشهدون لهم بالصدق فتقوم به الحجة فليأتوا بهم يوم القيامة يشهدون لهم على صحة دعواهم ان كانوا صادقين في دعواهم **﴿يوم يكشف عن ساق﴾** أي فليأتوا بهم في ذلك اليوم الذي تظهر فيه الأهوال والشدائد وقيل معناه يوم يبدو عن الأمر الشديد الفظيع عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير قال عكرمة سأل ابن عباس عن قوله يوم يكشف عن ساق فقال إذا خفي عليكم شيء في القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر (وقامت الحرب بنا على ساق) هو يوم كرب وشدة وقال القتيبي اصل هذا ان الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجد فيه يشمر عن ساقة فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة وانشد لدريد بن الصمة .

كَميشُ الأَزارِ خارِجٌ نِصْفَ ساقِهِ ... بَعِيدٌ مِنَ الآفاتِ طَلّاعُ أَنْجُدِ[1]

فتأويل الآية يوم يشتد الأمر كمايشتد ما يحتاج فيه إلى ان يكشف عن ساق **﴿ويدعون**

---

(١) كميش الازار أي مشمراً جاداً وطلاع انجد أي ضابط للامور غالب لها. والبيت من قصيدة له يقولها في رثاء اخيه أبي قرعان عبد الله بن الصمة.

**إلى السجود﴾** اي يقال لهم على وجه التوبيخ اسجدوا **﴿فلا يستطيعون﴾** وقيل معناه ان شدة الأمر وصعوبة ذلك اليوم تدعوهم إلى السجود وان كانوا لا ينتفعون به ليس انهم يؤمرون به وهكذا كما يفزع الإنسان إلى السجود إذا أصابه هول من أهوال الدنيا **﴿خاشعة ابصارهم﴾** أي ذليلة ابصارهم لا يرفعون نظرهم عن الأرض ذلَّه ومهانة **﴿ترهقهم ذلة﴾** أي تغشاهم ذلة الندامة والحسرة **﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾** أي اصحاء يمكنهم السجود فلا يسجدون يعني انهم كانوا يؤمرون بالصلاة في الدنيا فلم يفعلوا قال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حيَّ على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقد ورد عن الربيع بن خثيم انه عرض له الفالج فكان يهادي بين رجلين إلى المسجد فقيل له يا أبا يزيد لو جلست فإن لك رخصة قال من سمع حيَّ على الفلاح فليجب ولو حبواً وروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) انهما قالا في هذه الآية افحم القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر لما رهقهم من الندامة والخزي والمذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون اي يستطيعون الأخذ بما أمروا به والترك لما نهوا عنه ولذلك ابتلوا وقال مجاهد وقتادة يؤذن المؤذن يوم القيامة فيسجد المؤمن وتصلب ظهور المنافقين فيصبر سجود المسلمين حسرة على المنافقين وندامة وفي الخبر انه تصير ظهور المنافقين كالسفافيد[1] ثم قال سبحانه **﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾** هذا تهديد معناه فذرني والمكذبين أي كل امرهم إليَّ كما يقول القائل دعني واياه يقول خَلِّ بيني وبين من يكذب بهذا القرآن ولا تشغل قلبك به فإني أكفيك امره **﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾** أي سنأخذهم إلى العقاب حالاً بعد حال وقد مرَّ تفسيره في سورة الأعراف وروي عن أبي عبد الله (ع) انه قال إذا احدث العبد ذنباً جدّد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج **﴿واملي لهم ان كيدي متين﴾** اي واطيل آجالهم ولا ابادر إلى عذابهم مبادرة من يخشى الفوت فإنما يعجل من يخاف الفوت ان عذابي لشديد :

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ

(١) السفافيد جمع السفود ـ كنفور ـ حديدة يشوي عليها اللحم.

مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ
وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن
يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ
وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة لَيَزْلقونك بفتح الياء والباقون ليُزْلقونك بضم الياء .

[ **الحجة** ] من قرأ بفتح الياء جعله من زلقه وزلقته انا مثل حزن وحزنته وشترت عينه وشترتها (١) قال أبو علي والخليل يذهب في ذلك إلى ان المعنى جعلت فيه شَتَراً وجعلت فيه حزناً كما انك إذا قلت كحلته ودهنته اردت جعلت ذلك فيه ومن قرأ ازلقه الفعل بالهمزة ومعنى يزلقونك بأبصارهم ينظرون اليك نظر البغضاء كما ينظر الاعداء ومثله قول الشاعر :

يَتَقَارَضُونَ إذا ٱلتَقَوْا في مَجْلِسٍ   نَظَراً يُزِيلُ مَواقِعَ الأَقْدامِ

[ **اللغة** ] المغرم ما يلزم من الدين الذي يلح في اقتضائه واصله من اللزوم بالإلحاح ومنه قوله ان عذابها كان غراماً أي لازماً ملحاً قال الشاعر:

وَيَوْمُ الْجِفارِ وَيَوْمُ النِّسَارِ   كَانَا عَذاباً وَكَانَا غَراماً(٢)

والمثقل المحمل الثقل وهو مثقل بالدين ومثقل بالعيال ومثقل بما عليه من الحقوق اللازمة وامور الواجبة والمكظوم المحبوس عن التصرف في الأمور ومنه كظمت رأس القربة إذا شدَّدته وكظم غيظة إذا حبسه بقطعة عما يدعو اليه وكظم خصمه إذا اجابه بالمسكت والعراء الأرض العارية من النبات قال قيس بن جعدة .

وَرَفَعْتُ رِجْلاً لا أَخافُ عِثارَها   وَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ الْعَراءِ ثِيابي

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال على وجه التوبيخ للكفار **﴿أم تسألهم اجراً﴾** هذا عطف على قوله أم لكم كتاب فيه تدرسون ذكر سبحانه جميع ما يحتجُّ به فقال أم

(١) شتر عينه : قلب جفنها . والشتر : النقص والعيب .

(٢) مر البيت في المجلد الرابع .

تسأل يا محمد هؤلاء الكفار اجزاء على اداء الرسالة والدعاء إلى الله ﴿فهم من مغرم﴾ أي هم من لزوم ذلك ﴿مثقلون﴾ أي محملون الاثقال ﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ أي هل عندهم علم بصحة ما يدعونهُ اختصموا به لا يعلمهُ غيرهم فهم يكتبونهُ ويتوارثونه وينبغي ان يبرزوه ثم قال للنبي ﷺ ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ في ابلاغ الرسالة وترك مقابلتهم بالقبيح وقيل اللام تجري مجرى إلى والمعنى اصبر إلى ان يحكم الله بنصر اوليائك وقهر اعدائك وقيل معناه فاصبر لحكم الله في التخلية بين الظالم والمظلوم حتى يبلغ الكتاب اجله ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ يعني يونس اي لا تكن مثله في استعجال عقاب قومه واهلاكهم ولا تخرج من بين قومك من قبل ان يأذن لك الله كما خرج هو ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ أي دعا ربُه في جوف الحوت وهو محبوس عن التصرف في الحوت وهو محبوس عن التصرف في الامور والذي نادى بِهِ قوله لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل مكظوم اي مختنق بالغم إذ لم يجد لغيظهِ شفاء ﴿لولا ان تداركهُ نعمة من ربهِ﴾ أي لولا ان ادركتهُ رحمة من ربهِ باجابة دعائه وتخليصهِ من بطن الحوت وتبقيته فيهِ حيًّا واخراجه منه حيّاً ﴿لنبذ﴾ أي طرح ﴿بالعراء﴾ اي الفضاء ﴿وهو مذموم﴾ ملوم مليم قد اتى بما يلام عليه ولكن الله تعالى تداركه بنعمة من عنده فطرح بالعراء وهو غير مذموم ﴿فاجتباه ربهُ﴾ أي اختاره الله نبياً ﴿فجعله من الصالحين﴾ أي من جملة المطيعين لله التاركين لمعاصيهِ ﴿وان يكاد الذين كفروا﴾ إن هذه هي المخففة من الثقيلة والتقدير وانهُ يكاد أي قارب الذين كفروا ﴿ليزلقونك بأبصارهم﴾ أي ليزهقونك أي يقتلونك ويهلكونك عن ابن عباس وكان يقرأها كذلك وقيل ليصرعونك عن الكلبي وقيل يصيبونك بأعينهم عن السدي والكل يرجع في المعنى إلى الإصابة بالعين والمفسّرون كلّهم على انهُ المراد في الآية وانكر الجبائي ذلك وقال ان اصابة العين لا تصح وقال علي بن عيسى الرماني وهذا الذي ذكره غير صحيح[1] لأنهُ غير ممتنع ان يكون الله تعالى اجرى العادة لصحة ذلك لضرب من المصلحة وعليه اجماع المفسرين وجوّزه العقلاء فلا مانع منه وجاء في الخبر ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم قال نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقه العين وقيل ان الرجل منهم كان إذا أراد أن يصيب صاحبه بالعين تجوع ثلاثة أيام ثم كان يصفه فيصرعه بذلك وذلك بأن يقول للذي يريد ان يصيبه بالعين لا أرى كاليوم إبلا أو شاء أو ما أراد أي كإبل اراها اليوم فقالوا

(١) مر الكلام في صحة ذلك وعدمها والدليل عليه من القرآن الكريم في سورة يوسف راجع المجلد الثالث (ج ٥).

للنبي ﷺ كما كانوا يقولون لما يريدون ان يصيبوه بالعين عن الفراء والزجاج وقيل معناه انهم ينظرون اليك عند تلاوة القرآن والدعاء إلى التوحيد نظر عداوة وبغض وانكار لما يسمعونه وتعجب منه فيكادون يصرعونك بحدّة نظرهم ويزيلونك عن موضعك وهذا مستعمل في الكلام يقولون نظر إليَّ فلان نظراً يكاد يصرعني ونظراً يكاد يأكلني فيه وتأويله كله انه نظر إليَّ نظراً لو أمسكنه معه أكلي أو يصرعني لفعل عن الزجاج وقوله ﴿**لما سمعوا الذكر**﴾ يعني القرآن ﴿**ويقولون**﴾ مع ذلك ﴿**إنه لمجنون**﴾ أي مغلوب على عقله مع علمهم بوقاره ووفور عقله تكذيباً عليه ومعاندة له ﴿**وما هو**﴾ أي وما القرآن ﴿**الا ذكر**﴾ أي شرف ﴿**للعالمين**﴾ إلى ان تقوم الساعة وقيل معناه وما محمد ﷺ الا شرف للخلق حيث هداهم إلى الرشد وانقذهم من الضلالة لما نسبوه إلى الجنون وصفة بما ينفي ذلك عنه وقيل المراد بالذكر انه يذكرهم امر آخرتهم والثواب والعقاب والوعد والوعيد قال الحسن دواء اصابة العين ان يقرأ الإنسان هذه الآية .

# (٦٩) سورة الحاقة مكية وآياتها اثنتان وخمسون

[ **عدد آيها** ] أحدى وخمسون آية بصري وشامي وآيتان في الباقين .

[ **اختلافها** ] آيتان الحاقة الاولى كوفي كتابة بشماله حجازي .

[ **فضلها** ] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حساباً يسيراً وروى جابر الجعفي عن أبي جعفر (ع) قال اكثروا من قراءة الحاقة فإن قراءتها في الفرائض والنوافل من الإيمان بالله ورسوله ولم يسلب قارئها دينه حتى يلقي الله .

[ **تفسيرها** ] لما ذكر في آخر سورة القلم حديث القيامة ووعيد الكفار افتتح هذه السورة بذكر القيامة ايضاً وأحوال أهل النار فقال .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ
ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ
وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ

وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾

[ القراءة ] قرأ أهل البصرة والكسائي ومَنْ قِبَله بكسر القاف وفتح الباء والباقـون ومن قبله بفتح القاف وسكون الباء.

[ الحجة ] قال سيبويه قِبَلْ لِما ولي الشيء تقول ذهبت قِبَل السوق ولى قِبَلك حقٌّ أي فيما يليك واتسع فيه حتى صار بمنزلة لي عليك حق وحجة من قرأ انهم زعموا ان في قراءة ابيّ وجاء فرعون ومن معه وهذا يقوّي ومن قِبَله لأن قبل لما ولي الشيء مما لم يتخلف عنه وهو يتبعه ويَحف به وحجة من قال وَمَنْ قَبْله ان معناه ومن قبله من الأمم التي كفرت كما كفر هو .

[ اللغة ] قال ابن الانباري الحاقة الواجبة حق أي وجب يحق حقاً وحقوقاً فهـو حاق وقال الفراء تقول العرب لما عرفت الحق مني هربت والحقة والحـاقة بمعنى وقيـل سميت القيامة الحاقة لأنها تحق الكفار من قولهم حاقته فحققته مثل خاصمته فخصمته وسميت القارعة لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة إلى أن يصير المؤمنون إلى الأمن ودريت الشيء دراية ودُرية علمته وادريته اعلمته والطاغية الطغيان مصدر مثل العافية والصرصر الريح الشديدة الصوت والحسوم المتوالية مأخوذ من حسم الداء بمتابعة الكي عليـه فكأنـه تتابـع الشر عليهم حتى استأصلهم وقيل هو من القطع فكأنها حسمتهم حسوماً أي أذهبتهم وأفنتهم وقطعت دابرهم والخاوية الخالية التي لا شيء في اجوافها .

[ الاعراب ] العامل في الحاقة أحد شيئين أما الابتداء والخبر ما الحاقة كما تقول زيد ما زيد واما أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحاقة ثم قيل أيّ شيء الحاقة تفخيماً لشأنها وحسوما نصب على المصدر الموضوع موضع الصفة لثمانية أي تحسمهم حسوماً ويجوز ان يكون جمع حاسم فيكون مثل راقد ورقود وساجد وسجود وعلى هذا فيكون منصوباً على انه صفة لثمانية أيضاً وصرعى نصب على الحال وقوله كأنهم اعجاز نخل خاوية جملة في موضع الحال من صرعى أي صرعوا أمثال نخل خاوية ومن مزيدة في قوله من باقية .

[ المعنى ] ﴿الحاقة﴾ اسم من اسماء القيامة في قول جميع المفسرين وسميت بذلك لأنها ذات الحواق من الأمور وهي الصادقة الواجبة الصدق لأن جميع احكام القيامة واجبـة

الوقوع صادقة الوجود ﴿ما الحاقة﴾ استفهام معناه التفخيم لحالها والتعظيم ولشأنها ثم زاد سبحانه في التهويل فقال ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾ أي كأنك لست تعلمها إذ لم تعاينها ولم ترَ ما فيها من الأهوال قال الثوري يقال للمعلوم ما أدراك ولما ليس بمعلوم ما يدريك في جميع القرآن وإنما قال لمن يعلمها ما ادارك لأنه إنما يعلمها بالصفة ثم أخبر سبحانه عن المكذبين بها فقال ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ أي بيوم القيامة وإنما حسن ان توضع القارعة موضع الكناية لتذكر بهذه الصفة الهائلة بعد ذكرها بأنها الحاقة الا فقد كان يكفي ان يقول كذبت ثمود وعاد بها ثم اخبر سبحانه عن كيفية اهلاكهم فقال ﴿فأما ثمود﴾ وهم قوم صالح ﴿فأهلكوا بالطاغية﴾ أي اهلكوا بطغيانهم وكفرهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه اهلكوا بالصيحة الطاغية وهي التي جاوزت المقدار حتى اهلكتهم عن قتادة والجبائي وأبي مسلم وقال الزجاج اهلكوا بالرجفة الطاغية وقيل بالخصلة المتجاوزة لحال غيرها في الشدة التي أهلك الله بها اهل الفساد ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ أي باردة عن ابن عباس وقتادة كأنه تصطك الاسنان بما يسمع من صوتها لشدة بردها وقيل الصرصر الشديدة العصوف المتجاوزة لحدها المعروف ﴿عاتية﴾ عتت على خزانها في شدة الهبوب روى الزهري عن قبيصة بن ذؤيب انه قال ما يخرج من الريح شيء إلا عليها خزان يعلمون قدرها وعددها وكيلها حتى كانت التي أرسلت على عاد فاندفق منها فهم لا يعلمون قدر غضب الله فلذلك سميت عاتية ﴿سخَّرها عليهم﴾ أي سلَّطها الله وارسلها عليهم ﴿سبع ليال وثمانية أيام﴾ قال وهب وهي التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة وإنما نسبت هذه الأيام إلى العجيوز لأن عجوزاً دخلت سرباً فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب فانقطع العذاب في اليوم الثامن وقيل سميت أيام العجوز لأنها في عجز الشتاء ولها أسامي مشهورة قالوا لليوم «الاول» صِنّ «وللثاني» صِنَّبْر «والثالث» وَبْر «وللرابع» مُطفىء الجَمْر «وللخامس» مكفيءُ الظَّعن وقيل «للسادس» الآمر «وللسابع» المؤتمر «والثامن» المعلل وقال في ذلك شاعرهم .

كُسِعَ الشِّتاءُ بِسَبْعَةٍ غُبْرِ ... أَيَّامِ شَهْلَتِنا مَعَ الشَّهْرِ[1]
فَبِآمِرٍ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ ... وَمُعَلِّلٍ وَبِمُطْفِيءِ الْجَمْرِ

(١) الابيات لابن الاحمر ونسبها بعض إلى ابي شبل الاعرابي والكسع: شدة المر، يقال كسعه بكذا وكذا إذا جعله تابعاً له ومذهباً به . والشهلة : العجوز . والغبر: البقية.

فَـإذا آنـقـضَـتْ أيَّـامُ شَـهْـلَتِـنـا بِـالـصِّـنِّ وَالـصِّـنَّـبْـرِ وَالْـوَبْـرِ
ذَهَـبَ الـشِّـتـاء مُـوَلِّـيـاً هَـرِبـاً وَأَتَـتْـكَ وافِـدَةٌ مِـنَ الـنَّـجْـرِ(١)

﴿حسوماً﴾ أي ولاء متتابعة ليست لها فترة عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادةكأنه تتابع عليهم الشرَ حتى استأصلهم وقيل دائمة عن الكلبي ومقاتل وقيل قاطعة قطعتهم قطعاً حتى اهلكتهم عن الخليل وقيل مشائيم نكداء قليلة الخير حسمت الخير عن اهلها عن عطية ﴿فترى القوم فيها﴾ أي في تلك الايام والليالي ﴿صرعى﴾ أي مصروعين ﴿كأنهم اعجاز نخل خاوية﴾ أي اصول نخل بالية نخرة عن قتادة وقيل خاوية فارغة خالية الأجواف عن السدي وقيل ساقطة مثل قوله اعجاز نخل منقعر ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ أي من نفس باقية وقيل من بقاء والباقية بمعنى المصدر مثل العافية والطاغية والمعنى هل ترى لهم من بقية اي لم يبق منهم احد ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ مرَّ معناه ﴿والمؤتفكات﴾ أي وجاء اهل القرى المؤتفكات أي المنقلبات بأهلها عن قتادة وهي قرى قوم لوط يريد الأمم والجماعات الذين ائتفكوا ﴿بالخاطئة﴾ أي بخطيئتهم التي هي الشرك والكفر فالخاطئة مصدر كالخطأ والخطيئة وقيل معناه بالأفعال الخاطئة أي بالنفس الخاطئة ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ فيما امرهم به وقيل ان المراد بالرسول الرسالة كما في قول الشاعر :

لَقَـدْ كَـذِبَ الْـواشُـونَ مَـا بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِـسِـرّ وَلا أَرْسَـلْتُـهُـمْ بِـرَسُـولِ(٢)

أي برسالة عن أبي مسلم والأول اظهر ﴿ فأخذ هم ﴾ الله العقوبة ﴿اخذة رابية﴾ أي زائدة في الشدة عن ابن عباس وقيل نامية زائدة على عذاب الأمم وقيل عالية مذكورة خارجة عن العادة .

﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً
وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ

(١) النجر: الحر.
(٢) باح بسره : اظهره .

يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ
فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ
خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا
كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ
رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير في رواية القواس وتعيها بسكون العين مختلساً وهو بين الكسر والسكون والباقون بكسر العين وقرأ حمزة والكسائي لا يخفى بالياء والباقون بالتاء .

[ **الحجة** ] الوجه في سكون العين من تعيها انه جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة فخذ فاسكن لأن حرف المضارعة لا تنفصل من الفعل فصار كقولك فهو وفهي والياء والتاء في قوله لا يخفى حسن .

[ **اللغة** ] الجارية السفينة التي من شأنها ان تجري على الماء والجارية المرأة الشابة لأنه يجري فيها ماء الشباب يقال وعيت العلم اعيه وعياً واوعيت المتاع جعلته في الوعاء قال :

إِذا لَمْ تَكُنْ حافِظاً واعِياً     فَجَمْعُكَ لِلْكُتْبِ لا يَنْفَعُ

والدك البسط ومنه الدكان واندك سنام البعير إذا انفرش على ظهره والارجاء النواحي واحدها رجا مقصور والتثنية رجوان وهاؤم أمر للجماعة بمنزلة هاكم تقول للواحد هاءَ يا رجل وللاثنين هاؤُ ما يا رجلان وللجماعة هاؤم يا رجال وللمرأة هاءِ يا امرأة بكسر الهمزة وليس بعدها ياء وللمرأتين هاؤما وللنساء هاؤنَّ هذه لغة اهل الحجاز وتميم وقيس يقولون هاءَ يا رجل مثل قول اهل الحجاز وللاثنين هاء وللجماعة هاؤا وللمرأة هائي وللنساء هَأْنَ[1] وبعض

---

(١) قال ابن منظور ولغة اخرى : هاء يا رجل بهمزة مكسورة وللاثنين هائياً : وللجمع هاؤوا : وللمرأة هائي أو المثنتين هائياً، وللجمع هائين .

العرب يجعل مكان الهمزة كافاً فيقول هاك هاكما هاكم هاكِ هاكما هاكنَّ ومعناه خذ وتناول ويؤمر بها ولا ينهي ووقف الكسائي على هاؤم وابتدأ اقرأوا كتابيه اعلاماً منه انه لا يذهب إلى اعمال الفعل الأول وإنما العمل للثاني والراضية المرضية فاعلة بمعنى مفعول لأنها في معنى ذات رضى كما قيل لابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر قال النابغة.

كَلِينِي لِهَمٍ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ[١]

يعني ذو نصب فكأن العيشة اعطيت حتى رضيت لأنها بمنزلة الطالبة كما ان الشهوة بمنزلة الطالبة للمشتهي وقيل هو مثل ليل نائم وسرٌّ كاتم وماء دافق على وجه المبالغة في الصفة من غير التباس في المعنى والقطوف جمع قطف وهو ما يقطف من الثمر والقطف بالفتح المصدر.

[ **الاعراب** ] كتابي مفعول اقرأوا لأنه يليه قطوفها دانية جملة مجرورة الموضع لأنها صفة جنة.

[ **المعنى** ] ثم بيّن سبحانه قصة نوح (ع) فقال ﴿**انا لما طغى الماء**﴾ اي جاوز الحدَّ المعروف حتى غرقت الأرض بمن عليها إلا من شاء الله نجاته ﴿**حملناكم في الجارية**﴾ أي حملنا آباءكم في السفينة عن ابن عباس وابن زيد ﴿**لنجعلها لكم تذكرة**﴾ اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملناه عبرة لكم وموعظة تتذكرون بها نعم الله تعالى وتشكرونه عليها وتتفكرون فيها فتعرفون كمال قدرته وحكمته ﴿ **وتعيها اذن واعية**﴾ أي وتحفظها اذن حافظة لما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل سامعة قايلة لما سمعت عن قتادة وقال الفراء لتحفظها كل اذن فتكون عظة لمن يأتي بعد وروى الطبري بإسناده عن مكحول انه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ اللهم اجعلها اذن علي ثم قال عليّ (ع) فما سمعت شيئاً من رسول الله ﷺ فنسيته وروى بإسناده عن عكرمة عن بريدة الاسلمي ان رسول الله ﷺ قال لعلي (ع) يا علي ان الله تعالى امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وتعي وحق على الله ان تعي فنزل وتعيها اذن واعية اخبرني فيما كتب بخطه إليّ المفيد أبو الوفاء عبد الجبار عبد الله بن علي الرازي قال حدثني الشيخ السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي والرئيس أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الكاتب والشيخ أبو عبد الله حسن بن أحمد بن حبيب الفارسي قالوا حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المفيد

(٢) الشعر في جامع الشواهد.

الجرجاني قال سمعت ابا عمرو عثمان بن خطاب المعمر المعروف بأبي الدنيا الأشج قال سمعت علي بن ابي طالب (ع) يقول لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي ﷺ سألت الله عز وجل ان يجعلها اذنك يا علي **﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾** وهي النفخة الاولى عن عطا والنفخة الأخيرة عن مقاتل والكلبي **﴿وحملت الأرض والجبال﴾** أي رفعت من اماكنها **﴿فدكّتا دكة واحدة﴾** أي كسرتا كسرة واحدة لا تثنى حتى يستوي ما عليها من شيء مثل الأديم الممدود وقيل ضرب بعضها ببعض حتى تفتت الجبال وسفتها الرياح وبقيت الارض شيئاً واحداً لا جبل فيها ولا رابية بل تكون قطعة مستوية وإنما قال دكّتا لأنه جعل الأرض جملة واحدة والجبال دكة واحدة **﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾** اي قامت القيامة **﴿وانشقت السماء﴾** أي انفرج بعضها من بعض **﴿فهي يومئذ واهية﴾** أي شديدة الضعف بانتقاض بنيتها وقيل هو ان السماء تنشق بعد صلابتها فتصير بمنزلة الصوف في الوهي والضعف **﴿والملك على ارجائها﴾** أي على اطرافها ونواحيها عن الحسن وقتادة والملك اسم يقع على الواحد والجمع والسماء مكان الملائكة فإذا وهت صارت في نواحيها وقيل ان الملائكة يومئذ على جوانب السماء تنتظر ما يؤمر به في أهل النار من السوق اليها وفي أهل الجنة من التحية والتكرمة فيها **﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾** يعني فوق الخلائق **﴿يومئذ﴾** يعني يوم القيامة **﴿ثمانية﴾** من الملائكة عن ابن زيد وروي ذلك عن النبي ﷺ انهم اليوم اربعة فإذا كان يوم القيامة ايّدهم بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى عن ابن عباس **﴿يومئذ تعرضون﴾** يعني يوم القيامة تعرضون معاشر المكلفين **﴿لا تخفى منكم خافية﴾** اي نفس خافية او فعلة خافية وقيل الخافية مصدر أي خافية أحد وروي في الخبر عن ابن مسعود وقتادة ان الخلق يعرضون ثلاث عرضات ثنتان فيها معاذير وجدال والثالثة تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وليس يعرض الله الخلق ليعلم من حالهم ما لم يعلمه فإنه عزَّ اسمه العالم لذاته يعلم جميع ما كان منهم ولكن ليظهر ذلك لخلقه ثم قسَّم سبحانه حال المكلفين في ذلك اليوم فقال **﴿فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول﴾** لأهل القيامة **﴿هاؤم﴾** أي تعالوا **﴿اقرأوا كتابيه﴾** وإنما يقوله سرورا به لعلمه بأنه ليس فيه إلا الطاعات فلا يستحيي ان ينظر فيه غيره واهل اللغة يقولون ان معنى هاؤم خذوا **﴿إني ظننت﴾** أي علمت وايقنت في الدنيا **﴿اني ملاق حسابيه﴾** والهاء لنظم رؤوس الآي وهي هاء الاستراحة والمعنى اني كنت مستيقناً في دار الدنيا بأنيّ ألقى حسابي يوم القيامة عالماً بأني اجازي على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب فكنت اعمل بما اصل به إلى هذه المثوبة **﴿فهو في عيشة راضية﴾** أي في حالة من العيش راضية يرضاها بأن لقي الثواب

وآمن العقاب ﴿**في جنة عالية**﴾ أي رفيعة القدر والمكان ﴿**قطوفها دانية**﴾ أي ثمارها قريبة ممن يتناولها قال البراء بن عازب يتناول الرجل من الثمرة وهو نائم وقد ورد في الخبر عن عطاء بن يسار عن سلمان قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة احدكم إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية وقيل معناه لا يردّ ايديهم عن ثمرها بعد ولا شوك عن قتادة ﴿**كلوا واشربوا**﴾ اي يقال لهم كلوا واشربوا في الجنة ﴿**هنيئاً لما اسلفتم**﴾ أي قدمتم من اعمالكم الصالحة ﴿**في الأيام الخالية**﴾ الماضية يعني ايام الدنيا ويعني بقوله هنيئاً انه ليس فيه ما يؤذي فلا يحتاج فيه إلى اخراج فصل بغائط أو بول .

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾

[ **اللغة** ] القاضية الفاصلة بالإماتة يقال قضى فلان إذا مات واصله فصل الأمر ومنه قضية الحاكم ومنه قضاء الله وهو في الاخبار بما يكون على القطع والتصلية الزام النار ومنه الاصطلاء وهو القعود عند النار للدفاء والجحيم النار العظيمة والسلسلة حلق منتظمة كل واحدة منها في الأخرى ويقال سلسل كلامه إذا عقد شيئاً منه بشيء وتسلسل الشيء إذا استمرَّ على الولاء شيئاً قبل شيء وذرع الثوب يذرعه ذرعاً مُأخوذ من الذراع والغسلين الصديد الذي ينغسل بسيلانه من ابدان اهل النار ووزنه فعلين من الغسل .

[ **الاعراب** ] قوله كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه قال الزجاج الوجه ان يوقف على هذه الهاءات ولا توصل لأنها ادخلت للوقف وقد حذفها قوم في الوصل ولا احب مخالفة المصحف ولا ان اقرأ واثبت الهاءات في الوصل وهذه رؤوس آيات فالوجه ان يوقف عندها وكذلك قوله ما هية فليس له اليوم هاهنا حميم الجار والمجرور خبر ليس ليصح قوله ولا طعام الا من غسلين أي ولا له طعام ولا يكون الخبر هاهنا لأن التقدير يصير ولا طعام هاهنا الا من غسلين وهذا غير جائز إذ هنا طعام غير غسلين ولا يكون الخبر اليوم لأن حميم جثة وظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه حال اهل النار فقال ﴿**واما من اوتي**﴾ أي اعطي ﴿**كتابه**﴾ الذي هو صحيفة اعماله ﴿**بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه**﴾ أي تمنّى انه لم يؤته لما يرى فيه مقابح أعماله التي يسودُّ لها وجهه ﴿ **ولم أدر ما حسابيه** ﴾ أي ولم أدرِ أي شيء حسابي لأنه لا حاصل له في ذلك الحساب وإنما هو كلّه عليه ﴿**يا ليتها كانت القاضية**﴾ الهاء في ليتها كناية عن الحال التي هم فيها وقيل هي كناية عن الموتة الاولى والقاضية القاطعة للحياة أي ليت الموتة الاولى التي متنا لم نحي بعدها عن الفراء يتمنى دوام الموت وانه لم يبعث للحساب وقال قتادة تمنى يومئذ الموت ولم يكن في الدنيا شيء عنده اكره من الموت ﴿**ما اغنى عني ماليه**﴾ أي ما دفع عني مالي من عذاب الله شيئاً وقيل معناه اني قصرت همّتي على تحصيل المال ليكشف الكرب عني فما نفعني اليوم ﴿**هلك عني سلطانيه**﴾ أي حجتي عن ابن عباس ومجاهد أي ضل عني ما كنت اعتقده حجة وقيل معناه هلك عني تسلطي وأمري ونهيي في دار الدنيا على ما كنت مسلطاً عليه فلا امر لي ولا نهي ثم اخبر سبحانه انه يقول للملائكة ﴿**خذوه فغلوه**﴾ أي اوثقوه بالغل وهو ان تشد أحدى يديه ورجليه إلى عنقه بجامعة ﴿**ثم الجحيم صلوه**﴾ أي ثم ادخلوه النار العظيمة والزموه اياها ﴿**ثم في سلسلة ذرعها**﴾ اي طولها ﴿**سبعون ذراعاً فاسلكوه**﴾ أي اجعلوه فيها لأنه يؤخذ عنقه فيها ثم يجرّ بها قال الضحاك إنما تدخل في فيه وتخرج من دبره فعلى هذا يكون المعنى ثم اسلكوا السلسلة فيه فقلب كما يقال ادخلت القلنسوة في رأسي وقال الأعشى «إذا ما السراب ارتدى بالأكم»(١) وإنما ارتدى الأكم بالسراب ولكنه قلب وقال نوف البكالي كل ذراع سبعون باعاً والباع ابعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال الحسن الله اعلم بأيّ ذراع هو وقال سويد بن نجيح ان جميع اهل النار في تلك السلسلة ولو ان حلقة منها وضعت على جبل لذاب من

---

(١) الاكم جمع الاكام : التل.

حرّها ثم قال سبحانه ﴿انه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾ شأنه أي لم يكن يوحدّ الله في دار التكليف ولا يصدّق به ﴿ولا يحضّ على طعام المسكين﴾ وهو المحتاج الفقير والمعنى انه كان يمنع الزكاة والحقوق الواجبة ﴿فليس له اليوم ههنا حميم﴾ أي صديق ينفعه ﴿ولا طعام﴾ أي ولا له اليوم طعام ﴿الا من غسلين﴾ وهو صديد أهل النار وما يجري منهم فالطعام هو ما هيىء للأكل ولذلك لا يسمى التراب طعاماً للانسان فلما هيىء الصديد لأكل اهل النار كان ذلك طعاماً لهم وقيل ان اهل النار طبقات فمنهم من طعامه غسلين ومنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الضريع لأنه قال في موضع آخر ليس لهم طعام الا من ضريع وقيل يجوز ان يكون الضريع هو الغسلين فعبّر عنه بعبارتين عن قطرب وقيل يجوز ان يكون المراد ليس لهم طعام الا من ضريع ولا شراب الا من غسلين كما قال الشاعر .

عَلَّفْتُها تِبْناً وَماءً بارِداً[1]    حَتَّى شَقَتْ هَمّالَةً عَيْناهَا

﴿لا يأكله﴾ اي لا يأكل الغسلين ﴿الا الخاطئون﴾ وهم الجائرون عن طريق الحق عامدين والفرق بين الخاطىء والمخطىء ان المخطىء قد يكون من غير تعمد والخاطىء المذنب المتعمد الجائر عن الصراط المستقيم قال امرؤ القيس .

يا لَهْفَ هِنْدٍ إذْ خَطِئْنَ كاهِلاً    اَلقاتِلينَ المَلِكَ الحُلاحِلا[2]

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا
لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ
قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

(١) هذا المصراع يجعله بعض العلماء صدراً ويحمل عجزه «حتى ثقت» كما في الكتاب ويجعله بعضهم عجزاً ويجعل صدره «لما حططت الرجل عنها وارداً» ومعنى المصراع، علفتهما تبناً وسقيها ماءاً ، على تقدير عامل محذوف وجعل الواو عاطفة عطفت جملة على جملة. أو ان المراد من قوله «علفتها» اعطيتها فالواو عاطفة ايضاً وقد عطفت مفرداً على مفرد.

(٢) كاهل أبو قبيلة من الاسد وهم قد قتلوا «حجراً» والد امرىء القيس في قصة طويلة واراد من الملك الحلاحل في البيت والده. والحلاحل بمعنى السيد في عشيرته و «هند» اخته وفي اللسان «يا لهف نفسي» وخطئن بمعنى أخطأن وفاعله ضمير يرجع الى «الخيل» وان لم يجر لها ذكر وهذا مثل قوله تعالى «حتى توارت بالحجاب» وقول لبيد «حتى إذا الفت يداً في كافر» وغير ذلك .

تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ
ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ
ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ
لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ
لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ
بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وسهل يؤمنون ويذكرون بالياء كناية عن الكفار والباقون بالتاء خطاباً لهم وكلاهما حسن .

[ **اللغة** ] الوتين نياط القلب وإذا انقطع مات الإنسان قال الشماخ بن ضرار .

إذا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرابَةَ فَأَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ(١)

[ **الاعراب** ] قليلاً في الموضعين صفة مصدر محذوف وما مزيدة وتقديره إيماناً قليلاً تؤمنون وتذكراً قليلاً تذكرون ويجوز ان يكون صفة لظرف محذوف أي وقتاً قليلاً تؤمنون ووقتاً قليلاً تذكرون ويجوز ان تكون ما مصدرية ويكون التقدير قليلاً إيمانكم وقليلاً تذكركم يكون ما في موضع رفع بقليل وقوله من احد في موضع رفع لأنه اسم ما ومن مزيدة لتأكيد النفي تقديره فما منكم أحد والاصل فما احد منكم فمنكم في موضع رفع بكونه صفة على الموضع أو في موضع جرّ على اللفظ فلما تقدم الموصوف صار في موضع النصب على الحال حاجزين منصوب بأنه خبر ما ولم يبطل قوله منكم عمل ما وإن فصل بينهما لأنه ظرف والفصل بالظرف في هذا الباب كلا فصل قال أبو علي ان جعلت منكم مستقراً كان حاجزين صفة أحد وإن جعلت منكم غير مستقر كان حاجزين خبر ما وعلى الوجهين فقوله حاجزين

(١) عرابة : اسم رجل من الانصار من الاوس وكان من قصة شماخ على ما قيل انه خرج يريد المدينة فلقيه عرابة ؛ فسأله عما اقدمه المدينة فقال اردت ان امتار لاهلي ؛ وكان معه بعيران فأوقرهما عرابة تمراً وبراً وكساه واكرمه ؛ فخرج من المدينة وامتدحه بقصيدة منها البيت ويخاطب فيه ناقته ؛ وشرق الشيء : اشتد حمرته بدم أو شيء احمر.

محمول على المعنى وأقول في بيانه انه ان كان في منكم ضمير لأحد ويكون خبراً له متقدماً عليه فيكون حاجزين صفة لأحد وتقديره ما منكم قوم حاجزون عنه ويكون ما غير عاملة هنا على غير لغة تميم أيضاً ويكون حاجزين مجروراً حملاً على اللفظ وكونه غير مستقر هو أن يكون على ما ذكرناه قبل .

[ المعنى ] ثم اكدَّ سبحانه ما تقدَّم فقال **﴿فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون﴾** قيل فيه وجوه (أحدها) ان يكون قوله لا ردّاً لكلام المشركين فكأنه قال ليس الأمر كما يقول المشركون اقسم بالاشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر ويدخل فيها جميع المكونات «انه لقول رسول كريم» يعني محمداً ﷺ عن الفراء وقتادة و (ثانيها) ان لا مزيدة مؤكَّدة والتقدير فاقسم بما ترون وما لا ترون (وثالثها) انه نفي للقسم ومعناه لا يحتاج إلى القسم لوضوح الأمر في انه رسول كريم فإنه اظهر من ان يحتاج في اثباته إلى قسم عن أبي مسلم و (رابعها) انه كقول القائل لا والله لا افعل ذلك ولا والله لأفعلن ذلك وقال الجبائي إنما اراد انه لا يقسم بالاشياء المخلوقات ما يرى وما لا يرى وإنما اقسم بربها لأن القسم لا يجوز الا بالله **﴿انه لقول رسول كريم﴾** قال انه قول الله على الحقيقة وإنما الملك وجبرائيل والرسول يحكون ذلك وإنما اسنده اليهم من حيث ان ما يسمع منهم كلامهم فلما كان حكاية كلام الله قيل هو كلام الله على الحقيقة في العرف قال الجبائي والرسول الكريم جبرائيل والكريم الجامع لخصال الخير **﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون﴾** قول الشاعر ما ألفه بوزن وجعله مقفى وله معنى وقول الكاهن السجع وهو كلام متكلف يضم إلى معنى يشاكله طهرَّه الله سبحانه من الشعر والكهانة وعصمه عنهما وإنما منعه سبحانه من الشعر ونزَّهه عنه لأن الغالب من حال الشعر أن يدعو إلى الهوى ويبعث على الشهوة والنبي ﷺ إنما يأتي بالحكم التي يدعو اليها العقل للحاجة إلى العمل عليها والاهتداء بها وأيضاً فإنه سبحانه منعه من قول الشعر دلالة على ان القرآن ليس بصفة الكلام المعتاد بين الناس وانه ليس بشعر بل هو صنف من الكلام خارج عن الأنواع المعتادة وإذا بعد عما جرت به العادة في تأليف الكلام فذلك ادل على اعجازه وقوله قليلاً ما تؤمنون معناه لا تصدقون بأن القرآن من عند الله تعالى يريد بالقليل نفي إيمانهم اصلاً كما تقول لمن لا يزورك قل ما تأتينا وانت تريد لا تأتينا اصلاً فالمعنى لا تؤمنون به ولا تتذكرون ولا تتفكرون فتعلموا المعجز ونفصلوا بينه وبين الشعر والكهانة **﴿تنزيل من رب العالمين﴾** بيَّن انه منزل من عنده على لسان جبرائيل حتى لا يتوهم انه كلام جبرائيل **﴿ولو تقول علينا﴾** محمد ﷺ **﴿بعض الاقاويل﴾** معناه ولو

كـذب علينا واختلق مـا لم نقله أي لو تكلف القـول واتى به من عنـد نفسه **﴿لأخـذنا منـه باليمين﴾** اي لأخذنا بيده التي هي اليمين على وجه الاذلال كما يقول السلطان يا غلام خذ بيده فأخذها اهانة عن ابن جرير وقيل معناه لقطعنا يده اليمنى عن الحسن وأبي مسلم فعلى هذا تكون الباء مزيدة أي لأخذنا منه اليمين وقيل معناه لأخذنا منه بالقوة والقدرة أي لأخذناه ونحن قادرون عليه مالكون له عن الفراء والمبرد والزجاج وإنما اقام اليمين مقام القوة والقدرة لأن قوة كل شيء في ميامنـه عن ابن قتيبة **﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾** اي ولكنا نقطع منه وتينه ونهلكه قال مجاهد وقتادة هو عرق في القلب متصل بالظهر وقيل هو حبل القلب **﴿فما منكم من أحـد عنه حـاجزين﴾** أي فمـا منكم أحد يحجـزنا عنـه والمعنى انه لا يتكلف الكـذب لأجـلكم مع علمه انه لو تكلف ذلك لعاتبناه ثم لم تقدروا أنتم على دفع عقوبتنا عنه ثم ذكر سبحانه ان القرآن ما هو فقال **﴿وانه لتذكـرة للمتقين﴾** أي وانه لعـظة لمن اتقى عقاب الله بطاعته **﴿وانا لنعلم أن منكم مكذّبين﴾** بالقرآن أي علمنا ان بعضكم يكذبه اشار سبحانه إلى ان منهم من يصدق ومنهم من يكذب **﴿وانه لحسرة على الكافرين﴾** اي ان هذا القرآن حسرة عليهم يوم القيامة حيث لم يعملوا به في الدنيا **﴿وانه لحق اليقين﴾** معناه وان القرآن للمتقين لحق اليقين والحق هو اليقين وإنما اضافة إلى نفسه كما يقال مسجد الجـامع ودار الآخـرة وبارحة الأولى ويوم الخميس وما اشبه ذلك فيضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه وقيل ان الحق هو الذي معتقده على ما اعتقد واليقين هو الذي لا شبهة فيه **﴿فسبّح بـاسم ربك العظيم﴾** الخطاب للنبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين ومعناه نزّه الله سبحانه عما لا يجوز عليه من الصفات والعظيم هو الجليل الذي يصغر شأن غيره في شأنـه ويتضاءل كـل شيء لعظمته وسلطانه .

# (٧٠) سورة المعارج مكية وآياتها اربع واربعون

قال الحسن الا قوله والذين في اموالهم حق معلوم .

[ عدد يها ]

أربع واربعون آية غير الشامي ثلاث شامي .

[ اختلافها ] آية الف سنة غير الشامي .

[ فضلها ] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون وعن جابر عن أبي جعفر ( ع ) قال من ادمن قراءة سأل سائل لم يسأله الله يوم القيامة عن ذنب عمله واسكنه جنته مع محمد ﷺ .

[ تفسيرها ] لمّا ختم الله سورة الحاقة بوعيد الكفار افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾
مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ
كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ

كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة وابن عامر سال بغير همز والباقون بالهمز وقرأ الكسائي يعرج بالياء وقرأ الباقون بالتاء وقرأ ابن كثير في رواية البزي وعاصم في رواية البرجمي عن أبي بكر ولا يسأل بضم الياء والباقون لا يسأل بفتح الياء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ سال جعل الالف منقلبة عن الواو التي هي عين مثل قال وخاف وحكى ابو عثمان عن أبي زيد انه سمع من يقول هما يتساولان فمن قال سال كان على هذه اللغة ومن قرأ سأل فجعل الهمزة عين الفعل فإن حقَّق قال سأل وان خفَّف جعلها بين الالف والهمزة واما قول الشاعر :

سَأَلَتْ هُذَيْلُ رَسُولَ اللّهِ فاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلُ بِمَا قَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ

ويمكن فيه الوجهان وكل القراء على همز سائل لأنه لا يخلوا ما أن يكون من يتساولان او من اللغة الاخرى فإن كان من الاول لم يكن فيه الا الهمز كما يكون في قائل وخائف لأن العين إذا اعتلت بالفعل اعتلت في اسم الفاعل واعتلالها لا يكون بالحذف للالتباس فقلب الى الهمزة وان كانت في لغة من همز فليس فيه الا الهمز كما يكون في ثائر الا انك ان شئت خففت الهمزة فجعلتها بين بين وكذلك في الوجه الآخر واما يعرج وتعرج فالياء والتاء فيه حسنتان ومن ضمَّ قوله ولا يسئل حميم حميماً فالمعنى والله اعلم لا يسئل حميم عن حميمه ليعرف شأنه من جهته كما يتعرف الخبر الصديق من جهة صديقه والقريب عن قريبه فإذا كان كذلك فالكلام إذا بنيت الفعل للفاعل قلت سألت زيداً عن حميمه وإذا بنيت الفعل للمفعول به قلت سئل زيد عن حميمه وقد يحذف الجار فيصل الفعل إلى الإسم الذي كان مجروراً قبل حذف الجار فينتصب بأنه مفعول الاسم الذي اسند اليه الفعل المبني للمفعول به فعلى هذا انتصب قوله حميماً ويدلُّ على هذا المعنى قوله يبصرونهم اي يبصر الحميم الحميم تقول بصرت به فإذا ضعفت عين الفعل صار الفاعل مفعولاً فتقول بصرني زيد بكذا فإذا حذفت الجار قلت بصرني زيد كذا فإذا بنيت الفعل للمفعول به وقد حذفت الجار قلت بصرت زيداً فعلى هذا قوله يبصرونهم فإذا بصروهم لم يحتج إلى تعرف شأن الحميم من حميمه وإنما جمع فقيل يبصروهم لأن الحميم وان كان مفرداً في اللفظ فالمراد به الكثرة

والجمع يدلك على ذلك قوله فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ومن قرأو لا يسأل حميم حميماً فالمعنى لا يسأل الحميم عن حميمه في ذلك اليوم لأنه يذهل عن ذلك ويشغل عنه بشأنه كما قال يوم يفرّ المرء من أخيه إلى قوله لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه .

[ اللغة ] المعارج مواضع العروج وهو الصعود مرتبة بعد مرتبة ومنه الأعرج لارتفاع أحدى رجليه عن الاخرى قال الزجاج المهل دردي الزيت وقيل هو الجاري بغلظه وعكزه على رفق من أمهله أمهالاً والعهن الصوف المنقوش والحميم القريب النسب إلى صاحبه وأصله من القرب قال:

أَحَمَّ اللّهُ ذٰلِكَ مِنْ لِقَاءٍ أُحَادَ أُحَادَ فِي الشَّهْرِ الْحَلاٰلِ[1]

[ الاعراب ] بعذاب الباء تتعلق بسأل لأن معناه دعا داع بعذاب وقيل ان الباء بمعنى عن وتقديره عن عذاب قال.

دَعِ الْمُعَمَّرَ لاَ تَسْأَلْ بِمَصْرَعِهِ وَاسْأَلْ بِمَصْقَلَةِ الْبَكْرِيِّ مَافَعَلا

يريد عن مصرعه وعن مصقله واللام في قوله للكافرين بمعنى على ويتعلق بواقع أي واقع على الكافرين وقيل انه يتعلق بمحذوف فيكون صفة لسائل تقديره سأل سائل كائن للكافرين أي منهم .

[المعنى] ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ قيل ان هذا السائل هو الذي قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وهو النضر بن الحارث بن كلدة فيكون المعنى دعا داع على نفسه بعذاب واقع مستعجلاً له وهو واقع بهم لا محالة عن مجاهد وقيل سأل المشركون فقالوا لمن هذا العذاب الذي تذكر يا محمد فجاء جوابه بأنه ﴿للكافرين ليس له دافع﴾ عن الحسن وقيل معناه دعا داع بعذاب على الكافرين وذلك الداعي هو النبي ﷺ عن الجبائي وتكون الباء في بعذاب مزيدة على التوكيد كما في قوله وهزّي اليك بجذع النخلة والتقدير سأل سائل عذاباً واقعاً وقيل هي بمعنى عن وعليه تأويل قول الحسن لأنهم سألوا عن العذاب لمن هو وقيل الباء للتعدي أي بإنزال عذاب وعليه تأويل قول مجاهد وقيل ان معنى سأل سائل على قراءة من قرأ بالالف من سال يسيل سيلاً والتقدير سال سيل سائل بعذاب واقع وقيل سائل اسم واد في جهنم سمّي به لأنه يسيل بالعذاب عن ابن زيد واخبرنا السيد أبو الحمد

(١) قائله احد من الهذليين . وأحمه الله اي قربه .

قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثنا أبو عبد الله الشيرازي قال حدثنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو أحمد البصري قال حدثنا محمد بن سهل قال حدثنا زيد بن إسماعيل مولى الانصار قال حدثنا محمد بن ايوب الواسطي قال حدثنا سفيان بن عيينه عن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عليهم السلام قال لمّا نصب رسول الله ﷺ عليّاً (ع ) يوم غدير خم وقال من كنت مولاه فعليّ مولاه طار ذلك في البلاد فقدم على النبي ﷺ النعمان بن الحرث الفهري فقال امرتنا عن الله أن نشهد أن لا إلّه إلا الله وانك رسول الله وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعليّ مولاه فهذا شيء منك أو أمر من عند الله فقال والله الذي لا إلّه إلا هو ان هذا من الله فولي النعمان بن الحرث وهو يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فرماه الله بحجر على رأسه فقتله وانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقوله ليس له دافع ﴿من الله ذي المعارج﴾ اي ليس لعذاب الله دافع من الله وقيل معناه بعذاب للكافرين واقع من الله اي وقوعه من الله وذي المعارج صفة الله سبحانه وقيل فيه وجوه (أحدها) ان معناه ذي الفواضل العالية والدرجات التي يعطيها للأنبياء والاولياء في الجنة لأنه يعطيهم المنازل الرفيعة والدرجات العلية وهو معنى قول قتادة والجبائي (وثانيها) أنها معارج السماء أي مواضع عروج الملائكة عن ابن عباس ومجاهد وقال الكلبي معناه ذي السماوات لأن الملائكة تعرج فيها (وثالثها) انه بمعنى ذي الملائكة أي مالك الملائكة التي تعرج إلى السماء ومنه ليلة المعراج لأنه عرج بالنبي ﷺ إلى السماء فيها ﴿تعرج الملائكة والروح﴾ أي تصعد الملائكة ويصعد الروح أيضاً معهم وهو جبرائيل خصَّه بالذكر من بين الملائكة تشريفاً له ﴿إليه﴾ أي إلى الموضع الذي لا يجري لاحد سواه فيه حكم جعل سبحانه عروجهم إلى ذلك الموضع عروجاً اليه كقول ابراهيم (ع ) اني ذاهب إلى ربي إلى الموضع الذي وعدني ربي ﴿في يوم كان مقداره خمسين الف سنة﴾ اختلف في معناه فقيل تعرج الملائكة إلى الموضع الذي يأمرهم الله به في يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين الف سنة وذلك من أسفل الارضين إلى فوق السماوات السبع وقوله في سورة السجدة في يوم كان مقداره الف سنة هو لما بين السماء الدنيا والأرض في الصعود والنزول خمسمائة سنة في الصعود وخمسمائة سنة في النزول عن مجاهد والمراد ان الأدميين لو احتاجوا إلى قطع هذا المقدار الذي قطعته الملائكة في يوم واحد لقطعوه في هذه المدة وقيل أنه يعني يوم القيامة وانه يفعل فيه من الامور ويقضي فيه من الاحكام بين العباد ما لو فعل في الدنيا لكان مقداره خمسين الف سنة عن الجبائي وهو معنى قول قتادة وعكرمة وروى ابو

سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم فقال والذي نفس محمد بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وروي عن أبي عبد الله (ع) انه قال لو ولّي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين الف سنة من قبل ان يفرغوا والله سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة وعنه أيضاً قال لا ينتصف ذلك اليوم حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقيل معناه ان أول نزول الملائكة في الدنيا وامره ونهيه وقضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء وهو القيامة هذه المدة فيكون مقدار الدنيا خمسين ألف سنة لا يدري كم مضى وكم بقي وإنما يعلمه الله عز وجل وقال الزجاج يجوز ان يكون قوله في يوم من صلة واقع فيكون المعنى سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وذلك العذاب يقع يوم القيامة ﴿فاصبر﴾ يا محمد على تكذيبهم إياك ﴿صبراً جميلاً﴾ لا جزع فيه ولا شكوى على ما تقاسيه ﴿انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً﴾ أخبر سبحانه انه يعلم مجيء يوم القيامة وحلول العقاب بالكفار قريباً ويظنّه الكفار بعيداً لأنهم لا يعتقدون صحتّه وكلّ ما هو آت فهو قريب دان فالرؤية الاولى بمعنى الظن والثانية بمعنى العلم ثم اخبر سبحانه انه متى يقع العذاب بهم فقال ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ أي كدردي الزيت[1] عن ابن عباس وقيل كعَكَر القطران عن عطاء وقيل مثل الفضة إذا اذيبت عن الحسن وقيل مثل الصفر المذاب عن أبي مسلم ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ أي كالصوف المصبوغ وقيل كالصوف المنفوش عن مقاتل وقيل كالصوف الأحمر عن الحسن يعني انها تلين بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع قال الحسن انها اولاً تصير كثيباً مهيلاً ثم تصير عهناً منفوشاً ثم هباء منثوراً ﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ لشغل كل انسان بنفسه عن غيره عن مجاهد وقيل لا يسأل حميم حميماً ان يتحملّ عنه من اوزاره ليأسه منه ذلك في الآخرة عن الحسن وقال الأخفش الحميم من يخصّه الرجل مودّة وشفقة من قريب الرحم وبعيده والحامة الخاصة وقيل معناه انه لا يحتاج إلى سؤاله لأنه يكون لكل علامة يعرف بها فعلامة الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون وعلامة المؤمنين نضارة اللون وبياض الوجوه .

﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى

(١) دردي الزيت ما يبقى راسباً في اسفله من الكدر. والعكر ـ محركة ـ بمعنى الدردي من كل شيء .

تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾
نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾
* إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا
مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ
وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ
عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾
وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ حفص نزاعة بالنصب والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير لأمانتهم بغير الف بعد النون والباقون لاماناتهم بالجمع وقرأ حفص ويعقوب وسهل بشهاداتهم على الجمع والباقون بشهادتهم وكلهم قرأوا على صلاتهم على التوحيد .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ انها لظى نزاعةٌ للشوى فرفع نزاعة جاز في رفعه ما جاز في قولك هذا زيد منطلق وهذا بعلي شيخ ومن نصب فعلى وجهين (أحدهما) ان يكون حالاً (والآخر) ان يحمل على فعل فحمله على الحال يبعد لأنه ليس في الكلام ما يعمل في الحال فإن قلت فإن في قوله لظى معنى التلظي والتلهب فإن ذلك لا يستقيم لأن لظى معرفة

لا ينتصب عنها الاحوال الا ترى ان ما استعمل استعمال الاسماء من اسم فاعل أو مصدر لم يعمل هذا النحو من حيث جرى مجرى الاسماء فبأن يعمل الاسم المعرفة عمله اولى ويدلك على تعريف هذا الاسم وكونه علماً ان التنوين لم يلحقه فإذا كان كذلك لم ينتصب الحال عنه فإن جعلتها مع تعريفها قد صارت معروفة بشدة التلظي جاز ان تنصبه بهذا المعنى الحادث في العلم وعلى هذا قوله تعالى وهو الله في السماوات وفي الأرض علقت الظرف بما دلَّ عليه الاسم من التدبير والالطاف فإن علَّقت الحال بالمعنى الحادث في العلم كما علَّقت الظرف بما دلَّ عليه الاسم من التدبير والالطاف لم يمتنع لأن الحال كالطرف في تعلقها بالمعنى كتعلق الظرف به وكان وجهاً وان علقت نزاعة بفعل مضمر نحو اعينها نزاعةللشوى لم يمتنع أيضاً وأما قوله لأمانتهم على الافراد وان كان مضافاً إلى جماعة ولكل واحد منهم امانة فلأنه مصدر يقع على جميع الجنس ويتناوله ومن جمع فلاختلاف الامانات وكثرة ضروبها فأشبهت بذلك الاسماء التي ليست للجنس والقول في الشهادة والشهادات مثل القول في الامانة والامانات .

[ **اللغة** ] المودَّة مشتركة بين التمني وبين المحبة يقال وددت الشيء اي تمنّيته ووددته أي احببته أودُّ فيهما جميعاً والافتداء افتداء الضرر عن الشيء ببدل منه والفصيلة الجماعة المنقطعة عن جملة القبيلة برجوعها إلى ابوة خاصة عن ابوة عامة ولظى اسم من اسماء جهنم مأخوذة من التوقد والنزاعة الكثيرة النزع وهو اقتلاع عن شدة ضم والاقتلاع اخذ بشدة اعتماد والشوى جلدة الرأس واحدتها شواة قال الاعشى .

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لَهُ     قَدْ جُلِّلَتْ شَيْباً شَواتُهْ(١)

والشوى الاكارع والاطراف والشوى ما عدى المقاتل من كل حيوان يقال رماه فأشواه أي اصاب غير مقتله ورمى فاصمى اي اصاب المقتل والشوى أيضاً الخسيس من المال والهلوع الشديد الحرص الشديد الجزع والإشفاق رقة القلب عن تحمل ما يخاف من الامور فإذا قسا قلب الانسان بطل الاشفاق والعادي الخارج عن الحق يقال عدا فلان إذا اعتدى وعدا في مشيه إذا اسرع وهو الاصل والعادي الظالم بالإسراع الى الظلم .

[ **الاعراب** ] يجوز ان يكون العامل في الظرف من قوله يوم تكون السماء كالمهل قوله يبصّرونهم وقوله يودُّ المجرم يجوز ان يكون استئناف كلام ويجوز أن يكون في محل الجر

---

(١) قتيلة : اسم امرأة اي قالت ماله وقد كسيت بالشعر الابيض جلدة رأسه .

بدلاً من تكون السماء كالمهل. هلوعاً ومنوعاً وجزوعاً منصوبة على الحال والتقدير خلق هلوعاً، جزوعاً إذا مسّه الشرّ، منوعاً إذا مسّه الخير والمصلين منصوب على الاستثناء وقوله إلا على ازواجهم قيل أن على هذه محمولة على المعنى والتقدير فإنهم يلامون على غير أزواجهم ويدل عليه قوله فإنهم غير ملومين عن الزجاج وقيل تقديره الا من ازواجهم فيكون على بمعنى من.

[ **المعنى** ] لمّا وصف سبحانه القيامة واخبر أن الحميم فيه لا يسأل حميمه لشغله بنفسه قال ﴿**يبصرونهم**﴾ أي يعرف الكفار بعضهم بعضاً ساعة ثم لا يتعارفون ويفرّ بعضهم من بعض عن ابن عباس وقتادة وقيل يعرفهم المؤمنون عن مجاهد اي يبصَّر المؤمن اعداءه على حالهم من العذاب فيشمت بهم ويسر وقيل يعرف اتباع الضلالة رؤساءهم وقيل ان الضمير يعود إلى الملائكة وقد تقدّم ذكرهم اي يعرفهم الملائكة ويجعلون بصراء بهم فيسوقون فريقاً إلى الجنة وفريقاً إلى النار ﴿**يودُّ المجرم**﴾ اي يتمنى العاصي ﴿**لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه**﴾ يتمنى سلامته من العذاب النازل به بإسلام كل كريم عليه من اولاده الذين هم اعزُّ الناس عليه ﴿**وصاحبته**﴾ أي زوجته التي كانت سَكَناً له وربما آثرها على أبويه ﴿**واخيه**﴾ الذي كان ناصراً له ومعيناً ﴿**وفصيلته**﴾ أي وعشيرته ﴿**التي تؤويه**﴾ في الشدائد وتضمّه ويأوي اليها في النسب ﴿**ومن في الأرض جميعاً**﴾ أي وبجميع الخلائق يقول يودُّ لو يفتدي بجميع هذه الأشياء ﴿**ثم ينجيه**﴾ ذلك الفداء ﴿**كلا**﴾ لا ينجيه ذلك قال الزجاج كلا ردع وتنبيه أي لا يرجع أحد من هؤلاء فارتدعوا ﴿**انها لظى**﴾ يعني ان نار جهنم أو القصة لظى نزاعة للشوى وسميت لظى لأنها تتلظى أي تشتعل وتلتهب على اهلها وقيل لظى اسم من اسماء جهنم وقيل هي الدركة الثانية منها وهي ﴿**نزاعة للشوى**﴾ تنزع الاطراف فلا تترك لحماً ولا جلداً إلا احرقته عن مقاتل وقيلَ تنزع الجلد وأم الرأس عن ابن عباس وقيل تنزع الجلد واللحم عن العظم عن الضحاك وقيل الكلبي يعني تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان وقال ابو صالح الشوى لحم الساق وقال سعيد بن جبير العصب والعقب وقال أبو العالية محاسن الوجه ﴿**تدعو من ادبر وتولى**﴾ يعني النار تدعو إلى نفسها من ادبر عن الإيمان وتولى عن طاعة الله ورسوله عن قتادة والمعنى انه لا يفوت هذه النار كافر فكأنها تدعوه فيجيبها كرهاً وقيل ان الله تعالى ينطق النار حتى تدعوهم اليها وقيل معناه تدعو زبانية النار من أدبر وتولى عن الحق فجعل ذلك سبحانه دعاء من النار عن الجبائي وقيل تدعو اي تعذب رواه المبرد عن الخليل قال يقال دعاك الله أي عذَّبك ﴿**وجمع**﴾ المال ﴿**فاوعى**﴾ أي امسكه في الوعاء فلم ينفقه في طاعة الله فلم يؤدّ زكاة ولم يصل رحماً وقيل جمعه من باطل ومنعه عن الحق

﴿ان الانسان خلق هلوعاً﴾ اي ضجوراً شحيحاً جزوعاً من الهلع وهـو شدَّة الحـرص وقال اهل البيان تفسيره فيما بعده ﴿إذا مسَّه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً﴾ يعني إذا اصابه الفقـر لا يحتسب لا يصبر وإذا اصـابه الغنى منعـه من البرّ ثم استثنى سبحـانه المـوحـدّين المطيعين فقال ﴿الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمـون﴾ مستمرُّون على ادائهـا لا يخلون بها ولا يتركونها وروي عن ابي جعفر ( ع ) ان هذا في النوافل وقوله ﴿والـذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ في الفرائض والواجبات وقيل هم الذين لا يـزيلون وجوههم عن سمت القبلة عن عقبـة عن عـامـر والـزجـاج ﴿والـذين في امـوالهم حق معلوم للسـائـل والمحروم﴾ يعني الزكاة المفروضة والسائل الذي يسأل والمحروم الفقيـر الذي يتعفف ولا يسأل وقد سبق تفسيرها وروي عن أبي عبد الله ( ع ) انه قال الحق المعلوم ليس من الزكاة وهو الشيء الذي تخرجه من مالك ان شئت كل جمعة وان شئت كل يوم ولكـل ذي فضل فضله وروي عنه أيضاً انه قال هو ان تصل القرابة وتعطي من حرمك وتصدق على من عاداك ﴿والذين يصدّقون بيوم الدين﴾ أي يؤمنون بأن يوم الجزاء والحساب حقٌّ لا يشكّون في ذلك ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ أي خائفون ﴿ان عذاب ربهم غير مأمون﴾ أي لا يؤمن حلولـه بمستحقيه وهم العصـاة وقيل معنـاه يخافـون ان لا تقبل حسنـاتهم ويؤخـذون بسيئاتهم وقيل غير مأمون لأن المكلف لا يدري هل ادّى الواجب كما أمر به وهل انتهى عن المحظور على ما نهى عنه ولو قدرنا ان انساناً يعلم ذلك من نفسه لكان آمنا ﴿والـذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما مكلت أيمانهم﴾ يعني الذين يحفظون فروجهم عن المناكح على كل وجه وسبب الاّ على الازواج او ملك الأيمان من الإماء ﴿فـإنهم غير ملومين﴾ على ترك حفظ الفروج عنهم ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ فمن طلب وراء ما أباحه الله له من الفروج فأولئك هم الذين تعدّوا حدود الله وخرجوا عما اباحه لهم ومعنى وراء ذلك ما خرج عن حدّه من ايّ جهة كان ﴿والذين هم لامانـاتهم وعهدهم راعون﴾أي حافظون والامانة ما يؤتمن المرء عليه مثل الوصايا والودائع والحكومات ونحوها وقيل الأمانة الإيمان وما اخذ الله عباده من التصـديق بما اوجبـه عليهم والعمل بمـا يجب عليهم العمـل به ﴿والـذين هم بشهاداتهم قـائمون﴾ اي يقيمـون الشهادات التي تلزمهم اقـامتهـا والشهادة الاخبار بالشيء انه على ما شاهدوه ذلك انه قد يكون عن مشاهدة للمخبر بـه وقد يكون عن مشاهدة ما يدعوا اليه ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ أي يحفظون اوقاتها واركانها فيؤدّونها بتمامها ولا يضيعّون شيئـاً منها وروى محمـد بن الفضيل عن أبي الحسن ( ع ) انه قال اولئك اصحاب الخمسين صلاة من شيعتنا وروى زرارة عن أبي جعفـر ( ع )

قال هذه الفريضة من صلّاها لوقتها عارفاً بحقها لا يؤثر عليها غيرها كتب الله له بها براءة لا يعذبه ومن صلّاها لغير وقتها مؤثراً عليها غيرها فإن ذلك اليه ان شاء غفر له وان شاء عذّبه و ﴿اولئك﴾ من وصفوا بهذه الصفات ﴿في جنات﴾ أي بساتين يجنُّها الشجر ﴿مكرمون﴾ معظمون مبجلون بما يفعل بهم من الثواب .

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر وحفص وسهل إلى نُصُب بضمتين والباقون إلى نَصْب بفتح النون وسكون الصاد.

[ **الحجة** ] قال أبو علي يجوز ان يكون نُصُب جمع نَصْب مثل سُقْف وسَقْف ووُرْد ومن ثقّل فقال نُصُب كان بمنزلة أُسُد ويمكن ان يكون النُّصْب والنَّصْب لغتين كالضُعْف والضَعْف وما اشبه ذلك ويكون الثقيل كشُغُل وشُغْل وطُنُب وطُنْب.

[ **اللغة** ] قال الزجاج المُهْطِع المقبل ببصره على الشيء لا يزايله وذلك من نظر العدو وقال ابو عبيدة الاهطاع الاسراع وعِزين جماعات في تفرقة واحدتهم عِزَة وإنما جمع بالواو والنون لأنه عوض مثل سنة وسنون وأصل عِزَةِ عِزْوَة من عزاه يعزوه إذا أضافه إلى غيره فكلّ جماعة من هذه الجماعات مضافة إلى الاخرى .

قال الراعي :

أَخَلِيفَةَ الرَّحْمٰنِ إنَّ عَشِيرَتي أَمْسي سَوَامُهُمُ عِزِينَ فُلُولا(١)

وقال عنترة :

وَقِرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ لَدَيْ مَكَرٍ عَلَيْهِ الطَّيْرُ كَالْعَصَبِ الْعِزِينا

وقيل إن المحذوف من عزة هاء والاصل عزهة وهو من العزهاة وهو المنقبض عن النساء وعن اللهو معهن قال الاحوص :

إذا كُنْتَ عِزَهَاةً عَنِ اللَّهْوِ وَالصِّبَى فَكُنْ حَجَراً مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَداً(٢)

وعن ابي هريرة قال خرج النبي ﷺ على اصحابه وهم حلق حلق متفرقون فقال مالي اراكم عزين والاجداث القبور واحدها جدث وجدف بمعناه والايفاض الاسراع والنصب الصنم الذي كانوا يعبدونه قال الاعشى .

وَذَا النُّصُبِ الْمَنْصُوبَ لا تَنْسُكَنَّهُ لِعَاقِبَةٍ وَاللَّهَ رَبَّكَ فَاعْبُدا(٣)

[ الاعراب ] فما للذين كفروا ما رفع بالابتداء واللام خبره وفيه ضميره وقبلك في موضع الحال من كفروا أو من المجرور على تقدير فما لهم ثابتين قبلك ومهطعين حال من الضمير في قبلك ويجوز في قبلك أن يكون ظرفاً للام وأن يكون ظرفاً لمهطعين ويجوز أن يكون مهطعين حالاً بعد حال وعن اليمين يتعلق به وعزين حال بعد حال ويجوز أن يتعلق عن اليمين بعزين ومعناه مجتمعين عن اليمين وعن الشمال. كأنهم إلى نصب يوفضون جملة منصوبة الموضع على الحال من قوله سراعاً خاشعة ابصارهم حال من الضمير في يوفضون.

[ المعنى ] ثم قال سبحانه على وجه الانكار على الكفار ﴿فما للذين كفروا﴾ يعني

---

(١) هذا البيت من قصيدة لعبيد الراعي يمدح بها عبد الملك بن مروان ويشكو فيها من السعادة وهم الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان . والسوائم: الابل ترسل للرعي. والفلول جمع فل: بقية الشيء الكثير ومنه فلول المعارك وهم موضع الحرب والعصب: حيار القوم.

(٢) الجلمد بمعنى الصخر أيضاً.

(٣) البيت من قصيدة مالها في مدح النبي ﷺ وقدم بها عليه وهو في المدينة عام صلح الحديبية لينشدها بين يديه فعلم بذلك ابو سفيان وابو جهل وجمع من كفار قريش فأتوه وصدوه عما اراده بعد كلام طويل فانصرف واتى اليمامة ومات بعد زمان يسير وقيل : الفاه بعيره فقتله قبل وصوله الى اليمامة وتمام القصيدة مذكورة في شرح شواهد الكشاف صفحة ٤٩ فراجع.

أيّ شيء للذين كفروا بتوحيد الله أي ما بالهم وما حملهم على ما فعلوا ﴿قبلك﴾ اي عندك يا محمد ﴿مهطعين﴾ مسرعين اليك عن أبي عبيدة وقيل متطلعين عن الحسن وقيل مقبلين عنك بوجوههم لا يلتفتون عنك أي ناظرين اليك بالعداوة والمراد بالذين كفروا هنا المنافقون ﴿عن اليمين وعن الشمال﴾ أي عن يمينك وعن شمالك ﴿عزين﴾ أي جماعات متفرقين عصبة عصبة وجماعة جماعة ﴿ايطمع كل امرىء﴾ منهم أي من هؤلاء المنافقين ﴿بأن يدخل جنة نعيم﴾ كما يدخل اولئك الموصوفون قبل هذا وإنما قال هذا لأنهم كانوا يقولون إن كان الأمر على ما قال محمد فإنّ لنا في الآخرة عند الله افضل ممّا للمؤمنين كما اعطانا في الدنيا افضل مما اعطاهم ﴿كلا﴾ أي لا يكون ولا يدخلونها ﴿انا خلقناهم مما يعلمون﴾ أي من النطفة عن الحسن أي من كان اصله من هذا الماء المهين فكيف استوجب الجنة باصله وبنفسه إنّما يستوجبها بالاعمال الصالحة نبّه سبحانه بهذا على ان الناس كلهم من اصل واحد وإنما يتفاضلون بالإيمان والطاعة وتحقيقه إنما خلقناهم من المقاذر والانجاس فمتى يدخلون الجنة ولم يؤمنوا بي ولم يصدّقوا رسولي وقيل معناه خلقناهم من الجنس الذين يعلمون أو من الخلق الذين يعلمون ويفقهون ويلزمهم الحجة ولم نخلقهم من الجنس الذي لا يفقه كالبهائم والطير وقيل معناه خلقناهم من اجل ما يعلمون من الثواب والعقاب والتكليف للطاعات تعريضاً للثواب كما يقول القائل غضبت عليك مما تعلم أي من اجل ما تعلم قال الاعشى .

أَأَزْمَعْتَ مِنَ آلِ لَيْلَى أَبْتِكَارا وَشَطَّتْ عَلَى ذِي هَوىً أَنْ تُزَارا[1]

أي من اجل آل ليلى ودل قوله وشطت على ذي هوى انه لم يزمع من عندهم وإنما ازمع من اجلهم للمصير اليهم ﴿فلا اقسم﴾ هو مفسّر في سورة الحاقة ﴿برب المشارق والمغارب﴾ يعني مشارق الشمس ومغاربها فإن لها ثلاثمائة وستين مطلعاً لكل يوم مطلع لا تعود إليه إلى قابل عن ابن عباس[2] ﴿انا لقادرون على ان نبدّل خيراً منهم﴾ هذا جواب

(١) هذا البيت مطلع قصيدة قالها في مدح قيس بن معد يكرب وازمعت اي عزمت وقصدت و «ابتكاراً» هو في الاصل الخروج في وقت البكرة واراد به الارتجال . «وشطت» اي بعدت.

(٢) قال بعض الاساتيد دام ظله ان في هذه الآية وما يضاهيها من الآيات الكريمة مثل قوله تعالى : «كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها»: الاعراف ١٣٧» اشارة الى كروية الأرض فان طلوع الشمس على اي جزء من اجزاء الكرة الارضية يلازم غروبها عن جزء آخر فيكون تعدد المشارق و المغارب واضحاً لا تكلف فيه ولا تعسف واما الحمل على تعدد مطالع الشمس ومغاربها باختلاف ايام السنة فاته تكلف لا ينبغي ان يصار اليه لان الشمس لم يكن لها مطالع معينة ليقع الحلف بها بل تختلف تلك باختلاف الاراضي فلا بد من ان يراد بها المشارق والمغارب التي تتجدد شيئاً فشيئاً باعتبار كروية الأرض. وحركتها .

القسم يعني انـا نقدر على ان نهلكهم ونـأتي بدلهم بقـوم آخـرين خيـراً منهم **﴿ومـا نحن بمسبوقين﴾** هذا عطف على جواب القسم اي وان هؤلاء الكفار لا يفوتون بأن يتقدّموا على وجه يمنع لحاق العذاب بهم فإنهم لم يكونوا سابقين ولا العقاب مسبوقاً منهم والتقدير وما نحن بمسبـوقين يفوت عقـابنا ايـاهم فإنهم لـو سبقوا عقـابنا لسبقـونا وقيـل معناه ومـا نحن بمغلوبين عن أبي مسلم **﴿فذرهم يخوضوا﴾** في باطلهم **﴿ويلعبوا﴾** فإن وبال ذلك عـائد عليهم **﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾** يعني يوم القيامة **﴿يوم يخرجون من الاجداث﴾** اي القبور **﴿سراعاً﴾** مسرعين لشدة السوق **﴿كأنهم إلىٰ نصب يوفضون﴾** اي كأنهم يسعون ويسـرعون إلى علم نصب لهم عن الجبـائي وابي مسلم وقيل كـانهم إلى أوثـانهم يسعـون للتقرب اليها عن ابن عباس وقتادة **﴿خاشعة ابصارهم﴾** أي ذليلة خاضعة لا يستطيعون النظر من هول ذلك اليوم **﴿ترهقهم ذلة﴾** أي تغشاهم مذلة **﴿ذلك اليوم الذي﴾** وصفه اليوم الذي **﴿كانوا يوعدون﴾** به دار التكليف فلا يصدقون به ويجحدونه قد شاهدوه في تلك الحال.

# (٧١) سورة نوح مكية وآياتها ثمان وعشرون

[عدد آيها ] ثمان وعشرون آية كوفي.تسع بصري شامي ثلاثون في الباقين .

[ اختلافها ] اربع آيات سواعا فادخلوا ناراً كلاهما غير الكوفي ونسراً كوفي والمدني الأخير أضلوا كثيراً مكي والمدني الاول.

[ فضلها ] ابيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح أبو عبد الله (ع ) قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويقرأ كتابه فلا يدع ان يقرأ سورة إنا ارسلنا نوحاً فأيّ عبد قرأها محتسباً صابراً في فريضة أو نافلة اسكنه الله مساكن الابرار واعطاه ثلاث جنان مع جنته كرامة من الله وزوّجه مائتي حوراء واربعة آلاف ثيب إن شاء الله تعالى .

[ تفسيرها ] لما ختم سبحانه تلك السورة بوعيد أهل التكذيب افتتح هذه السورة بذكر قصة نوح وقومه وما نالهم بالتكذيب تسلية للنبي ﷺ فقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ
وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾
فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ
جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ
وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ
أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ
إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم
بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾
مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

[اللغة] الاستغشاء طلب التغشي والاصرار الاقامة على الأمر بالعزيمة عليه والمدرار الكثير الدرور بالغيث والمطر والامداد الحاق الثاني بالاول على النظام حالاً بعد حال يقال امدَّه بكذا ومدّ النهر نهـر آخر والاموال جمع المال وهو عند العرب النعم واصل الوقار الثبوت وما به يكون الشيء عظيماً من الحلم الذي يمتنع معه الخرق والرجاء بمعنى الخوف قال أبو ذويب .

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ (١)

[ الاعراب ] ان انذر قومك في موضع نصب بأرسلنا لأن الأصل بان انذر قومك فلما سقطت الباء افضى الفعل وقيل ان موضعه جرّ وان سقطت الباء وقد تقدَّم بيانه ويجوز ان يكون ان هذه المفسرة بمعنى اي . وجهاراً مصدر وضع موضع الحال أي دعوتهم مجاهرا لهم بالدعاء إلى التوحيد وقوله مدراراً نصب على الحال . لا ترجون الله وقاراً جملة في موضع الحال أيضاً والعامل في الحال ما في لكم في معنى الفعل . وقاراً منصوب بأنه مفعول ترجون .

(١) مر البيت في ج ٢ . وج ٣

[ المعنى ] اخبر سبحانه عن نفسه فقال ﴿انا ارسلنا﴾ اي بعثنا ﴿نوحاً﴾ رسولاً ﴿إلى قومه ان انذرْ قومك من قبل أن يأتيهم عذاب اليم﴾ معناه ارسلنا لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا قال الحسن امره ان ينذرهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ثم حكى ان نوحاً امتثل ما أمر الله سبحانه به بأن قال ﴿قال يا قوم﴾ اضافهم إلى نفسه فكأنه قال انتم عشيرتي يسوؤني ما يسوؤكم ﴿اني لكم نذير مبين﴾ أي مخوّف مبين وجوه الادلة في الوعيد وبيان الدين والتوحيد ﴿اعبدوا الله واتقوه﴾ أي اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتّقوا معاصيه ﴿ واطيعون ﴾ فيما امركم به لأن طاعتي مقرونة بطاعة الله وطاعة الله واجبة عليكم لمكان نعمه السابقة التي لا توازيها نعمة منعم ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ اي فإنكم ان فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ومن مزيدة وقيل ان من هاهنا للتبعيض والمعنى يغفر لكم ذنوبكم السالفة وهي بعض الذنوب التي تضاف اليكم ولما كانت ذنوبهم التي يستأنفونها لا يجوز الوعد بغفرانها على الاطلاق لما يكون في ذلك من الاغراء بالقبيح قيَّد سبحانه هذا التقييد ﴿ويؤخّركم إلى اجل مسمى﴾ وفي هذا دلالة على ثبوت اجلين كأنه شرط في الوعد بالاجل المسمى عبادة الله والتقوى فلمّا لم يقع ذلك منهم اقتطعوا بعذاب الاستيصال قبل الأجل الاقصى بالأجل الادنى ثم قال ﴿ان اجل الله﴾ يعني الاقصى ﴿إذا جاء لا يؤخّر لو كنتم تعلمون﴾ صحة ذلك وتؤمنون به قال الحسن يعني بأجل الله يوم القيامة جعله اجلاً للبعث ويجوز ان يكون هذا حكاية عن قول نوح (ع ) لقومه ان يكون اخباراً منه سبحانه عن نفسه ﴿قال﴾ نوح ﴿ربّ اني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ إلى عبادتك وخلع الانداد من دونك وإلى الإقرار بنبوّتي ﴿فلم يزدهم دعائي الا فراراً﴾ أي لم يزدادوا بدعائي اياهم الا فراراً من قبوله ونفاراً منه وادباراً عنه وإنما سمّي كفرهم عند دعائه زيادة في الكفر لأنهم كانوا على كفر وضلال فلما دعاهم نوح (ع ) إلى الاقلاع عن ذلك والاقرار به ولم يقبلوه فكفروا بذلك كأن ذلك زيادة في الكفر لأن الزيادة هي اضافة الشيء إلى مقدار قد كان حاصلاً ولو حصلا جميعاً في وقت واحد لم يكن لأحدهما زيادة على الآخر ﴿واني كلّما دعوتهم﴾ إلى اخلاص عبادتك ﴿لتغفر لهم﴾ سيئاتهم ﴿جعلوا اصابعهم في آذانهم﴾ لئلا يسمعوا كلامي ودعائي ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ اي غطّوا بها وجوههم لئلا يروني ﴿واصرّوا﴾ اي داموا على كفرهم ﴿واستكبروا استكباراً﴾ اي تكبّروا وانفوا عن قبول الحق والاصرار الإقامة على الأمر بالعزيمة عليه فلّما كانوا عازمين على الكفر كانوا مصرّين وقيل ان الرجل منهم كان يذهب بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا لا يغوينك فإن ابي قد ذهب بي اليه وانا مثلك فحذّرني مثل ما حذرتك عن قتادة ﴿ثم اني دعوتهم جهاراً﴾ اي بأعلى صوتي عن ابن عباس وقيل مجاهرة

يرى بعضهم بعضاً أي ظاهراً غير خفي ﴿ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسراراً﴾ أي دعوتهم في العلانية وفي السرّ وقيل معناه إني اعلنت جماعة بالدعوة واسررت جماعة ثم اعلنت للذين اسررت واسررت للذين اعلنت لهم ومعناه اني سلكت معهم في الدعوة كل مذهب وتلطفت لهم في ذلك غاية التلطف فلم يجيبوا ﴿فقلت استغفروا ربكم﴾ اي اطلبوا منه المغفرة على كفركم ومعاصيكم ﴿إنه كان غفاراً﴾ لكل من طلب منه المغفرة فمتى رجعتم عن كفركم واطعتموه ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ أي كثيرة الدرور بالغيث وقيل انهم كانوا قد قحطوا وأسْنَتُوا[1] وهلكت اموالهم واولادهم فلذلك رغّبهم في ردّ ذلك بالاستغفار مع الإيمان والرجوع إلى الله قال الشعبي قحط المطر على عهد عمر بن الخطاب فصعد المنبر ليستسقي فلم يذكر إلا الاستغفار حتى نزل فلما نزل قيل له ما سمعناك استسقيت قال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء[2] التي بها يستنزل القطر ثم قرأ هذه الآية ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ أي يكثر اموالكم واولادكم الذكور عن عطا ﴿ويجعل لكم جنات﴾ أي بساتين في الدنيا ﴿ويجعل لكم انهاراً﴾ تسقون بها جناتكم قال قتادة علم نبي الله نوح انهم كانوا اهل حرص على الدنيا فقال هلمّوا إلى طاعة الله فإن فيها درك الدنيا والآخرة وروى الربيع بن صبيح أن رجلاً اتى الحسن فشكا اليه الجدوبة فقال له الحسن استغفر الله وأتاه آخر فشكا اليه الفقر فقال له استغفر الله وأتاه آخر فقال ادع الله ان يرزقني ابناً فقال له استغفر الله فقلنا اتاك رجال يشكون ابواباً ويسألون انواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت ذلك من ذات نفسي إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى حكاية عن نبيّه نوح إنه قال لقومه استغفروا ربكم انه كان غفاراً إلى آخره وروى علي بن مهزيار عن حماد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن أبيه قال سأل رجل ابا جعفر (ع) وانا عنده فقال له جعلت فداك اني كثير المال وليس يولد لي ولد فهل من حيلة قال نعم استغفر ربك سنة في آخر الليل مئة مرة فإن ضيّعت ذلك بالليل فاقضه بالنهار فإن الله يقول استغفروا ربكم إلى آخره ثم قال نوح (ع) لهم على وجه التبكيت ﴿مالكم﴾ معاشر الكفار ﴿لا ترجون لله وقاراً﴾ أي لا تخافون لله عظمة فالوقار العظمة اسم من التوقير وهو التعظيم والرجاء الخوف هنا والمعنى لا تعظمون الله حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ما لكم لا ترجون لله

(١) أسنت القوم: أجدبوا وأصله من لسنة بمعنى الجدب والقحط فأبدلوا الواو في الفعل تاءاً ليفرقوا بينه وبين قولهم: اسنى القوم: إذا أقاموا سنة في موضع.

(٢) المجاديح جمع المجدح: نجم من النجوم قيل هو الدبران؛ وقيل هو ثلاثة كواكب كالاثافي: وهو عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل الاستغفار مشبهاً بالانواء.

عاقبة عن قتادة اي لا تطمعون في عاقبة لعظمة الله تعالى وقيل معناه ما لكم لا تخافون الله عذاباً ولا ترجون منه ثواباً في رواية اخرى عن ابن عباس وقيل معناه مـا لكم لا ترجـون لله عاقبة الإيمان وتوحّدون الله عن الزجاج وقيل معناه مالكم لا تعتقدون لله اثباتاً عن أبي مسلم ﴿وقد خلقكم اطواراً﴾ اي خلقكم طوراً نطفة ثم طوراً علقة ثم مضغة ثم عـظاماً ثم كسـا العظام لحماً ثم انشأه خلقاً آخر نبت له الشعر وكمل له الصورة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل اطواراً احوالاً حالاً بعد حال وقيل معناه صبياناً ثم شبّاناً ثم شيوخاً وقيل خلقكم مختلفين في الصفات اغنياء وفقراء وزمناء واصحاء وطوالاً وقصاراً والآية محتملة للجميع .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا
كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ
نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ
رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا
خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ
وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ
أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ
أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾
وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾
إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾

رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل المدينة وُدّاً بالضم والباقون بالفتح وقرأ أبو عمرو مما خطاياهم والباقون مما خطيئاتهم بالتاء والمد والهمزة وقد ذكرنا الاختلاف في ولده في سورة مريم ( ع ).

[**الحجة**] قال أبو عبيدة زعموا أن وداً كان صنم لهذا الحي من كلب وحكاه بالفتح قال وسمعت قول الشاعر :

فَحَيَّاكَ وَدٌّ مَا هَذَاكَ لِفِتْيَةٍ وَخُوصٍ بِأَعْلَىٰ ذِي طُوَالَةَ هُجَّدِ[1]

وقال ابو الحسن ضمَّ اهل المدينة الواو وعسى ان يكون لغة في اسم الصنم وسمعت هذا البيت.

حَيَّاكَ وُدّاً فَإِنَّا لَا يَحِلُّ لَنَا لَهْوُ النِّسَاءِ وَانَّ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا

الواو مضمومة وخطاياهم جمع التكسير وخطيئات جمع التصحيح وما زائدة كالتي في قوله فبما رحمة من الله وقوله فبما نقضهم ميثاقهم.

[ **اللغة** ] الفجاج الطرق المتسعة المتفرقة واحدها فج وقيل الفج المسلك بين جبلين والسواع هنا صنم وفي غيره الساعة من الليل ومثله السعواء والكبار الكبير جداً يقال كبير ثم كُبار ثم كُبّار ومثله عجيب وعُجاب وعُجّاب وحسن وحُسان وحُسّان وروى ان اعرابياً سمع النبي ﷺ يقرأ ومكروا مكراً كباراً فقال ما افصح ربك يا محمد وهذا من جفاء الاعراب لأن الله تعالى سبحانه لا يوصف بالفصاحة وديّاراً فيعال من الدوران ونحوه القيام والاصل قيوام وديوار فقلبت الواو ياء وادغمت احداهما في الأخرى قال الزجاج يقال ما بالدار ديّار أي ما بها أحد يدور في الأرض قال الشاعر :

(١) قائله الحطيئة وقبله

وفي كل مسمى ليلة ومعرس خيال يوافى الركب من أم معبد

والخوص جمع الأخوص وهو الذي غارت عينه. وذي طوالة: موضع، وفي بعض النسخ « ذي فضالة » والظاهر أنه تصحيف « ذي طوالة » وهجد جمع الهجود. المصلى بالليل.

وَمَا نُبَالِي إِذَا مَا كُنْتِ جَارَتَنَا أَنْ لَا يُجَاوِرَنَا إِلّاكِ دَيَّارُ

فجعل المتصل موضع المنفصل ضرورة .

[ **الإعراب** ] طباقاً منصوباً على أحد وجهين أن يكون على تقدير خلقهن طباقاً وأن يكون نعتاً لسبع أي سبع سماوات ذات طباق نباتاً مصدر فعل محذوف تقديره أنبتكم فنبتم نباتاً وقال الزجاج هو محمول على المعنى لأن معنى أنبتكم جعلكم تنبتون نباتاً وما من قوله ﴿ **ممّا خطيئاتهم** ﴾ مزيدة لتأكيد الكلام .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه المكلفين منبّهاً لهم على توحيده فقال ﴿ **ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً** ﴾ أي واحدة فوق الأخرى كالقباب ﴿ **وجعل القمر فيهنّ نوراً** ﴾ قيل فيه وجوه ( أحدها ) أن المعنى وجعل القمر نوراً في السماوات والأرض عن ابن عباس قال يضيء ظهره لما يليه من السماوات ويضيىء وجهه لأهل الأرض وكذلك الشمس ( وثانيها ) أن معنى فيهن معهنَّ يعني وجعل القمر معهن أي مع خلق السماوات نوراً لأهل الأرض ( وثالثها ) أن معنى فيهنّ في حيِّزهن وإن كان في واحدة منها كما تقول إن في هذا الدور لبئراً وإن كانت في واحدة منها لأن ما كان في إحداهن كان فيهنّ وكما تقول أتيت بني تميم وإنما أتيت بعضهم ﴿ **وجعل الشمس سراجاً** ﴾ أي مصباحاً يضيىء لأهل الأرض كما كانت الشمس جعل فيها النور للإستضاءة به كانت سراجاً فهي سراج العالم كما أن المصباح سراج الإنسان ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتاً** ﴾ يعني مبتدأ خلق آدم وآدم خلق من الأرض والناس ولده وهذا كقوله ﴿**وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء**﴾وقيل معناه أنه أنشأ جميع الخلق باغتذاء ما تنبته الأرض ونما فيها وقيل معناه أنبتكم من الأرض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر ﴿ **ثم يعيدكم فيها** ﴾ أي في الأرض أمواتاً ﴿ **ويخرجكم** ﴾ منها عند البعث أحياء ﴿ **إخراجاً** ﴾ وإنما ذكر المصدر تأكيداً ﴿ **والله جعل لكم الأرض بساطاً** ﴾ أي مبسوطة ليمكنكم المشي عليها والإستقرار فيها ثم بيَّن أنه إنما جعلها كذلك ﴿ **لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً** ﴾ أي طرقاً واسعة وقيل طرقاً مختلفة عن ابن عباس وقيل سبلاً في الصحارى وفجاجاً في الجبال وإنما عدَّد سبحانه هذه الضروب من النعم امتناناً على خلقه وتنبيهاً لهم على إستحقاقه للعبادة خالصة من كل شرك ودلالة لهم على أنه عالم بمصالحهم ومدبّر لهم على ما تقتضيه الحكمة فيجب أن لا يقابلوا هذه النعم الجليلة بالكفر والجحود ثم عاد سبحانه إلى ذكر نوح ( ع ) بقوله ﴿ **قال نوح** ﴾ على سبيل الدعاء ﴿ **رب إنهم عصوني** ﴾ فيما أمرتهم به ونهيتهم عنه يعني قومه ﴿ **واتَّبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً** ﴾ أي واتبعوا أغنياء

قومهم اغتراراً بما آتاهم الله من المال والولد فقالوا لو كان هذا رسولاً لله لكان له ثروة وغنى وقرىء وُلده ووَلده بالضم والفتح فالولد الجماعة من الأولاد والولد الواحد وقيل هما سواء والخسار الهلاك بذهاب رأس المال وقيل إن معناه اتبع الفقراء والسفلة الرؤساء الذين لم يزدهم كثرة المال والأولاد إلا هلاكاً في الدنيا وعقوبة في الآخرة ﴿ **ومكروا** ﴾ في دين الله ﴿ **مكراً كُبّاراً** ﴾ أي كبيراً عظيماً عن الحسن وقيل معناه قالوا قولاً عظيماً عن ابن عباس وقيل اجترأوا على الله وكذبوا رسله عن الضحاك وقيل مكرهم تحريشهم(١) سفلتهم على قتل نوح (ع) ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم** ﴾ أي لا تتركوا عبادة أصنامكم ثم خصّوا أصناماً لهم معروفة بعد دخولها في الجملة الأولى تعظيماً لها فقالوا ﴿ **لا تذرنَّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً** ﴾ وهذه أسماء أصنام كانوا يعبدونها ثم عبدتها العرب فيما بعد عن ابن عباس وقتادة وقيل إن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح (ع) فنشأ قوم بعدهم يأخذون اخذهم في العبادة فقال لهم إبليس لو صوَّرتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة ففعلوا فنشأ بعدهم قوم فقال لهم إبليس إن الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فمبدأ عبادة الأوثان كان ذلك الوقت عن محمد بن كعب وقيل كان نوح يحرس جسد آدم على جبل بالهند ويحول بينه وبين الكفار لئلا يطوفوا بقبره فقال لهم إبليس إن هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم وإنما هو جسد وأنا أصوّر لكم مثله تطيفون به فنحت خمسة أصنام وحملهم على عبادتها وهي ود وسواع ويعوق ويغوث ونسر فلما كان أيام الغرق دفن الطوفان تلك الأصنام وطمَّها التراب(٢) فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب فاتَّخذت قضاعة ودّاً فعبدوها بدومة الجندل ثم توارثها بنوه الأكابر فالأكابر حتى صارت إلى كلب فجاء الإسلام وهو عندهم وأخذ بطنان من طيّ يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زماناً ثم أن بني ناجية أرادوا أن ينزعوه منهم ففروا به إلى بني الحرث بن كعب وأما يعوق فكان لكهلان ثم توارثه بنوه الأكبر فالأكبر حتى صار إلى همدان وأما نسر فكان لخثعم يعبدونه وأما سواع فكان لآل ذي الكلاع يعبدونه عن ابن عباس وقيل إن أوثان قوم نوح صارت إلى العرب فكانت ود بدومة الجندل وسواع برهاط لهذيل وكان يغوث لبني غطيف من مراد وكان يعوق لهمدان وكان نسر لآل ذي الكلاع من حمير وكان اللات لثقيف وأما العزى فلسليم وغطفان وجشم ونضر وسعد بن بكر وأما مناة فكانت لقديد وأما أساف ونائلة وهبل فلأهل مكة وكان أساف حيال الحجر الأسود وكانت نائلة حيال الركن اليماني وكان هبل في جوف الكعبة

---

(١) حرش بين القوم: أغرى بعضهم ببعض.
(٢) طم الشيء: دفنه.

ثمانية عشر ذراعاً عن عطا وقتادة والثمالي وقال الواقدي كان ودّ على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير ﴿ **وقد أضلّوا كثيراً** ﴾ أي ضلَّ بعبادتها وبسببها كثير من الناس نظيره ربّ أنهنَّ أضللن كثيراً من الناس وقيل معناه وقد أضلَّ كبراؤهم كثيراً من الناس عن مقاتل وأبي مسلم وعلى هذا فإن الضمير في أضلّوا يعود إلى أكابر قوم نوح ﴿ **ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً** ﴾ أي هلاكاً كما في قوله ﴿ **إن المجرمين في ضلال وسعر** ﴾ وقيل إلا فتنة بالمال والولد وقيل إلا ذهاباً عن الجنة والثواب قال البلخي لا تزدهم إلا منعاً من الطاعات عقوبة لهم على كفرهم فإنَّهم إذا ضلّوا إستحقُّوا منع الإلطاف التي تفعل بالمؤمنين فيطيعون عندها ويمتثلون ولا يجوز أن يفعل بهم الضلال عن الحق والإيمان لأن ذلك لا يجوز في صفة الحكيم تعالى الله عن ذلك ﴿ **مما خطيئاتهم أغرقوا** ﴾ أي من خطيئاتهم وما مزيدة والتقدير من أجل ما ارتكبوه من الخطايا والكبائر ﴿ **اغرقوا** ﴾ على وجه العقوبة ﴿ **فادخلوا ناراً** ﴾ بعد ذلك ليعاقبوا فيها ﴿ **فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً** ﴾ أي لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله وإنما أتى سبحانه بألفاظ المعني على معنى الاستقبال لصدق الوعد به وقال الضحاك أغرقوا فادخلوا ناراً في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون في النار من جانب وأنشد ابن الأنباري .

أَلْخَلْقُ مُجْتَمِعٌ طَوْراً وَمُفْتَرِقٌ ... وَالْحَادِثَاتُ فُنُونٌ ذَاتُ أَطْوَارِ
لاَ تَعْجَبَنَّ لِأَضْدَادٍ إذا اجْتَمَعَتْ ... فَاللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ

﴿ **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً** ﴾ أي نازل دار يعني لا تدع منهم أحداً إلا أهلكته قال قتادة ما دعا بهذا عليهم إلا بعد أن أنزل عليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلذلك قال ﴿ **إنك إن تذرهم يضلّوا عبادك** ﴾ أي أن تتركهم ولم تهلكهم يضلّوا عبادك عن الدين بالإغواء والدعاء إلى خلافه ﴿ **ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً** ﴾ وإلا فلم يعلم نوح الغيب وإنما قال ذلك بعد أن أعلمه الله إياه والمعنى ولا يلدوا إلا من يكون عند بلوغه كافراً لأنه لا يذمُّ على الكفر من لم يقع منه فعل الكفر وقال مقاتل والربيع وعطاء إنما قال ذلك نوح (ع) لأن الله تعالى أخرج من أصلابهم كل من يكون مؤمناً وأعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة وأخبر الله تعالى نوحاً بأنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمناً فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعاءه فأهلكهم كلّهم ولم يكن فيهم صبيّ وقت العذاب ثم دعا لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فقال ﴿ **ربّ اغفر لي ولوالديَّ** ﴾

واسم أبيه لمك بن متوشلخ واسم امه سمحاء بنت أنوش وكانا مؤمنين وقيل يريد آدم وحواء ﴿ **ولمن دخل بيتي مؤمناً** ﴾ أي دخل داري وقيل مسجدي عن الضحاك وقيل سفينتي وقيل يريد بيت محمد ﷺ ﴿ **وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ عامة وقيل من أمة محمد ﷺ عن الكلبي ﴿ **ولا تزد الظالمين إلا تباراً** ﴾ أي هلاكاً ودماراً قال أهل التحقيق دعا نوح (ع) دعوتين دعوة على الكافرين ودعوة للمؤمنين فاستجاب الله دعوته على الكافرين فأهلك من كان منهم على وجه الأرض ونرجو أن يستجيب أيضاً دعوته للمؤمنين فيغفر لهم .

# (٧٢) سورة الجن مكية وآياتها ثمان وعشرون

وهي ثمان وعشرون آية

[ **فضلها** ] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الجن أعطي بعدد كل جني وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة. حنان بن سدير عن أبي عبد الله (ع) قال من أكثر قراءة ﴿ **قل اوحي لم يصبه في حياة الدنيا شيء من أعين الجن ولا من نفثهم ولا من سحرهم ولا من كيدهم** ﴾ وكان مع محمد ﷺ فيقول يا رب لا أريد بهم بدلاً ولا أريد بدرجتي حولاً .

[ **تفسيرها** ] لمّا تقدم في سورة نوح (ع) اتباع قومه أكابرهم افتتح سبحانه في هذه السورة اتباع الجن نبيّنا ﷺ ليعلم الفرق بين من ربحت صفقته وبين من خسرت بيعته فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ

بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن
لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ
ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى
ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر ﴿ **قل أوحي إلي** ﴾ أنَّه استمع بفتح الألف ولم يختلفوا فيه ثم قرأ في الآية الثالثة وأنَّه تعالى بالفتح وفي الرابعة وَأنه كان يقول بالفتح وفي السادسة وَأنَّه كان رجال بالفتح ويقرأ ما سواها بالكسر إلا قوله ﴿ **وأن لو استقاموا وأنَّ المساجد لله وأنَّه لمّا قام** ﴾ فإنه يقرأ هذه الثلاثة بالفتح وقال الرواة عنه ما كان مردوداً على الوحي فهو أنَّه بالفتح وما كان من قول الجن فهو بالكسر وهذا قول غير مستقيم على قراءته ويمكن أن يكون قد وقع خلل في روايته وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة غير أبي بكر بالفتح من قوله أنه تعالى إلى قوله ﴿ **وأنا منا المسلمون** ﴾ وقرأ الباقون كله بالكسر إلا قوله ﴿ **وأن لو استقاموا وأنَّ المساجد** ﴾ فإنهما بالفتح لم يختلفوا فيه وقرأ نافع وعاصم برواية أبي بكر وأنه لما قام بالكسر والباقون بالفتح وقرأ يعقوب أن لن تَقَوَّل بتشديد الواو وفتحها وفتح القاف وروي ذلك عن الجحدري والحسن والباقون أن لن تقول بالتخفيف وفي الشواذ قراءة جوية بن عابد قل أُحِيَ إليَّ على وزن فُعِل .

[ **الحجة** ] قال أبو علي أما قوله ﴿ **أن لو استقاموا** ﴾ فإنه يجوز فيه أمران ( أحدهما ) أن تكون أن المخففة من الثقيلة فيكون محمولاً على الوحي كأنه أوحي إلي أن لو استقاموا وفصل لو بينها وبين الفعل كفصل السين ولا في قوله ﴿ **أو لا يرون أن لا يرجع** ﴾ وعلم أن سيكون ( والآخر ) أن يكون أن قبل لو بمنزلة اللام في قوله ﴿ **لئن لم ينته المنافقون** ﴾ إلى قوله ﴿ **لنغرينَّك بهم** ﴾ وقوله ﴿ **لئن لم يغفر لنا ربّنا ويرحمنا لنكوننَّ من الخاسرين** ﴾ فتلحق مرة وتسقط أخرى لأن لو بمنزلة فعل الشرط فكما لحقت اللام زائدة قبل أن الداخلة على الشرط كذلك لحقت أن هذه قبل لو ومعنى أن لو استقاموا على الطريقة قد قيل فيه قولان ( أحدهما ) لو استقاموا على طريقة الهدى ( والآخر ) لو استقاموا على طريقة الكفر

ويستدل على القول الأول بقوله تعالى ﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم** ﴾ وقوله ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ﴾ ويستدل على الآخر بقوله تعالى ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة** ﴾ « وأمّا » قوله ﴿ **وإن المساجد لله** ﴾ فزعم سيبويه أن المفسرين حملوه على أوحي كأنه وأوحي إليَّ أن المساجد لله ومذهب الخليل أنه على قوله. ولأن المساجد لله فلا تدعوا كما أن قوله ﴿ **وإن هذه أمتكم** ﴾ على قوله ﴿ **ولأن هذه إمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ أي لهذا فاعبدون ومثله في قول الخليل لإيلاف قريش كأنه قال لهذا فليعبدوا قال سيبويه ولو قرأ وإنَّ المساجد بالكسر لكان جيّداً فأما قوله ﴿ **وأنه لمّا قام عبد الله فإنه على أوحي إليّ** ﴾ ويكون أن يقطع من قوله ﴿ **أوحي** ﴾ ويستأنف به كما جوَّز سيبويه القطع من أوحي في قوله ﴿ **وإن المساجد لله** ﴾ وعلى هذا يحمل قراءة من كسر إنَّ من قوله ﴿ **وأنَّه لما قام عبد الله** ﴾ ومن قرأ كل ذلك بالفتح فإنه للحمل على أوحي ويجوز أن يكون على غيره كما حمل المفسرون وأن المساجد لله على الوحي وحمله الخليل على ما ذكرناه عنه فأما ما جاء من ذلك بعد قول فحكاية كما حكى قوله قال الله ﴿ **إني منزلها عليكم** ﴾ وكذلك ما بعد فاء الجزاء لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فأمّتعه فمن يؤمن بربه فلا يخاف على أن الابتداء فيها مضمر ومثل ذلك في هذه السورة ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم ومن قرأ لن تقول فيكون قوله كذباً منصوباً على المصدر من غير حذف موصوف وذلك أن لن تقول في معنى تكذب فجرى مجرى تبسمت وميض البرق[1] فإنه منصوب بفعل مضمر دلَّ عليه تبسَّمت أي أو مضت فكأنه قال إن لن تكذب الإنس والجن على الله كذباً قال ابن جني ومن رأى أن ينتصب وميض البرق بنفس تبسمت لأنه في معنى أو مضت أيضاً كذباً بنفس تقول لأنه بمعنى كذب ومن قرأ أن لن تقول على وزن تقوم فإن كذباً وصف مصدر محذوف أي قولاً كذباً فكذبا ها هنا وصف لا مصدر كما في قوله ﴿ **وجاءوا على قميصه بدم كذب** ﴾ أي كاذب فإن جعلته ها هنا مصدراً نصبته نصب المفعول به أي لن تقول كذباً كقولك قلت حقاً وقلت شعراً ولا يحسن أن تجعله مع تقوّل وصفاً أي تقول تقوّلاً كذباً لأن التقوّل لا يكون إلا كذباً فلا فائدة فيه ومن قرأ أُحِيَ فهو من وحيت إليه بمعنى أوحيت وأصله وُحى فلما إنضمت الواو ضماً لازماً همزت ونحوه وإذا الرسل أُقِّتت أي وُقِّتت قال العجاج « وحي لها القرار

(١) وميض البرق: لمعانه.

فاستقرَّت »[١] .

[ **اللغة** ] الجَدّ أصله القطع ومنه الجَدُّ العظمة لانقطاع كل عظمة عنها لعلوّها عليه ومنه الجدُّ أبو الأب لإنقطاعه بعلو أبوته وكل من فوقه لهذا الولد أجداد والجَدّ الحظ لإنقطاعه بعلو شأنه والجِدُّ خلاف الهزل لانقطاعه عن السخف ومنه الجديد لأنه حديث عهد بالقطع في غالب الأمر والرَّهَق لحاق الإثم وأصله اللحوق ومنه راهق الغلام إذا لحق حال الرجال قال الأعشى :

لَا شَيْءَ يَنْفَعُنِي مِنْ دُونِ رُؤْيَتِهَا　　　هَلْ يَشْتَفِي وَامِقٌ مَا لَمْ يُصِبْ رَهَقاً[٢]

أي لم يغشَ إثماً .

[ **الإعراب** ] حرساً منصوب على التمييز وهو جمع حارس ويجوز أن يكون جمع حرسي فيكون مثل عربي وعرب وشديداً مذكر محمول على اللفظ ويمكن أن يكون على النسبة أي ذات شدة ومقاعد نصب لأنه ظرف مكان . أشرٌّ أريد مبتدأ وخبر وإنما جاز أن تكون النكرة مبتدأ من غير تخصيص لأجل همزة الاستفهام كما يجوز ذلك بعد حرف النفي لأن كليهما يفيد معنى العموم .

[ **المعنى** ] أمر سبحانه نبيَّه محمداً ﷺ أن يخبر قومه بما لم يكن لهم به علم فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **أوحي إليَّ** ﴾ إنما ذكره على لفظ ما لم يسم فاعله تفخيماً وتعظيماً والله سبحانه أوحى إليه وأنزل الملك عليه ﴿ **أنه استمع نفر من الجن** ﴾ أي استمع القرآن طائفة من الجن وهم جيل رقاق الأجسام خفيفة على صورة مخصوصة بخلاف صورة الإنسان والملائكة فإن الملك مخلوق من النور والإنس من الطين والجن من النار ﴿ **فقالوا** ﴾ أي قالت الجن بعضها لبعض ﴿ **إنا سمعنا قرآناً عجباً** ﴾ والعجب ما يدعو إلى التعجب منه لخفاء سببه وخروجه عن العادة في مثله فلما كان القرآن قد خرج بتأليفه المخصوص عن العادة في الكلام وخفي سببه عن الأنام كان عجباً لا محالة وأيضاً فإنه مباين لكلام الخلق في

---

(١) وبعده « وشدّها بالراسيات الثّبت » وقد مرَّ البيت في الكتاب مراراً ويروى « أوحى » وقبل هذا البيت قوله :
« الحمد لله الذي استقلت ＊ بإذنه السماء واطمأنت ＊ بإذنه الأرض وما تمنت ＊ وحي لها . . ا هـ .

(٢) ومقه أحبَّه وقال في اللسان : الرهق : غشيان المحارم من شرب الخمر ونحوه؛ وقال ابن بري : وكذل فسر الرهق في شعر الأعشى بأنه غشيان المحارم وما لا خير فيه في قوله : « لا شيء ينفعني . . . . ا .هـ » « انتهى » وحكى عن شرح الديوان : إن الرهق : الدنو من المحبوب والقرب منه والتمتع بما ينوله : وفسَّره الطبري في تفسيره بقوله : يقول ما لم يغش محرماً

المعنى والفصاحة والنظام لا يقدر أحد على الإتيان بمثله وقد تضمن أخبار الأولين والآخرين وما كان وما يكون أجراه الله على يد رجل أمّي من قوم أميين فاستعظموه وسمّوه عجباً ﴿ **يهدي إلى الرشد** ﴾ أي يدلُّ على الهدى ويدعو إليه والرشد ضدّ الضلال ﴿ **فآمنّا به** ﴾ أي صدَّقنا بأنه من عند الله ﴿ **ولن نشرك** ﴾ فيما بعد ﴿ **بربنا أحداً** ﴾ فنوجّه العبادة إليه بل نخلص العبادة لله تعالى والمعنى أنا قد بدأنا بأنفسنا فقبلنا الرشد والحق وتركنا الشرك واعتقدنا التوحيد وفي هذا دلالة على أنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الجن والانس وعلى أن الجن عقلاء مخاطبون وبلغات العرب عارفون وعلى أنهم يميّزون بين المعجز وغير المعجز وأنهم دعوا قومهم إلى الإسلام وأخبروهم بإعجاز القرآن وأنه كلام الله تعالى لأن كلام العباد لا يتعجب منه وروى الواحدي بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم إنطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك إلا من شيء حدث فأضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي ﷺ وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم وقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً فأوحى الله تعالى إلى نبيّه ﷺ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن ورواه البخاري ومسلم أيضاً في الصحيح وعن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود من كان منكم مع النبي ﷺ ليلة الجن فقال ما كان منا معه أحد فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة فقلنا اغتيل رسول الله ﷺ أو استطير فانطلقنا نطلبه من الشعاب فلقيناه مقبلاً من نحو حراء فقلنا يا رسول الله أين كنت لقد أشفقنا عليك وقلنا له بتنا الليلة بشر ليلة بات بها قوم حين فقدناك فقال لنا أنه أتاني داعي الجن فذهبت أقرئهم القرآن فذهب بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم فأما أن يكون صحبه منا أحد فلم يصحبه وعن أبي روق قال هم تسعة نفر من الجن قال أبو حمزة الثمالي وبلغنا أنهم من بني الشيصبان هم أكثر الجن عدداً وهم عامة جنود إبليس وقيل كانوا سبعة نفر من جن نصيبين رآهم النبي ﷺ فآمنوا به وأرسلهم إلى سائر الجن ﴿ **وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً** ﴾ الإختيار كسر إنّ لأنه من قول الجن لقومهم وهو معطوف على قوله ﴿ **قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً** ﴾ أي وقالوا تعالى جدّ ربنا وقال الفراء من فتح فتقديره فآمنا به وآمنا بأنه تعالى جدّ ربنا وكذلك كل ما كان بعده ففتح أن بوقوع الإيمان عليه والمعنى تعالى جلال ربنا وعظمته عن اتخاذ الصحابة والولد عن الحسن

ومجاهد وقيل معناه تعالت صفات الله التي هي له خصوصاً وهي الصفات العالية التي ليست للمخلوقين عن أبي مسلم وقيل معناه جلّ ربنا في صفاته فلا تجوز عليه صفات الأجسام والأعراض عن الجبائي وقيل تعالى قدرة ربنا عن ابن عباس وقيل تعالى ذكره عن مجاهد وقيل فعله وأمره عن الضحاك وقيل علا ملك ربنا عن الأخفش وقيل تعالى آلاؤه ونعمه على الخلق عن القرظي والجميع يرجع إلى معنى واحد وهو العظمة والجلال على ما تقدَّم ذكرهما ومنه قول أنس بن مالك كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة جدَّ في أعيننا أي عظم وقال الربيع بن أنس أنه قال ليس لله تعالى جدّ وإنما قالته الجن بجهالة فحكاه سبحانه كما قالت وروي ذلك عن أبي جعفر الباقر (ع) وأبي عبد الله (ع) ﴿ **وأنه كان يقول سفيهنا** ﴾ أي جاهلنا ﴿ **على الله شططا** ﴾ أرادوا بسفيههم إبليس عن مجاهد وقتادة والشطط السرف في ظلم النفس والخروج عن الحق فاعترفوا بأن إبليس كان يخرج عن الحد في أغواء الخلق ودعائهم إلى الضلال وقيل شططا أي قولاً بعيداً من الحق وهو الكذب في التوحيد والعدل ﴿ **وأنا ظننا أن لن تقول الأنس والجن على الله كذباً** ﴾ إعترفوا بأنهم ظنوا أن لن يقول أحد من الأنس والجن كذباً على الله في اتخاذ الشريك معه والصاحبة والولد أي حسبنا أن ما يقولونه من ذلك صدق وأنا على حقّ حتى سمعنا القرآن وتبينا الحق به وفي هذا دلالة على أنهم كانوا مقلدة حتى سمعوا الحجة وانكشف لهم الحق فرجعوا عما كانوا عليه وفي إشارة إلى بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن** ﴾ أي يعتصمون ويستجيرون وكان الرجل من العرب إذا نزل الوادي في سفره ليلاً قال أعوذ بعزيز هذا الوادي من شر سفهاء قومه عن الحسن ومجاهد وقتادة وكان هذا منهم على حسب إعتقادهم أن الجن تحفظهم قال مقاتل وأول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا في العرب وقيل معناه وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من أجل الجن ومن معرَّة الجن[1] عن البلخي قال لأن الرجال لا تكون إلا في الناس وقال الأولون في الجن رجال مثل ما في الناس ﴿ **فزادوهم رهقاً** ﴾ أي فزاد الجن الانس إثماً على إثمهم الذي كانوا عليه من الكفر والمعاصي عن ابن عباس وقتادة وقيل رهقاً أي طغياناً عن مجاهد وقيل فرقاً وخوفاً عن الربيع وابن زيد وقيل شرّاً عن الحسن وقيل زادوهم ذلة وضعفاً قال الزجاج يجوز أن يكون الانس الذين كانوا يستعيذون بالجن زادوا الجن رهقاً وذلك أن الجن كانوا يزدادون طغياناً في قومهم بهذا التعوذ فيقولون سُدنا الانس والجن ويجوز أن يكون الجن زاد الانس رهقاً ﴿ **وأنهم ظنوا كما ظننتمْ أن لن يبعث الله أحداً** ﴾ قيل معناه قال مؤمنو الجن لكفّارهم

(١) المعرة: الأذى والميم زائدة.

إن كفار الانس الذين يعوذون برجال من الجن في الجاهلية حسبوا كما حسبتم يا معشر الجن أن لن يبعث الله رسولاً بعد موسى أو عيسى ووراء هذا أن الجن مع تمردّهم ومتوّهم لما سمعوا القرآن آمنوا واهتدوا به فأنتم معاشر العرب أولى بالتفكر والتدبر لتؤمنوا وتهتدوا مع أن الرسول من جنسكم ولسانه لسانكم وقيل إن هذه الآية مع ما قبلها اعتراض من أخبار الله تعالى يقول إن الجن ظنّوا كما ظننتم معاشر الانس أن الله لا يحشر أحداً يوم القيامة ولا يحاسبه عن الحسن وقيل يعني لن يبعث الله أحداً رسولاً عن قتادة ثم حكى عن الجن قولهم ﴿ **وأنا لمسنا السماء** ﴾ أي مسسناها وقيل معناه طلبنا الصعود إلى السماء فعبَّر عن ذلك باللمس مجازاً عن الجبائي وقيل إلتمسنا قرب السماء لاستراق السمع عن أبي مسلم ﴿ **فوجدناها ملئت حرساً شديداً** ﴾ أي حفظة من الملائكة شداداً ﴿ **وشهباً** ﴾ والتقدير ملئت السماء من الحرس والشهب وهو جمع شهاب وهو نور يمتدّ من السماء كالنار ﴿ **وأنا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع** ﴾ أي لاستراق السمع أي كان يتهيّأ لنا فيما قبل القعود في مواضع الاستماع فنسمع منها صوت الملائكة وكلامهم ﴿ **فمن يستمع** ﴾ منا ﴿ **الآن** ﴾ ذلك ﴿ **يجد له شهاباً رصداً** ﴾ يرمى به ويرصد له وشهبا مفعول به ورصداً صفته قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله ﴿ **إنّا كنّا نقعد منها** ﴾ الآية قال غلظ وشدّد أمرها حين بعث النبي ﷺ قال البلخي إن الشهب كانت لا محالة فيما مضى من الزمان غير أنه لم يكن يمنع بها الجن عن صعود السماء فلما بعث النبي ﷺ منع بها الجن من الصعود ﴿ **وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض** ﴾ أي بحدوث الرجم بالشهب وحراسة السماء جوّزوا هجوم إنقطاع التكليف أو تغيير الأمر بتصديق نبيّ من الأنبياء وذلك قوله ﴿ **أم أراد بهم ربهم رشداً** ﴾ أي صلاحاً وقيل معناه إن هذا المنع لا يدري العذاب سينزل بأهل الأرض أم لنبيّ يبعث ويهدي إلى الرشد فإن مثل هذا لا يكون إلا لأحد هذين الأمرين وسمى العذاب شرّاً لأنه مضرّة وسمى بعثة الرسول رشداً لأنه منفعة .

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا

مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل العِراق غير أبي عمرو يسلكه بالياء والباقون بالنون وقرأ ابن عامر برواية هشام لبدا بضم اللام والباقون بكسرها وقرأ أبو جعفر وعاصم وحمزة قل إنما ادعوا والباقون قال وفي الشواذ قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب لو استقاموا بضم الواو وقراءة الحسن والجحدري لُبَّداً بالتشديد وفي رواية أخرى عن الجحدري لُبُداً بضمتين .

[ **الحجة** ] من قرأ يسلكه بالياء فلتقدّم ذكر الغيبة في قوله ومن يعرض عن ذكر ربه ومن قرأ بالنون فهو مثل قوله وآتينا موسى الكتاب بعد قوله سبحانه ﴿ **الذي أسرى** ﴾ ومن قرأ قال إنما ادعوا فلتقدّم ذكر الغيبة أيضاً في قوله وانه لما قام عبد الله ومن قرأ قل فلان بعده قل إني لا أملك قل إني لن يجيرني من الله أحد ومن قرأ لُبَداً فإن اللُّبَد الكثير من قوله مالا لبداً وكأنه قيل له لبد لركوب بعضه على بعض ولصوق بعضه ببعض لكثرته واللبد جمع لُبْدة وهي الجماعة وقد يقال ذلك للجراد الكثير قال بعض الهذليين :

صَـابُـوا بِسِتَّـةِ أَبْيَـاتٍ وَوَاحِـدَةٍ　　حَتَّى كَـأَنَّ عَلَيْهِمْ جَـابِيـاً لُـبَـداً[1]

قال الجبائي هو الجراد لأنه يجبي كل شيء بأكله وقال الزجاج اللُّبدة واللِّبدة بمعنى

(١) صابوا بهم أي أوقعوا بهم. والجابي: الجراد. وجبا الجراد: هجم على البلد وفي اللسان وتفسير الطبري: « صابوا لستة أبيات وأربعة . . . اهـ » .

ومن قرأ لُبَّداً بالتشديد فإنه وصف على فعل كالجُبَّأ والزُّمَل[١] ويجوز أن يكون جمع لاْ بِدْ فيكون مثل راكع وركّع واللبد من الأوصاف التي جاءت على فُعُل كناقة سُرُح ورجل طُلُق[٢] ومن قرأ لَوُ استقاموا فإنه على التشبيه بواو الجماعة نحو قوله اشتروا الضلالة كما شبِّهت تلك بهذه فقيل اشتروا الضلالة وقد مضى هذا في سورة البقرة[٣] .

[ **اللغة** ] الصالح عامل الصلاح الذي يصلح به حاله في دينه وأما المصلح فهو فاعل الصلاح الذي يقوم به أمر من الأمور ولهذا يوصف سبحانه بأنه مصلح ولا يوصف بأنه صالح والطرائق جمع طريقة وهي الجهة المستمرة مرتبة بعد مرتبة والقِدَد القطع جمع قِدَّة وهي المستمرة بالقد في جهة واحدة والرَّهَق لحاق السرف في الأمر وهو الظلم والقاسط الجائر والمُقْسِط العادل ونظيره التَّرِب الفقير والمُتْرِب الغني وأصله التراب فالأول ذهب ماله حتى لصق بالتراب والآخر كثر ماله حتى صار بعدد التراب وكذلك القاسط هو العادل عن الحق والمقسط العادل إلى الحق قال :

قَـوْمٌ هُـمُ قَـتَـلُوا ابْـنُ هِـنْـدٍ عَـنْـوَةً عَمْـراً وَهُمْ قَـسَـطُوا عَلَى الـنُّعْـمَـانِ

وقال آخر :

قَسَـطْنَـا عَلَى الْأَمْـلَاكِ فِي عَهْـدِ تُبَّـعٍ ومِنْ قَبْـلُ مَـا أَرْدَى النُّفُـوسَ عِقَـابُهَـا[٤]

والتحري تعمد إصابة الحق وأصله طلب الشيء والقصد له قال امرؤ القيس :

دِيَـمَـةٌ هَـطْلاءُ فِـيـهَـا وَطَـفٌ طَـبَـقُ الْأَرْضِ تَـحَـرّيْ وَتَـدُرّ[٥]

وماء غدق كثير وغدق المكان يغدق غدقاً كثر فيه الماء والندى وهو غدق عن الزجاج وقال أمية بن أبي الصلت :

مِـزَاجُـهَـا سَـلْسَـبِـيـلٌ مَـاؤُهَـا غَـدِقٌ عَـذْبَ الْـمَـذَاقَـةِ لاَ مِـلْحٌ وَلاَ كَـدِرٌ

---

(١) الجبأ . الجبان . والزمل : الضعيف الجبان الرذل .

(٢) ناقة سرح أي سريعة النقلة السير وطلق : غير المقيد .

(٣) راجع ج ١

(٤) أردى بمعنى أهلك والضمير في « عقابها » يرجع إلى الاملاك .

(٥) الديمة : المطر الدائم في سكون . ومثله الهطلاء وسحابة وطفاء . هي التي فيها استرخاء في جوانبها لكثرة الماء . و« مطر طبق الأرض » برفع طبق على الإضافة أي غطاه ومن رواه « طبق » بفتح القاف نصبه بقوله تحرى كما في اللسان .

والصعد الغليظ الصعب المتصعب في العظم ومنه التنفس الصعداء والصعود العقبة الكؤود الشاقة .

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه في تمام الحكاية عن الجن الذين آمنوا عند سماع القرآن ﴿ **وانا منّا الصالحون** ﴾ وهم الذين عملوا الصالحات المخلصون ﴿ **ومنّا دون ذلك** ﴾ أي دون الصالحين في الرتبة عن ابن عباس وقتادة ومجاهد ﴿ **كنا طرائق قدداً** ﴾ أي فرقاً شتّى على مذاهب مختلفة وأهواء متفرقة من مسلم وكافر وصالح ودون الصالح عن ابن عباس ومجاهد وقيل قدداً ألواناً شتّى مختلفين عن سعيد بن جبير والحسن وقيل فرقاً متباينة كل فرقة تباين صاحبتها كما يبين المقدود بعضه من بعض قال السدي الجن أمثالكم فيهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة ﴿ **وإنا ظننا** ﴾ أي علمنا وتيقّنا ﴿ **أن لن نعجز الله في الأرض** ﴾ أي لن نفوته إذا أراد بنا أمراً ﴿ **ولن نعجزه هرباً** ﴾ أي أنه يدركنا حيث كنا﴿ **وإنا لما سمعنا الهدى آمنا به** ﴾ اعترفوا بأنهم لما سمعوا القرآن الذي فيه الهدى صدّقوا به ثم قالوا ﴿ **فمن يؤمن بربه** ﴾ أي يصدق بتوحيد ربه وعرفه على صفاته ﴿ **فلا يخاف** ﴾ تقديره فإنه لا يخاف ﴿ **بخساً** ﴾ أي نقصاناً فيما يستحقّه من الثواب ﴿ **ولا رهقاً** ﴾ أي لحاق ظلم وغشيان مكروه وكأنه قال لا يخاف نقصاً قليلاً ولا كثيراً وذلك أن أجره وثوابه موفر على أتمّ ما يمكن فيه وقيل معناه فلا يخاف نقصاً من حسناته ولا زياده في سيئاته عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد قالوا لأن البخس النقصان والرهق العدوان وهذه حكاية عن قوة إيمان الجن وصحة اسلامهم ثم قالوا ﴿ **وانا منا المسلمون** ﴾ الذين استسلموا لما أمرهم الله سبحانه به وانقادوا لذلك ﴿ **ومنا القاسطون** ﴾ أي الجائرون عن طريق الحق ﴿ **فمن أسلم** ﴾ لما أمره الله به ﴿ **فأولئك تحرّوا رشداً** ﴾ أي توجّهوا الرشد والتمسوا الثواب والهدى وتعمدوا إصابة الحق وليسوا كالمشركين الذين ألفوا ما يدعوهم إليه الهوى وزاغوا عن طريق الهدى ﴿ **وأما القاسطون** ﴾ العادلون عن طريق الحق والدين ﴿ **فكانوا** ﴾ في علم الله وحكمه ﴿ **لجهنم حطباً** ﴾ يلقون فيها فتحرقهم كما تحرق النار الحطب أو يكون معناه فسيكونون لجهنّم حطباً توقد بهم كما توقد النار بالحطب ﴿ **وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً** ﴾ هذا ابتداء حكم من الله سبحانه أي لو استقام الإنس والجن على طريقة الإيمان عن ابن عباس والسدي وقيل أراده مشركي مكة أي لو آمنوا واستقاموا على الهدى لأسقيناهم ماء كثيراً من السماء وذلك بعد ما رفع ماء المطر عنهم سبع سنين عن مقاتل وقيل لو آمنوا واستقاموا لوسّعنا عليهم في الدنيا وضَرَب الماء الغدق مثلاً لأن الخير كله والرزق يكون في المطر وهذا كقوله ﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة** ﴾ إلى قوله ﴿ **لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ وقوله ﴿ **لفتحنا عليهم**

**بركات من السماء والأرض** ﴾ وقيل معناه لو استقاموا على طريقة الكفر فكانـوا كفاراً كلهم لأعطيناهم مالاً كثيراً ولوسَّعنا عليهم تغليظاً للمحنة في التكليف ولذلك قال ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ أي لنختبرهم بذلـك عن الفراء وهـو قول الـربيع والكلبي والثمـالي وأبي مسلم وابن مجلز ودليله فلمّا نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم الآية وقيل لنفتنهم معناه لنعاملهم معاملة المختبر في شدة التعبد بتكليف الانصراف عما تدعو شهواتهم إليه وفي ذلك المحنة الشديدة وهي الفتنة والمثوبة على قدر المشقة في الصبر عما تدعو إليه الشهوات وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال في هذه الآيـة أينما كـان الماء كـان المال وأينمـا كان المـال كانت الفتنـة وقيل معنـاه لتختبرهم كيف يكون شكرهم للنعم عن سعيد بن المسيب وقتادة ومقاتل والحسن والأولى أن تكون الاستقامة على الطريقة محمولة على الاستقامة في الدين والإيمان لأنها لا تـطلق إلا على ذلك ولأنها في موضع التلطف والاستدعاء إلى الإيمان والحث على الطاعة وفي تفسير أهل البيت (ع) عن أبي بصير قال قلت لأبي جعفر (ع) قول الله ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ قال هو والله ما أنتم عليه ولو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً وعن بريد العجلي عن أبي عبد الله (ع) قال معناه لأفدناهم علماً كثيراً يتعلمونه من الأئمة ثم قال سبحانه على وجه التهديد والوعيد ﴿ **ومن يعرض عن ذكر ربه** ﴾ أي ومن يعـدل عن الفكر فيما يؤدّيه إلى معرفة الله وتوحيده والإخلاص في عبادته وقيل عن شكر الله وطاعته ﴿ **يسلكه عذاباً صعداً** ﴾ أي يدخله عذاباً شاقاً شديداً متصعداً في العظم وإنما قال يسلكه لأنه تقـدَّم ذكر الطريقة وقيل معناه عذاباً ذا صعد أي ذا مشقـة ﴿ **وان المساجـد لله فلا تـدعو مـع الله أحداً** ﴾ تقديره ولأن المسجد لله فلا تدعوا مع الله أحـداً سوى الله عن الخليـل والمعنى لا تذكروا مع الله في المواضع التي بنيت للعبادة والصلاة أحداً على وجه الإشراك في عبـادته كمـا تفعل النصـارى في بيعهم والمشركـون في الكعبة قـال الحسن من السنة عنـد دخول المساجد أن يقال لا إله إلا الله لا أدعو مع الله أحـداً وقيل المسـاجد مـواضع السجـود من الإنسان وهي الجبهة والكفان وأصابع الرجلين وعينا الركبتين وهي لله تعالى إذ خلقها وأنعم بها فلا ينبغي أن يسجد بها لأحد سوى الله تعالى عن سعيد بن جبير والزجاج والفراء وروي أن المعتصم سأل أبا جعفر محمد بن علي بن مـوسى الرضـا (ع) عن قولـه تعالى ﴿ **وان المساجد لله** ﴾ فقال هي الأعضاء السبعة التي يسجد عليها وقيل إن المراد بالمساجد البقاع كلها وذلك لأن الأرض كلها جعلت للنبي ﷺ مسجداً عن الحسن وقال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي ﷺ كيف لنا أن نأتي المسجد ونشهد معـك الصلاة ونحن نـاؤون عنك فنـزلت الآية وروي عن الحسن أيضاً أن المسـاجد الصلوات وهي لله والمـراد أخلصوا لله العبـادة

وأقرّوا له بالتوحيد ولا تجعلوا فيها لغير الله نصيباً ﴿ وانه لما قام عبد الله ﴾ يريد به محمداً ﷺ ﴿ يدعوه ﴾ بقول لا إله إلا الله ويدعو إليه ويقرأ القرآن ﴿ كادوا يكونون عليه لبدا ﴾ أي كاد الجن يركب بعضهم بعضاً يزدحمون عليه حرصاً منهم على استماع القرآن عن ابن عباس والضحاك وقيل هو من قول الجن لأصحابهم حين رجعوا إليهم والمراد أن أصحاب النبي ﷺ يتزاحمون عليه لاستماع القرآن منه يودّ كل واحد منهم أن يكون أقرب من صاحبه فيتلبّد بعضهم على بعض عن سعيد بن جبير وقيل هو من جملة ما أوحى الله إلى النبي ﷺ بما كان من حرص الجن على استماع القرآن وقيل معناه أنه لما دعا قريشاً إلى التوحيد كادوا يتراكبون عليه بالزحمة جماعات متكاثرات ليزيلوه بذلك عن الدعوة وأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على ما ناوأه عن قتادة والحسن وعلى هذا فيكون ابتداء كلام ﴿ قل إنما ادعوا ربي ولا أشرك به أحداً ﴾ وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ إنك جئت بأمر عظيم لم يسمع مثله فارجع عنه فأجابهم بهذا عن مقاتل وأمره سبحانه بأن يجيبهم بهذا فقال قل إنما أدعو ربي وهذا يعضد قول الحسن وقتادة لأنه كالذم لهم على ذلك .

﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ
ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ
مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ
نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ
أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ
غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ
مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن

قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ يعقوب ليعلم بضم الياء والباقون ليعلم بفتح الياء والمعنيان متقاربان .

[ **اللغة** ] الملتحد الملتجأ بالميل إلى جهة والرصد جمع راصد وهو الحافظ .

[ **الإعراب** ] بلاغاً منصوب لأنه بدل من ملتحد أي لن أجد ملجأ إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلني به فهو ملجأي ورسالاته منصوبة بالعطف على محذوف والتقدير إلا بلاغاً من الله وآياته ورسالاته قوله من أضعف ناصراً جملة من مبتدأ وخبر هي تعليق وناصراً نصب على التمييز وكذلك قوله عدداً وقوله أقريب ما توعدون الاستفهام مع ما في حيزه تعليق إلا من ارتضى يجوز أن يكون من مبتدأ وقوله فإنه يسلك خبره ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً وعدداً انتصابه على ضربين ( أحدهما ) على معنى وأحصى كل شيء في حال العدد فلم يخف عليه سقوط ورقة ولا حبة ولا رطب ولا يابس ( والآخر ) أن يكون في موضع المصدر لأن معناه وعدَّ كل شيء عدداً عن الزجاج .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد للمكلفين ﴿ **إني لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً** ﴾ أي لا أقدر على دفع الضرر عنكم ولا إيصال الخير إليكم وإنما القادر على ذلك هو الله تعالى ولكنّي رسول ليس عليّ إلا البلاغ والدعاء إلى الدين والهداية إلى الرشاد وهذا اعتراف بالعبودية وإضافة الحول والقوة إليه تعالى ثم قال ﴿ **قل** ﴾ لهم يا محمد ﴿ **إني لن يجيرني من الله أحد** ﴾ أي لا يمنعني أحد مما قدره الله عليّ ﴿ **ولن أجد من دونه** ﴾ أي من دون الله ﴿ **ملتحداً** ﴾ أي ملتجأ إليه أطلب به السلامة ﴿ **إلا بلاغاً من الله** ﴾ أي تبليغاً من الله آياته ﴿ **ورسالاته** ﴾ فإنه ملجأي ومنجاي وملتحدي ولي فيه الأمن والنجاة عن الحسن والجبائي وقيل معناه لا أملك لكم ضراً ولا رشداً فما عليَّ إلا البلاغ عن الله فكأنه قال لا أملك شيئاً سوى تبليغ وحي الله بتوفيقه وعونه عن قتادة وقيل أن قوله إلا بلاغاً يحتمل معنيين ( أحدهما ) إلا ما بلغني من الله أي لا يجيرني شيء إلا ما أتاني من الله فلا فرق بين أن يقول بلغني كتابه وأن يقول أتاني كتابه ( والثاني ) إلا تبليغ ما أنزل إليَّ فأما القبول والإيمان فليس إليَّ وإنما ذلك إليكم عن أبي مسلم وقيل أنه عطف رسالاته على البلاغ فوجب أن يكون غيره فالأولى أن يكون أراد بالبلاغ ما بلغه من توحيد الله وعدله وما يجوز عليه ومالا يجوز وأراد بالرسالة ما أرسل لأجله من بيان الشرائع ولما بيَّن سبحانه أنه لا

ملجأ من عذابه إلا طاعته عقَّبه بوعيد من قارف معصيته فقال ﴿ **ومن يعص الله ورسوله** ﴾ أي خالف أمره في التوحيد وارتكب الكفر والمعاصي ﴿ **فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً** ﴾ جزاء على ذلك ﴿ **حتى إذا رأوا** ﴾ في الآخرة ﴿ **ما يوعدون** ﴾ به من العقاب في الدنيا وقيل هو عذاب الاستئصال ﴿ **فسيعلمون** ﴾ عند ذلك ﴿ **من أضعف ناصراً وأقل عدداً** ﴾ المشركون أم المؤمنون وقيل أجند الله أم الذي عبده المشركون وإنما قال من أضعف ناصراً ولا ناصر لهم في الآخرة لأنه جاء على جواب من توهم أنه إن كانت الآخرة فناصرهم أقوى وعددهم أكثر وفي هذا دلالة على أن المراد بقوله ﴿ **ومن يعص الله ورسوله** ﴾ الكفار وكانوا يفتخرون على النبي ﷺ بكثرة جموعهم ويصفونه بقلة العدد فبيَّن سبحانه أن الأمر سينعكس عليهم ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **ان أدري** ﴾ أي لست أعلم ﴿ **أقريب ما توعدون** ﴾ به من العذاب ﴿ **أم يجعل له ربي أمداً** ﴾ أي مهلة وغاية ينتهي إليها قال عطاء أراد أنه لا يعرف يوم القيامة إلا الله وحده ﴿ **عالم الغيب** ﴾ أي هو عالم الغيب يعلم متى تكون القيامة ﴿ **فلا يظهر على غيبه أحداً** ﴾ أي لا يطلع على الغيب أحداً من عباده ثم استثنى فقال ﴿ **إلا من ارتضى من رسول** ﴾ يعني الرسل فإنه يستدل على نبوتهم بأن يخبروا بالغيب لتكون آية معجزة لهم ومعناه أن من ارتضاه واختاره للنبوة والرسالة فإنه يطلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة وهو قوله ﴿ **فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً** ﴾ والرصد الطريق أي يجعل له إلى علم ما كان قبله من الأنبياء والسلف وعلم ما يكون بعده طريقاً وقيل معناه أنه يحفظ الذي يطلع عليه الرسول فيجعل من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحفظون الوحي من أن تسترقه الشياطين فتلقيه إلى الكهنة وقيل رصداً من بين يدي الرسول ومن خلفه وهم الحفظة من الملائكة يحرسونه عن شرّ الأعداء وكيدهم فلا يصل إليه شرّهم وقيل المراد به جبرائيل (ع) أي يجعل من بين يديه ومن خلفه رصداً كالحجاب تعظيماً لما يتحمله من الرسالة كما جرت عادة الملوك بأن يضموا إلى الرسول جماعة من خواصهم تشريفاً له وهذا كما روي أن سورة الأنعام نزلت ومعها سبعون ألف ملك ﴿ **ليعلم** ﴾ الرسول ﴿ **أن قد أبلغوا** ﴾ يعني الملائكة قال سعيد بن جبير ما نزل جبرائيل بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة من الملائكة حفظة فيعلم الرسول أنه قد أبلغ الرسالة على الوجه الذي قد أمر به وقيل ليعلم من كذب الرسل أن الرسل قد أبلغوا رسالات الله عن مجاهد وقيل ليعلم محمد ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغ جميعهم ﴿ **رسالات ربهم** ﴾ كما أبلغ هو إذ كانوا محروسين محفوظين بحفظ الله عن قتادة وقيل ليعلم الله أن قد أبلغوا عن الزجاج وقيل معناه ليظهر المعلوم على ما كان سبحانه عالماً ويعلمه واقعاً كما كان يعلم أنه سيقع وقيل أراد

ليبلغوا فجعل بدل ذلك قوله ليعلم ابلاغهم توسعاً عن الجبائي وهذا كما يقول الإنسان ما علم الله ذلك مني أي ما كان ذلك أصلاً لأنه لو كان لعلم الله ذلك فوضع العلم موضع الكون ﴿ **وأحاط بما لديهم** ﴾ أي أحاط الله علماً بما لدى الأنبياء والخلائق وهم لا يحيطون إلا بما يطلعهم الله عليه مما هو عند الله ﴿ **وأحصى كل شيء عدداً** ﴾ أي أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق لم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذر والخردل عن ابن عباس وقيل معناه عدّ جميع المعلومات المعدومة والموجودة عدّاً فعلم صغيرها وكبيرها وقليلها وكثيرها وما يكون ومالا يكون وما كان ومالم يكن ولو كان كيف كان وقيل معناه لا شيء يعلمه عالم أو يذكره ذاكر إلا وهو تعالى عالم به ومحص إياه عن الجبائي قال الإحصاء فعل وليس هو بمنزلة العلم فلا يجوز أن يقال أحصى ما لا يتناهى كما يجوز أن يقال علم مالا يتناهى فإن حمل على العلم تناول جميع المعلومات وإن حمل على العدّ تناول الموجودات .

# (٧٣) سُورَةُ المُزَّمِّلِ مَكِّيَّةٌ وآيَاتُهَا عِشْرُونَ

وهي مدنية وقيل بعضها مكي وبعضها مدني .

[ عدد آيها ]

ثماني عشرة آية المـدني الأخير وتسع عشرة بصري عشرون في الباقين .

[ اختلافها ] ثلاث آيات المزمل كوفي شامي والمدني الأول شيباً غير المدني الأخير إليكم رسولاً مكي .

[ فضلها ] أبيّ بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة المزمل رفع عنه العسر في الدنيا والآخرة منصور بن حازم عن أبي عبد الله ( ع ) قـال ومن قرأ سـورة المزمـل في العشاء الآخرة أو في آخر الليل كان له الليل والنهار شاهدين مع السورة وأحياه الله حياة طيبة وأماته ميتة طيبة .

[ تفسيرها ] لمّا ختم الله سورة الجن بذكر الرسل افتتـح هذه السـورة بذكـر نبيّنا ﷺ خاتم الرسل فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ
مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا
سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا

وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ
ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ
وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو وابن عامر وطاءً بكسر الواو والمد والباقون وطأ بفتح الواو وسكون الطاء مقصوراً وقرأ أهل الكوفة غير حفص وابن عامر ويعقوب ربِّ المشرق بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة عكرمة المزمل والمدثر خفيفة الزاي والدال مشددة الميم والثاء وقراءة أبي السماك قُمُ الليل بضم الميم .

[ **الحجة** ] من قرأ أشدّ وطاءً فمعناه مواطأة أي موافقة وملاءمة ومنه ليواطئوا عدَّة ما حرَّم الله أي ليوافقوا والمعنى أن صلاة ناشئة الليل وعمل ناشئة الليل يواطىء السمع القلب فيها أكثر مما يواطىء في ساعات النهار ولأن البال أفرغ لانقطاع كثير مما يشغل بالنهار ومن قال وطأ فالمعنى أنه أشقُّ على الإنسان من القيام بالنهار لأن الليل للدعة والسكون وجاء في الحديث اللهم أشدد وطأتك على مضر وأقوم قيلا أي أشدّ استقامة وصواباً لفراغ البال وانقطاع ما يشغله قال :

لَـه وَلَـهـا وَقْـعٌ بِـكُـلِّ قُـرارةٍ وَوَقْـعٌ بِمُسْتَنِّ الْـفَـضاءِ قَـوِيمُ[1]

أي مستقيم .

والناشئة ما يحدث وينشأ من ساعات الليل والرفع في رب المشرق يحتمل أمرين ( أحدهما ) أنه لما قال واذكر اسم ربك قطعه من الأول فقال هو رب المشرق فيكون خبر مبتدأ محذوف ( والآخر ) أن يكون مبتدأ وخبره الجملة التي هي لا إلّه إلا هو ومن جرَّ فعلى اتباعه قوله اسم ربك وأما قوله المزمل بتخفيف الزاي فعلى حذف المفعول به يا أيها المزمل نفسه والمدثر نفسه وحذف المفعول كثير قال الحطيئة :

مُنَعَّمَـةٌ تَصُـونُ إلَيْـكَ مِنْـهـا كَصَـوْنِـكَ مِنْ رِداءٍ شَـرْعَبِيٍّ[2]

---

(١) القرارة: القاع المستدير. واستن السراب: اضطرب .

(٢) الشرعبي : ضرب من البرود .

أي تصون حديثاً وتخزنه كقول الشنفري :

كَـأَنَّ لَهَـا فِي الْأَرْضِ نِسْيـاً تَقُصُّـهُ     عَـلىٰ أُمِّهَـا وَإِنْ تُـكَلِّمْـكَ تَـبْلِتِ[١]

ومن قرأ قم الليل وضمّ فيمكن أن يكون ضمّه للاتباع .

[ **اللغة** ] المزمل المتزمل في ثيابه ادغم التاء في الزاي لأن الزاي قريبة المخرج من التاء وهي أندى في المسموع من التاء وكل شيء لفّف فقد زمّل قال امرؤ القيس :

كَـأَنَّ ثَـبِيـراً فِـي عَـرَانِيـنِ وَبْلِهِ     كَبِيـرُ أُنَـاسٍ فِي بِجَـادٍ مُـزَمَّـلِ[٢]

والنصف أحد قسمي الشيء المساوي للآخر في المقدار كما أن الثلث جزء من ثلاثة والربع جزء من أربعة وهذه من صفات الأجسام فإذا رفعت التأليفات عنها بقيت أجزاء لا توصف بأن لها نصفاً أو ثلثاً أو ربعاً والعرض لا يوصف بالنصف والجزء . والقديم لا يوصف أيضاً بذلك لأن هذه عبارات عن مؤلفات على وجوه فإن قيل فإذا يجب أن لا يكون وصف القديم تعالى بأنه واحد مدحاً فالجواب أن معنى قولنا أنه واحد اختصاصه بصفات لا يستحقها غيره وهي كونه قادراً عالماً لذاته قديماً ونحو ذلك وإذا قيل أنه لا يتجزأ فليس بمدح إلا أن يقال أنه حيّ لا يتجزأ بخلاف غيره من الاحياء والترتيل ترتيب الحروف على حقها في تلاوتها بتثبت فيها والحدر هو الاسراع فيها وكلاهما حسن إلا أن الترتيل هنا هو المرغب فيه والإلقاء مثل التلقية تقول ألقت على فلان مسألة والأقوم الأخلص استقامة والسبح التقلب ومنه السابح في الماء لتقلبة فيه وقرأ يحيى بن يعمر والضحاك سبخاً طويلاً بالخاء ومعناه التوسعة يقال سبخت القطن إذا وسعته للندف ومنه قول النبي ﷺ لعائشة وقد سمعها تدعو على سارق لا تسبخي عنه بدعائك عليه أي لا تخففي ويقال لقِطَعِ القطن إذا نُدِفَ سبائخ قال الأخطل يصف القنّاص[٣] والكلاب .

فَـأَرْسَـلُوهُـنَّ يُـذْرِيـنَ الـتُّـرَابَ كَـمَـا     يُـذْرِي سَـبَـائِـخَ قُـطْنٍ نَـدْفُ أَوْتَـارِ

(١) النسي : الشيء المنسي الذي لا يذكر و « تقصه » أي تطلبه والأم : الطريق و « تبلت » أي تقطع الكلام بما يعتريها من الحياء ، وقيل؛ أي تفصل الكلام . وفي تفسير الطبري « إذا ما غدت وإن تحدثك قبلت » بدل المصراع الأخير وقال يعني بقوله « قبلت » تحسن وتصدق . وقد مر البيت في ج ٣ أيضاً فراجع .

(٢) البيت من معلقته المعروفة وكذا البيت الآتي يصف سحاباً بكثرة المطر . وثبير كأمير: جبل بمكة . والعرانين اوائل المطر . والوبل: المطر الشديد الضخم القطر . والبجاد: كساء مخطط . يقول: كان بثيراً في أوائل مطر هذا السحاب سيد اناس تلقف مكساء مخطط، شبه تنظمه بالغثاء منتظر هذا الرجل بالكساء .

(٣) القناص: الصيادون.

وقال ثعلب السبح التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي ﷺ الحمى من فيح جهنم فسبّخوها بالماء أي أسكنوها والتبتل الانقطاع إلى الله عز وجل واخلاص العبادة له قال امرؤ القيس :

تضِيءُ الظَّلامَ بِالْعَشِيِّ كَأَنَّها مَنارَةُ مُمْسي رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ (١)

وأصله من تبلت الشيء قطعته وصدقة بَتَّة بَتْلَة أي بائنة مقطوعة من صاحبها لا سبيل له عليها ومنه البتول عليها السلام لانقطاعها إلى عبادة الله عز وجل .

[ **الإعراب** ] الليل نصب على الظرف إلا قليلاً نصب على الاستثناء تقديره إلا شيئاً قليلاً منه لا تقوم فيه ثم بيَّن القدر فقال نصفه قال الزجاج أن نصفه بدل من الليل كما تقول ضربت زيداً رأسه فإنما ذكرت زيداً لتوكيد الكلام وهو أوكد من قولك ضربت رأس زيد فالمعنى قم نصف الليل إلا قليلاً أو انقص من النصف أو زد على النصف وانقص منه قليلاً بمعنى إلا قليلاً ولكنه ذكر مع الزيادة فالمعنى قم نصف الليل أو أنقص من نصف الليل أو زد على نصف الليل .

[ **المعنى** ] **﴿يا أيها المزمل﴾** معناه يا أيها المتزمل بثيابه المتلفف بها عن قتادة وقيل يا أيها المتزمل بعباءة النبوة أي المتحمل لاثقالها عن عكرمة وقيل معناه يا أيها النائم وكان قد تزمل للنوم عن السدي وقيل كان يتزمل بالثياب في أول ما جاء به جبرائيل خوفاً حتى أنس به وإنما خوطب بهذا في بدء الوحي ولم يكن قد بلغ شيئاً ثم خوطب ﷺ بعد ذلك بالنبي والرسول **﴿قم الليل﴾** للصلاة **﴿إلا قليلاً﴾** والمعنى بالليل صلّ إلا قليلاً من الليل فإن القيام بالليل عبارة عن الصلاة بالليل **﴿نصفه﴾** هو بدل من الليل فيكون بياناً للمستثنى منه أي قم نصف الليل ومعناه صل من الليل النصف إلا قليلاً وهو قوله **﴿أو انقص منه قليلاً﴾** أي من النصف **﴿أو زد عليه﴾** أي على النصف وقال المفسرون أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث أو زد على النصف إلى الثلثين وقيل أن نصفه بدل من القليل فيكون بياناً للمستثنى والمعنى فيهما سواء ويؤيّد هذا القول ما روي عن الصادق ( ع ) قال القليل النصف أو انقص من القليل قليلاً أو زد على القليل قليلاً وقيل معناه قم نصف الليل إلا قليلاً من الليالي وهي ليالي العذر كالمرض وغلبة النوم وعلة العين ونحوها أو انقص من النصف قليلاً أو زد عليه

(١) يصف محبوبته بنور الوجه وشبهها بمصباح الراهب؛ والمبتل : صفة الراهب، لأنه يوقد ليهتدى به الضلال . يريد ان نور وجهها يغلب ظلام الليل كغلبته نور مصباح الراهب .

ذكره الإمام علي بن أبي الطيب ( ر ه ) خيَّر الله سبحانه نبيَّه ﷺ في هذه الساعات القيام بالليل وجعله موكولاً الى رأيه وكان النبي ﷺ وطائفة من المؤمنين معه يقومون على هذه المقادير وشقَّ ذلك عليهم فكان الرجل منهم لا يدري كم صلى وكم بقي من الليل فكان يقوم الليل كلّه مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب حتى خفَّف الله عنهم بآخر هذه السورة وعن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال قلت لعائشة انبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقال ألست تقرأ يا أيها المزمل قلت بلى قالت فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبيّ الله وأصحابه حولاً وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعاً بعد ان كان فريضة وقيل كان بين أول السورة وآخرها الذي نزل فيه التخفيف عشر سنين عن سعيد بن جبير وقيل كان هذا بمكة قبل فرض الصلوات الخمس ثم نسخ بالخمس عن ابن كيسان ومقاتل وقيل لما نزل أول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان فكان بين أوّلها وآخرها سنة عن ابن عباس وقيل أن الآية الأخيرة نسخت الأولى عن الحسن وعكرمة وليس في ظاهر الآيات ما يقتضي النسخ فالأولى أن يكون الكلام على ظاهره فيكون القيام بالليل سنّة مؤكّدة مرغباً فيه وليس بفرض **﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾** أي بيّنه بياناً واقرأه على هينتك ثلاث آيات وأربعاً وخمساً عن ابن عباس قال الزجاج والبيان لا يتم بأن تعجل في القرآن إنما يتم بأن تبين جميع الحروف وتوفي حقها من الإشباع قال أبو حمزة قلت لابن عباس أني رجل في قراءتي وفي كلامي عجلة فقال ابن عباس لأن اقرأ البقرة أرتّلها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن كله وقيل معناه ترسل فيه ترسلاً عن مجاهد وقيل معناه تثبت فيه تثبتاً عن قتادة وروي عن أمير المؤمنين ( ع ) في معناه أنه قال بيّنه بياناً ولا تهذّه هذّ الشعر[1] ولا تنثره نثر الرمل ولكن اقرع به القلوب القاسية ولا يكوننَّ همَّ أحدكم آخر السورة وعن أبي عبد الله ( ع ) قال إذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فاسأل الله الجنة وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فتعوَّذ بالله من النار وقيل الترتيل هو أن تقرأ على نظمه وتواليه ولا تغير لفظاً ولا تقدّم مؤخراً وهو مأخوذ من ترتل الأسنان إذا استوت وحسن انتظامها وثغر رَتَلْ إذا كانت أسنانه مستوية لا تفاوت فيها وقيل رتل معناه ضعف والرتل اللين عن قطرب قال والمراد بهذا تحزين القرآن أي اقرأه بصوت حزين ويعضده ما رواه أبو بصير عن أبي عبد الله ( ع ) في هذا قال هو ان تتمكث فيه وتحسن به صوتك وروى عن أم سلمة أنها قالت كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته آية آية وعن انس قال كان يمدّ صوته مدّاً وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك

(١) الهذ: سرعة القراءة .

عند آخر آية تقرؤها **﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾** أي سنوحي عليك قولاً يثقل عليك وعلى امتك أما ثقله عليه فلما فيه من تبليغ الرسالة وما يلحقه من الأذى فيه وما يلزمه من قيام الليل ومجاهدة النفس وترك الراحة والدعة وأما ثقله على أمته فلما فيه من الأمر والنهي والحدود وهذا معنى قول قتادة ومقاتل والحسن قال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك وكما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة وقيل ثقيلاً لا يحمله إلا قلب مؤيّد بالتوفيق ونفس مؤيَّدة بالتوحيد وقيل ثقيلاً ليس بالسفساف الخفيف[1] لأنه كلام ربّنا جلَّت عظمته عن الفراء وقيل معناه قولاً عظيم الشأن كما يقال هذا كلام رصين وهذا الكلام له وزن إذا كان واقعاً موقعه وقيل معناه قولاً ثقيلاً نزوله فإنه ﷺ كان يتغيَّر حاله عند نزوله ويعرق وإذا كان راكباً يبرك راحلته ولا يستطيع المشي وسأل الحرث بن هشام رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال ﷺ أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّ عليَّ فيفصم عني[2] وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثَّل الملك رجلاً فأعي ما يقول قالت عائشة أنه كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فيضرب بجرّانها[3] قالت ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقاً وقيل ثقيلاً على الكفار لما فيه من الكشف عن جهلهم وضلالهم وسفه احلامهم وقبح أفعالهم **﴿إن ناشئة الليل﴾** معناه ان ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة وتقديره أن ساعات الليل الناشئة وقال ابن عباس هو الليل كله لأنه ينشأ بعد النهار وقال مجاهد هي ساعات التهجد من الليل وقيل هي بالحبشية قيام الليل عن عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير وقيل هي القيام بعد النوم عن عائشة وقيل هي ما كان بعد العشاء الآخرة عن الحسن وقتادة والمروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) أنهما قالا هي القيام في آخر الليل الى صلاة الليل **﴿وهي اشد وطأ﴾** أي أكثر ثقلاً وأبلغ مشقة لأن الليل وقت الراحة والعمل يشق فيه ومن قال وطاءً فالمعنى أشد مواطأة للسمع والبصر يتوافق فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهم والتفكر إذ القلب غير مشتغل بشيء من أمور الدنيا **﴿وأقوم قيلاً﴾** أي أصوب للقراءة وأثبت للقول لفراغ البال وانقطاع ما يشغل القلب عن انس ومجاهد وابن زيد وقال أبو عبد الله (ع) هو قيام الرجل عن فراشه لا يريد به إلا الله تعالى **﴿إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾** معناه أن لك يا محمد في النهار منصرفاً ومنقلباً إلى ما تقضي فيه حوائجك عن قتادة والمراد أن مذاهبك في النهار ومشاغلك كثيرة فإنك تحتاج فيه الى تبليغ الرسالة ودعوة الخلق وتعليم الفرائض والسنن واصلاح المعيشة لنفسك وعيالك وفي الليل يفرغ القلب

---

(١) أي الذي يستخف به . (٢) قال الجزري: اي يقلع عني . (٣) الجران: مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره .

للتذكر والقراءة فاجعل ناشئة الليل لعبادتك لتأخذ بحظك من خير الدنيا والآخرة وفي هذا دلالة على أنه لا عذر لأحد في ترك صلاة الليل لأجل التعليم والتعلم لأن النبي ﷺ كان يحتاج إلى التعليم أكثر مما يحتاج الواحد منا اليه ثم لم يرض سبحانه أن يترك حظَّه من قيام الليل ﴿واذكر اسم ربك﴾ يعني أسماء الله تعالى التي تعبد بالدعاء بها وقيل اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك توصلك بركة قراءتها إلى ربك وتقطعك من كل ما سواه وقيل واقصد بعملك وجه ربك ﴿وتبتَّل إليه تبتيلاً﴾ أي اخلص له اخلاصاً عن ابن عباس وغيره يعني في الدعاء والعبادة وقيل انقطع إليه انقطاعاً عن عطاء وهو الأصل وقيل توكل عليه توكلاً عن شقيق وقيل تفرغ لعبادته عن ابن زيد وقد جاء في الحديث النهي عن التبتل والمراد به الانقطاع عن الناس والجماعات وكان يجب ان يقول تبتلاً لأن المراد بتَّلك الله من المخلوقين واصطفاك لنفسه تبتيلاً فتبتَّل أنت أيضاً إليه وقيل إنما قال تبتيلاً ليطابق أواخر آيات السورة وروى محمد بن مسلم وزرارة وحمران عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) ان التبتل هنا رفع اليدين في الصلاة وفي رواية أبي بصير قال هو رفع يدك الى الله وتضرعك اليه ﴿رب المشرق والمغرب﴾ أي رب العالم بما فيه لأنه بين المشرق والمغرب وقيل رب مشرق الشمس ومغربها والمراد أول النهار وآخره فأضاف النصف الأول من النهار إلى المشرق والنصف الآخر منه إلى المغرب وقيل مالك المشرق والمغرب أي المتصرف فيما بينهما والمدبر لما بينهما ﴿لا إله إلا هو﴾ أي لا أحد تحق له العبادة سواه ﴿فاتخذه وكيلاً﴾ أي حفيظاً للقيام بأمرك وقيل معناه فاتخذه كافياً لما وعدك به واعتمد عليه وفوّض أمرك إليه تجده خير حفيظ وكاف ﴿واصبر على ما يقولون﴾ لك يعني الكفار من التكذيب والأذى والنسبة إلى السحر والكهانة ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ والهجر الجميل اظهار الموجدة عليهم من غير ترك الدعاء إلى الحق على وجه المناصحة قال الزجاج هذا يدل على أنه نزل قبل الأمر بالقتال وقيل بل هو أمر بالتلطف في استدعائهم فيجب مع القتال ولا نسخ وفي هذا دلالة على وجوب الصبر على الأذى لمن يدعو إلى الدين والمعاشرة بأحسن الأخلاق واستعمال الرفق ليكونوا أقرب إلى الاجابة .

﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ
وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا
غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ

ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ
ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن
كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ
كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ
إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ *

[ اللغة ] يذر ويدع بمعنى يترك ولا يقال وَذَر ولا وَدَع واستغنى بترك عن ذلك لأن الابتداء بالواو عندهم مكروه ولذلك أبدلوا منها الهمزة في اقتت والتاء في تخمة وتراث والنعمة بفتح النون لين اللمس وضدّها الخشونة والنعمة الثروة والمنة أيضاً والنعمة بضم النون المسرة يقال نُعْمَ ونُعْمَة عين ونُعْمَى عينٍ والانكال القيود واحدها نِكْل والغصة تردد اللقمة في الحلق ولا يسيغها آكلها يقال غص بريقه يغص غصصاً وفي قلبه غصة من كذا وهي كاللدغة التي لا يسوغ معها الطعام والشراب قال عدي بن زيد:

لَـوْ بِـغَيْـرِ الْـمَـاءِ حَـلْقِـي شَـرِقٌ كُنْتُ كَـالْغَصَّـانِ بِـالْمَاءِ اعْتِصَارِي[١]

والكثيب الرمل المجتمع الكثير وهلت الرمل أهيله هيلاً فهو مهيل اذا حرك اسفله فسال اعلاه ومنه الحديث كيلوا ولا تهيلوا وكل ثقيل وبيل ومنه كلأ مستوبل أي مستوخم لا يستمرئ لثقله ومنه الوبل والوابل وهو المطر العظيم القطر ومنه الوبال وهو ما يغلظ على النفس والوبيل ايضاً الغليظ من العصي قال طرفة:

فَـمَـرَّتْ كَهَـاةٌ ذَاتُ خَـيْـفٍ جُـلَالَـةٌ عَقِيلَةُ شَيْـخٍ كَـالْـوَبِـيـلِ يَلَنْـدَدِ[٢]

---

(١) الشرق: الشجا وكالغصص في الطعام. والاعتمار: الالتجاء. وقيل: الاعتصار هو ان يغص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء، وهو ان يشربه قليلاً قليلاً. يقول: كان اعتصاري بالماء إذا شرقت بغيره. فإذا شرقت بالماء فبم اعتصر ونظيره في الفارسية قول الشاعر « هرجه بكندد نمكش ميزنند * وأي بوقتي كه بكندد نمك ».

(٢) البيت من معلقته المعروفة يصف فيه نحر ناقة أبيه أو رجل غيره على خلاف ذكره الزوزني. الكهاة والجلالة: الناقة

[ المعنى ] ثم قال سبحانه مهدّداً للكفار ﴿وذرني﴾ يا محمد ﴿والمكذبين﴾ الذين يكذّبونك فيما تدعوهم إليه من التوحيد واخلاص العبادة وفي البعث والجزاء وهذا كما يقول القائل دعني وإياه إذا أراد ان يهدّده وهو نصب على أنه مفعول معه ﴿أولي النعمة﴾ يعني المتنعمين ذوي الثروة في الدنيا أي كل جزاءهم إليّ ولا تشغل قلبك بمجازاتهم ﴿ومهّلهم قليلاً﴾ وهذا أيضاً وعيد لهم ولم يكن الا يسيراً حتى كانت وقعة بدر والمعنى وأخّرهم في المدة قليلاً قال مقاتل نزلت في المطعمين ببدر وهم عشرة ذكرناهم في الأنفال[1] وقيل نزلت في صناديد قريش والمستهزئين ﴿ان لدينا انكالاً﴾ أي عندنا قيوداً في الآخرة عظاماً لا تفكّ أبداً عن مجاهد وقتادة وقيل اغلالاً ﴿وجحيماً﴾ وهو اسم من اسماء جهنم وقيل يعني وناراً عظيمة ولا يسمى القليل به ﴿وطعاماً ذا غصة﴾ أي ذا شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج عن ابن عباس وقيل طعاماً يأخذ بالحلقوم لخشونته وشدة تكرهه وقيل يعني الزقوم والضريع وروي عن حمران بن اعين عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ سمع قارئاً يقرأ هذه فصعق ﴿وعذاباً أليماً﴾ أي عقاباً موجعاً مؤلماً ثم بيّن سبحانه متى يكون ذلك فقال ﴿يوم ترجف الأرض﴾ أي تتحرّك باضطراب شديد ﴿والجبال﴾ أي وترجف الجبال معها أيضاً وتضطرب بمن عليها ﴿وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾ أي رملاً سائلاً متناثراً عن ابن عباس وقيل المهيل الذي اذا وطأته القدم زلّ من تحتها وإذا أخذت أسفله انهار اعلاه عن الضحاك والمعنى أن الجبال تنقلع من اصولها فتصير بعد صلابتها كالرمل السائل ثم اكّد سبحانه الحجة على أهل مكة فقال ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً﴾ يعني محمداً ﷺ شاهداً عليكم أي يشهد عليكم في الآخرة بما يكون منكم لا في الدنيا ﴿كما أرسلنا الى فرعون﴾ بمصر ﴿رسولاً﴾ يعني موسى ابن عمران ﴿فعصى فرعون الرسول﴾ ولم يقبل منه ما دعاه إليه ﴿فأخذناه﴾ بالعذاب ﴿أخذاً وبيلاً﴾ أي شديداً ثقيلاً مع كثرة جنوده وسعة ملكه يعني الغرق حذّرهم سبحانه أن ينالهم مثل ما نال فرعون وقومه ﴿فكيف تتّقون ان كفرتم﴾ ولم تؤمنوا برسولكم ﴿يوماً﴾ أي عقاب يوم ﴿يجعل الولدان شيبا﴾ وهو جمع أشيب وهذا وصف لذلك اليوم وشدته كما يقال هذا امر يشيب منه الوليد وتشيب منه النواصي اذا كان عظيماً شديداً والمعنى بأيّ شيء تتحصّنون من عذاب ذلك اليوم ان كفرتم وكيف تدفعون عنكم ذلك قال النابغة :

---

الضخيمة السمنة. والخيف جلد الضرع. والعقيلة: كريمة الاصل وبلندد: الشديد الخصومة أراد به صاحب الناقة أو اباه .

(١) ذكر في سورة.

« سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ اسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ[1]

أي دفعتنا ثم زاد سبحانه في وصف شدة ذلك اليوم فقال ﴿**السماء منفطر به**﴾ الهاء تعود إلى اليوم وهذا كما يقال فلان بالكوفة اي هو فيها والمعنى ان السماء تنفطر وتنشق في ذلك اليوم من هوله وقيل سبب ذلك اليوم وهوله وشدّته وقيل بأمر الله وقدرته ولم يقل منفطرة لأن لفظة السماء مذكر فيجوز أن يذكر ويؤنث ومن ذكر اراد السقف وقيل معناه ذات انفطار كما يقال امرأة مطفل اي ذات اطفال ومرضع ذات رضاع فيكون على طريق النسبة ﴿**كان وعده مفعولاً**﴾ أي كائناً لا خلف فيه ولا تبديل ﴿**ان هذه**﴾ الصفة التي ذكرناها وبيَّناها ﴿**تذكرة**﴾ أي عظة لمن أنصف من نفسه والتذكرة الموعظة التي يذكر بها ما يعمل عليه ﴿**فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً**﴾ أي فمن شاء من المكلفين اتَّخذ إلى ثواب ربه سبيلاً لأنه قادر على الطاعة التي لو فعلها وصل الى الثواب وقد رغَّبه الله تعالى فيه ودعاه الى فعل ما يوصله اليه وبعث رسولاً يدعوه إليه فمن لم يصل اليه فبسوء اختياره انصرف عنه .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟

(١) كان النابغة من اخصاء النعمان بن المنذر ملك الحيرة: ودخل عليه يوماً فجأة ومعه امرأته المتجردة فالتفت اليه مذعورة؛ فسقط نصيفها ـ وهو الخمار ـ فاستترت بيدها وذراعها. فكادت ذراعها تستر وجهها لغلظها وكثرة لحمها فأمره النعمان أن يقول قصيدة فيها فأنشأ قصيدته عنها البيت .

لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وأهل الكوفة نصفه وثلثه بالنصب والباقون بالجر .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من نصب حمله على أدنى وأدنى في موضع نصب قال أبو عبيدة أدنى أقرب فكأنه قال ان ربك يعلم انك تقوم أدنىٰ من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه ومن جرَّ فإنه يحمله على الجار قال أبو الحسن وليس المعنى عليه فيما بلغنا لأن المعنى يكون على ادنى من نصفه وادنى من ثلثه قال وكان الذي افترض الثلث وأكثر من الثلث قال فأما الذين قرأوا بالجر فعلى أن يكون المعنى انكم ان لم تؤدوا ما فرض الله عليكم فقوموا ادنى من ثلثي الليل ومن نصفه ومن ثلثه .

[ **المعنى** ] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿**إن ربك**﴾ يا محمد ﴿**يعلم أنك تقوم أدنى**﴾ أي أقرب وأقل ﴿**من ثلثي الليل ونصفه وثلثه**﴾ أي أقلّ من نصفه وثلثه والهاء تعود إلى الليل أي نصف الليل وثلث الليل والمعنى انك تقوم في بعض الليالي قريباً من الثلثين وفي بعضها قريباً من نصف الليل وقريباً من ثلثه وقيل ان الهاء تعود إلى الثلثين أي وأقرب من نصف الثلثين ومن ثلث الثلثين وإذا نصبت فالمعنى تقوم نصفه وثلثه ﴿**و**﴾ تقوم ﴿**طائفة من الذين معك**﴾ على الإيمان وروى الحاكم أبو القاسم ابراهيم الحسكاني باسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله وطائفة من الذين معك قال عليٌّ وأبو ذر ﴿**والله يقدّر الليل والنهار**﴾ أي يقدّر اوقاتهما لتعلموا فيها على ما يأمركم به وقيل معناه لا يفوته علم ما تفعلون عن عطاء والمراد أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومونه من الليل ﴿**علم ان لن تحصوه**﴾ قال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما أمر به من القيام فقال سبحانه علم ان لن تحصوه أي لن تطيقوا معرفة ذلك وقال الحسن قاموا حتى انتفخت أقدامهم فقال سبحانه انكم لا تطيقون احصاءه على الحقيقة وقيل معناه لن تطيقوا المداومة على قيام الليل ويقع منكم التقصير فيه ﴿**فتاب عليكم**﴾ بأن جعله تطوعاً ولم يجعله فرضاً عن الجبائي وقيل معناه فلم يلزمكم إثماً كما لا يلزم التائب أي رفع التبعة فيه كرفع التبعة عن التائب وقيل فتاب عليكم أي فخفّف عليكم ﴿**فاقرأوا ما تيسر من القرآن**﴾ الآن يعني في صلاة الليل عن أكثر المفسرين وأجمعوا أيضاً على أن المراد بالقيام المتقدم في قوله قم الليل هو القيام الى الصلاة إلا أبا مسلم فإنه قال أراد القيام لقراءة القرآن لا غير وقيل

معناه فصلّوا ما تيسّر من الصلاة وعبَّر عن الصلاة بالقرآن لأنها تتضمَّنه ومن قال إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة فهو محمول على الاستحباب عند الاكثرين دون الوجوب لأنه لو وجبت القراءة لوجب الحفظ وقال بعضهم هو محمول على الوجوب لأن القارىء يقف على اعجاز القرآن وما فيه من دلائل التوحيد وارسال الرسل ولا يلزم حفظ القرآن لأنه من القرب المستحبة المرغب فيها ثم اختلفوا في القدر الذي تضمنه هذا الأمر من القراءة فقال سعيد بن جبير خمسون آية وقال ابن عباس مائة آية وعن الحسن قال من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقال كعب من قرأ مائة آية في ليلة كتب من القانتين وقال السدي مائتا آية وقال جويبر ثلث القرآن لأن الله يسره على عباده والظاهر أن معنى ما تيسر مقدار ما أردتم وأحببتم ﴿**علم ان سيكون منكم مرضى**﴾ وذلك يقتضي التخفيف عنكم ﴿**وآخرون**﴾ أي ومنكم قوم آخرون ﴿**يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله**﴾ أي يسافرون للتجارة وطلب الأرباح عن ابن عباس ﴿**وآخرون**﴾ أي ومنكم قوم آخرون ﴿**يقاتلون في سبيل الله**﴾ فكل ذلك يقتضي التخفيف عنكم ﴿**فاقرأوا ما تيسّر منه**﴾ وروي عن الرضا ( ع ) عن أبيه عن جده ( ع ) قال ما تيسّر منه لكم فيه خشوع القلب وصفاء السر ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾ بحدودها التي أوجبها الله عليكم ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ المفروضة ﴿**وأقرضوا الله قرضاً حسناً**﴾ أي وانفقوا في سبيل الله والجهات التي أمركم الله وندبكم الى النفقة فيها وقد مرَّ معنى القرض فيما تقدم ﴿**وما تقدّموا لأنفسكم من خير**﴾ أي طاعة ﴿**تجدوه**﴾ أي تجدوا ثوابه ﴿**عند الله هو خيراً**﴾ لكم من الشُحّ والتقصير ﴿**وأعظم أجراً**﴾ أي أفضل ثواباً وهو هنا يسمّى فصلاً عند البصريين وعماداً عند الكوفيين ويجوز أن يكون صفة للهاء في تجدوه ﴿**واستغفروا الله**﴾ أي اطلبوا مغفرته ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ أي ستّار لذنوبكم صفوح عنكم رحيم بكم منعم عليكم قال عبد الله ابن مسعود ايما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ وآخرون يضربون في الأرض الآية وقال ابن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله احبُّ اليَّ من أن أموت بين شقّي رحل اضرب في الأرض ابتغي من فضل الله وقيل ان هذه الآية مدنية ويدل عليها ان الصلاة والزكاة لم توجبا بمكة وقيل أوجبتا بمكة والآية مكية .

# (٧٤) سورة المدثر مكية وآياتها ست وخمسون

[ عدد يها ]

خمسون وست آيات عراقي والبزي والمدني الأول وخمس شامي والمدني الأخير والمكي غير البزي .

[ اختلافها ] يتساءلون غير المدني الأخير عن المجرمين غير الشامي والمكي إلا البزي .

[ فضلها ] ابيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ المدثر اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدَّق بمحمد ﷺ وكذَّب به بمكة محمد بن مسلم عن أبي جعفر ( ع ) قال من قرأ في الفريضة سورة المدثر كان حقاً على الله ان يجعله مع محمد ﷺ في درجته ولا يدركه في حياة الدنيا شقاء ابداً .

[ تفسيرها ] لما أمر سبحانه نبيّه ﷺ في آخر المزمل بالصلاة وغيرها امره في مفتتح هذه السورة بالانذار فكأنه أمره ان يبدأ بنفسه ثم بالناس فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ
فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ
فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾

عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابو جعفر وحفص ويعقوب وسهل والرجز بالضم والباقون بكسر الراء وقرأ الحسن تستكثر بالجزم وقرأ الاعمش تستكثر بالنصب والفراءة بالرفع .

[ **الحجة** ] الرجز بالضم قراءة الحسن وهو اسم صنم فيما زعموا وقال قتادة هما صنمان اساف ونائلة ومن كسر فهو العذاب والمعنى ذات العذاب فاهجر لأنّ عبادتها تؤدّي إلى العذاب ويجوز أن يكون الرُجز والرِجز لغتين كالذُكر والذِكر وقال ابن جني الجزم في تستكثر يحتمل امرين (أحدهما) ان يكون بدلاً من تمنن فكأنه قال لا تستكثر فإن قيل فعبرة البدل ان يصلح اقامة الثاني مقام الاول وانت لو قلت لا تستكثر لا يدلّك النهي على المن للاستكثار وإنما المعنى لا تمنن مَنًّ مستكثر قيل قد يكون البدل على حذف الاول وقد يكون على نية ثباته وذلك كقولك زيد مررت به أبي محمد فتبدل ابا محمد من الهاء ولو قلت زيد مررت مررت بابي محمد كان قبيحاً فقوله ولا تمنن تستكثر من هذا القبيل وانكر ابو حاتم الجزم على البدل (والآخر) ان يكون اراد تستكثرُ فاسكن الراء لثقل الضمة مع كثرة الحركات كما حكى ابو زيد من قولهم بلى ورسلنا باسكان اللام واما تستكثر بالنصب فبان مضمرة وذلك ان يكون بدلاً من قوله ولا تمنن في المعنى الا ترى ان معناه لا يكن منك منّ فاستكثار فكأنه قال لا يكن منك منّ ان تستكثر فتضمر أنْ لتكون مع الفعل المنصوب بها بدلاً عن المنّ في المعنى الذي دلَّ عليه الفعل ومما وقع فيه الفعل موقع المصدر قوله .

فَقَالُوا مَا تَشَاءُ فَقُلْتُ أَلْهُو إلَى الأَصْبَاحِ آثِرَ ذي أَثِيرِ(١)

اراد فقلت للهو فوضع ألهو موضع اللهو .

[ **اللغة** ] المدثر المتفعل من الدثار إلا ان الثاء ادغمت في الدال وهو المتغطي بالثياب عند النوم والتكبير وصف الاكبر على اعتقاد معناه كتكبير المكبّر في الصلاة بقوله الله اكبر والتكبير نقيض التصغير والكبير الشأن هو المختص باتساع للمقدور والمعلوم والطهارة النظافة بانتفاء النجاسة لأن النظافة قد تكون بانتفاء الوسخ من غير نجاسة وقد تكون بانتفاء النجاسة فالطهارة في الآية هو القسم الأخير والمن ذكر النعمة بما يكدرها ويقطع حق الشكر بها يقال منَّ بعطائه يمنُّ منّاً إذا فعل ذلك فاما المن على الاسير فهو اطلاقه بقطع اسباب

(١) آثر ذي اثير اي اول كل شيء .

الاعتقال عنه والاستكثار طلب الكثرة وهو هنا طلب ذكر الاستكثار للعطية والناقور فاعول من النقر كهاضوم من الهضم وحاطوم من الحطم وهو الذي من شأنه ان ينقر فيه للتصويت به واليسير والقليل الكلفة ومنه اليسار وهو كثرة المال لقلة الكلفة به في الانفاق ومنه تيسير الامور لسهولته .

[ الاعراب ] وربك فكبِّر تقديره قم فكبّر ربك وكذلك ما بعده وفائدة تقديم المفعول عنها التخصيص لأنك إذا قلت وكبّر ربك لم يدل ذلك على انه لا يجوز تكبير غير الرب إذا قلت ربك فكبر دلَّ على انه لا يجوز تكبير غيره وتستكثر في موضع نصب على الحال فذلك مبتدأ ويوم عسير وخبره ويومئذ يجوز ان يكون رفعاً ويجوز أن يكون نصباً فإذا كان رفعاً فإنما يبنى على الفتح لاضافته الى إذ لان إذ غير متمكنة وإذا كان نصباً فعلى الظرف وتقديره فذلك يوم عسير في يوم ينفخ في الصور قاله الزجاج وقال ابو علي في بعض كتبه لا يجوز ان ينتصب يومئذ بقوله عسير لأن الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف وإنما انتصب يومئذ على انه صلة قوله فذلك لأن ذلك كناية عن المصدر فكأنه قال فذلك النقر يومئذ وعلى هذا فيكون التقدير فذلك النقر في ذلك الوقت نقر يوم عسير وقوله على الكافرين غير يسير على يتعلق بعسير ولا يتعلق بيسير لان ما يعمل فيه المضاف إليه لا يتقدم على المضاف على انهم قالوا انَّ غيراً في حكم حرف النفي فيجوز ان يعمل ما بعده فيما قبله نحو ان تقول انت زيداً غير ضارب ولا يجوز ان تقول انت زيداً مثل ضارب فتعمل ضارباً في زيد وإنما اجازوا انت زيداً غير ضارب حملاً على انت زيداً لا ضارب.

[ المعنى ] خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿يا أيها المدثر﴾ أي المتدثر بثيابه قال الاوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول سألت ابا سلمة ايّ القرآن انزل من قبل قال يا أيها المدثر فقلت أو اقرأ باسم ربك فقال سألت جابر بن عبد الله أيّ القرآن انزل قبل قال يا أيها المدثر فقلت او اقرأ فقال جابر احدّثكم ما حدَّثنا رسول الله ﷺ قال جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الواد فنوديت فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وشمالي فلم ار احداً ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء يعني جبرائيل فقلت دثّروني دّثروني فصّبوا عليَّ ماء فانزل الله عز وجل يا أيها المدثر وفي رواية فحييت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى اهلي فقلت زمّلوني فنزل يا أيها المدثر ﴿قم فانذر﴾ اي ليس بك ما تخافه من الشيطان إنما انت نبيّ فانذر الناس وادعهم إلى التوحيد وفي هذا ما فيه لأن الله تعالى لا يوحي إلى رسوله إلا بالبراهين النيرة والآيات البينة الدالة على أن ما يوحي اليه

إنما هو من الله تعالى فلا يحتاج إلى شيء سواها ولا يفزع ولا يفرق وقيل معناه يا أيها الطالب صَرْف الاذى بالدثار أُطْلبه بالانذار وخوِّف قومك بالنار وان لم يؤمنوا وقيل انه كان قد تدثّر بشملة صغيرة لينام فقال يا أيها النائم قم من نومك فانذر قومك وقيل إن المراد به الجدّ في الأمر والقيام بما ارسل به وترك الهوينا فيه فكانه قيل له لا تنم عما أمرتك به وهذا كما تقول العرب فلان لا ينام في امره إذا وصف بالجلد والانكماش وصدق العزيمة وكأنهم يخطرون النون على ذي الحاجة حتى يبلغ حاجته وبذلك نطقت اشعارهم كما قيل .

أَلا أَيُّهَا النَّاهِي فَزارَةَ بَعْدَ مَا أَجَدَّتْ لإِمْرٍ إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمُ
أَرىٰ كُلَّ ذِي وَتْرٍ يَقُومُ بِوَتْرِهِ وَيَمْنَعُ عَنْهُ النَّوْمَ أَذْ أَنْتَ نَائِمٌ(١)

ويقال لمن ادرك ثأره هذا هو الثار المنيم وقال الشاعر يصف من اورد ابلا له .

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلْ مَا هٰكَذا تُورَدُ يا سَعْدُ الإِبِلْ(٢)

والاشتمال مثل التدثر ﴿وربك فكبّر﴾ اي عظمه ونزِّهه عما لا يليق به وقيل كبّره في الصلاة فقل الله اكبر ﴿وثيابك فطهر﴾ اي وثيابك الملبوسة فطهّرها من النجاسة للصلاة وقيل معناه ونفسك فطهِّر من الذنوب والثياب عبارة عن النفس عن قتادة ومجاهد وعلى هذا فيكون التقدير وذا ثيابك فطهرّ فحذف المضاف ومما يؤيّد هذا القول قول عنترة .

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمْ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ(٣)

وقيل معناه طهِّر ثيابك من لبسها على معصية او غدرة كما قال سلامة بن غيلان الثقفي انشده ابن عباس .

وَإِنّي بِحَمْدِ اللّهِ لا ثَوْبَ فَاجِرٍ لَبِسْتُ وَلا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

قال الزجاج معناه(٤) ويقال للغادر دنس الثياب وفي معناه قول من قال وعملك فاصلح

(١) يعني ادركت ثارك فنمت ولكن فزارة على الانتقام ويجب على كل ذي وتر أن يدفع عن نفسه النوم .

(٢) البيت لمالك بن زيد مناة وكان آبل اهل زمانه ـ اي لحاذق في مصلحة الابل ـ ثم انه تزوج وبنى بامرأته فأورد الابل اخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها فقال مالك هذا البيت، يريدان من يورد الابل لابد وان يكون متشمراً لامشتملاً وفي بعض النسخ «يا سعد لا تروي بهذاك الابل» بدل المصراع الأخير .

(٣) البيت من المعلقات . والشك : الانتظام . والأصم : الصلب . يقول : فانتظمه برمحي الصلب اي طعنته طعنة انفذت في جسمه وثيابه كلها ، ثم قال : ليس الكريم محرماً على الرماح .

(٤)[ لا تكن غادراً ] .

قال السدي يقال للرجل إذا كان صالحاً انه لطاهر الثياب وإذا كان فاجراً انه لخبيث الثياب وقيل معناه وثيابك فقصّر عن طاووس وروي ذلك عن أبي عبد الله ( ع ) قال الزجاج لأن تقصير الثوب ابعد من النجاسة فإنه إذا انجرّ على الأرض لم يؤمن ان يصيبه ما ينجسه وقيل معناه وثيابك فاغلسها عن النجاسة بالماء لان المشركين كانوا لا يتطهرون عن ابن زيد وابن سيرين وقيل لا يكن ثيابك من حرام عن ابن عباس وقيل معناه وازواجك فطهِّرهن عن الكفر والمعاصي حتى يصرن مؤمنات صالحات والعرب تكنى بالثياب عن النساء عن أبي مسلم وروى ابو بصير عن ابي عبد الله ( ع ) قال قال امير المؤمنين ( ع ) غسل الثياب يذهب الهم والحزن وهو طهور المصلاة وتشمير الثياب طهور لها وقد قال الله سبحانه وثيابك فطهّر اي فشمّر ﴿والرجز فاهجر﴾ أي اهجر الاصنام والاوثان عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهري وقيل معناه اجتنب المعاصي عن الحسن قال الكسائي الرجز بالكسر العذاب وبالضم الصنم وقال المعنى اهجر ما يؤدي إلى العذاب ولم يفرّق غيره بينهما وقيل معناه جانب الفعل القبيح والخلق الذميم عن الجبائي وقيل معناه اخرج حبَّ الدنيا من قلبك لانه رأس كل خطيئة ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ اي لا تعط عطية لتعطى اكثر منها وهذا للنبي ﷺ خاصة ادّبه الله سبحانه باكرم الآداب واشرفها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والنخعي والضحاك وقيل معناه ولا تمنن حسناتك على الله تعالى مستكثراً لها فينقصك ذلك عند الله عن الحسن وربيع بن انس وقيل معناه لا تمنن ما اعطاك الله من النبوة والقرآن مستكثراً به الأجر من الناس عن ابن زيد وقيل هو نهي عن الربا المحرم اي لا تعط شيئاً طالباً ان تعطي اكثر مما اعطيت عن أبي مسلم وقيل لا تضعف في عملك مستكثراً لطاعاتك عن مجاهد وقيل ولا تمنن بعطائك على الناس مستكثراً ما اعطيته فان متاع الدنيا قليل ولان المنّ يكدر الصنيعة وقيل معناه إذا أعطيت عطية فاعطها لربك واصبر حتى يكون هو الذي يثيبك عليها عن زيد بن اسلم وقيل معناه لا تمنن بابلاغ الرسالة على امتك عن الجبائي ﴿ولربك﴾ أي لوجه ربك ﴿فاصبر﴾ على اذى المشركين عن مجاهد وقيل فاصبر على ما امرك الله به من اداء الرسالة وتعظيم الشريعة وعلى ما ينالك من التكذيب والأذى لتنال الفوز والذخر وقيل فاصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمصائب وقيل فاصبر الله على ما حملت من الأمور الشاقة في محاربة العرب والعجم عن ابن زيد ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ معناه إذا نفخ في الصور وهي كهيئة البوق عن مجاهد وقيل إن ذلك في النفخة الاولى وهو أول الشدة الهائلة العامة وقيل انه النفخة الثانية وعندها يحيي الله الخلق وتقوم القيامة وهي صيحة الساعة عن الجبائي ﴿فذلك يومئذ﴾ قد مرَّ معناه في الاعراف ﴿يوم عسير﴾ أي شديد ﴿على الكافرين﴾ لنعم الله الجاحدين لآياته ﴿غير يسير﴾

غير هيّن ولا سهل وهو بمعنى قوله عسير إلا انه اعاده بلفظ آخر للتأكيد كما تقول إني واد لفلان غير مبغض وقيل معناه عسير في نفسه وغير عسير على المؤمنين لما يرون من حسن العاقبة .

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ
تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾
سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾
ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ
وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا
قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾
لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾
وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ
وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا
مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ
جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

[ اللغة ] التمهيد والتوطئة والتذليل والتسهيل نظائر والعنيد الذاهب عن الشيء على طريق العداوة له يقال عَنَدَ العِرْقُ يعند عُنوداً فهو عاند إذا نفر والمعاندة منافرة المضادة وكذلك العناد وبعير عنود أي نافر قال الشاعر :

إذا نَزَلْتُ فَاجْعَلُوني وَسَطاً إنّي كَبِيرٌ لا أطِيقُ الْعُنُدا(١)

والارهاق الاعجاز بالعنف والصعود العقبة التي يصعب صعودها وهي الكؤود وعبس يعبس عبوساً إذا قبض وجهه والعبوس والتكليح والتقطيب نظائر وضدّها الطلاقة والبشاشة والبسور بدو التكرُّهِ في الوجه وأصله من بسر بالأمر إذا عجل به ومنه البسر لتعجيل حاله قبل الارطاب قال توبة .

وَقَدْ رَابَني مِنْها صُدُودٌ رَأَيْتُهُ وَاعْراضُها عَنْ حَاجَتي وَبُسُورُها(٢)

والاصلاء الزام موضع النار يقال اصليته فاصطلى وسقر اسم من اسماء جهنم لم يصرف للتأنيث والتعريف وأصله من سقرته الشمس سقراً إذا المت دماغه والابقاء ترك شيء مما اخذ والتلويح تغيير اللون الى الاحمرار ولوَّحته الشمس تلويحاً فهي لواحة على المبالغة والبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد ومنه سمي الانسان بشراً لأنه ظاهر الجلد بتعريه من الوبر والريش والصوف الذي يكون في غيره من الحيوان .

[ الاعراب ] وحيداً منصوب على الحال وهو على وجهين أحدهما أن يكون من صفة الله أي ذرني ومن خلقته وحدي والآخر ان يكون من صفة المخلوق .

[ النزول ] نزلت الآيات في الوليد بن المغيرة المخزومي وذلك ان قريشاً اجتمعت في دار الندوة فقال لهم الوليد انكم ذوو احساب وذوو أحلام وإن العرب يأتونكم فينطلقون من عندكم على أمر مختلف فاجمعوا أمركم على شيء واحد ما تقولون في هذا الرجل قالوا نقول إنه شاعر فعبس عندها وقال قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر فقالوا نقول انه كاهن قال إذا تأتونه فلا تجدونه يحدث بما تحدث به الكهنة قالوا نقول انه لمجنون فقال إذا تأتونه فلا تجدونه مجنوناً قالوا نقول انه ساحر قال وما الساحر فقالوا بشر يحببون بين المتباغضين

---

(١) العند جمع العنود: الناقة التي لا تخالط الابل تباعد عن الابل فترعى ناحية ابداً.

(٢) البيت لتوبة بن الحمير صاحب ليلى الاخيلية وقيل هذا البيت قوله : «وكنت إذا ما رزت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها ». ورابني اي أوقعني في الريب والشك.

ويبغضون بين المتحابين قال فهو ساحر فخرجوا فكان لا يلقى احد منهم النبي ﷺ إلاّ قال يا ساحر يا ساحر واشتدّ عليه ذلك فانزل الله تعالى أيها المدثر إلى قوله الا قول البشر عن مجاهد ويروى ان النبي ﷺ لما انزل عليه حمّ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قام إلى المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي ﷺ لاستماعه لقراءته اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمُثْمِر وان اسفله لمُغْدق(١) وانه ليعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقال قريش صبأ(٢) والله والوليد والله لتصبأنّ قريش كلهم وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال لهم ابو جهل انا أكفيكموه فانطلق فقعد الى جانب الوليد حزيناً فقال لي ما اراك حزيناً يا ابن اخي قال هذه قريش يعيبونك على كبر سنّك ويزعمون انك زينت كلام محمد فقام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال أتزعمون ان محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق قط فقالوا اللهم لا قال اتزعمون انه كاهن فهل رايتم عليه شيئاً من ذلك قالوا اللهم لا قال أتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه انه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال أتزعمون انه كذّاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا اللهم لا وكان يسمى الصادق الأمين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكّر في نفسه ثم نظر وعبس فقال ما هو إلا ساحر ما رأيتموه يفرّق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر .

[ المعنى ] ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ على وجه التهديد للكافر الذي وصفه ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ أي دعني واياه فاني كاف له في عقابه كما يقول القائل دعني واياه ومعناه دعني ومن خلقته متوحداً بخلقه لا شريك لي في خلقه وان حملته على صفة المخلوق فمعناه دعني ومن خلقته في بطن امه واحد لا مال له ولا ولد يعني الوليد بن المغيرة قال مقاتل معناه خلّ بيني وبينه فأنا افرد بهلكته وقال ابن عباس كان الوليد يسمى الوحيد في قومه وروى العياشي بإسناده عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن ابي عبد الله وابي جعفر عليهما السلام ان الوحيد ولد الزنا قال زرارة ذكر لابي جعفر عليه السلام عن احد بني هشام انه قال في خطبته انا ابن الوحيد فقال ويله لو علم ما الوحيد ما فخر بها فقلنا له وما هو من لا يعرف له اب ثم ذكر سبحانه رزقه المال والولد فقال ﴿وجعلت له مالا ممدوداً﴾ ما بين مكة الى

(١) الطلاوة : الحسن والرونق. والمغدق ـ مفعل ـ من الغدق ـ المطر الكبار القطر .

(٢) صبأ الرجل: خرج من دين إلى دين آخر.

الطائف من الابل المؤبَّلة(١) والخيل المسوَّمةوالنعم المرحلة والمستغلات التي لا تنقطع غلّتها والجواري والعبيد والعين الكثيرة عن عطاء عن ابن عباس وقيل الممدود الكثير الذي لا تنقطع غلته عنه سنة حتى يدرك غلة سنة اخرى فهو ممدود على الايام وكان له بستان بالطائف لا ينقطع خيره في شتاء ولا صيف وعشرة بنين ومائة الف دينار عن مجاهد وقيل ستة آلاف دينار عن قتادة وقيل اربعة آلاف دينار عن سفيان ﴿وبنين شهوداً﴾ حضوراً معه بمكة لا يغيبون عنه لغناهم عن ركوب السفر للتجارة قال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر وقال مقاتل كانوا سبعة الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة قالوا فما زال الوليد بعد هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك ﴿ومهدت له تمهيداً﴾ أي بسطت له في العيش بسطاً حتى صار مكفي المؤونة من كل وجه حتى صارت احواله متناسبة عن الحسن وغيره وقيل سهلت له وقيل سهلت له التصرف في الأمور تسهيلاً ﴿ثم يطمع ان ازيد﴾ أي لم يشكرني على هذه النعم بل كفر نعمائي وهو مع ذلك يطمع ان ازيد في انعامه ثم قال على وجه الردع والزجر ﴿كلا﴾ اي لا يكون كما ظنَّ ولا ازيده مع كفره وقيل كلا معناه انزجر وارتدع فليس الأمر على ما تتوهّم ثم بيَّن سبحانه كفره فقال ﴿انه كان لآياتنا عنيداً﴾ أي إنما لم نفعل به ذلك لانه كان بحججنا وادلتنا معانداً ينكرها مع معرفته بها وقيل عنيداً جحوداً عن ابن عباس وقتادة ﴿سأرهقه صعوداً﴾ أي ساكلفّه مشقة من العذاب لا راحة فيه وقيل صعود جبل في جهنم من نار يؤخذ بارتقائه فإذا وضع يده عليه ذابت فإذا رفعها عادت وكذلك رجله في خبر مرفوع وقيل هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف ان يصعدها حتى إذا بلغ اعلاها احدر إلى اسفلها ثم يكلف ايضاً ان يصعدها فذلك دأبه ابداً يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقاطع الحديد فيصعدها في اربعين سنة عن الكلبي ﴿انه فكرَّ﴾ ودبَّر ماذا يقول في القرآن ﴿وقدَّر﴾ القول في نفسه وإنما فكَّر ليحتال به للباطل لأنه لو فكر على وجه طلب الرشاد لكان ممدوحاً وقدر فقال ان قلنا شاعر كذبتنا العرب باعتبار ما أتى به وان قلنا كاهن لم يصدّقونا لأن كلامه لا يشبه كلام الكهان فنقول ساحر يؤثر ما اتى به عن غيره من السحرة ﴿فقتل﴾ اي لعن وعذب وقيل لعن بما يجري مجرى القتل وقيل استحق العذاب عن الجبائي ﴿كيف قدر﴾ قال صاحب النظم معناه لعن على ايّ حال قدر ما قدر من الكلام كما يقال في الكلام لاضربنّه كيف صنع اي على أي حال كان منه ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ هذا تكرير للتأكيد وقيل معناه كيف

(٣) ابل مؤبلة اي مجتمعة.

قدَّر في آياتنا ما قدر مع وضوح الحجة ثم لعن وعوقب بعقاب آخر كيف قدر في ابطال الحق تقدير آخر وقيل معناه عوقب في الآخرة مرة بعد مرة ﴿ثم نظر﴾ في طلب ما يدفع به القرآن ويرده ﴿ثم عبس وبسر﴾ أي كلح وكره وجهه ونظر بكراهة شديدة كالمتهم المتفكر في الشيء ﴿ثم ادبر﴾ عن الايمان ﴿واستكبر﴾ اي تكبر حين دعا اليه فقال ﴿ان هذا﴾ أي ما هذا القرآن ﴿إلا سحر يؤثر﴾ اي يروى عن السحرة وقيل هو من الايثار اي سحر تؤثره النفوس وتختاره لحلاوته فيها ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ أي ما هذا إلا كلام الانس وليس من عند الله ولو كان القرآن سحراً او من كلام البشر كما قاله الملعون لأمكن السحرة ان يأتوا بمثله ولقدر هو وغيره مع فصاحتهم على الاتيان بسورة مثله ثم قال سبحانه مهدّداً له ﴿سأصليه سقر﴾ اي سأدخله جهنم والزمه اياها وقيل سقر دركة من دركات جهنم وقيل باب من ابوابها ﴿وما ادريك﴾ ايها السامع ﴿ما سقر﴾ في شدتها وهولها وضيقها ثم وصف بعض صفاتها فقال ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ اي لا تبقي لهم لحماً الا اكلته ولا تذرهم إذا اعيدوا خلقاً جديداً عن مجاهد وقيل لا تبقي شيئاً الا احرقته ولا تذر أي لا تبقي عليهم بل يبلغ مجهودهم في انواع العذاب عن الجبائي ﴿لواحة للبشر﴾ أي نغيّرة للجلود وقيل لافحة للجلود حتى تدعها اشد سواداً من الليل ﴿عليها تسعة عشر﴾ من الملائكة هم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر أعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة تسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرحمة يرفع احدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث اراد من جهنم وقيل معناه على سقر تسعة عشر ملكاً وهم خزان سقر وللنار ودركاتها الآخر خزان آخرون وقيل إنما خصّوا بهذا العدد ليوافق المخبر الخبر لما جاء به الانبياء قبله وما كان من الكتب المتقدمة ويكون في ذلك مصلحة للمكلفين وقال بعضهم في تخصيص هذا العدد ان تسعة عشر يجمع اكثر القليل من العدد واقل الكثير منه لأن العدد آحاد وعشرات ومئات والوف فأقل العشرات عشرة واكثر الآحاد تسعة قالوا ولما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اتسمعون ابن أبي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدُّهْم(١) الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل من خزنة جهنم فقال أبو الاسد الجمحي انا اكفيكم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني انتم اثنين فنزل ﴿وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ﴾ الآية عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومعناه وما جعلنا الموكلين بالنار المتولين تدبيرها الا ملائكة جعلنا شهوتهم في تعذيب اهل

(١) الدهم : الجماعة الكثيرة .

النار ولم نجعلهم من بني آدم كما تعهدون انتم فتطيقونهم **﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾** أي لم نجعلهم على هذا العدد إلا محنة وتشديداً في التكليف للذين كفروا نعم الله وجحدوا واحدنيته حتى يتفكروا فيعلموا ان الله سبحانه حكيم لا يفعل إلا ما هو حكمة ويعلموا انه قادر على ان يزيد في قواهم ما يقدرون به على تعذيب الخلائق ولو راجع الكفار عقولهم لعلموا ان من سلط ملكاً واحداً على كافة بني آدم لقبض ارواحهم فلا يغلبونه قادر على سوق بعضهم إلى النار وجعلهم فيها بتسعة عشر من الملائكة **﴿ليستيقن الذين اوتوا الكتاب﴾** من اليهود والنصارى انه حق وان محمداً ﷺ صادق من حيث اخبر بما هو في كتبهم من غير قراءة لها ولا تعلم منهم **﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾** أي يقيناً بهذا العدد وبصحة نبوة محمد ﷺ إذا اخبرهم اهل الكتاب انه مثل ما في كتابهم **﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾** أي ولئلا يشك هؤلاء في عدد الخزنة والمعنى وليستيقن من لم يؤمن بمحمد ﷺ ومن آمن به صحة نبوته إذا تدبّروا وتفكّروا **﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلاً﴾** اللام هنا لام العاقبة اي عاقبة امر هؤلاء ان يقولوا هذا يعني المنافقين والكافرين وقيل معناه ولأن يقولوا ماذا اراد الله بهذا الوصف والعدد ويتدبّروه فيؤدي بهم التدبر في ذلك إلى الإيمان كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء أي مثل ما جعلنا خزنة اصحاب النار ملائكة ذوي عدد محنة واختباراً تكلف الخلق ليظهر الضلال والهدى وأضافهما إلى نفسه لان سبب ذلك التكليف وهو من جهته وقيل يضلّ عن طريق الجنة والثواب من يشاء ويهدي من يشاء اليه **﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾** أي ما يعلم جنود ربك من كثرتها احد إلا هو ولم يجعل خزنة النار تسعة عشر لقلة جنوده ولكن الحكمة اقتضت ذلك وقيل هذا جواب أبي جهل حين قال ما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر عن مقاتل وقيل معناه وما يعلم عدة الملائكة الذين خلقهم الله لتعذيب اهل النار إلا الله عن عطاء والمعنى ان التسعة عشر هم خزنة النار ولهم من الاعوان والجنود ما لا يعلمه إلا الله ثم رجع الى ذكر سقر فقال **﴿وما هي إلا ذكرى للبشر﴾** اي تذكرة وموعظة للعالم ليتذكروا فيتجنبوا ما يستوجبون به ذلك وقيل معناه وما هذه النار في الدنيا إلا تذكرة للبشر من نار الآخرة حتى يتفكروا فيها فيحذروا نار الآخرة وقيل ما هذه السورة إلا تذكرة للناس وقيل وما هذه الملائكة التسعة عشر إلا عبرة للخلق يستدلون بذلك على كمال قدرة الله تعالى وينزجرون عن المعاصي .

﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾

وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحۡدَى
ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ
يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ
ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا
سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ
ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾
فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ
مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾
كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ
ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ
وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ نافع وحمزة ويعقوب وخلف إذ بغير الف ادبر بالالف والباقون إذا بالالف دبر بغير الالف وقرأ اهل المدينة وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء والباقون بكسر الفاء وفي الشواذ قراءة بعضهم يرويه عن ابن كثير انها لحد الكبر بلا همزة وقراءة سعيد بن جبير صُحْفا مُنْشرة بسكون الحاء والنون .

[ **الحجة** ] ابو علي قال يونس دبر انقضى وادبر تولى قال قتادة الليل إذ ادبر إذا ولى ويقال دبر وادبر وقال والتخفيف في لاحدى الكبر ان يجعل فيها الهمزة بين بين نحو سيم فاما حذف الهمزة فليس بقياس ووجه ذلك ان الهمزة حذفت حذفاً كما حذفت في قوله .

وَيْلُمِهَا فِي هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبُهَا ... وَلَا كَهذَا الَّذي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبُ(١)

وقد جاء ذلك في مواضع من الشعر قال أبو الاسود لزياد .

يَا بَا الْمُغيرَةِ رُبَّ أَمْرٍ مُعْضَلٍ ... فَرَّجْتَهُ بِالنُّكْرِ مِنِّي وَالدُّهَاء(٢)

وقال آخر :

إِنْ لَمْ أُقَاتِلْ فَالبِسُونِي بُرْقَعاً ... وَفَتَخَاتٍ فِي الْيَدَيْنِ أَرْبَعاً(٣)

وانشد احمد بن يحيى :

إِنْ كَانَ حُزْنٌ لَكَ بَا فُقَيْمَة ... بَاعَكَ عَبْداً بِأخسِّ قِيمَة

وقال الفرزدق :

وَعَلَيْكَ إِثْمُ عَطِيَّةِ بْنِ الْخَطَفي ... وَإِثْمُ الَّتِي زَجَرتْكَ إِنْ لَمْ تَجْهَد

قال والكسر في مستنفرة اولى لقوله فرت من قسورة فهذا يدل على انها هي استنفرت ويقال نفر واستنفر مثل سخر واستسخر وعجب واستعجب ومن قال مستنفَرة فكأن القسورة استنفرتها والرامي قال أبو عبيدة مستنفرة مذعورة وانشد الزجاج .

أَمْسِكْ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفَرٌ ... فِي إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ(٤)

ورويت بالكسر أيضاً قال ابن سلام سألت ابا سوار العرني وكان اعرابياً فصيحاً قارئاً للقرآن فقلت كأنهم حمر ماذا قال حمر مستنفَرة طردها قسورة قلت إنما هو فرَّت من قسورة فقال افرَّت قلت نعم فقال مستنفرة قال ابن جني اما سكون الحاء من صحف فلغة تميمية واما منشرة بسكون النون فإن العرف في الاستعمال نشرت الثوب وغيره وانشر الله الموتى فنشرواهم قال وقد جاء عنهم أيضاً نشر الله الميت قال المتنبي .

رَدَّت صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ ... فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

ولم نعلمهم قالوا انشرت الثوب ونحوه إلا انه يجوز ان يشبه بشيء وكما جاز ان يشبه

(١) الشاهد في «ويلمها» فان اصله ويل امها فحذفت همزة ام .

(٢) والشاهد: في حذف الهمزة من ابا مغيرة وكذا في ابا فقيمة في الشعر الآتي .

(٣) فتخات جمع الفتخة : حلقة من فضة كالخاتم لا فص فيها والشاهد في حذف الهمزة من «فالبسوني» .

(٤) غرب: اسم جبل دون الشام الى العراق في ديار بني كلب. وفي المعجم الكبرى: موضع تلقاء الستار.

الميت بالشيء المطوي حتى قال المتنبي منشور فكذلك يجوز ان يشبه المطوي بالميت فيقال صحف منشرة أي كأنها بطيها ميتة فلما نشرت قيل منشرة .

[ **اللغة** ] اليقين العلم الذي يوجد برد الثقة به في الصدر ويقال وجد فلان برد اليقين وثلج اليقين في صدره ولذلك لا يوصف سبحانه بأنه متيقن والقسورة الأسد وقيل هم الرماة من قسره يقسره قسراً إذا قهره واصل الفرار الانكشاف عن الشيء ومنه يقال فر الفرس يفر فراً إذا كشف عن سنّه والصحف جمع الصحيفة وهي الورقة التي من شأنها ان تقلب من جهة إلى جهة لما فيها من الكتابة ومنه المصحف وجمعه مصاحف .

[ **الاعراب** ] نذيراً للبشر اختلف في وجه انتصابه فقيل نصب على الحال وهو اسم فاعل بمعنى منذر وذو الحال الضمير في احدى الكبر العائد إلى الهاء في انها وهي كناية عن النار فالمعنى انها لكبيرة في حال الانذار وانا ذكره لأن معناه معنى العذاب ويجوز ان يكون التذكير على قولهم امرأة طالق أي ذات طلاق وكذلك نذير بمعنى ذات إنذار وقيل هو حال يتعلق بأول السورة فكأنه قال يا أيها المدثر قم نذيراً للبشر فأنذر وقيل ان النذير هنا بمعنى الانذار وتقديره انذاراً للبشر فيكون نصباً على المصدر لأنه لما قال انها لأحدى الكبر دلّ على انه انذرهم بها انذاراً وقوله معرضين منصوب على الحال مما في اللام من قوله فما لهم من معنى الفعل والتقدير أيّ شيء ثبت لهم معرضين عن التذكرة وكأنهم حمر مستنفرة جملة في موضع الحال من معرضين وهي حال من حال أو حال بعد حال اي مشابهين حمراً .

[ **المعنى** ] ثم أقسم سبحانه على عظيم ما ذكره من الوعيد فقال **﴿كلا﴾** أي حقاً وقيل معناه ليس الأمر على ما يتوهمونه من انهم يمكنهم دفع خزنة النار وغلبتهم **﴿والقمر﴾** اقسم بالظهر لما فيه من الآيات العجيبة في طلوعه وغروبه ومسيرة وزيادته ونقصانه **﴿والليل إذ أدبر﴾** وأقسم بالليل إذا ولى وذهب عن قتادة وقيل أدبر إذا جاء بعد غيره وأدبر إذا ولى مدبراً فعلى هذا يكون المعنى في إذ أدبر إذا جاء الليل في اثر النهار وفي إذا ادبر إذا ولى الليل فجاء الصبح عقيبة وعلى القول الأول فهما لغتان معناهما ولى وانقضى **﴿والصبح إذا اسفر﴾** اي إذا أضاء وأنار عن قتادة وهم قسم آخر وقيل معناه إذا كشف الظلام واضاء الأشخاص وقال قوم التقدير في هذه الأقسام وربُّ هذه الأشياء لأن اليمين لا يكون إلا بالله تعالى **﴿ إنها لإحدى الكبر ﴾** هذا جواب القسم يعني أن سقر التي هي النار لاحدى العظائم والكبر جمع الكبرى وهي العظمى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه أن آيات القرآن لاحدى الكبر في الوعيد **﴿نذيراً للبشر﴾** أي منذراً ومخوفّاً معلماً مواضع المخافة

والنذير الحكيم بالتحذير عما ينبغي ان يحذر منه فكل نبيّ نذير لأنه حكيم بتحذيره عقاب الله تعالى على معاصيه واختلف فيه فقيل إنه من صفة النار عن الحسن وقيل من صفة النبي ﷺ فكأنه قال قم نذيراً عن ابن زيد وقيل من صفة الله تعالى عن ابن رزين وعلى هذا يكون حالاً من فعل القسم المحذوف ﴿لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر﴾ أي يتقدم في طاعة الله أو يتأخر عنها بالمعصية عن قتادة والمشيئة هي الإرادة فيكون المعنى ان هذا الإنذار متوجه إلى من يمكنه أن يتقي عذاب النار بأن يتجنب المعاصي ويفعل الطاعات فيقدر على التقدم والتأخر في أمره بخلاف قول اهل الجبر القائلين مالا يطاق وقيل انه سبحانه عبَّر عن الإيمان والطاعة بالتقدم لان صاحبه متقدم في العقول والدرجات وعن الكفر والمعصية بالتأخير لأنه متأخر في العقول والدرجات وروى محمد بن الفضيل عن أبي الفضل عن ابي الحسن (ع) انه قال كل من تقدَّم إلى ولايتنا تأخرَّ عن سقر وكل من تأخر عن ولايتنا تقدَّم إلى سقر ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ أي مرهونة بعملها محبوسة به مطالبة بما كسبته من طاعة أو من معصية فالرهن أخذ الشيء بامر على ان لا يرد إلا بالخروج منه قال زهير .

وَفَارَقَتْكَ بِرَهَنْ لاَ فَكاكَ لَهُ ... يَوْمَ الْوَدَاعَ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقا[1]

فكذلك هؤلاء الضلال قد اخذوا برهن لافكاك له والكسب هو كل ما يجتلب به نفع او يدفع به ضرر ويدخل فيه الفعل وان لا يفعل ثم استثنى سبحانه اصحاب اليمين فقال ﴿إلا اصحاب اليمين﴾ وهم الاذين يعطون كتبهم بإيمانهم وقيل هم الذين يسلك بهم ذات اليمين قال قتادة غلق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين وهم الذين لا ذنب لهم فهم ميامين على انفسهم وقيل هم المؤمنون المستحقون للثواب عن الحسن وقيل هم الملائكة عن ابن عباس وقال الباقر (ع) نحن وشيعتنا اصحاب اليمين ﴿في جنات يتساءلون﴾ أي يسأل بعضهم بعضاً وقيل يساءلون ﴿عن المجرمين﴾ أي عن حالهم وعن ذنوبهم التي استحقّوا بها النار ﴿ما سلككم في سقر﴾ هذا سؤال توبيخ أي تطلع أهل الجنة على اهل النار فيقولون لهم ما أوقعكم في النار ﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ أي كنا لا نصلي الصلاة المكتوبة على ما قرَّرها الشرع وفي هذا دلالة على ان الإخلال بالجواب يستحق به الذم والعقاب لأنهم علَّقوا استحقاقهم العقاب بالإخلال في الصلاة وفيه دلالة أيضاً على ان الكفار مخاطبون بالعبادات الشرعية لأنه حكاية عن الكفار بدلالة قوله وكنا نكذب بيوم الدين وقوله ﴿ولم نك

(١) الغلق في الرهن : ضد الفك فإذا فك الراهن فقد اطلقه من وثاقه عند مرتهنه. يذكر زهير في هذا البيت امرأة معناه : انها ارتهنت قلبه ورهنت به .

**نطعم المسكين﴾** معناه لم نك نخرج الزكوات التي كانت واجبة علينا والكفارات التي وجب دفعها إلى المساكين وهم الفقراء وكنا نخوض مع الخائضين أي كلما غوى غاوٍ بالدخول في الباطل غوينا معه عن قتادة والمعنى كنا نلوّث انفسنا بالمرور في الباطل كتلويث الرجل بالخوض فلما كان هؤلاء يجرون مع من يكذب بالحق مشيعين لهم في القول كانوا خائضين معهم **﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾** مع ذلك أي نجحد يوم الجزء وهو يوم القيامة والجزاء هو الايصال إلى كل من له شيء أم عليه شيء ما يستحقه فيوم الدين هو يوم اخذ المستحق بالعدل **﴿حتى أتينا اليقين﴾** أي اتانا الموت على هذه الحالة وقيل حتى جاءنا العلم اليقين من ذلك بان عايناه **﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾** اي شفاعة الملائكة والنبيين كما نفعت الموحدين عن ابن عباس في رواية عطاء وقال الحسن لم تنفعهم شفاعة ملك ولا شهيد ولا مؤمن ويعضد هذا الإجماع على أن عقاب الكفر لا يسقط بالشفاعة وقد صحت الرواية عن عبد الله بن مسعود قال يشفع نبيكم ﷺ رابع اربعة جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم ﷺ لا يشفع احد اكثر مما يشفع فيه نبيكم ﷺ ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم سلككم في سقر إلى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود فهؤلاء الذين يبقون في جهنم وعن الحسن عن رسول الله ﷺ قال يقول الرجل من اهل الجنة يوم القيامة اي رب عبدك فلان سقاني شربة من ماء في الدنيا فشفعني فيه فيقول إذهب فأخرجه من النار فيذهب فيتجسّس في النار حتى يخرجه منها وقال ﷺ إنَّ من أمتي من سيدخل الله الجنة بشفاعته اكثر من مضر **﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾** أي أي شيء لهم ولم اعرضوا وتولوا عن القرآن فلم يؤمنوا به والتذكرة التذكير بمواعظ القرآن والمعنى لا شيء لهم في الآخرة إذا أعرضوا عن القرآن ونفروا عنه **﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾** أي كأنهم حمر وحشية نافرة **﴿فرت من قسورة﴾** يعني الأسد عن عطاء والكلبي قال ابن عباس الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت منه كذلك هؤلاء الكفار إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه وقيل القسورة الرماة ورجال القنص[1] عن ابن عباس بخلاف والضحاك ومقاتل ومجاهد وقال سعيد بن جبير هم القنّاص **﴿بل يريد كل امرىء منهم ان يؤتى صحفاً منشرة﴾** أي كتباً من السماء تنزل اليهم باسمائهم ان آمنوا بمحمد ﷺ عن الحسن وقتادة وابن زيد وقيل معناه انهم يريدون صحفاً من الله تعالى بالبراءة من العقوبة واسباغ النعمة حتى يؤمنوا وإلا قاموا على كفرهم وقيل يريد كل واحد منهم ان يكون رسولاً يوحي إليه متبوعاً وأنف من

(١) القنص: الصيد.

ان يكون تابعاً وقيل هو تفسيرها ما ذكره الله تعالى في قوله ولن نؤمن لرقيّك حتى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه فقال سبحانه ﴿كلا﴾ أي حقاً ليس الأمر على ما قالوا ولا يكون كذلك ﴿بل يخافون الآخرة﴾ بجحدهم صحتّها ولو خافوا عذاب الآخرة لما اقترحوا الآيات بعد قيام الدلالات والمعجزات ﴿كلا﴾ أي حقاً ﴿إنه تذكرة ﴾ أي إنّ القرآن تذكير وموعظة ﴿فمن شاء ذكره﴾ أي اتعظ به لأنه قادر عليه ﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ هذه المشيئة غير الأولى إذ لو كانت واحدة لتناقض فالاولى مشيئة اختيار والثانية مشيئة إكراه وإجبار والمعنى ان هؤلاء الكفار لا يذكرون إلا أن يجبرهم الله تعالى على ذلك وقيل معناه إلا أن يشاء الله من حيث أمر به ونهى عن تركه ووعد الثواب على فعله وأوعد بالعقاب إن لم تفعله فكانت مشيئته سابقة أي لا تشاءون إلا والله قد شاء ذلك ﴿هوأهل التقوى واهل المغفرة﴾ أي هو اهل ان يتقي محارمه واهل ان يغفر الذنوب عن قتادة وروي مرفوعاً عن انس قال إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية فقال قال الله سبحانه انا أهل ان اتقي فلا يجعل معي إليه فمن اتقي ان يجعل معي إلهاً فأنا أهل ان اغفر له وقيل معناه وهو اهل ان يتقي عقابه واهل ان يعمل له بما يؤدّي إلى مغفرته .

# (٧٥) سُورَةُ القِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ
## وَآيَاتُهَا أَرْبَعُونَ

أربعون آية كوفي وتسع وثلاثون في الباقين .

[ **اختلافها** ] آية لتعجل به كوفي .

[ **فضلها** ] ابي بن كعب عن النبي ﷺ ومن قرأ سورة القيامة شهدت انا وجبريل له يوم القيامة أنه كان مؤمناً بيوم القيامة وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة أبو بصير عن أبي عبد الله (ع ) قال من ادمن قراءة لا أقسم وكان يعمل بها بعثها الله يوم القيامة معه في قبره في أحسن صورة تبشر وتضحك في وجهه حتى يجوز الصراط والميزان .

[ **تفسيرها** ] لمّا ختم الله سبحانه سورة المدثر بذكر القيامة وان الكافر لا يؤمن بها افتتح هذه السورة بذكر القيامة وذكر اهوالها فقال .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ
بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ
يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾
وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ

ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾
يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ
عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

[ القراءة ] قرأ القواس لأقسم والباقون لا أقسم ولم يختلفوا في الثاني انه ولا أقسم وقرأ اهل المدينة بَرَق البصر بفتح الراء والباقون يَرِق بالكسر وفي الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة وأيوب السختياني[١] والحسن المَفِر بفتح الميم وكسر الفاء وقراءة الزهري المِفَر بكسر الميم وفتح الفاء .

[ الحجة ] قال أبو علي من قر لا اقسم بيوم القيامة كانت لا على قوله صلة كالتي في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب فإن قلت لا وما والحروف التي هُنَّ زوائد إنما تكون بين كلامين كقوله مما خطيئاتهم وفيما رحمة من الله وفيما نقضهم ولا تكاد تزاد اولاً فقد قالوا إن مجاري القرآن مجاري الكلام والواحد والسورة الواحد قال والذي يدل على ذلك انه قد يذكر الشيء في سورة ويجيء جوابه في سورة أخرى كقوله يا أيها الذي نّزل عليه الذكر انك لمجنون جاء جوابه في سورة اخرى ما انت بنعمة ربك بمجنون فلا فصل على هذا بين قوله لئلا يعلم وبين قوله لا أقسم فاما من قرأ لأقسم فإن اللام تجوز ان تكون اللام التي تصحبها احدى النونين في أكثر الأمر وقد حكى ذلك سيبويه واجازه وكما لم يلحق النون مع الفعل الآتي في لأقسم كذلك لم يحلق اللام مع النون في نحو قول الشاعر :

وَقَتِيلُ مُرَّةَ أَثْأَرَنَّ فَإِنَّهُ فَرْغٌ وَإِنَّ أَخَاكُمُ لَمْ يُثْأَرِ[٢]

يريد لأثارن فحذف اللام ويجوز ان يكون اللام لحقت فعل الحال وإذا كان المثال للحال لم يتبعها النون لأن هذه النون التي تلحق الفعل في اكثر الأمر إنما هي للفصل بين فعل الحال والفعل الآتي وقد يمكن ان يكون لا ردّاً لكلام وزعموا ان الحسن قرأ لا أقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة وقال اقسم بالاولى ولم يقسم بالثانية وحكي نحو ذلك عن ابن أبي إسحاق أيضاً وذكر أبو علي في غير كتاب الحجة أن اللام زيادة لأن القسم لا يدخل

(١) هو ايوب بن تميمة كيسان العنبري البصري السختياني نسبة الى عمل السختيان وهو جلد الماعز إذا دبغ أو بيعه وفي بعض النسخ السجستاني وهذا الاختلاف موجود في كتب الرجال ايضاً.
(٢) الشعر في جامع الشواهد.

على القسم وقال ابن جني ينبغي ان تكون هذه اللام لام الابتداء اي لأنا اقسم بيوم القيامة وحذف المبتدأ للعلم به وقال ابو الحسن برق البصر اكثر في كلام العرب والمفتوحة لغة قال الزجاج من قرأ برق فمعناه فزع وتحيَّر ومن قرأ بَرق فهو من بريق العينين وقال ابو عبيدة برق البصر إذا شقَّ وانشد .

لَمَّـا أَتـانِي آبنُ صَبِيـحٍ رَاغِبـاً أَعْـطَيْتُـهُ عَيْسَـاءَ مِنْهـا فَبَـرَقْ[١]

والمفر الفرار والمَفِرّ بكسر الفاء الموضع الذي يفرُّ اليه والمِفَرّ بكسر الميم وفتح الفاء الانسان الجيد الفرار وقال أمرؤ القيس .

مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُـقْبِـلٍ مُـدْبِـرٍ مَعـاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَـلِ[٢]

[ الاعراب ] بلى قادرين نصب على الحال والتقدير بلى بجمعها قادرين فالعامل في الحال محذوف لدلالة ما تقدَّم عليه كما فيَ قوله فإن خفتم فرجالاً أي فصلُّوا رجالاً ومفعول يريد محذوف تقديره بل يريد الإنسان الحياة ليفجر ويسأل جملة في موضع الحال ولا وزر خبره محذوف وتقديره لا وزر في الوجود وقوله بل الانسان على نفسه بصيرة قيل في تفسيره أقوال (أحدها) ان المعنى بل الإنسان على نفسه عين نصيرة (والثاني) حجة بصيرة اي بينة (والثالث) ان الهاء للمبالغة كما يقال رجل علامة ونسابة وقال علي بن عيسى تقديره بل الإنسان على نفسه من نفسه بصيرة أي جوارحه شاهدة عليه يوم القيامة فأنِّت بصيرة لأنه حمل الانسان على النفس وجواب لو محذوف تقديره ولو القى معاذيره ولم ينفعه ذلك ويجوز ان يكون جوابه فيما سبق .

[ المعنى ] ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ قيل إن لا صلة ومعناه أقسم بيوم القيامة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل إن لا ردّ على الذين انكروا البعث والنشور من المشركين فكأنه قال لا كما تظنّون ثم ابتدأ القسم فقال اقسم بيوم القيامة انكم مبعوثون ليكون فرقاً بين اليمين التي تكون جحداً وبين اليمين المستأنفة وقيل معناه لا أقسم بيوم القيامة لظهورها بالدلائل العقلية والسمعية وقيل معناه لا اقسم بيوم القيامة فإنكم لا تقرُّون بها ﴿ولا أقسم بالنفس

(١) قائله ابو عبيدة الكلابي ، والعيساء : الابل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة.

(٢) البيت من معلقته المعروفة يصف فيه شدة عدو فرسه : ومفعل من اوصاف المبالغة والجلمود: الحجر العظيم ومعنى مقبل مدبر معاً انه سلس واسطة، فكيف إذا اعانته قوة دفاع السيل من عل: فهو حال تدحرجه يرى وجهه في الآن الذي يرى فيه ظهره لسرعة تقبله وبالعكس .

**اللوامة﴾** فإنكم لا تقرّون بأن النفس تلوم صاحبها يوم القيامة ولكن استخبركم فأخبروني هل اقدر على ان اجمع العظام المتفرقة وهذان الوجهان عن أبي مسلم وقيل معناه اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة اقسم بالأول ولم يقسم بالثاني عن الحسن قال علي بن عيسى وهذا ضعيف لأنه يخرج عن تشاكل الكلام والاولى أن يكونا قسمين وهو قول الاكثرين وجواب القسم محذوف تقديره ما الأمر على ما تتوهمون وانكم تبعثون او لتبعثن ومن قرأ لأقسم فإنه يجعلها جواب القسم وحذف النون لانه اراد الحال وقد ذكرنا ما قيل فيه والنفس اللوامة الكثيرة اللوم وليس من نفس برّة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها يوم القيامة إن كانت عملت خيراً قالت هلا ازددت وان كانت عملت سوءاً قالت يا ليتني لم افعل عن ابن عباس في رواية عطاء وقال مجاهد تلوم على ما مضى تقول لم فعلت ولِمَ لمْ أفعل وقيل النفس اللوامة الكافرة الفاجرة عن قتادة ومجاهد ومعناه ذات اللوم الكثير لما سلف منها وقيل هي النفس المؤمنة تلوم نفسها في الدنيا وتحاسبها فتقول ماذا فعلت ولِمَ قصرت فتكون مفكّرة في العواقب ابداً والفاجر لا يفكر في أمر الآخرة ولا يحاسب نفسه عن الحسن **﴿ايحسب الإنسان﴾** صورته صورة الاستفهام ومعناه الإنكار على منكري البعث ومعناه أيحسب الكافر بالبعث والنشور يعني جنس الكفار **﴿أن لن نجمع عظامه﴾** أي أنه لن نعيده إلى ما كان أولاً خلقاً جديداً بعد ان صار رفاتاً فكنّى عن البعث بجمع العظام ثم قال سبحانه **﴿بلى﴾** نجمعها **﴿قادرين على ان نسوّي بنانه﴾** على ما كانت وإن قلّت عظامها وصغرت فنردّها كما كانت ونؤلّف بينها حتى يستوي البنان ومن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها اقدر عن الزجاج والجبائي وابي مسلم وقيل معناه نقدر على أن نجعل بنانه كالخلف والحافر فيتناول المأكول بفيه ولكنا مننّا عليه بالأنامل ليكمل بها المنفعة ويتهيّأ له القبض والبسط والارتفاق بالأعمال اللطيفة كالكتابة وغيرها عن ابن عباس وقتادة **﴿بل يريد الانسان﴾** أي يريد الكافر **﴿ليفجر أمامه﴾** هذا اخبار من الله تعالى أن الإنسان يمضي قدماً في معاصي الله تعالى راكباً رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب عن مجاهد والحسن وعكرمة والسدي أي فهذا هو الذي يحمله على الإعراض عن مقدورات ربه فلذلك لا يقرُّ بالبعث وينكر النشور وقيل ليفجر امامه أي ليفكر بما قدامه من البعث ويكذب به فالفجور وهو التكذيب وعن الزجاج قال ويجوز ان يريد أنه يسوِّف التوبة ويقدم الأعمال السيئة وقال ابن الأنباري يريد ان يفجر ما امتد عمره وليس في نيته ان يرجع عن ذنب يرتكبه وقيل معناه انه يقول اعمل ثم اتوب عن عطية والمراد انه يتعجل المعصية ثم يسوف التوبة يقول غداً وبعد غد **﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾** معناه ان الذي يفجر امامه يسأل متى تكون القيامة فإن معنى ايّان متى إلا ان السؤال بمتى اكثر من السؤال بايان

فلذلك حسن ان يفسر بها وإنما يسأل عن ذلك تكذيباً واشتغالاً بالدنيا من غير تفكر في العاقبة فإذا خوف بالقيامة قال متى يكون ذلك ثم قال سبحانه ﴿**فإذا برق البصر**﴾ أي شخص البصر عند معاينة ملك الموت فلا يطرف من شدة الفزع وقيل إذا فزع وتحيَّر لما يرى من اهوال القيامة واحوالها مما كان يكذب به في الدنيا وهذا كقوله لا يرتدُّ اليهم طرفهم عن قتادة وابي مسلم ﴿**وخسف القمر**﴾ أي ذهب نوره وضوؤه ﴿**وجمع الشمس والقمر**﴾ جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف ليتكامل ظلام الأرض على اهلها حتى يراها كل احد بغير نور وضياء عن مجاهد وهو اختيار الفراء والزجاج والجمع على ثلاثة اقسام جمع في المكان وجمع في الزمان وجمع الأعراض في المحل فأما جمع الشيئين في حكم او صفة فمجاز لأن حقيقة الجمع جعل احد الشيئين مع الآخر وقيل جمع بينهما في طلوعهما من المغرب كالبعيرين القرينين عن ابن مسعود ﴿**يقول الإنسان**﴾ المكذب بالقيامة ﴿**يومئذ اين المفرّ**﴾ أي أين الفرار ويجوز ان يكون معناه اين موضع الفرار عن الفراء وقال الزجاج المفَرّ بالفتح الفرار والمَفِرّ بالكسر مكان الفرار قال الله سبحانه ﴿**كلا لا وزر**﴾ أي لا مهرب ولا ملجأ لهم يلجأون اليه والوزر ما يتحصَّن به من جبل أو غيره ومنه الوزير الذي يلجأ اليه في الأمور وقيل معناه لا حصن عن الضحاك ﴿**إلى ربك يومئذ المستقر**﴾ أي المنتهى عن قتادة أي ينتهي الخلق يومئذ إلى حكمه وأمره فلا حكم ولا أمر لأحد غيره وقيل المستقر المكان الذي يستقر فيه المؤمن والكافر وذلك إلى الله لا إلى العباد وقيل المستقر المصير والمرجع عن ابن مسعود والمستقر على وجهين مستقر إلى أمد ومستقر إلى الابد ﴿**ينبّؤ الإنسان يومئذ بما قدَّم وأخرَّ**﴾ أي يخبر الإنسان يوم القيامة بأول عمله وآخره فيجازي به عن مجاهد وقيل معناه بما قدَّم من العمل في حياته وما سنَّة فعمل به بعد موته من خير أو شر وقيل بما قدَّم من المعاصي وأخَّر من الطاعات عن ابن عباس وقيل بما اخذ وترك عن ابن زيد وقيل بما قدَّم من طاعة الله وأخَّر من حق الله فضيَّعه عن قتادة وقيل بما قدَّم من ماله لنفسه وما خلفه لورثته بعده عن زيد بن اسلم وحقيقة النبأ الخبر بما يعظم شأنه وإنما حسن في هذا الموضع لأن ما جرى مجرى المباح لا يعتدّ به في هذا الباب وإنما هو ما يستحق عليه الجزاء فاما ما وجوده كعدمه فلا اعتبار به ﴿**بل الانسان على نفسه بصيرة**﴾ اي ان جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه عليه عن ابن عباس وعكرمة ومقاتل وقال القتيبي اقام جوارحه مقام نفسه ولذلك أنَّث لأن المراد بالانسان هاهنا الجوارح وقال الاخفش هي كقولك فلان حجة وعبرة ودليلة قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وقيل معناه ان الانسان بصير بنفسه وعمله وروى العياشي بإسناده عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله (ع) قال ما يصنع

احدكم ان يظهر حسناً ويسر سيئاً اليس إذا رجع الى نفسه يعلم انه ليس كذلك والله سبحانه يقول بل الإنسان على نفسه بصيرة ان السريرة إذا صلحت قويت العلانية عن عمر بن يزيد عن ابي عبد الله (ع) انه تلا هذه الآية ثم قال ما يصنع الانسان أن يتعذر الى الناس خلاف ما يعلم الله منه ان رسول الله ﷺ كان يقول من اسر سريرة ردّاه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر وعن زرارة قال سألت أبا عبد الله ما حد المرض الذي يفطر صاحبه قال بل الانسان على نفسه بصيرة هو اعلم بما يطيق وفي رواية اخرى هو أعلم بنفسه ذاك إليه ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ اي ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك يقال معذرة ومعاذر ومعاذير وهي ذكر موانع تقطع عن الفعل المطلوب وقيل معناه ولو ارخى الستور واغلق الأبواب عن الضحاك والسدي قال الزجاج معناه ولو ادلى بكل حجة عنده وجاء في التفسير المعاذير الستور واحدها معذار وقال المبرد هي لغة طائية والمعنى على هذا القول وان اسبل الستور ليخفي ما يعمل فإن نفسه شاهدة عليه .

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة والكوفة تحبّون وتذرون بالتاء والباقون بالياء .

[ **الحجة** ] من قرأ بالتاء فعلى معنى قل لهم بل تحبّون وتذرون ومن قرأ بالياء فعلى معنى هم يحبون ويذرون قال أبو علي الياء على ما تقدّم من ذكر الانسان فإن المراد به الكثرة والعموم كقوله ان الإنسان خلق هلوعاً ثم قال الا المصلين .

[ **اللغة** ] التحريك تصيير الشيء من مكان إلى مكان أو من جهة إلى جهة بفعل الحركة

فيه والحركة ما به يتحرك المتحرك والمتحرك هو المنتقل من جهة إلى غيرها واللسان آلة الكلام والعجلة طلب عمل الشيء قبل وقته الذي ينبغي ان يعمل فيه ونقيضه الابطاء والسرعة عمل الشيء في اول الوقت الذي هو له وضدّه الأناة والقرآن اصله الضم والجمع وهو مصدر كالرجحان والنقصان والبيان اظهار المعنى للنفس بما يتميّز به عن غيره ونقيض البيان الاخفاء والإغماض والنصرة مثل البهجة والطلاقة وضدّه العبوس والبسور نضر وجهه ينضر نضارة ونضرة فهو ناضر والنظر تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته ويكون النظر بمعنى الانتظار كما قال عزّ شأنه واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة أي منتظرة وقال الشاعر :

وُجُوهٌ يَوْمَ بَدْرٍ نَاظِرَاتٌ إلى الرَّحْمٰنِ تَنْتَظِرُ الْفَلاحا

ثم يستعمل في الفكر فيقال نظرت في هذه المسألة اي تفكرت ومنه المناظرة وتكون من المقابلة يقال دور بني فلان تتناظر أي تتقابل والفاقرة الكاسرة لفقار الظهر شدة وقيل الفاقرة الداهية والآبدة .

[ المعنى ] ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال ﴿لا تحرّك به لسانك لتعجل به﴾ قال ابن عباس كان النبي ﷺ إذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحبّه اياه وحرصه على أخذه وضبطه مخافة ان ينساه فنهاه الله عن ذلك وفي رواية سعيد بن جبير عنه انه ﷺ كان يعاجل من التنزيل شدة وكان يشتد عليه حفظه فكان يحرّك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي فقال سبحانه لا تحرّك به أي بالوحي أو بالقرآن لسانك يعني بالقراءة لتعجل به أي لتأخذه كما قال ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضي اليك وحيه ﴿ان علينا جمعه﴾ في صدرك حتى تحفظه ﴿وقرآنه﴾ أي وتأليفه على ما نزل عليك عن قتادة وقيل معناه ان علينا جمعه وقرآنه عليك حتى تحفظه ويمكنك تلاوته فلا تخف فوت شيء منه عن ابن عباس والضحاك ﴿فإذا قرأناه﴾ أي قرأه جبريل عليك بأمرنا ﴿فاتّبع قرآنه﴾ أي قراءته عن ابن عباس والمعنى اقرأه إذا فرغ جبريل عن قراءته قال فكان النبي ﷺ بعد هذا إذا نزل عليه جبريل (ع ) اطرق فإذا ذهب قرأ وقيل فاتّبع قرآنه أي فاعمل بما فيه من الأحكام والحلال والحرام عن قتادة والضحاك وقال البلخي الذي اختاره انه لم يرد القرآن وإنما اراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيامة يدل على ذلك ما قبله وما بعده وليس فيه شيء يدل على انه القرآن ولا شيء من احكام الدنيا وفي ذلك تقريع للعبد وتوبيخ له حين لا تنفعه العجلة يقول لا تحرّك لسانك بما تقرأه من صحيفتك التي فيها اعمالك يعني اقرأ كتابك ولا تعجل فإن هذا الذي هو على نفسه

بصيرة إذا رأى سيئاته ضجر واستعجل فيقال له توبيخاً لا تعجل وتثبت لتعلم الحجة عليك فانا نجمعها لك فإذا جمعناه فاتبع ما جمع عليك بالانقياد لحكمه والاستسلام للتبعة فيه فانه لا يمكنك انكاره ﴿ ثم ان علينا بيانه ﴾ لو أنكرت وقال الحسن معناه ثم ان علينا بيان ما أنبأناك انا فاعلون في الآخرة وتحقيقه وقيل يريد انا نبيّن لك معناه إذا حفظته عن قتادة وقيل معناه ثم ان علينا ان نحفظه عليك حتى تبين للناس بتلاوتك اياه عليهم وقيل معناه علينا ان ننزله قرآناً عربياً فيه بيان للناس عن الزجاج وفي هذا دلالة على انه لا تعميه في القرآن ولا الغاز ولا دلالة فيه على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة وإنما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب ﴿**كلا**﴾ أي لا تتدبّرون القرآن وما فيه من البيان ﴿**بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة**﴾ أي تختارون الدنيا على العقبى فيعملون للدنيا لا للآخرة جهلاً منهم وسوء اختيار ثم بيّن سبحانه حال الناس في الآخرة فقال ﴿**وجوه يومئذ**﴾ يعني يوم القيامة ﴿**ناضرة**﴾ أي ناعمة بهجة حسنة عن ابن عباس والحسن وقيل مسرورة عن مجاهد وقيل مضيئة بيض يعلوها النور عن السدي ومقاتل جعل الله سبحانه وجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفة علامة للخلق والملائكة على انهم الفائزون ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ اختلف فيه على وجهين ( أحدهما ) ان معناه نظر العين ( والثاني ) انه الإنتظار واختلف من حمله على نظر العين على قولين (أحدهما) ان المراد إلى ثواب ربها ناظرة اي هي ناظرة إلى نعيم الجنة حالاً بعد حال فيزداد بذلك سرورها وذكر الوجوه والمراد اصحاب الوجوه روى ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين لهم وغيرهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى وجاء ربك أي أمر ربك وقوله وانا ادعوكم إلى العزيز الغفار أي إلى طاعة العزيز الغفار وتوحيده وقوله ان الذين يؤذون الله أي أولياء الله (والآخر) ان النظر بمعنى الرؤية والمعنى تنظر الى الله معاينة رووا ذلك عن الكلبي ومقاتل وعطاء وغيرهم وهذا لا يجوز لأن كل منظور اليه بالعين مشار إليه بالحدقة واللحاظ والله يتعالى عن أن يشار إليه بالعين كما يجلّ سبحانه عن أن يشار إليه بالأصابع وأيضاً فإن الرؤية بالحاسة لا تتم الا بالمقابلة والتوجه والله يتعالى عن ذلك بالاتفاق وأيضاً فإنّ رؤية الحاسة لا تتم الا باتصال الشعاع بالمرئي والله منزّه عن اتصال الشعاع به على ان النظر لا يفيد الرؤية في اللغة فإنه إذا علق بالعين افاد طلب الرؤية كما انه إذا علق بالقلب افاد طلب المعرفة بدلالة قولهم نظرت إلى الهلال فلم اره فلو افاد النظر الرؤية لكان هذا القول ساقطاً متناقضاً وقولهم ما زلت انظر إليه حتى رأيته والشيء لا يجعل غاية لنفسه فلا يقال ما زلت أراه حتى رأيته ولأنا نعلم الناظر ناظراً بالضرورة ولا نعلمه رائيا بالضرورة بدلالة انا نسأله

هل رأيت أم لا وأما من حمل النظر في الآية على الانتظار فانهم اختلفوا في معناه على اقوال (أحدها) ان المعنى منتظرة لثواب ربها وروي ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك وهو المروي عن علي ( ع ) ومن اعترض على هذا بأن قال ان النظر بمعنى الانتظار لا يتعدّى بإلي فلا يقال انتظرت اليه وإنما يقال انتظرته فالجواب عنه على وجوه منها انه قد جاء في الشعر بمعنى الانتظار معدّى بالي كما في البيت الذي سبق ذكره : ناظرات إلى الرحمن وكقول جميل بن معمر .

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ وَالْبَحْرُ دُونَكَ جُدْتَنِي نعماً[١]

وقول الآخر :

إنّي إلَيْكَ لِمَا وَعَدْتَ لَنَاظِرٌ نَظَرَ الْفَقِيرِ إِلَىَ الْغَنِيِّ الْمُوسِرِ

ونظائره كثيرة ومنها ان تحمل الى في قوله إلى ربها ناظرة على انها اسم فهو واحد الآلاء التي هي النعم فإن في واحدها اربع لغات إليّ وأَلَى مثل مِعاً وقَفاً وإليّ وإلي مثل جدى وحِسى وسقط التنوين بالاضافة وقال اعشى وائل .

أَبْيَضُ لا يَرْهَبُ الْهُزالَ وَلا يَقْطَعُ رِحْماً وَلا يَخُونُ إِلَىَ

أي لا يخون نعمة من انعم عليه وليس لأحد ان يقول ان هذا من اقوال المتأخرين وقد سبقهم الاجماع فإنا لا نسلم ذلك لما ذكرناه من ان علياً ( ع ) ومجاهداً والحسن وغيرهم قالوا المراد بذلك تنتظر الثواب ومنها ان لفظ النظر يجوز ان يعدّى بالي في الانتظار على المعنى كما ان الرؤية عديت بالي في قوله تعالى الم تر إلى ربك كيف مدَّ الظل فأجرى الكلام على المعنى ولا يقال رأيت إلى فلان ومن اجراء الكلام على المعنى قول الفرزدق .

وَلَقَدْ عَجِبْتُ إِلىٰ هَوازِنَ أَصْبَحَتْ مِنّي تَلُوذُ بِبَطْنِ أُمّ جَرِيرِ[٢]

فعدّى عجبت بالي لأن المعنى نظرت (وثانيها ) ان معناه مؤملة لتجديد الكرامة كما يقال عيني ممدودة إلى الله تعالى وإلى فلان وانا شاخص الطرف إلى فلان ولما كانت العيون بعض اعضاء الوجوه اضيف الفعل الذي يقع بالعين اليها عن أبي مسلم (وثالثها) ان المعنى

(١) قوله : البحر دونك اي اقل منك في الجود، والمعنى إذا رجوت عطائك وانت من الملوك والحال ان البحر اقل جوداً منك زدتني نعماً . .

(٢) البيت من قصيدة يهجو فيها جريراً وفي بعض النسخ بنظر أم جرير والبظر ـ بفتح .

انهم قطعوا آمالهم واطماعهم عن كل شيء سوى الله تعالى ووجوه دون غيره فكنى سبحانه عن الطمع بالنظر الا ترى ان الرعية تتوقع نظر السلطان وتطمع في افضاله عليها واسعافه في حوائجها فنظر الناس مختلف فناظر إلى سلطان وناظر إلى تجارة وناظر إلى زراعة وناظر إلى ربه يؤمله وهذه الأقوال متقاربة في المعنى وعلى هذا فإن هذا الانتظار متى يكون فقيل انه بعد الاستقرار في الجنة وقيل انه قبل استقرار الخلق في الجنة والنارُ فكل فريق ينتظر ما هو له أهل وهذا اختيار القاضي عبد الجبار وذكر جمهور أهل العدل أن النظر يجوز أن يحمل على المعنيين جميعاً ولا مانع لنا من حمله على الوجهين فكأنه سبحانه اراد انهم ينظرون إلى الثواب المعدّ لهم في الحال من أنواع النعيم وينتظرون امثالها حالاً بعد حال ليتم لهم ما يستحقّونه من الاجلال ويسأل على هذا فيقال إذا كان بمعنى النظر بالعين حقيقة وبمعنى الانتظار مجازاً فكيف يحمل عليهما والجواب ان عند اكثر المتكلمين في أصول الفقه يجوز ان يراد بلفظه واحدة إذ لا تنافي بينهما وهو اختيار المرتضى قدس الله روحه ولم يجوز ذلك ابو هاشم الا إذا تكلّم به مرتين مرّة يريد النظر ومرّة يريد الانتظار واما قولهم المنتظر لا يكون نعيمه خالصاً فكيف يوصف أهل الجنة بالانتظار فالجواب عنه أن من ينتظر شيئاً لا يحتاج اليه في الحال وهو واثق بوصوله اليه عند حاجته فإنه لا يهتمّ بذلك ولا يتنغصّ سروره به بل ذلك زائد في نعيمه وإنما يلحق الهم المنتظر إذا كان يحتاج إلى ما ينتظره في الحال ويلحقه بفوته مضرّة وهو غير واثق بالوصول اليه وقد قيل في اضافة النظر إلى الوجوه ان الغمّ والسرور إنما يغامران في الوجوه فبيّن الله سبحانه ان المؤمن إذا ورد يوم القيامة تهلّل وجهه وان الكافر العاصي يخاف مغبة افعاله القبيحة فيكلح وجهه وهو قوله ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ أي كالحة عابسة متغيّرة ﴿تظنّ ان يفعل بها فاقرة﴾ أي تعلم وتستيقن انه يعمل بها داهية تفقر ظهورهم اي تكسرها وقيل انه على حقيقة الظن أي يظنون حصولها جملة ولا يعلمون تفصيلها وهذا اولى من الأول لأنه لو كان بمعنى العلم لكان ان بعده مخففة من ان الثقيلة على ما ذكر في غير موضع وذكر سبحانه هذه الوجوه الظانة في مقابلة الوجوه الناظرة فهؤلاء يرجون تجديد الكرامة وهؤلاء يظنون حلول الفاقرة فيكون حال الوجوه الراجية للأحوال السارة على الضد من حال الوجوه الظانة للفاقرة.

[ **النظم** ] وجه اتصال قوله لا تحرّك به لسانك بما قبله انه لمّا تقدّم ذكر القيامة والوعيد خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال لا تحرّك به لسانك لتعجل قراءته بل كرّرها عليهم ليتقرر في قلوبهم فانهم غافلون عن الأدلة ألهاهم حبّ العاجلة فاحتاجوا إلى زيادة تنبيه وتقرير .

﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾
وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ
بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ
وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ
يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾
أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ
يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ
ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ
أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ حفص ورويس يمنى بالياء والباقون بالتاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ بالتاء حمله على النطفة أي لم يك نطفة تمنى من مني ومن قرأ بالياء حمله على المنى أي من مني يمني يقدر خلق الانسان وغيره منها قال:

مَـنَتْ لَـكَ أَنْ تَـلْقَى ابْـنَ هِـنْـدٍ مَـنِـيَّـةٌ ... وَفَـارِسَ مَـيَّـاسٍ إذَا مَـا تَـلَبَّـبـا(١)

وقال آخر :

لَعَمْـرُ أَبي عَمْـرٍو لَقَـدْ سَـاقَـهُ الْمَـنى ... إِلىٰ جَـدَثٍ يُوْزَىٰ لَـهُ بِـالأَهَـاضِـبِ(٢)

أي ساقه القدر.

[ **اللغة** ] التراقي جمع الترقوة وهو مقدّم الحلق من اعلى الصدر تترقى اليه النفس عند

(١) قوله «منت لك» اي قدرت لك . والمياس: المتبختر. وتلبب الرجل للحرب: تحزم وتشمر له .
(٢) قائله صخر الغي . والجدث: القبر. ويوزي له اي يسوى له . والاهاضب: جمع هضبة: ما ارتفع من الأرض.

الموت وإليه يتراقى البخار من الجوف وهناك تقع الحشرجة[١] قال ذو الرمة :

وَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعْتُ عَنْهَا وَقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهُمُ التَّرَاقِي

والراقي طالب الشفاء رقاه يرقيه رقية إذا طلب له شفاء باسماء الله الشريفة وآيات كتابه العظيمة واما العوذة فهي دفع البلية بكلمات الله تعالى وتقول العرب قامت الحرب على ساق يعنون شدة الأمر قال.

فَإِذْ شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَوَيْهاً رَبِيعَ وَلَا تَسْأَمِ[٢]

والمطّي تمدد البدن من الكسل واصله ان يلوي مطاه اي ظهره وقيل اصله يتمطط فجعل احدى الطائين ياء وهو من المط بمعنى المدّ كقولهم تظنيت وامليت ونحو ذلك ونهى عن مشية المطيطاء وذلك ان يلقي الرجل يديه مع التكفي في مشيته. اولى لك كلمة وعيد وتهديد قالت الخنساء .

هَمَمْتُ بِنَفْسِيَ كُلَّ الْهُمُومِ فَأَوْلَىٰ بِنَفْسِيَ أَوْلَىٰ لَهَا

والسدي المهمل والعلقة القطعة من الدم المنعقد .

[ الإعراب ] في اعراب اولى وجوه ( أحدها ) أن يكون مبتدأ وخبره لك ( والآخر ) أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره الشرُّ أولى لك فعلى هذا يكون اللام في لك للاختصاص كأنه قال الشر اولى لك من الخير ويجوز أن يكون بمعنى من تقديره الشر أقرب منك وسدى منصوب على الحال من قوله يترك .

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه حالهم عند النزع فقال ﴿ كلا ﴾ أي ليس يؤمن الكافر بهذا وقيل معناه حقاً ﴿ إذا بلغت ﴾ النفس أو الروح ولم يذكره لدلالة الكلام عليه كما قال ما ترك على ظهرها من دابة يعني على ظهر الأرض ﴿التراقي ﴾ أي العظام المكتنفة بالحلق وكنّى بذلك عن الأشفاء على الموت ﴿ وقيل من راق ﴾ أي وقال من حضره من أهله هل من راق أي طبيب شاف يرقيه ويداويه فلا يجدونه عن أبي قلابة والضحاك وقتادة وابن زيد قال قتادة التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من عذاب الله شيئاً وقيل إن معناه قالت الملائكة من يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب عن ابن عباس ومقاتل قال أبو العالية تختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب أيّهم يرقى روحه وقال الضحاك أهل الدنيا يجهزون البدن

(١) الحشرجة : تردد النفس والغرغرة عند الموت.

(٢) قوله «فويهاً» كذا في بعض النسخ وفي بعضها بالقاف وفي تفسير الطبري «فرنها» ولعل الصحيح «فؤبها» كما في بعض المطبوعة امر من آب اي رجع. والمعنى اتبها يا ربيع وسأم من الشيء: ملّه .

وأهل الآخرة يجهـزون الروح ﴿ وظن أنـه الفراق ﴾ أي وعلم عنـد ذلك هـذا الذي بلغت روحها تراقيها أنه الفراق من الدنيا والأهل والمـال والولـد والفراق ضـدُّ الوصـال وهو بعـادُ الألّاف وجاء في الحديث أن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته ومفاصله يسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ قيـل فيه وجوه ( أحدها ) التفت شدة أمر الآخرة بأمر الدنيـا عن ابن عباس ومجـاهد ( والثـاني ) التفت حال الموت بحال الحياة عن الحسن ( والثالث ) التفت ساقاه عند الموت عن الشعبي وأبي مالك لأنه يذهب القوة فيصير كجلد يلتف بعضه ببعض وقيل هو أن يضطرب فلا يزال يمدّ إحدى رجليه ويرسل الأخرى ويلفّ إحداهما بالأخرى عن قتادة وقيل هو التفاف الساقين في الكفن ( والرابع ) إلتف ساق الدنيـا بساق الآخـرة وهو شـدّة كرب المـوت بشدة هـول المطلع والمعنى في الجميع أنه تتابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدة إلّا جاءه أشدُّ منها ﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾ أي مساق الخلائق إلى المحشر الذي لا يملك فيه الأمر والنهي غير الله تعالى وقيل يسوق الملك بروحه إلى حيث أمر الله تعالى به إن كان من أهـل الجنة فإلى عليين وإن كان من أهل النار فـإلى سجّين والمساق مـوضع السـوق ﴿ فلا صـدَّق ولا صلى ﴾ أي لم يتصدق بشيء ولم يصل لله ﴿ ولكن كذب ﴾ بالله ﴿ وتولى ﴾ عن طاعته عن الحسن وقيل معناه لم يصدق بكتاب الله ولا صلّى الله ولكن كذَّب بالكتاب والرسول وأعرض عن الإيمان عن قتادة ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴾ أي يرجع إليهم يتبختر ويختال في مشيته وقيل إن المراد بذلك أبو جهل بن هشام ﴿ أولى لك فأولى ﴾ وهذا تهديد من الله له والمعنى وليك المكروه يا أبا جهل وقرب منك وجاءت الرواية أن رسول الله أخذ بيد أبي جهل ثم قال له أونى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل بأيّ شيء تهدّدني لا تستطيعِ أنت ولا ربّك أن تفعلا بي شيئاً وإني لأعزّ أهل هذا الوادي فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله ﷺ وقيل معناه الذمُّ أولى لك من تركه إلا أنه حذف وكثر في الكلام حتى صار بمنزلة الويل لك وصار من المحذوف الذي لا يجوز إظهاره وقيـل هو وعيـد على وعيد عن قتـادة ومعناه وليك الشر في الدنيا وليك ثم وليك الشر في الآخرة وليك والتكرار للتأكيد وقيل بعداً لك من خيرات الدنيا وبعداً لك من خيرات الآخرة عن الجبائي وقيل أولى لك ما تشاهده يا أبا جهل يوم بدر فأولى لك في القبر ثم أولى لك يوم القيامـة فلذلك أدخـل ثم فأولى لـك في النار ﴿ أيحسب الإنسان ﴾ يعني أبا جهل ﴿ أن يترك سـدى ﴾ مهملاً لا يؤمـر ولا ينهى عن ابن عباس ومجاهد والألف للاستفهام والمراد الإنكار أي لا ينبغي أن يظن ذلك وقيل أنه عام أي أيظن الإنسان الكافر بالبعث الجاحد لنعم الله أن يترك مهملاً من غير أمر يؤخذ به فيكون فيه

تقويم له وإصلاح لما هو أعود عليه في عاقبة أمره وأجمل به في دنياه وآخرته ﴿ **ألم يك نطفة من مني يمنى** ﴾ أي كيف يظن أن يهمل وهو يرى في نفسه ومن تنقل الأحوال ما يمكنه أن يستدل به على أن له صانعاً حكيماً أكمل عقله وأقدره وخلق فيه الشهوة فيعلم أنه لا يجوز أن يخليه من التكليف ومعنى قوله يمنى أي يقدر وقيل معناه يصب في الرحم ﴿ **ثم كان علقة فخلق** ﴾ منها خلقاً في الرحم ﴿ **فسوى** ﴾ خلقه وصورته وأعضاءه الباطنة والظاهرة في بطن أمه وقيل فسوّاه إنساناً بعد الولادة وأكمل قوته وقيل معناه فخلق الأجسام فسوّاها للأفعال وجعل لكل جارحة عملاً يختصّ بها ﴿ **فجعل منه** ﴾ أي من الإنسان ﴿ **الزوجين الذكر والأنثى** ﴾ وقيل من المنى وهذا إخبار من الله سبحانه أنه لم يخلق الإنسان من المنى ولم ينقله من حال إلى حال ليتركه مهملاً فإنه لا بدَّ من غرض في ذلك وهو التعريض للثواب بالتكليف ﴿ **أليس ذلك** ﴾ الذي فعل هذا ﴿ **بقادر على أن يحيي الموتى** ﴾ هذا تقرير لهم على أن من قدر على الابتداء قدر على البعث والإحياء فإن من قدر على جعل النطفة علقة والعلقة مضغة إلى أن يجعلها حيّاً سليماً مركّباً فيه الحواس الخمس والأعضاء الشريفة التي يصلح كل منها لما لا يصلح له الآخر وخلق الزوجين الذكر والأنثى الذين يصحُّ بهما التناسل فإنه يقدر على إعادته بعد الموت إلى ما كان عليه من كونه حيّاً وجاء في الحديث عن البراء بن عازب قال لما نزلت هذه الآية ﴿ **أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى** ﴾ قال رسول الله ﷺ سبحانك اللهم وبلى وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وفي الآية دلالة على صحة القياس العقلي فإنه سبحانه اعتبر النشأة الثانية بالنشأة الأولى .

# (٧٦) سورة الإنسان مدنية وآياتها إحدى وثلاثون

وتسمى سورة الدهر وتسمى سورة الأبرار ومنهم من يسميها بفاتحتها واختلفوا فيها فقيل مكية كلها وقيل مدنية كلها عن مجاهد وقتادة وقيل إنها مدنية إلا قوله ﴿ **ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً** ﴾ فإنه مكي عن الحسن وعكرمة والكلبي وقيل إن قوله ﴿ **إنا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلاً** ﴾ إلى آخر السورة مكيّ والباقي مدني .

[ **عدد آيها** ] إحدى وثلاثون آية بالإجماع .

[ **فضلها** ] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة ﴿ **هل أتى** ﴾ كان جزاؤه على الله جنة وحريراً وقال أبو جعفر ( ع ) من قرأ سورة هل أتى في كل غداة خميس زوّجه الله من الحور العين مائة عذراء وأربعة آلاف ثيب وكان مع محمد ﷺ .

[ **تفسيرها** ] ختم الله سبحانه يوم القيامة بأن دلَّ على صحة البعث بخلق الإنسان من نطفة وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا
مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ
سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ

يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا
عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا
كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ
جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا
قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة وأبو بكر عن عاصم والكسائي سلاسلاً بالتنوين وكذلك قواريراً قواريراً[١] ويقفون بالألف على الجميع وقرأ ابن كثير وخلف سلاسل بغير تنوين وقواريراً قوارير الأول بالتنوين والثاني بغير تنوين ويقفان على سلاسل وقوارير الثانية بغير الألف وقرأ حمزة ويعقوب بغير تنوين في الجميع ويقفان بغير ألف عليها وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص بغير تنوين فيها أيضاً إلا أنهم يقفون على سلاسل وقواريراً الأولى بالألف وعلى قوارير الثانية بغير ألف غير أن شجاعاً يقف على سلاسل أيضاً بغير ألف .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من صرف سلاسلاً وقواريراً في الوصل والوقف أمران ( أحدهما ) أن أبا الحسن قال سمعنا من العرب من يصرف هذا ويصرف جميع ما لا ينصرف قال وهذه لغة أهل الشعر لأنهم إضطروا إليه في الشعر فصرفوه فجرت ألسنتهم على ذلك واحتملوا ذلك في الشعر لأنه يحتمل الزيادة كما يحتمل النقص فاحتملوا زيادة التنوين والأمر الآخر أن هذه الجموع أشبهت الآحاد لأنهم قالوا صواحبات يوسف فلما جمعت جمع الآحاد المنصرفة جعلوه في حكمها فصرفوها قال أبو الحسن وكثير من العرب يقول مواليات يريد الموالي وأنشد للفرزدق :

فَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسِي الأَبْصَارِ[٢]

---

(١) أي فيما يأتي في آية ١٥ ـ ١٦ من هذه السورة .

(٢) وفي رواية الفراء والكسائي « نواكس الأبصار » بغير الياء مفتوحاً.

فهذا كأنه جمع نواكس ومن قرأ بغير تنوين ولا ألف فإنه جعله كقوله ﴿ **لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد** ﴾ وإلحاق الألف في سلاسل وقوارير كإلحاقه في قوله ﴿ **الظنونا والسبيلا والرسولا** ﴾ يشبه ذلك بالإطلاق في القوافي من حيث كانت مثلها في أنها كلام تام .

[ **اللغة** ] الدهر مرور الليل والنهار وجمعه أدهر ودهور وأصل النطفة الماء القليل وقد تقع على الكثير قال أمير المؤمنين ( ع ) حين ذكر الخوارج مصارعهم دون النطفة يريد النهروان والجمع نطاف ونطف قال الشاعر :

وَمَا النَّفْسُ إلَّا نُطْفَةٌ بِقَرارَةٍ إذا لَمْ تُكَدَّرْ كانَ صَفْواً غَدِيرُها

وواحد الأمشاج مشيج ومشجت هذا بهذا أي خلطته وهو ممشوج ومشيج وواحد الأبرار بارّ نحو ناصر وأنصار وبر أيضاً والكأس الإناء إذا كان فيه شراب قال عمرو بن كلثوم :

صَدَدْتِ الْكَأْسَ عَنّا أُمَّ عَمْروٍ وَكانَ الْكَأْسُ مَجْراهَا الْيَمِينا[١]

وأوفى بالعقد ووفى به فأوفى لغة أهل الحجاز ووفى لغة تميم وأهل نجد والنذر عقد عملي فعل برّ يوجبه الإنسان على نفسه نذر ينذر قال عنترة :

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي وَلَمْ أشْتُمْهُما وَالنَّاذِرَيْنِ إذا لَمْ ألْقَهُما دَمي[٢]

أي يقولان إن لقينا عنترة لنقتلنه والمستطير المنتشر قال الأعشى :

فَبانَتْ وَقَدْ أسْأرَتْ فِي الْفُؤادِ صَدْعاً عَلىٰ نَأْيِها مُسْتَطِيراً[٣]

والقمطرير الشديد في الشر وقد أقمطر اليوم اقمطراراً ويوم قمطرير وقماطر كأنه قد التفّ شرّه بعضه على بعض قال الشاعر :

---

(١) البيت من المعلقات وفي رواية « صبنت » وهو بمعنى الصد أيضاً. يقول: كان مجرى الكأس في العادة من يمين المجلس؛ وأنت يا أم عمر أجريتها على خلاف العادة ونسب بعض هذا البيت إلى عمرو بن عدي اللخمي ابن أخت جذيمة الأبرش.

(٢) هذا البيت من المعلقات أيضاً يهجو فيه حصيناً وهرماً أبنا ضمضم وقد ذكرهما في بيت قبله، يقول: اللذان يشتمان عرضي ولم أشتمها أنا، والموجبان على أنفسهما سفك دمي إذا لم أرهما؛ يريد أنهما يتواعدانه حال غيبته فأما في الحضور فلا يتحاسبان عليه.

(٣) اسأرت أي أبقت من السؤر بمعنى العقبة. والصدع: الشق. والنأى: البعد.

بَنِي عَمِّنَا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلاءَنَا عَلَيْكُمْ إذا مَا كَانَ يَوْمٌ قَمَاطِرُ

قيل إن هل هنا بمعنى قد قال الشاعر :

أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بَكى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَهُ إِثْرَ الأَحِبَّةِ يَوْمَ الْبَيْنِ مَشْكُومُ[١]

[ **الإعراب** ] لم يكن شيئاً جملة في محل الرفع لأنها صفة حين والتقدير لم يكن فيه شيئاً مذكوراً وأمشاج يجوز أن يكون صفة لنطفة ويجوز أن يكون بدلاً والوصف بالجمع مثل قولهم بُرمة أعشار وثوب أسمال[٢] ونبتليه في موضع نصب على الحال. أما شاكراً وأما كفوراً حالان من الهاء في هديناه أي هديناه شاكراً أو كفوراً وقوله ﴿**عيناً**﴾ في إنتصابه وجوه ( أحدها ) أن يكون بدلاً من كافوراً إذا جعلت الكافور إسم عين فيكون بدل الكل من الكل ( والثاني ) أن يكون بدلاً من قوله ﴿**من كأسٍ**﴾ أي يسقون من عين ثم حذب الجار فوصل الفعل إليه فنصبه ( والثالث ) أن يكون منصوباً على المدح والتقدير أعني عيناً يشرب بها الباء مزيدة أي يشربها والمعنى يشرب ماؤها لأن العين لا تشرب وإنما يشرب ماؤها .

[ **النزول** ] قد روى الخاص والعام أن الآيات من هذه السورة وهي قوله ﴿ **إن الأبرار يشربون** ﴾ إلى قوله ﴿ **وكان سعيكم مشكوراً** ﴾ نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح .

**[ والقصة طويلة ]**

جملتها أنهم قالوا مرض الحسن والحسين ( ع ) فعادهما جدّهما ﷺ ووجوه العرب وقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً فنذر صوم ثلاثة أيام إن شفاهما الله سبحانه ونذرت فاطمة ( ع ) كذلك وكذلك فضة فبرءاً وليس عندهم شيء فاستقرض علي ( ع ) ثلاثة أصوع من شعير من يهودي وروي أنه أخذها ليغزل له صوفاً وجاء به إلى فاطمة ( ع ) فطحنت صاعاً منها فاختبزته وصلّى عليٌّ المغرب وقربته إليهم فأتاهم مسكين يدعو لهم وسألهم فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته وقدمته إلى علي ( ع ) فإذا يتيم في الباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته واختبزته وقدمته إلى علي ( ع ) فإذا أسير بالباب يستطعم فأعطوه

---

(١) وفي بعض النسخ « كثير » مكان « كبير » والعبرة: الدمعة. والشكم: الجزاء.

(٢) البرمة: القدر من الحجر وأعشار جمع العشرِ - بالكسر - : القطعة من كل شيء كسر إلى عشر قطع . والأسمال جمع السملِ محركة: الثوب الخلق.

ولم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الرابع وقد قضوا نـذورهم أتى علي ( ع ) ومعه الحسن والحسين ( ع ) إلى النبي ﷺ وبهما ضعف فبكى رسول الله ﷺ ونزل جبرائيل ( ع ) بسورة هل أتى وفي رواية عطاء عن ابن عباس أن علي ابن أبي طالب ( ع ) أجر نفسه ليستقي نخلاً بشيء من شعير ليلة حتى أصبح فلما أصبح وقبض الشعير طحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة[١] فلما تمَّ إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام ثم عمل الثلث الثاني فلما تمَّ إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه ثم عمل الثلث الثالث فلما تمَّ إنضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه وطووا يومهم ذلك ذكره الواحدي في تفسيره وذكر علي بن إبراهيم أن أباه حدثه عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله ( ع ) قال كان عند فاطمة شعير فجعلوه عصيدة فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال المسكين رحمكم الله فقام عليّ فأعطاه ثلثها فلم يلبث أن جاء يتيم فقال اليتيم رحمكم الله فقام علي ( ع ) فأعطاه الثلث ثم جاء أسير فقال الأسير رحمكم الله فأعطاه علي ( ع ) الثلث الباقي وما ذاقوها فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم وهي جارية في كل مؤمن فعل ذلك لله عز وجل وفي هذا دلالة على أن السورة مدنية وقال أبو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني الحسن بن الحسن أبو عبد الله بن الحسن أنها مدنية نزلت في علي وفاطمة السورة كلها حدثنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القايني قال أخبرنا الحاكم أبو القسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا أبو نصر المفسر قال حدثني عمي أبو حامد إملاء قـال حدّثني الفـزاري أبو يـوسف يعقوب بن محمد المقري قال حدثنا محمد بن يـزيد السلمي قـال حدثنـا زيد بن مـوسى قال حـدثنا عمرو بن هارون عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس قال أول ما أنزل بمكة ﴿ إقـرأ بـاسم ربك ﴾ ثم ﴿ نٓ والقلم ﴾ ثم ﴿ المـزمل ﴾ ثم ﴿ المـدثر ﴾ ثم ﴿ تبت ﴾ ثم ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ثم ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ ثم ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ ثم ﴿ والفجر ﴾ ثم ﴿ والضحى ﴾ ثم ﴿ ألم نشرح ﴾ ثم ﴿ والعصر ﴾ ثم ﴿والعاديات﴾ثم ﴿ أنا أعطيناك الكوثر ﴾ ثم ﴿ الهيكم التكاثر ﴾ ثم ﴿ أرأيت ﴾ ثم ﴿ الكافرون ﴾ ثم ﴿ ألم تر كيف ﴾ ثم ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ ثم ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ثم ﴿قل هو الله أحد﴾ ثم ﴿والنجم﴾ ثم ﴿ عبس ﴾ ثم ﴿ إنـا أنـزلنـاه ﴾ ثم ﴿ والشمس ﴾ ثم ﴿ البـروج ﴾ ثم ﴿ والتين ﴾ ثم ﴿ لإيلاف ﴾ ثم ﴿القارعة﴾ ثم ﴿القيامة﴾ ثم﴿الهمزة﴾ ثم ﴿والمرسلات﴾ ثم ﴿قٓ﴾

---

(١) الحريرة: دقيق يطبخ بلبن أو دسم. وفي بعض الكتب ككتاب أسباب النزول للواحدي ( ط :٢٥١ ) الخريرة بالخاء ثم الزاء المعجمتين ـ : وهي الحساء من الدسم والدقيق وقيل : إذا كانت فيها لحم فهي خزيـرة وبدونـه عصيدة أو خريرة. وقيل: غير ذلك راجع كتاب اللسان « خزر ».

ثم ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ ثم ﴿ الطارق ﴾ ثم ﴿ إقتربت الساعة ﴾ ثم ﴿ صٓ ﴾ ثم ﴿ الأعراف ﴾ ثم ﴿ قل أوحي ﴾ ثم ﴿ يٓس ﴾ ثم ﴿ الفرقان ﴾ ثم ﴿ الملائكة ﴾ ثم ﴿ كهيعصٓ ﴾ ثم ﴿ طه ﴾ ثم ﴿ الواقعة ﴾ ثم ﴿ الشعراء ﴾ ثم ﴿ النمل ﴾ ثم ﴿ القصص ﴾ ثم ﴿ بني إسرائيل ﴾ ثم ﴿ يونس ﴾ ثم ﴿ هود ﴾ ثم ﴿ يوسف ﴾ ثم ﴿ الحجر ﴾ ثم ﴿ الإنعام ﴾ثم ﴿ الصافات ﴾ ثم ﴿ لقمان ﴾ ثم ﴿ القمر ﴾ ثم ﴿ سبأ ﴾ ثم ﴿ الزمر ﴾ ثم ﴿ حم المؤمن ﴾ ثم ﴿ حمٓ السجدة ﴾ ثم ﴿ حمعٓسق ﴾ ثم ﴿ الزخرف ﴾ ثم ﴿ الدخان ﴾ ثم ﴿الجاثية ﴾ ثم ﴿ الأحقاف ﴾ ثم ﴿ الذاريات ﴾ ثم ﴿ الغاشية ﴾ ثم ﴿ الكهف ﴾ ثم ﴿ النحل ﴾ ثم ﴿ نوح ﴾ ثم ﴿ إبراهيم ﴾ ثم ﴿ الأنبياء ﴾ ثم ﴿ المؤمنون ﴾ ثم ﴿ ألم تنزيل ﴾ ثم ﴿ الطور ﴾ ثم ﴿ الملك ﴾ ثم ﴿ الحاقة ﴾ ثم ﴿ ذو المعارج ﴾ ثم ﴿ عمَّ يتساءلون﴾ ثم ﴿ النازعات ﴾ ثم ﴿ انفطرت ﴾ ثم ﴿ إنشقت ﴾ ثم ﴿ الروم ﴾ ثم ﴿ العنكبوت ﴾ثم﴿ المطففين ﴾ فهذه أنزلت بمكة وهي خمس وثمانون سورة ثم أنزلت بالمدينة ﴿ البقرة ﴾ ثم ﴿ الأنفال ﴾ ثم ﴿ آل عمران ﴾ ثم ﴿ الأحزاب ﴾ ثم ﴿ الممتحنة ﴾ ثم ﴿ النساء ﴾ ثم ﴿ إذا زلزلت ﴾ ثم ﴿ الحديد ﴾ ثم سورة ﴿ محمد ﴾ ثم ﴿ الرعد ﴾ ثم سورة ﴿ الرحمن ﴾ ثم ﴿ هل أتى ﴾ ثم ﴿ الطلاق ﴾ ثم ﴿ لم يكن ﴾ ثم ﴿ الحشر ﴾ ثم ﴿ إذا جاء نصر الله ﴾ ثم ﴿ النور ﴾ ثم ﴿ الحج ﴾ ثم ﴿ المنافقون ﴾ ثم ﴿ المجادلة ﴾ ثم ﴿ الحجرات ﴾ ثم ﴿ التحريم ﴾ ثم ﴿ الجمعة ﴾ ثم ﴿ التغابن ﴾ ثم سورة ﴿ الصف ﴾ ثم سورة ﴿ الفتح ﴾ ثم سورة ﴿ المائدة ﴾ ثم سورة ﴿ التوبة ﴾ فهذه ثمان وعشرون سورة وقد رواه الأستاذ أحمد الزاهد بإسناده عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس في كتاب الإيضاح وزاد فيه وكانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينة وبإسناده عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن البصري إن أول ما أنزل الله من القرآن بمكة على الترتيب ﴿ اقرأ باسم ربك ون والمزمل ﴾ إلى قوله وما نزل بالمدينة ﴿ ويل للمطففين ﴾ ﴿ والبقرة والأنفال وآل عمران والأحزاب والمائدة والممتحنة والنساء وإذا زلزلت والحديد وسورة محمد ﴾ ﷺ ﴿ والرعد والرحمن وهل أتى على الإنسان ﴾ إلى آخره وباسناده عن سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب (ع) أنه قال سألت النبي عن ثواب القرآن فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء فأول ما نزل عليه بمكة ﴿ فاتحة الكتاب ﴾ ثم ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ثم ﴿ نٓ ﴾ إلى أن قال وأول ما نزل بالمدينة سورة ﴿ البقرة ﴾ ثم ﴿ الأنفال ﴾ ثم ﴿ آل عمران ﴾ ثم ﴿ الأحزاب ﴾ ثم الممتحنة ﴾ ثم ﴿ النساء ﴾ ثم ﴿ إذا زلزلت ﴾ ثم ﴿ الحديد ﴾ ثم ﴿ سورة محمد ﴾ ثم

﴿الرعد﴾ ثم ﴿سورة الرحمن﴾ ثم ﴿هل أتى﴾ إلى قوله فهذا ما أنزل بالمدينة ثم قال النبي ﷺ جميع سور القرآن مائه وأربع عشرة سورة وجميع آيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وست، وثلاثون آية وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرف ومائتان وخمسون حرفاً لا يرغب في تعلم القرآن إلا السعداء ولا يتعهد قراءته إلا أولياء الرحمن (أقول) قد اتّسع نطاق الكلام في هذا الباب حتى كاد يخرج عن أسلوب الكتاب وربما نسبنا به إلى الإطناب ولكن الغرض فيه أن بعض أهل العصبية قد طعن في هذه القصة بأن قال هذه السورة مكية فكيف يتعلق بها ما كان بالمدينة واستدل بذلك على أنها مخترعة جرأة على الله سبحانه وعداوة لأهل بيت رسوله فأحببت إيضاح الحق في ذلك وإيراد البرهان في معناه وكشف القناع عن عناد هذا المعاند في دعواه على أنه كما ترى يحتوي على السر المخزون والدر المكنون من هذا العلم الذي يستضاء بنوره ويتلألأ بزهوره وهو معرفة ترتيب السور في التنزيل وحصر عددها على الجملة والتفصيل اللهم أمددنا بتأييدك وأيّدنا بتوفيقك فأنت الرجاء والأمل وعلى فضلك المعول والمتكل.

[ المعنى ] ﴿ هل أتى ﴾ معناه قد أتى ﴿ على الإنسان ﴾ أي ألم يأت على الإنسان ﴿ حين من الدهر ﴾ وقد كان شيئاً إلا أنه ﴿ لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ لأنه كان تراباً وطيناً إلى أن نفخ فيه الروح عن الزجاج وعلى هذا فهل هنا إستفهام يراد به التقرير قال الجبائي وهو تقرير على ألطف الوجوه وتقديره أيُّها المنكر للصانع وقدرته أليس قد أتى عليك دهور لم تكن شيئاً مذكوراً ثم ذكرت وكل أحد يعلم من نفسه أنه لم يكن موجوداً ثم وجد فإذا تفكَّر في ذلك علم أن له صانعاً صنعه ومحدثاً أحدثه والمراد بالإنسان هنا آدم (ع) وهو أول من سمي به عن الحسن وقتادة وسفيان والجبائي وقيل إن المراد به كل إنسان والألف واللام للجنس عن أبي مسلم وقيل أنه أتى على آدم (ع) أربعون سنة لم يكن شيئاً مذكوراً لا في السماء ولا في الأرض بل كان جسداً ملقى من طين قبل أن ينفخ فيه الروح وروى عطاء عن ابن عباس أنه تمَّ خلقه بعد عشرين ومائة سنة وروى العياشي بإسناده عن عبد الله بن بكير عن زرارة قال سألت أبا جعفر (ع) عن قوله لم يكن شيئاً مذكوراً قال كان شيئاً ولم يكن مذكوراً وبإسناده عن سعيد الحداد عن أبي جعفر (ع) قال كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق وعن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبد الله (ع) مثله وعن حمران بن أعين قال سألت عنه فقال كان شيئاً مقدوراً ولم يكن مكوناً وفي هذا دلالة على أن المعدوم معلوم وإن لم يكن مذكوراً وإن المعدوم يسمى شيئاً فإذا حملت الإنسان على الجنس فالمراد أنه

قبل الولادة لا يعرف ولا يذكر ولا يدري من هو وما يراد به بل يكون معدوماً ثم يوجد في صلب أبيه ثم في رحم أمه إلى وقت الولادة وقيل المراد به العلماء لأنهم كانوا لا يذكرون فصيَّرهم الله سبحانه بالعلم مذكورين بين الخاص والعام في حياتهم وبعد مماتهم وسمع عمر بن الخطاب رجلاً يقرأ هذه الآية فقال ليت ذلك ثمَّ يعني ليت آدم بقي على ما كان فكان لا يلد ولا يبتلي أولاده ثم قال سبحانه ﴿ **إنا خلقنا الإنسان** ﴾ يعني ولد آدم (ع) ﴿ **من نطفة** ﴾ وهي ماء الرجل والمرأة الذي يخلق منه الولد ﴿ **امشاج** ﴾ أي إخلاط من ماء الرجل وماء المرأة في الرحم فأيّهما علا ماء صاحبه كان الشبه له عن ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقيل إمشاج أطوار طوراً نطفة وطوراً علقة وطوراً مضغة وطوراً عظاماً إلى أن صار إنساناً عن قتادة وقيل أراد إختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء فهي مختلفة الألوان عن مجاهد والضحاك والكلبي وروي أيضاً عن ابن عباس وقيل نطفة مشجت بدم الحيض فإذا حبلت إرتفع الحيض عن الحسن وقيل هي العروق التي تكون في النطفة عن ابن مسعود وقيل إمشاج إخلاط من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة جعلها الله في النطفة ثم بناه الله البنية الحيوانية المعدلة الإخلاط ثم جعل فيه الحياة ثم شق له السمع والبصر فتبارك الله رب العالمين وذلك قوله ﴿ **فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾ وقوله ﴿ **نبتليه** ﴾ أي نختبره بما نكلفه من الأفعال الشاقة ليظهر أما طاعته وأما عصيانه فنجازيه بحسب ذلك قال الفراء معناه ﴿ **فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾ لنبتليه أي لنتعبده ونأمره وننهاه والمراد فأعطيناه آلة السمع والبصر ليتمكن من السمع والبصر ومعرفة ما كلف ﴿ **إنا هديناه السبيل** ﴾ أي بيَّنا له الطريق ونصبنا له الأدلة وأزحنا له العلة حتى يتمكن من معرفة الحق والباطل وقيل هو طريق الخير والشر عن قتادة وقيل السبيل هو طريق معرفة الدين الذي به يتوصل إلى ثواب الأبد ويلزم كل مكلف سلوكه وهو أدلة العقل والشرع التي يعمّ جميع المكلفين ﴿ **إما شاكراً وإما كفوراً** ﴾ قال الفراء معناه أن شكر وأن كفر على الجزاء وقال الزجاج معناه ليختار إما السعادة وإما الشقاوة والمراد إما أن يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى والإعتراف بنعمه فيصيب الحظ وإما أن يكفر نعم الله ويجحد إحسانه فيكون ضالاً عن الصواب فأيّهما إختار جوزي عليه بحسبه وهذا كقوله ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ وفي هذه الآية دلالة على أن الله قد هدى جميع خلقه لأن اللفظ عام ثم بيَّن سبحانه ما أعدَّه للكافرين فقال ﴿ **أنا أعتدنا للكافرين** ﴾ أي هيّأنا وادّخرنا لهم جزاء على كفرانهم وعصيانهم ﴿ **سلاسل** ﴾ يعني في جهنم كما قال في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً ﴿ **وأغلالاً وسعيراً** ﴾ نار موقدة نعذّبهم بها ونعاقبهم فيها ثم ذكر ما أعدَّه

للشاكرين المطيعين فقال ﴿ **إن الأبرار** ﴾ وهو جمع البر المطيع لله المحسن في أفعاله وقال الحسن هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر وقيل هم الذين يقضون الحقوق اللازمة والنافلة وقد أجمع أهل البيت ( ع ) وموافقوهم وكثير من مخالفيهم إن المراد بذلك علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام والآية مع ما بعدها متعينة فيهم وأيضاً فقد انعقد الإجماع على أنهم كانوا أبراراً وفي غيرهم خلاف ﴿ **يشربون من كأس** ﴾ إناء فيه شراب ﴿ **كان مزاجها** ﴾ أي ما يمازجها ﴿ **كافوراً** ﴾ وهو إسم عين ماء في الجنة عن عطاء والكلبي واختاره الفراء قال ويدل عليه قوله ﴿ **عينا** ﴾ وهي كالمفسرة للكافور وقيل يعني الكافور الذي له رائحة طيبة والمعنى يمازجه ريح الكافور وليس ككافور الدنيا عن مجاهد ومقاتل قال قتادة يمزج بالكافور ويختم بالمسك وقيل معناه طيب بالكافور والمسك والزنجبيل عن ابن كيسان ﴿ **عينا يشرب بها عباد الله** ﴾ أي أولياؤه عن ابن عباس أي هذا الشراب من عين يشرب بها أولياء الله وخصَّهم بأنهم عباد الله تشريفاً وتبجيلاً قال الفراء شربها وشرب بها سواء في المعنى كما يقولون تكلمت بكلام حسن وكلاماً حسناً قال عنترة :

شَرِبَتْ بِماءِ الدُّحْرُ ضَيْنِ فَأصْبَحَتْ   عَسِراً عَلَيَّ طِلابُهَا ابْنَةَ مَخْرَمِ (١)

وأنشد الفراء :

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ   مَتى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ (٢)

أي صوت ﴿ **يفجرونها تفجيراً** ﴾ أي يقودون تلك العين حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم عن مجاهد والتفجير تشقيق الأرض يجري الماء قال وأنهار الجنة تجري بغير أخدود فإذا أراد المؤمن أن يجري نهراً خطّ خطاً فينبع الماء من ذلك الموضع ويجري بغير تعب ثم وصف سبحانه هؤلاء الأبرار فقال ﴿ **يوفون بالنذر** ﴾ أي كانوا في الدنيا بهذه الصفة والإيفاء بالنذر هو أن يفعل ما نذر عليه فإذا نذر طاعة تمّمها ووفى بها عن مجاهد وعكرمة وقيل يتمّون ما فرض الله عليهم من الواجبات عن قتادة ﴿ **ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً** ﴾

---

(١) كذا في النسخ لكن في المعلقات ورواية الزوزني وغيره هكذا : « حلت بأرض العاشقين فأصبحت * عسراً على طلابك ابنة مخرم » ورووا كلهم « طلابك » بكاف المخاطبة . وقد مر بمعناه في ج ٤ : ٤٧٠ . ثم ذكر بعد أبيات هذا البيت: « شربت بماء الدحرضين فأصبحت * زوراء تنفر عن حياض الديلم » والدحرضان : إسم موضع وقيل هما دحرض ووشيع فغلب أحدهما على الآخر كالقمرين للشمس والقمر، والعمرين لأبي بكر وعمر.

(٢) الشعر في جامع الشواهد .

أي فاشياً منتشراً ذاهباً في الجهات بلغ أقصى المبالغ وسمّي العذاب شرّاً لأنه لا خير فيه للمعاقبين وإن كان في نفسه حسناً لكونه مستحقاً وقيل المراد بالشر هنا أهوال يوم القيامة وشدائده ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه** ﴾ أي على حب الطعام والمعنى يطعمون الطعام أشدّ ما تكون حاجتهم إليه وصفهم الله سبحانه بالأثرة على أنفسهم وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال ما من مسلم أطعم مسلماً على جوع إلا أطعمه الله من ثمار الجنة وما من مسلم كسا أخاه على عري إلا كساه الله من خضر الجنة ومن سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق قال ابن عباس يطعمون الطعام على شهوتهم له ومحبتهم إياه وقيل الهاء كناية عن الله تعالى أي يطعمون الطعام على حبّ الله ﴿ **مسكيناً** ﴾ وهو الفقير الذي لا شيء له ﴿ **ويتيماً** ﴾ وهو الذي لا والد له من الأطفال ﴿ **وأسيراً** ﴾ وهو المأخوذ من أهل دار الحرب عن قتادة وقيل هو المحبوس من أهل القبلة عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل الأسير المرأة ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله** ﴾ أي لطلب رضا الله خالصاً لله مخلصاً من الرياء وطلب الجزاء وهو قوله ﴿ **لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً** ﴾ وهو مصدر مثل القعود والجلوس وقيل إنهم لم يتكلموا بذلك ولكن علم الله سبحانه ما في قلوبهم فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك الراغب عن سعيد بن جبير ومجاهد والمراد لا نطلب بهذا الطعام مكافأة عاجلة ولا نريد أن تشكرونا عليه عند الخلق بل فَعلناه لله ﴿ **إنا نخاف من ربنا يوماً** ﴾ أي عذاب يوم ﴿ **عبوساً** ﴾ أي مكفهراً تعبس فيه الوجوه ووصف اليوم بالعبوس توسعاً لما فيه من الشدة وهذا كما يقال يوم صائم وليل قائم قال ابن عباس يعبس فيه الكافر حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران ﴿ **قمطريراً** ﴾ أي صعباً شديداً عن أبي عبيدة والمبرد وقال الحسن سبحان الله ما أشد اسمه وهو من اسمه أشدُّ وقيل القمطرير الذي يقلص الوجوه ويقبض الجباه وما بين الأعين من شدته عن قتادة.

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن

فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا
زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا
رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ الشعبي وعبيد بن عمير قُدِّروها بضم القاف والقراءة المشهورة قَدَّروها بفتح القاف وقرأ أهل المدينة وحمزة عَالِيْهم ساكنة الياء والباقون عالِيَهم بفتح الياء وقرأ أهل البصرة وأبو جعفر وابن عامر خُضْرٌ بالرفع واستبرقٍ بالجر وقرأ ابن كثير وأبو بكر خُضْرٍ بالجر واستبرقٌ بالرفع وقرأ نافع وحسن بالرفع فيهما وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالجر فيهما .

[ **الحجة** ] من قرأ قَدَّروها بالفتح فالمعنى قَدَّروها في أنفسهم فجاءت كما قَدَّروها ومن قرأ بالضم أراد أن ذلك قُدِّر لهم أي قدَّره الله لهم كذلك قال أبو علي الضمير في قـدَّروها للخزان أو الملائكة أي قدَّروها على ربهم لا ينقص من ذلك ولا يزيد عليه ومن قرأ قُدِّروها فهو على هذا المعنى يريد كان اللفظ قدروا عليها فحذف الجار كما حذف من قوله :

كَأَنَّهُ وَاضِحُ الأَقْرَابِ فِي لَقَحٍ      أَسْمَىٰ بِهِنَّ وَعَزَّتْهُ الأَنَاصِيلُ(١)

فلما حذف الحرف وصل الفعل فكذلك قوله ﴿ **قدروها** ﴾ إلا أن المعنى قدرت عليهم أي على ربهم فقلب كما قال :

لا تَحْسَبَنَّ دَرَاهِمَاً سُرِّقْتَهَا      تَمْحُو مَخَازِيكَ الَّتِي بِعَمَانِ

وعلى هذا يتأول قوله ﴿ **ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة** ﴾ ومثل هذا ما حكاه أبو زيد إذا طلعت الجوزاء أوفى السود في الجرباء قال ومن نصب عاليهم فإن النصب يحتمل أمرين

(١) أي عزت عليه وقد مر البيت بمعناه .

( أحدهما ) أن يكون حالاً ( والآخر ) أن يكون ظرفاً فأما الحال فيحتمل أن يكون العامل فيها أحد شيئين ( أحدهما ) لقّاهم ( والآخر ) جزاهم ومثله في كونه حالا متكئين فيها على الارائك فإن قلت لم لا يكون متكئين صفة جنة وفيها ذكر لها قيل لا يجوز ذلك ألا ترى أنه لو كان كذلك للزمك أن تبرز الضمير الذي في اسم الفاعل من حيث كان صفة للجنة وليس الفعل لها فإذا لم يجز ذلك كان حالاً وكذلك قوله ﴿ **ودانية عليهم ظلالها** ﴾ إلا أنه يجوز في قوله ودانية عليهم ظلالها أمران ( أحدهما ) الحال ( والآخر ) أن ينتصب على أنه مفعول به ويكون المعنى وجزاهم جنة وحريراً أي ليس حرير ودخول جنة ودانية عليهم ظلالها فيكون على هذا التقدير كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فإن لم تحمله على هذا وقلت إنه يعرض فيه إقامة الصفة مقام الموصوف وإن ذلك ليس بالمطرح في كلامهم وإذا حملته على الحال يكون مثل ما عطفته عليه من قوله ﴿ **متكئين ودانية عليهم** ﴾ وكذلك يكون عاليهم ثياب سندس معطوفاً على ما انتصب على الحال في السورة فيكون ثياب سندس مرتفعة باسم الفاعل والضمير عائد إلى ذي الحال من قوله ﴿ **عاليهم** ﴾ وفي الشواذ عاليتهم قراءة الأعمش ويكون بمنزلة قوله ﴿ **خاشعاً أبصارهم وخاشعة أبصارهم** ﴾ ومن جعله ظرفاً فإنه لما كان عالي بمعنى فوق أجري مجراه في هذا ومن قرأ عاليهم بسكون الياء جعله مبتدأ وثياب سندس خبره ويكون عاليهم المبتدأ في موضع الجماعة كما أن الخبر جماعة وقد جاء إسم الفاعل في موضع جماعة قال :

أَلا إنَّ جِيرانِي الْعَشِيَّةَ رائِحُ دَعَتْهُمْ دَواعٍ مِنْ هَوىً وَمَنادِحُ

وفي التنزيل مستكبرين به سامراً تهجرون فقطع دابر القوم الذين ظلموا فكأنه أفرد من حيث جعل بمعنى المصدر من نحو قوله « ولا خارِجاً مِنْ فِيَّ زُورُ كَلامِ »[1] وقد قالوا الجامل والباقر يراد بهما الكثرة وأخذ عليه البصير النحوي الملقب بجامع العلوم هذا الكلام ونسبه فيه إلى سوء التأمل وقال عاليهم بسكون الياء صفة الولدان أي يطوف عليهم ولدان عاليهم ثياب سندس فيرتفع ثياب سندس باسم الفاعل الجاري صفة على الموصوف وأقول وبالله التوفيق إني لأرى أن نظر هذا الفاضل قد اختلَّ كما أن بصره قد اعتل فرمى أبا علي بدائه وأنسل ألم ينظر في خاتمة هذه الآية إلى قوله سبحانه ﴿ **وسقاهم ربهم شراباً طهوراً** ﴾ ثم قوله عقيب ذلك ﴿ **إن هذا كان لكم جزاء** ﴾ فيعرف أن الضمير في عاليهم هو بعينه في وسقاهم وهو ضمير المخاطبين في لكم وهذا الضمير لا يمكن أن يعود إلا إلى الأبرار

---

(١) قائله فرزدق وقبله « على قسم لا أشتم الدهر مسلماً » والبيت من قصيدة قالها في مربد .

المثابين المجازين دون الولدان المخلدين الـذين هم من جملة ثوابهم وجـزائهم اللهم لك الحمد على تأييدك وتسديـدك رجعنا إلى كـلام أبي علي قال ويجـوز على قياس قـول أبي الحسن في قائم اخواك وأعمال اسم الفاعل عمر الفعل وإن لم يعتمد على شيء أن يكون ثياب سندس مرتفعة بعاليهم وأفردت عالياً لأنه فعل متقدم قال أبو علي والأوجه قراءة من قال خضر بالرفع واستبرق بالجر لأن خضراً صفة مجموعـة لموصـوف مجموع وهـو ثياب وأمـا استبرق فجرّ من حيث كان جنساً أُضيفت إليه الثياب كما أُضيفت إلى سندس كما يقال ثياب خز وكتان ويدل على ذلك قوله ﴿ ويلبسون ثياباً خضراً من سندس ﴾ واستبرق ومن قرأ خضر واستبرق فإنه أجرى الخضر وهو جمـع على السندس لمـا كان المعنى أن الثيـاب من هذا الجنس وأجاز أبو الجنس وصف هذه الأجناس بالجمع فقال تقول أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض على استقباح له ومن رفع استبرق فإنما أراد عطف الاستبـراق على الثياب كأنه ثياب سندس وثياب استبرق فحذف المضاف الذي هو ثـياب وأقام استبرق مقامـه كما إنك إذا قلت عليه خز بمعنى عليه ثوب خز وليس المعنى أن عليه الدابة التي هي الخز وعلى هذا قوله :

كَـأَنَّ خَـزّاً تَـحْـتَـهُ وَقَـزّاً وَفُـرُشـاً مَـحْـشُـوَّةً أَوَزّاً

[ اللغة ] الوقاية الحفظ والمنع من الأذى وقاه يقيه وقايـة ووقاه تـوقية قـال رؤبة « أنَّ المُوقّي مِثْل مٰا وُقِّيتُ » ومنه إتقاه وتوقاه وأصل الشر الظهور فهو ظهـور الضرر ومنـه شررت الثوب إذا ظهرته للشمس أو الريح قال « وَحَتّى أُشِرَّتْ بِالأَكُفِّ الْمَصٰـاحِفُ »[١] أي أظهرت ومنه شرر النار لظهوره بتطايره والنضرة حسن الألوان ونبت ناضر ونضير ونضر والسرور إعتقاد وصول المنافع إليه في المستقبل وقال قوم هو لذة في القلب فحسب متعلقة بما فيه النفع وكل سرور فلا بدَّ له من متعلق كالسرور بالمال والولد والسرور بالإكرام والإجلال والسرور بالحمد والشكر والسرور بالثواب والأرائك الحجال فيها الأسرة واحدتها أريكة قال الزجاج الأريكـة كل ما يتكأ عليه من مِسْوَرَة[٢] أو غيرها والزمهرير أشدّ ما يكون من البرد والزنجبيل ضرب من القِرفة طيب الطعم يحذو اللسان ويربى بالعسل ويستدفع به المضارّ وإذا مزج به الشراب فاق في الألذاذ والعرب تستطيب الزنجبيل جداً قال الشاعر :

(١) قائله حصين بن حمام المري يذكر يوم صفين وصدره « فما برحوا حتى يرى الله صبرهم » .
(٢) المسورة : المتكأ من جلد.

كَأَنَّ الْقَرَنْفُلَ وَالزَّنْجَبِيلَ بَاتَا بِفِيهَا وَارْياً مَشُوراً[٣]

والسلسبيل الشراب السهل اللذيذ يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل والولدان الغلمان جمع وليد والسندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن والاستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق .

[ الإعراب ] وإذا رأيت ثم قال الزجاج العامل في ثم معنى رأيت والمعنى وإذا رأيت ببصرك ثم قال الفراء المعنى وإذا رأيت ما ثم وغلطه الزجاج في ذلك وقال إن ما تكون موصولة بقوله ثم على هذا التفسير ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة ولكن رأيت يتعدى في المعنى إلى ثم وأقول يجوز أن يكون مفعول رأيت محذوفاً ويكون ثم ظرفاً والتقدير وإذا رأيت ما ذكرناه ثم .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه بما أعدَّ للأبرار الموصوفين في الآيات الأولى من الجزاء فقال ﴿ **فوقيهم الله شر ذلك اليوم** ﴾ أي كفاهم الله ومنع منهم أهوال يوم القيامة وشدائده ﴿ **ولقيهم نضرة وسروراً** ﴾ أي استقبلهم بذلك ﴿ **وجزيهم** ﴾ أي وكافأهم ﴿ **بما صبروا** ﴾ أي بصبرهم على طاعته واجتناب معاصيه وتحمل محن الدنيا وشدائدها ﴿ **جنة** ﴾ يسكنونها ﴿ **وحريراً** ﴾ من لباس الجنة يلبسونه ويفرشونه ﴿ **متكئين** ﴾ أي جالسين جلوس الملوك ﴿ **فيها** ﴾ أي في الجنة ﴿ **على الأرائك** ﴾ أي الأسرة في الحجال عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل كلما يتكأ عليه فهو أريكة عن الزجاج وقيل الأرائك الفرش فوق الأسرة عن أبي مسلم ﴿ **لا يرون فيها** ﴾ أي في تلك الجنة ﴿ **شمساً** ﴾ يتأذون بحرِّها ﴿ **ولا زمهريراً** ﴾ يتأذون ببرده ﴿ **ودانية عليهم ظلالها** ﴾ يعني أن إفياء أشجار تلك الجنة قريبة منهم وقيل إن ظلال الجنة لا تنسخها الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا ﴿ **وذللت قطوفها تذليلاً** ﴾ أي وسخرت وسهل أخذ ثمارها تسخيراً إن قام ارتفعت بقدره وإن قعد نزلت عليه حتى ينالها وإن اضطجع تدلت حتى تنالها يده عن مجاهد وقيل معناه لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك ﴿ **ويطاف عليهم** ﴾ أي على هؤلاء الأبرار الموصوفين قبل ﴿ **بآنية من فضة وأكواب** ﴾ جمع كوب وهو إناء للشرب من غير عروة وقيل الأكواب الأقداح عن مجاهد ﴿ **كانت** ﴾ تلك الأكواب ﴿ **قواريراً** ﴾ أي زجاجات ﴿ **من فضة** ﴾ قال الصادق ( ع ) ينفذ البصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج والمعنى أن أصلها من فضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء

---

(٣) الأرى : العسل والمشور من شرت العسل شوراً والشور: موضع النحل الذي يعسل فيه.

القوارير فيرى من خارجها ما في داخلها قال أبو علي إن سئل فقيل كيف تكون القوارير من فضة وإنما القوارير من الرمل دونها فالقول في ذلك أن الشيء إذا قاربه شيء واشتدت ملابسته له قيل أنه من كذا وإن لم يكن منه في الحقيقة كقول البعيث :

أَلَا أَصْبَحت خَنْساءُ خارِمَةَ الْوَصْلِ وَضَنَّتْ عَلَيْنا وَالضَّنِينُ مِنَ الْبُخْلِ (٤)
وَصَدَّتْ فَأَعْدانا بِهِجْرٍ صُدُودُها وَهُنَّ مِنَ الْأَخْلافِ قَبْلَكَ وَالْمَطْلِ

وقال :

أَلا في سَبِيلِ اللَّهِ تَغْيِيرُ لِمَّتي وَوَجْهُكَ مِمّا في الْقَوارِير أَصْفَرُ

فعلى هذا يجوز قوارير من فضة أي هي في صفاء الفضة ونقائها ويجوز تقدير حذف المضاف أي من صفاء الفضة وقوارير الثانية بدل من الأولى وليست بتكرار وقيل أن قوارير كل أرض من تربتها وأرض الجنة فضة فلذلك كانت قواريرها مثل الفضة عن ابن عباس **﴿ قدروها تقديراً ﴾** أي قدروا الكأس على قدر ربّهم لا يزيد ولا ينقص من الري والضمير في قدَّروها للسقاة والخدم الذين يسقون فإنهم يقدرونها ثم يسقون وقيل قدروها على قدر ملء الكف أي كانت الأكواب على قدر ما اشتهوا لم تعظم ولم يثقل الكف عن حملها عن الربيع والقرظي وقيل قدروها في أنفسهم قبل مجيئها على صفة فجاءت على ما قدروا والضمير في قدروا للشاربين **﴿ويسقون فيها﴾** أي في الجنة **﴿ كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ﴾** قال مقاتل لا يشبه زنجبيل الدنيا وقال ابن عباس كل ما ذكره الله في القرآن مما في الجنة وسمّاه ليس له مثل في الدنيا ولكن سماه الله بالاسم الذي يعرف والزنجبيل مما كانت العرب تستطيبه فلذلك ذكره في القرآن ووعدهم أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة **﴿عيناً فيها تسمى سلسبيلاً﴾** أي تمزج الخمر بالزنجبيل والزنجبيل من عين تسمى تلك العين سلسبيلاً قال ابن الأعرابي لم أسمع السلبيل إلا في القرآن وقال الزجاج هو صفة لما كان في غاية السلاسة يعني أنها سلسلة تتسلسل في الحلق وقيل سمي سلسبيلا لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان عن أبي العالية ومقاتل وقيل سميت بذلك لأنها ينقاد ماؤها لهم يصرفونها حيث شاؤوا عن قتادة **﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾** مرَّ تفسيره **﴿ إذا رأيتهم ﴾** يعني إذا رأيت اولئك الولدان **﴿ حسبتهم لؤلؤاً منثوراً ﴾** من الصفاء وحسن المنظر والكثرة فذكر لونهم وكثرتهم وقيل إنما

(٤) الخارم التارك.

شبههم بالمنثور لانتشارهم في الخدمة فلو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم ﴿ وإذا رأيت ثم ﴾ أي إذا رميت ببصرك ثَمَّ يعني الجنة وقيل أن تقديره وإذا رأيت الأشياء ثَمَّ ﴿ رأيت نعيماً ﴾ خطيراً ﴿ وملكاً كبيراً ﴾ لا يزول ولا يفنى عن الصادق (ع) وقيل كبيراً أي واسعاً يعني أن نعيم الجنة لا يوصف كثرة وإنما يوصف بعضها وقيل الملك الكبير إستئذان الملائكة عليهم وتحيتهم بالسلام وقيل هو أنهم لا يريدون شيئاً إلا قدّروا عليه وقيل هو أن أدناهم منزلة ينظر في ملكه من مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل هو الملك الدائم الأبدي في نفاذ الأمر وحصول الأماني ﴿ عاليهم ثياب سندس ﴾ من جعله ظرفاً فهو بمنزلة قولك فوقهم ثياب سندس ومن جعله حالاً فهو بمنزلة قولك يعلوهم ثياب سندس وهو ما رقّ من الثياب فيلبسونها وروي عن الصادق (ع) أنه قال في معناه تعلوهم الثياب فيلبسونها ﴿ خضر واستبرق ﴾ وهو ما غلظ منها ولا يراد به الغلظ في السلك إنما يراد به الثخانة في النسج قال ابن عباس أما رأيت الرجل عليه ثياب والذي يعلوها أفضلها ﴿ وحلوا أساور من فضة ﴾ الفضة الشفافة وهي التي يرى ما وراءها كما يرى من البلورة وهو أفضل من الدر والياقوت وهما أفضل من الذهب والفضة فتلك الفضة أفضل من الذهب والفضة في الدنيا وهما أثمان الأشياء وقيل أنهم يحلون بالذهب تارة وبالفضة أخرى ليجمعوا محاسن الحلية كما قال الله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب والفضة وإن كانت دنية الثمن في الدنيا فهي في غاية الحسن خاصة إذا كانت بالصفة التي ذكرناها والغرض في الآخرة ما يكثر الاستلذاذ والسرور به لا ما يكثر ثمنه لأنه ليست هناك أثمان ﴿ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ﴾ أي طاهراً من الأقذار والإقذاء لم تدنسها الأيدي ولم تدسها الأرجل كخمر الدنيا وقيل طهوراً لا يصير بولاً نجساً ولكن يصير رشحاً في أبدانهم كريح المسك وإن الرجل من أهل الجنة يقسم له شهوة مائة رجل من أهل الدنيا وأكلهم ونهمتهم فإذا أكل ما شاء سقي شراباً طهوراً فيطهر بطنه ويصير ما أكل رشحاً يخرج من جلده أطيب ريحاً من المسك الأذفر ويضمر بطنه وتعود شهوته عن إبراهيم التميمي وأبي قلابة وقيل يطهرهم عن كل شيء سوى الله إذ لا طاهر من تدنس بشيء من الأكوان إلا الله رووه عن جعفر بن محمد (ع) ﴿ إن هذا ﴾ يعني ما وصف من النعيم وأنواع الملاذ ﴿ كان لكم جزاء ﴾ أي مكافأة على أعمالكم الحسنة وطاعتكم المبرورة ﴿ وكان سعيكم ﴾ في مرضاة الله وقيامكم بما أمركم الله به ﴿ مشكوراً ﴾ أي مقبولاً مرضياً جوزيتم عليه فكأنه شكر لكم فعلكم .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ
وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ
هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ
فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وما يشاؤون بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة عبد الله بن الزبير وأبان بن عثمان والظالمون بالواو .

[ **الحجة** ] وجه الياء قوله تعالى ﴿**فمن شاء اتخذ**﴾ ووجه التاء أنه خطاب للكافة أي وما تشاؤون الطاعة والاستقامة إلا أن يشاء الله أو يكون محمولاً على الخطاب وأما قوله ﴿ **والظالمون** ﴾ فإنه على ارتجال جملة مستأنفة قال ابن جني كأنه قال الظالمون أعدَّ لهم عذاباً أليماً ثم أنه عطف الجملة على ما قبلها وقد سبق الرفع إلى مبتدئها غير أن قراءة الجماعة أسبق وهو النصب لأن معناه ويعذب الظالمين فلما أضمر هذا الفعل فسَّره بقوله ﴿ **أعدَّ لهم عذاباً أليماً** ﴾ وهذا أكثر من أن يؤتى له بشاهد قال الزجاج يقول النحويون أعطيت زيداً وعمراً أعددت له براً فيختارون النصب على معنى وبررت عمراً أعددت له براً وأنشد غيره :

أَصْبَحْتُ لا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا
وَالذِّئْبُ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَاحَ وَالْمَطَرَا

[ **اللغة** ] الأسر أصله الشد ومنه قتب مأسور أي مشدود ومنه الأسير لأنهم كانوا يشدونه بالقدر قولهم خذ بأسره أي بشده قبل أن يحل ثم كثر حتى صار بمعنى خذ جميعه قال الأخطل :

مِنْ كُـلِّ مُجْـتَنَبٍ شَـدِيـدٌ أَسْـرُهُ سَلِسُ الْقِيَـادُ تَخَـالُـهُ مُخْتَـالاً(١)

[ الإعراب ] قال الزجاج في قوله ولا تطع منهم آثماً وكفوراً أو هنا اوكد من الواو لأنك إذا قلت لا تطع زيداً وعمراً فأطاع أحدهما كان غير عاص لأنك أمرته أن لا يطيع الإثنين وإذا قلت لا تطع منهم آثماً أو كفوراً فأوقد دلت على أن كل واحد منهما أهل أن يعصي وأنهما أهل أن يعصيا كما أنك إذا قلت جالس الحسن أو ابن سيرين فقد قلت كل واحد منهما أهل أن يجالس قال البصير النحوي أو هـذه التي للتخيير إذا قلت اضـرب زيداً أو عمـراً فمعناه اضرب أحدهما فإذا قلت لا تضرب زيداً أو عمـراً فمعناه لا تضـرب أحدهمـا فيحرم عليـه ضربهما لأن أحدهما في النفي يعمّم وابن كيسان يحمل النهي على الأمر فيقول إذا قال لا تضرب أحدهما لم يحرم عليه ضربهما وإنما حرم في الآية طاعتهما لأن أحدهما بمنزلة الآخر في إمتناع الطاعة له ألا ترى أن الآثم مثل الكفور في هذا المعنى قال سيبويه ولو قال لا تطع آثماً ولا تطع كفوراً لانقلب المعنى إذ ذاك لأنه حينئذ لا تحرم طاعتهما كليهما .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن نفسه فقال ﴿ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ﴾ فيه شرف وتعظيم لك وقيل معناه فصلناه في الإنزال آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة عن ابن عباس ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على ما أمرتك به من تحمل أعباء الرسالة ﴿ لحكم ربك ﴾ أن تبلغ الكتاب وتعمل به وقيل أنه أمر لنبينا ﷺ بالصبر وإن كذب فيما أتى به ووعيد لمن كذبه ﴿ ولا تطع منهم ﴾ أي من مشركي مكة ﴿ آثماً ﴾ يعني عتبة بن ربيعة ﴿ أو كفوراً ﴾ يعني الوليد بن المغيرة فإنهما قالا له ارجع عن هذا الأمر ونحن نرضيك بالمال والتزويج عن مقاتل وقيل الكفور أبو جهل نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقال لئن رأيت محمداً يصلي لا طأنّ عنقه فنزلت الآية عن قتادة وقيل أن ذلك عام في كل عاص فاسق وكافر منهم أي من الناس أي لا تطع من يدعوك إلى إثم أو كفر وهذا أولى لزيادة الفائدة وعدم التكرير ﴿ واذكـر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴾ أي أقبل على شأنك من ذكر الله والدعاء إليه وتبليغ الرسالة صباحاً ومساء أي دائماً فإن الله ناصرك ومؤيدك ومعينك والبكرة أول النهار والأصيل العشي وهو أصـل الليل ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾ دخلت من للتبعيض والمعنى فاسجد له في بعض الليل لأنـه لم يأمره بقيام الليل كله وقيل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ أي

(١) يصف خيلاً: والمجتنب: الذي يجنبه صاحبه بجانب فرسه ولا يركب عليه: وشـديد الأسـر: قوي. ومختـالاً أي تحسبه من نشاطه فيه إختيال لحسن مشيته .

في ليل طويل يريد التطوع بعد المكتوبة وروي عن الرضا ( ع ) أنه سأله أحمد بن محمد عن هذه الآية وقال ماذلك التسبيح قال صلاة الليل ﴿ **إن هؤلاء يحبون العاجلة** ﴾ أي يؤثرون اللذات والمنافع العاجلة في دار الدنيا ﴿ **ويذرون وراءهم** ﴾ أي ويتركون أمامهم ﴿ **يوماً ثقيلاً** ﴾ أي عسيراً شديداً والمعنى أنهم لا يؤمنون به ولا يعملون له وقيل معنى وراءهم خلف ظهورهم وكلاهما محتمل ثم قال سبحانه ﴿ **نحن خلقناهم وشددنا أسرهم** ﴾ أي قوينا وأحكمنا خلقهم عن قتادة ومجاهد وقيل أسرهم أي مفاصلهم عن الربيع وقيل أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب عن الحسن ولولا إحكامه إياها على هذا الترتيب لما أمكن العمل بها والانتفاع منها وقيل شددنا أسرهم جعلناهم أقوياء عن الجبائي وقيل معناه كلّفناهم وشددناهم بالأمر والنهي كيلا يجاوزوا حدود الله كما يشد الأسير بالقد لئلا يهرب ﴿ **وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً** ﴾ أي أهلكناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلاً منهم ولكن نبقيهم اتماماً للحجة ﴿ **إن هذه** ﴾ السورة ﴿ **تذكرة** ﴾ أي تذكير وعظة يتذكر بها أمر الآخرة عن قتادة وقيل أن هذه الرسالة التي تبلغها ﴿ **فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً** ﴾ أي فمن أراد اتّخذ إلى رضا ربه طريقاً بأن يعمل بطاعته وينتهي عن معصيته وفي هذا دلالة على أن الاستطاعة قبل الفعل ﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله** ﴾ أي وما تشاؤون اتخاذ الطريق إلى مرضاة الله اختياراً إلا أن يشاء الله إجباركم عليه والجاءكم إليه فحينئذ تشاؤون ولا ينفعكم ذلك والتكليف زائل ولم يشأ الله هذه المشيئة بل شاء أن تختاروا الإيمان لتستحقوا الثواب عن أبي مسلم وقيل معناه وما تشاؤون شيئاً من العمل بطاعته إلا والله يشاؤه ويريده وليس المراد بالآية أنه سبحانه يشاء كل ما يشاء العبد من المعاصي والمباحات وغيرها لأن الدلائل الواضحة قد دلت على أنه سبحانه لا يجوز أن يريد القبائح ويتعالى عن ذلك وقد قال سبحانه ولا يريد بكم العسر وما الله يريد ظلماً للعباد ﴿ **إن الله كان عليماً حكيماً** ﴾ مر معناه ﴿ **يدخل من يشاء في رحمته** ﴾ أي جنته يعني المؤمنين ﴿ **والظالمين** ﴾ يعني ويجزي الكافرين والمشركين ﴿ **أعد لهم عذاباً أليماً** ﴾ .

# (٧٧) سورة المرسلات مكية وآياتها خمسون

وهي خمسون آية بلا خلاف .

[ فضلها ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة والمرسلات كتب أنه ليس من المشركين وروي عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأها عرف الله بينه وبين محمد ﷺ .

[ تفسيرها ] لما ختم سبحانه سورة هل أتى بذكر القيامة وما أعد فيها للظالمين افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ
نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ
نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾
وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ
أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ
مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الحجاز والشام وأبو بكر ويعقوب وسهل عذراً ساكنة الذال أو نذراً

بضمها وروى محمد بن الحبيب عن الأعشى والبرجمي عن أبي بكر بضم الذال فيهما ومحمد بن خالد عن الأعشى عذراً بسكون الذال أو نذراً بضمها مثل رواية حماد ويحيى عن أبي بكر وقرأ الباقون بسكون الذال فيهما وقرأ أبو جعفر وقتت بالواو والتخفيف وقرأ أهل البصرة غير رويس بالواو والتشديد وقرأ الباقون اقتت بالألف وتشديد القاف .

[ **الحجة** ] قال أبو علي النذر بالتثقيل والنذير مثل النكر والنكير وهما جميعاً مصدران ويجوز في النذير ضربان ( أحدهما ) أن يكون مصدراً كالنكير وعذير الحي ( والآخر ) أن يكون فعيلاً يراد به المنذر كما أن الأليم بمعنى المؤلم ويجوز تخفيف النذر على حد التخفيف في العنق والعُنُق والأُذُن والاذن قال أبو الحسن عذراً أو نذراً أي اعذاراً أو انذاراً وقد خففتا جميعاً وهما لغتان فأما انتصاب عذراً فعلى ثلاثة أضرب ( أحدها) أن يكون بدلاً من الذكر في قوله فالملقيات ذكراً ( والآخر ) أن يكون مفعول ذكراً أي فالملقيات أن يذكر عذراً أو نذراً ( والثالث ) أن يكون منصوباً على أنه مفعول له ويجوز في قول من ضم عذراً أو نذراً ( والثالث ) أن يكون منصوباً على أنه مفعول له ويجوز في قول من ضم عذراً أو نذراً أن يكون عُذُراً جمع عاذر أو عذور والنُذُر جمع نذير قال حاتم :

أَمَاوِيَّ قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْهَجْرُ وَقَدْ عَذَرَتْني في طِلَابِكُمُ الْعُذُرُ(١)

فيكون عذراً أو نذراً على هذا حالاً من الإلقاء كأنهم يلقون الذكر في حال العذر والانذار ومن قرأ وقتت بالواو فلأن الكلمة أصلها من الوقت ومن أبدل منها الهمزة فلانضمام الواو والواو إذا انضمت أولا في نحو وجوه ووعود وثالثة في نحو ادؤر فإنها تبدل على الاطراد همزة لكراهتهم الضمة على الواو .

[ **المعنى** ] ﴿ **والمرسلات عرفاً** ﴾ يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي صالح فعلى هذا يكون عرفاً نصباً على الحال من قولهم جاءوا إليه عرفاً واحداً أي متتابعين وقيل إنها الملائكة أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه وفي رواية أخرى عن ابن مسعود وعن أبي حمزة الثمالي عن أصحاب علي عنه ( ع ) وعلى هذا يكون مفعولاً له وقيل المراد بها الأنبياء جاءت بالمعروف والارسال نقيض الامساك ﴿ **فالعاصفات عصفاً** ﴾ يعني الرياح الشديدات الهبوب والعصوف مرور الريح بشدة

---

(١) ماوى مرخم ماوية : اسم امرأة حاتم وقال في شرح الأشموني « ماوى » : هو اسم امرأته . وكانت تلومه على اسرافه وتبذيره وهذا البيت مطلع قصيدة قالها في الجواب عن امرأته .

﴿ والناشرات نشراً ﴾ وهي الرياح التي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشراً للغيث كما تلقحه للمطر وقيل أنها الملائكة تنشر الكتب عن الله تعالى عن أبي حمزة الثمالي وأبي صالح وقيل أنها الأمطار تنشر النبات عن أبي صالح في رواية أخرى وقيل الرياح ينشرها الله تعالى نشراً بين يدي رحمته عن الحسن وقيل الرياح تنشر السحاب في الهواء عن الجبائي ﴿ **فالفارقات فرقاً** ﴾ يعني الملائكة تأتي بما يفرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام عن ابن عباس وأبي صالح وقيل هي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال عن الحسن وأبي حمزة وقتادة وقيل أنها الرياح التي تفرق بين السحاب فتبدده عن مجاهد ﴿ **فالملقيات ذكراً** ﴾ يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء وتلقيه الأنبياء إلى الأمم عن ابن عباس وقتادة كأنها الحاملات للذكر الطارحات له ليأخذه من خوطب به والالقاء طرح الشيء على غيره ﴿ **عذراً أو نذراً** ﴾ أي للاعذار والانذار ومعناه اعذاراً من الله وانذاراً إلى خلقه وقيل عذراً يعتذر الله به إلى عباده في العقاب أنه لم يكن إلا على وجه الحكمة ونذراً أي اعلاماً بموضوع المخافة عن الحسن وهذه أقسام ذكرها الله تعالى وقيل أقسم الله سبحانه برب هذه الأشياء عن الجبائي قال لا يجوز القسم إلا بالله سبحانه وقال غيره بل أقسم بهذه الأشياء تنبيهاً على عظم موقعها ﴿ **إنما توعدون لواقع** ﴾ هذا جواب القسم والمعنى أن الذي وعدكم الله به من البعث والنشور والثواب والعقاب لكائن لا محالة وقيل إن الفرق بين الواقع والكائن أن الواقع لا يكون إلا حادثاً تشبيهاً بالحائط الواقع لأنه من أبين الأشياء في الحدوث والكائن أعم منه لأنه بمنزلة الموجود الثابت يكون حادثاً وغير حادث ثم بيَّن سبحانه وقت وقوعه فقال ﴿ **فإذا النجوم طمست** ﴾ أي محيت آثارها واذهب نورها وأزيل ضوؤها ﴿ **وإذا السماء فرجت** ﴾ أي شقت وصدعت فصار فيها فروج ﴿ **وإذا الجبال نسفت** ﴾ أي قلعت من مكانها كقوله سبحانه ينسفها ربي نسفاً وقيل نسفت أذهبت بسرعة حتى لا يبقى لها أثر في الأرض ﴿ **وإذا الرسل أقتت** ﴾ أي جمعت لوقتها وهو يوم القيامة لتشهد على الأمم وهو قوله ﴿ **لأي يوم أجلت** ﴾ أي أخرت وضرب لهم الأجل لجمعهم تعجب العباد من ذلك اليوم عن إبراهيم ومجاهد وابن زيد وقيل اقتت معناه عرفت وقت الحساب والجزاء لأنهم في الدنيا لا يعرفون متى تكون الساعة وقيل عرفت ثوابها في ذلك اليوم وقال الصادق عليه السلام اقتت أي بعثت في أوقات مختلفة ثم بيَّن سبحانه ذلك اليوم فقال ﴿ **ليوم الفصل** ﴾ أي يوم يفصل الرحمن بين الخلائق ثم عظم ذلك اليوم فقال ﴿ **وما أدراك ما يوم الفصل** ﴾ ثم أخبر سبحانه حال من كذب به فقال ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ هذا تهديد ووعيد إنما خصَّ الوعيد بمن جحدوا يوم القيامة وكذب به لأن التكذيب بذلك يتبعه خصال المعاصي كلها وإن لم يذكر معه والعامل

في الظرف محذوف يدل عليه قوله إنما توعدون لواقع والتقدير فإذا طمست النجوم وفرجت السماء ونسفت الجبال واقتت الرسل وقعت القيامة .

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة والكسائي فقدرنا بالتشديد والباقون فقدرنا بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الأعرج نتبعهم بالجزم .

[ **الحجة** ] قد تقدم أن قدر وقدّر بمعنى والتخفيف أليق بقوله فنعم القادرون ومن شدَّ أراد أن يجيء باللغتين كما يقال جادٌّ مجِدّ[1] وكقوله سبحانه فمهل الكافرين أمهلهم ومن جزم نتبعهم فإنه يحتمل أمرين ( أحدهما ) أنه اسكن العين استثقالاً لتوالي الحركات ( والثاني ) أن يكون عطفاً على نهلك كما تقول ألم أزرك ثم أحسن إليك فيكون معنى هذه القراءة أنه يريد قوماً أهلكهم الله سبحانه بعد قوم قبلهم على اختلاف أوقات المرسلين إليهم نبيّاً بعد نبي وأما الرفع على القراءة المشهورة فلاستئناف الكلام أو على أن يجعل خبر مبتدأ محذوف .

[ **اللغة** ] القرار المكان الذي يمكن طول المكث فيه والقدر المقدر المعلوم الذي لا زيادة فيه ولا نقصان والقدر المصدر من قولهم قَدَر يقدِر قَدْراً وقَدَراً أي قدر فمن شدد جمع بين اللغتين كما قال الأعشى :

(١) فلان جاد مجد أي مجتهديقال : جد الرجل في أمره إذا بلغ فيه جده، واجد لغة فجمع بينهما في الكلام هيهنا .

وَأَنْكَرَتْني وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرَتْ مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا[(١)]

وكفت الشيء يكفته كفتاً وكفاتاً إذا ضمه ومنه الحديث اكفتوا صبيانكم أي ضمّوهم إلى أنفسكم ومثله ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء ويقال للوعاء كفت وكفيت وقال أبو عبيدة كفاتاً أي أوعية والرواسي الثوابت والشامخات العاليات ومنه شمخ بأنفه إذا رفعه كبراً وماء فرات وزلال وعذب ونمير كله من العذوبة والطيب ومنه سمي النهر العظيم المعروف بالفرات قال الشاعر :

إِذَا غَابَ عَنَّا غَابَ عَنَّا فُرَاتُنَا وَإِنْ شَهِدَ أَجْدَى نَيْلُهُ وَفَوَاضِلُه[(٢)]

قال ابن عباس أصول الأنهار العذبة أربعة جيحان ومنه دجلة وسيحان نهر بلخ وفرات الكوفة ونيل مصر .

[ **الإعراب** ] أحياء منصوب بأنه مفعول قوله كفاتاً معناه أن يكفت أحياء وأمواتاً فعلى هذا يكون كفاتاً مصدراً وإن جعلته جمع كفت فيكون العامل في احياء معناه والتقدير واعية أحياء أو تعي احياء .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه ما فعله بالمكذبين الأولين فقال ﴿ **ألم نهلك الأولين** ﴾ يعني بالعذاب في الدنيا يريد قوم نوح وعاد وثمود حين كذبوا رسلهم ﴿ **ثم نتبعهم الآخرين** ﴾ قوم لوط وإبراهيم لم يعطف نتبعهم على نهلك فيجزم بل استأنف وقال المبرد تقديره ثم نحن نتبعهم لا يجوز غيره لأن قوله ألم نهلك ماض وقوله ثم نتبعهم مستقبل ويؤيده قول الحسن أن الآخرين هم الذين تقوم عليهم القيامة ﴿ **كذلك نفعل بالمجرمين** ﴾ أي كما فعلنا بمن تقدم نفعل بالمكذبين من أهل مكة وقد فعل بهم ذلك فقتلوا يوم بدر وقد يكون الإهلاك بتصيير الشيء إلى حيث لا يدرى أين هو إما بإعدامه أو بإخفاء مكانه وقد يكون بالأمانة وقد يكون بالنقل إلى حال الجمادية ﴿ **ويل يومئذ** ﴾ يعني يوم الجزاء ﴿ **للمكذبين** ﴾ فإنهم يجازون بأليم العقاب ﴿ **ألم نخلقكم من ماء مهين** ﴾ أي حقير قليل الغناء وفي خلق الإنسان على هذا الكمال من الحواس الصحيحة والعقل الشريف والتمييز والنطق من ماء ضعيف أعظم الاعتبار وأبين الحجة على أن له صانعاً مديراً حكيماً والجاحد لذلك كالمكابر لبداية العقول ﴿ **فجعلناه** ﴾ أي فجعلنا ذلك الماء المهين ﴿ **في قرار مكين** ﴾ يعني الرحم

---

(١) الصلع : انحسار شعر مقدم الرأس.

(٢) أجدى فلان أي أعطى .

﴿ **إلى قدر معلوم** ﴾ أي إلى مقدار من الوقت معلوم يعني مدة الحمل ﴿ **فقدرنا** ﴾ أي قدرنا خلقه كيف يكون قصيراً أو طويلاً ذكراً أم أنثى ﴿ **فنعم القادرون** ﴾ أي فنعم المقدرون نحن ويجوز أن يكون المعنى إذا خفف من القدرة أي قدرنا على جميع ذلك فنعم القادرون على تدبير ذلك وعلى ما لا يقدر عليه أحد إلا نحن فحذف المخصوص بالمدح ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ بأنا قد خلقنا الخلق وأنا نعيدهم ﴿ **ألم نجعل الأرض كفاتاً** ﴾ للعباد تكفتهم ﴿ **أحياء** ﴾ على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم ﴿ **أمواتاً** ﴾ في بطنها أي تحوزهم وتضمهم عن قتادة ومجاهد والشعبي قال بنان خرجنا في جنازة مع الشعبي فنظر إلى الجنازة فقال هذه كفات الأموات ثم نظر إلى البيوت فقال هذه كفات الأحياء وروي ذلك عن أمير المؤمنين ( ع ) وقيل كفاتاً أي وعاء وهذا كفته أي وعاءه وقوله أحياء وأمواتاً أي منه ما ينبت ومنه مالا ينبت فعلى هذا يكون احياء وأمواتاً نصباً على الحال وعلى القول الأول على المفعول به ﴿ **وجعلنا فيها رواسي شامخات** ﴾ أي جبالاً ثابتة عالية ﴿ **وأسقيناكم ماء فراتاً** ﴾ أي وجعلنا لكم سقياً من الماء العذب عن ابن عباس ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ بهذه النعم وأنها من جهة الله وقيل بالأنبياء والقرآن وإنما كرّر لأنه عدَّد النعم فذكره عند كل نعمة فلا يعدّ ذلك تكراراً وقد تقدّم الوجه في التكرار في سورة الرحمن .

﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾
فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ رويس عن يعقوب انطلقوا الثانية بفتح اللام والباقون من القراء على كسر اللام فيهما وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر جمالة بغير ألف ويعقوب جمالات صفر بالألف وضم الجيم وروي ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما وقرأ الباقون جمالات بالألف

وكسر الجيم وفي الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير بخلاف كالقصر بفتح القاف والصاد .

[ **الحجة** ] من قرأ انطلقوا الثانية بالفتح فإنه حمل الأول على الأمر والثاني على الخبر وجمالات جمع جمال وجمع بالألف والتاء على تصحيح البناء كما جمع على تكسيره في قولهم جمائل قال ذو الرمة :

وَقَرَّبْنَ بِالزُّرْقِ الْجَمَائِلَ بَعْدَمَا تَقَوَّبَ عَنْ غِرْبَانِ أَوْرَاكِهَا الْخَطْرُ[1]

وأما جمالة فإن التاء لحقت جمالاً لتأنيث الجمع كما لحقت في فحل وفحالة وذكر وذكارة ومن قرأ جمالات بالضم فهي جمع جمالة وهو القَلْس[2] من قلوس سفن البحر ويقال من قلوس الجسر قال الزجاج ويجوز أن يكون جمع جمل جمال وجمالات كما قيل رُخال جمع رخل ومن قرأ كالقَصَر بفتح الصاد فهو جمع قصرة أي كأنها أعناق الإبل وقيل القَصَر أصول الشجر واحدتها قصرة وكذا قرأها مجاهد قال وهي خرم الشجر قال الحسن قصرة وقصر مثل جمرة وجَمَر وهي أصول الشجر قال والعامة يجعلونها على القصور قال ابن جني وحدثنا أبو علي أن القصر هنا بمعنى القصور وقال هي بيوت من أدم كان يضربون بها إذا نزلوا على الماء .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه ما يقال لهم جزاء على تكذيبهم فقال ﴿ **انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون** ﴾ أي تقول لهم الخزنة إذهبوا وسيروا إلى النار التي كنتم تجحدونها وتكذبون بها ولا تعترفون بصحتها في الدنيا والانطلاق الانتقال من مكان إلى مكان من غير مكث ثم ذكر الموضع الذي أمرهم بالانطلاق إليه فقال ﴿ **انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب** ﴾ أي نار لها ثلاث شعب سمّاها ظلا لسواد نار جهنم وقيل هو دخان جهنم له ثلاث شعب تحيط بالكافر شعبة تكون فوقه وشعبة عن يمينه وشعبة عن شماله وسمي الدخان ظلاً كما قال أحاط بهم سرادقها أي من الدخان الآخر بالأنفاث عن مجاهد وقتادة وقيل يخرج من النار لسان فيحيط بالكافر كالسرادق فيتشعب ثلاث شعب فيكون فيها حتى يفرغ من الحساب ثم وصف سبحانه ذلك الظل فقال ﴿ **لا ظليل** ﴾ أي غير مانع من الأذى بستره عنه ومثله الكنين فالظليل من

(١) الزرق: اكثبة بموضع يقال له الدهناء. والجمائل جمع جمل. والغربان هنا: رؤوس الأوراك. وتقوب؛ تقطع وخطر البعير بذنبه يخطر: إذا رفعه وحطه نشاطاً يريدان خطر الجمال بأوراكها أحدث فيها قوياً فتقطعت وفي اللسان؛ الخطر: ما لصق بالوركين من البول؛ ثم استشهد بالبيت .

(٢) القلس ـ كفلس : حبل للسفينة ضخم من ليف وقيل من خوص وقيل من غيرهما .

الظلة وهي السترة والكنين من الكن فظل هذا الدخان لا يغني الكفار شيئاً من حر النار وهو قوله ﴿ ولا يغني من اللهب ﴾ واللهب ما يعلو على النار إذا اضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر يعني أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حرّ اللهب ثم وصف سبحانه النار فقال ﴿ إنها ترمي بشرر ﴾ وهو ما يتطاير من النار في الجهات ﴿ كالقصر ﴾ أي مثله في عظمه وتخويفه تتطاير على الكافرين من كل جهة نعوذ بالله منه وهو واحد القصور من البنيان عن ابن عباس ومجاهد والعرب تشبه الإبل بالقصور قال الأخطل :

كَأَنَّهُ بُرْجُ رُومِيٍّ يُشَيِّدُهُ لُزَّ بِجَصٍّ وآجُرٍّ وَأَحْجَارِ(١)

قال عنترة :

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا فَدَنٌ لأَقْضِيَ حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ (٢)

والفدن القصر وقيل كالقصر أي كأصول الشجر العظام عن قتادة والضحاك وسعيد بن جبير ثم شبَّهه في لونه بالجمالات الصفر فقال ﴿ كأنه جمالت صفر ﴾ أي كأنها أينق سود لما يعتري سوادها من الصفرة عن الحسن وقتادة قال الفراء لا ترى أسود من الإبل إلا وهو مشرب صفرة ولذلك سمت العرب سود الإبل صفراء وقيل هو من الصفرة لأن النار تكون صفراء عن الجبائي ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ بنار هذه صفتها ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ قيل في معناه قولان ( أحدهما ) أنهم لا ينطقون بنطق ينتفعون به فكأنهم لم ينطقوا ( والثاني ) أن في القيامة مواقف ففي بعضها يختصمون ويتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم ولا يتكلمون وعن قتادة قال جاء رجل إلى عكرمة قال أرأيت قول الله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال إنها مواقف فأما موقف منها فتكلموا واختصموا ثم ختم على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم فحينئذ لا ينطقون وأجاز النحويون هذا يوم لا ينطقون بالنصب على أنه يشير إلى الجزاء ولا يشير إلى اليوم وقوله فيعتذرون رفع عطفاً على قوله ولا يؤذن لهم تقديره فلا يعتذرون ولو قيل فلا يعتذروا فنصب لكان المعنى أن الاذن سبب لعذرهم ولكن المعنى لا يؤذن لهم في الاعتذار فهم لا يعتذرون ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ بهذا الخبر ﴿ هذا يوم الفصل ﴾ بين أهل الجنة والنار وقيل هذا يوم الحكم والقضاء بين الخلق

---

(١) لز الشيء بالشيء . شده وألصقه .

(٢) التلوم : الانتظار .

والانتصاف للمظلوم من الظالم وفصل القضاء يكون في الآخرة على ظاهر الأمر وباطنه بخلاف الدنيا لأن القاضي يحكم على ظاهر الأمر في الدنيا ولا يعرف البواطن ﴿ **جمعناكم والأولين** ﴾ يعني مكذبي هذه الأمة مع مكذبي الأمم قبلها يجمع الله سبحانه الخلائق في يوم واحد وفي صعيد واحد ﴿ **فإن كان لكم كيد فكيدون** ﴾ أي إن كانت لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم وقيل إن هذا توبيخ من الله تعالى للكفار وتقريع لهم واظهار لعجزهم عن الدفع عن أنفسكم فضلاً عن أن يكيدوا غيرهم وإنما هو على أنكم كنتم تعملون في دار الدنيا ما يغضبني فالآن عجزتم عن ذلك وحصلتم على وبال ما عملتم ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ بهذا

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال ﴿ **إن المتقين** ﴾ الذين اتقوا الشرك والفواحش ﴿ **في ظلال** ﴾ من أشجار الجنة ﴿ **وعيون** ﴾ جارية بين أيديهم في غير اخدود لأن ذلك امتع لهم بما يرونه من حسن مياهها وصفائها وقيل عيون أي ينابيع بما يجري خلال الأشجار ﴿ **وفواكه** ﴾ جمع فاكهة وهي ثمار الأشجار ﴿ **مما يشتهون** ﴾ أي من جنس ما يشتهونه والشهوة معنى في القلب إذا صادف المشتهى كان لذة وضدّها النفار ثم يقال لهم ﴿ **كلوا واشربوا** ﴾ صورته صورة الأمر والمراد الإباحة وقيل إنه أمر على الحقيقة وهو سبحانه يريد منهم الأكل والشرب في الجنة فإنهم إذا اعلموا ذلك ازداد سرورهم فلا يكون إرادته لذلك عبثاً ﴿ **هنيئاً بما كنتم تعملون** ﴾ في دار الدنيا أي خالصاً من التكدير والهنيء النفع الخالص من شائب الأذى وقيل هو الأذى الذي لا أذى يتبعه ﴿ **انا كذلك نجزي المحسنين** ﴾ هذا ابتداء الإخبار من الله تعالى ويقال لهم ذلك أيضاً ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ بهذا

الـوعد، ثم عـاد الكلام إلى ذكـر المكـذبين فقـال سبحـانـه ﴿ **كلوا** ﴾ أي يقـال لهم كلوا ﴿ **وتمتعوا** ﴾ في الدنيا ﴿ **قليلاً** ﴾ أي تمتعاً قليلاً أو زماناً قليلاً فإن المـوت كائن لا محـالة ﴿ **إنكم مجرمون** ﴾ أي مشركون مستحقون للعقاب ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ بهذا الوعيد ﴿ **وإذا قيل لهم اركعوا** ﴾ أي صلّوا ﴿ **لا يركعون** ﴾ أي لا يصلون قال مقاتل نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله بالصلاة فقالوا لا ننحني والرواية لا نحني فإن ذلك سبَّة علينا فقال ﷺ لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود وقيل إن المراد بذلك يـوم القيامـة حين يدعـون إلى السجود فلا يستطيعون عن ابن عباس ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ بوجوب الصلاة والعبادات ﴿ **فبأي حديث بعده يؤمنون** ﴾ أي فبأي كتاب بعد القرآن يصدقون ولم يصدقوا به مع إعجازه وحسن نظمه فإن من لم يؤمن به مع ما فيه من الحجة الظاهرة والآية الباهرة لا يؤمن بغيره .

# (٧٨) سورة النبأ مكية وآياتها أربعون

وتسمى سورة النبأ وسورة المعصرات ومنهم من يقول سورة التساؤل وهي مكية .

**[ عدد آيها ]**

إحدى وأربعون آية مكي وبصري وأربعون في الباقين .

**[ اختلافها ]** آية واحدة عذاباً قريباً مكي بصري .

**[ فضلها ]** أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة ﴿ عمَّ يتساءلون ﴾ سقاه الله برد الشراب يوم القيامة وروي عن أبي عبد الله ( ع ) أنه قال من قرأ عمَّ يتساءلون لم يخرج سنته إذا كان يدمنها في كل يوم حتى يزور البيت الحرام .

**[ تفسيرها ]** لمّا ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر القيامة ووعيد المكذّبين بها افتتح هذه السورة بذكرها وذكر دلائل القدرة على البعث والإعادة فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ
مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ
أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢
وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤
لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة عكرمة وعيسى بن عمر عما يتساءلون وقرأ ابن الزبير وابن عباس وقتادة وأنزلنا بالمعصرات .

[ **الحجة** ] قال ابن جني إثبات الألف في ما الإستفهامية إذا دخل عليها حرف جر أضعف اللغتين ورويناعن قطرب لحسان :

عَلىٰ مَا قَامَ يَشْتِمُني لَئِيمٌ كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ في رِمَادٍ[1]

وقال في قوله بالمعصرات إذا أنزل منها فقد أنزل بها كقولهم أعطيته من يدي شيئاً وبيدي شيئاً والمعنى واحد ومعنى من هنا ابتداء الغاية أي كان مبتدأ العطية من يده .

[ **اللغة** ] النبأ الخبر العظيم الشأن ومنه النبيء على مذهب من يهمز والمهاد الوطاء ومهد الشيء تمهيداً أي وطأه توطية والوتد المسمار إلا أنه أغلظ منه والسبات قطع العمل للراحة ومنه سبت أنفه إذا قطعه ومنه يوم السبت أي يوم قطع العمل على ما جرت به العادة في شرع موسى (ع ) والوهاج الوقاد وهو المشتغل بالنور العظيم والمعصرات السحائب تعتصر بالمطر كأن السحاب يحمل الماء ثم تعصره الرياح وترسله كإرسال الماء بعصر الثور وعُصِرَ القوم مطروا والثجاج الدَّفاع في انصبابه كثج دماءِ البدن يقال ثجحت دمه أثجُّه ثجاً وقد ثج الدم يثج ثجوجاً وفي الحديث أفضل الحج العج فالثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج إسالة دم الهدي والألفاف الأخلاط المتداخلة يدور بعضها على بعض واحدها لف ولفيف وقيل شجرة لفاء وأشجار لف بضم اللام وجنات الفاف .

[ **الإعراب** ] عمَّ أصله عن ما جعل النون ميماً وأدغم في الميم وحذفت الألف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت كالجزء منه وليحصل الفرق بين الاستفهام والخبر وهذه الحروف التي تسقط معها هذه الألف ثمانية عَنْ تقول عمَّ ومِنْ تقول مِمَّ والباء نحو بِمَ واللام نحو لِمَ

---

(١) تمرغ في التراب: تقلب .

وفي نحو فِيمَ وإلى نحو إلى مَ وعلى نحو علىٰ مَ وحتى نحو حتّى مَ قال البصير جامع العلوم النحوي عن النبأ العظيم لا يكون بدلاً من عم لأنه لو كان بدلاً لوجب تكرار ما لأن الجار المتصل بحرف الاستفهام إذا أعيد أعيد مع الحرف المستفهم بها كقولك بكم ثوبك أبعشرين أم بثلاثين ولا يجوز بعشرين من غير همزة فإذا كان كذلك كان قوله عن النبأ متعلقاً بفعل آخر دون هذا الظاهر .

[ **المعنى** ] ﴿ **عم يتساءلون** ﴾ قالوا لما بعث رسول الله ﷺ وأخبرهم بتوحيد الله تعالى وبالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم أي يسأل بعضهم بعضاً على طريق الإنكار والتعجب فيقولون ماذا جاء به محمد وما الذي أتى به فأنزل الله تعالى عمَّ يتساءلون أي عن أيّ شيء يتساءلون قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام والمراد تفخيم القصة كما تقول أيّ شيء زيد إذا عظمت شأنه ثم ذكر أن تساءلهم عن ماذا فقال ﴿ **عن النبأ العظيم** ﴾ وهو القرآن ومعناه الخبر العظيم الشأن لأنه ينبىء عن التوحيد وتصديق الرسول والخبر عما يجوز وعما لا يجوز وعن البعث والنشور وقيل يعني نبأ يوم القيامة عن الضحاك وقتادة ويؤيّده قوله إن يوم الفصل كان ميقاتاً وقيل النبأ العظيم ما كانوا يختلفون فيه من إثبات الصانع وصفاته والملائكة والرسل والبعث والجنة والنار والرسالة والخلافة فإن النبأ معروف يتناول الكل ﴿ **الذي هم فيه مختلفون** ﴾ فمصدق به ومكذب ﴿ **كلا** ﴾ أي ليس الأمر كما قالوا ﴿ **سيعلمون** ﴾ عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الأمور ﴿ **ثم كلا سيعلمون** ﴾ هذا وعيد على أثر وعيد وقيل كلّا أي حقاً سيعلمون أي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم عن الضحاك وقيل كلا سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة ثم كلا سيعلمون ما ينالهم في جهنم من العذاب فعلى هذا لا يكون تكراراً ثم نبّهم سبحانه على وجه الاستدلال على صحة ذلك فقال ﴿ **ألم نجعل الأرض مهاداً** ﴾ أي وطاء وقراراً مهيئاً للتصرف فيه من غير أذية وقيل مهاداً أي بساطاً عن قتادة ﴿ **والجبال أوتاداً** ﴾ للأرض لئلا تميد بأهلها ﴿ **وخلقناكم أزواجاً** ﴾ أي أشكالاً كل واحد شكل للآخر وقيل معناه ذكراناً واناثاً حتى يصح منكم التناسل ويتمتع بعضكم ببعض وقيل أصنافاً أسود وأبيض وصغيراً وكبيراً إلى غير ذلك ﴿ **وجعلنا نومكم سباتاً** ﴾ اختلف في معناه على وجوه ( أحدها ) أن معناه وجعلنا نومكم راحة ودعة لأجسادكم ( وثانيها ) أن المعنى جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم وتصرفكم عن ابن الأنباري ( وثالثها ) جعلنا نومكم سباتاً ليس بموت على الحقيقة ولا مخرجاً عن الحياة والإدراك ﴿ **وجعلنا الليل لباساً** ﴾ أي غطاء وسترة يستر كل شيء بظلمته وسواده ﴿ **وجعلنا النهار معاشاً** ﴾ المعاش العيش أي جعلناه مطلب معاش أي مبتغى معاش وقيل معناه وجعلنا

النهار وقت معاشكم لتتصرفوا في معاشكم أو موضع معاشكم تبتغون فيه من فضل ربكم ﴿ وبنينا فوقكم سبعاً ﴾ أي سبع سماوات ﴿ شداداً ﴾ محكمة أحكمنا صنعها وأوثقنا بناءها ﴿ وجعلنا سراجاً وهاجاً ﴾ يعني الشمس جعلها سبحانه سراجاً للعالم وقاداً متلألأ بالنور يستضيئون به فالنعمة عامة به لجميع الخلق قال مقاتل جعل فيه نوراً وحراً والوهج يجمع النور والحر ﴿ وأنزلنا من المعصرات ﴾ أي الرياح ذوات الأعاصير عن مجاهد وقتادة والكلبي وقال الأزهري ومن معناه الباء فكأنه قال بالمعصرات أو ذلك أن الريح تستدر المطر وقيل المعصرات السحائب تتحلب بالمطر عن الربيع وأبي العالية وهو رواية الوالبي عن ابن عباس ﴿ ماء ثجاجاً ﴾ أي صباباً دفاعاً في انصبابه وقيل مدراراً عن مجاهد وقيل متتابعاً يتلو بعضه بعضاً عن قتادة ﴿ لنخرج به ﴾ أي بالماء ﴿ حبّاً ونباتاً ﴾ فالحب كل ما نضمنه كمام الزرع الذي يحصد والنبات الكلأ من الحشيش والزرع ونحوهما فجمع سبحانه بين جميع ما يخرج من الأرض وقيل حبّاً يأكل الناس ونباتاً تنبته الأرض مما يأكله الأنعام ﴿ وجنات ألفافا ﴾ أي بساتين ملتفة بالشجر والتقدير ونخرج به شجر جنات ألفافاً فحذف لدلالة الكلام عليه وإنما سمّي جنة لأن الشجر تجنُّها أي تسترها .

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ
كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ
ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾
إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ
أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا
وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾
فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة غير الأعشى والبرجمي وفتحت بالتخفيف والباقون بالتشديد

وقرأ حمزة لبثين بغير الألف والباقون لابثين بالألف والخلاف في غساق مذكور في صٓ ورووا عن علي بن أبي طالب (ع) وكذبوا بآياتنا كذاباً خفيفة والقراءة المشهورة وكذّبوا بآياتنا كذّاباً بالتثقيل وحكى أبو حاتم في الشواذ عن عبد الله بن عمر كُذّاباً بضم الكاف وتشديد الذال .

**[ الحجة ]** قال أبو علي فتحت بالتشديد أوفق لقوله تعالى **﴿ مفتحة لهم الأبواب ﴾** ومن حجة التخفيف قوله فتحنا عليهم أبواب كل شيء وحجة من قرأ لابثين بالألف مجيء المصدر على اللبث فهو من باب شرب يشرب ولقم يلقم وليس من باب فرق يفرق إذ لو كان منه لكان المصدر مفتوح العين فلما أسكن وجب أن يكون اسم الفاعل على فاعل كشارب ولاقم كما كان اللبث كاللقم ومن قرأ لبثين جعل اسم الفاعل فَعِلا وقد جاء غير حرف من هذا النحو على فاعل وفعل والكذاب مصدر كذب كما أن الكلام مصدر كلم وكذا القياس فيما زاد على الثلاثة أن تأتي بلفظ الفعل وتزيد في آخره الألف كقوله أكرمته اكراماً وأما التكذيب فزعم سيبويه أن التاء عوض من التضعيف والياء التي قبل الآخر كالألف فأما الكذاب فمصدر كذب قال الأعشى :

فَصَدَقْتُهُ وَكَذَبْتُهُ وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذابُه

فهو مثل كتاب في مصدر كتب وأما الكذاب بضم الكاف فقد قال أبو حاتم لا وجه له إلا أن يكون كذاب جمع كاذب فينصبه على الحال أي وكذبوا بآياتنا في حال كذبهم قال طرفة :

إذا جَاءَ مَالا بُدَّ مِنْهُ فَمَرْحَباً بِهِ حِينَ يَأْتِي لا كِذابٌ وَلا عِلَل

**[ اللغة ]** الميقات منتهى المقدار المضروب لحدوث أمر من الأمور وهو من الوقت كما أن الميعاد من الوعد والمقدار من القدر والمرصاد هو المعد لأمر على ارتقاب الوقوع فيه قال الأزهري المرصاد المكان الذي يرصد فيه العدو والأحقاب جمع واحدها حقب من قوله **﴿ أو أمضى حقبا ﴾** أي دهراً طويلاً وقيل واحده حقب بفتح القاف وواحد الحقب حقبة قال :

وَكُنّا كَنَدْمانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعا[١]

**[ الإعراب ]** يوم ينفخ منصوب لأنه بدل من يوم الفصل وأفواجاً نصب على الحال. لا يذوقون فيها برداً جملة يجوز أن يكون حالاً من لابثين والتقدير يلبثون غير ذائقين ويجوز أن

(١) مرّ البيت بمعناه في المجلد الرابع

يكون صفة لقوله احقاباً والتقدير احقاباً غير مذوق فيها وجزاء مصدر وضع موضع الحال وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسّره قوله أحصيناه وكتاباً منصوب على المصدر لأن كتب في معنى أحصى ويجوز أن يكون في موضع الحال أي نكتبه والتقدير أحصيناه كاتبين .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه الإعادة والبعث تنبيهاً على أنه دلَّ بذكر الآيات فيما تقدَّم على صحة البعث فقال ﴿ **أن يوم الفصل** ﴾ أي يوم القضاء الذي يفصل الله فيه الحكم بين الخلائق ﴿ **كان ميقاتاً** ﴾ لما وعد الله من الجزاء والحساب والثواب والعقاب ﴿ **يوم ينفخ في الصور** ﴾ قد مرَّ معناه ﴿ **فتأتون أفواجاً** ﴾ أي جماعة جماعة إلى أن تتكاملوا في القيامة وقيل زمراً زمراً من كل مكان للحساب وكل فريق يأتي مع شكله وقيل إن كل أمة تأتي مع نبيّها فلذلك جاؤوا أفواجاً أفواجاً ﴿ **وفتحت السماء** ﴾ أي شقَّت لنزول الملائكة ﴿ **فكانت أبواباً** ﴾ أي ذات أبواب وقيل صار فيها طرق ولم تكن كذلك من قبل ﴿ **وسيرت الجبال** ﴾ أي زيلت عن أماكنها وذهب بها ﴿ **فكانت سراباً** ﴾أي كالسراب يظن أنها جبال وليست إياها وفي الحديث عن البراء بن عازب قال كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله ﷺ في منزل أبي أيوب الأنصاري فقال معاذ يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً الآيات فقال يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر ثم أرسل عينيه ثم قال يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميَّزهم الله من المسلمين وبدل صورهم بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم من فوق ووجوهم من تحت ثم يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم فيسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشدُّ نتناً من الجيف وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات[1] من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على رؤوسهم فآكلة الربا والعمي الجائرون في الحكم والصم والبكم المعجبون بأعمالهم والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران والمصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان والذين هم أشدُّ نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم والذين يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء ﴿ **إن جهنم كانت مرصاداً** ﴾ يرصدون به أي هي معدة

(١) النمامون .

لهم يرصد بها خزنتها الكفار عن المبرد وقيل مرصداً محبساً يحبس فيه الناس عن مقاتل وقيل طريقاً منصوباً على العاصين فهو موردهم ومنهلهم وهذا إشارة إلى أن جهنم للعصاة على الرصد لا يفوتونها ﴿ للطاغين مآباً ﴾ أي للذين جاوزوا حدود الله وطغوا في معصية الله مرجعاً يرجعون إليه ومصيراً فكأن المجرم قد كان بإجرامه فيها ثم رجع إليها ﴿ لابثين فيها احقاباً ﴾ أي ماكثين فيها أزماناً كثيرة وذكر فيها أقوال ( أحدها ) أن المعنى أحقاباً لا انقطاع لها كلما مضى حقب جاء بعده حقب آخر والحقب ثمانون سنة من سني الآخرة عن قتادة والربيع ( وثانيها ) أن الأحقاب ثلاثة وأربعون حقباً كل حقب سبعون خريفاً كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً وكل يوم ألف سنة عن مجاهد ( وثالثها ) أن الله تعالى لم يذكر شيئاً إلا وجعل له مدة ينقطع إليها ولم يجعل لأهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقاباً فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك إلى أبد الآبدين فليس للأحقاب عدة إلا الخلود في النار ولكن قد ذكروا أن الحقب الواحد سبعون ألف سنة كل يوم من تلك السنين ألف سنة مما نعدّه عن الحسن ( ورابعها ) أن مجاز الآية لابثين فيها أحقاباً لا يذوقون في تلك الأحقاب برداً ولا شراباً إلا حميماً وغسّاقاً ثم يلبثون فيها لا يذوقون غير الحميم والغساق من أنواع العذاب فهذا توقيت لأنواع العذاب لا لمكثهم في النار وهذا أحسن الأقوال ( وخامسها ) أنه يعني به أهل التوحيد عن خالد بن معدان وروى نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقاباً والحقب بضع وستون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم كألف سنة مما تعدون فلا يتكلن أحد أن يخرج من النار وروى العياشي بإسناده عن حمران قال سألت أبا جعفر ( ع ) عن هذه الآية فقال هذه في الذين يخرجون من النار وروي عن الأحوال مثله وقوله ﴿ لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ﴾ يريد النوم والماء عن ابن عباس قال أبو عبيدة البرد النوم هنا وأنشد « فَصَدَّني عَنْهَا وَعَنْ قُبُلاتِهَا الْبَرْدُ »[1] أي النوم وقيل لا يذوقون في جهنم برداً ينفعهم من حرّها ولا شراباً ينفعهم من عطشها عن مقاتل ﴿ إلا حميماً ﴾ وهو الماء الحار الشديد الحرّ ﴿ وغساقاً ﴾ وهو صديد أهل النار ﴿ جزاء وفاقاً ﴾ أي وافق عذاب النار الشرك لأنهما عظيمان فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار عن مقاتل وقيل جوزوا جزاء وفق أعمالهم عن الزجاج وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والوفاق الجاري على المقدار فالجزاء وفاق لأنه جار على مقدار الأعمال في الاستحقاق ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حساباً ﴾ أي فعلنا ذلك بهؤلاء

---

(١) هذا عجز بيت للكندي وتمامه « بردت مراشفها علي فصدني * عنها وعن قبلاتها البرد » . والمراشف : الشفاه .

الكفار لأنهم كانوا لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم محاسبون عن الحسن وقتادة وقيل لا يرجون المجازاة على الأعمال ولا يظنّون أن لهم حساباً عن أبي مسلم وقال الهذلي في الرجاء بمعنى الخوف .

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها ... وَخالَفَها في بَيْتِ نُوبٍ عَواسِلِ (١)

﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ أي بما جاءت به الأنبياء وقيل بالقرآن وقيل بحجج الله ولم يصدّقوا بها ﴿ كذابا ﴾ أي تكذيباً ﴿ وكل شيء أحصيناه كتاباً ﴾ أي وكل شيء من الأعمال بيّناه في اللوح المحفوظ ومثله وكل شيء أحصيناه في إمام مبين وقيل معناه وكل شيء من أعمالهم حفظناه لنجازيهم به ثم بيَّن أن ذلك الاحصاء والحفظ وقع بالكتابة لأن الكتابة أبلغ في حفظ الشيء من الاحصاء ويجوز أن يكون كتاباً حالاً مؤكدة أي أحصيناه في حال كونه مكتوباً عليهم والكتاب بمعنى المكتوب ﴿ فذوقوا ﴾ لهؤلاء الكفار ذوقوا ما أنتم فيه من العذاب ﴿ فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ لأن كل عذاب يأتي بعد الوقت الأول فهو زائد عليه .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾
حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾
لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ
لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا
لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ
عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ
يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

(١) مضى البيت في صفحة ٥٤١ من هذا المجلد.

[ **القراءة** ] قرأ الكسائي ولا كذاباً بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو رب السماوات بالرفع والباقون بالجر وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل الرحمن بالجر والباقون بالرفع .

[ **الحجة** ] ولا كذاباً يجوز أن يكون مصدر كذب فيكون معناه ولا كذباً ويجوز أن يكون مصدر كاذبه مكاذبة وكذاباً وبالتشديد قد يكون مصدر كذب قال الفراء قال أعرابي في طريق مكة يا با زكريا القصّار أحب إليك أم الحلق يريد أقصر شعري أم أحلق ومن قرأ رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن قطع الاسم الأول من الجر الذي قبله في قوله جزاء من ربك فابتدأه وجعل الرحمن خبره ثم استأنف لا يملكون منه ومن قرأ رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن اتبع الإسمين الجر الذي قبلهما في قوله من ربك ومن قرأ رب السماوات الرحمن اتبع رب السماوات الجر الذي في قوله من ربك واستأنف بقوله الرحمن وجعل قوله لا يملكون خبر قوله الرحمن .

[ **اللغة** ] الحديقة الجنة المحوطة والجمع حدائق ومنه أحدق القوم بفلان إذا طافوا به ومنه الحدقة لأنه يحيط بها جفنها والأعناب جمع عنب وهو ثمر الكرم قبل أن يجف فإذا جف فهو الزبيب والكواعب جمع الكاعب وهي الجارية التي نهد ثدياها والاتراب جمع الترب وهي اللذة التي تنشأ مع لذتها على سن الصبي الذي يلعب بالتراب والدهاق الكاس الممتلئة التي لا مزيد فيها وأصل الدهق شدة الضغط أدهقت الكأس ملأتها قال « يلذُّه بكأسِهِ الدِّهاقِ » وعطاء حساباً أي كثيراً كافياً يقال أحسبت فلاناً أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي قال :

وَنُقْفي وَلِيدَ الحَيِّ إنْ كانَ جائعاً ... وَنُحْسِبُهُ إنْ كانَ لَيْسَ بِجائِعِ[1]

قال الأصمعي يقال حسبت الرجل بالتشديد أي أكرمته وأنشد:

إذا أَتاهُ ضَيْفُهُ يُحَسِّبُهُ ... مِنْ حاقِنٍ أوْ مِنْ صَرِيحٍ يَحْلِبُهُ[2]

[ **الإعراب** ] حدائق بدل من قوله مفازاً بدل البعض من الكل وكذلك ما بعده وأتراباً صفة لكواعب . جزاء منصوب بمعنى ان للمتقين مفازاً أي جازاهم بذلك جزاء وأعطاهم عطاء فإن معنى جازاهم وأعطاهم واحد يوم يقوم الروح ظرف لقوله لا يملكون وقوله صفا

---

(١) اقفى فلاناً بالأمر: آثره به .

(٢) حقن اللبن: جمعه في السقاء .

منصوب على الحال ويوم ينظر ظرف لقوله عذاباً لأنه بمعنى التعذيب .

[ المعنى ] ثم عقَّب سبحانه وعيد الكفار بالوعد للمتقين الأبرار فقال **﴿إن للمتقين﴾** الذين يتقون الله باجتناب الشرك والمعاصي **﴿مفازاً﴾** أي فوزاً ونجاة إلى حال السلامة والسرور وقيل المفاز موضع الفوز وقالوا للمهلكة مفازة على طريق التفاؤل كأنهم قالوا[1] وقيل مفازاً منجى إلى متنزه وهو النجاة من النار إلى الجنة ثم بيَّن ذلك الفوز فقال **﴿حدائق وأعناباً﴾** يعني أشجار الجنة وثمارها **﴿وكواعب اترابا﴾** أي جواري تكعب ثديهنّ مستويات في السن عن قتادة ومعناه استواء الخلقة والقامة والصورة والسن حتى يُكنَّ متشاكلات وقل أتراباً على مقدار أزواجهن في الحسن والصورة والسن عن أبي علي الجبائي **﴿وكأساً دهاقاً﴾** أي مترعة مملوءة عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل متتابعة على شاربيها اخذ من متابعة الشد في الدهق عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل دمادم عن أبي هريرة وقيل على قدر ريّهم عن مقاتل **﴿لا يسمعون فيها﴾** أي في الجنة **﴿لغواً﴾** أي كلاماً لغواً لا فائدة فيه **﴿ولا كذباً﴾** ولا تكذيب بعضهم لبعض ومن قرأ بالتخفيف يريد ولا مكاذبة عن أبي عبيدة وقيل كذباً عن أبي علي الفارسي **﴿جزاء من ربك﴾** أي فعل بالمتقين ما فعل بهم جزاء من ربك على تصديقهم بالله ونبيّه ﷺ **﴿عطاء﴾** أي أعطاهم الله عطاء **﴿حساباً﴾** أي كافياً عن أبي عبيدة والجبائي وقيل حساباً أي كثيراً وقيل حساباً على قدر الاستحقاق وبحسب العمل قال الزجاج معناه ما يكفيهم أي انّ فيه ما يشتهون **﴿رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن﴾** مرّ ذكره والمعنى أن الذي يفعل بالمؤمنين ما تقدَّم ذكره هو رب السماوات والأرض ومدبّرهما ومدبّر ما بينهما والمتصرف فيهما على ما يشاء الرحمن المنعم على خلقه مؤمنهم وكافرهم **﴿لا يملكون منه خطاباً﴾** أي لا يملكون ان يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه كقوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وقوله لا تكلم نفس إلا بإذنه والخطاب توجيه الكلام إلى مدرك له بصيغة منبئة عن المراد على طريقة أنت وربك قال مقاتل لا يقدر الخلق على أن يكلّموا الرب إلا بإذنه **﴿يوم يقوم للروح والملائكة صفّاً﴾** أي في ذلك اليوم اختلف في معنى الروح هنا على أقوال ( أحدها ) ان الروح خلق من خلق الله تعالى على صورة بني آدم وليسوا بناس وليسوا بملائكة يقومون صفاً والملائكة صفاً هؤلاء جند وهؤلاء جند عن مجاهد وقتادة وأبي صالح قال الشعبي هما سماطا[2] رب العالمين يوم القيامة سماط من الروح وسماط من الملائكة ( وثانيها ) ان الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً اعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام وهو وحده

(١) [ منحاة ] .

(٢) السماط : صف الجنود الذين يتقدمون بين يدي الملك .

صفّاً وقامت الملائكة كلّهم صفّاً واحداً فيكون عظم خلقه مثل صفّهم عن ابن مسعود وعن عطاء عن ابن عباس ( وثالثها ) أن أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل ان ترد الأرواح الى الأجساد عن عطية عن ابن عباس ( ورابعها ) أنه جبريل (ع ) عن الضحاك وقال وهب ان جبرائيل ( ع ) واقف بين يدي الله عز وجل ترتعد فرائصه يخلق الله عز وجل من كل رعدة مائة ألف ملك فالملائكة صفوف بين يدي الله تعالى منكسوا رؤوسهم فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا لا إلّه إلا أنت وقال صواباً أي لا إلّه إلا الله وروى علي بن إبراهيم بإسناده عن الصادق ( ع ) قال هو ملك اعظم من جبرائيل وميكائيل ( وخامسها ) ان الروح بنو آدم عن الحسن وقوله صفا معناه مصطفين **﴿لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن﴾** وهم المؤمنون والملائكة **﴿وقال﴾** في الدنيا **﴿صواباً﴾** أي شهد بالتوحيد وقال لا إلّه إلا الله وقيل إن الكلام هاهنا الشفاعة أي لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن ان يشفع عن الحسن والكلبي وروى معاوية بن عمار عن أبي عبد الله ( ع ) قال سئل عن هذه الآية فقال نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون قال جعلت فداك ما تقولون قال نمجّد ربنا ونصلّي على نبيّنا ﷺ ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا رواه العياشي مرفوعاً **﴿ذلك اليوم الحق﴾** الذي لا شك في كونه وحصوله يعني القيامة **﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾** أي مرجعاً للطاعة والمعنى فمن شاء عمل عملاً صالحاً يؤوب إلى ربه فقد أزيحت العلل وأوضحت السبل وبلغت الرسل والمآب مفعل من الاوب وهو الرجوع قال عبيد

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لاَ يَؤُوبُ

ثم خوّف سبحانه كفار مكة فقال **﴿انا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾** يعني العذاب في الآخرة فإن كل ما هو آت قريب **﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾** أي ينتظر جزاء ما قدّمه فإن قدم الطاعة انتظر الثواب وان قدم المعصية انتظر العقاب وقيل معناه ان كل احد ينظر إلى عمله في ذلك اليوم من خير وشرّ مثبتاً عليه في صحيفته فيرجو ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سوء عمله **﴿ويقول الكافر﴾** في ذلك اليوم **﴿يا ليتني كنت تراباً﴾** أي ليتمنى ان لو كان تراباً لا يعاد ولا يحاسب ليتخلص من عقاب ذلك اليوم قال الزجاج ان معنى يا ليتني كنت تراباً يا ليتني لم أبعث قال عبد الله بن عمر إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدَّ الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يجعل القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاة الجماء[1] من الشاة القرناء التي نطحتها وقال مجاهد يقاد يوم القيامة للمنطوحة من الناطحة

(١) الجماء: التي لا قرن لها .

وقال المقاتلان ان الله يجمع الوحوش والهوام والطير وكل شيء غير الثقلين فيقول من ربكم فيقولون الرحمن الرحيم فيقول لهم الرب بعدما يقصي بينهم حتى يقنص للجماء من القرناء انا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين أيام حياتكم فارجعوا إلى الذي كنتم كونوا تراباً فتكون تراباً فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً يتمنى فيقول يا ليتني كنت في الدنيا على صورة خنزير رزقي كرزقه وكنت اليوم أي في الآخرة تراباً وقيل ان المراد بالكافر هنا إبليس عاب آدم بأن خلق من تراب وافتخر بالنار فيوم القيامة إذا رأى كرامة آدم وولده المؤمنين قال يا ليتني كنت تراباً .

# (٧٩) سورة النازعات مكية وآياتها ست وأربعون

## [ عدد آيها ]

ست وأربعون آية كوفي وخمس في الباقين .

[ اختلافها ] آيتان ولأنعامكم حجازي كوفي طغى عراقي شامي .

[ فضلها ] أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة والنازعات لم يكن حبسه وحسابه يوم القيامة إلا كقدر صلاة مكتوبة حتى يدخل الجنة وقال أبو عبد الله ( ع ) من قرأها لم يمت إلا ريان ولم يبعثه الله إلا ريان ولم يدخله الجنة إلا ريان .

[ تفسيرها ] لمّا ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر أحوال القيامة وأهوالها افتتح هذه السورة بمثله فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ
سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ
الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨)
أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠)
أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا

هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

[ القـراءة ] قرأ أهـل الكـوفـة غير حفص وقتيبـة ونصيـر ورويس عن يعـقوب ناخـرة بالألف والباقون نخرة بغير الف وروى أبو عمرو الدوري وحمدون عن الكسائي ناخرة ونخرة لا يبالي كيف قرأ وفي الشواذ قراءة أبي حياة الحَفِرَة بغير ألف وقرأ نافع غير قالون ويعقوب انا لمـردودون بهمزة واحـدة غير ممـدودة اذا كنا بغيـر استفهام وقـرأ ابن عامـر والكسـائي أءنا لمردودون بهمزتين إذا كنّا كما تقدَّم وقرأ ابن كثير انا اذا كنا بالاستفهام فيهما بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ ابو عمرو بـالاستفهام فيهمـا بهمزة ممـدودة وقرأ عـاصم وحمزة وخلف فيهمـا بهمزتين مميزتين وقد تقدَّم ذكر هذا مشروحاً في مواضع .

[ **الحجة** ] نخرة وناخرة لغتان وقال الفراء النخرة البالية والناخرة المجوفة قال الزجاج ناخرة اكثر وأجود لشبه اواخر الآي بعضهـا ببعض نحو الخـاسرة والحـافرة وأمـا الوجـه في الحَفِرَة فهو أن يكون اراد الحافرة كقراءة الجماعة فحذف الألف تخفيفاً كما في قوله .

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرِداً لَا يَشْتَهِي أَنْ يَرِدا إِلّا عَرَاداً عَرِداً(١)

أي عارداً .

[ **اللغة** ] الغرق اسم أُقيم مقام المصدر وهو الاغراق يقال أغرق في النزع إذا استوفى في مدّ القوس وبالغ فيه والنشط النزع أيضاً ومنه حديث ام سلمة فجاء عمار وكان أخاها من الرضاعة ونشط زينب من حجرها أي نزعها ونشط الوحش من بلد إلى بلد إذا خرج بنشاط والهموم تنشط بصاحبها أي تخرج به من حال إلى حال قال هميان بن قحافة :

أَمَسْتْ هُمُـومِي تَنْشِطُ الْمَنَـاشِطـا الـشَّـامَ بِـي طَـوْراً وطَـوْراً وٰاسِـطاً(٢)

وانشطت العقدة حللتها ونشطتها عقدتها قالوا كأنما أنشط من عقال والانشوطة العقدة تنحل إذا مدَّ طرفاها يقال ما عقاله بأنشـوطة والـرجف حركـة الشيء من تحت غيره بتـرديد واضطراب والرجفة الزلزلة العظيمة وارجفوا أي أزعجوا الناس باضطراب الأمور وكل شيء

(١) في اللسان عن الأزهري : اذا انتهى القلب عن شيء صرد عنه ثم استشهد بهذا البيت. والعـرادة: نبت أو شجرة صلبة. وفي اللسان أيضاً قال أبو الهيثم تقول العرب قيل للضب: ورداً ورداً فقال: « أصبح قلبي . . الأبيات» وعراد عرد على المبالغة .

(٢) يعني صارت همومي تنقلني من بلد الى بلد فمرة الى الشام ومرة الى واسط العراق .

تبع شيئاً فقد ردفه وأرداف النجوم تواليها يتبع بعضها بعضاً وأرداف الملوك في الجاهلية الذين يخلفون الملوك والردفان الليل والنهار والوجيف شدة الاضطراب وقلب واجف مضطرب والوجيف سرعة السير وأوجف في السير اسرع وأزعج الركاب فيه والحافرة بمعنى المحفورة مثل ماء دافق أي مدفوق وقيل الحافرة الأرض المحفورة ورجع الشيخ في حافرته أي رجع من حيث جاء وذلك كرجوع القهقرى قال:

أَحَافِرَةً عَلَىٰ صَلْعٍ وَشَيْبٍ ۝ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارِ

أي أرجوعاً إلى حال الشباب وأوله ويقال النقد عند الحافر أي لا يزول حافر الفرس حتى ينقد الثمن لأنه لكرامته لا يباع نسيئة ثم كثر حتى قيل في غير الحافرة. والساهرة وجه الأرض والعرب تسمي وجه الأرض من الفلاة ساهرة أي ذات سهر لأنه يسهر فيها خوفاً منها قال امية بن ابي الصلت:

وَفِيهَا لَحْمُ سَاهِرَةٍ وَبَحْرٍ ۝ وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمُ[١]

أي وفيها صيد البر والبحر وقال آخر:

فَإِنَّما قَصْرُكَ تُرْبُ السَّاهِرَة ۝ ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَهَا في الْحَافِرَة[٢]

[ **الإعراب** ] جواب القسم محذوف على تقدير ليبعثن وقبل الجواب في أن في ذلك لعبرة يوم ترجف الراجفة نصب باذكر وان شئت كان نصباً بمدلول قوله **﴿قلوب يومئذ واجفة﴾** على تقدير يوم ترجف الراجفة رجفت قلوبهم ويكون يومئذ بدلاً من يوم ترجف الراجفة .

[ **المعنى** ] **﴿والنازعات غرقا﴾** اختلف في معناها على وجوه ( أحدها ) أنه يعني الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفار عن أبدانهم بالشدة كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المدى وروي ذلك عن علي (ع ) ومقاتل وسعيد بن جبير وقال مسروق هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم وقيل هو الموت ينزع النفوس عن مجاهد وروي ذلك عن الصادق (ع ) ( وثانيها ) انها النجوم تنزع من أفق الى أفق أي تطلع وتغيب عن الحسن وقتادة وأبي عبيدة والأخفش والجبائي قال أبو عبيدة تنزع من مطالعها وتغرق في مغاربها

(١) يصف الجنة بأنهم يطعمون فيها لحماً من الصيد .

(٢) هذا بيت من خمسة ابيات من مشطور الرجز قالها الهمداني يوم القادسية يخاطب بها فرسه وبعده من بعد ما كنت عظاماً نخرة » قوله قصرك اي نهاية امرك وغايته والحافرة .

( وثالثها ) النازعات القسي تنزع بالسهم والناشطات الازهاق عن عطاء وعكرمة وعلى هذا فالقسم بفاعلها وهم الغزاة المجاهدون في سبيل الله **﴿والناشطات نشطاً﴾** في معناها أقوال ( أحدها ) ما ذكرناه ( وثانيها ) انها الملائكة تنشط ارواح الكفار بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أجوافهم بالكرب والغم عن علي (ع ) والنشط الجذب يقال نشطت الدلو نشطاً نزعته ( وثالثها ) انها الملائكة تنشط انفس المؤمنين فتقبضها كما تنشط العقال من يد البعير اذا حلَّ عنها عن ابن عباس وحكى الفراء هذا القول ثم قال والذي سمعت من العرب ان يقولوا كأنما انشط من عقال ونشطت الحبل ربطته وانشطته حللته ( ورابعها ) أنها أنفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج وذلك أنه ما من مؤمن يحضره الموت الا عرضت عليه الجنة قبل أن يموت فيرى موضعه فيها وأزواجه من الحور العين فنفسه تنشط ان تخرج عن ابن عباس أيضاً ( وخامسها) انها النجوم تنشط من أفق الى أفق أي تذهب يقال حمار ناشط عن قتادة والأخفش والجبائي **﴿والسابحات سبحاً﴾** فيها أقوال ( أحدها ) أنها الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلاً رفيقاً ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرمي به عن علي (ع) والكلبي ( وثانيها ) انها الملائكة ينزلون من السماء مسرعين وهذا كما يقال للفرس الجواد سابح إذا أسرع في جريه عن مجاهد وأبي صالح ( وثالثها ) أنها النجوم تسبح في فلكها عن قتادة والجبائي وقيل هي خيل الغزاة تسبح في عدوها كقوله والعاديات ضبحاً عن أبي مسلم وقيل هي السفن تسبح في الماء عن عطاء **﴿فالسابقات سبقاً﴾** فيها أقوال أيضاً ( أحدها ) أنها الملائكة لأنها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح عن مجاهد وقيل انها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء وقيل إنها تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة عن علي (ع ) ومقاتل ( وثانيها ) انها انفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقاً الى رحمة الله ولقاء ثوابه وكرامته عن ابن مسعود ( وثالثها) انها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير عن قتادة والجبائي ( ورابعها ) انها الخيل يسبق بعضها بعضاً في الحرب عن عطاء وأبي مسلم **﴿فالمدبرات امراً﴾** فيها أقوال أيضاً ( أحدها ) أنها الملائكة تدبّر أمر العباد من السنة الى السنة عن علي (ع ) ( وثانيها ) ان المراد بذلك جبرائيل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام يدبّرون أمور الدنيا فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فموكل بقبض الانفس وأما اسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم عن عبد الرحمن بن سابط ( وثالثها ) انها الأفلاك يقع فيها امر الله تعالى فيجري بها القضاء في الدنيا رواه علي بن إبراهيم أقسم الله تعالى بهذه الأشياء التي عدَّدها وقيل تقديره ورب النازعات وما ذكر بعدها وهذا ترك للظاهر

بغير دليل وقد قال الباقر والصادق (ع) ان الله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه ان يقسموا إلا به والوجه في ذلك أنه سبحانه يقسم بخلقه للتنبيه على موضع العبرة فيه لأن القسم يدل على عظم شأن المقسم به وجواب القسم محذوف فكأنه سبحانه اقسم فقال وهذه الأشياء لتبعثن ولتحاسبن ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ يعني النفخة الأولى التي يموت فيها جميع الخلائق والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد اذا تمخض ﴿تتبعها الرادفة﴾ يعني النفخة الثانية تعقب النفخة الأولى وهي التي يبعث معها الخلق وهو كقوله ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله﴾ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ويوم منصوب على معنى ﴿قلوب يومئذٍ واجفة﴾ يوم ترجف الراجفة ومعنى الواجفة الشديدة الاضطراب أيضاً وهذا معنى قول الحسن وقتادة وغيرهما وقيل معناه يوم تضطرب الأرض اضطراباً شديداً وتحرك تحركاً عظيماً يعني يوم القيامة تتبعها الرادفة اي اضطرابة اخرى كائنة بعد الأولى في موضع الردف من الراكب فلا تزال تضطرب حتى تفنى كلها وقال ابن عباس معنى الواجفة خائفة والمراد بذلك اصحاب القلوب يعني أنها قلقة غير هادئة ولا ساكنة لما عاينت من أهوال يوم القيامة ﴿أبصارها خاشعة﴾ أي ذليلة من هول ذلك اليوم قال عطاء يريد ابصار من مات على غير الاسلام ﴿يقولون أءنا لمردودون في الحافرة﴾ أي يقول هؤلاء المنكرون للبعث من مشركي قريش وغيرهم في الدنيا إذا قيل لهم انكم مبعوثون من بعد الموت انرد الى أول حالنا وابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنا والحافرة عند العرب اسم لأول الشيء وابتداء الأمر قال ابن عباس والسدي الحافرة الحياة الثانية وقيل الحافرة الأرض المحفورة والمعنى ازد من عبورنا بعد موتنا أحياء ﴿أإذا كنا عظاماً نخرة﴾ أي بالية مفتتة والمعنى انهم أنكروا البعث فقالوا أنرد احياء إذا متنا وتفتت عظامنا يقال نخر العظم ينخر فهو ناخر ونخر ﴿قالوا تلك اذا كرة خاسرة﴾ أي قال الكفار تلك الكرة الكائنة بعد الموت كرة خسران ومعناه أن أهلها خاسرون لأنهم نقلوا من نعيم الدنيا إلى عذاب النار والخاسر الذاهب رأس ماله وانما قالوا كرة خاسرة على معنى أنه لا يجيء منها شيء كالخسران الذي لا يجيء منه فائدة فكأنهم قالوا هي كالخسران بذهاب رأس المال لا تجيء به تجارة فكذلك لا تجيء بتلك الكرة حياة وقيل معناه ان كان الأمر على ما يقوله محمد من انا نبعث ونعاقب فتلك كرة ذات خسران علينا ثم اعلم سبحانه سهولة البعث عليه فقال ﴿فإنما هي﴾ يعني النفخة الأخيرة ﴿زجرة واحدة﴾ أي صيحة واحدة من اسرافيل يسمعونها وهم أموات في بطون الأرض فيحيون وهو قوله ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ وهي وجه الأرض وظهرها عن الحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم وقيل انما سميت الأرض ساهرة لأن عملها في

النبت في الليل والنهار دائب ولذلك قيل خير المال عين خرّارة في ارض خوّارة[١] تسهر اذا نمت وتشهد اذا غبت ثم صارت اسماً لكل ارض وقيل المراد بذلك عرصة القيامة لأنها أول مواقف الجزاء وهم في سهر لا نوم فيه .

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ
مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾
وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾
فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾
فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ
وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الحجاز والبصرة طوى بغير تنوين والباقون بالتنوين وقرأ أهل الحجاز وعباس ويعقوب تزكى بتشديد الزاء والباقون بتخفيفها .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قال أبو عبيدة طوى مضمومة الأول ومكسورته فمن لم ينوّن جعله اسماً مؤنثاً ومن نوّن جعله مثل ثنى على معنى المقدس مرة بعد مرة وروي عن الحسن انه قرأ طوى بكسر الطاء وقال وطوي بالبركة والتقديس مرتين كما قال طرفة :

أعَاذِلَ إنَّ اللَّومَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَيَّ طُوَىً مِنْ غَيِّكَ الْمُتَرَدِّدِ[٢]

أي أن لومك مكرر عليّ قال أبو علي من لم يصرف طوى احتمل قوله أمرين ( أحدهما ) انه جعله اسم بلدة أو بقعة أو يكون معدولاً كزفر وممر ومن صرف احتمل ايضاً أمرين ( أحدهما ) ان يكون جعله اسم موضع أو بلد أو مكان ( والآخر ) ان يكون مثل زحل

(١) الخرار : الكثير الخرير وهو صوت الماء وأرض خوارة : اللينة السهلة .
(٢) نسب البيت في اللسان الى عدي بن زيد .

وحطم ولكع وقوله تزكى معناه تطهر من الكفر والمبتدأ محذوف من اللفظ مراد في المعنى والتقدير هل لك إلى ذلك حاجة أو اربة قال الشاعر:

فَهَلْ لَكُمُ فِيهَا إِلَيَّ فَإِنَّنِي طَبِيبٌ بِمَا أَعْيَى النِّطَاسِيَّ حِذْيَما[1]

ومن قال تزكى أراد تتزكى فأدغم تاء التفعل في الزاء لتقاربهما ومن خفَّف حذف التاء التي أثبتها من ادغم وتخفيفها بالحذف أشبه .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه قصة موسى (ع) فقال ﴿هل أتاك﴾ يا محمد حديث موسى استفهام يراد به التقرير ﴿إذ نادنه ربه﴾ أي حين ناداه الله ودعاه فالنداء الدعاء بطريقة يا فلان فالمعنى قال له يا موسى ﴿بالواد المقدس﴾ أي المطهر ﴿طوى﴾ اسم واد عن مجاهد وقتادة وقيل طوي بالتقديس مرتين وهو الموضع الذي كلَّم الله فيه موسى ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ أي علا وتكبَّر وكفر بالله وتجاوز الحد في الاستعلاء والتمرد والفساد ﴿فقل هل لك إلى أن تزكى﴾ أي تتطهر من الشرك وتشهد أن لا إلّه إلا الله عن ابن عباس وهذا تلطف في الاستدعاء ومعناه هل لك رغبة إلى أن تسلم وتصلح وتطهر ﴿وأهديك إلى ربك﴾ أي وأدلّك إلى معرفة ربك وانه خلقك وربّاك وقيل واهديك أي أرشدك الى طريق الحق الذي إذا سلكته وصلت إلى رضاء الله وثوابه ﴿ فتخشى ﴾ أي فتخافه فتفارق ما نهاك عنه وفي الكلام حذف تقديره فأتاه ودعاه ﴿ فأريه الآية الكبرى ﴾ يعني العصا وقال الحسن هي اليد البيضاء ﴿ فكذب﴾ بأنها من الله ﴿وعصى﴾ نبيَّ الله وجحد نبوته ﴿ثم أدبر﴾ فرعون أي ولّى الدبر ليطلب ما يكسر به حجة موسى في المعجزة العظيمة فما ازداد إلا غواية ﴿ يسعى﴾ أي يعمل بالفساد في الأرض وقيل إنه لما رأى الحية في عظمها خاف منها فأدبر وسعى هرباً عن ﴿فكذب﴾ بأنها من الله ﴿وعصى﴾ نبيَّ الله وجحد نبوته ﴿ثم أدبر﴾ فرعون أي ولّى الدبر ليطلب ما يكسر به حجة موسى في المعجزة العظيمة فما ازداد إلا غواية ﴿يسعى﴾ أي يعمل بالفساد في الأرض وقيل إنه لما رأى الحية في عظمها خاف منها فأدبر وسعى هرباً عن الجبائي ﴿فحشر﴾ أي فجمع قومه وجنوده ﴿فنادى﴾ فيهم ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ أي لا رب فوقي وقيل معناه أنا الذي أنال بالضرر من شئت ولا ينالني غيري وكذب اللعين إنما هذه صفة الله الذي خلقه وخلق جميع الخلائق وقيل انه جعل الأصنام أرباباً فقال أنا ربها وربكم ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ نكال مصدر مؤكَّد لأن معنى اخذه الله نكل به نكال

(١) النطاسي: الطبيب الحاذق وحذيم: اسم طبيب قال في اللسان أراد ابن حذيم فحذف ابن كما قال الشاعر « يحملن عباس بن عبد المطلب » يعني عبد الله بن عباس .

الآخرة والأولى بأن أغرقه في الدنيا ويعذّبه في الآخرة وقيل معناه فعاقبه الله بكلمته الآخرة وكلمته الأولى فالآخرة قوله أنا ربكم الأعلى والأولى قوله ما علمت لكم من إله غيري فنكل به نكال هاتين الكلمتين وجاء في التفسير عن أبي جعفر (ع) أنه كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل إنه انما ناداهم فقال أنا ربكم الأعلى فامنعوني من هذا الثعبان ولم يعلم الجهال أن من يخاف ضرر حية ويستعين بأمثاله لا يكون إلهاً وعن وهب عن ابن عباس قال قال موسى (ع) يا رب إنك امهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول انا ربكم الأعلى ويجحد رسلك ويكذب بآياتك فأوحى الله تعالى إليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافيه وروى أبو بصير عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله ﷺ قال جبرئيل (ع) قلت يا رب تدع فرعون وقد قال أنا ربكم الأعلى فقال إنما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت ﴿إن في ذلك﴾ الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى ﴿لعبرة﴾ أي لعظة ﴿لمن يخشى﴾ الله تعالى ويخاف عقابه ونقمته ودلالة يمكن أن يعتبر بها العاقل ويميّز بين الحق والباطل .

[ النظم ] وجه اتصال قصة موسى (ع) بما قبلها انه لما تقدّم ذكر المكذبين للأنبياء المنكرين للبعث عقّبه بحديث موسى وتكذيب قومه إياه وما قاساه من الشدائد تسلية لنبينا ﷺ وعدة له بالنصر وحثّاً إياه على الصبر اقتداء بموسى وتحذيراً لقومه أن ينزل بهم ما نزل بأولئك وعظة بهم وتأكيداً للحجة عليهم .

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ
خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ
لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ
مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ
يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾
فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ

ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ
ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ
مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا
لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر والعباس عن العياشي عن أبي عمرو وإنما أنت منذر بالتنوين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة الحسن وعمرو بن عبيد والجبال ارساها بالرفع وقراءة مجاهد والأرض مع ذلك دحاها وقراءة عكرمة وبرزت الجحيم لمن ترى بالتاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة التنوين في قوله انما أنت منذر ان اسم الفاعل هنا للحال ويدل عليه قوله ﴿**قل إنما أنذركم بالوحي**﴾ فليس المراد انذر فيما استقبل وانما يقول أنذر في الحال واسم الفاعل على قياس الفعل ومن أضاف استخف فحذف التنوين كما حذف من قوله فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم ونحو ذلك مما جاء على لفظ الاضافة والمراد به الانفصال ويجوز أن يكون منذر من على نحو هذا ضارب زيداً أمس لأنه قد فعل الانذار ومن قرأ والجبال ارساها بالرفع فإنه مثل قراءة من قرأ والظالمون اعدَّ لهم وقد تقدَّم بيانه ومن قرأ والأرض مع ذلك فلعله قال ذلك تفسيراً للقراءة المشهورة لأنه ليس الغرض فيه ترتيب الزمان وانما الغرض اجتماعهما اعني السماوات والأرض في الخلق لا في أن زمان الفعلين واحد وهذا كقولك فلان كريم فيقول السامع وهو مع ذلك شجاع أي قد اجتمع له الوصفان وأما قوله لمن ترى بالتاء المفتوحة فيمكن أن يكون خطاباً للنبي ﷺ والمراد لمن ترى يا محمد من الناس فأشار الى البعض وغرضه الجنس والجميع كقول لبيد :

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا    وَسُؤَالِ هٰذَا النَّاسِ كَيْفَ لُبَيْدِ[1]

فأشار إلى جنس الناس ونحن نعلم أنه ليس جميعهم شاهداً حاضراً له ويمكن أن يكون التاء في ترى للجحيم أي لمن تراه النار .

---

(١) لبيد بن ربيعة أحد شعراء الجاهلية وأدرك الإسلام فاسلم وحسن إسلامه وعمر طويلاً حتى قيل أنه مات وهو ابن مأة وسبع وخمسين سنة وأنشد هذا البيت حين بلغ مأة وعشرين سنة .

[ اللغة ] السمك الارتفاع وهو مقابل العمق لأنه ذهاب الجسم بالتأليف الى جهة العلو وبالعكس صفة العمق والمسموكات السماوات لارتفاعها ومنه قول أمير المؤمنين ( ع ) يا داعم المسموكات قال الفرزدق:

إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَىٰ لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ

والتسوية جعل أحد الشيئين على مقادر الآخر في نفسه أو في حكمه والغطش الظلمة وأغطشه الله أظلمه والأغطش الذي في عينيه شبه العمش وفلاة غطشاء لا يهتدى فيها والدحو البسط دحوت ادحو دحواً ودحيت ادحي دحياً لغتان قال امية بن أبي الصلت:

دَارٌ دَحَاهَا ثُمَّ أعْمَرَ بَابَهَا وَأَقَامَ بِالأُخْرَىٰ الَّتي هِيَ أَمْجَدُ

وقال أوس:

يَنْفِي الْحِصى عَنْ جَدِيدِ الأَرْضِ مُبْتَرِكٌ كَأَنَّهُ فَاحِصٌ أَوْ لَاعِبٌ دَاحِ[1]

والطامة العالية الغالبة يقال هذا أطم من هذا أي أعلى منه وطم الطائر الشجرة علاها وتسمى الداهية التي لا يستطاع دفعها طامة .

[ الإعراب ] والأرض منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره وكذا قوله ﴿**والجبال أرساها متاعاً لكم**﴾ مفعول له لأن المعنى لإمتاعكم ويجوز أن يكون منصوباً على المصدر لأن معنى قوله أخرج منها ماءها ومرعاها امتع بذلك وقوله ﴿**فإن الجحيم هي المأوى**﴾ وتقديره هي المأوى له قال الزجاج وقال قوم الألف واللام بدل من الضمير العائد أي هي مأواه والمراد أن المعنى يؤول الى التي هي مأواه لأن الألف واللام بدل من الهاء وهذا كما يقول الإنسان غض الطرف يا هذا فليس الألف واللام بدلاً من الكاف وان كان المعنى غض طرفك لأن المخاطب يعرف انك لا تأمره بغض طرف غيره قال:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلاَ سَعْداً بَلَغْتَ وَلاَ كِلاَباً[2]

وكذلك المعنى في الآية وجواب إذا في قوله فإذا جاءت الطامة الكبرى في قوله فأما

(١) وقد نسب بعض هذا البيت الى عبيد بن الابرص يصف الغيث وجديد الأرض: وجهها . والمتبرك: المعتمد على الشيء الملح عليه والفاحص: الذي يفحص الأرض وينبشها ويحتفرها .

(٢) البيت لجرير الخطفى يهجو به الراعي النميري الشاعر: وغض النظر أي كف بصرك ذلاً ومهانة. وسعد وكلاب حيان من تميم. وفي تفسير الطبري « فلا كعباً بلغت .. ا هـ » .

من طغى وما بعده فإن المعنى إذا جاءت الطامة الكبرى فإن الأمر كذلك وقوله أو ضحاها اضاف الضحى الى العشية والغداة والعشي والضحوة والضحى لليوم الذي يكرن فيه فإذا قلت أتيتك صباحاً ومساء ومساءة وصباحة فالمعنى أتيتك صباحاً ومساء يلي الصباح وأتيتك مساء وصباحاً يلي المساء وتقول أتيتك العشية وغداتها .

[ **المعنى** ] لما قدَّم سبحانه ما أتى به موسى وما قابله به فرعون وما عوقب به في الدارين عظة لمن كان على عهد رسول الله ﷺ وتحذيراً لهم من المثلات خاطب عقيب ذلك منكري البعث فقال ﴿**ما أنتم**﴾ أيها المشركون المنكرون للبعث ﴿**أشد خلقاً أم السماء**﴾ يعني أخلقكم بعد الموت أشدّ عندكم وفي تقديركم أم السماء وهما في قدرة الله تعالى واحد وهذا كقوله لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ثم ابتدأ فبيَّن سبحانه كيف خلق السماء فقال ﴿**بنىها**﴾ الله تعالى الذي لا يكبر عليه خلق شيء ﴿**رفع سمكها**﴾ سقفها وما ارتفع منها ﴿**فسوىها**﴾ بلا شقوق ولا فطور ولا تفاوت وقيل سوّاها أحكمها وجعلها متصرفاً للملائكة ﴿**وأغطش ليلها**﴾ أي أظلم ليلها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿**وأخرج ضحىها**﴾ أي أبرز نهارها وإنما أضاف الليل والضحى إلى السماء لأن منها منشأ الظلام والضياء بغروب الشمس وطلوعها على ما دبَّرها الله عز وجل ﴿**والأرض بعد ذلك دحاها**﴾ أي بعد خلق السماء بسطها من الدحو وهو البسط قال ابن عباس ان الله تعالى دحا الأرض بعد السماء وان كانت الأرض خلقت قبل السماء وكانت ربوة مجتمعة تحت الكعبة فبسطها وقال مجاهد والسدي معناه والأرض مع ذلك دحاها كما قال عتل بعد ذلك زنيم أي مع ذلك ﴿**أخرج منها**﴾ أي من الأرض ﴿**ماءها**﴾ والمعنى فجَّر الأنهار والبحار والعيون عن ابن عباس ﴿**ومرعىها** ﴾مما يأكل الناس والانعام بيَّن سبحانه بذلك جميع المنافع المتعلقة بالأرض من المياه التي بها حياة كل شيء من الحيوانات والاشجار والثمار والحبوب والعيون عن ابن عباس وبها يحصل جميع الارزاق والنبات التي تصلح للمواشي فهي ترعاه بأن تأكله في موضعه ﴿**والجبال أرسيها**﴾ أي أثبتها في أوساط الأرض ﴿**متاعاً لكم ولأنعامكم**﴾ أي خلق سبحانه الأرض وأخرج منها المياه والمراعي وأثبت الجبال بما فيها من أنواع المعادن لمنفعتكم ومنفعة انعامكم تنتفعون بها ولما دلَّ سبحانه بهذه الأشياء على صحة البعث وصف يوم البعث فقال ﴿**فإذا جاءت الطامة الكبرى**﴾ وهي القيامة لأنها تطم على كل داهية هائلة أي تعلو وتغلب ومن ذلك يقال ما من طامة الا وفوقها طامة والقيامة فوق كل طامة فهي الداهية العظمى قال الحسن هي النفخة الثانية وقيل هي الغاشية الغليظة المجللة التي تدقق

الشيء بالغلظ وقيل ان ذلك حين يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار **﴿يوم يتذكر الانسان ما سعى﴾** أي تجيء الطامة في يوم يتذكر الانسان ما عمله من خير أو شر **﴿وبرزت الجحيم﴾** أي أظهرت النار **﴿لمن يرى﴾** فيراها الخلق مكشوفاً عنها الغطاء ويبصرونها مشاهدة **﴿فأما من طغى﴾** أي تجاوز الحد الذي حدّه الله وارتكب المعاصي **﴿وآثر الحياة الدنيا﴾** على الآخرة **﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾** له والإيثار إرادة الشيء على طريقة التفضيل له على غيره **﴿وأما من خاف مقام ربه﴾** أي خاف مقام مسألة ربه عما يجب عليه فعله أو تركه **﴿ونهى النفس عن الهوى﴾** أي عن المحارم التي تشتهيها وتهواها وقيل ان الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها عن مقاتل **﴿فإنَّ الجنة هي المأوى﴾** له أي هي مقرّه ومأواه ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال **﴿يسئلونك عن الساعة أيّان مرسيها﴾** أي متى يكون قيامها ثابتة على ما وصفتها **﴿فيم أنت من ذكريها﴾** أي لست في شيء من علمها وذكراها والمعنى لا تعلمها قال الحسن أي ليس عندك علم بوقتها وإنما تعلم أنها تكون لا محالة وقيل معناه ليس هذا مما يتصل بما بعثت لأجله فإنما بعثت داعياً وقيل انها من حكاية قولهم والمعنى انك قد أكثرت من ذكراها فمتى يكون **﴿إلى ربك منتهٰها﴾** أي قل لهم إلى الله اجراؤها والمنتهى موضع بلوغ الشيء فكأنه قيل إلى أمر ربك منتهى أمرها بإقامتها لأن منتهى أمرها بذكرهاووصفهاوالإقرار بها الى الرسول ومنتهى امرها بإقامتها الى الله لا يقدر عليها الا هو سبحانه وقيل معناه إلى ربك منتهى علمها أي لا يعلم وقتها إلا هو عن الحسن **﴿إنما أنت منذر من يخشيها﴾** أي إنما انت مخوف من يخاف قيامها أي إنما ينفع انذارك من يخافها فأما من لا يخشاها فكأنك لم تنذره **﴿كأنهم يوم يرونها﴾** أي يعاينون القيامة **﴿لم يلبثوا﴾** في الدنيا **﴿إلا عشية أو ضحيها﴾** أي الا قدر آخر نهار وأوله ومثله كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقد مرّ بيانه وقيل ان معناه انهم اذا رأوا الآخرة صغرت الدنيا في أعينهم حتى كأنهم لم يقيموا بها الا مقدار عشية او مقدار ضحى تلك العشية عن قتادة .

# (٨٠) سورة عبس مكية وآياتها اثنتان وأربعون

وتسمى سورة السفرة مكية .

[ عدد آيها ]

اثنتان وأربعون آية حجازي كوفي واحدى وأربعون بصري وأربعون شامي والمدني الأول .

[ اختلافها ] ثلاث آيات ولأنعامكم حجازي كوفي إلى طعامه غير يزيد الصاخة غير الشامي .

[ فضلها ] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر وروى معاوية بن وهب عن أبي عبد الله (ع ) قال ومن قرأ سورة عبس وتولى وإذا الشمس كوّرت كان تحت[1] الله من الجنان وفي ظل الله وكرامته في جنانه ولا يعظم ذلك على ربه عز وجل .

[ تفسيرها ] لمّا ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر انذاره من يخشى القيامة افتتح هذه السورة بذكر انذاره قوماً يرجو اسلامهم واعراضه عمن يخشى فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ

(١) كذا في النسخ وفي رواية الصدوق ( ره) في ثواب الأعمال « كان تحت جناح الله من الجنان . . اهـ » .

يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾
فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ
يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا
تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ
مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ
مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ
فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ
إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾

[ **القراءة** ] قرأ عاصم غير الأعشى والبرجمي فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع وقرأ أهل الحجاز تصدى بالتشديد والباقون تصدى بتخفيف الصاد وفي الشواذ قراءة الحسن ان جاءه وقراءة أبي جعفر الباقر ( ع ) تصدى بضم التاء وفتح الصاد وتلهًى بضم التاء أيضاً وقراءة أبي حيوة وشعيب بن أبي حمزة نشره بغير ألف .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ فتنفعه بالرفع عطفه على ما تقدم من المرفوع ومن قرأ بالنصب فعلى انه جواب بالفاء لأن المتقدم غير موجب فكأن قوله تعالى يذكر المعطوف على يزكى في معنى لعله يكون منه تذكر فانتفاع وكذا قوله لعلي أبلغ الأسباب اسباب السماوات فاطلع وقوله تصدى أي تعرض فمن قرأ بتشديد الصاد ادغم التاء في الصاد ومن قرأ بالتخفيف أراد تتصدى فحذف التاء ولم يدغمها وقرأ ابن فليح والبزي عن ابن كثير تلهى بتشديد التاء على أنه شبه المنفصل بالمتصل وجاز وقوع الساكن بعد اللين كما جاز تمود الثوب في المتصل وحكى سيبويه فلا تناجوا ومن قرأ ان جاءه بلفظ الاستفهام فتقديره الآن جاءه الأعمى وكان ذلك منه فعلق ان يفعل بمحذوف دلَّ عليه عبس وتولى واما على القراءة المشهورة فإن جاءه في موضع نصب بتولي لأنه الفعل الأقرب منه فكأنه قال تولى لمجيء الأعمى وهو مفعول به ونم قرأ تُصدًّى فالمعنى يدعوك داع من زينة الدنيا وبشارتها الى

التصدي له والاقبال عليه وعلى ذلك قوله تلهّى ايضاً أي تصرف عنه ومن قرأ نشره فعلى أنه لغة في أنشره .

[ اللغة ] التصدي التعرض للشيء كتعرض الصديان للماء والصحف جمع صحيفة والعرب تسمي كل مكتوب فيه صحيفة كما تسميه كتاباً رقا كان أو غيره والسفرة الكتب لأسفار الحكمة واحدهم سافر وواحد الاسفار سفر وأصله الكشف من قولهم سفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها وسفرت القوم اذا اصلحت بينهم قال :

وَمَا أَدَعُ السِّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي ... وَمَا أَمْشِي بِغِشٍّ إِنْ مَشَيْتُ

والبررة جمع بارّ وهو فاعل البرّ والبر فعل النفع اجتلاباً للمودّة وأصله اتساع النفع ومنه البرُّ سمي به تفاؤلاً باتساع النفع به وأقبره جعل له قبراً فالاقبار جعل القبر لدفن الميت فيه ويقال اقبرني فلاناً اي اجعلني أقبره والقابر الدافن للميت بيده قال الأعشى :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتاً إِلَىٰ نَحْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَىٰ قَابِرِ[1]
حَتَّىٰ يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا ... يَا عَجَباً لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ

والانشار الاحياء للتصرف بعد الموت كنشر الثوب بعد الطي .

[ الإعراب ] ثم السبيل يسره انتصب السبيل بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر تقديره ثم يسر السبيل يسره له أي للإنسان ثم حذف الجار والمجرور وقوله كلا لما يقض ما أمره أي ما أمره به فحذف الباء فصار التقدير ما أمرهُهُ فحذف الهاء الأولى فصار ما أمره فالهاء الباقية لما الموصولة والهاء المحذوفة للإنسان .

[ النزول ] قيل نزلت الآيات في عبد الله بن أم مكتوم وهو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبيّاً وأمية ابني خلف يدعوهم إلى الله ويرجو اسلامهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه

(١) البيت من قصيدة طويلة يقولها في مدح عامر بن الطفيل ويفضله على علقمة بن علاثة في المنافرة التي جرت بينهما وهي مشهورة ذكرها اهل الأدب في كتبهم راجع شرح الشريشي على مقامات الحريري وسرح العيون بشرح الرسالة الهزلية لابن زيدون ومطلع هذه القصيدة قوله : « شاقتك من قتلة اطلالها * بالشط فالجزع الى حاجز » .

كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتباعه العميان والعبيد فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فنزلت الآيات وكان رسول الله بعد ذلك يكرمه وإذا رآه قال مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين وقال أنس بن مالك فرأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ليس في ظاهر الآية دلالة على توجهها إلى النبي ﷺ بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه وفيها ما يدل على أن المعني بها غيره لأن العبوس ليس من صفات النبي ﷺ مع الأعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة ويؤيد هذا القول قوله سبحانه في وصفه ﷺ وإنك لعلى خلق عظيم وقوله ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فالظاهر أن قوله ﴿ عبس وتولى ﴾ المراد به غيره وقد روي عن الصادق ( ع ) أنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي ﷺ فجاء ابن أم مكتوم فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه فإن قيل فلو صح الخبر الأول هل يكون العبوس ذنباً أم لا فالجواب أن العبوس والانبساط مع الأعمى سواء إذ لا يشق عليه ذلك فلا يكون ذنباً فيجوز أن يكون عاتب الله سبحانه بذلك نبيه ﷺ ليأخذه بأوفر محاسن الأخلاق وينبّهه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد ويعرفه أن تأليف المؤمن ليقيم على إيمانه أولى من تأليف المشرك طمعاً في إيمانه وقال الجبائي في هذا دلالة على أن الفعل يكون معصية فيما بعد لمكان النهي فأما في الماضي فلا يدل على أنه كان معصية قبل أن ينهى عنه والله سبحانه لم ينهه إلا في هذا الوقت وقيل أن ما فعله الأعمى نوعاً من سوء الأدب فُحسن تأديبه بالإعراض عنه إلا أنه كان يجوز أن يتوهم أنه أعرض عنه لفقره وأقبل عليهم لرياستهم تعظيماً لهم فعاتبه الله سبحانه على ذلك وروي عن الصادق ( ع ) أنه قال كان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال مرحباً مرحباً لا والله لا يعاتبني الله فيك أبداً وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكفّ عن النبي ﷺ مما يفعل به .

[ المعنى ] ﴿ **عبس** ﴾ أي بسر وقبض وجهه ﴿ **وتولى** ﴾ أي أعرض بوجهه ﴿ **إن جاءه الأعمى** ﴾ أي لأن جاءه الأعمى ﴿ **وما يدريك لعله** ﴾ أي لعل هذا الأعمى ﴿ **يزكى** ﴾ يتطهر بالعمل الصالح وما يتعلمه منك ﴿ **أو يذكر** ﴾ أي يتذكر فيتّعظ بما يعلمه من مواعظ القرآن ﴿ **فتنفعه الذكرى** ﴾ في دينه قالوا وفي هذا لطف من الله عظيم لنبيه ﷺ إذ لم يخاطبه في باب العبوس فلم يقل عبست فلما جاوز العبوس عاد إلى الخطاب فقال وما يدريك ثم قال ﴿ **أما من استغنى** ﴾ أي من كان عظيماً في قومه واستغنى بالمال ﴿ **فأنت له تصدى** ﴾ أي

تتعرض له وتقبل عليه بوجهك ﴿ وما عليك إلا يزكى ﴾ أي أيُّ شيء يلزمك إن لم يسلم ولم يتطهر من الكفر فإنه ليس عليك إلا البلاغ ﴿ وأما من جاءك يسعى ﴾ أي يعمل في الخير يعني ابن أم مكتوم ﴿ وهو يخشى ﴾ الله عز وجل ﴿ فأنت عنه تلهى ﴾ أي تتغافل وتشتغل عنه بغيره ﴿ كلا ﴾ أي لا تعد لذلك وانزجر عنه ﴿ إنها تذكرة ﴾ أي إنَّ آيات القرآن تذكير وموعظة للخلق ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ أي ذكر التنزيل أو القرآن أو الوعظ والمعنى فمن شاء أن يذكره ذكره وفي هذا دلالة على أن العبد قادر على الفعل مخير فيه وقوله كلا فيه دلالة على أنه ليس له أن يفعل ذلك في المستقبل وأما الماضي فلم يتقدم النهي عن ذلك فيه فلا يكون معصية ثم أخبر سبحانه بجلالة قدر القرآن عنده فقال ﴿ في صحف مكرمة ﴾ أي هذا القرآن أو هذه التذكرة في كتب معظمة عند الله وهي اللوح المحفوظ عن ابن عباس وقيل يعني كتب الأنبياء المنزلة عليهم كقوله إن هذا لفي الصحف الأولى ﴿ مرفوعة ﴾ في السماء السابعة وقيل مرفوعة قد رفعها الله عن دنس الانجاس ﴿ مطهرة ﴾ لا يمسها إلا المطهرون وقيل مصونة عن أن تنالها أيدي الكفرة لأنها في أيدي الملائكة في أعز مكان عن الجبائي وقيل مطهرة من كل دنس عن الحسن وقيل مطهرة من الشك والشبهة والتناقض ﴿ بأيدي سفرة ﴾ يعني الكتبة من الملائكة عن ابن عباس ومجاهد وقيل يعني السفراء بالوحي بين الله تعالى وبين رسله من السفارة وقال قتادة هم القراء يكتبونها ويقرأونها وروى فضيل بن يسار عن الصادق عليه السلام قال الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة ثم أثنى عليهم فقال ﴿ كرام ﴾ على ربهم ﴿ بررة ﴾ مطيعين وقيل كرام عن المعاصي يرفعون أنفسهم عنها بررة أي صالحين متقين وقال مقاتل كان القرآن ينزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر إلى الكتبة من الملائكة ثم ينزل به جبريل (ع) إلى النبي ﷺ ثم ذكر سبحانه المكذبين بالقرآن فقال ﴿ قتل الإنسان ﴾ أي عذب ولعن الإنسان وهو إشارة إلى كل كافر عن مجاهد وقيل هو أمية بن خلف عن الضحاك وقيل هو عتبة بن أبي لهب إذ قال كفرت برب النجم إذا هوى ﴿ ما أكفره ﴾ أي ما أشدّ كفره وما أبين ضلاله وهذا تعجب منه كأنه قد قال تعجبوا منه ومن كفره مع كثرة الشواهد على التوحيد والإيمان وقيل أن ما للاستفهام أي أيُّ شيء أكفره وأوجب كفره عن مقاتل والكلبي فكأنه قال ليس هاهنا شيء يوجب الكفر ويدعو إليه فما الذي دعاه إليه مع كثرة نعم الله عليه، ثم بيَّن سبحانه من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه فقال ﴿ من أي شيء خلقه ﴾ لفظه استفهام ومعناه التقرير وقيل معناه لم لا ينظر إلى أصل خلقته من أيّ شيء خلقه الله ليدلّه على وحدانية الله تعالى ثم فسَّر فقال ﴿ من نطفة خلقة فقدره ﴾ أطواراً نطفة ثم علقة إلى آخر خلقة وعلى حدٍّ معلوم من طوله وقصره

وسمعه وبصره وحواسه وأعضائه ومدة عمره ورزقه وجميع أحواله ﴿ ثم السبيل يسره ﴾ أي ثم يسر سبيل الخروج من بطن أمه حتى خرج منه عن ابن عباس وقتادة وذلك أن رأسه كان إلى رأس أمه وكذلك رجلاه كانتا إلى رجليها فقلبه الله عند الولادة ليسهل خروجه منها وقيل ثم السبيل أي سبيل الدين يسره وطريق الخير والشرّ بيَّن له وخيَّره ومكّنه من فعل الخير واجتناب الشر ونظيره وهديناه النجدين عن مجاهد والحسن وابن زيد ﴿ ثم أماته ﴾ أي خلق الموت فيه وقيل أزال عنه حياته ﴿ فأقبره ﴾ أي صيَّره بحيث يقبر وجعله ذا قبر عن أبي مسلم وقيل جعله مقبوراً ولم يجعله ممن يلقى إلى السباع والطير عن الفراء وقيل أمر بأن يقبر عن أبي عبيدة ﴿ ثم إذا شاء أنشره ﴾ أي أحياه من قبره وبعثه إذا شاء تعالى أن يحييه للجزاء والحساب والثواب والعقاب عن الحسن ﴿ كلا ﴾ أي حقاً ﴿ لم يقض ﴾ أي لم يقض ﴿ ما أمره ﴾ الله به من اخلاص عبادته ولم يؤدّ حق الله تعالى عليه مع كثرة نعمه قال مجاهد هو على العموم في الكافر والمسلم لم يعبده أحد حق عبادته .

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة أنا صببنا بالفتح والباقون بالكسر وفي الشواذ قراءة ابن محيصن يعنيه بالعين وفتح الياء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من كسر كان ذلك تفسيراً للنظر إلى طعامه كما أن قوله ﴿ **لهم مغفرة** ﴾ تفسير للوعد ومن فتح فقال أنا فالمعنى على البدل بدل الاشتمال لأن هذه الأشياء مشتملة على كون الطعام وحدوثه فهو من نحو ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه** ﴾ ﴿ **وقتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود** ﴾ وقوله ﴿ **وما أنسانيه إلا الشيطان** ﴾ ان أذكره لأن الذكر كالمشتمل على المذكور ومعنى إلى طعامه إلى كون طعامه وحدوثه وهو موضع الاعتبار قال ابن جني قوله يعنيه بالعين قراءة حسنة إلا أن قراءة الجماعة أقوى معنى فإن الإنسان قد يعنيه الشيء ولا يغنيه عن غيره إلا ترى أن من كان له ألف درهم فيؤخذ منها مائة درهم يعنيه أمرها ولا يغنيه عن بقية ماله أن يهتم به ويراعيه فأما إذا أغناه الأمر عن غيره فإنَّ ذلك أقوى فأعرفه .

[ **اللغة** ] الحديقة البستان المحوط وجمعه حدائق ومنه قولهم أحدق به القوم إذا أحاطوا به والغلب الغلاظ شجرة غلباء غليظة قال الفرزدق :

عَوى فَأثَارَ أغْلَبَ ضَيْغَمِيّاً فَوَيْلَ ابْنِ الْمَراغَةِ مَا اسْتَثَارا(١)

والأبُّ المرعى من الحشيش وسائر النبات الذي ترعاه الأنعام والدواب ويقال أب إلى سيفه فاستله أي بدر إليه وهب إليه فيكون كبدور المرعى بالخروج قال الأعشى :

صَرَمْتُ وَلَمْ أصْرِمْكُمْ وَكَصَارِمٍ أخٌ قَدْ طَوى كَشْحاً وَأبَّ لِيَذْهَبا(٢)

وقال في الأبّ :

جِذْمُنا قَيْسٌ وَنَجْدٌ دارُنا وَلَنا الأبُّ بِها وَالْمَكْرَعُ(٣)

والصاخة الصاكة لشدة صوتها الآذان فتصمها والقترة ظلمة الدخان ومنه القتار ريح الشواء لأنها كالدخان .

[ **الإعراب** ] فإذا جاءت الصاخة العامل في الظرف في قوله لكل امرىءٍ منهم يومئذ شأن يغنيه أي ثبت لكل امرىءٍ منهم ذلك في وقت مجيء الصاخة .

[ **المعنى** ] لمّا ذكر سبحانه خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال ﴿ **فلينظر الإنسان إلى**

---

(١) يهجو جريراً وأسد أغلب: غليظ الرقبة. والضيغم: الشديد العض والمراغة لقب أم الجرير لقبها الأخطل أي يتمرغ عليها الرجال والمراغة في اللغة: الاتان التي لا تمتنع من الفحول .

(٢) الصرم: القطع. أي صرمتكم في تهيىء لمفارقتكم، ومن تهيأ للمفارقة فهو كمن صرم .

(٣) الجذم بالكسر الأصل، والمكرع: أول الماء .

**طعامه** ﴾ الذي يأكله ويتقوته من الأطعمة الشهية اللذيذة كيف خلقها سبحانه وهيَّأها لـرزق عباده ليفكر كيف مكَّنه من الانتفاع بذلك ثم بيَّن فقال ﴿ **أنا صببنـا الماء صبّـاً** ﴾ أي نزلنـا الغيث انزالاً ﴿ **ثم شققنا الأرض شقا** ﴾ بالنبات ﴿ **فأنبتنا فيها** ﴾ أي في الأرض ﴿ **حبا** ﴾ أي جنس الحبوب التي يتغذى بها وتدخر ﴿ **وعنبا** ﴾ خصَّ العنب لكثرة منافعه ﴿ **وقضبا** ﴾ وهو القت الرطب يقضب مرة بعد أخرى يكون علفاً للدواب عن ابن عباس والحسن ﴿ **وزيتوناً** ﴾ وهو ما يعصر عنه الـزيت ﴿ **ونخلاً** ﴾ جمـع نخلة ﴿ **وحدائق غلبـاً** ﴾ أي وبساتين محـوطة تشتمل على أشجار عظام غلاظ مختلفة وقيل غلباً ملتفة الشجر عن مجاهد ﴿ **وفاكهة** ﴾ يعني سائر ألوان الفواكه ﴿ **وأبًّا** ﴾ وهو المرعى والكلأ الذي لم يزرعه الناس مما تأكله الأنعام وقيل أن الأب للأنعـام كالفاكهة للناس ﴿ **متاعاً** ﴾ أي منفعة ﴿ **لكم ولأنعامكم** ﴾ مرَّ معناه ثم ذكر يوم القيامة فقال ﴿ **فإذا جاءت الصاخة** ﴾ يعني صيحة القيامة عن ابن عباس سميت بـذلك لأنها تصخ الآذان أي تبالغ في أسماعها حتى تكاد تصمها وقيـل لأنها يصـخ لها الخلق أي يستمع وقد قلب حرف التضعيف ياء لكراهية التضعيف فقالوا صـاخ كما قـالوا تـظنيت في تظننت وتَقَضِّيَ البَازِي[1] في تقضض ثم ذكر سبحانه في أيّ وقت تجيء الصاخة فقال ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته** ﴾ أي وزوجته ﴿ **وبنيـه** ﴾ أي أولاده الذكـور أي لا يلتفت إلى واحد من هؤلاء لعظم ما هو فيه وشغله بنفسه وإن كان في الدنيـا يعتني بشأنهم وقيل يفرُّ منهم حذراً من مطالبتهم إياه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم وقيل لعلمه بأنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئاً ويجوز أن يكون مؤمناً وأقرباؤه من أهل النار فيعاديهم ولا يلتفت إليهم أو يفرّ منهم لئلا يرى ما نزل بهم من الهوان ﴿ **لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ أي لكل انسان منهم أم عظيم يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم ومعنى يغنيه يكفيه من زيادة عليه أي ليس فيه فضل لغيره لما هو فيه من الأمر الذي قد اكتنفه وملأ صدره فصـار كالغني عن الشيء في أمر نفسه لا ينازع إليه وروي عن عطاء بن يسار عن سودة زوجة النبي ﷺ قالت قال رسول الله ﷺ يبعث الناس عراة حفاة غرلا[2] يلجمهم العرق ويبلغ شحمة الآذان قالت قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض قال شغل الناس عن ذلك وتلا رسول الله لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ثم قسَّم سبحانه أحوال الناس في ذلك اليوم فقال ﴿ **وجوه يومئذ مسفرة** ﴾ أي مشرقة مضيئة ﴿ **ضاحكة مستبشرة** ﴾ من سرورها وفرحها بما أعدَّ لها من الثواب وأراد بالوجوه أصحاب الوجوه ﴿ **ووجوه يومئذ عليها غبرة** ﴾ أي سـواد وكآبـة للهمّ

---

(١) هذا جزء بيت قد مر بتمامه في الجزء الأول فراجع .

(٢) الغرل جمع الأغرل وهو الأقلف .

﴿ **ترهقها** ﴾ أي تعلوها وتغشاها ﴿ **قترة**﴾ أي سواد أو كسوف عند معاينة النار وقيل أن الغبرة ما انحطت من السمـاء إلى الأرض والقترة مـا ارتفعت منِ الأرض إلى السماء عن زيـد بن أسلم ﴿ **أولئك هم الكفرة** ﴾ في أديانهم ﴿ **الفجرة** ﴾ في أفعالهم واستدلت الخوارج بذلك على أن من ليس بمؤمن لا بدَّ أن يكون كافراً فإن الله سبحانه قسم الوجوه هذين القسمين ولا تعلق لهم به لأنه سبحانه ذكر هنا قسمين من الوجوه متقابلين وجوه المؤمنين ووجـوه الكفار ولم يذكر وجوه الفساق من أهل الصلاة فيجوز أن يكون لها صفة أخرى بأن يكون عليها غبرة لا تغشاها قترة أو يكون عليها صفرة أو لون آخر .

كتابخانه
مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

# (٨١) سورة التكوير مكية وآياتها تسع وعشرون

ومنهم من يقول سورة التكوير مكية .

[ عدد آيها ]

تسع وعشرون آية .

[ **فضلها** ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة إذا الشمس كورت أعاذه الله تعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته . ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ من أحبَّ أن ينظر إليَّ يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت وروى أبو بكر قال قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله أسرع إليك الشيب قال شيَّبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت فأما ما روي عن أنس أنه سئل هل اختضب رسول الله ﷺ فقال ما شانَه الشيب فقيل أو شينٌ هويا أبا حمزة فقال كلّكم يكرهه فالوجه فيه أنه يجوز أن يكون المراد بقوله شيبتني أنه لو كان أمر يشيب منه إنسان لشبت من قراءة هذه السطور وقد روي أن عليّاً ( ع ) لما غسل رسول الله ﷺ وجد في لحيته شعرات بيضاً ومالا يظهر إلا بعد التفتيش لا يكون شيباً .

[ **تفسيرها** ] لمّا ختم الله سبحانه سورة عبس بذكر يوم القيامة وأهوالها افتتح هذه السورة أيضاً بذكر علاماتها وأحوالها فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾

وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

**[ القراءة ]** قرأ ابن كثير وأهل البصرة سجرت بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم ويعقوب وسهل نشرت بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ أهل المدينة وابن عامر ورويس وعاصم غير يحيى وحماد سعرت بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أبو جعفر قتلت بالتشديد والباقون بالتخفيف وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ( ع ) وإذا المَوَدَّةُ سئلت بفتح الميم والواو وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً وروي عن أمير المؤمنين ( ع ) وإذا الموؤدة سَئَلت بأيّ ذنب قتلت وهو قراءة ابن عباس ويحيى بن يعمر ومجاهد وأبي الضحى وجابر بن زيد .

**[ الحجة ]** قال أبو علي حجة سجرت قوله والبحر المسجور وقيل في البحر المسجور أنه الفارغ والمتلىء ومنه الممتلىء قول الشاعر في صفة وعل :

إذا شاءَ طالَعَ مَسْجُورَةً تَرىٰ حَوْلَهَا النَّبْعَ والسَّاسِما[1]

وحجة تشديد نشرت قوله صحفاً منشرة وحجة سعرت بالتخفيف قوله **﴿ وكفى بجهنم سعيراً ﴾** فسعير فعيل بمعنى مفعول وهذا إنما يجيء من فعل وحجة من قال سجرت أن الفعل مسند إلى ضمير كثرة من باب غلقت الأبواب وحجة نشرت خفيفة قوله في رقّ منشور وحجة سعرت مشددة كلما خبت زدناهم سعيراً فهذا يدل على كثرة وشيء بعد شيء فحقه التشديد ومن قرأ وإذا الموؤدة سَألت بفتح السين جعل الموؤدة موصوفة بالسؤال وبالقول بأيّ ذنب قتلت ويمكن أن يكون الله سبحانه أكملها في تلك الحال وأقدرها على النطق حتى قالت ذلك القول ويعضده ما روي عن النبي ﷺ أنه قال يجيء المقتول ظلماً يوم القيامة وأوداجه تشخب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقاً بقاتله يقول يا رب سل هذا

(١) النبع والساسم . نوعان من الشجر .

فيم قتلني ومن قرأ قتلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل لأن المراد بـالموؤدة هنـا الجنس فإرادة التكرار جائزة وأما من قرأ المَوَدَّة بفتح الميم والواو فالمراد بذلك الرحم والقرابة وأنه يسأل قاطعها عن سبب قطعها وروي عن ابْن عباس أنه قال هو من قتل في مودَّتنا أهل البيت (ع) وعن أبي جعفر (ع) قال يعني قرابة رسول الله ﷺ ومن قتل في جهاد وفي رواية أخرى قال هو من قتل في مودتنا وولايتنا.

[اللغة] التكوير التلفيف على جهة الاستدارة ومنه كور العمامة كرت العمـامـة على رأسي أكورها كوراً وكورتها تكويراً وطعنه فكوره إذا ألقاه مجتمعـاً ونعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر أي من النقصان بعد الزيادة والانكدار انقلاب الشيء حتى يصير أعلاه أسفله بما لـو كان ماء لتكدر وأصله الانصباب قال العجاج «أَبْصَرَ خِرْبانَ فَضاءٍ فَانْكَدَرْ»[١] والعشار جمع عشراء وهي الناقة التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها والناقة إذا وضعت لتمام ففي سنة وأصل السجر الملأ قال لبيد:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعا مَسْجُورَةً مُتَجاوِراً قُلامُها[٢]

أي مملوءة وتنور مسجور مملوء بالنار والموؤودة من وَأَدَ يَئِدُ وَأْداً وكـانت العرب تئـد البنات خوف الإملاق قال قتادة جاء قيس بن عـاصم التميمي إلى النبي ﷺ فقال إني وأدت ثماني بنات في الجاهلية فقال فاعتق عن كل واحدة رقبة قال إني صاحب إبل قال فاهد إلى من شئت عن كل واحدة بدنة قال الجبائي إنما سميت موؤدة لأنهـا ثقلت في التراب الـذي طرح عليها حتى ماتت وهذا خطأ لأن الموؤدة من وأد يئد معتل الفاء ومن الثقل آده يؤده أثقله وهو معتل العين ولو كانت مأخوذة منه لقيل مؤدة على وزن معوءدة وروي عن النبي ﷺ أنه سئل عن العزل فقال ذاك الوأد الخفي قال الفرزدق.

ومِنّا الَّذِي مَنَعَ الْوائِداتِ فَأَحْيا الْوَئِيدَ فَلَمْ تُوأَدِ

وقال:

---

(١) الخربان جمع خرب بالتحريك: الحبارى وهو طائر يضرب به المثل في البلاهة والحمق. يقول: أن البازي قد انقض من أعلى الجولانة رأى أسراب الحبارى على الأرض فانقض ليصيدها.

(٢) البيت من المعلقات وضمير التثنية يرجع إلى العير والاتان أي أنهما قد وردا عيناً ممتلية ماءاً فدخلا فيها من عرض نهرها وقد تجاوز نبتها.

وَمِنّـا الّـذِي أَحْيَـا الْـوَئِيـدَ وَغـالِبٌ وَعَمْـرٌو وَمِنّـا حـاجِبٌ وَالأَقْـارِعُ[١]

والكشط القلع عن شدة التزاق والكشط والقشط واحد وفي حرف عبد الله وإذا السماء قشطت والتسعير تهييج النار حتى تتأجج ومنه السعر لأنه حال هَيْج الثمن بالارتفاع والانحطاط .

[ الإعراب ] إرتفعت الشمس بفعل مضمر تقديره إذا كورت الشمس كورت ولا يجوز إظهاره لأن ما بعده يفسره وإنما إحتيج إلى إضمار فعل لأنَّ في إذا معنى الشرط والشرط يقتضي الفعل وجواب إذاً قوله ﴿ **علمت نفس ما أحضرت** ﴾ فإذا في موضع النصب لأنه ظرف لعلمت وعلى هذا يجري أمثاله والجملة التي هي الفعل المحذوف مع فاعله بعد إذا في موضع جرّ بإضافة إذاً إليها والتقدير وقت تكوير الشمس تعلم كل نفس ما عملته وتجزى به وعلى هذا فهنا إثنا عشر ظرفاً كلها إضافة إلى الجمل من قوله ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ إلى قوله ﴿ **وإذا الجنة أزلفت** ﴾ والعامل فيها كلها قوله ﴿ **علمت نفس ما أحضرت** ﴾ .

[ المعنى ] أخبر الله سبحانه عن القيامة وشدائدها فقال ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ أي ذهب ضؤها ونورها فأظلمت واضمحلت عن ابن عباس وأبي مجاهد وقتادة وقيل ألقيت ورمي بها عن أبي صالح والربيع بن خثيم وقيل جمع ضوؤها ولفت كما تلف العمامة عن الزجاج والمعنى أن الشمس تكور بأن يجمع نورها حتى تصير كالكارة الملقاء ويذهب ضوؤها ويحدث الله تعالى للعباد ضياء غيرها ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ أي تساقطت وتناثرت عن مجاهد وقتادة والربيع بن خثيم يقال انكدر الطائر من الهواء إذا إنقض وقيل تغيَّرت من الكدورة عن الجبائي والأول أولى لقوله ﴿ **وإذا الكواكب انتثرت** ﴾ إلا أن تقول يذهب ضوؤها ثم تتناثر ﴿ **وإذا الجبال سيرت** ﴾ عن وجه الأرض فصارت هباء منبثاً وسراباً ﴿ **وإذا العشار** ﴾ وهي النوق الحوامل أتت عليها عشرة أشهر وبعد الوضع تسمى عشاراً أيضاً وهي أنفس مال عند العرب ﴿ **عطلت** ﴾ أي تركت هملاً بلا راع وقيل العشار السحاب تعطل فلا تمطر عن الجبائي وحكي ذلك عن أبي عمرو قال الأزهري لا أعرف هذا في اللغة ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ أي جمعت حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء ويحشر الله سبحانه الوحوش ليوصل إليها ما تستحقه من الأعواض على الآلام التي نالتها في الدنيا وينتصف لبعضها من بعض فإذا وصل إليها ما استحقته من الأعواض فمن قال أن

(١) كان صعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق ممن فدى المؤدات في الجاهلية ونهى قتلهن؛ ويقال أنه أحيا الف .

العوض دائم تبقى منعمة إلى الأبد ومن قال تستحق العوض منقطعاً فقال بعضهم يديمه الله لها تفضلاً لئلا يدخل على المعوض غم بإنقطاعه وقال بعضهم إذا فعل الله بها ما استحقته من الأعواض جعلها تراباً ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ أي أرسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلأت وقيل إن المعنى فجر بعضها في بعض فصارت البحور كلها بحراً واحداً ويرتفع البرزخ عن مجاهد ومقاتل والضحاك وقيل سجرت أي أوقدت فصارت ناراً تضطرم عن ابن عباس وقبل يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة عن الحسن وقتادة وقيل ملئت من القيح والصديد الذي يسيل من أبدان أهل النار في النار وأراد بحار جهنم لأن بحور الدنيا قد فنيت عن الجبائي ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ أي قرن كل واحد منها إلى شكله وضمّ إليه والنفس يعبّر بها عن الإنسان وقد يعبر بها عن الروح فالمعنى قرن كل إنسان بشكله من أهل النار وبشكله من أهل الجنة عن عمر بن الخطاب وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وقيل معناه ردَّت الأرواح إلى الأجساد فتصير أحياء عن عكرمة والشعبي وأبي مسلم وقيل يقرن الغاوي بمن أغواه من إنسان أو شيطان عن الجبائي وقيل زوجت أي قرنت نفوس الصالحين من المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين عن عطاء ومقاتل ﴿ وإذا الموؤدة سئلت ﴾ يعني الجارية المدفونة حياً وكانت المرجئة إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها فإن ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإن ولدت غلاماً حبسته عن ابن عباس قال شاعرهم :

سَمَّيْتُها إذْ وُلِدَتْ تَمُوتُ وَالْقَبْرُ صِهْرٌ ضَامِنٌ زِمِّيْتُ[1]

ومعنى قوله سئلت ﴿ بأيّ ذنب قتلت ﴾ أن الموؤدة تسأل فيقال لها بأيّ ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول قتلت بغير ذنب ويجري هذا مجرى قوله سبحانه لعيسى (ع) ﴿ أأنت قلت للناس إتخذوني وأمي آلهين من دون الله ﴾ على سبيل التوبيخ لقومه وإقامة الحجة عليهم عن الفراء وقيل إن معنى سئلت طولب قاتلها بالحجة في قتلها وسئل عن سبب قتلها فكأنه قيل والموؤدة يُسأل قاتلها بأيّ ذنب قتلت هذه ونظيره قوله ﴿ إن العهد كان مسؤولاً ﴾ أي مسؤولاً عنه عن أبي مسلم وعلى هذا فيكون القتلة هنا هم المسؤولين على الحقيقة لا المقتولة وإنما المقتولة مسؤول عنها ﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ يعني صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها أعمال أهلها من خير وشرّ تنشر ليقرأها أصحابها ولتظهر الأعمال فيجازوا بحسبها ﴿ وإذا السماء كشطت ﴾ أي أزيلت عن موضعها كالجلد يزال عن

(١) الزميت بمعنى الساكن وبعده قوله : « ليس لمن ضمنه تربيت ».

الجزور ثم يطويها الله وقيل معناه قلعت كما يقلع السقف عن الزجاج وقيل كشفت عمن فيها ومعنى الكشط رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام ﴿ **وإذا الجحيم سعّرت** ﴾ أوقدت وأضرمت حتى ازدادت شدة على شدة وقيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم عن قتادة ﴿ **وإذا الجنة أزلفت** ﴾ أي قربت من أهلها للدخول وقيل قربت بما فيها من النعيم فيزداد المؤمن سروراً ويزداد أهل النار حسرة ﴿ **علمت نفس ما أحضرت** ﴾ أي إذا كانت هذه الأشياء التي تكون في القيامة علمت في ذلك الوقت كل نفس ما وجدت حاضراً من عملها كما قالوا أحمدته وجدته محموداً وقيل علمت ما أحضرته من خير وشر وإحضار الأعمال مجاز لأنها لا تبقى والمعنى أنه لا يشذّ عنها شيء فكأن كلها حاضرة وقيل أن المراد صحائف الأعمال .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾
وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى
قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾
وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا
هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ
مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل البصرة غير سهل وابن كثير والكسائي بظنين بالظاء والباقون بضنين بالضاد .

[ **الحجة** ] الظنين المتهم من قولهم ظننت أي اتهمت لا من ظننت المتعدي إلى

مفعولين إذ لو كانت منه لكان لا بد من ذكر المفعول الثاني وفي أنه لم يذكر المفعول الآخر دلالة على أنه من ظننت بمعنى إتهمت وكان النبي ﷺ يعرف بالأمين وبذلك وصفه أبو طالب في قوله :

إنَّ ابْنَ آمِنَةِ الأَمِينَ مُحَمَّداً ‌‌ عِنْدِي بِمِثْلِ مَنَازِلِ الأَوْلَادِ

ومن قرأ بضنين فهو من البخل والمعنى أنه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه كما يمتنع الكاهن من إعلام ذلك حتى يأخذ عليه حُلواناً[١] .

[ **اللغة** ] الخنس جمع خانس والكنس جمع كانس وأصلهما الستر والشيطان خناس لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى أي يذهب ويستتر وكناس الطير والوحش بيت يتخذه ويختفي فيه والكواكب تكنس في بروجها كالظباء تدخل في كناسها وعسعس الليل إذا أقبل من أوله وأظلم وعسعس إذا أدبر وهو من الأضداد قال علقمة بن قرط :

حَتَّى إذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسَا ‌‌ وَإنْجَابَ عَنْهَا لَيْلُها وَعَسْعَسَا[٢]

والعس طلب الشيء بالليل ومنه أخذ العسس ويقال عسعس الليل وسعسع .

[ **الإعراب** ] أنه لقول رسول كريم جواب القسم ثم وصف الرسول بأوصاف إلى قوله أمين ثم قال وما صاحبكم بمجنون وهو معطوف على جواب القسم وكذلك ما بعده وقوله ﴿ **فأين تذهبون** ﴾ إعتراض قال الفراء تقول العرب إلى أين تذهب وأين تذهب وتقولون ذهبت الشام وخرجت الشام وانطلقت السوق سمعناه في هذه الأحرف الثلاثة وأنشد الفراء :

تَصِيحُ بِنَا حَنِيفَةُ إذْ رَأَتْنَا ‌‌ وَأَيَّ الأَرْضِ تَذْهَبُ لِلصِّيَاحِ

يريد إلى أيّ الأرض ولم يحك سيبويه من هذا إلا ذهبت الشام وعلى هذا جاء فأين تذهبون والمعنى فإلى أين تذهبون وقوله ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ جواب القسم أيضاً وقوله ﴿ **وما تشاؤن** ﴾ داخل في جواب القسم أيضاً وقوله ﴿ **لمن شاء منكم** ﴾ بدل من قوله ﴿ **للعالمين** ﴾ بدل البعض من الكل فإذا السورة كلها مركبة من فعل وفاعل ومن قسم وأجوبة .

[ **المعنى** ] ثم أكّد سبحانه ما تقدّم بالقسم فقال ﴿ **فلا أقسم** ﴾ أي فأقسم ولا زايدة

(١) الحلوان ـ بالضم ـ : الأجرة .

(٢) إنجاب أي انكشف .

وقد ذكرنا اختلاف العلماء فيه عند قوله ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة** ﴾ ﴿ **بالخنس** ﴾ وهي النجوم بخنس بالنهار وتبدو بالليل ﴿ **والجواري** ﴾ صفة لها لأنها تجري في أفلاكها ﴿ **الكنس** ﴾ من صفتها أيضاً لأنها تكنس أي تتوارى في بروجها كما تتوارى الظباء في كناسها وهي خمسة أنجم زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد عن علي (ع) وقيل معناه أنها تخنس بالنهار فتختفي ولا ترى وتكنس في وقت غروبها فهذا خنوسها وكنوسها وقيل هي بقر الوحش عن ابن مسعود وقيل هي الظباء عن ابن جبير ﴿ **والليل إذا عسعس** ﴾ أي إذا أدبر بظلامه عن علي (ع) وابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل أقبل بظلامه عن الحسن وقيل أظلم عن الجبائي ﴿ **والصبح إذا تنفس** ﴾ أي إذا أسفر وأضاء والمعنى امتدّ ضوؤه حتى يصير نهاراً ﴿ **أنه لقول رسول كريم** ﴾ هذا جواب القسم أي أن القرآن قول رسول كريم على ربه وهو جبرائيل وهو كلام الله تعالى أنزله على لسانه أي سمعه محمد من جبرائيل ولم يقله من قبل نفسه عن الحسن وقتادة وقيل إنما أضافه إلى جبرائيل لأن الله تعالى قال لجبرائيل أئت محمداً ﷺ وقل له كذا ثم وصف جبرائيل (ع) فقال ﴿ **ذي قوة** ﴾ أي فيما كلف وأمر به من العلم والعمل وتبليغ الرسالة وقيل ذي قدرة في نفسه ومن قوته قلعه ديار قوم لوط بقوادم جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها ﴿ **عند ذي العرش مكين** ﴾ معناه متمكن عند الله صاحب العرش وخالقه رفيع المنزلة عظيم القدر عنده كما يقال فلان مكين عند السلطان والمكانة القرب ﴿ **مطاع ثم** ﴾ أي في السماء تطيعه ملائكة السماء قالوا ومن طاعة الملائكة لجبرائيل أنه أمر خازن الجنة ليلة المعراج حتى فتح لمحمد ﷺ أبوابها فدخلها ورأى ما فيها وأمر خازن النار ففتح له عنها حتى نظر إليها ﴿ **أمين** ﴾ أي على وحي الله ورسالاته إلى أنبيائه وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال لجبرائيل (ع) ما أحسن ما أثنى عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فما كانت قوتك وما كانت أمانتك فقال أما قوتي فإني بعثت إلى مداين لوط وهي أربع مداين في كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سور الذراري فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماوات أصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهم وأما أمانتي فإني لم أؤمر بشيء بعدوته إلى غيره ثم خاطب سبحانه جماعة الكفار فقال ﴿ **وما صاحبكم** ﴾ الذي يدعوكم إلى الله وإخلاص طاعته ﴿ **بمجنون** ﴾ والمجنون المغطى على عقله حتى لا يدرك الأمور على ما هي عليه للآفة الغامرة له وبغمور الآفة يتميز من النائم لأن النوم ليس بآفة وهذا أيضاً من جواب القسم أقسم الله عزَّ اسمه أن القرآن نزل به جبرائيل وأن محمداً ﷺ ليس على ما يرميه به أهل مكة من الجنون ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ أي رأى محمداً ﷺ جبرائيل (ع) على صورته التي خلقه الله تعالى عليها حيث تطلع الشمس وهو

الأفق الأعلى من ناحية المشرق عن قتادة ومجاهد والحسن ﴿ **وما هو على الغيب بضنين** ﴾ أي ليس هو على وحي الله تعالى وما يخبر به من الاخبار بمتهم فإن أحواله ناطقة بالصدق والأمانة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم والضحاك ومن قرأ بالضاد فالمعنى أنه ليس ببخيل فيما يؤدّي عن الله أن يعلّمه كما علّمه الله ﴿ **وما هو بقول شيطان رجيم** ﴾ رجمه الله باللعنة عن الحسن وقيل رجم بالشهب طرداً من السماء والمعنى وليس القرآن بقول شيطان رجيم ألقاه إليه كما قال المشركون أن الشيطان يلقي إليه كما يلقي إلى الكهنة ثم بكّتهم الله سبحانه فقال ﴿ **فأين تذهبون** ﴾ أي فأيّ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بيّنت لكم عن الزجاج وقيل معناه فأين تعدلون عن هذا القرآن وهو الشفاء والهدى ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ معناه ما القرآن إلا عظة وتذكرة للخلق يمكنهم أن يتوصلوا به إلى الحق والذكر هو ضدّ السهو والذاكر لا يخلو من أن يكون عالماً أو جاهلاً أو مقلداً أو شاكاً ولا يصحّ شيء من ذلك مع السهو الذي يضاد الذكر ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾ على أمر الله وطاعته ذكر سبحانه أنه ذكر لجميع الخلق على العموم ثم خصّ المستقيم لأن المنفعة راجعة إليهم كما قال إنما تنذر من إتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ فيه أقوال ( أحدها ) أن معناه وما تشاؤون الإستقامة على الحق إلا أن يشاء الله ذلك من حيث خلقكم لها وكلفكم بها فمشيئته بين يدي مشيئتكم عن الجبائي ( وثانيها ) أنه خطاب للكفار والمراد لا تشاؤون الإسلام إلا أن يشاء الله أن يجبركم عليه ويلجأكم إليه ولكنه لا يفعل لأنه يريد منكم أن تؤمنوا إختياراً لتستحقوا الثواب ولا يريد أن يحملكم عليه عن أبي مسلم ( وثالثها ) إن المراد وما تشاؤون الإسلام إلا أن يشاء الله أن يلطف لكم في الإستقامة لما في الكلام من معنى النعمة .

# (٨٢) سورة الانفطار مكية وآياتها تسع عشرة

وتسمى سورة الإنفطار مكية تسع عشرة آية .

[ فضلها ] أبي بن كعب قال قال النبي ﷺ ومن قرأها أعطاه الله من الأجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة مائة حسنة وأصلح الله شأنه يوم القيامة وروى الحسن بن أبي العلا عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ هاتين السورتين إذا السماء إنفطرت وإذا السماء انشقت وجعلهما نصب عينه في صلاة الفريضة والنافلة لم يحجبه من الله حجاب ولم يحجزه من الله حاجز ولم يزل ينظر إلى الله وينظر الله إليه حتى يفرغ من حساب الناس .

[ تفسيرها ] لمّا كانت السورة المتقدمة في ذكر أهوال يوم القيامة إفتتح سبحانه هذه السورة بمثل ذلك ليتصل بها إتصال النظير بالنظير فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾
وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ
مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ
مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ

لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾
إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾
يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ
نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر فعدلك خفيفة والباقون بالتشديد وقرأ أبو جعفر بل يكذبون بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن كثير وأهل البصرة يوم لا تملك بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة سعيد بن جبير ما أغرك بربك .

[ **الحجة** ] أما عدلك بالتشديد فمعناه عدل خلقك فاخرجك في أحسن تقويم وأما عدلك بالتخفيف فمعناه عدل بعضك ببعض فكنت معتدل الخلقة متناسبها فلا تفاوت فيها وقوله ﴿ **يكذبون** ﴾ بالياء يكون إخباراً عن الكفار وبالتاء على خطابهم وأما وجه الرفع في قوله ﴿ **يوم لا تملك نفس** ﴾ أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو يوم لا تملك والمعنى يوم الدين يوم لا تملك نفس وأما النصب فإنه لما قال وما أدريك ما يوم الدين فجرى ذكر الدين وهو الجزاء قال يوم لا تملك يعني الجزاء يوم لا تملك نفس فصار يوم لا تملك خبر الجزاء المضمر لأنه حدث وتكون أسماء الزمان أخباراً عن الحدث ويجوز النصب على وجه آخر وهو أن اليوم لما جرى في أكثر الأمر ظرفاً ترك على ما كان يكون عليه في أكثر أمره والدليل على ذلك ما اجتمع عليه القراء والعرب في قوله تعالى ﴿ **وأنا منا الصالحون** ﴾ ومنا دون ذلك ومما يقوي النصب في ذلك قوله ﴿ **وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس** ﴾ وقوله ﴿ **يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون** ﴾ فالنصب في يوم لا تملك نفس مثل هذا ونحوه قال أبو الحسن ولو رفع ذلك كله كان جيداً إلا أنا نختار ما عليه الناس وأما من قرأ ما أغرَّك فيجوز أن يكون معناه ما الذي دعاك إلى الاغترار به ويجوز أن يكون تعجباً وقد قيل في قوله ﴿ **فما أصبرهم على النار** ﴾ هذان الوجهان وأغرك يجوز أن يكون من الغر والغرارة فيكون معناه ما أجهلك وما أغفلك عما يراد بك ويجوز أن يكون من الغرور على غير القياس

كما قيل في المثل أشغل من ذات النحيين(١) .

[ اللغة ] الإنفطار والإنشقاق والإنصداع نظائر والإنتشار تساقط الشيء في الجهات والتفجير خرق بعض مواضع الماء إلى بعض على التكثير ومنه الفجور لإنخراق صاحبه بالخروج إلى كثير من الذنوب ومنه الفجر لإنفجاره بالضياء وبعثرت الحوض وبحثرته إذا جعلت أسفله أعلاه والبعثرة والبحثرة إثارة الشيء بقلب باطنه إلى ظاهره والغرور ظهور أمر يتوهم به جهلاً الأمان من المحذور يقال غره غُروراً واغتره إغتراراً قال الحرث بن حلزة :

لَـمْ يُغَـرُّوكُـمْ غُـرُوراً وَلَـكِـنْ رَفَـعَ الْآلُ جَمْعَـهُمْ وَالـضَّحَـاءُ(٢)

[ الإعراب ] قوله ﴿ في أيّ صورة ما شاء ﴾ يجوز أن تكون ما مزيدة مؤكَّدة والمعنى في أيّ صورة شاء ركَّبك إما طويلاً وإما قصيراً وإما كذا وكذا يكون ركبك عطفاً على عدلك فحذف الواو ويجوز أن يكون ما في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى في أيّ صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك ولا يكون على هذا قوله ﴿ في أي صورة﴾ من صلة ركبك لأن سيبويه قال أن تضرب زيداً أضرب عمرواً ولا يجوز تقديم عمرو على أن فوجب أن يكون قوله في أيّ صورة من صلة مضمر ولا يكون من صلة عدلك لأنه استفهام فلا يعمل فيه ما قبله . يصلونها في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون في موضع رفع فيكون خبراً لأنه خبر بعد خبر والتقدير إن الفجار في جحيم صالون .

[ المعنى ] ﴿إذا السماء انفطرت﴾ أي انشقت وتقطعت ومثله يوم تشقق السماء بالغمام الآية ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أي تساقطت وتهافتت قال ابن عباس سقطت سوداً لا ضوء لها ﴿وإذا البحار فجرت﴾ أي فتح بعضها في بعض عذبها في ملحها وملحها في عذبها فصارت بحراً واحداً عن قتادة والجبائي وقيل معناه ذهب ماؤها عن الحسن ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ أي قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها وقيل معناه بحثت عن الموتى فأخرجوا منها

---

(١) النحى : زق السمن وذات النحيين هي امرأة من بني تيم كانت تبيع السمن في الجاهلية فأتاها خوات بن جبير يبتاع منها سمناً فلم ير عندها أحداً وساومها فحلت نحياً فنظر إليه، ثم قال أمسكيه حتى أنظر إلى غيره فقال حل نحيا آخر ففعل فنظر إليه فقال أريد غير هذا فامسكيه فقلت: فلما شغل يديها أتى خلفها وهي منحنية فرفع ثوبها وأدخل فيها فلم تقدر على دفعه حتى قضى ما أراد وهرب؛ ثم أسلم خوات فقال لـه رسول الله ﷺ كيف شراؤك يا خوات؟ وتبسم .

(٢) البيت من المعلقات والآل: السراب. اي لم يأتوكم بغتة وانتم ترونهم في ضحى النهار وخلال السراب .

يريد عند البعث عن ابن عباس ومقاتل ﴿**علمت نفس ما قدمت وأخرت**﴾ وهذا كقوله سبحانه ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدَّم وأخر وقد مرَّ ذكره عن عبد الله بن مسعود قال ما قدمت من خير أو شر وما أخرت من سنة حسنة أستنَّ بها بعده فله أجر من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء أو سنة سيئة عمل بها بعده فعليه وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ويؤيد هذا القول ما جاء في الحديث أن سائلاً قام على عهد النبي ﷺ فسأل فسكت القوم ثم أن رجلاً أعطاه فأعطاه القوم فقال النبي ﷺ من استن خيراً فاستنَّ به فله أجره ومثل أجور من اتبعه من غير منتقص من أجورهم ومن استنَّ شرّاً فاستنَّ به فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه غير منتقص من أوزارهم قال فتلا حذيفة بن اليمان علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴿**يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم**﴾ أي أيّ شيء غرَّك بخالقك وخدعك وسوَّل لك الباطل حتى عصيته وخالفته وروي أن النبي ﷺ لما تلا هذه الآية قال غرَّه جهله واختلف في معنى الكريم فقيل هو المنعم الذي كل أفعاله احسان وانعام لا يجرّبه نفعاً ولا يدفع به ضرراً وقيل هو الذي يعطي ما عليه وما ليس عليه ولا يطلب ماله وقيل هو الذي يقبل اليسير ويعطي الكثير وقيل إن من كرمه سبحانه أنه لم يرض بالعفو عن السيئات حتى بدَّلها بالحسنات وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة بين يديه فقال ما غرَّك بربك الكريم ماذا كنت تقول له قال أقول غرّني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامني الله بين يديه فقال ما غرَّك بي قلت غرَّني بك برُّك بي سالفاً وآنفاً وعن بعضهم قال غرَّني حلمك وعن أبي بكر الوراق غرَّني كرم الكريم وانما قال سبحانه الكريم دون سائر اسمائه وصفاته لأنه كأنه لقَّنه الإجابة حتى يقول غرَّني كرم الكريم وقال عبد الله بن مسعود ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم يا ابن آدم ما غرَّك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما عملت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين وقال أمير المؤمنين (ع) كم مغرور بالستر عليه ومستدرج بالإحسان إليه ﴿**الذي خلقك**﴾ من نطفة ولم تك شيئاً ﴿**فسوّاك**﴾ انساناً تسمع وتبصر ﴿**فعدلك**﴾ أي جعلك معتدلاً وقيل معناه عدل خلقك في العينين والأذنين واليدين والرجلين عن مقاتل والمعنى عدل بين ما خلق لك من الأعضاء التي في الإنسان منها اثنان لا تفضل يد على يد ولا رجل على رجل ﴿**في أيّ صورة ما شاء ركبك**﴾ أي في أيّ شبه من أب أو أم أو خال أو عم عن مجاهد وروي عن الرضا (ع) عن آبائه عن النبي ﷺ أنه قال لرجل ما ولد لك قال يا رسول الله وما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية قال فمن يشبه قال يشبه أمه وأباه فقال ﷺ لا تقل هكذا ان النطفة إذا استقرت في الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين آدم اما قرأت هذه الآية في أيّ صورة ما شاء ركبك أي فيما بينك وبين آدم وقيل في أيّ صورة ما

شاء من صور الخلق ركبك ان شاء في صورة انسان وان شاء في صورة حمار وان شاء في صورة قرد عن عكرمة وأبي صالح وقال الصادق (ع ) لو شاء ركبك على غير هذه الصورة والمعنى أنه سبحانه يقدر على جعلك كيف شاء ولكنه خلقك في أحسن تقويم حتى صرت على صورتك التي أنت عليها لا يشبهك شيء من الحيوان وقيل في أيّ صورة شاء من ذكر أو أنثى أو جسيم أو نحيف حسن أو دميم طويل أو قصير ﴿كلا﴾ أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لا بعث ولا حساب وليس هنا موضع الإنكار للبعث مع وضوح الأمر فيه وقيام الدلالة عليه ﴿بل تكذبون﴾ معاشر الكفار ﴿بالدين﴾ الذي هو الجزاء لإنكاركم البعث والنشور عن مجاهد وقتادة وقيل تكذبون بالدين الذي جاء به محمد ﷺ وهو الإسلام عن الجبائي ﴿وإن عليكم لحافظين﴾ من الملائكة يحفظون عليكم ما تعلمونه من الطاعات والمعاصي ثم وصف الحفظة فقال ﴿كراماً﴾ على زبهم ﴿كاتبين﴾ يكتبون اعمال بني آدم ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ من خير وشرّ فيكتبونه عليكم لا يخفى عليهم من ذلك شيء وقيل إن الملائكة تعلم ما يفعله العبد إما باضطرار وإما باستدلال وقيل معناه يعلمون ما تفعلون من الله دون الباطن وفي هذا دلالة على أن أفعال العبد حادثة من جهتهم وأنهم المحدثون لها دونه تعالى والا فلا يصح قوله تفعلون ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ وهو الجنة والأبرار أولياء الله المطيعون في الدنيا ﴿وإن الفجار لفي جحيم﴾وهو العظيم من النار والمراد بالفجار هنا الكفار المكذبون للنبي ﷺ لقوله ﴿يصلونها يوم الدين﴾ أي يلزمونها بكونهم فيها ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ أي لا يكونون غائبين عنها بل يكونون مؤبدين فيها وقد دلَّ الدليل على أن أهل الكبيرة من المسلمين لا يخلدون في النار ولأنه سبحانه قد ذكر المكذبين بالدين فيما قبل هذه الآية فالأولى أن تكون لفظة الفجار مخصوصة بهم وأيضاً فإذا احتمل الكلام ذلك بطل تعلق أهل الوعيد بعموم اللفظ ثم عظم سبحانه يوم القيامة فقال ﴿وما أدريك ما يوم الدين﴾ تعظيماً له لشدته وتنبيهاً على عظم حاله وكثرة أهواله ﴿ثم ما أدريك ما يوم الدين﴾ كرَّره تأكيداً لذلك وقيل أراد ما أدراك ما في يوم الدين من النعيم لأهل الجنة وما أدراك ما في يوم الدين من العذاب لأهل النار عن الجبائي ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾ أي لا يملك أحد الدفاع عن غيره ممن يستحق العقاب كما يملك كثير من الناس في دار الدنيا ذلك ﴿والأمر يومئذ لله﴾ وحده أي الحكم له في الجزاء والثواب والعفو والانتقام وروى عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر (ع ) أنه قال ان الأمر يومئذ واليوم كله لله يا جابر إذا كان يوم القيامة بادت الحكام فلم يبق حاكم إلا الله وقيل معناه يوم لا تملك نفس لنفس كافرة شيئاً من المنفعة عن مقاتل والمعنى الصحيح في الآية ان الله

سبحانه قد ملك في الدنيا كثيراً من الناس اموراً وأحكاماً وفي القيامة لا أمر لسواه ولا حكم[١] ومتى قيل فيجب أن لا يصح على هذا شفاعة النبي ﷺ فالجواب ان ذلك لا يكون إلا بأمره تعالى وبإذنه وهو من تدابيره .

---

(١) وقد مر نظير هذا الكلام في قوله تعالى : ﴿مالك يوم الدين﴾ في سورة الفاتحة فراجع .

# (٨٣) سورة المطففين مكية
## وآياتها ست وثلاثون

وتسمى سورة التطفيف مكية وقال المعدل مدنية عن الحسن والضحاك وعكرمة قال وقال ابن عباس وقتادة إلا ثماني آيات منها وهي ان الذين أجرموا إلى آخرة السورة .

**[ عدد آيها ]**

ست وثلاثون آية بالاجماع .

**[ فضلها ]** أُبيّ بن كعب قال قال النبي ﷺ ومن قرأها سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة وروى صفوان الجمال عن أبي عبد الله (ع) قال من كانت قراءته في الفريضة ويل للمطففين أعطاه الله الأمن يوم القيامة من النار ولا تراه ولا يراها ولا يمرّ على جسر جهنم ولا يحاسب يوم القيامة .

**[ تفسيرها ]** ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر القيامة وما أعدَّ فيها للأبرار والفجار وبيّن في هذه السورة أيضاً ذكر احوال الناس في القيامة فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم
مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ

ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾
ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ
مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ
إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى ران بكسر الراء والباقون بفتحها .

[ اللغة ] التطفيف نقص المكيال والميزان والطفيف الشيء النزر القليل مأخوذ من طف الشيء وهو جانبه وفي الحديث كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملؤوه فليس لأحد فضل الا بالتقوى وطف الصاع قريب من ملئه أي بعضكم قريب من بعض واناء طفان إذا لم يكن ملآن والا كتيال الأخذ بالكيل ونظيره الاتزان وهو الأخذ بالوزن وإذا كالوهم أو وزنوهم كان عيسى بن عمر يجعل « هم » فصلاً في موضع رفع أو تأكيداً للضمير في كالوا أو وزنوا والباقون يجعلونها ضمير المنصوب وهو الصحيح وأهل الحجاز يقولون وزنتك حقك وكلتك طعامك وعليه جاء التنزيل وغيرهم يقول وزنت لك وكلت لك ويقال اخسرت الميزان وخسرته أي نقصت في الوزن والسجين فعيل من السجن قال ابن مقبل « ضَرْباً تَواصىٰ بِهِ الأَبْطالُ سِجِّيناً »(١) أي شديداً وقيل السجين هو السجن على التخليد فيه لأن هذا الوزن للمبالغة قالوا شريب وسكير وشرير والرقم طبع الخط بما فيه علامة الأمر يقال رقمت الثوب ارقمه رقماً والرين أصله الغلبة ران على قلبه أي غلب عليه والخمر ترين على قلب السكران والموت يرين على الميت فيذب به وفي حديث عمر بن الخطاب انه قال في اسيفع جهينة لما ركبه الدين ادّان معرضاً(٢) فأصبح قد رين به أي احاط الدين بماله حتى غلبه .

---

(١) وقبله « ورجلة يضربون الهام عن عرض » .

(٢) اي استدان معرضاً عن الاداء. وقيل استدان معترضاً عن الأداء وقيل استدان معترضاً عن كل من يقرضه .

[ **الإعراب** ] يوم يقوم الناس منصوب بقوله مبعوثون أي ألا يظنون أنهم مبعوثون يوم القيامة وقيل في أصل كلا قولان ( أحدهما ) انها كلمة واحدة من غير تركيب وضعت للردع والزجر وجرت مجرى الأصوات نحو صه ومه ونحوهما ( والثاني ) ان يكون الكاف للتشبيه دخلت على لا وشدّدت للمبالغة في الزجر مع الإيذان بتركيب اللفظ .

[ **النزول** ] قيل لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله عز وجل ويل للمطففين فأحسنوا الكيل بعد ذلك عن عكرمة عن ابن عباس وقيل انه ﷺ قدم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فنزلت الآيات عن السدي .

[ **المعنى** ] ﴿**ويل للمطففين**﴾ وهم الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون الناس حقوقهم في الكيل والوزن قال الزجاج وإنما قيل له مطفف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف ثم فسَّر المطففين فقال ﴿**الذين إذا اكتالوا على الناس**﴾ أي إذا كالوا ما على الناس ليأخذوه لأنفسهم ﴿**يستوفون**﴾ عليهم الكيل ولم يذكر اتزنوا لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فأحدهما يدل على الآخر ﴿**وإذا كالوهم أو وزنوهم**﴾ أي كالوا لهم أو وزنوا لهم ﴿**يخسرون**﴾ أي ينقصون والمعنى انهم إذا كالوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا تقول كلتك وكلت لك كما تقول نصحتك ونصحت لك ويروى عن ابن مسعود انه قال الصلاة مكيال فمن وفى وفى الله له ومن طفف قد سمعتم ما قال الله في المطففين ثم عجب الله خلقه من غفلة هؤلاء حيث فارقوا أمر الله وطريقة العدل فقال ﴿**ألا يظن**﴾ أي ألا يعلم ﴿**أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم**﴾ وهو يوم القيامة يريد الا يستيقن من فعل هذا انه مبعوث محاسب عن ابن عباس ثم أخبر عن ذلك اليوم فقال ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ والمعنى يوم يقوم الناس من قبورهم لأمر رب العالمين ولجزائه أو حسابه وجاء في الحديث أنهم يقومون في رشحهم إلى انصاف آذانهم وفي حديث آخر يقومون حتى يبلغ الرشح إلى اطراف آذانهم ويحتمل ان يكون المراد أيضاً ألا يحسب اولئك لأن من ظن الجزاء والبعث وقوى ذلك في نفسه وان لم يكن عالماً به فإنه يجب عليه أن يتحرز خوفاً من العقاب الذي يجوزه ويظنه كما أن من ظنَّ العطب في سلوك طريق فواجب عليه ان يتجنب سلوكه وفي الحديث عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون الشمس بقدر ميل او ميلين قال سليم فلا أدري أمسافة الأرض أم الميل الذي تكحل به العين ثم قال صهرتهم الشمس فيكونون في

العرق بقدر أعمالهم فمنهم من يأخذه الى عقبه ومنهم من يلجمه الجاماً قال افرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه قال يلجمه الجاماً اورده مسلم في الصحيح وروي ان ابن عمر قرأ ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين فبكى حتى خرَّ وامتنع من القراءة ﴿**كلا**﴾ هو ردع وزجر أي ارتدعوا وانزجروا عن المعاصي فليس الأمر على ما أنتم عليه تمَّ الكلام هاهنا وعند أبي حاتم سهل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقاً ﴿**ان كتاب الفجار لفي سجين**﴾ يعني كتابهم الذي فيه ثبت أعمالهم من الفجور والمعاصي عن الحسن وقيل معناه أنه كتب في كتابهم انهم يكونون في سجين وهي في الأرض السابعة السفلى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ سجين أسفل سبع أرضين وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الأحبار فقال أخبرني عن قول الله تعالى ﴿**إن كتاب الفجار لفي سجين**﴾ قال ان روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فتدخل سبع أرضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو موضع جند ابليس والمعنى في الآية ان كتاب عملهم يوضع هناك وقيل ان سجين جبّ في جهنم مفتوح والفلق جبّ في جهنم مغطى رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ وقيل السجين اسم لكتابهم وهو ظاهر التلاوة أي ما كتبه الله على الكفار بمعنى أوجبه عليهم من الجزاء في هذا الكتاب المسمى سجيناً ويكون لفظه من السجن الذي هو الشدة عن أبي مسلم والذي يدل على أن العرب ما كانت تعرفه وهو قوله ﴿**وما أدريك ما سجين**﴾ أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك عن الزجاج ثم قال مفسراً لذلك ﴿**كتاب مرقوم**﴾ أي كتاب معلوم كتب فيه ما يسؤهم ويسخن أعينهم وقيل مرقوم معناه رقم لهم بشر كأنه اعلم بعلامة يعرف بها الكافر والوجه الصحيح ان قوله كتاب مرقوم ليس تفسيراً لسجين لأنه ليس السجين من الكتاب المرقوم في شيء وإنما هو تفسير للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار على تقدير وهو كتاب مرقوم أيْ مكتوب قد تبيّنت حروفه ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ وهذا تهديد لمن كذّب بالجزاء والبعث ولم يصدق وذكر صاحب النظم ان هذا منتظم بقوله يوم يقوم الناس وان قوله كلا ان كتاب الفجار وما اتصل به اعتراض بينهما ثم فسّر سبحانه المكذبين فقال ﴿**الذين يكذبون بيوم الدين**﴾ أي يوم الجزاء فإن من كذب بالباطل لا يتوجه اليه الوعيد بل هو ممدوح ثم قال ﴿**وما يكذب به**﴾ أي لا يكذب بيوم الجزاء ﴿**إلا كل معتد**﴾ أي متجاوز للحق إلى الباطل ﴿**أثيم**﴾ كثير الإثم مبالغ في ارتكابه ثم وصف المعتدي الاثيم بقوله ﴿**إذا تتلى عليه آياتنا**﴾ وهي القرآن ﴿**قال أساطير الأولين**﴾ أي أباطيل الأولين والتقدير قال هذا أساطير الأولين أي ما سطره الأولون وكتبوه مما لا أصل له ﴿**كلا**﴾ لا

يؤمنون وقيل ليس الأمر على ما قالوه ثم استأنف فقال ﴿بل ران على قلوبهم﴾ أي غلب عليها ﴿ما كانوا يكسبون﴾ والمعنى غلب ذنوبهم على قلوبهم وقيل ان معنى الرين هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب عن الحسن وقتادة وقال الفراء كثرت المعاصي منهم والذنوب وأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وعن عبد الله بن مسعود قال ان الرجل ليذنب الذنب فتنكت على قلبه نكتة سوداء ثم يذنب الذنب فتنكت نكتة أخرى حتى يصير قلبه على لون الشاة السوداء وروى العياشي بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر (ع) قال ما من عبد مؤمن الا وفي قلبه نكتة بيضاء فإذا أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء فإذا تاب ذهب ذلك السواد وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً وهو قول الله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾ الآية وقال أبو عبد الله (ع) يصدأ القلب فإذا ذكرته بآلاء الله انجلى عنه وقال أبو مسلم ان اعتيادهم الكفر وإلفتهم له وغفلتهم صار غطاء على قلوبهم فلا يعقلون ما ينفعهم لأن ترك النظر في العواقب وكثرة المعاصي والانهماك في الفسق يقوي الدواعي في الإعراض عن التوبة والإيلاع بالذنوب فصار ذلك كالغالب على القلوب الرائن عليها وقال أبو القاسم البلخي وفي الآية دلالة على صحة ما يقوله أهل العدل في تفسير الطبع على القلوب والختم عليها والاضلال لأنه تعالى اخبر ان اعمالهم السيئة وما كانوا يكسبونه من القبيح ران على قلوبهم ﴿كلا﴾ يريد لا يصدقون عن ابن عباس ثم استأنف ﴿أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ يعني ان هؤلاء الذين وصفهم بالكفر والفجور محجوبون يوم القيامة عن رحمة ربهم واحسانه وكرامته عن الحسن وقتادة وقيل ممنوعون من رحمته مدفوعون عن ثوابه غير مقبولين ولا مرضيين عن أبي مسلم وقيل محرومون عن ثوابه وكرامته عن علي (ع) ﴿ثم انهم﴾ بعد أن منعوا من الثواب والكرامة ﴿لصالوا الجحيم﴾ أي لازموا الجحيم بكونهم فيها لا يغيبون عنها وقال أبو مسلم لصائرون صلاها أي وقودها ﴿ثم يقال﴾ لهم توبيخاً وتبكيتاً ﴿هذا الذي﴾ فعل بكم من العذاب والعقاب ﴿الذي كنتم به تكذّبون﴾ في دار التكليف ويسمى مثل هذا الخطاب تقريعاً لأنه خبر بما يقرع بشدة الغم على وجه الذم .

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾

تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ
مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ
ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ
بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾
وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا
رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ
عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ
يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ
ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر ويعقوب تُعرف بضم التاء وفتح الراء نضرةٌ بالرفع والباقون تعرف بفتح التاء وكسر الراء نضرةً بالنصب وقرأ الكسائي وحده خاتمه وهي قراءة علي (ع) وعلقمة والباقون ختامه وقرأ أبو جعفر وحفص فكهين بغير ألف والباقون فاكهين وقرأ حمزة والكسائي هثّوب الكفار بإدغام اللام في الثاء وقد روي نحوه عن أبي عمرو والباقون بالإظهار .

[ **الحجة** ] تعرف في وجوههم على الخطاب والمعنى في القراءتين سواء وقال أبو عبيدة ختامه أي عاقبته قال ابن مقبل :

مِمّـا يُفَتَّقُ فِـي الْحـانُـوتِ بـاطِنُـهـا   بِـالْفُلْفُـلِ الْجَـوْنِ وَالـرُّمّـانِ مَخْتُـومُ(١)

قال أبو علي ختامه مسك والمراد به لذاذة المقطع وذكاء الرائحة وأرجها مع طيب

(١) الجون : الاسود المشرب حمرة .

الطعم وهذا كقوله كان مزاجها كافوراً وكان مزاجها زنجبيلاً أي يحذي اللسان وأما قول الكسائي خاتمه فإن معناه آخره كما كان خاتم النبيين معناه آخرهم فالختام المصدر والخاتم اسم الفاعل كالطابع والتابل والعرب تقول خاتم بالفتح وخاتِم وخاتام وخيتام قال سيبويه ادغم أبو عمرو هثُّوب الكفار وادغامها فيها حسن وان كان دون ادغام اللام في الراء في الحسن لتقاربهما وجاز ادغامها فيها لأنه قد أدغم في الشين فيما قد انشده من قوله هشَّيْءُ بكفيك لائق يريد هل شيء .

[ اللغة ] عليون علو على علو مضاعف ولهذا جمع بالواو والنون تفخيماً لشأنه وتشبيهاً بما يعقل في عظم الشأن وهي مراتب عالية محفوفة بالجلالة قال الشاعر :

فَأَصْبَحَتِ الْمَذَاهِبُ قَدْ أَذَاعَتْ بِهِ الإِعْصَارُ بَعْدَ الْوَابِلِينَا(١)

يريد قطراً بعد قطر غير محدود العدد وكذلك تفخيم شأن العدد الذي ليس على الواحد نحو ثلاثون وأربعون إلى التسعين وجرت العشرون عليه وقال الزجاج عليون اسم لأعلى الأمكنة وإعرابه كإعراب الجمع لأنه على لفظ الجمع كما تقول هذا قنسرون ورأيت قنسرين والأرائك الأسرة في الحجال والرحيق الشراب الذي لا غشّ فيه قال حسان :

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمِ بَرَدَىٰ تُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ(٢)

قال الخليل هي أفضل الخمر وأجودها والتنافس تمني كل واحد من النفسين مثل الشيء النفيس الذي للنفس الأخرى أن يكون له تنافسوا في الشيء تنافساً ونافسه فيه منافسة ونفس عليه بالشيء ينفس نفاسة إذا ضنَّ به لجلالة قدره عنده وذلك الشيء الذي ينفس به نفيس والمزج خلط مائع بمائع على خلاف صفته كمزج الشراب بالماء والتسنيم عين ماء يجري من علو إلى أسفل يتسنم عليهم من الغرف واشتقاقه من السنام وسنمت العين تسنيماً إذا أجريتها عليهم من فوقهم والتغامز إشارة بعضهم إلى بعض بالأعين استهزاء وطلباً للعيب يقال غمز بجفنه إذا أشار والفاكهون اللاهون والفكهون المرحون الأشرون والفكاهة المزاح وأصل الثواب من الرجوع كأنه يرجع على العامل بعمله وثاب عليه عقله إذا رجع .

[ الإعراب ] عيناً يشرب بها المقربون يجوز أن تكون منصوبة مفعولة لتسنيم أي مزاجه من ماء متسم عيناً كقوله تعالى ﴿ أو إطعام يتيماً ﴾ ويجوز أن تكون منصوبة على تقدير

(١) المذاهب: المسالك والطرق. وأذاعت به أي ذهبت وغيرته. والاعصار: الريح الشديدة .

(٢) البريص نهر بدمشق وبردى نهر آخر بدمشق وقوله بردى أي ماء بردى . ويصفق أي يمزج. والسلسل: اللينة السهلة الدخول في الحلق .

ويسقون من عين ويجوز أن تكون منصوبة على الحال ويكون تسنيم معرفة وعيناً بكرة .

[ المعنى ] لمّا تقدَّم ذكر حال الفجار عقَّبه سبحانه بذكر حال الابرار فقال ﴿ **كلا** ﴾ أي لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه فعلى هذا يتصل بما قبله وقيل معناه حقاً ويتصل بما بعده ﴿ **إن كتاب الأبرار** ﴾ أي المطيعين لله ﴿ **لفي عليين** ﴾ أي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقيل في السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين عن قتادة ومجاهد والضحاك وكعب وقيل في سدرة المنتهى وهي التي ينتهي إليها كل شيء من أمر الله تعالى عن الضحاك في رواية أخرى وقيل العليون الجنة عن ابن عباس قال الفراء في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له وقيل هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيها عن ابن عباس في رواية أخرى وعن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال في عليين في السماء السابعة تحت العرش ﴿ **وما أدراك ما عليون** ﴾ وهذا تعظيم لشأن هذه المنزلة وتفخيم لأمرها وتنبيه على أن تفصيل تفضيله لا يمكن العلم به إلا بالمشاهدة ثم قال ﴿ **كتاب مرقوم** ﴾ أي هو كتاب مكتوب فيه جميع طاعاتهم وما تقرّ به أعينهم ويوجب سرورهم بضد الكتاب الذي للفجار لأن فيه ما يسوؤهم وينوؤهم ويسخن عيونهم قال مقاتل مرقوم مكتوب لهم بالخيرات في ساق العرش ويدل عليه قوله ﴿ **يشهده المقربون** ﴾ يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين والمقربون هم الذين قربوا إلى كرامة الله في أجل المراتب وقال عبد الله بن عمر أن أهل عليين لينظرون إلى أهل الجنة من كذا فإذا أشرف رجل منهم أشرقت الجنة وقالوا قد اطلع علينا رجل من أهل عليين ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم** ﴾ أي يحصلون في ملاذ وأنواع من النعمة في الجنة ﴿ **على الأرائك** ﴾ قال الحسن ما كنا نعرف ما الأرائك حتى قدم إلينا رجل من أهل اليمن فزعم أن الأريكة عندهم الحجلة إذا كان فيها سرير ﴿ **ينظرون** ﴾ إلى ما أعطوا من النعيم والكرامة وقيل ينظرون إلى عدوهم حين يعذبون عن مقاتل ﴿ **تعرف في وجُوههم نضرة النعيم** ﴾ أي إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة بما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض والبهجة قال عطاء وذلك أن الله تعالى قد زاد في جمالهم وألوانهم مالا يصفه واصف ﴿ **يسقون من رحيق** ﴾ أي خمر صافية خالصة من كل غش ﴿ **مختوم** ﴾ وهو الذي له ختام أي عاقبة وقيل مختوم في الآنية بالمسك وهو غير الخمر التي تجري في الأنهار وقيل مختوم أي ممنوع من أن تمسه يد حتى يفك ختمه للأبرار ثم فسَّر المختوم بقوله ﴿ **ختامه مسك** ﴾ أي آخر طعمه ريح المسك إذا رفع الشارب فاه عن آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل ختم

اناؤه بالمسك بدلاً من الطين الذي يختم به الشراب في الدنيا عن مجاهد وابن زيد قال مجاهد طينه مسك وعن أبي الدرداء قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجه لم يبق ذو روح إلا ونال طيبها ثم رغَّب فيها فقال ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ أي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى ومثله قوله سبحانه لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليتنازع المتنازعون عن مقاتل وقيل فليتشاح المتشاحون عن زيد بن أسلم وفي الحديث من صام لله في يوم صائف سقاه الله على الظمأ من الرحيق المختوم وفي وصية النبي ﷺ لأمير المؤمنين (ع) ومن ترك الخمر لله سقاه الله من الرحيق المختوم ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ أي ومزاج ذلك الشراب الذي وصفناه وهو ما يمزج به من تسنيم وهو عين في الجنة وهو أشرف شراب في الجنة قال مسروق يشربها المقربون صرفاً ويمزج بها كأس أصحاب اليمين فيطيب وروى ميمون بن مهران أن ابن عباس سئل عن تسنيم فقال هذا مما يقول الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ونحو هذا قول الحسن خفايا أخفاها الله لأهل الجنة وقيل هو شراب ينصبُّ عليهم من علو انصباباً عن مقاتل وقيل هو نهر يجري في الهواء فينصب في أواني أهل الجنة بحسب الحاجة عن قتادة ثم فسَّره سبحانه فقال ﴿ عيناً يشرب بها المقربون ﴾ أي هي خالصة للمقربين يشربونها صرفاً ويمزج لسائر أهل الجنة عن ابن مسعود وابن عباس ﴿ إن الذين أجرموا ﴾ يعني كفار قريش ومترفيهم كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم ﴿ كانوا من الذين آمنوا ﴾ يعني أصحاب النبي ﷺ مثل عمار وخباب وبلال وغيرهم ﴿ يضحكون ﴾ على وجه السخرية بهم والاستهزاء في دار الدنيا ويحتمل أن يكون ضحكوا من جدّهم في عبادتهم وكثرة صلاتهم وصيامهم لإنكارهم الجزاء والبعث ويجوز أن يكون كان ضحكهم انكاراً وتعجباً من قولهم بالإعادة وإحياء العظام الرميمة ويحتمل أن يكون ذلك لغلوهم في كفرهم وجهلهم ولإيهام العوام أنهم على حقّ وإن المسلمين على باطل فكانوا يضحكون ﴿ وإذا مرّوا بهم ﴾ يعني وإذا مرّ المؤمنون بهؤلاء المشركين ﴿ يتغامزون ﴾ بأن يشير بعضهم إلى بعض بالأعين والحواجب استهزاء بهم أي يقول هؤلاء انهم على حقّ وإن محمداً ﷺ أنزل عليه الوحي وأنه رسول وإنا نبعث ونحو ذلك وقيل نزلت في علي بن أبي طالب (ع) وذلك أنه كان في نفر من المسلمين جاءوا إلى النبي ﷺ فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه فنزلت الآية قبل أن يصل علي (ع) وأصحابه إلى النبي ﷺ عن مقاتل والكلبي وذكر الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل بإسناده عن أبي

صالح عن ابن عباس قال إن الذين أجرموا منافقوا قريش والذين آمنوا علي بن أبي طالب (ع) وأصحابه ﴿ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ﴾ يعني وإذا رجع هؤلاء الكفار إلى أهلهم رجعوا معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم ﴿ وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴾ عن طريق الحق والصواب تركوا التنعم رجاء ثواب لا حقيقة لهم خدعهم به محمد ﷺ ثم قال سبحانه ﴿ وما أرسلوا عليهم حافظين ﴾ أي ولم يرسل هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين ما هم عليه وما كلفوا حفظ أعمالهم فكيف يطعنون عليهم ولو اشتغلوا بما كلّفوه كان ذلك أولى بهم وقيل معناه وما أرسلوا عليهم شاهدين لأن شهادة الكفار لا تقبل على المؤمنين أي ليسوا شهداء عليهم بل المؤمنون شهداء على الكفار يشهدون عليهم يوم القيامة عن أبي مسلم ﴿ فاليوم ﴾ يعني يوم القيامة الذي يجازي الله كل أحد على عمله ﴿ الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾ كما ضحك الكفار منهم في الدنيا وذلك أنه يفتح للكفار باب إلى الجنة ويقال لهم اخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مراراً فيضحك منهم المؤمنون عن أبي صالح وقيل يضحكون من الكفار إذا رأوهم في العذاب وأنفسهم في النعيم وقيل أن الوجه في ضحك أهل الجنة من أهل النار أنهم لما كانوا أعداء الله وأعداء لهم جعل الله سبحانه لهم سروراً في تعذيبهم ولو كان العفو قد وقع عليهم لم يجز أن يجعل السرور في ذلك لأنه مضمن بالعداوة وقد زالت بالعفو ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ يعني المؤمنين ينظرون إلى عذاب أعدائهم الكفار على سرر في الحجال ثم قال سبحانه ﴿ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ أي هل جوزي الكفار إذا فعل بهم هذا الذي ذكره على ما كانوا يفعلونه من السخرية بالمؤمنين في الدنيا وهو استفهام يراد به التقرير وثوب بمعنى أثيب وقيل معناه يتصل بما قبله ويكون التقدير إن الذين آمنوا ينظرون هل جوزي الكفار بأعمالهم ويكون الجملة متعلقة بينظرون وعلى القول الأول يكون استئناف كلام لا موضع له من الإعراب وإنما قال هل ثوب الكفار فاستعمل لفظ الثواب في العقوبة لأن الثواب في أصل اللغة الجزاء الذي يرجع إلى العامل بعمله وإن كان في العرف اختصّ الجزاء بالنعيم على الأعمال الصالحة فاستعمل هنا على أصله وقيل لأنه جاء في مقابلة ما فعل بالمؤمنين أي هل ثوب الكفار كما ثوب المؤمنون وهذا القول يكون من قبل الله تعالى أو تقوله الملائكة للمؤمنين تنبيهاً لهم على أن الكفار جوزوا على كفرهم واستهزائهم بالمؤمنين ما استحقوه من أليم العذاب ليزدادوا بذلك سروراً إلى سرورهم ويحتمل أن يكون ذلك يقوله المؤمنون بعضهم لبعض سروراً بما ينزل بالكفار وكل هذه الوجوه إنما تتجه على القول الأول إذا كانت الجملة كلاماً مستأنفاً لا تعلق له بما قبله .

# (٨٤) سُورَةُ الانشِقَاقِ مَكِيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ

وتسمى سورة الانشقاق مكية .

**[ عدد آيها ]**

ثلاث وعشرون آية بصري شامي وخمس في الباقين .

**[ اختلافها ]** آيتان كتابه بيمينه وراء ظهره كلاهما حجازي كوفي .

**[ فضلها ]** أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره .

**[ تفسيرها ]** ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر أحوال القيامة وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فاتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا
ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا
وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا
فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ

يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾
وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾
وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن
لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن
طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ
لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ ۩ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وأهل العراق غير الكسائي يصلى بالتخفيف بفتح الياء والباقون يصلى بضم الياء والتشديد وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة غير عاصم لتركبن بفتح الباء والباقون بضم الباء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة يصلى مشددة اللام ثم الجحيم صلوه وحجة يصلى وسيصلون سعيراً أصلوها اليوم وهذا كثير في التنزيل وحجة لتركبن قول ابن عباس لتركبن السماء حالاً بعد حال مرة كالمهل ومرة كالدهان وابن مسعود لتركبن يا محمد طبقاً عن طبق ومجاهد لتركبن أمراً بعد أمر والحسن أي حالاً عن حال ومنزلاً عن منزل أبو عبيدة لتركبن سنّة من كان قبلكم أبو علي من فتح الباء أراد النبي ﷺ ومن ضم الباء أراد النبي ﷺ وغيره والضم يأتي على معنى المفتوحة وفسروا طبقاً عن طبق حالاً بعد حال ومثل ما فسروا من أن معنى عن معنى بعد قول الأعشى :

سَادَ وَأَلْفَىٰ رَهْطَهُ سَادَةً وَكَابِراً سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ

المعنى كابراً بعد كابر فعن متعلق بسادوك ولا يكون متعلقاً بكابر وقد بينوا ذلك في قول النابغة :

بَقِيَّةُ قِدْرٍ مِنْ قُدُورٍ تُوُرِّثَتْ    لِآلِ الْجُلاحِ كَابِراً بَعْدَ كَابِرِ

وقالوا عرق عن الحمى أي بعدها .

[ اللغة ] الإنشقاق افتراق امتداد عن التئام فكل انشقاق افتراق وليس كل افتراق انشقاقاً والأذن الاستماع تقول العرب أذن لك هذا الأمر أذنا بمعنى استمع لك قال عدي بن زيد :

فِي سَمَاعٍ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ    وَحَدِيثٍ مِثْلِ مَاذِيِّ مُشَارِ[1]

وقال أيضاً :

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ    إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ[2]

وقال آخر « وَإِنْ ذُكرتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا »[3] والكدح السعي الشديد في الأمر والدأب في العمل ويقال كدح الإنسان في عمله يكدح وثور فيه كدوح أي آثار من شدة السعي قال ابن مقبل :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا    أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ

والحَور الرجوع حار يحور إذا رجع وكلّمته فما حار جواباً أي ما ردَّ جواباً ونعوذ بالله من الحَور بعد الكَور أي من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة والتمام وحوره إذا ردَّه إلى البياض والمحور البكرة تدور حتى ترجع إلى مكانها والشفق هو الحمرة بين المغرب والعشاء الآخرة وهو قول مالك والشافعي والأوزاعي وأبي يوسف ومحمد وهو قول الخليل وهو المروي عن أئمة الهدى ( ع ) وقال ثعلب هو البياض وهو قول أبي حنيفة قال الفراء سمعت بعض العرب تقول الثوب أحمر كأنه الشفق وقال الشاعر « أَحْمَرُ اللَّونِ كَمَحْمَرِّ الشَّفَقِ » . وقال آخر :

قُمْ يَا غُلَامُ أَعِنِّي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ    عَلَى الزَّمَانِ بِكَأْسٍ حَشْوَهَا شَفَقُ

(١) الماذى : العسل الأبيض . والمشار بمعنى المجنى .

(٢) الددن : اللهو.

(٣) هذا عجز بيت قاله قعنب بن أم صاحب وصدره « صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به » .

وأصل الشفق الرقة ومثله التشفيق وهو الرقة على خلل فيه وأشفق على كذا إذا رقَّ عليه وخاف هلاكه وثوب شفق رقيق فالشفق هو الحمرة الرقيقة في المغرب بعد مغيب الشمس والوسق الجمع وسقته أسقه إذا جمعته وطعام موسوق أي مجموع والوسق الطعام المجتمع الكثير مما يكال أو يوزن ومقداره ستون صاعاً والاتساق الاجتماع على تمام افتعال من الوسق وأصل الطبق الحال والعرب تسمي الدواهي أم طبق وبنات طبق قال « قَدْ طَرَّقَتْ بِبِكْرِها أُمُّ طَبَق »(١) وقال في أن الطبق الحال :

الصَّبْرُ أَحْمَدُ وَالدُّنْيا مُفَجِّعَةٌ ... مَنْ ذَا الَّذِي لَمْ يَذُقْ مِنْ عَيْشِهِ رِنقاً(٢)
إذا صَفا لَكَ مِنْ مَسْرُورِها طَبَقٌ ... أَهْدىٰ لَكَ الدَّهْرُ مِنْ مَكْرُوهِها طَبَقاً

وقال آخر :

إنِّي امْرُؤٌ قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطره ... وَساقَنِي طَبَقٌ مِنْهُ إلىٰ طَبَقِ
فَلَسْتُ أَصْبُو إلىٰ خِلٍّ يُفارِقُني ... وَلا تَقَبَّضُ أَحْشائي مِنَ الْفَرَقِ

[ الإعراب ] قال الزجاج جواب إذا يدلُّ عليه قوله فملاقيه والمعنى إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله والهاء في قوله فملاقيه يجوز أن يكون تقديره فملاق ربك ويجوز أن يكون فملاق كدحك أي عملك وسعيك وقوله ﴿ كادح إلى ربك كدحاً ﴾ قيل أن إلى هنا بمعنى اللام والوجه الصحيح فيه أن يكون محمولاً على المعنى لأن معناه ساع إلى ربك سعياً على أنه يحتمل أن يكون إلى متعلقة بمحذوف ويكون التقدير أنك كادح لنفسك صائر إلى ربك كما أن قوله ﴿ وتبتَّل إليه ﴾ يكون على معنى تبتل من الخلق راجعاً إلى الله تعالى أو راغباً إليه وقوله يدعو ثبوراً معناه أنه يقول يا ثبوراه فكأنه يدعوه ويقول يا ثبور تعال فهذا أوانك مثل ما قيل في يا حسرتي فعلى هذا يكون ثبوراً مفعولاً به أن لن يحور تقديره أنه لن يحور فهي مخففة من الثقيلة ولا يجوز أن تكون أن الناصبة للفعل لأنه لا يجوز أن يجتمع عاملان على كلمة واحدة وقوله فما لهم مبتدأ وخبر ولا يؤمنون جملة منصوبة الموضع على الحال والتقدير أيّ شيء استقرَّ لهم غير مؤمنين .

---

(١) قاله خلف الأحمر لما نعى إليه المنصور وبعده « فدمروها وهمة ضخم العنق * موت الامام فلقة من الفلق ».
وطرقت المرأة والناقة نشب ولدها في بطنها ولم يسهل خروجه .

(٢) الرنق مصدر قولك : رنق الماء : إذا كدر .

[ المعنى ] ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ أي تصدَّعت وانفرجت وإنشقاقها من علامات القيامة وذكر ذلك في مواضع من القرآن ﴿ وأذنت لربها ﴾ أي سمعت وأطاعت في الإنشقاق عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وهذا توسّع أي كأنها سمعت وانقادت لتدبير الله ﴿ وحقت ﴾ أي وحقّ لها أن تأذن بالإنقياد لأمر ربها الذي خلقها وتطيع له ﴿ وإذا الأرض مدّت ﴾ أي بسطت باندكاك جبالها وآكامها حتى تصير كالصحيفة الملساء وقيل إنها تمدُّ مدَّ الأديم العكاظي وتزاد في سعتها عن ابن عباس وقيل سويت فلا بناء ولا جبل إلا دخل فيها عن مقاتل ﴿ وألقت ما فيها ﴾ من الموتى والكنوز مثل وأخرجت الأرض أثقالها عن قتادة ومجاهد ﴿ وتخلت ﴾ أي خلت فلم يبق في بطنها شيء وقيل معناه ألقت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ ليس هذا بتكرار لأن الأول في صفة السماء والثاني في صفة الأرض وهذا كله من إشراط الساعة وجلائل الأمور التي تكون فيها والتقدير إذا كانت هذه الأشياء التي ذكرناها وعددناها رأى الإنسان ما قدَّم من خير أو شرّ ويدل على هذا المحذوف قوله ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً ﴾ أي ساع إليه في عملك وقوله ﴿ يا أيها الإنسان ﴾ خطاب لجميع المكلفين من ولد آدم يقول الله لهم سبحانه ولكل واحد منهم يا أيها الإنسان أنك عامل عملاً في مشقة لتحمله إلى الله وتوصله إليه ﴿ فملاقيه ﴾ أي ملاق جزاءه جعل لقاء جزاء العمل لقاء له تفخيماً لشأنه وقيل معناه ملاق ربك أي صائر إلى حكمه حيث لا حكم إلا حكمه وقال ابن الأنباري والبلخي جواب إذاً قوله ﴿ أذنت لربها وحقت ﴾ والواو زائدة كقوله ﴿ حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها ﴾ وهذا ضعيف والأول هو الوجه ثم قسَّم سبحانه أحوال لخلق يوم القيامة فقال ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾ أي من أعطي كتابه الذي ثبت فيه أعماله من طاعة أو معصية بيده اليمنى ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ يريد أنه لا يناقش في الحساب ولا يواقف على ما عمل من الحسنات وما له عليها من الثواب وما حطّ عنه من الأوزار إما بالتوبة أو بالعفو وقيل الحساب اليسير التجاوز عن السيئات والإثابة على الحسنات ومن نوقش الحساب عذب في خبر مرفوع وفي رواية أخرى يعرف عمله ثم يتجاوز عنه وفي حديث آخر ثلاث من كنَّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي يا رسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك ﴿ وينقلب ﴾ بعد الفراغ من الحساب ﴿ إلى أهله مسروراً ﴾ بما أوتي من الخير والكرامة والمراد بالأهل هنا ما أعدَّ الله له من الحور العين وقيل أهله أزواجه وأولاده وعشائره وقد سبقوه إلى الجنة والسرور هو الإعتقاد والعلم بوصول نفع إليه أو دفع ضرر عنه في المستقبل وقال قوم هو معنى في القلب يلتذّ

لأجله بنيل المشتهى يقال سرَّ بكذا من مال أو ولد أو بلوغ أمل فهو مسرور ﴿ **وأما من أوتي كتابه وراء ظهره** ﴾ لأن يمينه مغلولة إلى عنقه وتكون يده اليسرى خلف ظهره عن الكلبي وقيل تخلع يده اليسرى خلف ظهره عن مقاتل والوجه في ذلك أن تكون إعطاء الكتاب باليمين إمارة للملائكة والمؤمنين لكون صاحبه من أهل الجنة ولطفاً للخلق في الإخبارية وكناية عن قبول أعماله وإعطاؤه على الوجه الآخر إمارة لهم على أن صاحبه من أهل النار وعلامة المناقشة في الحساب وسوء المآب ثم حكى سبحانه ما يحلّ به فقال ﴿ **فسوف يدعو ثبوراً** ﴾ أي هلاكاً إذا قرأ كتابه وهو أن يقول واثبوراه واهلاكاه ﴿ **ويصلى سعيراً** ﴾ أي يدخل النار ويعذب بها عن الجبائي وقيل يصير صلاء النار المسعرة وقيل يلزم النار معذباً على وجه التأبيد ﴿ **أنه كان في أهله مسروراً** ﴾ في الدنيا ناعماً لا يهمه أمر الآخرة ولا يتحمل مشقة العبادة فأبد له الله بسروره غماً باقياً لا ينقطع وكان المؤمن مهتماً بأمر الآخرة فأبدله الله بهمّه سروراً لا يزول ولا يبيد وقيل كان مسروراً بمعاصي الله تعالى لا يندم عليها عن الجبائي وقيل إن من عصى وسرَّ بمعصية الله فقد ظنَّ أنه لا يرجع إلى البعث ولو كان موقتاً بالبعث والجزاء لكان بعيداً عن السرور بالمعاصي ﴿ **أنه ظن أن لن يحور** ﴾ أي ظن في دار التكليف أنه لم يرجع إلى حال الحياة في الآخرة للجزاء فارتكب المآثم وانتهك المحارم وقال مقاتل حسب أن لا يرجع إلى الله فقال سبحانه ﴿ **بلى** ﴾ ليحورن وليبعثن وليس الأمر على ما ظنَّه ﴿ **أن ربه كان به بصيراً** ﴾ من يوم خلقه إلى أن يبعثه قال الزجاج كان به بصيراً قبل أن يخلقه عالماً بأن مرجعه إليه ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ **فلا أقسم** ﴾ سبق بيانه في سورة القيامة ﴿ **بالشفق** ﴾ أي بالحمرة التي تبقى عند المغرب في الأفق وقيل البياض ﴿ **والليل وما وسق** ﴾ أي وما جمع وضمّ مما كان منتشراً بالنهار في تصرفه وذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه عن عكرمة وغيره وقيل وما ساق لأن ظلمة الليل تسوق كل شيء إلى مسكنه عن الضحاك ومقاتل وقيل وما وسق أي طرد من الكواكب فإنها تظهر بالليل وتخفى بالنهار وأضاف ذلك إلى الليل لأن ظهورها فيه مطرد عن أبي مسلم ﴿ **والقمر إذا اتسق** ﴾ أي إذا استوى واجتمع وتكامل وتمَّ قال الفراء إتساقه امتلاؤه واجتماعه واستواؤه لثلاث عشرة إلى ست عشرة ﴿ **لتركبن طبقاً عن طبق** ﴾ هذا جواب القسم أي لتركبن يا محمد سماء بعد سماء تصعد فيها عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والشعبي والكلبي ويجوز أن يريد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في المقربة من الله ورفعة المنزلة عنده وروى مجاهد عن ابن عباس أنه كان يقرأ لتركبن بفتح الباء طبقاً عن طبق قال يعني نبيكُم حالاً بعد حال رواه البخاري في الصحيح ومن قرأ بالضم فالخطاب للناس أي لتركبن حالاً بعد حال ومنزلاً بعد منزل وأمراً بعد أمر يعني في الآخرة

والمراد أن الأحوال تتقلب بهم فيصيرون على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وعن بمعنى بعد كما قال سبحانه عما قليل ﴿ ليصبحن نادمين ﴾ أي بعد قليل وقال الشاعر :

قَـرِّبـا مَـرْبَطَ الـنَّـعـامَـةِ مِـنّـي لَقَحَتْ حَـرْبُ وائِـلٍ عَنْ حِيـالٍ[١]

أي بعد حيال وقيل معناه شدة بعد شدة حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء وروي ذلك مرفوعاً وقيل أمراً بعد أمر ورخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء وفقراً بعد غنى وغنى بعد فقر وصحة بعد سقم وسقماً بعد صحة عن عطا وقيل حالاً بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم خلقاً آخر ثم جنيناً ثم وليداً ثم رضيعاً ثم فطيمفا ثم يافعاً ثم ناشئاً ثم مترعراً ثم حَزَوَّراً ثم مراهقاً ثم محتلماً ثم بالغاً ثم أمرد ثم طاراً ثم باقلاً ثم مسيطراً ثم مطرخمّاً ثم مختطاً ثم صُمُّلاً ثم ملتحياً ثم مستوياً ثم مُصْعِداً ثم مجتمعاً والشاب يجمع ذلك كله ثم مَلْهُوزاً ثم كهلاً ثم أشمط ثم شيخاً ثم أشيب ثم حوقلاً ثم صفتاناً ثم همّاً[٢] ثم هَرِماً ثم ميتاً فيشتمل الإنسان من كونه نطفة إلى أن يموت على سبعة وثلاثين إسماً وقيل معناه لتحدثن أمراً لم تكونوا عليه في كل عشرين سنة عن مكحول وقيل معناه لتركبنَّ منزلة عن منزلة وطبقة عن طبقة وذلك أن من كان على صلاح دعاه ذلك إلى صلاح فوقه ومن كان إلى فساد دعاه إلى فساد فوقه لأن كل شيء يجرّ إلى شكله وقيل لتركبنَّ سنن من كان قبلكم من الأولين وأحوالهم عن أبي عبيدة وروي ذلك عن الصادق ( ع ) والمعنى أنه يكون فيكم ما كان فيهم ويجري عليكم ما جرى عليهم حذو الفذة بالقذة[٣] ثم قال سبحانه على وجه التقريع لهم والتبكيت ﴿ **فما لهم** ﴾ يعني كفار قريش ﴿ **لا يؤمنون** ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن والمعنى أيّ شيء لهم إذا لم يؤمنوا وهو استفهام إنكار أي لا شيء لهم من النعيم والكرامة إذا لم يؤمنوا وقيل معناه فما وجه الإرتياب الذي يصرفهم عن الإيمان وهو تعجب منهم في تركهم الإيمان والمراد أيُّ مانع لهم وأيُّ عذر لهم في ترك الإيمان مع وضوح الدلائل ﴿ **وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون** ﴾ عطف على قوله ﴿ **فما لهم لا يؤمنون** ﴾ أي ما الذي يصرفهم عن الإيمان وعن

---

(١) المربط : اسم مكان من الربط . والنعامة : اسم فرسه . والحيال : أن لا تحمل الناقة أو الفرس يعني أن الحرب لقمت بعد أن كانت لا تحمل . ولهذا البيت قصة ذكرها المبرد في الكامل ج ٢ : ٢٣١ ط مصر فراجع إن شئت .

(٢) الحزور: الغلام إذا اشتد وقوى. والباقل: الذي خرج شعره. والمطرخم: الشاب التام الحسن. واختط الغلام: نبت عذاره. والصمل: الشديد الخلق. والملهوز: الرجل خالطه الشيب. والحوقل: الشيخ المسن. والصفتان: القوي الجافي. والهم: الشيخ الفاني .

(٣) القذة: ريش السهم، يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

السجود لله تعالى إذا تلي عليهم القرآن وقيل معنى لا يسجدون لا يصلون لله تعالى عن عطا والكلبي وفي خبر مرفوع عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله ﷺ إذا السماء إنشقت فسجد ثم قال سبحانه ﴿ **بل الذين كفروا يكذبون** ﴾ أي لم يتركوا الإيمان لقصور في البيان أو لإنقطاع من البرهان لكنهم قلدوا أسلافهم ورؤساءهم في التكذيب بالرسول والقرآن ﴿ **والله أعلم بما يوعون** ﴾ أي يجمعون في صدورهم ويضمرون في قلوبهم من التكذيب والشرك عن ابن عباس وقتادة ومقاتل وقيل بما يجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة عن ابن زيد قال الفراء أصل الإيعاء جعل الشيء في وعاء والقلوب أوعية لما يحصل فيها من علم أو جهل وفي كلام أمير المؤمنين (ع) إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها ثم قال ﴿ **فبشرهم** ﴾ يا محمد ﴿ **بعذاب أليم** ﴾ أي اجعل ذلك لهم بدل البشارة للمؤمنين بالرحمة ثم استثنى سبحانه المؤمنين من جملة المخاطبين فقال ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون** ﴾ أي غير منقوص ولا مقطوع لأن نعيم الآخرة غير منقطع عن ابن عباس وقيل غير منقص ولا مكدر بالمنّ عن الجبائي وروي ذلك عن الحسن وقيل له منٌّ ولا منة وإنما قيل له منّ ومنة لأنه يقطع عن شكر النعمة وأصل المن القطع يقال مننت الحبل إذا قطعته قال لبيد :

لِـمُـعَـفَّـرٍ قَـهْـدٍ تَـنَـازَعَ شِـلْوَهُ غُبْسٌ كَـوَاسِبُ مَـا يُمَنُّ طَعَـامُهـا (١)

وقيل ليس لأحد عليها منة فيما يكسب وفي قوله سبحانه ﴿ **فما لهم لا يؤمنون ولا يسجدون** ﴾ دلالة على أن الإيمان والسجود فعلهم لأن الحكيم لا يقول ما لك لا تؤمن ولا تسجد لمن يعلم أنه لا يقدر على الإيمان والسجود ولو وجد ذلك لم يكن من فعله ويدلّ قوله لا يسجدون على أن الكفار مخاطبون بالعبادات .

[ **النظم** ] وجه إتصال قوله ﴿ **إن ربه كان به بصيراً** ﴾ بما قبله أنه سبحانه لمّا أخبر عن ظنّ الكافر أن لن يحور عقّبه بالأخبار بأنه يحور والقطع عليه وذكر أنه بصير به وقيل أن تقديره بلى سيرجع إلى الآخرة وربه بصير بأحواله فسيجازيه بأعماله.

---

(١) البيت من المعلقة، والمعفر: الملقى على التراب. والقهد: الأبيض. والشلو: العضو. والغبسة: لون كلون الرماد والكسب: الصيد. والمعنى أن البقرة الوحشية تجد في الطلب لفقدها ولداً ألقى على الأرض وافترسه ذئاب صوائد قد اعتادت الصياد .

# (٨٥) سورة البروج مكية وآياتها اثنتان وعشرون

مكية إثنتان وعشرون آية بالإجماع .

[ فضلها ] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها أعطاه الله من الأجر بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في دار الدنيا عشر حسنات يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ والسماء ذات البروج في فرائضه فإنها سورة النبيين كان محشره وموقفه مع النبيين والمرسلين .

[ تفسيرها ] ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر المؤمنين وافتتح هذه السورة أيضاً بذكر المؤمنين من أصحاب الأخدود فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ
وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾
إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾
وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ

عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ
وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾
فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ
وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم
مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم وقتيبة المجيد بالجر والباقون بالرفع وقرأ نافع في لوح محفوظ بالرفع والباقون بالجر .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من رفع المجيد كان متبعاً قوله ﴿ **ذو العرش** ﴾ ومن جرّ فمن النحويين من جعله وصفاً لقوله ﴿ **ربك في أن بطش ربك** ﴾ قال ولا أجعله وصفاً للعرش ومنهم من قال صفة للعرش قال أبو زيد يقال مجدت الإبل تمجداً مجوداً إذا رعت في أرض مكلئة وشبعت وأمجدت الإبل إذا أشبعتها وقالوا في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار[1] أي صار ماجداً في إيرائه النار وقيل استمجد العفار إذا كثر ناره وصفت وحجة نافع في قراءته محفوظ أن القرآن وصف بالحفظ في قوله ﴿ **وإنا له لحافظون** ﴾ ومعنى حفظ القرآن أنه يؤمن من تحريفه وتبديله وتغييره فلا يلحقه شيء من ذلك وحجة من جرَّ محفوظاً جعله وصفاً للَّوح فإنهم يقولون اللَّوح المحفوظ .

[ **اللغة** ] الأخدود الشق العظيم في الأرض ومنه ما روي في معجز النبي ﷺ أنه دعا الشجرة فجعلت تخدّ الأرض خدّاً حتى أتته ومنه الخدّ لمجاري الدموع وتخدد لحمه إذا صار

(١) المرخ والعفار: شجران يقتدح من خشبتهما نار شبها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد، يضرب في تفضيل بعض الشيء .

فيه طرائق كالشقوق والوَقود ما تشتعل به النار من الحطب وغيره بفتح الواو والـوُقود بـالضم الإيقاد يقال فتنت الشيء أحرقته والفتين حجارة سود كأنها محرقة وأصل الفتنة الإمتحان ثم يستعمل في العذاب .

[ **الإعراب** ] قال الفراء قتل أصحاب الأخدود جواب القسم كما كان جواب والشمس وضحاها قد أفلح من زكاها وقيل إن جواب القسم محذوف وتقديره أنَّ الأمر حَقّ في الجزاء على الأعمال وقيل جواب القسم قوله ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين** ﴾ الآية وقيل جواب القسم قوله ﴿ **إن بطش ربك لشديد** ﴾ النار بدل من الأخدود وهو بدل الإشتمال لأن الأخدود يشتمل على ما فيه من النار أي النار منه وذات الوقود صفة للنار ويسأل على هذا فيقال كيف خصَّت هذه النار بذا وكل نار لها وقود وأجيب عنها بجوابين ( أحدهما ) أنه قد يكون نار ليست بذات وقود كنار الحجر ونار الكبد ( والآخر ) إن الوقود معرف فصار مخصوصاً كأنه وقود بعينه كما قال وقودها الناس والحجارة فكان الوقود هنا أبدان الناس، إذ هم عليها قعود إذ مضاف إلى الجملة وهي ظرف لقوله ﴿ **قتل أصحاب الأخدود** ﴾ إذا كـان إخباراً لإدعـاء وأن يؤمنوا في موضع نصب بقوله ﴿ **نقموا** ﴾ والتقدير وما نقموا إلا إيمانهم. فرعون وثمود في موضع جرّ بدل من الجنود ويجوز أن يكونا في موضع نصب بإضمار فعل كأنه قال أعني فرعون وثمود .

## [ قصة أصحاب الأخدود ]

روى مسلم في الصحيح عن هـدبة بن خـالـد عن حمـاد بن سلمــة عن ثـابت بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن رسول الله ﷺ قال كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلما مرض الساحر قال إني قد حضر أجلي فادفع إليَّ غلاماً أعلمه السحر فدفـع إليه غلاماً وكان يختلف إليه وبين الساحر والملك راهب فمرَّ الغلام بالرهب فأعجبه كلامه وأمره فكان يطيل عنده القعود فإذا أبطأ عن الساحر ضربه وإذا أبطأ عن أهله ضربوه فشكا ذلك إلى الراهب فقال يا بني إذا استبطاك الساحر فقل حبسني أهلي وإذا استبطأك أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو ذات يوم إذا بالناس قد حبستهم دابة عظيمـة فظيعـة فقال اليـوم أعلم أمر الساحر أفضل أم أمر الراهب فأخذ حجراً فقال اللهم إن كان أمرَ الراهب أحب إليك فاقتل هذه الدابة فرمى فقتلها ومضى الناس فأخبر بذلك الـراهب فقال أي بني إنـك ستبتلى وإذا ابتليت فلا تدل عليَّ قال وجعل يداوي الناس فيبرىء الأكمه والأبرص فبينما هو كذلـك إذ عمي جليس للملك فأتاه وحمل إليه مالاً كثيراً فقال أشفني ولك ما هاهنا فقال إني لا أشفي أحداً ولكن الله يشفي فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك قال فآمن فدعا الله له فشفـاه فذهب

فجلس إلى الملك فقال يا فلان من شفاك قال ربي قال أنا قال لا ربي وربك الله قال أو أن لك رباً غير قال نعم ربي وربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دلّه على الغلام فبعث إلى الغلام فقال لقد بلغ من أمرك أن تشفي الأكمه والأبرص قال ما أشفي أحداً ولكن الله ربي يشفي قال أو أن لك ربّاً غيري قال نعم ربي وربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دلّه على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتى وقع شقين وقال للغلام إرجع عن دينك فأبى فأرسل معه نفراً وقال إصعدوا به جبل كذا وكذا فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه منه قال فعلوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت قال فرجف بهم الجبل فتدهدهوا أجمعون وجاء إلى الملك فقال ما صنع أصحابك قال كفانيهم الله فأرسل به مرة أخرى قال انطلقوا به فلججوه في البحر فإن رجع وإلا فغرّقوه فانطلقوا به في قرقور[1] فلما توسّطوا به البحر قال اللهم أكفنيهم بما شئت قال فانكفأت بهم السفينة وجاء حتى قام بين يدي الملك فقال ما صنع أصحابك قال كفانيهم الله ثم قال إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به أجمع الناس ثم أصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضعه على كبد القوس ثم قل باسم رب الغلام فإنك ستقتلني قال فجمع الناس وصلبه ثم أخذ سهماً من كنانته فوضعه على كبد القوس وقال باسم رب الغلام ورمى فوقع السهم في صدغه ومات فقال الناس آمنّا برب الغلام فقيل له أرأيت ما كنت تخاف قد نزل والله بك آمن الناس فأمر بالأخدود فخددت على أفواه السكك ثم أضرمها ناراً فقال من رجع عن دينه فدعوه ومن أبى فاقحموه فيها فجعلوا يقتحمونها وجاءت امرأة بابن لها فقال لها يا أمه اصبري فإنك على الحق وقال ابن المسيب كنا عند عمر بن الخطاب إذ ورد عليه أنهم احتفروا فوجدوا ذلك الغلام وهو واضع يده على صدغه فكلما مدَّت يده عادت إلى صدغه فكتب عمر واروه حيث وجدتموه وروى سعيد بن جبير قال لما انهزم أهل اسفندهان قال عمر بن الخطاب ما هم يهود ولا نصارى ولا لهم كتاب وكانوا مجوساً فقال علي بن أبي طالب (ع) بل قد كان لهم كتاب ولكنه رفع وذلك أن ملكاً لهم سكر فوقع على ابنته أو قال على أخته فلما أفاق قال لها كيف المخرج مما وقعت فيه قالت تجمع أهل مملكتك وتخبرهم أنك ترى نكاح البنات وتأمرهم أن يحلّوه فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن يتابعوه فخدَّ لهم أخدوداً في الأرض وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار ومن أجاب خلّى سبيله وقال الحسن كان النبي ﷺ إذا ذكر أمامه أصحاب الأخدود تعوَّذ بالله من جهد البلاء وروى العياشي بإسناده عن جابر عن أبي جعفر (ع) قال أرسل علي (ع) إلى أسقف

---

(١) القرقور: السفينة الطويلة، وقيل: العظيمة.

نجران يسأله عن أصحاب الأخدود فأخبره بشيء فقال ( ع ) ليس كما ذكرت ولكن سأخبرك عنهم إن الله بعث رجلاً حبشياً نبياً وهم حبشه فكذبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه وأسروه وأسروا أصحابه ثم بنوا له حَيْراً[١] ثم ملأوه ناراً ثم جمعوا الناس فقالوا من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار معه فجعل أصحابه يتهافتون في النار فجاءت امرأة معها صبي لها ابن شهر فلما هجمت على النار هابت ورقت على ابنها فناداها الصبي لا تهابي وارمي بي وبنفسك في النار فإن هذا والله في الله قليل فرمت بنفسها في النار وصبيها وكان ممن تكلم في المهد وبإسناده عن ميثم التمار قال سمعت أمير المؤمنين ( ع ) وذكر أصحاب الأخدود فقال كانوا عشرة وعلى مثالهم عشرة يقتلون في هذا السوق وقال مقاتل كان أصحاب الأخدود ثلاثة واحد بنجران والآخر بالشام والآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فهو أنطياخوس الرومي وأما الذي بفارس فهو بخت نصر وأما الذي بأرض العرب فهو يوسف بن ذي نواس فأما من كان بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآناً وأنزل في الذي كان بنجران وذلك أن رجلين مسلمين ممن يقرأون الإنجيل ( أحدهما ) بأرض تهامة ( والآخر ) بنجران اليمن أجر أحدهما نفسه في عمل يعمله فجعل يقرأ الإنجيل فرأت ابنة المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل فذكرت لأبيها فرمق[٢] حتى رآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتابعه مع سبعة وثمانين إنساناً من رجل وامرأة وهذا بعدما رفع عيسى إلى السماء فسمع يوسف بن ذي نواس بن شراحيل بن تبع الحميري فخدَّ لهم في الأرض وأوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذف فيها وإذا امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت فقال لها يا أماه إني أرى أمامك ناراً لا تطفى فلما سمعت من ابنها ذلك قذفها في النار فجعلها الله وابنها في الجنة وقذف في النار سبعة وسبعون إنساناً قال ابن عباس من أبى أن يقع في النار ضرب بالسياط فأدخل الله أرواحهم في الجنة قبل أن تصل أجسامهم إلى النار .

[ **المعنى** ] إن الله سبحانه أقسم بالسماء فقال ﴿ **والسماء ذات البروج** ﴾ فالبروج المنازل العالية والمراد هنا منازل الشمس والقمر والكواكب وهي إثنا عشر برجاً يسير القمر في كل برج منها يومين وثلاث وتسير الشمس في كل برج شهراً ﴿ **واليوم الموعود** ﴾ يعني

---

(١) الحيرة: شبه الحظيرة .

(٢) رمقه: أطال النظر إليه .

يوم القيامة في قول جميع المفسرين وهو اليوم الذي يجازى فيه الخلائق ويفصل فيه القضاء ﴿ **وشاهد ومشهود** ﴾ فيه أقوال ( أحدها ) إن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة عن ابن عباس وقتادة وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله ( ع ) وروي ذلك عن النبي ﷺ وسمي يوم الجمعة شاهداً لأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه وفي الحديث ما طلعت الشمس على يوم لا غربت على يوم أفضل منه وفيه ساعة لا يوافقها من يدعو فيها الله بخير إلا استحباب له ولا استعاذ من شرّ إلّا أعاذه منه ويوم عرفة مشهود يشهد الناس فيه موسم الحج وتشهده الملائكة ( وثانيها ) أن الشاهد يوم النحر والمشهود يوم عرفة عن ابراهيم ( وثالثها ) أن الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة عن ابن عباس في رواية أخرى وسعيد بن المسيب وهو المروي عن الحسن بن علي وروي أن رجلاً دخل مسجد رسول الله ﷺ فإذا رجل يحدث عن رسول الله ﷺ قال فسألته عن الشاهد ومشهود فقال نعم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فقال أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر فجزتهما إلى غلام كان وجهه الدينار وهو يحدث عن رسول الله ﷺ فقلت أخبرني عن شاهد ومشهود فقال أما الشاهد فمحمد ﷺ وأما المشهود فيوم القيامة أما سمعته سبحانه يقول ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً** ﴾ وقال ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فسألت عن الأول فقالوا ابن عباس وسألت عن الثاني فقالوا ابن عمر وسألت عن الثالث فقالوا الحسن بن علي ( ع ) ( ورابعها ) أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لا يصلي عليَّ إلا عرضت عليَّ صلاته حتى يفرغ منها قال فقلت وبعد الموت فقال إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبي الله حيٌّ يرزق ( وخامسها ) إن الشاهد الملك يشهد على بني آدم والمشهود يوم القيامة عن عكرمة وتلا هاتين الآيتين وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وذلك يوم مشهود وقد قيل في ذلك أقوال أخر كقول الجبائي الشاهد الذين يشهدون على الناس والمشهود هم الذين يشهد عليهم وقول الحسين بن الفضل الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم لقوله ﴿ **لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ وقيل الشاهد أعضاء بني آدم والمشهود هم لقوله ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم** ﴾ الآية وقيل الشاهد الحجر الأسود والمشهود الحاج وقيل الشاهد الأيام والليالي والمشهود بنو آدم وينشد للحسين بن علي ( ع ) :

مَضَى أَمْسُكَ الْمَاضِي شَهِيداً مُعَدّلاً ... وَخُلِفْتَ فِي يَوْمٍ عَلَيْكَ شَهِيدُ
فَإِنْ أَنْتَ بِالأَمْسِ اقْتَرَفْتَ إِسَاءَةً ... فَقَيِّدْ بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدُ

وَلَا تُرْجَ فعل الخَيْرِ يَوْماً إِلَى غَدٍ لَعَلَّ غَداً يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ

وقيل الشاهد الأنبياء والمشهود محمد ﷺ بيانه وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله ﴿ **فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ وقيل الشاهد الله والمشهود لا إله إلا الله بيانه قوله ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو** ﴾ الآية وقيل الشاهد الخلق والمشهود الحق وإليه أشار الشاعر بقوله :

أَيَا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

فهذه ثمانية أقوال أخر ﴿ **قتل أصحاب الأخدود** ﴾ أي لعنوا بتحريقهم الناس في الدنيا قبل الآخرة والمراد به الكافرون الذين حفروا الأخدود وعذبوا المؤمنين بالنار ويحتمل أن يكون أخباراً عن المسلمين الذين عذبوا بالنار في الأخدود والمعنى أنهم قتلوا بالإحراق في النار ذكرهم الله سبحانه وأثنى عليهم بحسن بصيرتهم وصبرهم على دينهم حتى أحرقوا بالنار لا يعطون التقية بالرجوع عن الإيمان ﴿ **النار ذات الوقود** ﴾ أي أصحاب النار الذين أوقدوها بإحراق المؤمنين وقوله ﴿ **ذات الوقود** ﴾ إشارة إلى كثرة حطب هذه النار وتعظيم لأمرها فإن النار لا تخلو عن وقود ﴿ **إذ هم عليها قعود** ﴾ يعني الكفار إذ هم على أطراف هذه النار جلوس يعذّبون المؤمنون عن ابن عباس وقيل يعني هم عندها قعود يعرضونهم على الكفر عن مقاتل قال مجاهد كانوا قعوداً على الكراسي عند الأخدود وهو قوله ﴿ **وهم** ﴾ يعني الملك وأصحابه الذين خدُّوا الأخدود ﴿ **على ما يفعلون بالمؤمنين** ﴾ من عرضهم على النار وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم ﴿ **شهود** ﴾ أي حضور قال الزجاج أعلم الله قصة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة إيمانهم إلى أن صبروا على أن أحرقوا بالنار في الله وقال الربيع بن أنس لما ألقوا في النار نجى الله المؤمنين بأن أخذ أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم وقيل أنهم كانوا فرقتين فرقة تعذب المؤمنين وفرقة تشاهد الحال لم يتولوا تعذيبهم لكنهم قعود رضوا بفعل اولئك وكانت الفرقة القاعدة مؤمنة لكنهم لم ينكروا على الكفار صنيعهم فلعنهم الله جميعاً عن أبي مسلم والقعود جمع القاعد وكذلك الشهود جمع الشاهد وهم كل حاضر على ما شاهدوه إما بسمع أو بصر ﴿ **وما نقموا منهم إلّا أن يؤمنوا بالله** ﴾ أي ما كرهوا منهم إلا أنهم آمنوا عن ابن عباس وقيل ما أنكروا عليهم ديناً وما عابوا منهم شيئاً إلا إيمانهم وهذا كقوله ﴿ **هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله** ﴾

عن الزجاج ومقاتل وقال الجبائي ما فعلوا بهم ذلك العذاب إلا بإيمانهم ﴿ **العزيز** ﴾ القادر الذي لا يمتنع عليه شيء القاهر الذي لا يقهر ﴿ **الحميد** ﴾ المحمود في جميع أفعاله ﴿ **الذي له ملك السماوات والأرض** ﴾ أي له التصرف في السماوات والأرض لا اعتراض لأحد عليه ﴿ **والله على كل شيء شهيد** ﴾ أي شاهد عليهم لم يخف عليه فعلهم بالمؤمنين فإنه يجازيهم وينتصف للمؤمنين منهم ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات** ﴾ أي الذين أحرقوهم وعذّبوهم بالنار عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومثله يوم هم على النار يفتنون ﴿ **ثم لم يتوبوا** ﴾ من فعلهم ذلك ومن الشرك الذي كانوا عليه وإنما شرط عدم التوبة لأنهم لو تابوا لما توجّه إليهم الوعيد ﴿ **فلهم عذاب جهنم** ﴾ بكفرهم ﴿ **ولهم عذاب الحريق** ﴾ بما أحرقوا المؤمنين يسأل فيقال كيف فصّل بين عذاب جهنم وعذاب الحريف وهما واحد. اجيب عن ذلك بأن المراد لهم أنواع العذاب في جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم والغسلين والمقامع ولهم مع ذلك الإحراق بالنار وقيل لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك أن النار إرتفعت من الأخدود فأحرقتهم عن الربيع بن أنس وهو قول الكلبي وقال الفراء ارتفعت النار عليهم فأحرقتهم فوق الأخاديد ونجا المؤمنون ثم ذكر سبحانه ما أعدَّه للمؤمنين الذين أحرقوا بالنار فقال ﴿ **إن الذين آمنوا** ﴾ أي صدَّقوا بتوحيد الله ﴿ **وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير** ﴾ النجاة العظيم والنفع الخالص وإنما وصفه بالكبير لأن نعيم العاملين كبير بالإضافة إلى نعيم من لا عمل له من داخلي الجنة لما في ذلك من الإجلال والإكرام والتبجيل والإعظام ثم قال سبحانه متوعداً للكفار والعصاة ﴿ **أن بطش ربك** ﴾ يا محمد ﴿ **لشديد** ﴾ يعني أن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة والجبابرة أليم شديد وإذا وصف البطش وهو الأخذ عنفاً بالشدة فقد تضاعف مكروهه وتزايد إيلامه ﴿ **أنه هو يبدىء** ﴾ الخلق يخلقهم أولاً في الدنيا ﴿ **ويعيد** ﴾ هم أحياء بعد الموت للحساب والجزاء فليس إمهاله لمن يعصيه لإهماله إياه وقيل أنه يبدىء بالعذاب في الدنيا ويعيده في الآخرة عن ابن عباس وذلك لأن ما قبله يقتضيه ﴿ **وهو الغفور** ﴾ لذنوب المؤمنين من أهل طاعته ومعناه كثير الغفران عادته مغفرة الذنوب ﴿ **الودود** ﴾ يودُّ أولياءه ويحبُّهم عن مجاهد قال الأزهري في تفسير أسماء الله يجوز أن يكون ودود فعولاً بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه أن عباده الصالحين يودّونه ويحبّونه لما عرفوا من فضله وكرمه ولما أسبغ من آلائه ونعمه قال وكلتا الصفتين مدح لأنه سبحانه أن أحبَّ عباده المطيعين فهو فضل منه وأن أحبّوه فلما عرفوه من فضله وإحسانه ﴿ **ذو العرش المجيد** ﴾ أكثر القراءة في المجيد الرفع لأن الله سبحانه هو الموصوف بالمجد ولأن المجيد لم يسمع في غير صفة الله

تعالى وإن سمع الماجد ومن كسر المجيد جعله من صفة العرش وروي عن ابن عباس أنه قال يريد العرش وحسنه ويؤيّده أن العرش وصف بالكرم في قوله ﴿ رب العرش الكريم ﴾ فجاز أيضاً أن يوصف بالمجد لأن معناه الكمال والعلو والرفعة والعرش أكمل كل شيء وأعلاه وأجمعه لصفات الحسن ﴿ فعال لما يريد ﴾ لا يعجزه شيء طلبه ولا يمتنع منه شيء أراده عن عطاء وقيل لما يريد من الإبداء والإعادة ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافرة فقال ﴿ هل أتيك حديث الجنود ﴾ الذين تجندوا على أنبياء الله أي هل بلغك أخبارهم وقيل أراد قد أتاك ثم بيِّن سبحانه أصحاب الجنود فقال ﴿ فرعون وثمود ﴾ والمعنى تذكر يا محمد حديثهم تذكّر مُعتبر كيف كذبوا أنبياء الله وكيف نزل بهم العذاب وكيف صبر الأنبياء وكيف نصروا فَاصْبر كما صبر اولئك ليأتيك النصر كما أتاهم وهذا من الإيجاز البديع والتلويح الفصيح الذي لا يقوم مقامه التصريح ﴿ بل الذين كفروا ﴾ يعني مشركي قريش ﴿ في تكذيب ﴾ لك والقرآن قد أعرضوا عما يوجبه الاعتبار وأقبلوا على ما يوجبه الكفر والطغيان ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ معناه أنهم في قبضة الله وسلطانه لا يفوتونه كالمحاصر المحاط به من جوانبه لا يمكنه الفوات والهرب وهذا من بلاغة القرآن ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ أي كريم لأنه كلام الرب عن ابن عباس أي ليس هو كما يقولون من أنه شعر أو كهانة وسحر بل هو قرآن كريم عظيم الكرم فيما يعطي من الخير جليل الخطر والقدر وقيل هو قرآن كريم لما يعطي من المعاني الجليلة والدلائل النفيسة ولأن جميعه حكم والحكم على ثلاثة أوجه لا رابع لها معنى يعمل عليه فيما يخشى أو يتقى وموعظة تلين القلب للعمل بالحق وحجة تؤدّي إلى تميز الحق من الباطل في علم دين أو دنيا وعلم الدين أشرفهما وجميع ذلك موجود في القرآن ﴿ في لوح محفوظ ﴾ من التغيير والتبديل والنقصان والزيادة وهذا على قراءة من رفعه فجعله من صفة قرآن ومن جرّه فجعله صفة للوح فالمعنى أنه محفوظ لا يطلع عليه غير الملائكة وقيل محفوظ عند الله وهوأمّ الكتاب ومنه نسخ القرآن والكتب وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ وهو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب عن ابن عباس ومجاهد وقيل إن اللوح المحفوظ الذي ذكره الله في جبهة إسرافيل عن أنس وقيل اللوح المحفوظ عن يمين العرش عن مقاتل .

# (٨٦) سورة الطارق مكية وآياتها سبع عشرة

مكية سبع عشرة آية .

[ فضلها ] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات عن المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله ( ع ) قال من كان قراءته في الفريضة بالسماء والطارق كان له يوم القيامة عند الله جاه ومنزلة وكان من رفقاء النبيين وأصحابهم في الجنة .

[ تفسيرها ] ختم الله سبحانه تلك السورة بالوعيد وافتتح هذه السورة بمثله وأكّد ذلك بأن أعمال الخلق محفوظة فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ
الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ
مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ
وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾
فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ

بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾
فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة لمّا عليها بتشديد الميم والباقون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة ابن عباس مهّلهم رويداً بغير ألف .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من خفف لما كانت أن عنده المخففة من الثقيلة واللام معها هي اللام التي تدخل مع هذه المخففة لتخلصها من أن النافية وما صلة كالتي في قوله ﴿ **فيما رحمة من الله** ﴾ وعما قليل وتكون أن متلقية للقسم كما تتلقاه مثقلة ومن ثقل « لمّا » كانت أن عنده النافية كالتي في قوله ﴿ **فيما إن مكناكم فيه** ﴾ ولما في معني إلا وهي متلقية للقسم كما يتلقّاه « ما » قال أبو الحسن الثقيلة في معنى إلا والعرب لا تكاد تعرف ذا وقال الكسائي لا أعرف وجه التثقيل وعن ابن عوف قال قرأت عند ابن سيرين إن كل نفس لما بالتشديد فأنكره قال الزجاج استعملت لما في موضع إلا في موضعين ( أحدهما ) هذا والآخر في باب القسم تقول سألتك لما فعلتك بمعنى ألا فعلت .

[ **اللغة** ] طرقني فلان إذا أتاني ليلاً وأصل الطرق الدق ومنه المطرقة لأنها يدق بها والطريق لأن المارة تدقه والطارق الآتي ليلاً يحتاج إلى الدق للتنبيه ونهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً حتى تَسْتَحِدَّ المغيبة[1] وتمشط الشعثة وقالت هند بنت عتبة « نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ * نَمْشي عَلَى النَّمارِقِ »[2] تريدان أبانا نجم في شرفه وعلوه وقال الشاعر:

يَا رَاقِدَ اللَّيْـلِ مَسْـرُوراً بِأَوَّلِهِ ... إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَسْحَاراً
لَا تَأْمَنَنَّ بِلَيْـلٍ طَـابَ أَوَّلُهُ ... فَـرُبَّ آخِـرِ لَيْـلٍ أَجَّجَ النَّارَا

والنجم الكواكب الطالعة في السماء يقال لكل طالع ناجم تشبيهاً به نجم النبت ونجم السن والقرن والثاقب المضيء النير وثقوبه توقده بنوره والثاقب العالي الشديد العلو والدفق صبُّ الماء الكثير باعتماد قويّ ومثله الدفع فالماء الذي يكون منه الولد يكون دافقاً وهو القاطر المصب وهي النطفة التي يخلق الله منها الولد وقيل ماء دافق معناه مدفوق ومثله سرٌّ كاتم وعيشة راضية والترائب نواحي الصدر واحدتها تريبة وهو مأخوذ من تذليل حركتها كالتراب قال المثقب:

---

(١) أي تحلق عانتها.

(٢) النمارق جمع النمرقة: الوسادة.

وَمَنْ ذَهَبٍ يُسَنُّ عَلىٰ تَرِيبٍ     كَلَوْنِ العَاجِ لَيْسَ بِذِي غُضُونِ[١]

وقال آخر:

وَالزَّعْفَرانُ عَلىٰ تَرائِبِها     شَرِقاً بِهِ اللَّبَاتُ والصَّدْرُ[٢]

والرجع أصله من الرجوع وهو الماء الكثير تزدده الرياح تمرّ عليه قال المنخل في صفة السيف .

أَبْيَضُ كَالرَّجْعِ رَسُوبٌ إِذَا     مَا ثَاخَ فِي مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِي[٣]

قال الزجاج الرجع المطر لأنه يجيء ويرجع ويتكرر والصدع الشق فصدع الأرض انشقاقها بالنبات وضروب الزروع والاشجار .

[ **الاعراب** ] ما الطارق ما استفهام والجملة مبتدأ وخبر وهي معلقة بأدراك في موضع المفعول الثاني والثالث وقوله يوم تبلى السرائر العامل فيه فعل مضمر يدلّ عليه قوله على رجعه لقادر والتقدير يرجعه يوم ابلاء السرائر ولا يجوز أن يعمل فيه المصدر لأنه يكون من صلته وقد فرق بينه وبينه بقوله لقادر ويجوز أن يكون العامل فيه قوله لقادر ورويداً صفة لمصدر محذوف وتقديره أمهالاً رويداً .

[ **المعنى** ] أقسم الله سبحانه فقال ﴿**والسماء**﴾ أي بالسماء وقيل برب السماء وقد بينا القول في ذلك ﴿**والطارق**﴾ وهو الذي يجيء ليلاً ﴿**وما ادريك ما الطارق**﴾ وذلك ان هذا الاسم يقع على كل ما طرق ليلاً ولم يكن النبي ﷺ يدري ما المراد لو لم يبيّنه ثم بينّه بقوله ﴿**النجم الثاقب**﴾ أي هو الكوكب المضيء ويريد به العموم وهو جماع النجوم عن الحسن وقيل هو زحل والثاقب العالي على النجوم عن ابن زيد وقيل أراد به الثريا والعرب تسميه النجم وقيل هو القمر لأنه يطلع بالليل عن الفراء وجواب القسم قوله ﴿ **إن كل نفس لما عليها حافظ** ﴾ أي ما كلّ نفس الا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها وقولها وفعلها ويحصى ما يكتسبه من خير وشرّ ومن قرأ لما بالتخفيف فالمعنى أن كل نفس

---

(١) يسن أي يلمع . والغضون : مكاسر الجلد .

(٢) اللبات جمع اللبة : موضع النحر .

(٣) سيف رسوب : ماض يغيب في الضريبة . وثاخ : أنغمس . والمحتفل : أعظم موضع في الجسد . ويختلى : يقطع .

لعليها حافظ يحفظها وقال قتادة حافظ من الملائكة يحفظ عملها ورزقها واجلها ثم نبَّه سبحانه على البعث بقوله ﴿فلينظر الإنسان﴾ يعني المكذب بالبعث عن مقاتل ﴿ممَّ خلق﴾ اي فلينظر نظر التفكر والاستدلال من أيّ شيء خلقه الله وكيف خلقه وانشأه حتى يعرف ان الذي ابتدأه من نطفة قادر على اعادته ثم ذكر من أيّ شيء خلقه فقال ﴿خلق من ماء دافق﴾ أي من ماء مهراق في رحم المرأة يعني المني الذي يكون منه الولد عن ابن عباس قال الفراء وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم نحو سرّ كاتم وهمّ ناصب وليل نائم وقد ذكرناه قبل ثم وصف سبحانه ذلك الماء فقال ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ وهو موضع القلادة من الصدر عن ابن عباس قال عطاء يريد صلب الرجل وترائب المرأة والولد لا يكون إلا من الماءين وقيل الترائب اليدان والرجلان والعينان عن الضحاك وسئل عكرمة عن الترائب فقال هذه ووضع يده على صدره بين ثدييه وقيل ما بين المنكبين والصدر عن مجاهد والمشهور في كلام العرب انها عظام الصدر والنحر ﴿انه على رجعه لقادر﴾ يعني ان الذي خلقه ابتداء من هذا الماء يقدر على ان يرجعه حيّاً بعد الموت عن الحسن وقتادة والجبائي وقيل معناه انه تعالى على ردّ الماء في الصلب لقادر عن عكرمة ومجاهد وقيل انه على ردّ الإنسان ماء كما كان قادر عن الضحاك وقال مقاتل بن حيان يقول إن شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبى ومن الصبى إلى النطفة والاصح القول الاول لقوله ﴿يوم تبلى السرائر﴾ اي أنه قادر على بعثه يوم القيامة ومعنى الرجع ردّ الشيء الى أول حاله والسرائر اعمال بني آدم والفرائض التي اوجبت عليه وهي سرائر بين الله والعبد وتبلى اي تختبر تلك السرائر يوم القيامة حتى يظهر خيرها من شرّها ومؤدّيها من مضيعها روي ذلك مرفوعاً عن ابي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ ضمن الله خلقه اربع خصال الصلاة والزكاة وصوم رمضان والغسل من الجنابة وهي السرائر التي قال الله يوم تبلى السرائر وعن معاذ بن جبل قال سألت رسول الله ﷺ وما هذه السرائر التي تبلى بها العباد في الآخرة فقال سرائركم هي اعمالكم من الصلاة والصيام والزكاة والوضوء والغسل من الجنابة وكل مفروض لأن الأعمال كلها سرائر خفية فإن شاء قال الرجل صليت ولم يصل وان شاء قال توضأت ولم يتوضأ فذلك قوله يوم تبلى السرائر وقيل يظهر الله اعمال كل احد لأهل القيامة حتى يعلموا على ايّ شيء اثابه ويكون فيه زيادة سرور له وان يكن من اهل العقوبة يظهر عمله ليعلموا على أيّ شيء عاقبه ويكون ذلك زيادة غم له والسرائر ما اسرَّه من خير أو شرّ وما اضمره من إيمان أو كفر وروي عن عبد الله بن عمر انه قال يبدي الله يوم القيامة كل سرّ ويكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه ﴿فما له﴾ أي فما لهذا الإنسان المنكر للبعث والحشر ﴿من قوة﴾

يمتنع به من عذاب الله **﴿ولا ناصر﴾** ينصره من الله والقوة هي القدرة ثم ذكر سبحانه قسماً آخر تأكيداً لأمر القيامة فقال **﴿والسماء ذات الرجع﴾** اي ذات المطر عن اكثر المفسرين وقيل يعني بالرجع شمسها وقمرها ونجومها تغيب ثم تطلع عن ابن زيد وقيل رجع السماء اعطاؤها الخير الذي يكون من جهتها حالاً بعد حال على مرور الازمان فترجع بالغيث وارزاق العباد وغير ذلك **﴿والأرض ذات الصدع﴾** تتصدع بالنبات أي تنشق فيخرج منها النبات والاشجار **﴿انه لقول فصل﴾** هذا جواب القسم يعني ان القرآن يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما وروي ذلك عن الصادق ( ع ) وقيل معناه ان الوعد بالبعث والإحياء بعد الموت قول فصل اي مقطوع به لا خلاف ولا ريب فيه **﴿وما هو بالهزل﴾** أي هو الجدّ وليس باللعب وقيل ان القرآن لم ينزل باللعب ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال **﴿إنهم يكيدون كيداً﴾** أي يحتالون في الأيقاع بك وبمن معك ويريدون اطفاء نورك **﴿واكيد كيداً﴾** أي اريد امراً آخر على ضدّ ما يريدون وادبر ما ينقض تدابيرهم ومكايدهم فسمى ذلك كيداً من حيث يخفي ذلك عليهم **﴿فمهل الكافرين﴾** أي انتظر بهم يا محمد ولا تعاجلهم وارض بتدبير الله فيهم **﴿امهلهم رويداً﴾** أي امهالاً قليلاً عن قتادة وإنما قلل الإمهال لأن ما هو كائن آت لا محالة فهو قليل والمراد به يوم القيامة وقيل اراد يوم بدر والمعنى لا تعجل عليَّ في طلب هلاكهم بل اصبر عليهم قليلاً فإن الله مجزيهم لا محالة إما بالقتل والذلّ في الدنيا أو بالعذاب في الآخرة قال ابن جني قوله فمهل الكافرين امهلهم غير اللفظ لأنه اثر التأكيد وكره التكرير فلما تجشم اعادة اللفظ انحرف عنه بعض الانحراف بتغييره المثال وانتقل عن لفظ فعل إلى لفظ افعل فقال امهلهم ولما تجشم التثليث جاء بالمعنى وترك اللفظ البتة فقال رويداً .

# (٨٧) سورة الأعلى مكية وآياتها تسع عشرة

مكية عن ابن عباس مدنية عن الضحاك وهي تسع عشرة آية بلا خلاف .

[ فضلها ] ابي بن كعب قال قال النبي ﷺ من قرأها اعطاه الله من الأجر عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على إبراهيم وموسى ومحمد ﷺ وروي عن علي بن أبي طالب (ع ) قال كان رسول الله ﷺ يحبّ هذه السورة سبح اسم ربك الأعلى وأول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل وعن ابن عباس كان النبي ﷺ إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال سبحان ربي الأعلى وكذلك روي عن علي (ع ) وابن عمر وابن الزبير انهم كانوا يفعلون ذلك وروى جويبر عن الضحاك انه كان يقول ذلك وكان يقول من قرأها فليفعل ذلك وعن ابي بصير عن أبي عبد الله (ع ) قال من قرأ سبح اسم ربك الأعلى في فريضة أو نافلة قيل له يوم القيامة ادخل من أيّ أبواب الجنة شئت وروى العياشي بإسناده عن أبي حميصة عن علي (ع ) قال صليت خلفه عشرين ليلة فليس يقرأ إلا سبح اسم ربك وقال لو يعلمون ما فيها لقرأها الرجل كل يوم عشرين مرة وان من قرأها فكأنما قرأ صحف موسى وإبراهيم الذي وفى وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله ﷺ اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم .

[ تفسيرها ] لمّا ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر الوعيد والتهديد للكفار افتتح هذه السورة بذكر صفاته العلى وقدرته على ما يشاء فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى

قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً
أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ
ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ
ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾
ٱلَّذِي يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾
قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي
ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ الكسائي قدر بالتخفيف وهو قراءة علي (ع) والباقون قدر بالتشديد وقرأ ابو عمرو وروح وزيد وقتيبة يؤثرون بالياء والباقون بالتاء .

[ **الحجة** ] قد تقدَّم ان قدر في معنى قدر فكلا الوجهين حسن وتؤثرون بالتاء على الخطاب بل انتم تؤثرون والياء على انه يريد الاشقين وروي ان ابن مسعود والحسن قرآه .

[ **اللغة** ] الأعلى نظير الاكبر ومعناه العالي بسلطانه وقدرته وكل من دونه في سلطانه ولا يقتضي ذلك المكان قال الفرزدق .

إنَّ الَّذي سَمَكَ السَّماءَ بَنى لَنا ... بَيْتاً دَعائِمُهُ أعَزُّ وَأطْوَلُ

والغثاء ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات واصله الاخلاط من اجناس شتى والعرب تسمي القوم إذا اجتمعوا من قبائل شتى اخلاطاً وغثاء والاحوى الأسود والحوّة السواد قال ذو الرمة :

لَمْياءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ ... وَفي اللِّثاتِ وَفي أنْيابِها شَنَبُ[1]

(١) اللمى : سمرة في الشفة : والحوة : حمرة في الشفتين تضرب الى السواد وكذلك اللعس . والشنب. برد الاسنان .

وقال :

قَـرْحـاءُ حَـوَّةُ أَشْـراطِيَّـةٌ وَكَـفَـتْ فِيهَـا الـذِّهَـابُ وَحَفَّتْها الْبَـراعِيمُ(١)

والاقراء اخذ القراءة على القارىء بـالاستماع لتقـويم الزلـل والقارىء التـالي واصله الجمع لأنه يجمع الحروف والنسيان ذهاب المعنى عن النفس ونظيره السهو ونقيضه الـذكر وهو ذهاب العلم الضروري بما جرت به العادة ان يعلمه وليس بمعنى وقال ابو علي الجبائي وهو معنى من فعل الله تعالى .

[ الاعراب ] الأعلى يحتمل ان يكـون جرّاً صفـة لرب وان يكـون نصباً صفـة لاسم احوى نصب على الحال من المرعى والتقدير اخرج المرعى احوى اي اسود لشدة خضرته فجعله غثاء اي جففه حتى صار جافاً كالغثاء ويجوز أن يكون نعتاً لغثاء والتقدير فجعله غثاء أسود والاول اوجه وهو قول الزجاج. ما شاء الله في موضع نصب على الاستثنـاء والتقديـر سنقرؤك القرآن فلا تنساه إلا ما شاء الله ان تنساه برفع حكمه وتلاوته وهو قول الحسن وقتادة . ان نفعت الذكرى شرط جزاؤه محذوف يدل عليه قوله فذكر والتقديـر إن نفعت الذكـرى فذكرهم .

[ المعنى ] ﴿سبح اسم ربك الاعلى﴾ أي قل سبحان ربي الأعلى عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه نزّه ربك عن كل ما لا يليق به من الصفات المذمومة والافعال القبيحة لأن التسبيح هو التنزيه لله عما لا يليق به يجوز ان تقـول لا إله إلا هـو فتنفي ما لا يجـوز في صفته من شريك في عبادته مع الاقرار بأنه الواحد في إلهيته وأراد بالإسم المسمى وقيل انه ذكر الاسم والمـراد به تعظيم المسمى كما قال لبيد « إلى الحول ثم اسـم السلام عليكمـا » ويحسن بالقارىء إذا قرأ هذه الآية ان يقول سبحان ربي الأعلى وان كان في الصلاة قال الباقر ( ع ) إذا قرأت سبح اسم ربك الأعلى فقل سبحان ربي الأعلى وان كان فيما بينك وبين نفسـك والأعلى معناه القادر الذي لا قادر أقدر منه القاهر لكل احد وقيل الأعلى صفة الاسم والمعنى سبّح الله بذكر اسمه الأعلى واسماؤه الحسنى كلها أعلى وقيل معناه صل باسم ربك الاعلى عن ابن عباس ﴿الذي خلق﴾ الخلق ﴿فسوى﴾ بينهم في باب الإحكام والاتقان وقيل خلق

(١) يصف روضة . وقرحاء: للتي في وسطها نوراً ابيض . وروضة اشراطية : مطرت بنوعاً لشرطين وهما نجمان من برج الحمل يقال لهما قرن الحمل. وذهاب جمع الذهبة: المطرة الضعيفة والبرعم: زهرة الشجر ونـور النبت قبل ان يتفتح .

كل ذي روح فسوّى يـديه وعينيـه ورجليه عن الكلبي وقيـل خلق الإنسان فعـدل قامتـه عن الزجاج يعني انه لم يجعله منكوساً كالبهائم والدواب وقيل خلق الاشياء على موجب ارادته وحكمته فسوّى صنعها لتشهد على وحدانيته ﴿والذي قدَّر فهدى﴾ أي قدر الخلق على مـا خلقهم فيه من الصور والهيئات وأجرى لهم اسباب معايشهم من الارزاق والاقوات ثم هداهم الى دينه بمعرفة توحيده بإظهار الدلالات والبينات وقيل معناه قدر اقـواتهم وهداهم لـطلبها وقيل قدرهم على ما اقتضته حكمته فهدى أي ارشد كل حيوان الى ما فيـه منفعته ومضـرته حتى انه سبحانه هدى الطفل الى ثدي أمه وهدى الفرخ حتى طلب الـزق[1] من ابيه وأمـه والدواب والطيور حتى فزع كل منهم إلى أمه وطلب الميمنة من جهته سبحانه وتعالى وقيل قدَّرهم ذكوراً واناثاً وهدى الذكر كيف يأتي الأنثى عن مقاتل والكلبي وقيل هدى إلى سبيل الخير والشر عن مجاهد وقيل قدَّر الولد في البطن تسعة اشهر أو أقل او اكثر وهدى للخروج منه للتمام عن السدي وقيل قدَّر المنافع في الاشياء وهدى الإنسان لاستخراجها منه فجعل بعضها غذاء وبعضها دواء وبعضها سمّاً وهدى إلى مـا يحتاج إلى استخـراجها من الجبـال والمعادن كيف تستخرج وكيف تستعمـل ﴿والذي اخـرج المرعى﴾ اي أنبت الحشيش من الأرض لمنافع جميع الحيوان واقواتهم ﴿فجعله﴾ بعد الخضـرة ﴿غثاء﴾ اي هشيمـاً جافـاً كالغثاء الذي تراه فوق السيل ﴿أحوى﴾ أي اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلأ إذا يبس اسودَّ وقيل معناه اخرج العشب وما ترعاه النعم أحوى اي شديد الخضرة يضـرب إلى السواد من شدة خضرته فجعله غثاء اي يابساً بعد ما كان رطباً وهو قوت البهائم في الحالين فسبحان من دبرَّ هذا التدبير وقدَّر هذا التقدير وقيل إنه مثل ضربه الله تعالى لذهاب الدنيا بعـد نضارتهـا ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ أي سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك وقيل معناه سيقرأ عليك جبريل القرآن بأمرنا فتحفظه ولا تنساه قال ابن عباس كان النبي ﷺ إذا نزل عليـه جبرائيـل (ع) بالوحي يقرأه مخافة أن ينساه فكان لا يفرغ جبرائيل عليه السلام من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلـك شيئاً ﴿إلا مـا شاء الله﴾ أن ينسيكـه بنسخه من رفع حكمه وتلاوته عن الحسن وقتادة وعلى هذا فالإنشاء نوع من النسخ وقد مرّ بيانه في سورة البقرة عند قوله ما ننسخ من آية أو ننسها الآية وقيل معناه الا ما شاء الله ان يؤخر انزاله عليك فلا تقرأه وقيل الا ما شاء الله كالاستثناء في الإيمان وان لم يقع منه مشيئة النسيان قال الفراء لم يشأ الله ان ينسى عليه السلم شيئاً فهو كقوله خالدين فيها ما دامت السماوات

(٣) الزق : اطعام الطائر فرخه بمنقاره .

والأرض إلا ما شاء ربك ولا يشاء وكقول القائل لاعطينك كل ما سألت إلا ما شئت وإلا أن اشاء ان أمنعك والنية ان لا يمنعه ومثله الاستثناء في الإيمان ففي الآية بيان لفضيلة النبي ﷺ واخبار انه مع كونه ﷺ أمياً كان يحفظ القرآن وان جبرائيل عليه السلام كان يقرأ عليه سورة طويلة فيحفظه بمرة واحدة ثم لا ينساه وهذه دلالة على الاعجاز الدالّ على نبوته ﴿**انه يعلم الجهر وما يخفى**﴾ معناه ان الله سبحانه يعلم العلانية والسرّ. والجهر رفع الصوت ونقيضه الهمس والمعنى انه سبحانه يحفظ عليك ما جهرت به وما اخفيته مما تريد أن تعيه ﴿**ونيسرك لليسرى**﴾ اليسرى هي الفعلى من اليسر وهو سهولة عمل الخير والمعنى نوّفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية ونهون عليك الوحي ونسهله حتى تحفظه ولا تنساه وتعمل به ولا تخالفه وقيل معناه نسهل لك من الالطاف والتأييد ما يثبتك على أمرك ويسهل عليك المستصعب من تبليغ الرسالة والصبر عليه عن أبي مسلم وهذا احسن ما قيل فيه فإنه يتصل بقوله سنقرؤك فلا تنسى فكأنه سبحانه أمره بالتبليغ ووعده النصر وأمره بالصبر وقيل ان اليسرى عبادة عن الجنة فهي اليسرى الكبرى أي نيسر لك دخول الجنة عن الجبائي ﴿**فذكر**﴾ أمر النبي ﷺ ان يذكر الخلق ويعظهم ﴿**ان نفعت الذكرى**﴾ وإنما قال ذلك وذكراه تنفع لا محالة في عمل الإيمان والامتناع من العصيان لأنه ليس بشرط حقيقة وإنما هو اخبار عن انه ينفع لا محالة في زيادة الطاعة والانتهاء عن المعصية كما يقال سله ان نفع السؤال وقيل معناه عظهم ان نفعت الموعظة أو لم تنفع لأنه ﷺ بعث للاعذار والانذار فعليه التذكير في كل حال نفع أو لم ينفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم وقد نبّه الله سبحانه على تفصيل الحالتين بقوله ﴿**سيذكر من يخشى**﴾ أي سيتعظ بالقرآن من يخشى الله تعالى ويخاف عقابه ﴿ **ويتجنبها**﴾ أي يتجنب الذكرى والموعظة ﴿**الأشقى**﴾ اي اشقى العصاة فإن للعاصين درجات في الشقاوة فأعظمهم درجة فيها الذي كفر بالله وتوحيده وعبد غيره وقيل الأشقى من الأثنين من يخشى ومن يتجنب عن أبي مسلم ﴿**الذي يصلي النار الكبرى**﴾ أي يلزم اكبر النيران وهي نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا عن الحسن وقيل إن النار الكبرى هي الطبقة السفلى من جهنم عن الفراء ﴿**ثم لا يموت فيها**﴾ فيستريح ﴿**ولا يحيى**﴾ حياة ينتفع بها بل صارت حياته وبالاً عليه يتمنى زوالها لما هو معها من فنون العقاب وألوان العذاب وقيل ولا يحيى أي ولا يجد روح الحياة ﴿ **قد أفلح من تزكى**﴾ أي قد فاز من تطهر من الشرك وقال لا إله إلا الله عن عطاء وعكرمة وقيل معناه قد ظفر بالبغية من صار زاكياً بالاعمال الصالحة والورع عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل زكى أي اعطى زكاة ماله عن ابن مسعود وكان يقول قد رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ويقرأ هذه

الآية وقيل أراد صدقة الفطرة وصلاة العيد عن ابي عمرو وابي العالية وعكرمة وابن سيرين وروي ذلك مرفوعاً عن أبي عبد الله (ع) ومتى قيل على هذا القول كيف يصح ذلك والسورة مكية ولم يكن هناك صلاة عيد ولا زكاة ولا فطرة قلنا يحتمل إن يكون نزلت اوائلها بمكة وختمت بالمدينة ﴿**وذكر اسم ربه فصلى**﴾ اي وحد الله عن ابن عباس وقيل ذكر الله بقلبه عند صلاته فرجاً ثوابه وخاف عقابه فإن الخشوع في الصلاة بحسب الخوف والرجاء وقيل ذكر اسم ربه بلسانه عند دخوله في الصلاة فصلى بذلك الاسم اي قال الله اكبر لأن الصلاة لا تنعقد إلا به وقيل هو ان يفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم ويصلي الصلوات الخمس المكتوبة ثم قال سبحانه مخاطباً للكفار ﴿**بل تؤثرون**﴾ أي تختارون ﴿**الحياة الدنيا**﴾ على الآخرة فتعملون لها وتعمرونها ولا تتفكرون في امر الآخرة وقيل هو عام في المؤمن والكافر بناء على الأعم الأغلب في أمر الناس قال عبد الله بن مسعود إن الدنيا اخضرت لنا وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذتها وبهجتها وان الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل ثم رغّب سبحانه في الآخرة فقال ﴿**والآخرة**﴾ اي والدار الآخرة وهي الجنة ﴿**خير**﴾ اي افضل ﴿**وأبقى**﴾ وأدوم من الدنيا وفي الحديث من احبَّ آخرته أضرَّ بدنياه ومن احبَّ دنياه اضرَّ بآخرته ﴿**إن هذا لفي الصحف الاولى**﴾ يعني ان هذا الذي ذكر من قوله قد افلح الى اربع آيات لفي الكتب الاولى التي انزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المصلي والمتزكي وايثار الخلق الدنيا على الآخرة وان الآخرة خيرٌ وقيل معناه ان من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فهو ممدوح في الصحف ولى كما هو ممدوح في القرآن ثم بيَّن سبحانه ان الصحف الاولى ما هي فقال ﴿**صحف إبراهيم وموسى**﴾ وفي هذا دلالة على أن إبراهيم كان قد انزل عليه الكتاب خلافاً لمن يزعم انه لم ينزل عليه كتاب وواحدة الصحف صحيفة وروى عن أبي ذر أنه قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء فقال مائة الف نبي واربعة وعشرون الفاً قلت يا رسول الله كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر وبقيتهم انبياء قلت كان آدم (ع) نبياً قال نعم كلّمه الله وخلقه بيده يا ابا ذر اربعة الانبياء عرب هود وصالح وشعيب ونبيك قلت يا رسول الله كم انزل الله من كتاب قال مائة واربعة كتب انزل الله منها على آدم (ع) عشر صحف وعلى شيْث خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم وعلى إبراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وفي الحديث انه كان في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه وقيل ان كتب الله كلها انزلت في شهر رمضان .

## (٨٨) سُورَةُ الغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَعِشْرُونَ

مكية ست وعشرون آية بالاجماع .

[ **فضلها** ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها حاسبه الله حساباً يسيراً ابو بصير عن أبي عبد الله ( ع ) قال من ادمن قراءة هل أتاك حديث الغاشية في فرائضه أو نوافله غشاه الله برحمته في الدنيا والآخرة واعطاه الأمن يوم القيامة من عذاب النار .

[ **تفسيرها** ] ختم الله سبحانه تلك السورة بالترغيب في الآخرة وانها خير من الدنيا وافتتح هذه ايضاً ببيان احوال الآخرة فقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ
نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ
لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧)
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠)
لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣)
وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ
كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم
بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل البصرة غير سهل وأبو بكر تصلى بضم التاء والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير واهل البصرة غير سهل لا يسمع بضم الياء لاغية بالرفع وقرأ نافع لا تسمع بضم التاء لاغية بالرفع وقرأ الباقون لا تسمع بفتح التاء لا غية بالنصب وقرأ ابو جعفر ايا بهم بتشديد الياء والباقون بالتخفيف وروي عن علي (ع ) افلا ينظرون إلى الابل كيف خَلقُت وإلى السماء كيف رفعتُ وإلى الجبال كيف نَصبتُ وإلى الأرض كيف سَطحتُ بفتح اوائل هذه الحروف كلها وضم التاء وعن ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وزيد بن علي إلا من تولى بالتخفيف .

[ **الحجة** ] حجة من قال تصلي قوله سيصلى ناراً ذات لهب وقوله الا من هو صال الجحيم وحجة من قال تصلى قوله ثم الجحيم صلّوه وصلوه ومثل اصلوه واللاغية مصدر بمنزلة العاقبة والعافية ويجوز ان تكون صفة نحو أن تقول لا تسمع فيها كلمة لاغية والاول اوجه لقوله تعالى لا يسمعون فيها لغواً ولا تسمع على بناء الفعل للمفعول به حسن لأن الخطاب ليس بمصروف إلى واحد بعينه وبناء الفعل للفاعل ايضاً حسن على الشياع في الخطاب وإن كان لواحد وعلى هذا وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وبجوز ان يكون الخطاب للنبي ﷺ وكل واحد من التاء والياء في تسع ويسمع حسن على اللفظ وعلى المعنى واما قوله أيـاً بهم على التشديد فقال ابو الفتح انكر ابو حاتم هذه القراءة لأنه حملها على نحو كذَّبوا كِذّاباً قال وهذا لا يجوز لأنه كان يجب اوّاباً لأنه فقال فيصح لاحتمال التغيير بالادغام كقولهم اجلو إذا قال ابو الفتح يجوز ان يكونوا قلبوا الواو ياء من اواب وان كانت متحصنة بالادغام استحساناً للتخفيف لا وجوباً كما قالوا دَيْمت السماء في دَوَّمت قال .

هُـوَ الجَـوادُ ابْنُ الْجَـوادِ ابنِ سَـبَـلْ    إنْ دَيَمُـوا جَـادَ وَإنْ جَـادُوا وَبَـلْ(١)

يـريـد دَوَّموا وقال ويجوز ان يكون بني من آب فَيْعَلْتُ واصله أَيْوَبْتُ والمصدر ايواب فقلبت الواو ياء لوقوع الياء ساكنة قبلها ويجوز ان يكون اوبت فوعلت والمصدر على الفيعال كالحيقال من حوقلت انشد الاصمعي .

يـا قَـوْمِ قَـدْ حَـوْقَلْتُ أَوْ دَنُـوتُ    وَبَعْـدَ حِيقالِ الـرِّجالِ الْمَـوْتُ

فصار أيواباً فقلبت الواو ياء فصار اياباً واما قراءة علي (ع) فالمفعول جميعها محذوف لدلالة المعنى عليه أي كيف خلقتها وكيف رفعتها وكيف نصبتها وسطحتها ومن قـرأ الا من تولى فإلا افتتاح كلام ومن شرط وجوابه فيعذبه الله أي فهو يعذبه الله وقد تقدَّم القول فيه في مواضع .

[ اللغة ] الغاشية المجللة لجميع الجملة غشية يغشاه غشيـاناً واغشـاه غيره إذا جعله يغشى وغشاه بمعناه ونصب الرجل ينصب نصباً فهو نصب وناصب إذا تعب في العمل والآنية البالغة النهاية في شدّة الحرّ والضريع نبت تأكله الإبل يضر ولا ينفع وإنما سمي ضريعاً لانه يشتبه عليها امره فتظنه كغيره من النبت والأصل من المضارعة والمشابهة والنمارق واحدتها نمرقة والزرابي والبسط الفاخرة واحدتها زربية والمصيطر المتسلط على غيره بالقهر له يقال تصيطر فلان على فلان وصيطر إذا تسلط وقال أبو عبيدة مصيطر ومبيطر لا ثالث لهما في كلام العرب .

[ الاعـراب ] كيف خلقت يجوز ان يكـون في موضـع نصب على الحال من خلقت ويجوز ان يكون على المصدر وتكون الجملة التي هي كيف خلقت معلقة بينظرون لأن النظر مؤدّ إلى العلم الا من تولى هو استثناء منقطع وسيبويه يقدّر الاستثناء المنقطع بلكن والفراء يقدّره بسوى .

[ المعنى ] ﴿هل اتيك حديث الغاشية﴾ خطاب للنبي ﷺ يريد قـد اتاك حـديث يوم القيامة لأنها تغشى الناس بأهوالهـا بغتة عن ابن عبـاس والحسن وقتادة وقيـل الغاشيـة النار تغشي وجوه الكفار بالعذاب وهذا كقوله تغشى وجوههم النار عن محمد بن كعب وسعيد بن جبير ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ أي ذليلة بالعذاب الذي يغشاها والشدائد التي تشاهدها والمراد

(١) دومت السماء: استمر مطرها. والجواد اشد منه والويل أشد .

بذلك أرباب الوجوه وإنما ذكر الوجوه لأن الذل والخضوع يظهر فيها وقيل المراد بالوجوه الكبراء تقول جاءني وجوه بني تميم اي ساداتهم وقيل عنى به وجوه الكفار كلهم لأنها تكبرت عن عبادة الله تعالى عن مقاتل ﴿**عاملة ناصبة**﴾ فيه وجوه (احدها) ان المعنى عاملة في النار ناصبة فيها عن الحسن وقتادة قالا لم يعمل الله سبحانه في الدنيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال قال الضحاك يكلفون الاتقاء جبل من حديد في النار وقال الكلبي يجرّون على وجوههم في النار ( وثانيها ) أن المراد عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم القيامة عن عكرمة والسدي ( وثالثها ) عاملة ناصبة في الدنيا يعملون وينصبون ويتعبون على خلاف ما أمرهم الله تعالى به وهم الرهبان وأصحاب الصوامع وأهل البدع والآراء الباطلة لا يقبل الله أعمالهم في البدعة والضلالة وتصير هباء لا يثابون عليها عن سعيد بن جبير وزيد بن أسلم وأبيَ الضحاك عن ابن عباس وقال أبو عبد الله (ع ) كل ناصب لنا وان تعبدوا اجتهد يصير الى هذه الآية عاملة ناصبة ﴿ **تصلى ناراً حامية** ﴾ قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على اعداء الله وقيل المعنى إن هؤلاء يلزمون الاحراق بالنار التي في غاية الحرارة ﴿**تسقى من عين آنية**﴾ اي وتسقى ايضاً من عين حارة قد بلغت اناها وانتهت حرارتها قال الحسن قد اوقدت عليها جهنم مذ خلقت فدفعوا اليها ورداً عطاشا هذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال ﴿**ليس لهم طعام إلا من ضريع**﴾ وهو نوع من الشوك يقال له الشبرق واهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس وهو آخبث طعام وابشعه لا ترعاه دابة وعن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك امرّ من الصبر وانتن من الجيفة واشدّ حرّاً من النار سمّاه الله الضريع وقال ابو الدرداء والحسن إن الله يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستقون فيعطشهم الله سبحانه الف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة كلما ادنوه الى وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله وسقوا ماء حميماً فقطع امعاءهم ولما نزلت هذه الآية قال المشركون إن ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك لأن الإبل لا ترعاه فقال الله سبحانه تكذيباً لهم ﴿**لا يسمن ولا يغني من جوع**﴾ أي لا يدفع جوعاً ولا يسمن احداً قال الحسن لا ادري ما الضريع لم اسمع من اصحاب محمد ﷺ شيئاً فيه وقيل هو سمّ عن مجاهد وقتادة وقيل ضريع بمعنى مضرع أي يضرعهم ويذلّهم وقيل يسمى ضريعاً لأن آكله يضرع في الاعفاء منه لخشونته وشدة كراهته عن كيسان وقيل هو الحجارة عن سعيد بن جبير ثم وصف سبحانه اهل الجنة فقال ﴿**وجوه يومئذ ناعمة**﴾ اي

منعمة في انواع اللذات ظاهر عليها اثر النعمة والسرور ومضيئة مشرقة ﴿لسعيها﴾ في الدنيا ﴿راضية﴾ حين اعطيت الجنة بعملها والمعنى لثواب سعيها وعملها من الطاعات راضية يريد انه لما ظهر نفع اعمالهم وجزاء عباداتهم رضوه وحمدوه وهذا كما يقال عند الصباح يحمد القوم السرى ﴿في جنة عالية﴾ أي مرتفعة القصور والدرجات وقيل ان علو الجنة على وجهين علو الشرف والجلالة وعلو المكان والمنزلة بمعنى أنها مشرفة على غيرها وهي أنزه ما تكون والجنة درجات بعضها فوق بعض كما أن النار دركات ﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ أي كلمة ساقطة لا فائدة فيها وقيل لاغية ذات لغو كقولهم نابل ودارع أي ذو نبل ودرع قال الحطيئة « وَغَرَرْتَني وَزَعَمْتَ أَنَّك لابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِر » ﴿فيها﴾ أي في تلك الجنة ﴿عين جارية﴾ قيل انه اسم جنس ولكل انسان في قصره من الجنةً عين جارية من كل شراب يشتهيه وفي العيون الجارية من الحسن واللذة والمنفعة ما لا يكون في الواقفة ولذلك وصف بها عيون اهل الجنة وقيل إن عيون اهل الجنة تجري في غير اخدود وتجري كما يريد صاحبها ﴿فيها﴾ أي في تلك الجنة ﴿سرر مرفوعة﴾ قال ابن عباس الواحها من ذهب مكلَّلة بالزبرجد والدّر والياقوت مرتفعة ما لم يجيء اهلها فإذا اراد ان يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى موضعها والسور جمع سرير وهو مجلس السرور وقيل إنما رفعت ليرى المؤمنون بجلوسهم عليها جميع ما حولهم من الملك ﴿واكواب موضوعة﴾ على حافات العيون الجارية كلما اراد المؤمن شربها وجدها مملوءة وهي الاباريق ليس لها خراطيم ولا عرى تتخذ للشراب وقيل هي اواني الشراب من الذهب والفضة والجواهر بين ايديهم ويشربون بها ما يشتهونه من الأشربة ويتمتعون بالنظر اليها لحسنها ﴿ونمارق مصفوفة﴾ اي وسائد يتصل بعضها ببعض على هيئة مجالس الملوك في الدنيا ﴿وزرابي مبثوثة﴾ وهي البسط الفاخرة والطنافس المخملة والمبثوثة المبسوطة المنشورة ويجوز أن يكون المعنى انها مفرقة في المجالس وعن عاصم بن ضمرة عن علي (ع) انه ذكر اهل الجنة فقال يجيئون فيدخلون فإذا اسلس بيوتهم من جندل اللؤلؤ وسرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ولولا ان الله تعالى قدَّرها لهم لالتمعت ابصارهم بما يرون ويعانقون الازواج ويعقدون على السرر ويقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا قال قتادة ولما نعت الله الجنة وما فيها عجب من ذلك اهل الضلال فأنزل الله سبحانه ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ وكانت عيشاً من عيشهم فيقول افلا يتفكرون فيها وما يخرج الله من ضروعها من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين يقول كما صنعت هذا لهم فكذلك اصنع لأهل الجنة في الجنة وقيل معناه أفلا يعتبرون بنظرهم إلى الابل وما ركبه الله عليه من عجيب الخلق فإنه مع

عظمته وقوته يذلّله الصغير فينقاد له بتسخير الله اياه لعباده فيبركه ويحمل عليه ثم يقوم وليس ذلك في غيره من ذوات الأربع فلا يحمل على شيء منها الا وهو قائم فاراهم الله سبحانه هذه الآية فيه ليستدلّوا على توحيده بذلك عن أبي عمرو بن العلاء والزجاج وسأل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل اعظم من الابل في الاعجوبة فقال اما الفيل فالعرب بعيدوا العهد بها ثم هو خنزير لا يركب ظهرها ولا يؤكل لحمها ولا يحلب درّها والابل من اعزّ مال العرب وانفسه تأكل النوى والقت وتخرج اللبن ويأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها ويحكى ان فارة أخذت بزمام ناقة فأخذت تجرّها وهي تتبعها حتى دخلت الحجر فجرّت الزمام فبركت الناقة فجرّت فقربت فمها من حجر الفأر **﴿وإلى السماء كيف رفعت﴾** أي كيف رفعها الله فوق الأرض وجعل بينهما هذا الفضاء الذي به قوام الخلق وحياتهم ثم إلى ما خلقه فيها من بدائع الخلق من الشمس والقمر والكواكب وعلّق بها منافع الخلق واسباب معايشهم **﴿وإلى الجبال كيف نصبت﴾** اي أولاً يتفكرون في خلق الله سبحانه الجبال اوتاداً للأرض ومسكنة لها وانه لولاها لمادت الأرض بأهلها **﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾** أي كيف بسطها الله ووسعها ولولا ذلك لما صحّ الاستقرار عليها والانتفاع بها وهذه من نعم الله سبحانه على عباده لا توازيها نعمة منعم وفيها دلائل على توحيده ولو تفكّروا فيها لعلموا ان لهم صانعاً صنعهم وموجداً اوجدهم ولمّا ذكر سبحانه الأدلة امر نبيّه بالتذكير بها فقال **﴿فذكر﴾** يا محمد والتذكير التعريف للذكر بالبيان الذي يقع به الفهم والنفع بالتذكير عظيم لأنه طريق المعلم بالامور التي يحتاج اليها **﴿إنما انت مذكر﴾** لهم بنعم الله تعالى عندهم وبما يجب عليهم في مقابلتها من الشكر والعبادة وقد اوضح الله تعالى طريق الحجج في الدين وأكّده غاية التأكيد بما لا يسع فيه التقليد بقوله إنما انت مذكر وقوله وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وقوله إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ولقوم يذكرون ويتفكرون وقيل إن المراد فذكّرهم بهذه الادلة وامرهم بالاستدلال بها ونبّههم عليها عن الجبائي وابي مسلم **﴿لست عليهم بمصيطر﴾** معناه لست عليهم بمتسلط تسليطاً يمكنّك ان تدخل الإيمان في قلوبهم وتجبرهم عليه وإنما الواجب عليك الانذار فاصبر على الانذار والتبليغ والدعوة إلى الحق وقيل معناه لست عليهم بمتسلط الآن حتى تقاتلهم إن خالفوك وكان هذا قبل نزول آية الجهاد ثم نسخ بالامر بالقتال والوجه الصحيح انه لا نسخ فيه لأن الجهاد ليس باكره للقلوب والمراد انك إنما بعثت للتذكير وليس عليك من ترك قبولهم شيء **﴿إلا من تولى وكفر﴾** أي اعرض عن الذكر ولم يقبل منك وكفر بالله وبما جئت به فكلْ امره إلى الله عن الحسن وقيل معناه إلا من تولى وكفر فلست له بمذكّر لأنه لا يقبل منك فكأنك لست تذكره **﴿فيعذبه الله**

**العذاب الاكبر﴾** وهو الخلود في النار ولا عذاب اعظم منها ثم ذكر سبحانه ان مرجعهم اليه فقال **﴿إن الينا إيابهم﴾** أي مرجعهم ومصيرهم بعد الموت **﴿ثم إن علينا حسابهم﴾** أي جزاءهم على اعمالهم فهذا جامع بين الوعد والوعيد ومعناه لا يهمنك امرهم فإنهم وإن عاندوك وآذوك فمصير جميعهم إلى حكمنا لا يفوتوننا ومجازاتهم علينا وعن قريب تقر عينك بما تراه في اعدائك.

[ **النظم** ] يسأل كيف يتصل ذكر الابل وما بعدها بذكر وصف الجنان ونعيمها (والجواب) إنه يتصل بأول السورة والضمير في قوله ينظرون عائد إلى الذين وصفهم بقوله **﴿عاملة ناصبة﴾** وانه لما ذكرعقابهم وثواب المؤمنين عاد عليهم بالاحتجاج بالابل والسماء والأرض والجبال وكيفية دلالتها على وجود الصانع الحكيم يريد هلا نظر هؤلاء في صنائع الله فيعرفونه ويعبدونه عن ابي مسلم وقيل انه لما ذكر سرر الجنة وارتفاعها تعجبوا من ذلك وقالوا كيف يصعد عليها فاراهم الله سبحانه الابل وانه كيف سخرت لبني آدم مع عظمها حتى انيخت للحمل عليها وتقوم بعد ذلك وكيف أحكم الله خلق السماوات والأرض والجبال ردّاً على اولئك القوم وإنما خصَّ سبحانه هذه الأشياء بالذكر لاستواء الناس كلهم في معرفتها .

# (٨٩) سُورَةُ الفَجْرِ مَكِّيَّةٌ
## وَآيَاتُهَا ثَلاثُونَ

مكية اثنتان وثلاثون آية حجازي وثلاون كوفي شامي وتسع وعشرون بصري .

[ **اختلافها** ] اربع آيات ونعمه فقدر عليه رزقه كلتهما حجازي بجهنم حجازي شامي في عبادي كوفي .

[ **فضلها** ] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها في ليال عشر غفر الله له ومن قرأها سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة وروى داود بن فرقد عن أبي عبد الله (ع) قال اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فإنها سورة الحسين بن علي (ع) من قرأها كان مع الحسين بن علي (ع) يوم القيامة في درجته من الجنة .

[ **تفسيرها** ] ختم الله سبحانه تلك السورة بأن اياب الخلق اليه وحسابهم عليه وافتتح هذه السورة بتأكيد ذلك المعنى حين اقسم انه بالمرصاد فقال .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ
إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ
رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي
الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ

ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ
فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾
إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَـٰهُ
رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا
مَا ٱبْتَلَـٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ
بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ
ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ ۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾
وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ
بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ
يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ
أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ
ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾
فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل الكوفة غير عاصم والوتر بكسر الواو والباقون بالفتح وقرأ ابو جعفر وابن عامر فقدر بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ لا يكرمون بالياء وكذلك ما بعده اهل البصرة والباقون بالتاء وقرأ لا تحاضون اهل الكوفة وأبو جعفر وقر لا يعذب ولا يوثق بالفتح الكسائي ويعقوب وسهل والباقون لا يعذب ولا يوثق وقرأ اهل المدينة وابو عمرو وقتيبة عن

الكسائي والليل إذا يسري باثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف وقرأ ابن كثير ويعقوب باثبات الياء في الوصل والوقف والباقون بالحذف فيهما وقرأ القواس والبزي ويعقوب بالوادي باثبات الياء في الوصل والوقف وورش باثباتها في الوصل وحذفها في الوقف والباقون بحذفها في الوصل والوقف وقرأ اهل المدينة اكرمني واهانني باثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف والقواس والبزي ويعقوب باثبات الياء في الوصل والوقف وابو عمرو لا يبالي كيف قرأ بالياء وغير الياء وروى العياشي عنه بحذف الياء من غير تخيير والباقون بحذف الياء في الحرفين في الوصل والوقف وفي الشواذ قراءة ابن عباس بعادٍ أَرَمَّ ذات العماد وروي ذلك عن الضحاك أيضاً وقراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك وابن السميفع فادخلي في عبدي .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حدثنا محمد بن السري أن الأصمعي قال لكل فرد وتر وأهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر في الفرد ويكسرون الوتر في الذَحْل(١) وقيس وتميم يسوونهما في الكسر ويقولون في الوتر الذي هو الافراد أوترت وأنا أوتر ايتاراً أي جعلت امري وتراً وفي الذحل وترته اتره وِتْراً وتِرَةً قال أبو بكر وترته في الذحل إنما هو أفردته من أهله وماله ومن قرأ يكرمون وما بعده بالياء فلما تقدم من ذكر الإنسان والمراد به الجنس والكثرة على لفظ الغيبة ولا يمتنع في هذه الأشياء الدالة على الكثرة أن يحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى ومن قرأ بالتاء فعلى معنى قل لهم ذلك ومعنى لا تحضون على طعام المسكين لا تأمرون به ولا تبعثون عليه ولا تحاضون تتفاعلون منه وقوله ﴿ولا يُعذّب عذابه أحد﴾ معناه لا يعذب تعذيبه فوضع العذاب موضع التعذيب كما وضع العطاء موضع الاعطاء في قوله « وبَعْدَ عَطائِكَ المَائةَ الرِّتاعا »(٢) فالمصدر الذي هو عذاب مضاف إلى المفعول به مثل دعاء الخير والمفعول به الانسان المتقدم ذكره في قوله ﴿يوم يتذكر الانسان﴾ والوصاق أيضاً موضع الايثاق فأما من قرأ لا يعذّب فقد قيل إن المعنى فيه أنه لا يتولى عذاب الله تعالى يومئذ احد والأمر يومئذ أمره ولا أمر لغيره هذا قول وقد قيل ايضاً لا يعذب احد في الدنيا مثل عذاب الله في الآخرة وكأن الذي حمل قائل هذا القول على أن قاله انه ان حمله على ظاهره كان المعنى لا يعذب احد في الآخرة مثل عذاب الله ومعلوم انه لا يعذب احد في الآخرة مثل

(١) الذحل : الثار .

(٢) هذا عجز بيت للقطامي من قصيدة طويلة يمدح فيها زفر بن الحارث الكلامي، وكان القطامي . قد اسر في بعض الحروف فاطلقه زفر ووهب له مأة من الابل . وصدره «اكفراً بعد رد الموت عني» والرتاع : التي تستام وترتع وترعى ولا من يردها وذلك مما يورثها سمنا .

عذاب الله إنما المعذب الله تعالى فعدل عن الظاهر لذلك ولو قيل ان المعنى فيومئذ لا يعذب أحد أحداً تعذيباً مثل تعذيب الكافر المتقدم ذكره فأضيف المصدر إلى المفعول به كما أضيف اليه في القراءة الأولى ولم يذكر الفاعل كما لم يذكره في مثل قوله تعالى من دعاء الخير لكان المعنى في القراءتين سواء والذي يرد بأحد الملائكة الذين يتولون تعذيب اهل النار ويكون ذلك كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وقوله ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ لا شبهة ان يكون هذا القول أولى والفاعل له هم الملائكة قال ووجه قول من قال يسري بالياء وصل أو وقف ان الفعل لا يحذف منه في الوقف كما يحذف من الأسماء نحو قاض وغاز فتقول هو يقضي وأنا أقضي فتثبت الياء ولا تحذف كما تحذف من الاسم نحو هذا قاض وليس اثبات الياء بالأحسن في الوقف من الحذف وذلك أنها فاصلة وجميع ما لا يحذف في الكلام وما يختار فيه ان لا يحذف نحو القاضي بالألف واللام يحذف اذا كان في قافية أو فاصلة قال سيبويه: والفاصلة نحو والليل إذا يسر ويوم التناد والكبير المتعال فإذا كان شيء من ذلك في كلام تام شبه بالفاصلة فحسن حذفها نحو قوله ﴿ذلك ما كنا نبغ﴾ فإن قلت كيف كان الاختيار فيه ان يحذف اذا كان في فاصلة أو قافية وهذه الحروف من أنفس الكلم وهلا لم يستحسن حذفها كما أثبت سائر الحروف ولم يحذف والقول في ذلك ان الفواصل والقوافي في مواضع الوقف والوقف موضع تغير فلما كان الوقف تغير فيه الحروف الصحيحة بالتضعيف والاسكان وروم الحركة غيرت فيه هذه الحروف المشابهة للزيادة بالحذف ألا ترى أن النداء لما كان في موضع حذف بالترخيم والحذف للحروف الصحيحة الزموا الحذف في أكثر الكلام للحرف المتغير وهو تاء التأنيث فكذلك الزم الحذف في الوقف لهذه الحروف المتغيرة فجعل تغييرها الحذف ولما يراع فيها ما روعي في الحروف الصحيحة فسوّوا بينها وبين الزائد في الحذف للجزم نحو لم يغزو ولم يرم ولم يخش وأجروها مجرى الزائد في الاطلاق نحو « وبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي »(١) وما يمر وما يحلو كما قالوا « أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرِ »(٢) فلذلك اختير فيها الحذف في الفواصل والقوافي وكذلك قوله ﴿جابوا

(١) هذا جزء بيت لزهير بن أبي سلمة من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان تمامه « ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري » والخلق: التقدير، يقول: انت اذا عزمت امرأ قطعته وأنفذته وغيرك يعزم ولا يفعل.

(٢) هذا عجز بيت لزهير من تلك القصيدة ايضاً وقد ينسب الى حماد الراوية على خلاف ذكره في شرح الاشموني وصدره « لمن الديار بقنة الحجر » ويروى « مذحجج ومذدهر » والقنة: اعلى الجبل. والحجر: موضع بناحية الشام وأقوين بمعنى اقفرن وخلون من السكان. والحجج جمع حجة بمعنى السنة، يصف شدة خراب هذه الديار حتى كأنها لا تعرف ولا يعرف سكانها.

**الصخر بالواد﴾** الاوجه فيه الحذف إذا كانت فاصلة وان كان الأحسن اذا لم تكن فاصلة الإثبات ومن قرأ في الوصل يسري بالياء وفي الوقف بغير ياء فإنه ذهب إلى أنه إذا لم يقف عليها صار بمنزلة غيرها من المواضع التي لا يوقف عليها فلم تحذف من الفاصلة إذا لم يقف عليها كما لم يحذف من غيرها وحذفها إذا وقف عليها من أجل الوقف ومن قرأ أكرمن وأهانن بغير ياء في وصل ولا وقف فهو كمن قرأ يسر في الوصل والوقف لأن ما قبلها كسرة في فاصلة ومن قرأهما بياء في الوصل كمثل من قرأ يسري في الوصل بإثبات الياء وبحذفها في الوقف ورواية سيبويه عن أبي عمرو أنه قرأ ربي أكرمن وربي أهانن على الوقف ومن قرأ أَرَّمَ ذات العماد فالمعنى جعلها رميماً رمت هي واسترمت وارمها غيرها قال ابن جني واما القراءة بعادٍ إرمَ فعلى انه أراد أهل ارم هذه المدينة فحذف المضاف وهو يريده كقوله تعالى بزينة الكواكب أي بزينة الكواكب قال وقوله في عبدي لفظه لفظ الواحد ومعناه الجمع أي عبادي وذلك أنه جعل عبادي كالواحد أي لا خلاف بينهم في عبوديته كما لا يخالف الانسان فيصير كقول النبي ﷺ وهم يد على من سواهم وقال غيره معناه فادخلي في جسم عبدي .

[ اللغة ] الفجر شقّ عمود الصبح فجره الله لعباده فجراً إذا أظهره في أفق المشرق مبشراً بإدبار الليل المظلم واقبال النهار المضيء وهما فجران ( أحدهما ) الفجر المستطيل وهو الذي يصعد طولاً كذنب السرحان ولا حكم له في الشرع ( والآخر ) هو المستطير المنتشر في أفق السماء وهو الذي يحرم عنده الأكل والشرب لمن أراد ان يصوم في شهر رمضان وهو ابتداء اليوم والحجر العقل وأصله المنع يقال حجر القاضي على فلان ما له أي منعه من التصرف فيه فالعقل يمنع من المقبحات ويزجر عن فعلها والعماد جمعه عمد وهو ما تبنى به الأبنية ويستعمل في القوة والشرف يقال فلان رفيع العماد قال:

وَنَحْنُ إذا عِمَادُ الْبَيْتِ خَرَّتْ ... عَلَى الأخْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينا

والجواب القطع قال النابغة :

أتَاكَ أبُو لَيْلى تَجُوبُ بِهِ الدُّجى ... دُجَى اللَّيْلِ جَوابَ الْفَلاةِ غَشَمْشَمُ

والغشمشم الطويل والسوط معروف قال الفراء السوط اسم للعذاب وان لم يكن ثم ضرب بسوط وأصل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فكان السوط قسط عذاب يخالط اللحوم والدماء كما يخالطهما السوط قال الشاعر:

أحارِثُ انّا لَوْ تُساطُ دِماؤُنا ... تَزايَلْنَ حَتّى لا يَمَسّ دَمٌ دَماً

والمرصاد الطريق مفعال من رصده يرصده رصداً إذا راعى ما يكون منه ليقابله بما يقتضيه واللم الجمع ولممت ما على الخوان المّه لمّاً إذا أكلته أجمع كأنه يأكل ما ألمَّ به ولا يميز شيئاً من شيء والجم الكثير العظيم وجمة الماء معظمه وجم الماء في الحوض إذا اجتمع وكثر قال زهير:

فَلمّا وَرَدْنَ الْماءَ زُرْقاً جِمامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ الْمُتَخيِّمِ(١)

والدك حط المرتفع بالبسط يقال اندك سنام البعير إذا انفرش في ظهره وناقة دكاء إذا كانت كذلك ومنه الدكان لاستوائه قال:

لَيْتَ الْجِبال تَداعَتْ عِنْدَ مَصْرَعِها دَكّاً فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أحْجارِها حَجَرُ

والوثاق الشدّ وأوثقته شددته .

[ الإعراب ] جواب القسم قوله ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وقيل جوابه محذوف تقديره ليقبضن على كل ظالم او لينتصفن كل مظلوم من ظالمه أما رأيت كيف فعلنا بعاد وفرعون وثمود لما ظلموا وأجري ارم على عاد عطف بيان أو على البدل ولا يجوز أن يكون صفة لأنه غير مشتق وإنما لا ينصرف ارم للتعريف والتأنيث ألا ترى الى قوله ذات العماد ومن أضاف فقال بعاد ارم في الشواذ فإنه عنده بمنزلة قولهم زيد بطة لأنه لقب فيضاف إليه الاسم وثمود في موضع جرّ أي وبثمود لا ينصرف لأنه أعجمي معرفة على طعام المسكين تقديره على اطعام طعام المسكين فحذف المضاف ويجوز أن يكون طعام اسماً أقيم مقام الإطعام كقول لبيد:

بـاكَرْتُ حاجَتَها الدُّجاجَ بِسحْرَةٍ لأُعِلَّ مِنْها حِينَ هَبَّ نِيَامُها(٢)

أي لاحتياجي إليها فهو مفعول له والتراث أصله الوارث من ورثت ولكن التاء تبدل من الواو ومثله تجاه أصله وجاه من واجهه وجواب اذا في قوله إذا دكّت الأرض قوله فيومئذ لا يعذب عذابه احد وقوله صفاً صفاً مصدر وضع موضع الحال أي مصطفين .

[ المعنى ] ﴿والفجر﴾ أقسم الله سبحانه بفجر النهار وهو انفجار الصبح كل يوم عن

(١) البيت من المعلقة. والزرق: شدة الصفاء ووضع العصى كناية عن النزول بالمكان. يقول: فلما وردن النساء الظعائن الماء ورأين صفاء ما اجتمع منه في الحياض عزمن على الاقامة كالحاضر المنبى الخيمة .

(٢) هذا البيت من المعلقات ايضاً وباكرت الدجاج اي سابقت الديوك والسحرة والسحر بمعنى يقول: سابقت صياح الديك لاسقى من الخمر سقياً متتابعاً .

عكرمة والحسن والجبائي ورواه أبو صالح عن ابن عباس وقيل هو فجر ذي الحجة لأن الله تعالى قرن الأيام به فقال ﴿وليال عشر﴾ وهي عشر ذي الحجة عن مجاهد والضحاك وقيل فجر أول المحرم لأنه تتجدَّد عنده السنة عن قتادة وقيل يريد فجر يوم النحر لأنه يقع فيه القربان ويتصل بالليالي العشر عن أبي مسلم وقيل أراد بالفجر النهار كله عن ابن عباس وليال عشر يعني العشر من ذي الحجة عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك والسدي وروي ذلك مرفوعاً شرفها الله ليسارع الناس فيها إلى عمل الخير وقيل هي العشر الأواخر من شهر رمضان في رواية أخرى عن ابن عباس وقيل إنها عشر موسى للثلاثين ليلة التي أتمها الله بها ﴿والشفع والوتر﴾ يعني الزوج والفرد من العدد كله عن الحسن قال أبو مسلم هو تذكير بالحساب لعظم ما فيه من النفع والنعم بما يضبط به من المقادير وقيل الشفع والوتر كل ما خلقه الله تعالى لأن جميع الأشياء إما زوج وإما فرد عن ابن زيد والجبائي وقيل الشفع الخلق لأنه قال وخلقناكم أزواجاً والوتر الله تعالى عن عطية العوفي وأبي صالح وابن عباس ومجاهد وهي رواية أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ وقيل الشفع والوتر الصلاة ومنها شفع ومنها وتر وهي رواية ابن حصين عن النبي ﷺ وقيل الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وهي رواية جابر عن النبي ﷺ والوجه فيه ان يوم النحر يشفع بيوم نفر بعده وينفرد يوم عرفة بالموقف وقيل الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وقيل ان الشفع والوتر في قول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فالشفع النفر الأول والوتر يوم النفر الأخير وهو الثالث وأما الليالي العشر فالثماني من ذي الحجة وعرفة والنحر عن ابن الزبير وقيل الوتر آدم شفع بزوجته عن ابن عباس وقيل الشفع الأيام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليل بعده وهو يوم القيامة عن مقاتل بن حيان وقيل الشفع صفات المخلوقين وتضادها العزّ والذلّ والوجود والعدم والقدرة والعجز والعلم والجهل والحياة والموت والوتر صفة الله تعالى إذ هو الموجود لا يجوز عليه العدم والقادر لا يجوز عليه العجز والعالم لا يجوز عليه الجهل والحيّ لا يجوز عليه الموت وقيل الشفع علي وفاطمة (ع) والوتر محمد ﷺ وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام ﴿والليل إذا يسر﴾ اختلفوا في المراد به على وجهين (أحدهما) أنه أراد جنس الليالي كما قال والليل إذا أدبر أقسم بالليل إذا يمضي بظلامه فيذهب حتى ينقضي بالضياء المبتدىء ففي سيره على المقادير المرتبة ومجيئه بالضياء عند تقضيه ادل دلالة على ان فاعله يختص بالعز والجلال ويتعالى عن الاشباه والأمثال وقيل انه إنما أضاف السير إليه لأن الليل يسير بمسير الشمس في الفلك وانتقالها من أفق إلى أفق وقيل إذا يسري إذا جاء

وأقبل الينا ويريد كل ليلة عن قتادة والجبائي والوجه الآخر ان المراد به ليلة بعينها تمييزاً لها من بين الليالي ثم قيل انها ليلة المزدلفة لاختصاصها باجتماع الناس فيها بطاعة الله تعالى وفيها يسري الحاج من عرفة إلى المزدلفة ثم يصلي الغداة بها ويغدو منها إلى منى عن مجاهد وعكرمة والكلبي **﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾** أي هل فيما ذكر من الأقسام مقنع لذي عقل ولبّ يعقل القسم والمقسم به وهذا تأكيد وتعظيم لما وقع القسم به والمعنى ان من كان ذا لبّ علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء فيه عجائب ودلائل على توحيد الله توضح عن عجائب صنعه وبدائع حكمته ثم اعترض بين القسم وجوابه بقوله **﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد﴾** وهذا خطاب للنبي ﷺ وتنبيه للكفار على ما فعله سبحانه بالأمم السالفة لما كفرت بالله وبأنبيائه وكانت أطول أعماراً وأشدّ قوة وعاد قوم هود واختلفوا في ارم على اقوال ( أحدها ) انه اسم لقبيلة قال أبو عبيدة هما عادان فالأولى هي ارم وهي التي قال الله تعالى فيهم وانه أهلك عاداً الأولى وقيل هو جد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عن محمد بن اسحاق وقيل هو سام بن نوح نسب عاد إليه عن الكلبي وقيل ارم قبيلة من قوم عاد كان فيهم الملك وكانوا بمهرة وكان عاد أباهم عن مقاتل وقتادة ( وثانيها ) ان ارم اسم بلد ثم قيل هو دمشق عن ابن سعيد المقري وسعيد بن المسيب وعكرمة وقيل هو مدينة الاسكندرية عن محمد بن كعب القرظي وقيل هو مدينة بناها شداد بن عاد فلما أتمّها وأراد أن يدخلها أهلكه الله بصيحة نزلت من السماء (وثالثها) أنه ليس بقبيلة ولا بلد بل هو لقب لعاد وكان عاد يعرف به عن الجبائي وروي عن الحسن أنه قرأ بعادِ ارمَ على الاضافة وقيل هو اسم آخر لعاد وكان له اسمان ومن جعله بلداً فالتقدير في الآية بعاد صاحب ارم وقوله ذات العماد يعني انهم كانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج النبت رجعوا إلى منازلهم عن ابن عباس في رواية عطاء والكلبي عن قتادة وقيل معناه ذات الطول والشدة عن ابن عباس ومجاهد من قول العرب رجل معمد للطويل ورجل طويل العماد أي القامة ثم وصفهم سبحانه فقال **﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾** أي لم يخلق في البلاد مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وعظم الأجسام وهم الذين قالوا من أشدّ منا قوة وروي ان الرجل منهم كان يأتي بالصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم وقيل ذات العماد اي ذات الابنية العظام المرتفعة عن الحسن وقال ابن زيد ذات العماد في أحكام البنيان التي لم يخلق مثلها أي مثل أبنيتها في البلاد .

## [ قصة ارم ذات العماد ]

**قال وهب بن منبه خرج عبد الله بن قلابة في طلب ابل له شردت فبينا هو في صحارى**

عدن إذ هو قد وقع في مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال فلما دنا منها ظنَّ ان فيها أحداً يسأله عن ابله فنزل عن دابته وعقلها وسلَّ سيفه ودخل من باب الحصن فلما دخل الحصن فإذا هو ببابين عظيمين لم ير أعْظم منهما والبابان مرصعان بالياقوت الأبيض والأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح احد البابين فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها واذا هو قصور كل قصر فوقه غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ومصاريع تلك الغرف مثل مصراع المدينة يقابل بعضها بعضاً مفروشة كلها باللئالىء وبنادق من مسك وزعفران فلما رأى الرجل ما رأى ولم ير فيها أحداً هاله ذلك ثم نظر إلى الأزقة فإذا هو بشجر في كل زقاق منها قد أثمرت تلك الأشجار وتحت الأشجار أنهار مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة كل قناة أشدُّ بياضاً من الشمس فقال الرجل والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما خلق الله مثل هذه في الدنيا وان هذه هي الجنة التي وصفها الله تعالى في كتابه فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق السمك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها ومن ياقوتها شيئاً وخرج ورجع الى اليمن فأظهر ما كان معه وعلم الناس أمره فلم يزل ينمو امره حتى بلغ معاوية خبره فأرسل في طلبه حتى قدم عليه فقصَّ عليه القصة فأرسل معاوية الى كعب الأحبار فلما أتاه قال يا أبا اسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم أخبرك بها وبمن بناها انما بناها شداد بن عاد فأما المدينة فإرم ذات العماد التي وصفها الله تعالى في كتابه وهي التي لم يخلق مثلها في البلاد قال معاوية فحدثني حديثها فقال ان عاداً الأولى ليس بعاد قوم هود وانما هود وقوم هود ولد ذلك وكاد عاد له ابنان شداد وشديد فهلك عاد فبقيا وملكا فقهر البلاد وأخذاها عنوة ثم هلك شديد وبقي شداد فملك وحده ودانت له ملوك الأرض فدعته نفسه إلى بناء مثل الجنة عتواً على الله سبحانه فأمر بصنعة تلك المدينة ارم ذات العماد وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الأعوان وكتب الى كل ملك في الدنيا أن يجمع له ما في بلاده من الجواهر وكان هؤلاء القهارمة اقاموا في بنيانها مدة طويلة فلما فرغوا منها جعلوا عليها حصناً وحول الحصن الف قصر ثم سار الملك إليها في جنده ووزرائه فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عز وجل عليه وعلى من معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً ولم يبق منهم أحد وسيدخلها في زمانك رجل من المسلمين أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له في تلك الصحارى والرجل عند معاوية فالتفت كعب اليه وقال هذا والله ذلك الرجل ثم قال سبحانه ﴿**وثمود الذين جابوا الصخر بالواد**﴾ أي وكيف فعل بثمود الذين قطعوا الصخر ونقبوها بالوادي الذي كانوا ينزلونه يعني وادي القرى قال ابن عباس كانوا ينحتون الجبال

فيجعلون منها بيوتاً كما قال الله تعالى وتنحتـون من الجبال بيـوتاً فـارهين ﴿وفرعـون﴾ أي وكيف فعل فرعون الذي أرسل اليه موسى ﴿ذي الأوتاد﴾ أي ذي الجنود الذين كانوا يشيدون أمره عن ابن عباس وسماهم أوتاداً لأنهم قواد عسكره الذين بهم قوام أمـره وقيل كـان يشدّ الرجل بأربعة أوتاد على الأرض إذا أراد تعذيبه ويتركه حتى يموت عن مجاهد وعن ابن مسعود قال وتلدامرأته بأربعة اوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت وقد مرَّ بيانه في سورة صّ ﴿الذين طغوا في البلاد﴾ يعني عاداً وثمود وفرعون طغوا أي تجبروا في البلاد على أنبياء الله وعملوا فيها بمعصية الله ﴿فأكثروا فيها﴾ أي في الأرض أو في البلاد ﴿الفساد﴾ أي القتل والمعصية عن الكلبي ثم بيَّن سبحانه ما فعله بهم عاجلاً بأن قال ﴿فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب﴾ أي فجعل سوطه الذي ضربهم به العذاب عن الزجاج وقيل معناه صبَّ عليهم قسط عذاب كالعذاب بالسوط الذي يعرف أراد ما عذبوا به وقيل ان كـل شيء عذب الله بـه فهو سوط فأجرى على العذاب اسم السوط مجازاً عن قتادة شبَّه سبحانه العذاب الذي أحلّه بهم والقاه عليهم بانصباب السوط وتواتره على المضروب حتى يهلكه ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ أي عليه طريق العباد فلا يفوته أحد عن الكلبي والحسن وعكرمة والمعنى أنه لا يفوته شيء من أعمالهم لأنه يسمع ويرى جميع أقوالهم وأفعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصـاد وروي عن علي (ع ) انه قال معناه ان ربك قادر على ان يجزي أهل المعاصي جزاءهم وعن الصادق (ع انه قال المرصاد قنـطرة على الصراط لا يجـوزها عبـد بمظلمـة عبد وقـال عطاء يعني يجازي كل واحد وينتصف من الظالم للمظلوم وقيل لاعرابي أين ربك قال بالمرصاد وليس يريد به المكان فقد سئل علي (ع ) اين كان ربنا قبل أن خلق السماوات والأرض فقال أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وروي عن ابن عباس في هذه الآية قـال ان على جسر جهنم سبع محابس يسأل العبد عندها اولها عن شهادة ان لا إله إلا الله فإن جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسأل عن الصوم فإن جاء بها تامة جاز إلى الخامس فيسأل عن الحج فإن جاء به تاماً جاز إلى السادس فيسأل عن العمرة فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم فإن خرج منها والا يقال انظروا فإن كان له تطوع اكمل به اعماله فإذا فرغ انطلق به الى الجنة ثم قسَّم سبحانه احوال البشر فقال ﴿فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه﴾ أي اختبـره وامتحنه بالنعمة ﴿فأكرمه﴾ بالمال﴿ ونعّمه ﴾ بما وسَّع عليه من انواع الافضال ﴿فيقول ربي اكرمن﴾ فيفرح بذلك ويسّر ويقول ربي اعطاني هذا لكرامتي عنده ومنزلتي لديه اي يحسب انه كريم على ربه حيث وسع الدنيا عليه ﴿واما إذا ما ابتلاه﴾ بالفقر والفاقة ﴿فقدر﴾ أي فضيق

وقتر ﴿عليه رزقه﴾ وجعله على قدر البلغة ﴿فيقول ربي أهانن﴾ أي فيظن أن ذلك هو أن من الله ويقول ربي أذلّني بالفقر ثم قال ﴿كلا﴾ أي ليس كما ظن فإني لا أغني المرء لكرامته عليَّ ولا وأفقره لمهانته عندي ولكني اوسع على من اشاء وأضيق على من اشاء بحسب ما توجبه الحكمة ويقتضيه الصلاح ابتلاء بالشكر والصبر وإنما الاكرام على الحقيقة يكون بالطاعة والإهانة تكون بالمعصية ثم بيَّن سبحانه ما يستحق به الهوان فقال بل إنما أهنت من أهنت لأنهم عصوني ثم فصَّل العصيان فقال ﴿بل لا تكرمون اليتيم﴾ وهو الطفل الذي لا أب له أي لا تعطونهم مما أعطاكم الله حتى تغنوهم عن ذلّ السؤال وخصَّ اليتيم لأنهم لا كافل لهم يقوم بأمرهم وقد قال ﷺ انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار بالسبابة والوسطى قال مقاتل كان قدامة بن مظعون في حجر امية بن خلف يتيماً وكان يدفعه عن حقه فعلى هذا فإنه يحتمل معنيين ( أحدهما ) انكم لا تحسنون إليه ( والآخر ) انكم لا تعطونه حقه من الميراث على ما جرت به عادة الكفار من حرمان اليتيم ما كان له من الميراث ﴿ولا تحضّون على طعام المسكين﴾ أي ولا تحثّون على اطعامه ولا تأمرون بالتصدق عليه ومن قرأ لا تحاضون أراد لا يحضّ بعضكم بعضاً على ذلك والمعنى ان الاهانة ما فعلتموه من ترك اكرام اليتيم ومنع الصدقة من الفقير لا ما توهمتموه وقيل ان المراد إنما أعطيتكم المال لذلك فإذا لم تفعلوه فذلك يوجب إهانتكم ﴿وتأكلون التراث﴾ أي الميراث وقيل اموال اليتامى عن أبي مسلم قال ولم يرد الميراث الحلال لأنه لا يلام آكله عليه قال الحسن يأكل نصيبه ونصيب اليتيم وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أموالهم وقيل يأكلون الميراث فيما يشتهون ولا يتفكرون في اخراج ما أوجب الله عليهم من الحقوق فيه ﴿اكلاً لمّاً﴾ شديداً تلمون جميعه في الأكل وقيل هو أن يأكل نصيبه ونصيب غيره عن الحسن وقيل هو أن يأكل ما يجده ولا يفكر فيما يأكله من خبيث وطيب عن ابن زيد ﴿وتحبون المال حبّاً جمّاً﴾ أي كثيراً شديداً عن ابن عباس ومجاهد والمعنى تحبّون جمع المال وتولعون به فلا تنفقونه في خير وقيل يحبّون كثرة المال من فرط حرصهم فيجمعونه من غير وجهه ويصرفونه في غير وجهه ولا يتفكرون في العاقبة ثم قال سبحانه ﴿كلا﴾ أي لا ينبغي ان يكون الأمر هكذا وقال مقاتل معناه لا يفعلون ما أمروا به في اليتيم والمسكين وقيل كلّا زجر تقديره لا تفعلوا هكذا ثم خوَّفهم فقال ﴿إذا دكّت الأرض دكاً دكاً﴾ أي كسر كل شيء على ظهرها من جبل او بناء أو شجر حتى زلزلت فلم يبق عليها شيء يفعل ذلك مرة بعد مرة وقيل دكت الأرض اي مدّت يوم القيامة مدّ الاديم عن ابن عباس وقيل دقّت جبالها وانشازها حتى استوت عن ابن قتيبة والمعنى استوت في انفراشها وذهب دورها وقصورها وسائر ابنيتها حتى تصير كالصحراء

الملساء ﴿وجاء ربك﴾ أي أمر ربك وقضاؤه ومحاسبته عن الحسن والجبائي وقيل جاء أمره الذي لا أمر معه بخلاف حال الدنيا عن أبي مسلم وقيل جاء جلائل آياته فجعل مجيئها مجيئه تفخيماً لأمرها وقال بعض المحققين المعنى وجاء ظهور ربك لضرورة المعرفة به لأن ظهور المعرفة بالشيء يقوم مقام ظهوره ورؤيته ولما صارت المعارف بالله في ذلك اليوم ضرورية صار ذلك كظهوره وتجليه للخلق فقيل جاء ربك أي زالت الشبهة وارتفع الشك كما يرتفع عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه جلَّ وتقدس عن المجيء والذهاب لقيام البراهين القاهرة والدلائل الباهرة على أنه سبحانه ليس بجسم ﴿والملك﴾ أي وتجيء الملائكة ﴿صفاً صفاً﴾ يريد صفوف الملائكة وأهل كل سماء صفّ على حدة عن عطاء وقال الضحاك أهل كل سماء إذا زلزلوا يوم القيامة كانوا صفاً محيطين بالأرض وبمن فيها فيكون سبع صفوف فذلك قوله صفاً صفاً وقيل معناه مصطفين كصفوف الناس في الصلاة يأتي الصف الأول ثم الصف الثاني ثم الصف الثالث ثم على هذا الترتيب لأن ذلك أشبه بحال الاستواء من التشويش فالتعديل والتقويم اولى ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ أي وأحضرت في ذلك اليوم جهنم ليعاقب بها المستحقون لها ويرى اهل الموقف هولها وعظم منظرها وروي مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية تغيَّر وجه رسول الله ﷺ وعرف في وجهه حتى اشتدَّ على أصحابه ما رأوا من حاله وانطلق بعضهم الى علي بن أبي طالب (ع) فقالوا يا علي لقد حدث امر قد رأيناه في نبي الله ﷺ فجاء علي (ع) فاحتضنه من خلفه وقبّل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بأبي انت وأمي ما الذي حدث اليوم قال جاء جبرائيل (ع) فأقرأني وجيء يومئذ بجهنم قال فقلت كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت اهل الجمع ثم أتعرض لجهنم فتقول مالي ولك يا محمد فقد حرَّم الله لحمك عليَّ فلا يبقى احد إلا قال نفسي نفسي وان محمداً يقول رب امتي امتي ثم قال سبحانه ﴿يومئذ﴾ يعني يوماً يجاء بجهنم ﴿يتذكر الإنسان﴾ أي يتّعظ ويتوب الكافر ﴿وأنّى له الذكرى﴾ أي ومن أين له التوبة عن الزجاج وقيل معناه يتذكر الانسان ما قصر وفرط إذ يعلم يقيناً ما قد توعد به فكيف ينفعه التذكر اثبت له التذكر ثم نفاه بمعنى انه لا ينتفع به فكأنه لم يكن وكان ينبغي له أن يتذكر في وقت ينفعه ذلك فيه ثم حكى سبحانه ما يقول الكافر والمفرط الجاني على نفسه ويتمنّاه بقوله ﴿يقول يا ليتني قدّمت لحياتي﴾ أي يتمنى ان يكون قد كان عمل الطاعات والحسنات لحياته بعد موته أو عملها للحياة التي تدوم له بقوله يا ليتني قدّمت لحياتي العمل الصالح لآخرتي التي لا موت فيها ثم قال سبحانه ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد﴾ أي لا يعذب عذاب الله أحد من

الخلق ﴿ولا يوثق وثاقه احد﴾ أي وثاق الله احد من الخلق فالمعنى لا يعذب احد في الدنيا مثل عذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق احد في الدنيا بمثل وثاق الله الكافر يومئذ وأما القراءة بفتح العين في يعذب ويوثق فقد وردت الرواية عن أبي قلابة قال اقرأني من اقرأه رسول الله ﷺ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد والمعنى لا يعذب أحد تعذيب هذا الكافر ان قلنا انه كافر بعينه أو تعذيب هذا الصنف من الكفار وهم الذين ذكروا في قوله لا يكرمون اليتيم الآيات وهذا وان أطلق فالأولى ان يكون المراد التقييد لأنا نعلم ان ابليس أشدّ عذاباً ووثاقاً منه وقيل معناه لا يؤاخذ بذنبه غيره والتقدير لا يعذب احد بعذابه لأنه المستحق بعذابه ولا يؤاخذ الله أحداً بجرم غيره ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ بالإيمان المؤمنة الموقنة المصدّقة بالثواب والبعث والمطأنينة حقيقة الايمان عن الحسن ومجاهد وقيل المطمئنّة الآمنة بالبشارة بالجنة عند الموت ويوم البعث عن ابن زيد وقيل النفس المطمئنة التي يبيض وجهها ويعطى كتابها بيمينها فحينئذ تطمئنُّ عن الكلبي وأبي روق ﴿ارجعي إلى ربك﴾ أي يقال لها عند الموت عن أبي صالح وقيل عند البعث عن عكرمة والضحاك ارجعي الى ثواب ربك وما اعدَّه لك من النعيم عن الحسن وقيل ارجعي الى الموضع الذي يختص الله سبحانه بالأمر والنهي فيه دون خلقه وقيل ان المراد ارجعي الى صاحبك وجسدك فيكون الخطاب للروح ان ترجع الى الجسد عن ابن عباس ﴿راضية﴾ بثواب الله ﴿مرضية﴾ أعمالها التي عملتها وقيل راضية عن الله بما اعدَّ الله لها مرضة رضي عنها ربها بما عملت من طاعته وقيل راضية بقضاء الله في الدنيا حتى رضي الله عنها ورضي بأفعالها واعتقادها ﴿فادخلي في عبادي﴾ أي في زمرة عبادي الصالحين المصطفين الذين رضيت عنهم وهذه نسبة تشريف وتعظيم ﴿وادخلي جنتي﴾ التي وعدتكم بها وأعددت نعيمكم فيها .

[ **النظم** ] وجه اتصال قوله فأما الانسان الآية بما قبله فيه قولان ( أحدهما ) انه يتصل بقوله ان ربك لبالمرصاد أي هو بالمرصاد لأعمالهم لا يخفى عليه شيء من مصالحهم فإذا أكرم أحداً منهم بنوع من النعم التي هي الصحة والسلامة والمال والبنون امتحاناً واختباراً ظنَّ ذلك واجباً واذا قتر عليه رزقه ظنَّ ذلك اهانة له وإنما يفعل سبحانه جميع ذلك للمصالح عن أبي مسلم ( والثاني ) ان المعنى بالمرصاد لهم يتعبده بما هو الأصلح لهم وانهم يظنون انه يبتدىء عباده بالإكرام والإهانة وليس كذلك بل هما مستحقان ولا يدخل العباد تحت الاستحقاق الا بعد التكليف واما قوله بل لا تكرمون اليتيم فوجه اتصاله بما قبله انه ردَّ عليهم ظنهم انه ضيق عليهم ارزاقهم على وجه الاهانة فبيِّن سبحانه ان الاهانة لما ذكره لا لما قالوه .

# (٩٠) سورة البلد مكية وآياتها عشرون

مكية عشرون آية بالاجماع .

[ فضلها ] أُبيّ بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأها اعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة ابو بصير عن أبي عبد الله ( ع ) قال من كان قراءته في الفريضة لا أقسم بهذا البلد كان في الدنيا معروفاً انه من الصالحين وكان في الآخرة معروفاً ان له من الله مكاناً وكان من رفقاء النبيين والشهداء والصالحين .

[ تفسيرها ] لمّا ختم تلك السورة بذكر النفس المطمئنة بيَّن في هذه السورة وجه الاطمئنان وانه النظر في طريق معرفة الله وأكَّد ذلك بالقسم فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ
وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن
يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن
لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾
وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا

ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾
عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر لبَّدا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فكَّ رقبة أو أطعم والباقون فكُّ رقبة بالرفع والإضافة أو اطعام بالتنوين وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم مؤصدة بالهمزة والباقون بغير همزة ويعقوب مختلف عنه وفي الشواذ قراءة الحسن في يوم ذا مسغبة .

[ **الحجة** ] لبد يجوز أن يكون واحداً على وزن زُمَّل وجُبّاً[١] ويجوز أن يكون جمعاً فيكو ن جمع لا بد وأما قوله ﴿**فك رقبة أو اطعام**﴾ فقد قال أبو علي المعنى فيه وما أدراك ما اقتحام العقبة فك رقبة أو اطعام أي اقتحامها احد هذين أو هذا الضرب من فعل القرب فلو لم تقدره وتركت الكلام على ظاهره كان المعنى العقبة فك رقبة ولا تكون العقبة الفك لأنه عين والفك حدث والخبر ينبغي أن يكون المبتدأ في المعنى ومثل هذا قوله ﴿ **وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة**﴾ أي الحطمة نار الله ومثله وما أدراك ما هيه نار حامية وكذلك قوله ﴿**وما أدراك ما القارعة**﴾ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والمعنى القارعة يوم يكون الناس لأن القارعة مصدر فيكون اسم الزمان خبراً عنه فهذه الجمل من الابتداء والخبر تفسير لهذه الأشياء المتقدم ذكرها من اقتحام العقبة والحطمة والقارعة كما أن قوله تعالى ﴿**لهم مغفرة وأجر عظيم**﴾ تفسير للوعد وقوله ﴿**فلا اقتحم العقبة**﴾ معناه فلم يقتحم وإذا كانت لا بمعنى لم لم يلزم تكريرها كما لا يلزم التكرير مع لم فإن تكررت في موضع نحو فلا صدَّق ولا صلّى فهو كتكرير لم في قوله لم يسرفوا ولم يقتروا وقوله ثم كان من الذين آمنوا اي كان مقتحم العقبة وفكاك الرقبة من الذين آمنوا فإنه إذا لم يكن منهم لم ينفعه قربه وجاز وصف

(١) الجبأ: الجبان .

اليوم بقوله ﴿ذي مسغبة﴾ كما جاز ان يقال ليله نائم ونهاره صائم ونحو ذلك ومن قرأ فكُّ رقبة أو اطعم فإنه يجوز ان يكون ما ذكر من الفعل تفسيراً لاقتحام العقبة فإن قلت ان هذا الضرب لم يفسّر بالفعل وانما فسّر بالابتداء والخبر كقوله ﴿نار الله الموقدة﴾ وقوله نار حامية فهلا رجحت القراءة الأخرى قيل انه قد يمكن ان يكون كذبت ثمود وعاد بالقارعة تفسيراً لقوله وما ادراك ما القارعة على المعنى وقد جاء ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وفسّر المثل بقوله خلقه من تراب وزعموا أن أبا عمرو احتج بقوله ثم كان من الذين آمنوا لقراءة فكُّ رقبة كأنه لما كان فعلاً وجب أن يكون المعطوف عليه مثله وقد يجوز أن يكون ذلك كالقطع من الأول والاستئناف كأنه أعلم أن فكاك الرقبة من الرق بأن كان من الذين آمنوا لأنه بالإيمان يحرز ثواب ذلك ويحوزه فإذا لم ينضم الإيمان إلى فعل القرب التي تقدَّم ذكرها لم ينفع ذلك والتقدير ثم كونه من الذين آمنوا فجاء هذا مجيء قوله سبحانه كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا يريد وان شهدوا. وأوصدت الباب وأصدته لغتان فمن لم يهمز موصدة احتمل أمرين ( أحدهما ) أن يكون على لغة من قال أوصدت ( والوجه ) الآخر أن يكون من آصدت ثم خففت الهمزة فقلبت واواً كما جاء في جونة وتووي ومن همز مؤصدة فهو من أصدت وأبو عمرو يترك الهمزة الساكنة ويبدلها واواً اذا انضمّ ما قبلها نحو يؤمنون ومؤمنين ويبدلها الفاً إذا انفتح ما قبلها ياء اذا انكسر ما قبلها ولا يبدلها في نحو قوله مؤصدة بل يهمزها لأن مؤصدة بالهمز هي لغة من قال آصدت الباب والباب مؤصدة وأبو عمرو على هذه اللغة فلا يترك الهمز اذا احتاج ان يترك لغته وينتقل عنها الى لغة اخرى وكذلك لا يترك الهمز في قوله تؤوي اليك لأنه لو أبدلها واواً وبعدها واو اجتمع واوان واجتماعهما أثقل من الهمزة وكذلك إذا كان الفعل مجزوماً ولامها همزة بقاها على حالها ولا يبدلها بتّة نحو قوله ان تمسكم حسنة تسؤهم لأنه لو ابدلها واواً وجب حذفها بالجزم كما تقول في يغزو لم يغز كذلك ان يشأ يذهبكم لا يبدلها الفاً لهذا المعنى ايضاً وكذلك قوله اثاثاً ورئياً لا يقلبها ياء لأنه يشتبه بالري من روي من الماء فهذه أربعة احوال لا يترك الهمز فيها اذا احتاج الى ترك لغته وان ينتقل الى لغة أخرى وإذا كان الهمز في موضع الجزم واذا اشتبه المعنى في الكلمة بكلمة اخرى واذا كان ترك الهمزة يؤدي الى اجتماع الواوين فافهم ذلك ومن قرأ ذا مسغبة جعله مفعول اطعام ويتيما بدل منه ويجوز ان يكون يتيماً وصفاً لذا مسغبة كقولك رأيت كريماً عاقلاً وجاز وصف الصفة الذي هو كريم لأنه لما لم يجر على الاسم الموصوف اشبه الاسم .

[ **اللغة** ] الحل الحال وهو الساكن والحلّ الحلال ورجل حلّ وحلال ايَ محل والكبد

في اللغة شدة الأمر ومنه تكبد اللبن إذا غلظ واشتدَّ ومنه الكبد لأنـه دم يغلظ ويشتدّ وتكبـد الدم اذا صار كالكبد قال لبيد :

عَـيْـنُ هَـلاّ بَـكَـيْـتَ أَرْبَـدَ إِذْ قُـمْـنَـا وَقَـامَ الْـخُـصُـومُ فـي كَـبَـدٍ[١]

واللبد الكثير مأخوذ من تلبد الشيء اذا تراكب بعضه على بعض ومنه اللبيد يقال ما له سبَد ولا لَبَد[٢] وأصل النجد العلو وسمي نجد نجداً لعلوه عن انخفاض تهامة وكل عال من الأرض نجد والجمع نجود قال امرؤ القيس:

غَـدَاةَ غَـدَوا فَـسَـالِـكٌ بَـطْنَ نَـخْـلَةٍ وَآخَـرُ مِـنْهُـمْ جَـازِعٌ نَجْـدَ كَـبْـكَـبِ[٣]

أراد طريقه في ارتفاع وكبكب جبل وفي المثل أَنْجَدَ مَنْ رَأَىٰ حَضَناً﴾[٤] ورجل نجد بين النجدة اذا كان جلداً قوياً لاتسعلائه على قرنِه واستنجدت فلانـاً فأنجـدني اي استعنته للاستعلاء على قرني فأعانني وشبـه طريق الخير والشر بالطريقين العاليين لظهور مـا فيهما والاقتحـام الدخـول على الشدة بـالضيق يقال اقتحم وتقحم وأقحمـه وقحمه غيـره والعقبة الطريقة التي ترتقى على صعوبة ويحتاج فيها الى معاقبـة الشدة بـالضيق والمخاطـرة وقيل العقبة الثنية الضيقة في رأس الجبل يتعاقبها الناس فشبِّهت النفقة في وجوه البرّ بهـا وعاقب الرجل صاحبه إذا صار في موضعه بدلاً منه والفكّ فرق يزيد المنع ويمكن معه امر لم يكن متمكناً كفكّ القيد والغل لأنه يزول به المنـع ويمكن به تصرف لم يمكن قبل ففكّ الرقبة فرق بينها وبين حال الرق بإيجاب الحرية وابطال العبودية والمسغبة المجاعة سغب يسغب سغباً فهو ساغب اذا جاع قال جرير:

تُـعَـلِّـلُ وَهْـيَ سَـاغِـبَـةٌ بَـنِـيـهَـا بِـأَنْـفَـاسٍ مِـنَ الـشَّـبِـمِ الْـقَـرَاحِ[٥]

والمقـربة القـرابة ولا يقـال فلان قـرابتي وانما يقـال ذو قرابتي لأنـه مصدر كمـا قال الشاعر: *

---

(١) يرثي أخاه أربد وقد هلك على دين الجاهلية. اي يا عين هلا بكيت. . ا هـ .

(٢) السبد: القليل من الشعر واللبد: الصوف اي لا شعر ولا صوف. يقال لمن لا شيء له .

(٣) بطن نخلة ونجد كبكب: موضعان .

(٤) انجد اي بلغ نجداً من رأى هذا الجبل يضرب في الدليل على الشيء أي قد ظهر حصول المراد وقربه .

(٥) علله بطعام وغيره: شغله به. وعللت المرأة صبيها بشيء من المرق ونحوه ليجزأ به عن اللبن. والنفس ـ محركة ـ الجرعة والجمع انفاس والشبم البارد. ويروى ان جـريراً لمـا أنشد عبـد الملك هذا البيت قـال له: لا أروى الله عيمتها .

يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ

والمتربة الحاجة الشديدة من قولهم ترب الرجل إذا افتقر .

[ المعنى ] ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة وقد تقدَّم بيان قوله لا أقسم في سورة القيامة ﴿ وأنت حلّ بهذا البلد ﴾ أي وأنت يا محمد مقيم به وهو محلّك وهذا تنبيه على شرف البلد بشرف من حلَّ به من الرسول الداعي إلى توحيده وإخلاص عبادته وبيان أن تعظيمه له وقسمه به لأجله ﷺ ولكونه حالاً فيه كما سميت المدينة طيبة لأنها طابت به حيّاً وميتاً وقيل معناه وأنت محل بهذا البلد وهو ضدّ المحرم والمراد وأنت حلال لك قتل من رأيت به من الكفار وذلك حين أمر بالقتال يوم فتح مكة فأحلَّها الله له ﷺ حتى قاتل وقتل وقد قال ﷺ لا يحلّ لأحد قبلي ولا يحلّ لأحد من بعدي ولم يحلّ لي إلا ساعة من نهار عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطاء وهذا وعد من الله لنبيه ﷺ أن يحل له مكة حتى يقاتل فيها ويفتحها على يده ويكون بها حلاً يصنع بها ما يريد القتل والأسر وقد فعل سبحانه ذلك فدخلها غلبة وكرها وقتل ابن أخطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن سبابة وغيرهما وقيل معناه لا أقسم بهذا البلد وأنت حل فيه منتهك الحرمة مستباح العرض لا تحترم فلم يبن للبلد حرمة حيث هتكت حرمتك عن أبي مسلم وهو المروي عن أبي عبد الله ( ع ) قال كانت قريش تعظم البلد وتستحل محمداً ﷺ فيه فقال لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد يريد أنهم استحلوك فيه فكذَّبوك وشتموك وكانوا لا يأخذ الرجل منهم فيه قاتل أبيهِ ويتقلدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليدهم إياه فاستحلوا من رسول الله ﷺ مالم يستحلوا من غيره فعاب الله ذلك عليهم ثم عطف على القسم فقال ﴿ ووالد وما ولد ﴾ يعني آدم ( ع ) وذريته عن الحسن ومجاهد وقتادة وذلك أنهم خليقة أعجب من هذه الخليقة وهم عمار الدنيا وقيل آدم وما ولد من الأنبياء والأوصياء وأتباعهم عن أبي عبد الله ( ع ) وقيل يريد إبراهيم ( ع ) وولده عن ابن أبي عمران الجوني لما أقسم بالبلد أقسم بإبراهيم فإنه بانيه وبأولاده العرب إذ هم المخصصون بالبلد وقيل يعني كل والد وولده عن ابن عباس والجبائي وقيل ووالد من يولد لهُ وما ولد يعني العاقر عن ابن جبير فيكون ما نفياً وهو بعيد لأنه يكون تقديره وما ما ولد فحذف ما الأولى التي تكون موصولة أو موصوفة ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ أي في نصب وشدة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن قال يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن آدم لا يزال يكابد أمراً حتى يفارق الدنيا وقيل في شدة خلق من حمله وولادته ورضاعه وفطامه ومعاشه وحياته وموته ثم أنه سبحانه لم

يخلق خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم وهو أضعف الخلق وقيل في كبد أي قائماً على قدميه منتصباً وكل شيء خلق فإنه يمسي مكباً إلا الإنسان فإنه خلق منتصباً فالكبد الاستواء والاستقامة وهو رواية مقسم عن ابن عباس وهو قول مجاهد وأبي صالح وعكرمة وقيل يريد شدة الأمر والنهي أي خلقناه ليعبدنا بالعبادات الشاقة مثل الاغتسال من الجنابة في البرد والقيام إلى الصلاة من النوم فينبغي له أن يعلم أن الدنيا دار كبد ومشقة والجنة دار الراحة والنعمة ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ معناه أيظن هذا الإنسان أنه لن يقدر على عقابه أحد إذا عصى الله تعالى وركب القبائح فبئس الظن ذلك وهذا استفهام انكار أي لا يظنن ذلك وقيل معناه أيحسب هذا المغتر بماله أن لا يقدر عليه أحد يأخذ ماله عن الحسن وقيل أيحسب أن لا يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وفي ماذا أنفقه عن قتادة وقيل أنه يعني أبا الأسد بن كلدة وهو رجل من جمح كان قوياً شديد الخلق بحيث يجلس على أديم عكاظي فتجره العشرة من تحته فينقطع ولا يبرح من مكانه عن الكلبي ثم أخبر سبحانه عن مقالة هذا الإنسان فقال ﴿ **يقول أهلكت مالا لبدا** ﴾ أي انفقت مالاً كثيراً في عداوة النبي ﷺ يفتخر بذلك وقيل هو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه أذنب ذنباً فاستفتى رسول الله ﷺ فأمره أن يكفّر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد عن مقاتل ﴿ **أيحسب أن لم يره أحد** ﴾ فيطالبه من أين اكتسبه وفي ماذا أنفقه عن قتادة وسعيد بن جبير وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال لا تزول قدماً العبد حتى يسأل عن أربعة عن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين جمعه وفيماذا أنفقه وعن عمله ماذا عمل به وعن حبّنا أهل البيت وقيل أنه كان كاذباً لم ينفق ما قاله فقال الله سبحانه أيظن أن الله تعالى لم ير ذلك فعل أو لم يفعل أنفق أو لم ينفق عن الكلبي ثم ذكر سبحانه النعم التي أنعم بها عليه ليستدل بها على توحيده فقال ﴿ **ألم نجعل له عينين** ﴾ ليبصر بهما آثار حكمته ﴿ **ولساناً وشفتين** ﴾ لينطق بهما فيبين باللسان ويستعين بالشفتين على البيان قال قتادة نعم الله عليك متظاهرة فقررك بها كيما تشكر وروى عبد الحميد المدائني عن أبي حازم أن رسول الله ﷺ قال ان الله تعالى يقول يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق وإن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ أي سبيل الخير وسبيل الشر عن علي (ع ) وابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل معناه أرشدناه للثديين عن سعيد بن المسيب والضحاك وفي رواية أخرى عن ابن عباس روي أنه قيل لأمير المؤمنين (ع ) أن ناساً يقولون في قوله ﴿ **وهديناه**

**النجدين** ﴾ أنهما الثديان فقال لا هما الخير والشر وقال الحسن بلغني أن رسول الله ﷺ قال يا أيها الناس هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير ولو قيل كيف يكون نجد الشر مرتفعاً كنجد الخير ومعلوم أنه لا رفعة في الشر « والجواب » أن الطريقين جميعاً ظاهران باديان للمكلفين فسمّى سبحانه كلاهما نجداً لظهوره وبروزه ويجوز أن يكون سمى طريق الشر نجداً من حيث يحصل في اجتناب سلوكه الرفعة والشرف كما يحصل ذلك في طريق الخير وقيل أيضاً أنه على عادة العرب في تثنية الأمرين إذا اتفقا على بعض الوجوه فيجري لفظ أحدهما على الآخر كقولهم القمرين في الشمس والقمر قال الفرزدق :

أَخَذْنا بِآفاقِ السَّماءِ عَلَيْكُم ... لَنا قَمَراها وَالنُّجُومُ الطَّوالِعُ

ونظائره كثيرة ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ فيه أقوال ( أحدها ) أن المعنى فلم يقتحم هذا الإنسان العقبة ولا جاوزها وأكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظة لا كما قال سبحانه فلا صدَّق ولا صلّى أي لم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة :

وَإِنْ كانَتِ النَّعْماءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِها ... وَإِنْ أَنْعَمُوا لا كَدَّرُوها وَلا كَدُّوا

وقد جاء من غير تكرار في نحو قوله :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمّاً ... وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمّا[١]

أي لم يلمّ بذنب ( والآخر ) أن يكون على وجه الدعاء عليه بأن لا يقتحم العقبة كما يقال لا غفر الله له ولا نجا ولا سلم والمعنى لا نجا من العقبة ولا جاوزها ( والثالث ) أن المعنى فهلا اقتحم العقبة أو أفلا اقتحم العقبة عن ابن زيد والجبائي وأبي مسلم قالوا ويدلُّ على ذلك قوله تعالى ﴿**ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة**﴾ ولو كان أراد النفي لم يتصل الكلام قال المرتضى قدس الله روحه هذا الوجه ضعيف جداً لأن الكلام خال من لفظ الاستفهام وقبيح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع وقد عيب على عمر بن أبي ربيعة قوله :

ثُمَّ قالُوا تُحِبُّها قُلْتُ بَهْراً ... عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرابِ[٢]

(١) ألم : باشر اللمم أي صغار الذنوب .

(٢) بهراً أي بهرني بهراً بمعنى غلبني غلبةً وقيل بمعنى عجباً .

وأما قولهم لو أريد النفي لم يتصل الكلام فليس بشيء لأن المعنى فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا أي لم يقتحم ولم يؤمن وأما المراد بالعقبة ففيه وجوه ( أحدها ) أنه مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال الخير والبرّ فجعل ذلك كتكليف صعود العقبة الشاقة الكؤود فكأنه قال لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والإطعام وهو قوله ﴿ **وما أدراك ما العقبة** ﴾ أي ما اقتحام العقبة ثم ذكره فقال ﴿ **فك رقبة** ﴾ وهو تخليصها من اسار الرق إلى آخره ( وثانيها ) انها عقبة حقيقة قال الحسن وقتادة هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله عز وجل وروي أن النبي ﷺأنه قال إن أمامكم عقبة كؤوداً لا يجوزها المثقلون وأنا أريد أن أخفف عنكم لتلك العقبة وعن ابن عباس أنه قال هي النار نفسها وروي عنه أيضاً أنها عقبة في النار ( وثالثها ) ما روي عن مجاهد والضحاك والكلبي أنها الصراط يضرب على جهنم كحدّ السيف مسيرة ثلاثة آلاف سهلاً وصعوداً وهبوطاً وإن في جنبيه كلاليب وخطاطيف[١] كأنها شوك السعدان فمن بين مسلم وناج ومخدوش في النار منكوس فمن الناس من يمرّ عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمرّ عليه كالريح العاصف ومنهم من يمرّ عليه كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو ومنهم من يمرّ عليه كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم الزالون والزالات ومنهم من يُكَردس في النار[٢] واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر إلى العشاء وقال سفيان بن عيينة كل شيء قاله سبحانه وما أدراك فإنه أخبره به وكل شيء قال فيه وما يدريك فإنه لم يخبره به وروي مرفوعاً عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله علّمني عملاً يدخلني الجنة قال إن كنت أقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة اعتق النسمة وفكّ الرقبة فقال أوليسا واحداً قال لاعتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها والفيء على ذي الرحم الظالم فإن لم يكن ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكفّ لسانك إلا من الخير وقيل أن معنى فكّ رقبة أن يفكّ رقبة من الذنوب بالتوبة عن عكرمة وقيل أراد فك نفسه من العقاب بتحمل الطاعات عن الجبائي ﴿ **أو إطعام في يوم ذي مسغبة** ﴾ أي ذي مجاعة قال ابن عباس يريد بالمسغبة الجوع وفي الحديث عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ من أشبع جائعاً في يوم سغب أدخله الله يوم القيامة من باب من أبواب الجنة لا يدخلها إلا من فعل مثل ما فعل وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ من موجبات المغفرة إطعام المسلم

(١) الخطاطيف جمع الخطاف. حديدة معوجة اختطف بها الشيء والكلاليب جمع الكلوب وهو بمعناه أيضاً .
(٢) رجل مكردس: جمعت يداه ورجلاه فشدت فألقى إلى موضع .

السغبان وروي عن محمد بن عمر بن يزيد قال قلت لأبي الحسن الرضا (ع) أن لي ابناً شديد العلة قال مره يتصدق بالقبضة من الطعام بعد القبضة فإن الله تعالى يقول فلا اقتحم العقبة وقرأ الآيات ﴿ يتيماً ذا مقربة ﴾ أي ذا قربى من قرابة النسب والرحم وهذا حثّ على تقديم ذوي القرابة المحتاجين على الأجانب في الإطعام والإنعام ﴿ أو مسكيناً ﴾ أي فقيراً ﴿ ذا متربة ﴾ قد لصق بالتراب من شدة فقره وضرّه ورَوى مجاهد عن ابن عباس أنه قال هو المطروح في التراب لا يقيه شيء وهذا مثل قولهم فقير مدقع مأخوذ من الدقعاء وهو التراب ثم بيَّن سبحانه أن هذه القربة إنما تنفع مع الإيمان فقال ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ أي ثم كان مع هذا من جملة المؤمنين الذين استقاموا على إيمانهم ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ على فرائض الله والصبر عن معصية الله أي وصى بعضهم بعضاً بذلك ﴿ وتواصوا بالمرحمة ﴾ أي وأوصى بعضهم بعضاً بالمرحمة على أهل الفقر وذوي المسكنة والفاقة وقيل تواصوا بالمرحمة فيما بينهم فرحموا الناس كلهم ﴿ أولئك أصحاب الميمنة ﴾ يؤخذ بهم ناحية اليمين ويأخذون كتبهم بأيمانهم عن الجبائي وقيل هم أصحاب اليمن والبركة على أنفسهم عن الحسن وأبي مسلم ﴿ والذين كفروا بآياتنا ﴾ أي بحججنا ودلالاتنا وكذَّبوا أنبياءنا ﴿ هم أصحاب المشئمة ﴾ أي يأخذون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وقيل أنهم أصحاب الشؤم على أنفسهم ﴿ عليهم نار مؤصدة ﴾ أي مطبقة عن ابن عباس ومجاهد وقيل يعني أن أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج عنها غم ولا يدخل فيها روح آخر الابد عن مقاتل .

[ النظم ] وجه اتصال قوله سبحانه ﴿ ألم نجعل له عينين ﴾ بما قبله أن المعنى كيف يحسب هذا الإنسان أن الله سبحانه لا يراه وهو الذي خلقه وجعل له عينين وكذا وكذا وقيل أنه اتصل بقوله ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ أي اختبرناه حيث كلفناه ثم أزحنا علته بأن جعلنا له عينين وقيل أنه يتصل بقوله ﴿ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ﴾ والمعنى كيف يظن ذلك وقد خلقناه وخلقنا أعضاءه التي يبصر الدلائل بها ويتكلم بها .

# (٩١) سورة الشمس مكية وآياتها خمس عشرة

**[ عدد آياتها ]**

ست عشرة آية مكي والمدني الأول وخمس عشرة في الباقين .

[ **اختلافها** ] آية فعقروها مكي والمدني الأول .

[ **فضلها** ] أبي بن كعب عنه ﷺ قال من قرأها فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر. معاوية بن عمار عن أبي عبد الله ( ع ) قال من أكثر قراءة والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والضحى وألم نشرح في يومه أو في ليلته لم يبق شيء بحضرته إلا شهد له يوم القيامة حتى شعره وبشره ولحمه ودمه وعروقه وعصبه وعظامه وجميع ما أقلت الأرض منه ويقول الرب تبارك وتعالى قبلت شهادتكم لعبدي وأجزتها له انطلقوا به إلى جناني حتى يتخير منها حيث أحبَّ فأعطوه إياها من غير مَنٍّ مني ولكن رحمة وفضلاً مني عليه فهنيئاً هنيئاً لعبدي .

[ **تفسيرها** ] لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر النار المؤصدة بيَّن في هذه السورة أن النجاة منها لمن زكى نفسه وأكَّده بأن أقسم عليه فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ

وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا
سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ
مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا
فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ
عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل المدينة وابن عامر فلا يخاف بالفاء وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) والباقون ولا يخاف بالواو وكذلك هو في مصاحفهم .

[ **الحجة** ] قال أبو علي الواو يجوز أن يكون في موضع حال أي فسواها غير خائف عقباها يعني غير خائف أن يتعقب عليه في شيء مما فعله وفاعل يخاف الضمير العائد إلى قوله ربهم وقيل أن الضمير يعود إلى صالح النبي ﷺ الذي أرسل إليهم وقيل إذا انبعث أشقاها وهو لا يخاف عقباها أي لا يخاف من اقدامه على ما أتاه مما نهى عنه ففاعل يخاف العاقر على هذا والفاء للعطف على قوله فكذبوه فعقروها فلا يخاف كأنه يتبع تكذيبهم وعقرهم إن لم يخوفوا .

[ **اللغة** ] ضحى الشمس صدر وقت طلوعها وضحى النهار صدر وقت كونه وأضحى يفعل كذا إذا فعله في وقت الضحى وضحى بكبش أو غيره إذا ذبحه في وقت الضحى من أيام الأضحى ثم كثر ذلك حتى لو ذبح في غير ذلك الوقت لقيل ضحى والطحو والدحو بمعنى يقال طحا بك همّك يطحو طحواً إذا انبسط بك إلى مذهب بعيد قال علقمة « طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ »[1] يقال طحا القوم بعضهم بعضاً عن الشيء إذا دفعوا دفعاً

---

(١) هذا صدر بيت وبعده « بعيد الشباب عصر حان مشيب » .

شديد الانبساط والطواحي النسور تنبسط حول القتلى وأصل الطحو البسط الواسع يقال دسا فلان يدسو دسواً فهو داس نقيض زكا يزكو زكاً فهو زاك وقيل أن أصل دسا دس فأبدل من أحد السينين ياء كما قالوا تظنيت بمعنى تظننت ومثله « تَقَضّى الْبَازِيَ إِذَا الْبَـازِي كَسَرْ »[١] بمعنى تقضض وإنما يفعلون ذلك كراهية التضعيف والطغوى والطغيان مجاوزة الحد في الفساد وبلوغ غايته وفي قراءة الحسن وحماد بن مسلمة بطغويها بضم الطاء وعلى هذا فيكون مصدراً على فعلى كالرجعى والحسنى وبعث مطاوع انبعث يقال بعثته على الأمر فانبعث له والسقيا الحظ من الماء والنصيب منه والعقر قطع اللحم بما يسيل الدم وهو من عقر الحوض أي أصله والعقر نقص شيء من أصل بنية الحيوان والدمدمة ترديد الحال المستكره وهي مضاعفة ما فيه الشقة وقال مؤرج الدمدمة هلاك باستئصال قال ابن الاعرابي دمدم أي عذب عذاباً تاماً .

[ **الإعراب** ] والشمس هذه الواو الأولى هي التي للقسم وسائر الواوات فيما بعدها عطف عليها إلى قوله قد أفلح من زكاها وهو جواب القسم والتقدير لقد أفلح وقوله وما بناها وما طحاها وما سواها ما هاهنا مصدرية وتقديره والسماء وبنائها والأرض وطحواها ونفس وتسويتها وقيل أن ما في هذه المواضع بمعنى مَنْ أي والذي بناها ويحكى عن أهل الحجاز أنهم يقولون إذا سمعوا صوت الرعد سبحان ما سبحت له أي سبحان الذي سبحت له ومن سبحت له وقوله ناقة الله وسقياها منصوب بفعل مضمر أي احذروا ناقة الله وذروا سقياها .

[ **المعنى** ] ﴿ **والشمس وضحاها** ﴾ قد تقدَّم أن لله سبحانه أن يقسم بما يشاء من خلقه تنبيهاً على عظيم قدره وكثرة الانتفاع بِهِ ولما كان قوام العالم من الحيوان والنبات بطلوع الشمس وغروبها أقسم الله سبحانه بها وبضحاها وهو امتداد ضوئها وانبساطه عن مجاهد والكلبي وقيل هو النهار كله عن قتادة وقيل حرُّها عن مقاتل كقوله تعالى في طَه ﴿ **ولا تضحى** ﴾ أي لا يؤذيك حرّها ﴿ **والقمر إذا تلاها** ﴾ أي إذا اتبعها فأخذ من ضوئها وسار خلفها قالوا وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها ليلة الهلال وهي أول ليلة من الشهر إذا سقطت الشمس رؤي القمر عند غيبوبتها عن الحسن وقيل في الخامس عشر يطلع القمر مع غروب الشمس وقيل في الشهر كله فهو في النصف الأول يتلوها وتكون أمامه وهو وراؤها وفي النصف الأخير يتلو

---

(٢) هذا عجز بيت للعجاج وصدره « إذا الكرام ابتدروا الباع بدر » وقد مر في الكتاب أيضاً وقوله « كسر » أي كسر جناحيه لشدة طيرانه .

غروبها بالطلوع ﴿ **والنهار إذا جلاها** ﴾ أي جلّى الظلمة وكشفها وجازت الكناية عن الظلمة ولم تذكر لأن المعنى معروف غير ملتبس وقيل أن معناه والنهار إذا أظهر الشمس وأبرزها سمي النهار مجلياً لها لظهور جرمها فيه ﴿ **والليل إذا يغشاها** ﴾ أي يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الآفاق ويلبسها سواده ﴿ **والسماء وما بناها** ﴾ أي ومن بناها عن مجاهد والكلبي وقيل والذي بناها عن عطاء وقيل معناه والسماء وبنائها مع أحكامها واتساقها وانتظامها ﴿ **والأرض وما طحاها** ﴾ في ما وجهان كما ذكرناه أي وطحوها وتسطيحها وبسطها ليمكن الخلق التصرف عليها ﴿ **ونفس وما سواها** ﴾ هو كما ذكرناه وسواها عدل خلقها وسوّى أعضاءها وقيل سواها بالعقل الذي فضل به سائر الحيوان ثم قالوا يريد جميع ما خلق من الجن والانس عن عطاء وقيل يريد بالنفس آدم ومن سواها الله تعالى عن الحسن ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ أي عرّفها طريق الفجور والتقوى وزهدها في الفجور ورغبها في التقوى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل علمها الطاعة والمعصية لتفعل الطاعة وتذر المعصية وتجتني الخير وتجتنب الشر ﴿ **قد أفلح من زكّاها** ﴾ على هذا وقع القسم أي قد أفلح من زكى نفسه عن الحسن وقتادة أي طهّرها وأصلحها بطاعة الله وصالح الأعمال ﴿ **وقد خاب من دساها** ﴾ بالعمل الطالح أي أخملها وأخفى محلها وقيل أضلها وأهلكها عن ابن عباس وقيل أفجرها عن قتادة وقيل معناه قد أفلحت نفس زكّاها الله وخابت نفس دساها الله أي جعلها قليلة خسيسة وجاءت الرواية عن سعيد بن أبي هلال قال كان رسول الله إذا قرأ هذه الآية قد أفلح من زكّاها وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وزكها وأنت خير من زكاها وروى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) في قوله فألهمها فجورها وتقواها قال بيّن لها ما تأتي وما تترك وفي قوله قد أفلح من زكاها قال قد أفلح من أطاع وقد خاب من دساها قال قد خاب من عصى وقال ثعلب قد أفلح من زكى نفسه بالصدقة والخير وخاب من دس نفسه في أهل الخير وليس منهم ثم أخبر سبحانه عن ثمود وقوم صالح فقال ﴿ **كذبت ثمود بطغواها** ﴾ أي بطغيانها ومعصيتها عن مجاهد وابن زيد يعني أن الطغيان حملهم على التكذيب فالطغوى اسم من الطغيان كما أن الدعوى من الدعاء وقيل أن الطغوى اسم العذاب الذي نزل بهم فالمعنى كذبت ثمود بعذابها عن ابن عباس وهذا كما قال فاهلكوا بالطاغية والمراد كذبت بعذابها الطاغية فأتاها ما كذبت به ﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ أي كان تكذيبها حين انبعث أشقى ثمود للعقر ومعنى انبعث انتدب وقام والأشقى عاقر الناقة وهو أشقى الأولين على لسان رسول الله ﷺ واسمه قدار بن سالف قال الشاعر وهو عدي بن زيد :

فَمَنْ يَهْدِي أخاً لِذِنابِ لَو فَأرْشُوْهُ فَإنَّ اللهَ جارُ
وَلٰكِنْ أهْلَكَتْ لَوٌ كَثيراً وَقَبْلَ الْيَوْمِ عالَجَها قِدارُ

يعني حين نزل بها العذاب فقال لو فعلت وقد صحّت الرواية بالإسناد عن عثمان بن صهيب عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب (ع ) من أشقى الأولين قال عاقر الناقة قال صدقت فمن أشقى الآخرين قال قلت لا أعلم يا رسول الله قال الذي يضر بك على هذه وأشار إلى يافوخه وعن عمار بن ياسر قال كنت أنا وعلي بن أبي طالب (ع) في غزوة العسرة نائمين في صَوْر[1] من النخل ودَقْعاء من التراب فوالله ما أهبّنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء فقال ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين قلنا بلى يا رسول الله قال أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك بالسيف يا علي على هذه ووضع يده على قرنه حتى تبل منها هذه وأخذ بلحيته وقيل أن عاقر الناقة كان أشقر أزرق قصيراً ملتزق الحلق ﴿ **فقال لهم رسول الله** ﴾ صالح ﴿ **ناقة الله** ﴾ قال الفراء حذَّرهم إياها وكل تحذير فهو نصب والتقدير احذروا ناقة الله فلا تعقروها عن الكلبي ومقاتل كما يقال الأسد الأسد أي احذروه ﴿**وسقاها**﴾ أي وشربها من الماء أو ما يسقيها أي فلا تزاحموها فيه كما قال سبحانه **لها شرب ولكم شرب يوم معلوم** ﴿ **فكذبوه** ﴾ أي فكذب قوم صالح صالحاً ولم يلتفتوا إلى قوله وتحذيره إياهم بالعذاب بعقرها فعقروها أي فقتلوا الناقة ﴿ **فدمدم عليهم ربهم** ﴾ أي فدمّر عليهم ربهم عن عطاء ومقاتل وقيل أطبق عليهم بالعذاب وأهلكهم ﴿ **بذنبهم** ﴾ لأنهم رضوا جميعاً به وحثّوا عليه وكانوا قد اقترحوا تلك الآية فاستحقوا بما ارتكبوه من العصيان والطغيان عذاب الاستئصال ﴿ **فسواها** ﴾ أي فسوى الدمدمة عليهم وعمَّهم بها فاستوت على صغيرهم وكبيرهم ولم يفلت منها أحد منهم وقيل معناه سوّى الأمة أي أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها فسوى بينها فيه عن الفراء وقيل جعل بعضها على مقدار بعض في الاندكاك واللصوق بالأرض فالتسوية تصيير الشيء على مقدار غيره وقيل سوّى أرضهم عليهم ﴿ **ولا يخاف عقباها** ﴾ أي لا يخاف الله من أحد تبعة في إهلاكهم عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والجبائي والمعنى لا يخاف أن يتعقب عليه في شيء من فعله فلا يخاف عقبى ما فعل بهم من الدمدمة عليهم لأن أحداً لا يقدر على معارضته والإنتقام منه وهذا كقوله لا يسأل عما يفعل وقيل معناه لا يخاف الذي عقرها عقباها عن الضحاك والسدي والكلبي أي لا يخاف عقبى ما صنع بها لأنه كان مكذباً بصالح وقيل معناه ولا يخاف صالح عاقبة ما خوّفهم به من العقوبات لأنه كان على ثقة من نجاته .

---

(١) الصور: المجتمع من النخل. والدقعاء : التراب الدقيق على وجه الأرض .

# (٩٢) سورة الليل مكية وآياتها إحدى وعشرون

مكية إحدى وعشرون آية بالإجماع .

[ فضلها ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر لما قدَّم في تلك السورة بيان حال المؤمن والكافر عقَّبه سبحانه بمثل ذلك في هذه السورة فاتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ
وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥
وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ
وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠
وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢
وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤
لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا

ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

[ **القـراءة** ] في الشواذ قـراء النبي ﷺ وقراءة علي بـن أبي طـالب ( ع ) وابن مسعود وأبي الدرداء وابن عباس والنهار إذا تجلى وخلق الذكر والأنثى بغير ما وروي ذلك عن أبي عبد الله ( ع ) .

[ **الحجة** ] قال ابن جني في هذه القراءة شاهد لما أخبرنا به أبو بكر عن أبي العباس أحمد بن يحيى قراءة بعضهم وما خلق الذكر والأنثى بالجرّ وذلك أنه جرّه لكونه بدلاً من ما فقراءة النبي ﷺ شاهد بصحة ذلك .

[ **اللغة** ] شتى أي متفرق على تباعد ما بين الشيئين جداً ومنه شتان أي بعدما بينهما كبعد ما بين الثـرى والثريـا وتشتت أمر القـوم وشتتهم ريب الزمـان واليسرى تـأنيث الأيسر والعسرى تأنيث الأعسر من اليسر والعسر والتلظي تلهب النار بشدة الإيقاد وتلظت النار تتلظى فحـذف إحدى التـاءين تخفيفاً وقـرأ ابن كثير تلظى بتشـديد التـاء ادغم احدى التـاءين في الأخرى والتجنب تصيير الشيء في جانب من غيره .

[ **الإعـراب** ] وما خلق الـذكر والأنثى أن جعلت مـا مصدريـة فهو في مـوضع الجـر والتقدير وخلق الذكر أي وخلقه الذكر والأنثى وان جعلتها بمعنى من فكذلك والحسنى صفة حذف موصوفها أي وصدق بالخصلة الحسنى وكذا اليسرى والعسرى. التقدير فيهما للطريقة اليسرى وللطريقة العسرى ويتزكى في موضع نصب على الحـال ويجوز أن يكـون منصوب الموضع أو مرفوعاً على تقدير حذف أن أي لأن يتزكى فحذف اللام فصار أن يتزكى ثم حذف أن أيضاً كما في قول طرفة :

أَلا أَيُّهـذَا الـزّاجِـري أَحْضُـرَ الـوَغى وَأَنْ أَشْهَـدَ اللَّذاتِ هَـلْ أَنْتَ مُخْلِدي[1]

روي أحضر بالرفع والنصب وما لأحد عنده من نعمة تجزى من نعمة الجار والمجرور

(١) الوغى : الحرب وقد مضى البيت في المجلد الرابع .

في موضع رفع ، ومن مزيدة لتأكيد النفي وإفادة العموم وتجزى جملة مجرورة الموضع لكونها صفة لنعمة والتقدير من نعمة مجزية وإن شئت كانت مرفوعة الموضع على محل كونه من نعمة والتقدير وما لأحدعنده نعمةمجزية وابتغاء منصوب لأنه مفعول له والعامل فيه يؤتى أي وما يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه أي لطلب ثواب ربه ولم يفعل ذلك مجازاة ليد قد أسديت إليه .

[ المعنى ] ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾ أقسم الله سبحانه بالليل إذا يغشى بظلمته النهار وقيل إذا يغشى بظلمته الأفق وجميع ما بين السماء والأرض والمعنى إذا أظلم وادلهمَّ وأغشى الأنام بالظلام لما في ذلك من الهول المحرك للنفس بالاستعظام ﴿ **والنهار إذا تجلى** ﴾ أي بان وظهر من بين الظلمة وفيه أعظم النعم إذ لو كان الدهر كله ظلاماً لما أمكن الخلق طلب معايشهم ولو كان ذلك كله ضياء لما انتفعوا بسكونهم وراحتهم فلذلك كرَّر سبحانه ذكر الليل والنهار في السورتين لعظم قدرهما في باب الدلالة على مواقع حكمته ﴿ **وما خلق الذكر والأنثى** ﴾ أي والذي خلق عن الحسن والكلبي وعلى هذا يكون ما بمعنى من وقيل معناه خلق الذكر والأنثى عن مقاتل قال مقاتل والكلبي الذكر والأنثى آدم وحواء ( ع ) وقيل أراد كل ذكر وأنثى من الناس وغيرهم ﴿ **إن سعيكم لشتى** ﴾ هذا جواب القسم والمعنى أن أعمالكم لمختلفة فعمل لجنة وعمل للنار عن ابن عباس وقيل أن سعيكم لمتفرق فساعٍ في فكاك رقبته وساع في هلاكه وساع للدنيا وساع للعقبى وروى الواحدي بالإسناد المتصل المرفوع عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال وكان الرجل إذا جاء فدخل الدار وصعد النخلة ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزل الرجل من النخلة حتى يأخذ التمر من أيديهم فإن وجدها في فيّ أحدهم أدخل اصبعه حتى يأخذ التمرة من فيه فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة فقال له النبي ﷺ اذهب ولقي رسول الله ﷺ صاحب النخلة فقال تعطيني نخلتك المائلة التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال له الرجل إن لي نخلاً كثيراً وما فيه نخلة أعجب إليَّ تمرة منها قال ثم ذهب الرجل فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ يا رسول الله أتعطيني ما أعطيت الرجل نخلة في الجنة إن أنا أخذتها قال نعم فذهب الرجل ولقي صاحب النخلة فساومها منه فقال له أشعرت أن محمداً أعطاني بها نخلة في الجنة فقلت له يعجبني تمرتها وإن لي نخلاً كثيراً فما فيه نخلة أعجب إلي تمرة منها فقال له الآخرأتريد بيعها فقال لا إلا أن أعطى ما لا أظنه أعطى قال فما مُناك قال أربعون نخلة فقال الرجل جئت بعظيم تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة ثم سكت عنه فقال له أنا أعطيك

أربعين نخلة فقال له إشهد إن كنت صادقاً فمرَّ إلى أناس فدعاهم فأشهد له بأربعين نخلة ثم ذهب إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن النخلة قد صارت في ملكي فهي لك فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال له النخلة لك ولعيالك فأنزل الله تعالى ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾ السورة وعن عطاء قال اسم الرجل أبو الدحداح ﴿ **فأما من أعطى وأتقى** ﴾ هو أبو الدحداح وأما من بخل واستغنى وهو صاحب النخلة وقوله ﴿ **لا يصلاها إلا الأشقى** ﴾ وهو صاحب النخلة وسيجنبها الأتقى هو أبو الدحداح ولسوف يرضى إذا دخل الجنة قال وكان النبي ﷺ يمرُّ بذلك الحش[1] وعذوقه دانية فيقول عذوق وعذوق لأبي الدحداح في الجنة وعن ابن الزبير قال أن الآية نزلت في أبي بكر لأنه اشترى المماليك الذين أسلموا مثل بلال وعامر بن فهيرة وغيرهما وأعتقهم والأولى أن تكون الآيات محمولة على عمومها في كل من يعطي حق الله من ماله وكل من يمنع حقه سبحانه وروى العياشي ذلك بإسناده عن سعد الإسكاف عن أبي جعفر ( ع ) قال فأما من أعطى مما أتاه الله وأتقى وصدق بالحسنى أي بأن الله يعطي بالواحد عشراً إلى كثير من ذلك وفي رواية أخرى إلى مائة ألف فما زاد فسنيسره لليسرى قال لا يريد شيئاً من الخير إلا يسره الله له وأما من بخل بما أتاه الله واستغنى وكذب بالحسنى بأن الله يعطي بالواحد عشراً إلى أكثر من ذلك وفي رواية أخرى إلى مائة ألف فما زاد فسنيسره لليسرى قال لا يريد شيئاً من الشر إلا يسره الله له قال ثم قال أبو جعفر ( ع ) وما يغني عنه ماله إذا تردى أما والله ما تردى من جبل ولا تردى من حائط ولا تردى في بئر ولكن تردى في نار جهنم فعلى هذا يكون قوله ﴿ **وصدق بالحسنى** ﴾ معناه بالعدة الحسنى وهو قول ابن عباس وقتادة وعكرمة وقيل بالجنة التي هي صواب المحسنين عن الحسن ومجاهد والجبائي وقوله ﴿ **فسنيسره لليسرى** ﴾ معناه فسنهون عليه الطاعة مرة بعد مرة وقيل معناه سنهيئه ونوفقه للطريقة اليسرى أي سنسهل عليه فعل الطاعة حتى يقوم إليها بجدّ وطيب نفس وقيل معناه سنيسره للخصلة اليسرى والحالة اليسرى وهو دخول الجنة واستقبال الملائكة إياه بالتحية والبشرى وقوله ﴿ **وأما من بخل** ﴾ أي ضنَّ بماله الذي لا يبقى له وبخل بحق الله فيه ﴿ **واستغنى** ﴾ أي التمس الغنى بذلك المنع لنفسه وقيل معناه أنه عمل عمل من هو مستغن عن الله وعن رحمته ﴿ **وكذب بالحسنى** ﴾ أي بالجنة والثواب والوعد وبالخلف ﴿ **فسنيسره للعسرى** ﴾ هو على مزاوجة الكلام والمراد به التمكين أي نخلي بينه وبين الأعمال الموجبة للعذاب والعقوبة ﴿ **وما يغني عنه ماله إذا تردى** ﴾ أي سقط في النار عن قتادة وأبي صالح

---

(١) الحش: النخل الناقص القصير .

وقيل إذا مات وهلك عن مجاهد وقيل للحسن أن فلاناً جمع مالاً فقال هل جمع لذلك عمراً قالوا لا قال فما تصنع الموتى بالأموال ﴿ **إن علينا للهدى** ﴾ معناه أن علينا لبيان الهدى بالدلالة عليه فأما الاهتداء فإليكم أخبر سبحانه أن الهدى واجب عليه ولو جاز الإضلال عليه لما وجب الهداية قال قتادة معناه أن علينا بيان الطاعة والمعصية ﴿ **وإن لنا للآخرة والأولى** ﴾ وإن لنا ملك الآخرة وملك الأولى فلا يزيد في ملكنا اهتداء من اهتدى ولا ينقص منه عصيان من عصى ولو نشاء لمنعناهم عن ذلك قسراً وجبراً ولكن التكليف اقتضى أن نمنعهم بياناً وأمراً وزجراً ثم خوَّف سبحانه العادل عن الهدى فقال ﴿ **فأنذرتكم ناراً تلظى** ﴾ أي خوَّفتكم ناراً تتلهب وتتوهج وتتوقد ﴿ **لا يصليها** ﴾ أي لا يدخل تلك النار ولا يلزمها ﴿ **إلا الأشقى** ﴾ وهو الكافر بالله ﴿ **الذي كذب** ﴾ بآيات الله ورسله ﴿ **وتولى** ﴾ أي أعرض عن الإيمان ﴿ **وسيجنّبها** ﴾ أي سيجنب النار ويجعل منها على جانب ﴿ **الأتقى** ﴾ المبالغ في التقوى ﴿ **الذي يؤتي ماله** ﴾ أي ينفقه في سبيل الله ﴿ **يتزكى** ﴾ يطلب أن يكون عند الله زكياً لا يطلب بذلك رياء ولا سمعة قال القاضي قوله لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى لا يدل على أنه تعالى لا يدخل النار إلا الكافر على ما يقوله الخوارج وبعض المرجئة وذلك لأنه نكر النار المذكورة ولم يعرفها فالمراد بذلك أن ناراً من جملة النيران لا يصلاها إلا من هذه حاله والنيران دركات على ما بيَّنه سبحانه في سورة النساء في شأن المنافقين فمن أين عرف أن غير هذه النار لا يصلاها قوم آخرون وبعد فإن الظاهر من الآية يوجب أن لا يدخل النار إلا من كذب وتولى وجمع بين الأمرين فلا بدَّ للقوم من القول بخلافه لأنهم يوجبون النار لمن يتولى عن كثير من الواجبات وإن لم يكذب وقيل أن الأتقى والأشقى المراد بهما التقي والشقي كما قال طرفة :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ

أراد بواحد ثم وصف سبحانه الأتقى فقال ﴿ **وما لأحد عنده من نعمة تجزى** ﴾ أي ولم يفعل الأتقى ما فعله من إيتاء المال وانفاقه في سبيل الله ليد أسديت إليه يكافىء عليها ولا ليد يتخذها عند أحد من الخلق ﴿ **إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى** ﴾ أي ولكنه فعل ما فعل يبتغي به وجه الله ورضاه وثوابه وإنما ذكر الوجه طلباً لشرف الذكر والمعنى إلا الله ولابتغاء ثواب الله ﴿ **ولسوف يرضى** ﴾ أي ولسوف يعطيه الله من الجزاء والثواب ما يرضى به فإنه يعطيه كل ما تمنى ولم يخطر بباله فيرضى به لا محالة .

# (٩٣) سورة الضحى مكية
## وآياتها إحدى عشرة

إحدى عشر آية بالإجماع .

[ فضلها ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها كان ممن يرضاه الله ولمحمد ﷺ أن يشفع له وله عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل .

[ تفسيرها ] ختم الله سبحانه تلك السورة بأن الأتقى يعطيه من الثواب ما به يرضى وافتتح هذه السورة بأنه يرضي نبيه بما يؤتيه يوم القيامة من الكرامة والزلفى فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾
وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

[ القراءة ] في الشواذ عن النبي ﷺ وعروة بن الزبير ما ودعك بالتخفيف والقراءة المشهورة بالتشديد وعن أشهب العقيلي فأوى بغير مدّ وعن ابن أبي السميفع عَيّلا بالتشديد

وعن النخعي والشعبي فلا تكهر بالكاف وكذلك هو في مصحف عبد الله .

[ **الحجة** ] قال ابن جني ودع بالتخفيف يقلّ استعماله وقال سيبويه استغنوا عن وزر وودع بقولهم ترك وأنشد أبو علي ذلك في شعر أبي الأسود قوله :

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذي غَالَهُ فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَعَه

وأما قوله فأوى فإنه من أويته أي رحمته وأما عيّلا فإنه فيعل من العيلة وهي الفقر وهو مثل العائل ومعناهما ذو العيلة من غير جدة يقال عال الرجل يعيل عيلة إذا كثر عياله وافتقر قال الشاعر :

وَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وما يدري الغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ

أي متى يفتقر وأما الكهر فهو مثل القهر والعرب قد تعاقب بين القاف والكاف وفي حديث معاوية بن الحكم الذي تكلم في الصلاة قال ما كهرني ولا ضربني .

[ **اللغة** ] السجو السكون يقال سجى يسجو إذا هدىء وسكن وطرف ساج وبحر ساج قال الأعشى :

فَمَا ذَنْبُنَا إِذْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ وَبَحْرُكَ ساجٍ لَا يُوَارِي الدَّعَامِصَا(١)

وقال الآخر :

يَا حَبَّذَا الْقَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجْ وَطُرُقٌ مِثْلُ مُلَاءِ النَّسَّاجْ(٢)

والقلى البغض إذا كسرت القاف قصرت وإذا فتحت مددت قال :

عَلَيْكِ سَلامٌ لَا مُلِلْتِ قَرِيبَةً وَمَالَكِ عِنْدِي إِنْ نَأَيْتِ قَلَاءُ

ونهره وانتهره بمعنى وهو أن يصيح في وجه السائل الطالب للرفد .

[ **الإعراب** ] وما قلى أي وما قلاك وكذلك قوله فآوى فأغنى تقديره فآواك فأغناك فالمفعول في هذه الآي محذوف وقال ولسوف يعطيك ولم يقل ويعطينك وإن كان جواب

---

(١) جاش البحر : هاج فلم يستطع ركوبه ، والدعامص جمع الدعموص وهي دويبة تغوص في الماء . والبيت من قصيدة علقمة ابن علاثة في قصة طويلة وأراد بابن عمه : عامر بن الطفيل .

(٢) ليلة قمراء : مقمرة مضيئة . والملاء : الريطة . يريد التي ليس فيها ارتفاع وانخفاض .

القسم لأن النون إنما تدخل لتؤذن بأن اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد حصل هاهنا العلم بأن هذه اللام للقسم لا للابتداء لدخوله على سوف ولام الابتداء لا تدخل على سوف لأن سوف تختص بالأفعال ولام الابتداء إنما تدخل على الأسماء فأما اليتيم فلا تقهر تقديره فمهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم ثم أقيم أما مقام الشرط فحصل أما فلا تقهر اليتيم ثم قدم المفعول على الفاء كراهة لأن يكون الفاء التي من شأنها أن تكون متبعة شيئاً فشيئاً في أول الكلام وان كثر يجتمع في اللفظ مع أمّا فتكون على خلاف أصول كلامهم وكذلك أمّا بنعمة ربك فحدث .

[ النزول ] قال ابن عباس احتبس الوحي عنه ﷺ خمسة عشر يوماً فقال المشركون أن محمداً قد ودعه ربه وقلاه ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه فنزلت السورة وقيل إنما احتبس الوحي اثني عشر يوماً عن ابن جريج وقيل أربعين يوماً عن مقاتل وقيل أن المسلمين قالوا ما ينزل عليك الوحي يا رسول الله فقال وكيف ينزل عليَّ الوحي وأنتم لا تنقون براجمكم(١) ولا تقلمون أظفاركم ولما نزلت السورة قال النبي ﷺ لجبرائيل ( ع ) ما جئت حتى اشتقت إليك فقال جبرائيل ( ع ) وأنا كنت أشدُّ إليك شوقاً ولكنّي عبد مأمور وما نتنزل إلا بأمر ربك وقيل سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح فقال سأخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي هذه الأيام فاغتمَّ لشماتة الأعداء فنزلت السورة تسلية لقلبه وقيل إن النبي ﷺ رُمي بحجر في اصبعه فقال « هل أنت إلا اصبع دميت ، وفي سبيل الله ما لقيت » فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يوحى إليه فقالت له أم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت السورة .

[ المعنى ] ﴿ والضحى ﴾ أقسم سبحانه بنور النهار كله من قولهم ضحى فلان للشمس إذ ظهر لها ويدل عليه قوله في مقابلته ﴿ والليل إذا سجى ﴾ أي سكن واستقرّ ظلامه وقيل إن المراد بالضحى أول ساعة من النهار وقيل صدر النهار وهي الساعة التي فيها إرتفاع الشمس واعتدال النهار في الحرّ والبرد في الشتاء والصيف وقيل معناه ورب الضحى ورب الليل إذا سجى عن الجبائي وقيل إذا سجى أي غطى بالظلمة كل شيء عن عطاء والضحاك وقيل إذا أقبل ظلامه عن الحسن ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ هذا جواب القسم ومعناه وما

(٣) البراجم : العقد التي تكون في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ .

تركك يا محمد ربك وما قطع عنك الوحي توديعاً لك وما قلاك أي ما أبغضك منذ اصطفاك **﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾** يعني أن ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها خير لك من الدنيا الفانية والكون فيها وقيل إن له ﷺ في الجنة ألف ألف قصر من اللؤلؤ ترابه من المسك وفي كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم وما يشتهي على أتمّ الوصف عن ابن عباس وقيل معناه ولآخر عمرك الذي بقي خير لك من أوله لما يكون فيه من الفتوح والنصرة **﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾** معناه وسيعطيك ربك في الآخرة من الشفاعة والحوض وسائر أنواع الكرامة فيك وفي أمتك ما ترضى به وروى حرث بن شريح عن محمد بن علي ابن الحنفية أنه قال يا أهل العراق تزعمون أنَّ أرجى آية في كتاب الله عز وجل **﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾** الآية وأنا أهل البيت ( ع ) نقول أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي والله الشفاعة ليعطينها في أهل لا إلٓه إلا الله حتى يقول رب رضيت وعن الصادق ( ع ) قال دخل رسول الله ﷺ على فاطمة ( ع ) وعليها كساء من ثلة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله ﷺ لما أبصرها فقال يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله عليَّ ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال زيد بن علي إن من رضا رسول الله ﷺ أن يدخل أهل بيته الجنة وقال الصادق ( ع ) رضا جدّي أن لا يبقى في النار موحد ثم عدَّد سبحانه عليه نعمه في دار الدنيا فقال **﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ﴾** قيل في معناه قولان ( أحدهما ) أنه تقرير لنعمة الله عليه حين مات أبوه وبقي يتيماً فآواه الله بأن سخَّر له أولاً عبد المطلب ثم لما مات عبد المطلب قيَّض له[1] أبا طالب وسخَّره للإشفاق عليه وحبَّبه إليه حتى كا أحبَّ إليه من أولاده فكفَّله وربّاه واليتيم من لا أب له وكان النبي ﷺ مات أبوه وهو في بطن أمه وقيل أنه مات بعد ولادته بمدة قليلة وماتت أمه ﷺ وهو ابن سنتين ومات جدّه وهو ابن ثماني سنين فسلمه إلى أبي طالب ( ع ) لأنه كان أخا عبد الله لأمه فأحسن تربيته وسئل الصادق ( ع ) لمَ أوتم النبي ﷺ عن أبويه فقال لئلا يكون لمخلوق عليه حق ( والآخر ) أن يكون المعنى ألم يجدك واحداً لا مثل لك في شرفك وفضلك فآواك إلى نفسه واختصك برسالته من قولهم درة يتيمة إذا لم يكن لها مثل قال :

لَا وَلَا دُرَّةٌ يَـتِـيـمَـةُ بَـحْـرٍ     تَـتَـلالا فـي جُـؤْنَـةِ الْـبَـيَّـاعِ[2]

وقيل فآواك أي جعلك مأوى للأيتام بعد أن كنت يتيماً وكفيلاً للأنام بعد أن كنت

---

(١) قيض الله فلاناً لفلان : جاءه به وأتاحه له. (٢) الجؤنة : سلة مستديرة مغشاة أدما يجعل فيها الطيب والثياب .

مكفولاً عن الماوردي ثم ذكر نعمة أخرى فقال ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ قيل في معناه أقوال ( أحدها ) وجدك ضالاً عما أنت عليه الآن من النبوة والشريعة أي كنت غافلاً عنهما فهداك إليهما عن الحسن والضحاك والجبائي ونظيره ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان وقوله ﴿ وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ فمعنى الضلال على هذا هو الذهاب عن العلم مثل قوله ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ ( وثانيها ) إن المعنى وجدك متحيراً لا تعرف وجوه معاشك فهداك إلى وجوه معاشك فإن الرجل إذا لم يهتد طريق مكسبه ووجه معيشته يقال أنه ضال لا يدري إلى أين يذهب ومن أيّ وجه يكتسب عن أبي مسلم وفي الحديث نصرت بالرعب وجعل رزقي في ظل رمحي يعني الجهاد ( وثالثها ) إن المعنى وجدك لا تعرف الحق فهداك إليه بإتمام العقل ونصب الأدلة والإلطاف حتى عرفت الله بصفاته بين قوم ضلال مشركين وذلك من نعم الله سبحانه عليك ( رابعها ) وجدك ضالاً في شعاب مكة فهداك إلى جدك عبد المطلب فروي أنه ﷺ ضلّ في شعاب مكة وهو صغير فرآه أبو جهل وردَّه إلى جدّه عبد المطلب فمنّ الله سبحانه بذلك عليه إذا ردَّه إلى جده على يد عدوه عن ابن عباس ( وخامسها ) ما روي أن حليمة بنت أبي ذؤيب لما أرضعته مدة وقضت حق الرضاع ثم أرادت ردّه على جده جاءت به حتى قربت من مكة فضلَّ في الطريق فطلبته جزعة وكانت تقول إن لم أره لأرمين نفسي من شاهق وجعلت تصيح وامحمداه قالت فدخلت مكة على تلك الحال فرأيت شيخاً متوكئاً على عصى فسألني عن حالي فأخبرته فقال لا تبكين فأنا أدلّك على من يردّه عليك فأشار إلى هبل صنمهم الأكبر ودخل البيت فطاف بهبل وقبَّل رأسه وقال يا سيداه لم تزل منتك جسيمة ردَّ محمداً على هذه السعدية قال فتساقطت الأصنام لما تفوّه باسم محمد ﷺ وسمع صوت إن هلاكنا على يدي محمد فخرج وأسنانه تصطك وخرجت إلى عبد المطلب وأخبرته بالحال فخرج فطاف بالبيت ودعا الله سبحانه فنودي وأشعر بمكانه فأقبل عبد المطلب وتلقاه ورقة بن نوفل في الطريق فبينما هما يسيران إذ النبي ﷺ قائم تحت شجرة يجذب الأغصان ويلعب بالورق فقال عبد المطلب فداك نفسي وحمله وردّه إلى مكة عن كعب ( وسادسها ) ما روي أنه ﷺ خرج مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبرائيل ( ع ) فنفخ إبليس نفخة رفع بها إلى الحبشة وردَّه إلى القافلة فمنَّ الله عليه بذلك عن سعيد بن المسيب ( وسابعها ) إن المعنى وجدك مضلولاً عنك في قوم لا يعرفون حقك فهداهم إلى معرفتك وأرشدهم إلى فضلك والاعتراف بصدقك والمراد أنك كنت خاملاً لا تذكر ولا تعرف فعرفك الله الناس حتى عرفوك وعظموك ﴿ ووجدك عائلاً ﴾

أي فقيراً لا مال لك ﴿ فأغنى ﴾ أي فأغناك بمال خديجة والغنائم وقيل فأغناك بالقناعة ورضاك بما أعطاك عن مقاتل واختاره الفراء قال لم يكن غنياً عن كثرة المال لكن الله سبحانه أرضاه بما أتاه من الرزق وذلك حقيقة الغنى وروى العياشي بإسناده عن أبي الحسن الرضا (ع) في قوله ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ﴾ قال فرداً لا مثل لك في المخلوقين فآوى الناس إليك ووجدك ضالاً أي ضالة في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم إليك ووجدك عائلاً تعول أقواماً بالعلم فأغناهم بك وروي أن النبي ﷺ قال منَّ عليَّ ربي وهو أهل المن وقد طعن بعض الملحدين فقال كيف يحسن الإمتنان بالإنعام وهل يكون هذا من فعل الكرام (والجواب) أن المنّ إنما يقبح من المنعم إذا أراد به الغض من المنعم عليه والأذى له فأما من أراد التذكير لشكر نعمته والترغيب فيه ليستحق الشاكر المزيد فإنه في غاية الحسن ولأن من كمال الجود وتمام الكرم تعريف المنعم عليه أنه إنما أنعم عليه ليسأل جميع ما يحتاج إليه فيعطي ثم أوصاه سبحانه باليتامى والفقراء فقال ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ أي فلا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت تفعل العرب في أمر اليتامى عن الفراء والزجاج وقيل معناه لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيماً عن مجاهد وكان النبي ﷺ يحسن إلى اليتامى ويبرّهم ويوصي بهم وجاء في الحديث عن أبي أوفى قال كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فأتاه غلام فقال غلام يتيم وأخت لي يتيمة وأم لي أرملة أطعمنا مما أطعمك الله أعطاك الله مما عنده حتى ترضى قال ما أحسن ما قلت يا غلام اذهب يا بلال فأتنا بما كان عندنا فجاء بواحدة وعشرين تمرة فقال سبع لك وسبع لأختك وسبع لأمك فقام إليه معاذ بن جبل فمسح رأسه وقال جبر الله يتمك وجعلك خلفاً من أبيك وكان من أبناء المهاجرين فقال رسول الله ﷺ رأيتك يا معاذ وما صنعت قال رحمته قال لا يلي أحد منكم يتيماً فيحسن ولايته ووضع يده على رأسه إلا كتب الله له بكل شعرة حسنة ومحا عنه بكل شعرة سيئة ورفع له بكل شعرة درجة وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمرّ على يده نور يوم القيامة وقال ﷺ أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله عز وجل وأشار بالسبابة والوسطى وعن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال إن اليتيم إذا بكى إهتزَّ لبكائه عرش الرحمن فيقول الله لملائكته يا ملائكتي من أبكى هذا اليتيم الذي غيب أبوه في التراب فتقول الملائكة أنت أعلم فيقول الله تعالى يا ملائكتي فإني أشهدكم أن لمن أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة وكان عمر إذا رأى يتيماً مسح رأسه وأعطاه شيئاً ﴿ وأما السائل فلا تنهر ﴾ أي لا تنهر السائل ولا تردَّه إذا أتاك يسألك فقد كنت فقيراً فإما أن تطعمه وإما أن تردّه ردّاً ليناً وفي الحديث عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ إذا أتاك سائل

على فرس باسط كفيه فقد وجب له الحق ولو بشق تمرة قال أبو مسلم يريد كما أعطاك الله ورحمك وأنت عائل فاعط سائلك وارحمه وقال الجبائي المراد بها جميع المكلفين وإن كان الخطاب للنبي ﷺ وقيل إنّ المراد بالسائل طلب العلم وهو متصل بقوله ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ عن الحسن والمعنى علّم من يسألك كما علّمك الله الشرائع وكنت بها غير عالم ﴿ وأما بنعمة ربك فحدّث ﴾ معناه اذكر نعمة الله وأظهرها وحدث بها وفي الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر وقيل يريد بالنعمة القرآن عن الكلبي قال وكان القرآن أعظم ما أنعم الله عليه به فأمره أن يقرأه وقيل بالنبوة التي أعطاك ربك عن مجاهد واختاره الزجاج قال أي بلّغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي أتاكها الله وهي أجل النعم وقيل معناه أشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة قال الصادق ( ع ) معناه فحدث بما أعطاك الله وفضلك ورزقك وأحسن إليك وهداك .

[ النظم ] وجه إتصال قوله ﴿ للآخرة خير لك من الأولى ﴾ بما قبله أن في قوله ﴿ ما ودعك ربك وما قلى﴾ إثباتاً لمحبته سبحانه إياه وإنعامه عليه فاتصل هذا أيضاً به والتقدير ليس الأمر كما قالوه بل الوحي يأتيك ما عمرت وتدوم محبتي لك وما أعطيتك في الآخرة من الشرف ورفعة المنزلة خير مما أعطيتك اليوم فإذا حسدوك على ذا فكيف بهم إذا رأوا ذلك وأما اتصال قوله ﴿ ألم يجدك ﴾ بما قبله فوجهه أنه إتصال ذكر النعم بذكر المنعم والتقدير أنه سبحانه سينعم عليك في مستقبل أمرك كما أنعم عليك في الماضي من أمرك .

# (٩٤) سورة الشرح مكية وآياتها ثمان

مكية وهي ثماني آية بالإجماع .

[ فضلها ] أبيّ بن كعب عنه ﷺ قال من قرأها أعطي من الأجر كمن لقي محمداً ﷺ مغتماً ففرَّج عنه وروى أصحابنا أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة لتعلق أحديهما بالأخرى ولم يفصلوا بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وجمعوا بينهما في الركعة الواحدة في الفريضة وكذلك القول في سورة ﴿ ألم تر كيف ﴾ ﴿ ولإيلاف قريش ﴾ والسياق يدل على ذلك لأنه قال ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ إلى آخرها ثم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

[ اللغة ] الشرح فتح الشيء بإذهاب ما يصدّ عن إدراكه وأصل الشرح التوسعة ويعبّر عن السرور بسعة القلب وشرحه وعن الهم بضيق القلب لأنه يورث ذلك والوزر الثقل في اللغة ومنه اشتق اسم الوزير لتحمله أثقال الملك وإنما سميت الذنوب أوزاراً لما يستحق عليها من العقاب العظيم والإنقاض الأثقال التي كان ينتقض بها ما حمل عليه والنقض

والهدم واحد ونقض المذهب إبطاله بما يفسده وبعير نقض سفر إذا أثقله السفر والنصب التعب وأنصبه الهم فهو منصب قال الشاعر ( تَعَنَّاكَ هَمٌّ مِنْ أُمَيْمَـةَ مُنْصَبُ ) وهمٌّ ناصب ذو نصب قال النابغة ( كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبُ )[١].

[ المعنى ] ثمَّ أتمَّ سبحانه تعداد نعمه على نبيّه ﷺ فقال ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ لقد سألت ربي مسألة وددت أني لم أسأله قلت أي رب أنه قد كان أنبياء قبلي منهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى قال فقال ﴿ **ألم أجدك يتيماً فآويتك** ﴾ قال قلت بلى قال ﴿ **ألم أجدك ضالاً فهديتك** ﴾ قال قلت بلى أي رب قال ﴿**ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك**﴾ قال قلت بلى أي رب والمعنى ألم نفتح لك صدرك ونوسع قلبك بالنبوة والعلم حتى قمت بإداء الرسالة وصبرت على المكاره واحتمال الأذى واطمأننت إلى الإيمان فلم تضق به ذرعاً ومنه تشريح اللحم لأنه فتحه بترقيقه فشرح سبحانه صدره بأن ملأه علماً وحكمة ورزقه حفظ القرآن وشرائع الإسلام ومنَّ عليه بالصبر والإحتمال وقيل إنه ﷺ كان قد ضاق صدره بمعادات الجن والانس إياه ومناصبتهم له فآتاه من الآيات ما إتسع به صدره بكل ما حمله الله إياه وأمره به وذلك من أعظم النعم عن البلخي وقيل معناه ألم نشرح صدرك بإذهاب الشواغل التي تصدّ عن إدراك الحق وعن ابن عباس قال سئل النبي ﷺ فقيل يا رسول الله أينشرح الصدر قال نعم قالوا يا رسول الله وهل لذلك علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والأعداد للموت قبل نزول الموت ومعنى الاستفهام في الآية التقرير أي قد فعلنا ذلك ويدلُّ عليه قوله في العطف عليه ﴿ **ووضعنا عنك وزرك** ﴾ أي وحططنا عنك وزرك ﴿ **الذي أنقض ظهرك** ﴾ أي أثقله حتى سمع له نقيض أي صوت عن الزجاج قال وهذا مثل معناه أنه لو كان حملاً لسمع نقيض ظهره وقيل إن المراد به تخفيف أعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بأمرها سهَّل الله ذلك عليه حتى تيسر له ومنَّ عليه بذلك عن أبي عبيدة وعبد العزيز بن يحيى وقيل معناه وأزلنا عنك همومك التي أثقلتك من أذى الكفار فشبّه الهموم بالحمل والعرب تجعل الهمّ ثقلاً عن أبي مسلم وقيل معناه وعصمناك عن احتمال الوزر فإن المقصود من الوضع أن لا يكون عليه ثقل فإذا عصم كان أبلغ في أن لا يكون قال المرتضى قدس الله روحه إنما سميت الذنوب بأنها أوزاراً لأنها تثقل كاسبها وحاملها فكلُّ شيء أثقل الإنسان وغمَّه وكدَّه جاز أن يسمى وزراً فلا يمتنع أن يكون

---

(١) وعجزه « وليل اقاسيه بطيء الكواكب » والشعر في جامع الشواهد .

الوزر في الآية إنما أراد به غمه ﷺ بما كان عليه قومه من الشرك وأنه وأصحابه بينهم مقهور مستضعف فلما أعلى الله كلمته وشرح صدره وبسط يده خاطبه بهذا الخطاب تذكيراً له بمواقع النعمة ليقابله بالشكر ويؤيّده ما بعده من الآيات فإن اليسر بإزالة الهموم أشبه والعسر بإزالة الشدائد والغموم أشبه فإن قيل أن السورة مكية نزلت قبل أن يعلي الله كلمة الإسلام فلا وجه لقولكم قلنا أنه سبحانه لما بشره بأن يعلي دينه على الدين كله ويظهره على أعدائه كان بذلك واضعاً عنه ثقل غمّه بما كان يلحقه من أذى قومه ومبدلاً عسره يسراً فإنه يثق بأن وعد الله حق ويجوز أيضاً أن يكون اللفظ وإن كان ماضياً فالمراد به الإستقبال كقوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ولهذا نظائر كثيرة ﴿ **ورفعنا لكم ذكرك** ﴾ أي قرنّا ذكرك بذكرنا حتى لا أذكر إلا وتذكر معي يعني في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر عن الحسن وغيره قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا وينادي بأشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في هذه الآية قال قال لي جبرائيل قال الله عز وجل إذا ذكرت ذكرت معي وفي هذا يقول حسان بن ثابت يمدح النبي ﷺ:

أَغَـرُّ عَـلَيْـهِ لِـلـنُّـبُـوَّةِ خَـاتَـمٌ ... مِـنَ اللَّهِ مَـشْهُـورٌ يَـلُوحُ وَيَشْـهَـدُ
وَضَمَّ الإلَـهُ اسْمَ النَّبِيِ إلَى اسْمِهِ ... إذَا قَـالَ فِي الخَمْسِ الْمُؤَذِّنِ أشْهَـدُ
وَشَـقَّ لَـهُ مِـنْ إسْـمِـهِ لِيُـجِلَّهُ ... فَـذُو الْعَرْشِ مَحْمُـودٌ وَهٰذَا مُحَمَّـدُ

ثم وعد سبحانه اليسر والرخاء بعد الشدة وذلك أنه كان بمكة في شدة قال ﴿ **فإن مع العسر يسراً** ﴾ أي مع الفقر سعة عن الكلبي وقيل معناه أن مع الشدّة التي أنت فيها من مزاولة المشركين يسراً ورخاء بأن يظهرك الله عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به طوعاً أو كرهاً ثم كرَّر ذلك فقال ﴿ **إن مع العسر يسراً** ﴾ روى عطاء عن ابن عباس قال يقول الله تعالى خلقت عسراً واحداً وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وعن الحسن قال خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً قال الفراء إن العرب تقول إذا ذكرت نكرة ثم أعدتها نكرة مثلها صارتا إثنتين كقولك إذا كسبت درهماً فانفق درهماً فالثاني غير الأول فإذا أعدتها معرفة فهي هي كقولك إذا كسبت الدرهم فانفق الدرهم فالثاني هو الأول ونحو هذا ما قال الزجاج أنه ذكر العسر مع الألف واللام ثم ثنى ذكره فصار المعنى إن مع العسر يسرين وقال صاحب كتاب النظم في تفسير

هذه الآية إن الله بعث نبيَّه وهو مقل مخف وكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا له إن كان بك من هذا القول الذي تدعيه طلب الغنى جمعنا لك مالاً حتى تكون كأيسر أهل مكة فكره النبي ﷺ ذلك وظن أن قومه إنما يكذبوه لفقره فوعده الله سبحانه الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الهم فقال فإن مع العسر يسراً وتأويله لا يحزنك ما يقولون وما أنت فيه من الإقلال فإن مع العسر يسراً في الدنيا عاجلاً ثم أنجز ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز وما والاها من القرى العربية وعامة بلاد اليمن فكان يعطي المائتين من الابل ويهب الهبات السنية ويعد لأهله قوت سنته ثم ابتدأ فصلاً آخر فقال إن مع العسر يسراً والدليل على ابتدائه تعريه من فاء وواو وهو وعد لجميع المؤمنين لأنه يعني بذلك أن مع العسر في الدنيا للمؤمن يسراً في الآخرة وربما إجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكر في الآية الأولى ويسر الآخرة وهو ما ذكر في الآية الثانية فقوله ﷺ لن يغلب عسر يسرين أي يسر الدنيا والآخرة فالعسر بين يسرين أما فرج الدنيا وأما ثواب الآخرة وهذا الذي ذكره الجرجاني يؤيد ما ذهب إليه المرتضى قدس الله روحه من أن القائل إذا قال شيئاً ثم كرَّره فإن الظاهر من تغاير الكلامين تغاير مقتضاهما حتى يكون كل واحد منهما مفيداً لما لا يفيده الآخر فيجب مع الإطلاق حمل الثاني على غير مقتضى الأول إلا إذا كان بين المتخاطبين عهد أو دلالة يعلم المخاطب بذلك أن المخاطب أراد بكلامه الثاني الأول فيحمله على ذلك وأنشد أبو بكر الأنباري :

إِذَا بَلَغَ الْعُسْرُ مَجْهُودَهُ ... فَثِقْ عِنْدَ ذاكَ بِيُسْرٍ سَرِيعِ
أَلَمْ تَرَ نَحسَ الشِّتَاءِ الفَظِيـ ... ـعِ يَتْلُوهُ سَعْدُ الرَّبِيعِ الْبَدِيعِ

وأنشد إسحاق بن بهلول القاضي :

فَلا تَيْأَسْ وَإِنْ أعْسَرْتَ يَوْماً ... فَقَدْ أيْسَرْتَ فِي دَهْرٍ طَوِيلِ
وَلا تَظْنُنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ ... فَإِنَّ اللَّهَ أوْلَى بِالْجَمِيلِ
فَإِنَّ الْعُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ ... وَقَوْلُ اللَّهِ أصْدَقُ كُلِّ قِيلِ

﴿ فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب ﴾ معناه فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء وأرغب إليه في المسألة يعطك عن مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) ومعنى انّصب من النصب وهو التعب أي لا تشتغل بالراحة وقال الزهري إذا فرغت من الفرائض فادع بعد التشهد بكل حاجتك وقال الصادق (ع) هو الدعاء في دبر الصلاة وأنت جالس وقيل معناه فإذا فرغت من

الفرائض فانصب في قيام الليل عن ابن مسعود وقيل معناه فإذا فرغت من دنياك فانصب في عبادة ربك وصل عن مجاهد والجبائي وقيل فإذا فرغت من الفرائض فانصب فيما رغبك الله فيه من الأعمال وصلّ عن ابن عباس وقيل إذا فرغت من جهاد أعدائك فانصب بالعبادة لله عن الحسن وابن زيد وقيل فإذا فرغت من جهاد الأعداء فانصب بجهاد نفسك وقيل إذا فرغت من إداء الرسالة فانصب لطلب الشفاعة وسئل علي بن طلحة عن هذه الآية فقال القول فيه كثير وقد سمعنا أنه يقال إذا صححت فاجعل صحتك وفراغك نصباً في العبادة ويدل على هذا ما روي أن شريحا مرَّ برجلين يصطرعان فقال ليس بهذا أمر الفارغ إنما قال الله سبحانه فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب أي فارفع حوائجك إلى ربك ولا ترفعها إلى أحد من خلقه وقال عطاء يريد تضرع إليه راهباً من النار وراغباً إلى الجنة .

# (٩٥) سورة التين مكية وآياتها ثمان

مكية المعدل عن ابن عباس مدنية ثماني آيات بالإجماع .

[ **فضلها** ] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا فإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم وعن البراء بن عازب قال سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب والتين والزيتون فما رأيت إنساناً أحسن قراءة منه رواه أبو مسلم في الصحيح وروى شعيب العقرقوفي عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ والتين في فرائضه ونوافله أعطي من الجنة حيث يرضى .

[ **تفسيرها** ] أمر الله سبحانه بالرغبة إليه في خاتمة تلك السورة وافتتح هذه السورة بذكر أنه الخالق المستحق للعبادة بعد أن أقسم عليه فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ
ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤
ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ
بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨

[ اللغة ] التقويم تصيير الشيء على ما ينبغي أن يكون عليه من التأليف والتعديل يقال قومه فاستقام وتقوم .

[ المعنى ] ﴿والتين والزيتون﴾ أقسم الله سبحانه بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر منه الزيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة وهو الظاهر وانما أقسم بالتين لأنه فاكهة مخلصة من شائب التنغيص وفيه أعظم عبرة لأنه عزَّ اسمه جعلها على مقدار اللقمة وهيَّأها على تلك الصفة انعاماً على عباده بها وقد روى أبو ذر عن النبي ﷺ قال في التين لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه هي لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النفوس وأما الزيتون فإنه يعتصر منه الزيت الذي يدور في أكثر الأطعمة وهو ادام والتين طعام فيه منافع كثيرة وقيل التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس عن قتادة وقال عكرمة هما جبلان وإنما سميا لأنهما ينبتان بهما وقيل التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس عن كعب الاحبار وعبد الرحمن بن غنيم وابن زيد وقيل التين مسجد نوح الذي بني على الجودي والزيتون بيت المقدس عن ابن عباس وقيل التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى عن الضحاك ﴿وطور سينين﴾ يعني الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عن الحسن وسينين وسيناء واحد وقيل ان سينين معناه المبارك الحسن وكأنه قيل جبل الخير الكثير لأنه اضافة تعريف عن مجاهد وقتادة وقيل معناه كثير النبات والشجر عن عكرمة وقيل ان كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط عن مقاتل قال عمرو بن ميمون سمعت عمر بن الخطاب يقرأ بمكة في المغرب والتين والزيتون وطور سيناء قال فظننت أنه إنما قرأها ليعلم حرمة البلد وروي ذلك عن موسى بن جعفر ( ع ) أيضاً ﴿وهذا البلد الأمين﴾ يعني مكة البلد الحرام يأمن فيه الخائف في الجاهلية والإسلام فالأمين يعني المؤمن من يدخله وقيل بمعنى الامن ويؤيده قوله انا جعلنا حرماً آمنا قال الشاعر:

أَلَمْ تَعْلَمي يَا أَسْمَ وَيْحَكِ أَنَّنِي ... حَلَفْتُ يَمِيناً لا أَخُونُ أَمِيني(١)

يريد آمني ﴿لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم﴾ هذا جواب القسم وأراد جنس الإنسان وهو آدم وذريته خلقهم الله في أحسن صورة عن إبراهيم ومجاهد وقتادة وقيل في أحسن تقويم أي منتصب القامة وسائر الحيوان مكبّ على وجهه إلا الإنسان عن ابن عباس

(١) قوله يا اسم مرخم يا اسماء .

وقيل أراد أنه خلقهم على كمال في أنفسهم واعتدال في جوارحهم وأبانهم عن غيرهم بالنطق والتمييز والتدبير إلى غير ذلك مما يختص به الانسان وفي ذلك اشارة ايضاً الى حال الشباب **﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾** يريد إلى الخرف وأرذل العمر والهرم ونقصان العقل والسافلون هم الضعفاء والزمني والاطفال والشيخ الكبير اسفل هؤلاء جميعاً عن ابن عباس وإبراهيم وقتادة وقيل معناه ثم رددناه الى النار عن الحسن ومجاهد وابن زيد والجبائي والمعنى إلى أسفل الاسفلين لأن جهنم بعضها أسفل من بعض وعلى هذا فالمراد به الكفار أي خلقناهم في أحسن خلقة احراراً عقلاء مكلفين فكفروا فرددناهم إلى النار في اقبح صورة ثم استثنى فقال **﴿إلا الذين آمنوا﴾** أي صدقوا بالله **﴿وعملوا الصالحات﴾** أي أخلصوا العبادة لله وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة فإن هؤلاء لا يردون إلى النار ومن قال بالقول الأول قال ان المؤمن لا يرد الى الخرف وان عمر عمراً طويلاً قال إبراهيم إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز معه من العمل كتب له ما كان يعمل وهو قوله **﴿فلهم أجر غير ممنون﴾** وقال عكرمة من ردّ منهم إلى أرذل العمر كتب له صالح ما كان يعمل في شبابه وذلك أجر غير ممنون وعن ابن عباس قال ومن قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر وذلك قوله **﴿ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾** قال إلا الذين قرأوا القرآن وفي الحديث عن أنس قال قال رسول الله ﷺ المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتب لوالديه فإن عمل سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فإذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم أمر الله الملكين اللذين معه يحفظانه ويسددانه فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام أمنه الله من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ خمسين خفف الله حسابه فإذا بلغ ستين رزقه الإنابة اليه فيما يجب فإذا بلغ سبعين أحبه أهل السماء فإذا بلغ ثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه في أهل بيته وكان اسمه أسير الله في الأرض فإذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً كتب الله له بمثل ما كان يعمل في صحته من الخير وان عمل سيئة لم تكتب عليه وأقول او صح الخبر فإنما لا تكتب عليه السيئة لزوال عقله ونقصان تمييزه في ذلك الوقت وقوله غير ممنون اي غير منقوص وقيل غير مقطوع عن أبي مسلم وقيل غير محسوب عن مجاهد وقيل غير مكدّر بما يؤذي ويغمّ عن الجبائي **﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾** معناه أيّ شيء يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج بالدين الذي هو الجزاء والحساب عن الحسن وعكرمة وأبي مسلم والمراد ما يحملك على ان لا تتفكر في صوتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني ويجازيني بعملي فيكون قوله فما يكذبك يعني به ما الذي يجعلك تكذب وقيل ان الخطاب

للنبي ﷺ أي فمن يكذبك ايها الرسول بعد هذه الحجج بالدين الذي هو الإسلام عن مجاهد وقتادة أي لا شيء يكذبك ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ هذا تقرير للإنسان على الاعتراف بأنه تعالى أحكم الحاكمين في صنائعه وأفعاله وانه لا خلل في شيء منها ولا اضطراب فكيف يترك هذه الخلائق ويهملهم فلا يجازيهم وقيل معناه أليس الله بأقضى القاضين فيحكم بينك يا محمد وبين أهل التكذيب بك عن مقاتل وقال قتادة وكان رسول الله ﷺ إذا ختم هذه السورة قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين .

[ النظم ] اتصل قوله أليس الله بأحكم الحاكمين بما قبله من ذكر الدين والجزاء على سبيل التنبيه على الإعادة فإن الحكيم اذا كلف وأمر ونهى وخلى بين الظالم والمظلوم فلا بدَّ من المجازاة والانصاف والانتصاف فإذا لم يكن ذلك في الدنيا فلا بدَّ من البعث فإن احكم الحاكمين لا يجوز عليه الإخلال بما ذكرناه .

# (٩٦) سورة العلق مكية وآياتها تسع عشرة

## [ عدد آيها ]

عشرون آية حجازي وتسع عشرة عراقي وثماني عشرة شامي .

[ اختلافها ] آيتان الذي ينهى غير الشامي لئن لم ينته حجازي .

[ فضلها ] أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها فكأنما قرأ المفصل كله محمد بن حسان عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ في يومه أو في ليلته اقرأ باسم ربك ثم مات في يومه أو في ليلته مات شهيداً وبعثه الله شهيداً واحياه كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله ﷺ .

[ تفسيرها ] ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر اسمه وافتتح هذه السورة باسمه أيضاً فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ
عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾
عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾
أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ

ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ
عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ
لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ
نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ
وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾

[ **اللغة** ] العلق جمع علقة وهي القطعة الجامدة من الدم التي تعلق لرطوبتها بما تمرّ به فإذا جفّت لا تسمى علقة والعلق ضرب من الدود اسود لأنه يعلق على العضو فيمتص منه الدم والرجعي الرجوع والمرجع واحد والسفع الجذب الشديد يقال سفعت بالشيء اذا قبضت عليه وجذبته جذباً شديداً وسفعته النار والشمس اذا غيّرت وجهه إلى حال تشويه ومنه الحديث ليصيبن أقواماً سفع من النار أي تشويه خلقة والناصية شعر مقدم الرأس سميت بذلك لأنها متصلة بالرأس من قولهم ناصى يناصي مناصاة إذا وصل قال الراجز « قِيٌّ تُناصِيها بِلادٌ قِيٌّ »[١] النادي مجلس اهل النادي ثم كثر فسمي كل مجلس نادياً وواحد الزبانية زبينة عن أبي عبيدة وزبني عن الكسائي وزابن عن الاخفش اخذ من الزبن وهو الدفع والناقة تزبن الحالب أي تركضه برجلها قال الشاعر:

وَمُسْتَعْجِبٍ مِمّا يَرىٰ مِنْ أَناتِنا وَلَوْ زَبَنَتْهُ الحَرْبُ لَمْ يَتَرَمْرَمْ[٢]

[ **الإعراب** ] خلق الإنسان من علق تخصيص بعد تعميم الا ترى ان قوله خلق الإنسان بعد قوله خلق خصوص بعد عموم فهو مثل قوله يؤمنون بالغيب ثم قال وبالآخرة هم يوقنون فخصص الآخرة بعد ذكر الغيب الذي هو عام لكل ما غاب عنا وعكسه قول لبيد:

وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبَطِّىءَ حَاسِدٌ أَوانْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لُوَّامُها[٣]

---

(١) هذا عجز بيت للعجاج وصدره « وبلدة نياطها نطي ». والقي: القفر. (٢) ترمرم: حرك فاه بالكلام.

(٣) البيت من معلقته الشهيرة وقوله « ان يبطىء » اي كراهية ان يبطىء وكذا قوله « وان يلوم » وفي رواية الزوزني « أوان يعمل مع العدو لئامها ».

ألا ترى أن اللوم أعم من التبطئة لأن التبطئة نسبة قوم الى البطء فهذا بعض اللوم وقوله ﴿ان الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ الضمير المستكن في رآه عائد إلى الضمير المستكن في يطغى والهاء في رآه عائد إلى الضمير المستكن فيه وانما جاز أن يعود الضمير المنصوب الى ضمير الفاعل في باب علمت وأخواتها من غير ذكر النفس لدخول هذه الافعال على المبتدأ والخبر والخبر هو نفس المبتدأ فتقول علمتني وحسبتني افعل كذا ولا يجوز في غيرها إلا بواسطة النفس تقول ضربت نفسي ولا تقول ضربتني وان رآه في محل نصب لأنه مفعول له واستغنى جملة في موضع النصب لكونها مفعولة ثانية لرآه والتقدير لأن رآه مستغنياً. ناصية بدل من الناصية أي بناصية كاذبة خاطئة ومعناه بناصية صاحبها كاذب خاطىء يقال فلان نهاره صائم وليله قائم أي هو صائم في نهاره وقائم في ليله. فليدع ناديه أي اهل ناديه فحذف المضاف. والنون في لنسفعن نون التأكيد الخفيفة والاختيار عند البصريين ان تكتب بالألف لأن الوقف عليها بالألف واختار الكوفيون ان تكتب بالنون لأنها نون في الحقيقة.

[المعنى] ﴿اقرأ باسم ربك﴾هذا أمر من الله سبحانه لنبيه ﷺ أن يقرأ باسم ربه وأن يدعوه بأسمائه الحسنى وفي تعظيم الاسم تعظيم المسمى لأن الاسم ذكر المسمى بما يخصّه فلا سبيل إلى تعظيمه الا بمعناه ولهذا لا يعظم اسم الله حق تعظيمه الا من هو عارف به ومعتقد عبادته ولهذا قال سبحانه قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى وقال سبّح اسم ربك الأعلى فالباء هنا زائدة والتقدير اقرأ باسم ربك واكثر المفسرين على أن هذه السورة أول ما نزل من القرآن وأول يوم نزل جبرائيل (ع) على رسول الله ﷺ وهو قائم على حراء علمه خمس آيات من أول هذه السورة وقيل اول ما نزل من القرآن قوله ﴿يا أيها المدثر﴾ وقد مرَّ ذكره وقيل أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب رواه الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ان رسول الله ﷺ قال لخديجة اني إذا خلوت وحدي سمعت نداء فقالت ما يفعل الله بك إلا خيراً فوالله انك لتؤدّي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث قالت خديجة فانطلقنا الى ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وهو ابن عمّ خديجة فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال له ورقة اذا أتاك فأثبت له حتى تسمع ما يقول ثم اتيني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل له ذلك فقال له ابشر ثم ابشر فأنا أشهد انك الذي بشّر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن ادركني ذلك لأجاهدنَّ معك فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدّقني يعني ورقة وروي ان ورقة قال في ذلك:

فَـإِنْ يَـكُ حَقّـاً يـا خَـدِيجَـةُ فَـاعْلَمِي حَـدِيثُـكَ إِيّـانَـا فَـأَحْـمَـدُ مُـرْسَـلُ
وَجِبْـرِيـلُ يَـأْتِيـهِ ومِيكَـالُ مَعْهُـمـا مِنَ اللَّهِ وَحْـيٌ يَشْـرَحُ الصَّـدْرَ مُـنْـزَلُ
يَـفُـوزُ بِـهِ مَـنْ فَـازَ عَـزّاً لِـدِيـنِـه وَيَشْقـىٰ بِـهِ الْغَـاوِي الشَّقِـيُّ المُـضَلَّلُ
فَـرِيقَـانِ مِنْهُـمْ فِـرْقَـةٌ فِـي جِنَـانِـهِ وَأُخْـرىٰ بِـأَغْـلَالِ الْجَحِيمِ تَغَلْغَـلُ

ثم وصف سبحانه ربه وبينه بفعله الدال عليه فقال ﴿**الذي خلق**﴾ أي خلق جميع المخلوقات على مقتضى حكمته وأخرجه من العدم إلى الوجود بكمال قدرته ثمّ خصّ الانسان بالذكر تشريفاً له وتنبيهاً على ابانته اياه عن سائر الحيوان فقال ﴿**خلق الانسان من علق**﴾ أراد به جنس بني آدم أي خلقهم من دم جامد بعد النطفة وقيل معناه خلق آدم من طين يعلق باليد والأول اصح وفي هذا اشارة الى بيان النعمة بأن خلقه من الاصل الذي هو في الغاية القصوى من المهانة ثم بلغ به مبالغ الكمال حتى صار بشراً سوياً مهيئاً للنطق والتمييز مفرغاً في قالب الاعتدال وانه كما نقل الإنسان من حال الى حال حتى استكمل كذلك بنقلك من الجهالة الى درجة النبوة والرسالة حتى تستكمل شرف محلها ثم أكّد الأمر بالاعادة فقال ﴿**اقرأ**﴾ وقيل أمره في الأول بالقراءة لنفسه وفي الثاني بالقراءة للتبليغ وليس بتكرار عن الجبائي ومعناه اقرأ القرآن ﴿**وربك الأكرم**﴾ أي الأعظم كرماً فلا يبلغه كرم كريم لأنه يعطي من النعم ما لا يقدر على مثله غيره فكل نعمة توجد من جهته تعالى إمّا بأن اخترعها وإمّا سبّبها وسهّل الطريق اليها وقيل معناه بلّغ قومك وربك الأكرم الذي يثيبك على عملك بما يقتضيه كرمه ويقويك ويعينك على حفظ القرآن ﴿**الذي علم بالقلم**﴾ أي علم الكاتب ان يكتب بالقلم أو علم الانسان البيان بالقلم أو علم الكتابة بالقلم امتنّ سبحانه على خلقه بما علّمهم من كيفية الكتابة بالقلم لما في ذلك من كثرة الانتفاع فيما يتعلق بالدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولاه لم يقم دين ولم يصلح عيش وقال بعضهم في وصفه:

لُعَابُ الأَفَاعِي الْقَاتِلاتِ لُعَابُهُ وَأَرْيُ الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ(١)

وقيل أراد سبحانه آدم لأنه اول من كتب عن كعب وقيل اول من كتب ادريس عن الضحاك وقيل أراد كل نبي كتب بالقلم لأنه ما علمه إلا بتعليم الله إياه ﴿**علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ من أنواع الهدى والبيان وأمور الدين والشرائع والاحكام فجميع ما يعلمه الإنسان

(١) الارى: العسل. اشتارته: استخرجته، وعواسل جمع عاسلة. والعاسل: مستخرج العسل والبيت لأبي تمام الطائي يصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات: قال الشريف المرتضى (ره) في أماليه واجمع العلماء ان هذه الابيات أحسن وأفخم من جميع ما قيل في القلم ثم ذكرها في ج ١: ٥٣٦ ـ ٥٣٧ من الأمالي .

من جهته سبحانه اما بـأن اضطّره اليـه واما بـأن نصب الدليـل عليه في عقله واما بأن بيَّنه له على ألسنة مـلائكته ورسله فكـل العلوم على هذا مضـاف اليه وفي هـذا دلالة على انـه سبحانه عالم لأن العلم لا يقع إلا من عالم ﴿كلا﴾ أي حقاً ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ أي يتجاوز حدّه ويستكبر على ربّه ويعدو طـوره ﴿ان رآه استغنى﴾ أي لان رآه نفسه مستغنيـة عن ربه بعشيرته وأمواله وقوته كأنه قال انما يطغى من رأى انه مستغن عن ربه لا من كان غنياً قال قتادة كان إذا أصاب مالاً زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه فذلك طغيانه وقيل انها نزلت في أبي جهل هشام من هنا إلى آخر السورة ﴿ان الى ربك الرجعى﴾ أي إلى الله مرجع كل احد أي فهذا الطاغي كيف يطغى بماله ويعصي ربه ورجوعه إليه وهو قادر على اهلاكه وعلى مجازاته إذا رجع اليه ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ هذا تقرير للنبي ﷺ واعلام لـه بما يفعله بمن ينهاه عن الصلاة فقـد جاء في الحـديث ان أبا جهـل قال هـل يعفر محمـد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فبالذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته فقيل له ها هو ذلك يصلي فانطلق ليطأ على رقبته فما فجأهم الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقالوا مالك يا أبا الحكم قال ان بيني وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجنحة وقال نبي الله والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً فأنزل الله سبحانه أرأيت الذي ينهى الى آخرة السورة رواه مسلم في الصحيح ومعنى الآية أرأيت يا محمد من منع من الصـلاة ونهى من يصلي عنها ماذا يكون جزاؤه وما يكون حاله عند الله تعالى ومـا الذي يستحقـه من العذاب فحذف لدلالة الكلام عليه والآية عامة في كل من ينهى عن الصلاة والخير وروي عن علي (ع) انه خرج في يوم عيد فرأى ناساً يصلون فقال يا أيها الناس قد شهدنا نبي الله في مثل هذا اليوم فلم يكن احد يصلي قبل العيد أو قـال النبي ﷺ فقـال رجل يـا أمير المؤمنين ألا تنهى أن يصلوا قبـل خروج الإمام فقال لا أريد أن انهى عبداً إذا صلّى ولكنـا نحدثهم بمـا شهدنا من النبي ﷺ أو كما قال ومعنى أرأيت هاهنا تعجيب للمخاطب ثم كرَّر هـذه اللفظة تأكيداً في التعجيب فقال ﴿أرأيت ان كان على الهدى﴾ يعني العبد المنهي وهو محمد ﷺ ﴿أو أمر بالتقوى﴾ يعني بالاخلاص والتوحيد ومخافة الله تعالى وهاهنا حذف ايضاً تقـديره كيف يكون حال من ينهاه عن الصلاة ويزجره عنها ثم قال ﴿ أرأيت ان كـذب﴾ أبو جهـل ﴿وتولى﴾ عن الإيمان وأعرض عن قبوله والاصغاء اليه ﴿ألم يعلم بأن الله يـرى﴾ ما يفعله ويعلم ما يصنعه والتقدير أرأيت الذي فعل هذا الفعل ما الذي يستحق بذلك من الله تعالى من العقاب وقيل ان تقدير نظم الآية أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى وهو على الهدى آمـر بالتقوى والناهي كاذب مكذب متول عن الايمان فما أعجب هذا ثم هدَّده بقوله ألـم يعلم هذا

المكذب فإن لم يعلم فليعلم بأن الله يرى هذا الصنيع الشنيع فيؤاخذه به وفي هذا اشارة الى فعل الطاعة وترك المعصية ثم قال سبحانه ﴿**كلا**﴾ أي لا يعلم ذلك ﴿**لئن لم ينته**﴾ يعني ان لم يمتنع أبو جهل عن تكذيب محمد ﷺ وايذائه ﴿**لنسفعن بالناصية**﴾ أي لنجرنَّ بناصيته الى النار وهذا كقوله فيؤخذ بالنواصي والاقدام ومعناه لنذلّنه ونقيمنه مقام الأذلة ففي الأخذ بالناصية اهانة واستخفاف وقيل معناه لنغيرنَّ وجهه ونسودنَّه بالنار يوم القيامة لأن السفع اثر الاحراق بالنار ثم اخبر سبحانه عنه بأنه فاجر خاطىء بأن قال ﴿**ناصية كاذبة خاطئة**﴾ وصفها بالكذب والخطأ بمعنى ان صاحبها كاذب في اقواله خاطىء في أفعاله، لما ذكر الجر بها اضاف الفعل اليها قال ابن عباس لما أتى أبو جهل رسول الله ﷺ انتهره رسول الله ﷺ فقال أبو جهل اتنتهرني يا محمد فوالله لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني فأنزل الله سبحانه ﴿**فليدع ناديه**﴾ وهذا وعيد أي فليدع اهل ناديه اي أهل مجلسه يعني عشيرته فليستنصر بهم إذا حل عقاب الله به والنادي الفناء قال وتأتون في ناديكم المنكر ثم قال ﴿**سندع الزبانية**﴾ يعني الملائكة الموكلين بالنار وهم الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس لو دعا ناديه لأخذته زبانية النار من ساعته معاينة وقيل انه اخبار بأنه يدعو اليه الزبانية دعا ناديه ام لم يدع وصدق سبحانه ذلك فقتل ابو جهل يوم بدر ثم قال ﴿**كلا**﴾ أي ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ﴿**لا تطعه**﴾ في النهي عن الصلاة ﴿**واسجد**﴾ له عز اسمه ﴿**واقترب**﴾ من ثوابه وقيل معناه وتقرب اليه بطاعته وقيل معناه اسجد يا محمد للتقرب منه فإن أقرب ما يكون العبد من الله اذا سجد له وقيل واسجد اي وصلّ لله واقترب من الله وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ قال اقرب ما يكون العبد من الله اذا كان ساجداً وقيل المراد به السجود لقراءة هذه السورة والسجود هنا فرض وهو من العزائم وروي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال العزائم آلم تنزل وحم السجدة والنجم اذا هوى واقرأ باسم ربك وما عداها في جميع القرآن مسنون وليس بمفروض.

# (٩٧) سورة القدر مكية وآياتها خمس

مكية وقيل مدنية .

## [ عدد آيها ]

ست آيات مكي وشامي وخمس في الباقين .

[ اختلافها ] آية ليلة القدرالثالث مكي شامي .

[ فضلها ] أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها اعطي من الأجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر. الحسين بن ابي العلاء عن أبي عبد الله (ع ) قال من قرأ انا انزلناه في فريضة من الفرائض نادى منادٍ يا عبد الله قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل. سيف بن عميرة عن رجل عن أبي جعفر (ع ) قال من قرأ انا انزلناه بجهر كان كشاهر سيفه في سبيل الله ومن قرأها سراً كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله ومن قرأها عشر مرات مرت على نحو الف ذنب من ذنوبه .

[ تفسيرها ] أمر سبحانه بالسجود والتقرب إليه في خاتمة تلك السورة وافتتح هذه السورة بذكر ليلة القدر وان التقرب فيها الى الله يزيد على التقرب اليه من سائر الليالي والأيام فكأنه قال اقترب اليه في سائر الأوقات خصوصاً في ليلة القدر وقال ابو مسلم لما أمره بقراءة القرآن في تلك السورة بيَّن في هذه السورة ان انزاله في ليلة القدر فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾

لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ الكسائي وخلف مطلع بكسر اللام والباقون بفتح اللام وفي الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة والكلبي من كل امرء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي مطلع هنا مصدر بدلالة ان المعنى سلام هي حتى وقت طلوعه وإلى وقت طلوعه نحو مقدم الحاج وخفوق النجم المصدر فيه زماناً على تقدير حذف المضاف فالقياس ان يفتح اللام كما ان مصادر سائر ما كان من فعل يفعل مفتوح العين نحو المخرج والمدخل واما الكسر فلأن المصادر التي ينبغي ان تكون على المفعل ما قد كُسِرَ كقولهم علاه المكبر والمعجزة وقوله من كل أمر قال ابن جني انكر ابو حاتم هذه القراءة على انه حكي عن ابن عباس انه قال يعني الملائكة قال ولا ادري ما هذا وإنما هو تنزل الملائكة فيها كل آمر كقوله فيها يفرق كل أمر حكيم امراً من عندنا ومن كل امر فتمّ الكلام ثم استأنف فقال سلام أي هي سلام إلى ان يطلع الفجر وقال قطرب معناه هي سلام من كل امر وامرىء ويلزم على قول قطرب ان يقال فكيف جاز تقديم معمول المصدر الذي هو سلام عليه وقد عرفنا امتناع جواز تقديم صلة الموصل او شيء منها عليه والجواب ان سلاماً في الاصل كعُمري مصدر فأما هنا فإنه موضوع موضع اسم الفاعل الذي هو سالمة هي او مسلمة فكأنه قال من كل امر سالمة او مسلمة هي اي هي سالمة او مسلمة منه .

[ **اللغة** ] القدر كون الشيء مساوياً لغيره من غير زيادة ولا نقصان وقدر الله هذا الامر يقدره قدراً إذا جعله على مقدار ما تدعو اليه الحكمة والشهر في الشرع عبارة عما بين هلالين من الايام وإنما سمِّي شهراً لاشتهاره بالهلاك وقد يكون الشهر ثلاثين ويكون تسعة وعشرين إذا كان هلالياً فإن لم يكن هلالياً فهو ثلاثون .

[ **الاعراب** ] خير من الف شهر تقديره خير من الف شهر لا ليلة قدر فيه فحذف الصفة وقوله سلام هي هي مبتدأ وسلام خبر مقدم عليه وهو بمعنى الفاعل لأنه إذا حمل على المصدر لم يجز تعليق حتى به لأنه لا يفصل بين الصلة والموصول ومثله قول الشاعر .

فَهَلّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةَ مَازِنٍ وَهَلْ كُفَلائي في الْوَفَاءِ سَوَاءُ

سواء بمعنى مستو والتقدير فهل كفلائي مستوون في الوفاء لابدَّ من هذا التقدير لأن

سواء لو كانت مصدراً لما تقدَّم عليه ما في صلته ويجوز تعليق حتى بقوله تنزل الملائكة ولا يجوز ان يكون هي مبتدأ وتكون حتى نكرة في موضع الخبر لأنه لا فائدة فيه إذ كل ليلة بهذه الصفة ومطلع مجرور بحتى وهو في معنى إلى.

[ المعنى ] ﴿انا انزلناه﴾ الهاء كناية عن القرآن وان لم يجر له ذكر لأنه لا يشتبه الحال فيه ﴿في ليلة القدر﴾ قال ابن عباس انزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم كان ينزله جبريل (ع) على محمد ﷺ نجوماً وكان من اوله إلى آخره ثلاث وعشرون سنة وقال الشعبي معناه انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر وقال مقاتل انزله من اللوح المحفوظ الى السفرة وهم الكتبة من الملائكة في السماء الدنيا وكان ينزل ليلة القدر من الوحي على قدر ما ينزل به جبرائيل (ع) على النبي ﷺ في السنة كلها إلى مثلها من القابل والكلام في ليلة القدر على ضروب (فالاول) اختلاف العلماء في معنى هذا الاسم ومأخذه فقيل سميت ليلة القدر لأنها الليلة التي يحكم الله فيها ويقضي بما يكون في السنة بأجمعها من كل أمر عن الحسن ومجاهد وهي الليلة المباركة في قوله انا انزلناه في ليلة مباركة لأن الله تعالى ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة وروى ابو الضحى عن ابن عباس انه كان يقضي القضايا في ليلة النصف من شعبان ثم يسلمها الى اربابها في ليلة القدر وقيل ليلة القدر اي ليلة الشرف والخطر وعظم الشأن من قولهم رجل له قدر عند الناس اي منزلة وشرف ومنه ما قدروا الله أي ما عظموه حق عظمته عن الزهري قال أبو بكر الوراق لأن من لم يكن ذا قدر إذا احياها صار ذا قدر وقال غيره لأن للطاعات فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً وقيل سميت ليلة القدر لأنه أنزل فيها كتاب ذو قدر إلى رسول ذي قدر لأجل أمة ذات قدر على يدي ملك ذي قدر وقيل هي ليلة التقدير لأن الله تعالى قدَّر فيها انزال القرآن وقيل سميت بذلك لأن الارض تضيق فيها بالملائكة من قوله ومن قدر عليه رزقه عن الخليل بن أحمد (الضرب الثاني) اختلافهم في انها أيّة ليلة فذهب قوم إلى انها إنما كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت وجاءت الرواية عن أبي ذر أنه قال قلت يا رسول الله ليلة القدر هي شيء تكون على عهد الانبياء ينزل فيها فإذا قبضوا رفعت قال لا بل هي إلى يوم القيامة وقيل انها في ليالي السنة كلها ومن علق طلاق امرأته على ليلة القدر لم يقع إلى مضي السنة وهو مذهب أبي حنيفةوفي بعض الروايات عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول كله يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال رحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكنه اراد ان لا يتكل الناس وجمهور العلماء على انها في شهر رمضان في كل سنة ثم اختلفوا في

اي ليلة هي منه فقيل هي اول ليلة منه عن ابن زيد العقيلي وقيل هي ليلة سبع عشرة منه عن الحسن وروي انها ليلة الفرقان وفي صبيحتها التقى الجمعان والصحيح انها في العشر الاواخر من شهر رمضان وهو مذهب الشافعي وروي مرفوعاً انه ﷺ قال التمسوها في العشر الأواخر وعن علي (ع) ان النبي ﷺ كان يوقظ اهله في العشر الأواخر من شهر رمضان قال وكان إذا دخل العشر الاواخر دأب وأَدْأَبَ اهله وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شدَّ المئزر واجتنب النساء واحيا الليل وتفرغ للعبادة ثم اختلفوا في انها آية ليلة من العشر فقيل أنها ليلة احدى وعشرين وهو مذهب أبي سعيد الخدري واختيار الشافعي قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ رأيت هذه الليلة ثم انسيتها ورأيتني اسجد في ماء وطين فالتمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وتر قال فأبصرت عيناري رسول الله ﷺ انصرف وعلى جبهته وانفه أثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين أورده البخاري في الصحيح وقيل هي ليلة ثلاث وعشرين منه عن عبد الله بن عمر قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول اني رأيت في النوم كأن ليلة القدر هي ليلة سابعة تبقى فقال ﷺ ارى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين فمن كان منكم يريد ان يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين قال معمر كان ايوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيباً وسأل عمر بن الخطاب اصحاب رسول الله ﷺ فقال قد علمتم ان رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر اطلبوها في العشر الأواخر وتراً ففي أي الوتر ترون فاكثر القوم في الوتر قال ابن عباس فقال لي مالك لا تتكلم يا ابن عباس فقلت رأيت الله اكثر ذكر السبع في القرآن فذكر السماوات سبعاً والارضين سبعاً والطواف سبعاً والجمار سبعاً وما شاء الله من ذلك خلق الإنسان سبعة وجعل رزقه في سبعة فقال كل ما ذكرت عرفت فما قولك خلق الإنسان من سبعة وجعل رزقه في سبعة فقلت خلق الانسان من سلالة من طين إلى قوله خلقاً آخر قرأت انا صببنا الماء صباً إلى قوله وفاكهة وابا فما اراها إلا ليلة ثلاث وعشرين لسبع بقين فقال عمر عجزتم ان تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم يجتمع شؤون رأسه قال وقال عمر وافق رأيي رأيك ثم ضرب منكبي فقال ما أنت بأقل القوم علماً وروى العياشي بإسناده عن زرارة عن عبد الواحد بن المختار الانصاري قال سألت ابا جعفر (ع) عن ليلة القدر قال في ليلتين ليلة ثلاث وعشرين واحدى وعشرين فقلت افرد لي احدهما فقال وما عليك ان تعمل في ليلتين هي احداهما وعن شهاب ابن عبد ربه قال قلت لأبي عبد الله (ع) اخبرني بليلة القدر فقال ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وعن حماد بن عثمان عن حسان بن أبي علي قال سألت ابا عبد الله (ع) عن ليلة القدر قال اطلبها في تسع عشرة واحدى وعشرين وثلاث وعشرين وفي كتاب من لا

يحضره الفقيه عن علي بن حمزة قال كنت عند ابي عبد الله (ع) فقال له ابو بصير جعلت فداك الليلة التي يرجى فيها ما يرجى ايٌّ ليلة هي فقال هي ليلة احدى وعشرين وثلاث وعشرين قال فإن لم أقو على كلتيهما فقال ما أيسر ليلتين فيما تطلب قال قلت فربما رأينا الهلال عندنا وجاءنا من يخبرنا بخلاف ذلك في ارض اخرى فقال ما ايسر اربع ليال فيما تطلب فيها جعلت فداك ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهني[1] قال ان ذلك ليقال قلت جعلت فداك ان سليمان بن خالد روى ان في تسع عشرة يكتب وفد الحاج فقال يا ابا محمد وفد الحاج يكتب في ليلة القدر والمنايا والبلايا والارزاق ما يكون إلى مثلها في قابل فاطلبها في أحدى وثلاث وصلّ في كل واحدة منها مائة ركعة واحيهما إن استطعت إلى النور واغتسل فيهما قال قلت فإن لم اقدر على ذلك وانا قائم قال فصل وانت جالس قلت فإن لم استطع قال فعلى فراشك قلت فإن لم استطع فقال لا عليك ان تكتحل أول الليل بشيء من النوم ان ابواب السماء تفتح في شهر رمضان وتصفد الشياطين وتقبل اعمال المؤمنين نعم الشهر شهر رمضان كان يسمى على عهد رسول الله ﷺ المرزوق وفي رواية عبد الله بن بكير عن زرارة عن أحداهما قال سألته عن الليالي التي يستحب فيها الغسل في شهر رمضان فقال ليلة تسع عشرة يكتب وفد الحاج فقال يا ابا محمد وفد الحاج يكتب في ليلة القدر والمنايا والارزاق ما يكون إلى مثلها في قابل فاطلبها في احدى وثلاث وصلّ في كل واحدة منها مائة ركعة واحيهما إن استطعت إلى النور واغتسل فيهما قال قلت فإن لم اقدر على ذلك وانا قائم قال فصل وانت جالس قلت فإن لم استطع قال فعلى فراشك قلت فإن لم استطع فقال لا عليك ان تكتحل اول الليل بشيء من النوم ان ابواب السماء تفتح في شهر رمضان وتصفد الشياطين وتقبل اعمال المؤمنين نعم الشهر شهر رمضان كان يسمى على عهد رسول الله ﷺ المرزوق وفي رواية عبد الله بن بكير عن زرارة عن احدهما قال سألته عن الليالي التي يستحب فيها الغسل في شهر رمضان فقال ليلة تسع عشرة وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وقال ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة الجهني وحديثه انه قال لرسول الله ﷺ ان منزلي نأى عن المدينة فمرني بليلة ادخل فيها فأمره بليلة ثلاث وعشرين قال الشيخ ابو جعفر (ره) واسم الجهني عبد الله بن انيس الانصاري وقيل انها ليلة سبع وعشرين عن أبي بن كعب وعائشة وروي ان ابن عباس وابن عمر قالا قال رسول الله ﷺ تحروها ليلة سبع وعشرين وعن زر بن حبيش قال قلت لأبي يا ابا المنذر من اين علمت انها ليلة سبع وعشرين قال بالآية

(١) جهني : اسم رجل صحابي ستأتي قصته .

كتابخانه
بنياد دايرة المعارف اسلامى

التي انبأ بها رسـول الله ﷺ قال تـطلع الشمس غداتئـذٍ كأنهـا طسْت ليس لها شعـاع وقال بعضهم ان الله قسم كلمات السورة على ليالي شهر رمضان فلما بلغ السابعة والعشرين اشار اليها فقال هي وقيل انها ليلة تسع وعشرين وروي عن أبي بكرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول التمسوها في العشر الأواخر في تسع بقين او سبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث بقين أو آخر ليلة والفائدة في اخفاء هذه الليلة أن يجتهد الناس في العبادة ويحيوا جميع ليالي شهر رمضان طمعاً في ادراكها كما ان الله سبحانه اخفى الصلاة الـوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في الاسماء وساعة الإجابة في ساعات الجمعة (والضرب الثالث) ذكر بعض ما ورد في فضل هذه الليلة روى ابن عباس عن النبي انه قال إذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى ومنهم جبرائيل فينزل جبرائيل (ع ) ومعه ألوية ينصب لواء منها على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء في المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يـدع فيها مؤمنـاً ولا مؤمنة الا سلم عليـه الا مدمن الخمـر وآكل لحم الخنـزير والمتضمـخ بالزعفران[١] عنه ﷺ قال من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدَّم من ذنبه وعنه ﷺ قال ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع فيها على أحد بخبل أوداء أوضرب من ضروب الفساد ولا ينفذ فيه سحر ساحر وروى الحسن عن النبي ﷺ قال في ليلة القدر انها ليلة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع ثم قال الله سبحانه تعظيماً لشأن هذه الليلة وتنبيهاً لعظم قدرها وشرف محلها ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ فكأنه قال وما ادراك يا محمد ما خطر ليلة القدر وما حرمتها وهذا حثٌّ على العبادة فيها ثم فسَّر سبحانه تعظيمه وحرمته فقال ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أي قيام ليلة القدر والعمل فيها خير من قيام الف شهر ليس فيه ليلة القدر وصيامه عن مقاتل وقتادة وذلك ان الاوقـات إنما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير من النفع فلما جعل الله الخبر الكثير في ليلة القدر كانت خيراً من الف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما يكون في هذه الليلة ذكر عطاء عن ابن عباس قال ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل انه حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله تعالى الف شهر فعجب من ذلك رسول الله ﷺ عجباً شـديداً وتمنى ان يكون ذلك في امته فقال يا رب جعلت امتي اقصر الناس اعماراً واقلها اعمالاً فأعطاه الله ليلة القدر وقال ليلة القدر خير من الف شهر الذي حمل الاسرائيلي السـلاح في سبيل الله لـك ولأمتك من بعدك إلى يوم القيامة في كل رمضان ثم اخبر سبحانه بمـا يكون في تلك الليلة

(١) التضمخ : التلطخ بالطيب وغيره والاكثار منه .

فقال **﴿تنزل الملائكة﴾** اي تتنزل الملائكة **﴿والروح﴾** يعني جبرائيل **﴿فيهـا﴾** أي في ليلة القدر إلى الأرض ليسمعوا الثناء على الله وقراءة القرآن وغيرها من الأذكار وقيل ليسلموا على المسلمين بإذن الله أي بأمر الله وقيل ينزلون بكل امر إلى السماء الدنيا حتى يعلم ذلك اهل السماء الدنيا فيكون لطفاً لهم وقال كعب ومقاتل بن حيان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلـون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجـر وقيل الـروح هو الوحي كما قال وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا أي تنزل الملائكة ومعهم للوحي بتقدير الخيرات والمنافع **﴿بإذن ربهم﴾** اي بأمر ربهم كما قال وما نتنزل الا بأمر ربـك وقيل بعلم ربهم كما قال انزله بعلمه **﴿من كل أمر﴾** أيّ بكل أمر من الخير البركة كقوله يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله وقيل بكل أمر من اجل ورزق إلى مثلها من العام القـابل فعلى هـذا يكون الوقف هنا تاماً ثم قال **﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾** أي هذه ليلة إلى آخرهـا سلامـة من الشرور والبلايا وآفات الشيطان وهو تأويل قوله في ليلة مباركة عن قتادة وقال مجاهد يعني ان ليلة القدر سالمة عن ان يـحدث فيها سوء أو يستطيع شيطان ان يعمل فيها وقيل معناه سلام على اولياء الله وأهل طاعته فكلما لقيهم الملائكة في هذه الليلة سلّموا عليهم من الله تعالى عن عطاء والكلبي وقيل ان تمام الكلام عند قوله بإذن ربهم ثم ابتدأ فقال من كل أمر سلام أي بكل أمر فيه سلامة ومنفعة وخير وبركة لأن الله يقدر في تلك الليلة كل ما فيه خير وبركة ثم قال هي حتى مطلع الفجر اي السلامة والبركة والفضيلة تمتد إلى وقت طلوع الفجر ولا يكون في ساعة منها فحسب بل يكون في جميعها والله اعلم بالصواب .

# (٩٨) سورة البينة مدنية وآياتها ثمان

وتسمى سورة البرية وسورة القيمة مدنية وقيل مكية .

[ **عددآيها** ] تسع آيات بصري ثمان في الباقين .

[ **اختلافها** ] آية مخلصين له الدين بصري .

[ **فضلها** ] ابي بن كعب عن النبيﷺ قال ومن قرأها كان يوم القيامة مع خير البرية مسافراً ومقيماً وعن ابي الدرداء قال قال رسول اللهﷺ لو يعلم الناس ما في لم يكن لعطلوا الاهل والمال وتعلموها فقال رجل من خزاعة ما فيها من الاجر يا رسول الله فقال لا يقرأها منافق ابداً ولا عبد في قلبه شك في الله عز وجل والله ان الملائكة المقربين ليقرؤونها منذ خلق الله السماوات والأرض لا يفترون عن قراءتها وما من عبد يقرؤها بليل الا بعث الله ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة والرحمة فإن قرأها نهاراً اعطي عليها من الثواب مثل ما اضاء عليه النهار واظلم عليه الليل فقال رجل من قيس عيلان زدنا يا رسول الله من هذا الحديث فداك ابي وامي فقالﷺ تعلموا عم يتساءلون وتعلموا قٓ والقرآن المجيد وتعلموا والسماء ذات البروج وتعلموا والسماء والطارق فإنكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتهم ما انتم فيه وتعلمتموهن وتقربتم إلى الله بهن وان الله يغفر بهن كل ذنب الا الشرك بالله واعلموا ان تبارك الذي بيده الملك تجادل عن صاحبها يوم القيامة وتستغفر له من الذنوب. أبو بكر الحضرمي عن ابي جعفر ( ع ) قال من قرأ سورة لم يكن كان بريئاً من الشرك وادخل في دين محمد ﷺوبعثه الله مؤمناً وحاسبه الله حساباً يسيراً .

[ **تفسيرها** ] بيَّن الله سبحانه في سورة القدر ان القرآن حجة ثم بيَّن في هذه السورة ان الكفار قبله لم يخلوا قط من حجة فقال .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا
مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا
لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ
عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ نافع وابن ذكوان البريئة مهموزة والباقون بغير همزة .

[ **الحجة** ] قال أبو علي البريئة من برأ الله الخلق فالقياس فيه الهمز الا انه مما ترك همزه كقولهم النبي والذرية والخابية فالهمزة فيه كالرد إلى الأصل المتروك في الاستعمال كما ان همز النبي كذلك وترك الهمز اجود لأنه لما ترك فيه الهمز صار كرده إلى الاصول المرفوضة مثل ظننوا وهَمْزُ من هَمَزَ البرئية يدل على فساد قول من قال انه من البري الذي هو التراب .

[ اللغة ] الانفكاك الانفصال عن شدة اتصال قال ذو الرمة :

قَلائِصُ مَا تَنْفَكُ إلَّا مُنَاخَةً عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِها بَلَداً قَفْراً[1]

واكثر ما يستعمل ذلك في النفي مثل ما زال تقول ما انفك من هذا الأمر أي ما انفصل منه لشدة ملابسته له والبينة الحجة الظاهرة التي يتميز بها الحق من الباطل واصلها من البينونة وفصل الشيء من غيره فالنبي ﷺ حجة وبينة واقامة الشهادة العادلة بينة وكل برهان ودلالة بينة والقيمة المستمرة في جهة الصواب والحنيف المائل الصواب والحق والحنيفية الشريعة المائلة إلى الحق واصله الميل ومن ذلك الاحنف المائل القدم إلى جهة القدم الاخرى وقيل اصله الاستقامة وإنما قيل للمائل القدم احنف على وجه التفاؤل .

[ الاعراب ] رسول من الله بدل من البينة قبله وقال الفراء هو مستأنف تقديره هو رسول دين القيمة تقديره دين لملة القيمة لأنه إذا لم يقدر ذلك كان اضافة الشيء إلى صفته وذلك غير جائز لأنه بمنزلة اضافة الشيء إلى نفسه جزاؤهم عند ربهم جنات عدن أي دخول جنات عدن خالدين فيها حال من مضمر أي يجزونها خالدين فيها .

[ المعنى ] ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿والمشركين﴾ أي ومن المشركين الذين هم عبدة الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب ﴿منفكين﴾ أي منفصلين وزائلين وقيل لم يكونوا منتهين عن كفرهم بالله وعبادتهم غير الله عن ابن عباس في رواية عطاء والكلبي ﴿حتى تأتيهم﴾ اللفظ لفظ الاستقبال ومعناه المضي كقوله ما تتلو الشياطين أي ما تلت وقوله ﴿البينة﴾ يريد محمداً ﷺ عن ابن عباس ومقاتل بيَّن سبحانه لهم ضلالهم وشركهم وهذا اخبار من الله تعالى عن الكفار انهم لم ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى اتاهم محمد ﷺ فبيَّن لهم ضلالهم عن الحق ودعاهم إلى الإيمان وقيل معناه لم يكونوا ليتركوا منفكين من حجج الله حتى تأتيهم البينة التي تقوم بها الحجة عليهم وقوله ﴿رسول من الله﴾ بيان للبينة وتفسير لها اي رسول من قبل الله ﴿يتلو﴾ عليهم ﴿صحفاً مطهرة﴾ يعني مطهرة في السماء لا يمسّها إلا الملائكة المطهرون ومن الانجاس عن الحسن والجبائي وهو محمد ﷺ أتاهم بالقرآن ودعاهم إلى

(١) هذا البيت من قصيدة طويلة لذى الرمة يقال لها احجته العرب والقلائص جمع القلوص: الناقة الشابة . وفي رواية جامع الشواهد وشرح الأشموني : «حراجيج» بدل «قلائص» ومر في الكتاب بلفظ حراجيج أيضاً في ج ٣ وهو جمع حرجوج: الناقة الضامرة الشديدة. واناخ البعير: ابركه. والخسف : الجوع .

التوحيد والإيمان فيها﴾ أي في تلك الصحف ﴿كتب قيمة﴾ أي مستقيمة عادلة غير ذات عوج تبين الحق من الباطل وقيل مطهرة عن الباطل والكذب والزور يريد القرآن عن قتادة ويعني بالصحف ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها ويدل على ذلك ان النبي ﷺ كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب وقيل معناه رسول من الملائكة يتلو صحفاً من اللوح المحفوظ عن ابي مسلم وقيل فيها كتب قيمة معناه في هذه الصحف التي هي القرآن كتب قيمة أي ان القرآن يشتمل على معاني الكتب المتقدمة فتاليها تالي الكتب القيمة كما قال مصدقاً لما بين يديه فإذا كان مصدقاً لها كان تالياً لها وقيل معناه في القرآن كتب قيمة بمعنى أنه يشتمل على انواع من العلوم كل نوع كتاب قال السدي فيها فرائض الله العادلة ﴿وما تفرق الذين اوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ يعني وما اختلف هؤلاء في امر محمد ﷺ إلا من بعد ما جاءتهم البشارة به في كتبهم وعلى السنة رسلهم فكانت الحجة قائمة عليهم فكذلك لا يترك المشركون من غير حجة تقوم عليهم وقيل معناه ولم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعثه الله فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا فآمن به بعضهم وكفر آخرون ثم ذكر سبحانه ما أمروا به في كتبهم فقال ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾ اي لم يأمرهم الله تعالى إلا لأن يعبدوا الله وحده لا يشركون بعبادته فهذا ما لا تختلف فيه ملة ولا يقع فيه تبدل ﴿مخلصين له الدين﴾ لا يخلطون بعبادته عبادة ما سواه ﴿حنفاء﴾ مائلين عن جميع الاديان إلى دين الإسلام مسلمين مؤمنين بالرسل كلهم قال عطية إذا اجتمع الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف الحاج وإذا انفرد كان معناه المسلم وهو قول ابن عباس لأنه قال حنفاء اي حجاجاً وقال ابن جبير لا تسمي العرب حنيفاً إلا من حج واختتن قال قتادة الحنيفية الختان وتحريم البنات والأمهات والأخوات والعمات والخالات واقامة المناسك ﴿ويقيموا الصلوٰة ويؤتوا الزكوة﴾ أي ويداوموا على اقامة الصلاة ويخرجوا ما فرض عليهم في اموالهم من الزكاة ﴿وذلك﴾ يعني الدين الذي قدَّم ذكره ﴿دين القيمة﴾ أي دين الكتب القيمة التي تقدَّم ذكرها وقيل دين الملة القيمة والشريعة القيمة قال النضر بن شميل سألت الخليل عن هذا فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد فالمراد وذلك دين القائمين لله بالتوحيد وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر لأن فيها تصريحاً بأنه سبحانه انما خلق الخلق ليعبدوه واستدلَّ بهذه الآية أيضاً على وجوب النية في الطهارة إذ أمر سبحانه بالعبادة على وجه الاخلاص ولا يمكن الاخلاص الا بالنية والقربة والطهارة عبادة فلا تجزي بغير نيّة ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال ﴿إن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين﴾ يعني من جحد توحيد الله وانكر نبوة نبيه ﷺ ومن اشرك

معه إلهاً آخر في العبادة ﴿في نـار جهنم خالـدين فيها﴾ لا يفنى عقـابهم ﴿اولئك هم شـرُّ البرية ﴾ أي شرُّ الخليقة ثم أخبر عن حال المؤمنين فقال ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ أي خير الخليقة ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار﴾ مرَّ معناه ﴿خالدين فيها ابداً﴾ أي مؤبدين فيها دائماً ﴿رضي الله عنهم﴾ بما قدموه من الطاعات﴿ورضوا عنه﴾ بما جازاهم من الثواب وقيل رضي الله عنهم إذ وحدوه ونـزهوه عما لا يليق به واطاعوه ورضوا عنه إذ فعل بهم ما رجوا من رحمته وفضله ﴿ذلك﴾ الرضـا والثواب ﴿لمن خشي ربه﴾ فترك معاصيه وفعل طاعاته وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني (ره) قال اخبرنا أبو عبد الله الحافظ بالإسناد المرفوع إلى يزيد بن شراحيل الانصاري كاتب علي (ع ) قال سمعت علياً (ع ) يقول قبض رسول الله ﷺ وانا مسنده إلى صدري فقال يا علي ألم تسمع قول الله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية هم شيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الامم للحساب يدعون غرّاً محجلين وفيه عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله هم خير البرية قال نزلت في علي (ع ) واهل بيته .

# (٩٩) سورة الزلزلة مدنية وآياتها ثمان

مدنية عن ابن عباس وقتادة مكية عن الضحاك وعطاء .

[ عدد آياتها ] ثمان آيات كوفي والمدني الاول تسع في الباقين .

[ اختلافها ] آية اشتاتاً غير الكوفي والمدني الأول.

[ فضلها ] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فكأنما قرأ البقرة واعطي من الأجر كمن قرأ ربع القرآن وعن انس بن مالك قال سأل النبي ﷺ رجلاً من اصحابه فقال يا فلان هل تزوجت قال لا وليس عندي ما اتزوج به قال أليس معك قل هو الله احد قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك إذا زلزلت قال بلى قال ربع القرآن ثم قال تزوج تزوج تزوج وعن ابي عبد الله (ع ) قال لا تملوا من قراءة إذا زلزلت فإن من كانت قراءته في نوافله لم يصبه الله بزلزلة أبداً ولم يمت بها ولا بصاعقة ولا بآفة من آفات الدنيا وإذا مات امر به إلى الجنة فيقول الله سبحانه عبدي ابحتك جنتي فاسكن منها حيث شئت وهويت لا ممنوع ولا مدفوع عنه .

[ تفسيرها ] ختم الله سبحانه تلك السورة ببيان حال المؤمنين والكافرين وافتتح هذه السورة ببيان وقت ذلك فقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾
وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ

رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟
أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

**[ القراءة ]** في بعض الروايات عن الكسائي خيراً يره وشراً يره بضم الياء فيهما وهي رواية ابان عن عاصم أيضاً وهي قراءة علي ( ع ) والباقون يره بفتح الياء في الموضعين إلا ان ابا جعفر وروحا ورويسا قرأوا بضم الهاء ضمة مختلسة غير مشبعة .

**[ الحجة ]** قال أبو علي من قرأ يُره جعل الفعل منقولاً من رأيت زيداً إذا ادركته ببصرك واريته عمراً وبنى الفعل للمفعول ومن قرأ يره فالتقدير ير جزاءه واثبات الواو في ير هو بعد الهاء هو الوجه كما تقول اكرمهو لأن هذه الهاء يتبعها حرف اللين الواو والياء إذا كان قبلها كسرة أو ياء نحو بهي وعليهي وقد جاء في الشعر نحوه قاله «وَنِضْوايَ مُشْتاقان لَهْ أَرِقانِ»[1] .

**[ اللغة ]** الزلزلة شدة الاضطراب والزلزال بكسر الزاي المصدر وبفتحها الاسم وزلزلت ورجفت ورجت بمعنى واحد والاثقال جمع الثقل وسمى سبحانه الموتى اثقالاً تشبيهاً بالحمل الذي يكون في البطن لأن الحمل سمي ثقلاً كما قال سبحانه فلما أثقلت وتقول العرب ان للسيد الشجاع ثقلاً على الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء ترثي اخاها صخراً .

أَبَعْدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيدِ ... حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقالَها

عنت بذلك انه حلّ عن الأرض ثقل بموته لسؤدده وعزه وقيل معناه زينت موتاها به من الحلية وقال الشمردل اليربوعي يرثي اخاه :

وَحَلَّتْ بِهِ أَثْقالَها الْأَرْضُ وَانْتَهى ... لِمَثْواهُ مِنْها وَهْوَ عَفٌّ شَمائِلُه

وذكر ابن السائب ان زهير بن أبي سلمى قال بيتاً ثم أكدى[2] فمرَّ به النابغة الذبياني

---

(١) النضو: البعير المهزول. وقبله «فظلت لدى البيت العتيق اخيله» وقد مر في المجلد الثالث وغيره بلفظ «ومطواي» بدل «ونضواى».

(٢) اكدى بمعنى قطع.

فقال له يا ابا امامة اجز قال ماذا قال:

تَـزالُ الْأَرْضُ إمّـامِـتًّ خِـفـاً وَتَـحْـبـا مـا حَـيَـيْـتَ بِـهـا ثَـقِـيـلاً
نَزَلْتَ بِمُسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْها

فماذا قال فأكدى والله النابغة الذبياني واقبل كعب بن زهير وهوغلام فقال له ابوه اجز يا بني قال ماذا فانشده فقال كعب «فَتَمْنَعُ جانِبَهْا أَنْ تَزُولا»فقال له زهير انت والله ابني واوحى ووحى بمعنى واحد قال العجاج «وَحى الْقَرار فَأَسْتَقَرَّتِ»[١] .

[ الاعراب ] العامل في إذا قوله فمن يعمل مثقال ذرة وقوله خيراً منصوب على التميز وقيل ان العامل في إذا قوله تحدث اخبارها ويكون يومئد تكراراً أي إذا زلزلت الأرض تحدث أخبارها وقيل ان التقدير وقال الإنسان يومئذ مالها يومئذ تحدث اخبارها فقيل ذلك بأن ربك أوحى لها وتحدث يجوز أن يكون على الخطاب أي تحدث أنت ويجوز أن يكون على تحدث هي .

[ المعنى ] خوَّف الله سبحانه عباده اهوال يوم القيامة فقال **﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾** أي إذا حركت الأرض تحريكاً شديداً لقيام الساعة زلزالها التي كتب عليها ويمكن ان يكون إنما اضافها إلى الأرض لأنها تعمّ جميع الأرض بخلاف الزلازل المعهودة التي تختص ببعض الأرض فيكون في قوله زلزالها تنبيهاً على شدتها **﴿وأخرجت الأرض اثقالها﴾** أي أخرجت موتاها المدفونة فيها تخرجها احياء للجزاء عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وقيل معناه لفظت ما فيها من كنوزها ومعادنها فتلقيها على ظهرها ليراها اهل الموقف وتكون الفائدة في ذلك ان يتحسر العصاة إذا نظروا اليها لأنهم عصوا الله فيها ثم تركوها لا تغني عنهم شيئاً وأيضاً فإنه تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم **﴿وقال الإنسان مالها﴾** أي ويقول الإنسان متعجباً ما للأرض تتزلزل يعني مالها حدث فيها ما لم يعرف منها عن ابي مسلم وقيل إن المراد بالإنسان الكافر لأن المؤمن معترف بها لا يسأل عنها أي يقول الكافر الذي لم يؤمن بالبعث أيّ شيء زلزلها واصارها إلى هذه الحالة **﴿يومئذ تحدث اخبارها﴾** أي تخبر بما عمل عليها وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال أتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال أخبارها أن تشهد على كل عبد وأنه بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا وهذا اخبارها وعلى هذا فيجوز ان يكون الله تعالى احدث الكلام فيها وإنما

---

(١) وعجزه «وشدها بالراسيات الثبت» وقد مر في الكتاب مراراً .

نسبه اليها توسعاً ومجازاً ويجوز ان يقلبها حيواناً يقدر على النطق ويجوز ان يظهر فيها ما يقوم مقامه الكلام فعبَّر عنه بالكلام كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وكقول الشاعر «وَقالَتْ لَهُ الْعَيْنان سَمْعاً وَطاعَةً»(١) وقد مرَّ امثاله وقوله ﴿بأن ربك اوحى لها﴾ معناه أن الأرض تحدث بها فتقول ان ربك يا محمد اوحى لها أي الهمها وعرفها بأن تحدث اخبارها وقيل بأن تلقي الكنوز والاموات على ظهرها يقال اوحى له وإليه اي القي اليه من جهة تخفي قال الفراء تحدث اخبارها بوحي الله واذنه لها وقال ابن عباس اذن لها لتخبر بما عمل عليها وروى الواحدي بإسناده مرفوعاً إلى ربيعة الحرشي قال قال رسول الله ﷺ حافظوا على الوضوء وخير أعمالكم الصلاة وتحفظوا من الأرض فإنها أمكم وليس فيها أحد يعمل خيراً وشرّاً إلا وهي مخبرة وقال ابو سعيد الخدري إذا كنت بالبوادي فارفع صوتك بالأذان فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يسمعه جن ولا انس ولا حجر إلا يشهد له ﴿يومئذ يصدر الناس اشتاتاً﴾ أي يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض متفرقين اهل الإيمان على حدة وأهل كل دين على حدة وهذا كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقوله يومئذ يصدعون ﴿ليروا اعمالهم﴾ أي ليروا جزاء اعمالهم عن ابن عباس والمعنى انهم يرجعون عن الموقف فرقاً لينزلوا منازلهم من الجنة والنار وقيل معنى الرؤية هنا المعرفة بالاعمال عند تلك الحال وهي رؤية القلب ويجوز ان يكون التأويل على رؤية العين بمعنى ليروا صحائف اعمالهم فيقرؤون ما فيها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ أي فمن يعمل وزن ذرة من الخير ير ثوابه وجزاءه ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ اي ير ما يستحق عليه من العقاب ويمكن ان يستدل بها على بطلان الاحباط لأن الظاهر يدل على انه لا يفعل احد شيئاً من طاعة او معصية إلا ويجازي عليها وما يقع محبطاً لا يجازي عليه وليس لهم ان يقولوا إن الظاهر بخلاف ما تذهبون اليه في جواز العفو عن مرتكب الكبيرة وذلك لأن الآية مخصوصة بالإجماع فإن التائب معفو عنه بلا خلاف وعندهم أن من شرط المعصية التي يؤاخذ بها ان لا تكون صغيرة فجاز لنا ايضاً ان نشرط فيها ان لا يكون مما يعفو الله عنه وقال محمد بن كعب معناه فمن يعمل مثقال ذرة خيراً وهو كافر ير ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شراً وهو مؤمن ير عقوبته في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شرّ وقال مقاتل فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره يوم القيامة في كتابه فيفرح به وكذلك من الشرّ يراه

(١) مر البيت بتمامه في المجلد الثالث وصفحة ٤٠١ من هذا الجزء.

في كتابه فيسؤه ذلك قال وكان احدهم يستقل ان يعطي اليسير ويقول إنما نوجر على ما نعطي ونحن نحبّه وليس اليسير مما يحبّ ويتهاون بالذنب اليسير ويقول إنما وعد الله النار على الكبائر فانزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير ويحذرهم اليسير من الشر وعن أبي عثمان المازني عن ابي عبيدة قال قدم صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم فقال بأبي انت يا رسول الله اوصيني خيراً فقال اوصيك بأمك وأبيك وادانيك قال زدني يا رسول الله قال احفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال رسول الله ﷺ ما شيء بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله رأيت الناس يمرجون على غير وجه ولم ادر اين الصواب غير أني علمت انهم ليسوا عليه فرأيتهم يئدون بناتهم فعرفت ان الله عز وجل لم يأمرهم بذلك فلم اتركهم يئدون وفديت ما قدرت وفي رواية اخرى انه سمع فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره فقال حسبي ما ابالي ان لا اسمع من القرآن غير هذا وقال عبد الله بن مسعود احكم آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره إلى آخر السورة وكان ﷺ يسميها الجامعة وتصدق سعد بن ابي وقاص بتمرتين فقبض السائل يده فقال سعد ويحك يقبل الله منا مثقال الذرة والخردلة وكان فيها مثاقيل .

# (١٠٠) سورة العاديات مكية وآياتها إحدى عشرة

مدنية عن ابن عباس وقتادة وقيل مكية .

## [ عدد آياتها ]

إحدى عشرة آية بالإجماع .

[ **فضلها** ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعاً . سليمان بن خالد عن أبي عبد الله (ع ) قال ومن قرأ والعاديات وأدمن قراءتها بعثه الله مع أمير المؤمنين (ع ) يوم القيامة خاصة وكان في حجره ورفقائه .

[ **النظم** ] اتصلت هذه السورة بما قبلها لما فيها من ذكر القيامة والجزاء اتصال النظير بالنظير فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ
صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ
ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾
وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا

فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ﴿١١﴾

[ القراءة ] في الشواذ قراءة أبي حياة فأثَّرن بتشديد الثاء وقراءة علي ( ع ) وقتادة وابن أبي ليلى فوسَّطن بتشديد السين .

[ الحجة ] قال ابن جني فأثَّرن مثل أبدَيْنَ وأَرينَ نقعاً كما يؤثر الإنسان النقش وغيره مما يبديه للناظر وهو من التأثير فالهمزة فاء الفعل وأثرن بالتخفيف من الإثارة فالهمزة مزيدة وقوله فوسَّطن بالتشديد معناه ميَّزن به جمعاً أي جعلته شطرين قسمين وشقين ومعنى وسطنه بالتخفيف صرن في وسطه .

[ اللغة ] الضبح في الخيل الحمحمة عند العدو وقيل هو شدة النفس عند العدو وضبحت الخيل تضبح ضبحاً وضباحاً وقيل ضبح وضبع بمعنى وهو أن يمدَّ ضبعه في السير حتى لا يجد مزيداً وأورى القادح النار يوري إيراء إذا قدح قدحاً وتسمى تلك النار نار الحباحب لضعفها قال النابغة .

يَقُدُّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقِدْنَ بِالصُّفَاحِ نَارَ الْحَبَاحِبِ[1]

وهو اسم رجل كان بخيلاً وكانت ناره ضعيفة لئلا يراها الأضياف فضربوا المثل بناره وشبهوا نار الحوافر بها لقلتها والنقع الغبار يغوص فيه صاحبه كما يغوص في الماء والكنود الكفور ومنه الأرض الكنود وهي التي لا تنبت شيئاً والأصل فيه منع الحق والخير قال الأعشى :

أَحْدِثْ لَهَا تُحْدِثْ لِوَصْلِكَ إِنَّهَا كُنُدٌ لِوَصْلِ الزَّائِرِ الْمُعْتَادِ

وقيل إنما سميت كندة لقطعها إياها .

[ النزول ] قيل بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حيّ من كنانة فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري أحد النقباء فتأخر رجوعهم فقال المنافقون قتلوا جميعاً فأخبر الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبحاً عن مقاتل وقيل نزلت السورة لما بعث النبي ﷺ علياً ( ع ) إلى ذات

(١) مر البيت بمعناه في المجلد الثالث والمجلد الرابع بلفظ « تجذ » بدل « تقد » فراجع .

السلاسل فأوقع بهم وذلك بعد أن بعث عليهم مراراً غيره من الصحابة فرجع كل منهم إلى رسول الله ﷺ وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) في حديث طويل قال وسمّيت هذه الغزوة ذات السلاسل لأنه أسر منهم وقتل وسبى وشدّ أسراهم في الحبال مكتفين كأنهم في السلاسل ولما نزلت السورة خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فصلى بهم الغداة وقرأ فيها والعاديات فلما فرغ من صلاته قال أصحابه هذه سورة لم نعرفها فقال رسول الله ﷺ نعم ان علياً ظفر بأعداء الله وبشّرني بذلك جبرئيل (ع) في هذه الليلة فقدم علي (ع) بعد أيام بالغنائم والأسارى .

[ المعنى ] ﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ قيل هي الخيل في الغزو تعدو في سبيل الله عن ابن عباس وعطاء وعكرمة والحسن ومجاهد وقتادة والربيع قالوا أقسم الله بالخيل العادية لغزو الكفار وهي تضبح ضبحاً وضبحها صوت أجوافها إذا عَدَت ليس بصهيل ولا حمحمة ولكنه صوت نفس وقيل هي الإبل حين ذهبت إلى غزوة بدر تمدّ أعناقها في السير فهي تضبح أي تضبع روي ذلك عن علي (ع) وابن مسعود والسدي وروي أيضاً أنها ابل الحاج تعدو من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى قالت صفية بنت عبد المطلب .

أَلا وَالْعَادِيَاتِ غَداةَ جَمْعٍ بِأَيْدِيها إذا سَطَعَ الْغُبارُ

واختلفت الروايات فيه فروي عن أبي صالح أنه قال قاولت فيه عكرمة فقال عكرمة قال ابن عباس هي الخيل في القتال فقلت أنا قال علي (ع) هي الإبل في الحج وقلت مولاي اعلم من مولاك وفي رواية أخرى أن ابن عباس قال هي الخيل ألا تراه يقول فأثرن به نقعاً فهل تثيره إلا بحوافرها وهل تضبح الإبل إنما تضبح الخيل قال علي (ع) ليس كما قلت لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا إلا فرس أبلق للمقداد بن الأسود وفي رواية أخرى لمرثد بن أبي مرثد الغنوي وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال بينما أنا في الحجرة جالس إذ أتاني رجل فسأل عن العاديات ضبحاً فقلت له الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني وذهب إلى علي بن أبي طالب (ع) وهو تحت سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحاً فقال سألتَ عنها أحداً قبلي قال نعم سألت عنها ابن عباس فقال الخيل حين تغير في سبيل الله قال فأذهب فادعه لي فلما وقف على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله إن كانت لأول غزوة في الإسلام بدر وما كانت معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف تكون العاديات الخيل بل العاديات ضبحاً الإبل من عرفة إلى مزدلفة ومن مزدلفة إلى منى قال ابن عباس فرغبت عن قولي ورجعت إلى الذي قاله علي (ع) ﴿ فالموريات قدحاً ﴾ هي الخيل توري النار بحوافرها إذا

صارت في الحجارة والأرض المحصبة عن عكرمة والضحاك وقال مقاتل يقدحن بحوافرهن النار في الحجارة قال ابن عباس يريد ضرب الخيل بحوافرها الجبل فأورت منه النار مثل الزناد إذا قدح وقال مجاهد يريد مكر الرجال في الحروب تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لأورين لك بزند وار ولأقدحنَّ لك وخالف المصدر فيها صدر الكلام ومجازه فالقادحات قدحاً وقيل هي النيران بجمع عن محمد بن كعب وقيل هي السنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به عن عكرمة ﴿ فالمغيرات صبحاً ﴾ يريد الخيل تغير بفرسانها على العدو وقت الصبح وإنما ذكر وقت الصبح لأنهم كانوا يسيرون إلى العدو ليلاً فيأتونهم صبحاً هذا قول الأكثرين وقيل يريد الإبل ترتفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى والسنة أن لا ترتفع بركبانها حتى تصيح والإغارة سرعة السير ومنه قولهم أَشْرِق ثَبِيرُ كيما نغير[1] عن محمد بن كعب ﴿ فأثرن به نقعاً ﴾ يقال ثار الغبار والدخان وأثرته أي هيجته والهاء في به عائد إلى معلوم يعني بالمكان أو بالوادي المعنى فهيجن بمكان عدوهنَّ غباراً ﴿ فوسطن به جمعاً ﴾ أي صرن بعدوهنَّ أو بذلك المكان وسط جمع العدو وهم الكتيبة وقال محمد بن كعب يريد جمع منى ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ هذا جواب القسم والكنود الكفور الجحود لنعم الله عن ابن عباس وقتادة والحسن ومجاهد وقيل هو بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان مضر وربيعة وقضاعة الكفور عن الكلبي وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم عن الحسن أخذه بعض الشعراء فقال :

يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ فِي فِعْلِهِ وَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَىٰ مَنْ ظَلَم
إِلَىٰ مَتَىٰ أَنْتَ وَحَتَّىٰ مَتَىٰ تَشْكُو الْمُصِيبَاتِ وَتَنْسَى النِّعَم

وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال أتدرون من الكنود قالوا الله ورسوله أعلم قال الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقيل الكنود الذي لا يعطي في النائبة مع قومه عن عطاء وقيل هو القليل الخير عن أبي عبيدة ﴿ وانه على ذلك لشهيد ﴾ معناه وإن الله على كفره لشهيد عن ابن عباس وقتادة وعطاء وقيل أن الهاء تعود إلى الإنسان والمعنى أن الإنسان شاهد على نفسه يوم القيامة بكنوده أو في الدنيا فإنك لو سألته عن النعمة لم يذكر أكثرها ويذكر جميع مصائبه وهو معنى قول الحسن ﴿ وانه ﴾ يعني الإنسان ﴿ لحب الخير لشديد ﴾ أي لأجل حب الخير الذي هو المال أي من أجله لبخيل شحيح يمنع منه حق الله تعالى عن الحسن يقال للبخيل شديد ومتشدد قال طرفة :

(١) كانوا لا يفيضون من المشعر حتى تطلع الشمس وثبير جبل بمكة ومعناه على ما في اللسان أدخل أيها الجبل في الشروق وهو ضوء الشمس كيما نسرع. وفي بعض النسخ « كما يغير ».

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرامَ وَيَصْطَفي عَقيلَةَ مَالِ الْفاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ[١]

وقيل معناه وانه لشديد الحب للخير أي المال عن الفراء وقال ابن زيد سمى الله سبحانه المال خيراً وعسى أن يكون خبيثاً وحراماً ولكن لأن الناس يعدُّونه خيراً فكذلك سمى الجهاد سوءاً فقال لم يمسهم سوء أي قتال وليس هو عند الله بسوء لأن الناس يسمُّونه سوءاً وقال سبحانه على وجه التذكير والوعيد ﴿ **أفلا يعلم** ﴾ هذا الإنسان الذي وصفناه ﴿ **إذا بعثر ما في القبور** ﴾ أي بعث الموتى ونشروا وأخرجوا ومثله بحثر ﴿ **وحصل ما في الصدور** ﴾ أي ميّزوا بين ما فيها من الخير والشر وقيل معناه وأظهر ما أخفته الصدور ليجازي على السرّ كما يجازي على العلانية ﴿ **ان ربهم بهم يومئذ لخبير** ﴾ قال الزجاج الله سبحانه خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أن الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم وليس يجازيهم إلا بعلمه بأحوالهم وأعمالهم ومثله قوله أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ومعناه أولئك الذين لا يترك الله مجازاتهم وفي هذا إشارة إلى الزجر والوعيد فإن الإنسان متى علم أن خالقه يرى جميع أعماله ويعلم سائر أفعاله ويحقق ذلك لا بدَّ أن ينزجر عن المعاصي .

(١) اعتام الشيء : اختاره، والعقيلة: الخيار من كل شيء . يقول: أرى الموت يختار كرام الناس، وصفوة مال البخلاء أي أنه يأخذ النفيس الذي يضن به كما يأخذ الحقير فلا يترك شيئاً .

# (١٠١) سورة القارعة مكية وآياتها إحدى عشرة

[ عدد آيها ]

إحدى عشرة آية كوفي حجازي ثمان بصري شامي .

[ اختلافها ] ثلاث آيات القارعة الأولى كوفي ثقلت موازينه وخفت موازينه كلتاهما حجازي كوفي .

[ فضلها ] في حديث أبي من قرأها ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة . عمرو بن ثابت عن أبي جعفر ( ع ) قال من قرأ القارعة أمنه الله من فتنة الدجال أن يؤمن به ومن قيح جهنم يوم القيامة .

[ تفسيرها ] اتصلت هذه السورة بما قبلها اتصال النظير بالنظير فإن كلتيهما في ذكر القيامة فقال سبحانه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦)
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ

هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَاهِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾

[ القراءة ] روي عن أبي عمرو أنه أمال القارعة وقرأ حمزة ويعقوب ما هي في الوصل والباقون ما هيه بإثبات الهاء ولم يختلفوا في الوقف انها بالهاء .

[ الحجة ] قال أبو علي امالة القارعة وإن كان المستعلى فيه مفتوحاً جائـزة وذلك أن كسرة الراء غلبت عليها فأمالتها وقد أمالت ما تباعد عنها نحو قادر وزعم سيبويه أن ذلك لغة قوم ترضى عربيتهم وكذلك طارد وغارم وطاهر وكل ذلك تجوز امالته إذا كانت الراء مكسورة وقال سيبويه وينشد أصحاب هذه اللغة :

عَسَى اللهُ يُغْنِي عَنْ بِلاد ابنِ قَادِرٍ بِمُنْهَمِرٍ جَوْنِ الرَّبَابِ سَكُوبِ[١]

وأما قوله ماهيه فيوقف عندها لأنها فاصلة والفواصل مواضع وقوف كما أن أواخر الأبيات كذلك وهذا مما يقوي حذف الياء من يسر وما أشبهه ألا ترى أنهم حذفوا الياء من نحو قوله :

وَلأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي[٢]

[ اللغة ] القارعة البلية التي تقرع القلب بشدة المخافة والقرع الضرب بشدة الاعتماد قرع يقرع قرعاً ومنه المقرعة وتقارع القوم في القتال إذا تضاربوا بالسيوف والقرعة كالضرب بالفال وقوارع الدهر دواهيه والفراش الجراد الذي ينفرش ويركب بعضه بعضاً وهو غوغاء الجراد عن الفراء والمبثوث المتفرق في الجهات كأنه محمول على الذهاب فيها والبثّ التفريق وابثثته الحديث إذا ألقيته إليه كأنك فرقته بأن جعلته عند اثنين والعهن الصوف ذو الألوان يقال عهن وعهنة وعيشة راضية مرضية بمعنى المفعول وقيل معناه ذات رضى كقولهم فلان نابل أي ذو نبل قال :

وَغَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرُ

أي ذو لبن وتمر وقال النابغة :

---

(١) البيت منسوب إلى سماعه بن أشمول . وانهمر الماء : سال والجون : الأبيض . والرباب : السحاب الأبيض وسكب الماء : صب.

(٢) هذا البيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى المزني يمدح بها هرم بن سنان ومطالعها : « لمن الديار بقنة الحجر * أقوين مذ حجج ومذ دهر » وقد مر بمعناه في صفحة ٧٣٣ من هذا المجلد.

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ[1]

أي ذي نصب والهاوية من أسماء جهنم وهي المهواة التي لا يدرك قعرها .

[ **الإعراب** ] القارعة مبتدأ وما مبتدأ ثان وما بعده خبره وكان حقه القارعة ما هي لكنّه سبحانه كرَّر تفخيماً لشأنها ومثله قوله لا أقسم بهذا البلد وأنت حلٌّ بهذا البلد والجملة خبر المبتدأ الأول ويجوز أن يكون قوله القارعة مبتدأ ويكون الناس خبره بمعنى أن القارعة تحدث في هذا اليوم فيكون قوله ما القارعة وما أدراك ما القارعة اعتراضاً ويجوز أن يكون التقدير هذا الأمر يقع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث .

[ **المعنى** ] ﴿ **القارعة** ﴾ اسم من أسماء يوم القيامة لأنها تقرع القلوب بالفزع وتقرع أعداء الله بالعذاب ﴿ **ما القارعة** ﴾ هذا تعظيم لشأنها وتهويل لأمرها ومعناه وأيُّ شيء القارعة ثم عجَّب نبيَّه ﷺ فقال ﴿ **وما أدراك ما القارعة** ﴾ يقول انك يا محمد لا تعلم حقيقة أمرها وكنه وصفها على التفصيل وإنما تعلمها على سبيل الإجمال ثم بيَّن سبحانه أنها متى تكون فقال ﴿ **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** ﴾ شبَّه الناس عند البعث بما يتهافت في النار وقال قتادة هذا هو الطائر الذي يتساقط في النار والسراج وقال أبو عبيدة هو طير ينفرش ليس بذباب ولا بعوض لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم إلى بعض فالفراش إذا ثار لم يتجه إلى جهة واحدة فدلَّ ذلك على أنهم يفزعون عند البعث فيختلفون في المقاصد على جهات مختلفة وهذا مثل قوله كأنهم جراد منتشر ﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ وهو الصوف المصبوغ المندوف والمعنى أن الجبال تزول عن أماكنها وتصير خفيفة السير ثم ذكر سبحانه أحوال الناس فقال ﴿ **فأما من ثقلت موازينه** ﴾ أي رجحت حسناته وكثرت خيراته ﴿ **فهو في عيشة راضية** ﴾ أي معيشة ذات رضى يرضاها صاحبها ﴿ **وأما من خفت موازينه** ﴾ أي خفت حسناته وقلّت طاعاته والقول في حقيقة الوزن والميزان والاختلاف في ذلك قد مضى ذكره فيما سبق من الكتاب وقد ذكر سبحانه الحسنات في الموضعين ولم يذكر وزن السيئات لأن الوزن عبارة عن القدر والخطر والسيئة لا خطر لها ولا قدر وإنما الخطر والقدر للحسنات فكأن المعنى فأما من عظم قدره عند الله لكثرة حسناته ومن خفَّ قدره عند الله لخفة حسناته ﴿ **فأمه هاوية** ﴾ أي فمأواه جهنم ومسكنه النار وإنما سمّاها أمه لأنه يأوي إليها كما يأوي الولد إلى أمه ولأن الأصل السكون إلى الأمهات قال قتادة هي كلمة عربية كان الرجل إذا وقع

---

(١) مضى البيت في صفحة ٧٧٠.

في أمر شديد قيل هوت أمه وقيل إنما قال فأمه هاوية لأن العاصي يهوي إلى أم رأسه في النار عن أبي صالح وقيل أنه يهوي فيها وهي المهواة لا يدرك قعرها ثم قال سبحانه ﴿ **وما أدراك ما هيه** ﴾ هذا تعظيم وتفخيم لأمرها يريد أنك لا تعلم تفصيلها وأنواع ما فيها من العقاب وإن كنت تعلمها على طريق الجملة والهاء في هيه للوقف ثم فسَّرها فقال ﴿ **نار حامية** ﴾ أي نار حارة شديدة الحرارة .

# (١٠٢) سورة التكاثر مكية وآياتها ثمان

مدنية وقيل مكية ثمان آيات بالإجماع .

[ فضلها ] في حديث أبي ومن قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية . شعيب العقرقوفي عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ سورة الهاكم التكاثر في فريضة كتب له ثواب وأجر مائة شهيد ومن قرأها في نافلة كان له ثواب خمسين شهيداً وصلى معه في فريضته أربعون صفاً من الملائكة . وعن درست عن أبي عبد الله ( ع ) قال قال رسول الله ﷺ من قرأ ألهاكم التكاثر عن النوم وقي فتنة القبر .

[ تفسيرها ] أخبر الله سبحانه في تلك السورة عن صفة القيامة وذكر في هذه السورة من ألهاه عنها التكاثر فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

[ القراءة ] قرأ ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء وروي ذلك عن علي ( ع ) والباقون لترون بالفتح .

[ الحجة ] قال أبو علي من قال لترون بضم التاء فإن رأى فعل يتعدّى إلى مفعول واحد تقول رأيت الهلال كما تقول لبست ثوبك فإذا نقلت الفعل بالهمزة زاد مفعول آخر تقول أريت زيداً الهلال فإذا بنيت هذا الفعل للمفعول قلت أري زيد الهلال وكذلك لترون الجحيم .

[ اللغة ] الإلهاء الصرف إلى اللهو واللهو الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى يقال لها يلهو لهواً ولهى عن الشيء يلهى ومنه قولهم فإذا استأثر الله بشيء قاله عنه والتكاثر التفاخر بكثرة المناقب يقال تكاثر القوم إذا تعادّوا ما لهم من المناقب والزيارة إتيان الموضع كإتيان المألوف على غير إقانة زاره يزوره زيارة ومنه زوّر تزويراً إذا شبّه الخط بما يوهم أنه خط فلان وليس به والمزورة من ذلك اشتقّت والفرق بين النعيم والنعمة أن النعمة كالانعام في التضمين لمعنى منعم أنعم انعاماً ونعمة وكلاهما موجب للشكر والنعيم ليس كذلك لأنه من نعم نعيماً فلو عمل ذلك بنفسه لكان نعيماً لا يوجب شكراً وأما النَعمة بفتح النون فمن نعم بضم العين إذا لان .

[ الإعراب ] كلا حرف وليس باسم وتضمنه معنى ارتدع لا يدل على أنه كصه بمعنى أسكت ومه بمعنى اكفف ألا ترى أن أما تتضمن معنى مهما يكن من شيء وهو حرف فكذا كلا ينبغي أن يكون حرفاً كلا لو تعلمون جواب لو محذوف وتقديره لما ألهاكم التكاثر. وعلم اليقين مصدر وقيل هو قسم والتقدير وعلم اليقين لترون الجحيم أي عذاب الجحيم فحذف لأن رؤيتها ليس بوعيد وإن الوعيد برؤية عذابها وتقديره في الإعراب علم الخبر اليقين فحذف المضاف ومثله حبُّ الحصيد ولا يجوز الهمز في واو لترون ولترونها على قياس أثؤب في أثوب واعد في وعد لأن الضمة هنا عارضة لالتقاء الساكنين وليست بلازمة وأما عين اليقين فانتصابه انتصاب المصدر أيضاً كما تقول رأيته حقاً وتبينته يقيناً والرؤية هنا بمعنى المشاهدة كما قال سبحانه وإن منكم إلا واردها .

[ النزول ] قيل نزلت السورة في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً عن قتادة وقيل نزلت في فخذ من الأنصار تفاخروا عن أبي بريدة وقيل نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف بن قصي وبني سهم بن عمرو تكاثروا وعدّوا أشرافهم فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم وقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية عن مقاتل والكلبي .

[ المعنى ] ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ أي شغلكم عن طاعة الله وعن ذكر الآخرة التكاثر بالأموال والأولاد والتفاخر بكثرتهما ﴿ **حتى زرتم المقابر** ﴾ أي حتى أدرككم الموت على تلك الحال عن الحسن وقتادة وقال الجبائي حتى متم على ذلك ولم تتوبوا وقيل ألهاكم التباهي بكثرة المال والعدد عن تدبّر أمر الله حتى عددتم الأموات في القبور وروى قتادة عن مطرف بن عبد الله الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول ألهاكم التكاثر السورة قال يقول ابن آدم مالي مالي ومالَك من مالِك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت أورده مسلم في الصحيح ثم ردَّ الله تعالى عليهم هذا فقال ﴿ **كلا** ﴾ أي ليس الأمر الذي ينبغي أن تكونوا عليه التكاثر ثم أوعدهم فقال ﴿ **سوف تعلمون** ﴾ ثم أكَّد ذلك وكرَّره فقال ﴿ **ثم كلا سوف تعلمون** ﴾ قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تباهيكم وتكاثركم إذا نزل بكم الموت وقيل معناه سوف تعلمون في القبر ثم سوف تعلمون في الحشر رواه زرّ بن حبيش عن علي (ع) قال ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ إلى قوله ﴿ **كلا سوف تعلمون** ﴾ يريد في القبر ثم كلا سوف تعلمون بعد البعث وقيل ان المعنى كلا سوف تعلمون إذا رأيتم دار الابرار ثم كلا سوف تعلمون إذا رأيتم دار الفجار والعرب تؤكّد بكلّا وحقّاً ﴿ **كلا لو تعلمون علم اليقين** ﴾ هذا كلام آخر يقول لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لشغلكم ما تعلمون عن التفاخر والتباهي بالعز والكثرة وعلم اليقين هو العلم الذي يثلج به الصدر بعد اضطراب الشك فيه ولهذا لا يوصف الله بأنه متيقن ثم استأنف سبحانه وعيداً آخر فقال ﴿ **لترون الجحيم** ﴾ على نية القسم عن مقاتل يعني حين تبرز الجحيم في القيامة قبل دخولهم إليها ﴿ **ثم لترونها** ﴾ يعني بعد الدخول إليها ﴿ **عين اليقين** ﴾ كما يقال حق اليقين ومحض اليقين ومعناه ثم لترونها بالمشاهدة إذا دخلتموها وعذبتم بها ﴿ **ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم** ﴾ قال مقاتل يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه إذ لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره واشركوا به ثم يعذبون على ترك الشكر وهذا قول الحسن قال لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار وقال الأكثرون أن المعنى ثم لتسئلن يا معاشر المكلفين عن النعيم قال قتادة إن الله سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه وقيل عن النعيم في المأكل والمشرب وغيرهما من المرذ عن سعيد بن جبير وقيل النعيم الصحة والفراغ عن عكرمة ويعضده ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل هو الأمن والصحة عن عبد الله بن مسعود ومجاهد وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وقيل يسأل عن كل نعيم إلا ما خصَّه الحديث وهو قوله ثلاث لا يسأل

عنها العبد خرقة يواري بها عورته أو كسرة يسدُّ بها جوعته أو بيت يكنّه من الحرّ والبرد وروي أن بعض الصحابة أضاف النبي ﷺ مع جماعة من أصحابه فوجدوا عنده تمراً وماء بارداً فأكلوا فلما خرجوا قال هذا من النعيم الذي تسألون عنه وروى العياشي بإسناده في حديث طويل قال سأل أبو حنيفة أبا عبد الله (ع) عن هذه الآية فقال له ما النعيم عندك يا نعمان قال القوت من الطعام والماء البارد فقال لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها وشربة شربتها ليطولنَّ وقوفك بين يديه قال فما النعيم جعلت فداك قال نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألف الله بين قلوبهم وجعلهم أخواناً بعد أن كانوا أعداء وبنا هداهم الله للإسلام وهي النعمة التي لا تنقطع والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم الله به عليهم وهو النبي ﷺ وعترته .

# (١٠٣) سورة العصر مكية وآياتها ثلاث

مكية ثلاث آيات بالإجماع .

[ اختلافها ] آيتان والعصر غير المكي والمدني الأخير بالحق مكي والمدني الأخير .

[ فضلها ] في حديث أبي ومن قرأها ختم الله له بالصبر وكان مع أصحاب الحق يوم القيامة. الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله (ع ) قال من قرأ والعصرفي نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه ضاحكاً سنّه قريرة عينه حتى يدخل الجنة .

[ تفسيرها ] ختم الله سبحانه تلك السورة بوعيد من الهاه التكاثر وافتتح هذه السورة بمثل ذلك وهو أن الإنسان لفي خسر إلا المؤمن الصالح فقال سبحانه :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

[ اللغة ] أصل العصر عصر الثوب ونحوه وهو فتله لإخراج مائه ومنه عصر الدهر فإنه الوقت الذي يمكن فيه فتل الأمور كما يفتل الثوب والعصر العشي قال :

يَـرُوحُ بِنَـا عَمْـرٌو وَقَـدْ قَصُـرَ الْعَصْـرُ وَفِي الـرَّوْحَـةِ الأُولَى الْغَنِيمَـةُ وَالأَجْـرُ

والعصران الغداة والعشي والعصران الليل والنهار قال :

وَلَـنْ يَلْبِـثَ الْـعَـصْـرانِ يَـوْمٌ وَلَـيْـلَةٌ إذا طَـلَـبـا أنْ يُـدْرِكـا مـا تَـيَـمَّـمـا

[ الإعراب ] أراد بالإنسان الجمع دون المفرد بدلالة أنه استثنى منه الذين آمنوا وروى بعضهم عن أبي عمرو وتواصوا بالصبر على لغة من قال مررت ببكر .

[ المعنى ] ﴿ والعصر ﴾ أقسم سبحانه بالدهر لأن فيه عبرة لـذوي الأبصار من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار وهو قول ابن عباس والكلبي والجبائي وقيل هـو وقت العشي عن الحسن وقتادة فعلى هذا أقسم سبحانه بالطرف الأخير من النهار لما في ذلك من الدلالة على وحدانية الله تعالى بإدبار النهار وإقبال الليل وذهاب سلطان الشمس كما أقسم بالضحى وهو الطرف الأول من النهار لما فيه من حدوث سلطان الشمس وإقبال النهار وأهل الملتين يعظمون هذين الوقتين وقيل اقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الـوسطى عن مقـاتل وقيل هو الليل والنهار ويقال لهما العصران عن ابن كيسان ﴿ إن الإنسان لفي خسر ﴾ هـذا جواب القسم والإنسان اسم الجنس والمعنى أنه لفي نقصان لأنه ينقص عمره كل يوم وهو رأس ماله فإذا ذهب رأس ماله ولم يكتسب به الطاعة يكون على نقصان طول دهره وخسران إذ لا خسران أعظم من استحقاق العقاب الدائم وقيل لفي خسر أي في هلكة عن الأخفش ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ استثنى من جملة الناس المؤمنين المصدّقين بتوحيد الله العاملين بطاعة الله ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ أي وصّى بعضهم بعضاً باتباع الحق واجتناب الباطل وقيل الحق القرآن عن الحسن وقتادة وقيل هو الإيمان والتوحيد عن مقاتل وقيل هو أن يقولوا عند الموت لمخلفيهم لا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴿ وتـواصوا بـالصبر ﴾ أي وصّى بعضهـم بعضاً بالصبر على تحمل المشاق في طـاعة الله عن الحسن وقتـادة وبالصبـر عن معاصي الله أي فإن هؤلاء ليسوا في خسر بـل هم في أعظم ربـح وزيادة يـربحون الثـواب باكتساب الطاعات وانفاق العمر فيها فكأن رأس مالهم باق كما أن التاجر إذا خرج رأس المال من يده وربح عليه لم يعدّ ذلك ذهاباً وقيل لفي خسر معناه لفي عقوبة وغبن من فوت أمهله ومنزله في الجنة وقيل المراد بالإنسان الكافر خاصة وهو أبو جهل والوليد بن المغيرة وفي هذه السورة أعظم دلالة على إعجاز القرآن ألا ترى أنها مع قلة حروفها تدل على جميع ما يحتاج النـاس إليه في الـدين علماً وعمـلاً وفي وجوب التـواصي بالحق والصبـر إشارة إلى الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى التوحيد والعدل واداء الـواجبات والاجتنـاب عن المقبحات وقيل أن في قراءة ابن مسعود والعصر ان الإنسان لفي خسر وأنه فيه إى آخر الدهر وروي ذلك عن علي ( ع ) .

# (١٠٤) سورة الهمزة مكية وآياتها تسع

مكية وهي تسع آيات بالإجماع .

[ فضلها ] وفي حديث أبي من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد ﷺ وأصحابه . أبو بصير عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ ويل لكل همزة في فريضة من فرائضه نفت عنه الفقر وجلبت عليه الرزق وتدفع عنه ميتة السوء .

[ تفسيرها ] أجمل سبحانه في تلك السورة أن الإنسان لفي خسر وفصل في هذه السورة تلك الجملة فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

[ القراءة ] قرأ أهل البصرة وابن كثير ونافع وعاصم جمع بالتخفيف والباقون جمّع بالتشديد. مؤصدة وذكرناه في سورة البلد وقرأ أهل الكوفة غير حفص في عُمُد بضمتين والباقون في عمد بفتح العين والميم .

[ الحجة ] قال أبو الحسن المثقلة أكثر تقول فلان يجمع المال من هنا ومن هنا قال أبو عمرو وجمع خفيفة إذا أكثر وإذا ثقل فإنما هو شيء بعد شيء قال أبو علي وقد يجوز أن يكون جمع لما يجمع فيما قرب من الوقت ولم يجمع شيئاً بعد شيء قال سبحانه ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً وقال الأعشى :

وَلِمِثْلِ الَّذِي جَمَعْتَ لِرَيْبِ الدَّ ... هْرِ لا مُسْنَدٌ وَلا زُمَّالُ[١]

والأشبه أن تكون أداة الحرب لا تجمع في وقت واحد وإنما هو شيء بعد شيء فيجوز على هذا أن يكون شيئاً بعد شيء في قول من خفف كما تقول ذلك في قول من ثقل ومن قرأ عُمُد جعله جمعاً لعَمُود مثل قَدُوم وقُدُم وَزَبُور وزُبُر ومن قال عَمَد فإنه جمع عمود أيضاً كما قالوا أَفَق وأَدَم وأَهَبَ في جمع أفيق وأديم واهاب وهذا اسم من أسماء الجمع غير مستمرٍّ وقد قالوا حارس وحَرَس وغائب وغَيَب وخادم وخَدَم ورائح ورَوَح وهو في أنه غير مطّرد مثل عمد .

[ اللغة ] الهمزة الكثير الطعن على غيره بغير حق العائب له بما ليس بعيب وأصل الهمز الكسر فكان العائب بعيبه إياه وطعنه فيه يكسره ويهمزه وقيل لأعرابي أتهمَز الفارة قال السنور تهمزها وكان الهمز في الكلام نبرة كالطعنة بقوة اعتمادها واللمز العيب أيضاً والهمزة واللمزة بمعنى وقد قيل بينهما فرق فإن الهمزة الذي يعيبك بظهر الغيب واللمزة الذي يعيبك في وجهك عن الليث وقيل الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء لفظه واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير برأسه ويومىء بعينه ويقال لمزه يلمزه ويلمزه بكسر الميم وضمها ورجل لماز ولمزة وهماز وهمزة قال زياد الأعجم :

تُدْلِي بِوُدِّي إِذَا لاقَيْتَنِي كَذِباً ... وَإِنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللُّمَزَةَ

والحطمة الكثير الحطم أي الأكل ورجل حطمة أكول وحطم الشيء إذا كسره وأذهبه قال :

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَم ... لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلا غَنَم[٢]

وفعلة بناء المبالغة في صفة من يكثر منه الفعل ويصير عادة له تقول رجل نكحة كثير النكاح وضحكة كثير الضحك وكذا همزة ولمزة وفعلة ساكنة العين يكون للمفعول به .

---

(١) المسند: الدعي . والزمال: الجبان .

(٢) مضى البيت في المجلد الثاني .

[ **الإعراب** ] الذي جمع في موضع جر على البدل من همزة ولا يجوز أن يكون صفة لأنه معرفة ويجوز أن يكون في موضع نصب على إضمار أعنى وفي موضع رفع على إضمار هو وفي حرف عبد الله ويل للهمزة اللمزة فعلى هذا الوجه يكون صفة. لينبذن يعني الجامع للمال وروي في الشواذ عن الحسن لينبذانّ يعني الجامع والمال. ونار الله تقديره هي نار الله.

[ **المعنى** ] ﴿ **ويل لكل همزة لمزة** ﴾ هذا وعيد من الله سبحانه لكل مغتاب غياب مشاء بالنميمة مفرّق بين الأحبة عن ابن عباس وعنه أيضاً قال الهمزة الطعان واللمزة المغتاب وقيل الهمزة المغتاب واللمزة الطعان عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل الهمزة الذي يطعن في الوجه بالعيب واللمزة الذي يغتاب عند الغيبة عن الحسن وأبي العالية وعطاء بن أبي رباح وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه وبعينه عن ابن زيد ﴿ **الذي جمع مالاً وعدَّده** ﴾ أي أحصاه عن الفراء وقيل عدَّده للدهور فيكون من العدة عن الزجاج يقال أعددت الشيء وعددته إذا أمسكته وقيل جمع مالاً من غير حلّه ومنعه من حقه وأعدَّه ذخراً لنوائب دهره عن الجبائي وقيل أن الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ويطعن عليه في وجهه عن مقاتل وقيل نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وكان يلمز الناس ويغتابهم عن الكلبي ثم ذكر سبحانه طول أمله فقال ﴿ **يحسب أن ماله أخلده** ﴾ أي يظنّ أن ماله الذي جمعه يخلده في الدنيا ويمنعه من الموت فأخلده في معنى يخلده لأن قوله يحسب يدلُّ عليه وإنما قال ذلك وإن كان الموت معلوماً عند جميع الناس لأنه يعمل عمل من يتمنى ذلك وقيل أخلده بمعنى أوجب إخلاده وهذا كما يقال هلك فلان إذا حدث به سبب الهلاك وإن لم يقع هلاكه بعد ثم قال سبحانه ﴿ **كلا** ﴾ أي لا يخلده ماله ولا يبقى له وقيل معناه ليس الأمر كما حسب وقيل معناه حقاً ﴿ **لينبذن في الحطمة** ﴾ أي ليقذفن ويطرحن من وصفناه في الحطمة وهي اسم من أسماء جهنم قال مقاتل وهي تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب ثم قال سبحانه ﴿ **وما أدراك ما الحطمة** ﴾ تفخيماً لأمرها ثم فسَّرها بقوله ﴿ **نار الله الموقدة** ﴾ أي المؤججة أضافها سبحانه إلى نفسه ليعلم أنها ليست كسائر النيران ثم وصفها بالإيقاد على الدوام ﴿ **التي تطلع على الأفئدة** ﴾ أي تشرف على القلوب فيبلغها المها وحريقها وقيل معناه أن هذه النار تخرج من الباطن الى الظاهر بخلاف نيران الدنيا ﴿ **انها عليهم مؤصدة** ﴾ يعني أنها على أهلها مطبقة يطبق أبوابها عليهم تأكيداً للأياس عن الخروج ﴿ **في عمد ممددة** ﴾ وهي جمع عمود وقال أبو عبيدة كلاهما جمع عماد قال وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار وقال مقاتل أطبقت

الأبواب عليهم ثم شدَّت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع إليهم غمُّها وحرّها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح وقال الحسن يعني عمد السرادق في قوله وأحاط بهم سرادقها فإذا مدَّت تلك العمد أطبقت جهنم على أهلها نعوذ بالله منها وقال الكلبي في عمد مثل السواري ممددة مطولة تمد عليهم وقال ابن عباس هم في عمد أي في اغلال في أعناقهم يعذبون بها وروى العياشي بإسناده عن محمد بن النعمان الأحول عن حمران بن أعين عن أبي جعفر ( ع ) قال أن الكفار والمشركين يعيرون أهل التوحيد في النار ويقولون ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً وما نحن وأنتم الاّ سواء قال فيأنف لهم الرب تعالى فيقول للملائكة اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثم يقول للنبيين اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثم يقول للمؤمنين اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ويقول الله أنا أرحم الراحمين اخرجوا برحمتي كما يخرج الفراش قال ثم قال أبو جعفر ( ع ) ثم مدت العمد وأوصدت عليهم وكان والله الخلود .

# (١٠٥) سورة الفيل مكية وآياتها خمس

مكية خمس آيات بالإجماع .

[ **فضلها** ] في حديث أبي من قرأها عافاه الله أيام حياته في الدنيا من المسخ والقذف . أبو بصير عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ في الفريضة ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** ﴾ شهد له يوم القيامة كل سهل وجبل ومدر بأنه كان من المصلين وينادي يوم القيامة مناد صدقتم على عبدي قبلت شهادتكم له أو عليه أدخلوا عبدي الجنة ولا تحاسبوه فإنه ممن أحبُّه وأحبُّ عمله ومن أكثر قراءة ﴿ **لإيلاف قريش** ﴾ بعثه الله يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة حتى يقعد على موائد النور يوم القيامة .

[ **تفسيرها** ] ذكر الله سبحانه في تلك السورة ما أعدَّه من العذاب لمن عاب الناس واغتابهم وركن إلى الدنيا وبيَّن في هذه السورة ما فعله بأصحاب الفيل قال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة أبي عبد الرحمن ألم تر بسكون الراء .

[ **الحجة** ] قال ابن جني أن هذا السكون بابه الشعر دون القرآن لما فيه من إستهلاك

الحرف والحركة قبله يعني الألف والفتحة من ترى أنشد أبـو زيد « قـالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنـا سَوِيقاً »(١) يريد إشْتَرِ وأنشد :

قَـدْ حَجَّ فِي ذَا الْعـامِ مَنْ كانَ رَجـا فَـاكْتَـرْ لَنـا كَـرِيَّ صِـدْقٍ فَـالنَّجـا
وأحْـذَرْ فَـلا تَكْتَـرْ كَـرِيّـاً أعْـرَجـاً عِلْجـاً إذا سـارَ بِنـا عَفَنْجَجـا(٢)

فحذف كسرة إكْتَرْ في الموضعين(٣) .

[ اللغة ] أبابيل جماعات في تفرقة زمرة زمرة ولا واحد لها في قول أبي عبيدة والفراء كعباد يد وقال الكسائي واحدها إبّـول مثل عجـول وزعـم أبو جعفـر الرواسي أنـه سمع في واحدها إبالة .

[ الإعراب ] كيف فعل ربـك منصوب بفعـل على المصدر أو على الحـال من الرب والتقدير ألم تَرَ أيَّ فعل فعل ربك أو أمنتقماً فعل ربك بهم أم مجازياً ونحو ذلـك والجملة التي هي كيف فعل ربك سدّت مسدّ مفعولي ترى .

## [ قصة أصحاب الفيل ]

أجمعت الـرواة على أن ملك اليمن الذي قصـد هدم الكعبـة هو أبـرهة بن الصبـاح الأشرم وقيل أن كنيته أبو يكسوم قال الواقدي هو صاحب النجاشي جدّ النجاشي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ وقال محمد بن يسار أقبل تبع حتى نزل على المدينة فنزل بوادي قبا فحفر بها بئراً يدعى اليوم بئر الملك قال وبالمـدينة إذ ذاك يهـود والأوس والخزرج فقـاتلوه وجعلوا يقاتلونه بالنهار فإذا أمسى أرسلوا إليه بالضيافـة فاستحيـا وأراد صلحهم فخرج إليـه رجل من الأوس يقال له أحيحة بن جلاح وخرج إليه من اليهود بنيامين القرظي فقال أحيحة أيها الملك نحن قومك وقال بنيامين هذه بلدة لا تقدر على أن تدخلها ولو جهدت قال ولِمَ قال لأنها منزل نبي من الأنبياء يبعثه الله من قريش قال ثم خرج يسير حتى إذا كان من مكة على ليلتين بعث الله عليه ريحاً فقصفت يديه ورجليه وشنجت جسده فأرسل إلى من معه من اليهود فقال ويحكم ما الذي أصابني قالوا حدثت نفسك بشيء قال نعم وذكر ما أجمع عليه من هدم البيت وإصابة ما فيه قالـوا ذلك بيت الله الحـرام ومن أراده هلك قال ويحكم ومـا

(١) هذا صدر بيت لرؤبة بن العجاج على ما قيل .
(٢) الكرى : المكارى . والنجا أي أسرع . والعلج الرجل الضخم الجافي الضعيف العقل .
(٣) يعني في أكترو فلا تكتر .

المخرج مما دخلت فيه قالوا تحدث نفسك بأن تطوف به وتكسوه وتهدي لـه فحدث نفسه بذلك فأطلقه الله ثم سار حتى دخل مكة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وكسا البيت وذكر الحديث في نحره بمكة وإطعامه الناس ثم رجوعـه إلى اليمن وقتله وخروج ابنـه إلى قيصر واستغاثته به فيما فعل قومه بأبيه وأن قيصر كتب له إلى النجاشي ملك الحبشة وأن النجاشي بعث له ستين ألفاً واستعمل عليهم روزبه حتى قاتلوا حمير قتلة أبيه ودخلوا صنعاء فملكوها وملكوا اليمن وكان في أصحاب روزبه رجل يقال له أبرهة وهو أبو يكسوم فقال لروزبه إني أولى بهذا الأمر منك وقتله مكراً وأرضى النجاشي ثم أنه بنى كعبة باليمن وجعل فيها قبابا من ذهب فأمر أهل مملكته بالحج إليها يضاهي بذلك البيت الحرام وإن رجلاً من بني كنانة خرج حتى قدم اليمن فنظر إليها ثم قعد فيها يعني لحاجة الإنسان فدخلها أبرهة فوجد تلك العذرة فيها فقال من اجترأ عليَّ بهذا ونصرانيتي لأهدمنَّ ذلك البيت حتى لا يحجّه حاجّ أبداً ودعا بالفيل وأذن قومه بالخروج ومن إتبعه من أهل اليمن وكان أكثر من إتبعه منهم عك والأشعرون وخثعم قال ثم خرج يسير حتى إذا كان ببعض طريقه بعث رجلاً من بني سليم ليدعو الناس إلى حجّ بيته الذي يناه فتلقاه أيضاً رجل من الحمس من بني كنانة فقتله فازداد بذلك حنقـاً وحثَّ السير والإنطلاق وطلب من أهل الطائف دليلاً فبعثوا معه رجلاً من هذيل يقال له نفيل فخرج بهم يهديهم حتى إذا كانوا بالمغمس نزلوه وهو من مكة على ستة أميال فبعثوا مقدماتهم إلى مكة فخرجت قريش عباد يد في رؤوس الجبال وقالوا لا طاقة لنـا بقتال هؤلاء ولم يبق بمكة غير عبد المطلب بن هاشم أقام على سقايته وغيـر شيبة بن عثمـان بن عبد الـدار أقام على حجابة البيت فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي الباب ثم يقول :

لاَ هُمَّ إنَّ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَـامْنَعْ حِـلاَلَكْ    لاَ يَغْلِبُوا بِصَلِيبِهِمْ وَمِحَالِهِمْ عَدْواً مِحالك[١]
لاَ يَدْخُلُوا الْبَلَدَ الْحَرامَ إذاً فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكْ

ثم إن مقدمات أبرهة أصابت نعماً لقريش فأصابت فيها مائتي بعير لعبـد المطلب بن هاشم فلما بلغه ذلك خرج حتى أتى القوم وكان حاجب أبرهة رجلاً من الأشعرين وكانت له بعبد المطلب معرفة فاستأذن له على الملك وقال له أيها الملك جاءك سيد قريش الذي يطعم أنسها في الحي ووحشها في الجبل فقال له إئذن له وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً جميلاً فلما رآه أبو يكسوم أعظمه أن يجلسه تحته وكره أن يجلسه معه على سريره فنزل من سريره

---

(١) الحلال: القوم الحالون في المكان. والمحال: التدبير والقوة .

فجلس على الأرض وأجلس عبد المطلب معه ثم قال ما حاجتك قال حاجتي مائتا بعير لي أصابتها مقدمتك فقال أبو يكسوم والله لقد رأيتك فأعجبتني ثم تكلمت فزهدت فيك فقال ولِمَ أيها الملك قال لأني جئت إلى بيت عزّكم ومنعتكم من العرب وفضلكم في الناس وشرفكم عليهم ودينكم الذي تعبدون فجئت لأكسره وأصيبت لك مائتا بعير فسألتك عن حاجتك فكلّمتني في إبلك ولم تطلب إلي في بيتكم فقال له عبد المطلب أيها الملك أنا أكلمك في مالي ولهذا البيت ربّ هو يمنعه لست أنا منه في شيء فراع ذلك أبا يكسوم وأمر بردّ إبل عبد المطلب عليه ثم رجع وأمست ليلتهم تلك الليلة كالحة نجومها كأنها تكلمهم كلاماً لاقترابها منهم فأحست نفوسهم بالعذاب وخرج دليلهم حتى دخل الحرم وتركهم وقام الأشعرون وخثعم فكسروا رماحهم وسيوفهم وبرؤا إلى الله أن يعينوا على هدم البيت فباتوا كذلك بأخبث ليلة ثم أدلجوا بسحر فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبحوا بمكة فوجُّهوه إلى مكة فربض فضربوه فتمرغ فلم يزالوا كذلك حتى كادوا أن يصبحوا ثم أنهم أقبلوا على الفيل فقالوا لك الله أن لا نوجهك إلى مكة فانبعث فوجهوه إلى اليمن راجعاً فتوجه يهرول فعطفوه حين رأوه منطلقاً حتى إذا ردّوه إلى مكانه الأول ربض فلما رأوا ذلك عادوا إلى القسم فلم يزالوا كذلك يعالجونه حتى إذا كان مع طلوع الشمس طلعت عليهم الطير معها الحجارة فجعلت ترميهم وكل طائر في منقاره حجر وفي رجليه حجران وإذا رمت بذلك مضت وطلعت أخرى فلا يقع حجر من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقه ولا عظم إلا أوهاه وثقبه وتاب أبو يكسوم راجعاً قد أصابته بعض الحجارة فجعل كلما قدم أرضاً إنقطع له فيها أرب حتى إذا انتهى إلى اليمن لم يبق شيء إلا باده فلما قدمها تصدع صدره وانشقّ بطنه فهلك ولم يصب من الأشعرين وخثعم أحد قال وكان عبد المطلب يرتجز ويدعو على الحبشة يقول:

يَا رَبِّ لا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكا ... يَا رَبِّ فَامْنَعْ مِنْهُم حِمَاكا
إنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكا ... إنَّهُم لَمْ يَقْهَرُوا قُواكا(١)

قال ولم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاؤوا ويسألون عن نفيل ليدلَّهم على الطريق وقال نفيل في ذلك:

رُدِينَةُ لَوْ رَأَيْتَ وَلَنْ تَرِينَه ... لَدَىٰ جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا(٢)

---

(١) وفي تفسير الطبري وغيره «امنعهم أن يخربوا قراكا». (٢) ردينة: اسم امرأة. والمحصب: موضع رمى الجمار بمنى.

حَمِدْتِ اللّهِ إِذْ عايَنْتَ طَيْراً     وَخِفْتَ حِجارَةً تُلْقى عَلَيْنا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ     كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشانِ دَيْناً

وقال مقاتل بن سليمان السبب الذي جر أصحاب الفيل إلى مكة هو أنَّ فئة من قريش خرجوا تجاراً إلى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي حقف من أحقافها بيعة للنصارى تسمّيها قريش الهيكل ويسميها النجاشي وأهل أرضه ماسرخشان فنزل القوم فجمعوا حطباً ثم أججّوا ناراً واشتروا لحماً فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فذهبت الرياح بالنار فاضطرم الهيكل ناراً فغضب النجاشي لذلك فبعث أبرهة لهدم الكعبة وروى العياشي بإسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (ع) قال أرسل الله على أصحاب الفيل طيراً مثل الخطاف ـ ونحوه في منقاره حجر مثل العدسة فكان يحاذي برأس الرجل فيرميه بالحجارة فيخرج من دبره فلم تزل بهم حتى أتت عليهم قال فأفلت رجل منهم فجعل يخبر الناس بالقصة فبينا هو يخبرهم إذ أبصر طيراً فقال هذا هو منها قال فحاذى فطرحه على رأسه فخرج من دبره وقال عبيد بن عمير الليثي لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل فبعث عليهم طيراً نشأت من البحر كأنها الخطاطيف كل طير منها معه ثلاثة أحجار ثم جاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها فما من حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر وإن وقع على رأسه خرج من دبره وإن وقع على شيء من جسده خرج من الجانب الآخر وعن عكرمة عن ابن عباس قال دعا الله الطير الأبابيل فأعطاها حجارة سوداً عليها الطين فلما حاذت بهم رمتهم فما بقي أحد منهم إلا أخذته الحكة وكان لا يحك الإنسان منهم جلداً إلا تساقط لحمه قال وكانت الطير نشأت من قبل البحر لها خراطيم الطيور ورؤوس السباع لم تر قبل ذلك ولا بعده .

[ **المعنى** ] خاطب الله سبحانه نبيَّه ﷺ تنبيهاً على عظم الآية التي أظهرها والمعجزة التي فعلها فقال ﴿ **ألم تر** ﴾ أي ألم تعلم يا محمد لأنه ﷺ لم ير ذلك وقيل معناه ألم تخبر عن الفراء ﴿ **كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** ﴾ الذي قصدوا تخريب الكعبة وكان معهم فيل واحد اسمه محمود عن مقاتل وقيل ثمانية أفيال عن الضحاك وقيل إثنا عشر فيلاً عن الواقدي وإنما وحّد لأنه أراد الجنس وكان ذلك في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ وعليه أكثر العلماء وقيل كان أمر الفيل قبل مولد النبي ﷺ بثلاث وعشرين سنة عن الكلبي وقيل كان قبل مولده بأربعين سنة عن مقاتل والصحيح الأول ويدل عليه ما ذكر أن عبد الملك بن مروان قال لعتاب بن اشيم الكناني الليثي يا عتاب أنت أكبر أم رسول الله ﷺ قال عتاب رسول الله ﷺ

أكبر مني وأنا أسن منه ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ووقعت على روث الفيل وقالت عائشة رأيت قائد الفيل وسائقه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان ﴿ **ألم يجعل كيدهم في تضليل** ﴾ معناه ألم يجعل إرادتهم السوء واحتيالهم في تخريب البيت الحرام وقتل أهله وسبيهم واستباحتهم في تضليل عما قصدوا إليه ضلَّ سعيهم حتى لم يصلوا إلى ما أرادوه بكيدهم وقيل في تضليل أي في ذهاب وبطلان ﴿ **وأرسل عليهم طيراً أبابيل** ﴾ أي أقاطيع يتبع بعضها بعضاً كالإبل المؤبلة قال الأعشى :

طَـرِيـقٌ وَجَـبَّـارٌ رِوَاءٌ أُصُـولُـهُ    عَلَيْـهِ أَبَـابِيـلٌ مِنَ الـطَّيْـرِ تَنْعَبُ(١)

وقال امرؤ القيس :

تَـرَاهُمْ إِلَى الـدَّاعِي سِـرَاعـاً كَـأَنَّهُم    أَبَـابِيلُ طَيْـرٍ تَحْتَ دَاجِنٍ مُـدْجِنِ(٢)

وكانت لها خراطيم كخراطيم الطير وأكفّ كأكفّ الكلاب عن ابن عباس وقيل لها أنياب كأنياب السباع عن الربيع وقيل طير خضر لها مناقير صفر عن سعيد بن جبير وقيل طير سود بحرية تحمل في مناقيرها واكفّها الحجارة عن عبيد الله بن عمير وقتادة ويمكن أن يكون بعضها خضراً وبعضها سوداً ﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل** ﴾ أي تقذفهم بحجارة صلبة شديدة ليست من جنس الحجارة وقد فسَّرنا السجيل في سورة هود وما جاء من الأقوال فيه فلا معنى لإعادته وقال موسى بن عائشة كانت الحجارة أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وقال عبد الله بن مسعود صاحت الطير فرمتهم بالحجارة فبعث الله ريحاً فضربت الحجارة فزادتها شدّة فما وقع منها حجر على رجل الأخرج من الجانب الآخر فإن وقع على رأسه خرج من دبره ﴿ **فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ أي كزرع وتبن قد أكلته الدواب ثم راثته فديست وتفرقت أجزاؤه شبَّه الله تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث قال الحسن كنا ونحن غلمان بالمدينة نأكل الشعير إذا قصب وكان يسمى العصف وقال أبو عبيدة العصف ورق الزرع قال الزجاج أي جعلهم كورق الزرع الذي جز وأكل أي وقع فيه الأكال وكان هذا من أعظم المعجزات القاهرات والآيات الباهرات في ذلك الزمان أظهره الله تعالى ليدلَّ على وجوب معرفته وفيه إرهاص لنبوة نبينا ﷺ لأنه ولد في ذلك العام وقال قوم من المعتزلة أنه كان معجزة لنبي من الأنبياء في ذلك الزمان وربما قالوا هو خالد بن سنان ونحن لا نحتاج إلى ذلك لأنا نجوز

(١) الجبار من النخل: ما طال وفات يد المتناول. والنعب: صوت الطائر.

(٢) الدجى: المطر الكثير. وادجن المطر: دام .

إظهـار المعجزات على غيـر الأنبياء من الأئمـة والأولياء وفيـه حجة لائحـة قاصمـة لظهـور الفلاسفة والملحدين المنكرين للآيات الخارقة للعادات فإنه لا يمكن نسبة شيء ممـا ذكره الله تعالى من أمر أصحاب الفيل إلى طبع وغيره كما نسبوا الصيحة والريح العقيم والخسف وغيرهما ممـا أهلك الله تعالى بـه الأمم الخاليـة إلى ذلك إذ لا يمكنهم أن يـروا في أسرار الطبيعة إرسال جماعات من الطير معها أحجار معدّة مهيّأة لهلاك أقوام معينين قاصدات إياهم دون من سواهم فترميهم بها حتى تهلكهم وتدمر عليهم حتى لا يتعدى ذلك إلى غيرهم ولا يشك من له مسكة من عقل ولبّ أن هـذا لا يكون إلا من فعـل الله تعالى مسبّب الأسبـاب ومذلّل الصعاب وليس لأحد أن ينكر هذا لأن نبينا ﷺ لما قرأ هذه السورة على أهل مكة لم ينكروا ذلك بل أقرّوا به وصدّقوه مع شدة حرصهم على تكذيبه واعتنائهم بالردّ عليه وكـانوا قريبي العهد بأصحاب الفيل فلو لم يكن لذلك عندهم حقيقة وأصل لأنكروه وجحدوه وكيف وأنهم قد أرَّخوا بذلك كمـا أرخوا ببنـاء الكعبة وموت قصيّ بن كعب وغير ذلـك وقد أكثـر الشعراء ذكر الفيل ونظموه ونقلته الرواة عنهم فمن ذلك ما قاله أمية بن أبي الصلت .

إنَّ آيـاتِ رَبِّـنـا بَـيِّـنـاتٌ ... مـا يُـمـاري فِيـهِـن إلاّ الْكَـفُـورُ
حَـبَسَ الْفِيـلَ بِـالْمُـغمَّسِ حَـتّى ... ظَـلَّ يَـحْبُـو كَـأَنَّـهُ مَـعْـقُـورُ[١]

وقال عبد الله بن عمرو بن مخزوم :

أنـتَ الْجَـلِيـلُ رَبَّـنـا لَـمْ تَـدْنَس ... أنْتَ حَبَسْتَ الْـفِيـلَ بِـالْـمُـغَـمَّس
مِـنْ بَعْـدِمَـا هَـمَّ بِشَـيْءٍ مُـبْـلَسِ ... حَـبَسْـتَـهُ فِي هَـيْـئَـةِ الْـمُـكَـرْكَس

أي المنكس قال ابن الرقيات في قصيدة :

وَاسْـتَهَـلَّتْ عَـلَيْـهِـمُ الـطَّيْـرُ بِـالْـ ... ـجَنْـدَلِ حَتَّى كَـأَنَّـهُ مَـرْجُـومُ[٢]

(١) المغمس : موضع من مكة . والمعقور : الذي قطعت قوائمه . وفي رواية ابن هشام في السيرة « نافيات » .

# (١٠٦) سورة قريش مكية وآياتها أربع

مكية خمس آيات حجازي أربع آيات عند غيرهم .

[ **إختلافها** ] آية من جوع حجازي .

[ **فضلها** ] في حديث أبي من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها وروى العياشي بإسناده عن المفضل بن صالح عن أبي عبد الله ( ع ) قال سمعته يقول لا تجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلا ﴿ **الضحى وألم نشرح وألم تر كيف ولإيلاف قريش** ﴾. وعن أبي العباس عن أحدهما ( ع ) قال ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك . ولإيلاف قريش** ﴾ سورة واحدة وروي أن أبيّ بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه. وقال عمرو بن ميمون الأزدي صلّيت المغرب خلف عمر بن الخطاب وقرأ في الأولى ﴿ **والتين** ﴾ وفي الثانية ﴿ **ألم تر كيف ولإيلاف قريش** ﴾ .

[ **تفسيرها** ] ولما ذكر سبحانه عظيم نعمته على أهل مكة بما صنعه بأصحاب الفيل قال عقيب ذلك :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾
فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ
وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر ليلاف قريش بغير همز إلا فهم مختلسة الهمزة ليس بعدها ياء وقرأ ابن عامر لئلاف قريش مختلسة الهمزة ليس بعدها ياء إيلافهم مشبعة الهمزة في الحرفين بعدها ياء . وقرأ ابن فليح لإيلاف قريش الفهم ساكنة اللام ليس بعدها ياء وقرأ الآخرون لإيلاف قريش إيلافهم مشبعة الهمزة في الحرفين بعدها ياء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي قال أبو عبيدة الفته وآلفته لغتان أنشد أبو زيد :

مِنَ الْمُؤْلِفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ　　شُعَاعُ الضُّحىٰ فِي جِيدِهَا يَتَوضَّحُ(١)

وأنشد غيره :

أَلِفَ الصُّفُونَ فَلَا يَزَالُ كَأَنَّهُ　　مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيراً(٢)

وقال آخر :

زَعَمْتُمْ أَنَّ إخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ　　لَهُمْ إلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إلافُ

والألف والآلاف مصدر ألف والإيلاف مصدر آلف .

[ **اللغة** ] الإيلاف إيجاب الألف بحسن التدبير والتلطف يقال ألف يألف الفا وآلفه يؤلفه إيلافاً إذا جعله يألف فالإيلاف نقيض الإيحاش ونظيره الإيناس وألف الشيء لزومه على عادة في سكون النفس إليه. والرحلة حال السير على الراحلة وهي الناقة القوية على السير ومنه الحديث المروي الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة والرحل متاع السفر والإرتحال إحتمال الرحل للسير في السفر .

[ **الإعراب** ] قال أبو الحسن الأخفش اللام في قوله ﴿ **لإيلاف قريش** ﴾ يتعلق بقوله ﴿ **كعصف مأكول** ﴾ أي فعلنا ذلك بهم لتأتلف قريش رحلتها وقال الزجاج معناه أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف قال أبو علي إعترض معترض فقال إنما جعلوا كعصف مأكول لكفرهم ولم يجعلوا كذلك لتألف قريش قال وليس هذا الإعتراض بشيء لأنه يجوز أن يكون المعنى أهلكوا لكفرهم ولما أدّى إهلاكهم إلى أن تألف قريش جاز كقوله تعالى ﴿ **ليكون لهم عدواً وحزناً** ﴾ وهم لم يلتقطوه لذلك فلما آل

(١) قائله ذو الرمة شبه امرأة بالظباء التي ألفت الرمل. والإدماء من الظباء: البيضاء التي يعلوها جدد. والحرة أرض ذات حجارة.

(٢) يصف فرساً. وصففت الدابة: قامت على ثلاث وثنت سنبك يدها الرابع .

الأمر إليه حسن أن يجعله علة الإلتقاط وقال الخليل وسيبويه فليعبدوا ربَّ هذا البيت لإيلاف قريش أي ليجعلوا عبادتكم شكراً لهذه النعمة واعترافاً بها وقيل هو على ألم تر كيف فعل ربك لإيلاف قريش عن الفراء لأنه سبحانه ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة .

[ المعنى ] ﴿لإيلاف قريش﴾ أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منّا على قريش مضافة الى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف فكأنه قال نعمة الى نعمة فتكون اللام مؤدية معنى الى وهو قول الفراء وقيل معناه فعلنا ذلك لتألف قريش بمكة ويمكنهم المقام بها أو لتؤلف قريشاً فإنهم هابوا من ابرهة لما قصدها وهربوا منه فأهلكناهم لترجع قريش الى مكة ويألفوا بها ويولد محمد ﷺ فيبعث الى الناس بشيراً ونذيراً وقوله ﴿إيلافهم﴾ ترجمة عن الأول وبدل منهم ﴿ورحلة الشتاء والصيف﴾ منصوبة بوقوع ايلافهم عليها وتحقيقه ان قريشاً كانت بالحرم آمنة من الاعداء ان تهجم عليهم فيه وان يعرض لهم احد بالسوء إذا خرجت منها لتجارتها والحرم وادٍ جديب انما كانت تعيش قريش فيه بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة رحلة في الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية ورحلة في الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة ولولا هاتان الرحلتان لم يمكنهم به مقام ولولا الأمن لم يقدروا على التصرف فلما قصد اصحاب الفيل مكة أهلكهم الله لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم ومقامهم بمكة وقيل ان كلتا الرحلتين كانت الى الشام ولكن رحلة الشتاء في البحر وايلة طلب للدفأ ورحلة الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة ولولاهاتين الرحلتين لم يمكنهم به مقام ولولا الأمن لم يقدروا على التصرف فلما قصد اصحاب الفيل مكة أهلكهم الله لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم ومقامهم بمكة وقيل ان كلتا الرحلتين كانت الى الشام ولكن رحلة الشتاء في البحر وايلة طلب للدفأ ورحلة الصيف الى بُصرى واذرعات طلباً للهواء واما قريش فهم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي واختلف في تسميتهم بهذا الاسم فقيل سموا قريشاً للتجارة وطلب المال وجمعه وكانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب ضرع ولا زرع والقرش المكسب يقال هو يقرش لعياله أي يكتسب لهم وذكر أنه قيل لابن عباس لم سميت قريش قريشاً فقال لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه يقال لها القريش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا أكلته قيل أفتنشد في ذلك شيئاً فأنشد قول الجمحي :

وَقُـرَيْشٌ هِـيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ    بِـهَـا سُـمِّـيَـتْ قُـرَيْـشٌ قُـرَيْـشـاً

تَـأْكُلُ الْـغَـثَّ والـسَّـمـيـنَ وَلا تَـتْـرُكُ فيـهِ لَـدَى الْـحَـنَـاجِـرِ ريـشـاً

وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم احد بسوء وكانـوا يقولون قريش سُكّان حرم الله وولاة بيته قال الكلبي وكان اول من حمـل الميـرة مـن الشـام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف ويصدقه قول الشاعر:

تَـحَـمَّـلَ هَـاشِـمٌ مَـا ضَـاقَ عَـنْـهُ واعْـيـا أَنْ يَـقُـومَ بِـهِ ابْـنُ بِـيضٍ
أَتَـاهُـمْ بِـالْـغَـرائِـزِ مُـتْـأَقَـاتٍ مِـنْ أَرْضِ الشَّـامِ بِـالْـبُـرِّ النَّـفيضِ
فَـوَسَّـعَ أَهْـلَ مَـكَّـةَ مِـنْ هَشيمٍ وَشَـابَ الْبُـرَّ بِـاللَّحْمِ الْغَـرِيضِ(١)

وقال سعيد بن جبير مرَّ رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر بملأ وهم ينشدون :

يَـا ذَا الَّـذي طَلَبَ السَّمَـاحَـةَ والنَّـدى هَـلّا مَـرَرْتَ بِـآلِ عَـبْـدِ الـدَّارِ
لَـوْ أَنْ مَـرَرْتَ بِـهِـمْ تُـرِيـدُ قِـراهُـمُ مَـنَـعُـوكَ مِـنْ جَـهْـدٍ وَمِـنْ اقْـتَـارِ

فقال لأبي بكر أهكذا قال الشاعر فقال لا والذي بعثك بالحق بل قال:

يَـا ذَا الَّـذِي طَلَبَ السَّمَـاحَـةَ والنَّـدَىٰ هَـلّا مَـرَرْتَ بِـآلِ عَـبْـدِ مَـنَـافِ
لَـوْ أَنْ مَـرَرْتَ بِـهِـمْ تُـرِيـدُ قِـراهُـمُ مَنَـعُـوكَ مِـنْ جُـهْـدٍ ومِـنْ إيـجَـافِ(٢)
الـرَّائـشـيـنَ وَلَـيْـسَ يُـوجَـدُ رَائِشٌ وَالْـقَـائِـلِـيـنَ هَـلُـمَّ لِـلأَضْـيَـافِ(٣)
والْـخَـالِـطِـينَ غَـنِيَّـهُـمْ بفَقيْرِهِـمْ حَـتّى يَـصِـيـرَ فَـقِـيـرَهُـمُ كَـالْـكَـافِي
وَالْـقَـائِـلِـيـنَ بِـكُـلِّ وَعْـدٍ صَـادِقٍ وَرِجَـالُ مَـكَّـةَ مُـسْـنِـتِـيـنَ عِـجَـافِ(٤)
سَـفَـرَيْـنِ سَـنَّـهُـمَـا لَـهُ وَلِـقَـوْمِـهِ سَـفَـرَ الـشِّـتَـاءِ وَرِحْـلَـةَ الأَصْـيَـافِ

﴿فليعبدوا ربَّ هذا البيت﴾ هذا أمر من الله سبحانه أي فليوجّهوا عبادتهم الى رب

---

(١) حكى عن الأصمعي انه قال: ابن بيض: هو رجل كان في الزمن الاول عقر ناقته على ثنية فسد بها الطريق ومنع الناس من سلوكها. وقال بسامة بن حزن « كثوب ابن بيض وقاهم به * فسد على السالكين السبيلا ». والغرائز: الجوالق العظام. وأتاقت الاناء: ملاته. والنقيض: الزائل عنه الغبار والهشيم: الثريد. وشاب الشيء بالشيء: خلطه والغريض: الطري .

(٢) الايجاف: سرعة السير .

(٣) راشه: اعانه واغناه .

(٤) كذا في النسخ لكن في السيرة وغيره هكذا « عمرو الذي هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتين عجاف » وهو الاصح . والمسنتون: الذين اصابتهم السنة وهي الجوع والقحط. والعجاف من العجف وهو الهزال والضعف .

هذه الكعبة ويوحّدوه وهو الله سبحانه ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ بما سبَّب لهم من الارزاق في رحلة الشتاء والصيف واعطاهم من الأموال ﴿وآمنهم من خوف﴾ فلا يتعرض لهم احد في سفرهم إذا قالوا نحن اهل حرم الله وقيل آمنهم من خوف الغارة بالحرم الذي جبلت قلوب الناس على تعظيمه لأنهم كانوا يقولون في الجاهلية نحن قطان حرم الله فلا يتعرض لهم وان كان الرجل ليصاب في الحي من احياء العرب فيقال هو حرمي فيخلّى عنه وعن ماله تعظيماً للحرم وكان غيرهم إذا خرج اغير عليه وقيل أطعمهم من جوع أي من بعد جوع كما يقال كسوتك من بعد عري يعني ما كانوا فيه من الجوع قال ابن عباس كانوا في ضرّ ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فلم يكن بنو أب أكثر مالاً ولا أعزّ من قريش .

# (١٠٧) سورة الماعون مكية وآياتها سبع

وتسمى سورة الماعون مكية وقال الضحاك مدنية وقيل بعضها مكي وبعضها مدني .

**[ عدد آيها ]** سبع عراقي وستّ في الباقين .

**[ اختلافها ]** آية يراؤون عراقي .

**[ فضلها ]** في حديث أبي من قرأها غفر الله له ان كان للزكاة مؤدّياً، وعمرو بن ثابت عن أبي جعفر ( ع ) قال من قرأ أرأيت الذي يكذب بالدين في فرائضه ونوافله قبل الله صلاته وصيامه ولم يحاسبه بما كان منه في الحياة الدنيا .

**[ تفسيرها ]** ذكر سبحانه نعمه على قريش ثم عجب سبحانه في هذه السورة من تكذيبهم مع عظيم النعمة عليهم فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ
ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ
ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة أبي رجاء العطاردي يَدَع اليتيم بفتح الدال خفيفة .

[ **الحجة** ] ومعناه يتركه ويعرض عنه فهو صائر الى معنى القراءة المشهورة يدُعُّ اليتيم أي يدفعه ويجفو عليه .

[ **اللغة** ] الدع الدفع بشدة ومنه الدعدعة تحريكك المكيال ليستوعب الشيء كأنك تدفعه والدعدعة ايضاً زجر المعز والحض والحث والتحريض بمعنى واحد والماعون كل ما فيه منفعة قال الأعشى :

بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ إذا مَا سَمَاؤُهُم لَمْ تَغِمْ[١]

وقال الراعي :

قَوْمٌ عَلَى الإِسْلاَمِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ ويُضَيِّعُوا التَّهْلِيلا

وقال أعرابي في ناقة له « كَيْما أَنَّها تُعْطِيكَ الْماعُون » أي تنقاد لك وتطيعك وأصله القلة من المعن وهو القليل قال الشاعر « فإنَّ هِلاكَ مالِكَ غَيْرَ مَعْنٍ »[٢] أي غير قليل ويقال ماله مَعْنٌ ولا مَعْن[٣] فالماعون القليل القيمة مما فيه منفعة ويقال معن الوادي اذا جرت مياهه قليلاً قليلاً .

[ **الإعراب** ] **﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾** اعتمد هنا في الخبر على ما جرى في صلة الموصول الذي هو وصف المجرور باللام المتعلق بالخبر ألا ترى ان قوله فويل للمصلين غير محمول على الظاهر والاعتماد على السهو في صلة الذين وقوله **﴿الذين هم يراؤون﴾** يجوز أن يكون مجروراً على أنه صفة للمصلين ويجوز ان يكون منصوباً على اضمار اعني وان يكون مرفوعاً على اضمارهُمْ .

[ **المعنى** ] خاطب الله تعالى نبيَّه ﷺ فقال **﴿أرأيت﴾** يا محمد **﴿الذي يكذب بالدين﴾** أي هذا الكافر الذي يكذب بالجزاء والحساب وينكر البعث مع وضوح الأمر في ذلك وقيام الحجج على صحته وانما ذكره سبحانه بلفظ الإستفهام ارادة للمبالغة في الافهام والتكذيب بالجزاء من اضر شيء على صاحبه لأنه يعدم بذلك أكثر الدواعي إلى الخير والصوارف عن الشر فهو يتهالك في الإسراع الى الشر الذي يدعوه اليه طبعه إذ لا يخاف عواقب الضرر فيه

(١) البيت من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب . يقول : ليس الفرات إذا ازيد وتلاطمت امواجه بأجود منه في وقت الجدب حين تصحو السماء وينقطع المطر.

(٢) هذا عجز بيت لنمر بن تولب وصدره « ولا ضيعته فالام فيه ».

(٣) اي لا كثير ولا قليل .

قال الكلبي نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة عن السدي ومقاتل بن حيان وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب كان ينحر في كل اسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاه عن ابن جريج وقيل نزلت في رجل من المنافقين عن عطاء عن ابن عباس **﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾** بيَّن سبحانه ان من صفة هذا الذي يكذب بالدين انه يدفع اليتيم عنفاً به لانه لا يؤمن بالجزاء عليه فليس له رادع عنه وقيل يدعُّ اليتيم أي يدفعه عن حقه بجفوة وعنف ويقهره عن ابن عباس ومجاهد **﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾** أي لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه يعني لا يفعله إذا قدر ولا يحض عليه اذا عجز لأنه يكذب بالجزاء **﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾** وهم الذين يؤخّرون الصلاة عن أوقاتها عن ابن عباس ومسروق وروى ذلك مرفوعاً وقيل يريد المنافقين الذين لا يرجون لها ثواباً إن صلوا ولا يخافون عليها عقاباً إن تركوا فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها فإذا كانوا مع المؤمنين صلّوها رياء واذا لم يكونوا معهم لم يصلّوا وهو قوله **﴿الذين هم يراؤون﴾** عن علي (ع) وابن عباس وقال انس الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم يريد بذلك ان السهو الذي يقع للإنسان في صلاته من غير عمد لا يعاقب عليه وقيل ساهون عنها لا يبالون صلّوا أم لم يصلّوا عن قتادة وقيل هم الذين يتركون الصلاة عن الضحاك وقيل الذين ان صلّوها صلّوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عن الحسن وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها عن أبي العالية وعنه أيضاً قال هو الذي إذا سجد قال برأسه هكذا وهكذا ملتفتاً وروى العياشي بالإسناد عن يونس بن عمار عن أبي عبد الله (ع) قال سألته عن قوله الذين هم عن صلاتهم ساهون أهي وسوسة الشيطان فقال لا كل احد يصيبه هذا ولكن ان يغفلها ويدع أن يصلي في أول وقتها وعن أبي أسامة زيد الشحام قال سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الترك لها والتواني عنها وعن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن (ع) قال هو التضييع لها وقيل هم الذين **﴿يراؤون﴾** الناس في جميع أعمالهم لم يقصدوا بها الإخلاص لله تعالى **﴿ويمنعون الماعون﴾** اختلف فيه فقيل هي الزكاة المفروضة عن علي وابن عمر والحسن وقتادة والضحاك وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقيل هو ما يتعاوره الناس بينهم من الدلو والفأس والقدر وما لا يمنع كالماء والملح عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وروي ذلك مرفوعاً وروى ابو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره ومنه الزكاة قال فقلت ان لنا جيراناً إذا اعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه أفعلينا جناح ان نمنعهم فقال لا ليس عليك جناح ان تمنعهم إذا كانوا كذلك وقيل هو المعروف كله عن الكلبي .

# (١٠٨) سورة الكوثر مكية وآياتها ثلاث

مكية عن ابن عباس والكلبي مدنية عن عكرمة والضحاك وهي ثلاث آيات بالاجماع .

[ فضلها ] في حديث أبي من قرأها سقاه الله من أنهار الجنة وأعطي من الاجر بعدد كل قربان قربه العباد في يوم عيد ويقربون من اهل الكتاب والمشركين. ابو بصير عن أبي عبد الله (ع ) قال من قرأ انا اعطيناك الكوثر في فرائضه ونوافله سقاه الله يوم القيامة من الكوثر وكان محدثه عند محمد ﷺ .

[ تفسيرها ] ذمَّ سبحانه في تلك السورة تاركي الصلاة ومانعي الزكاة وذكر في هذه السورة انهم ان فعلوا ذلك وكذَّبوه فإنه يعطيه الخير الكثير وأمره بالصلاة فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

[ اللغة ] الكوثر فوعل من الكثرة وهو الشيء الذي من شأنه الكثرة والكوثر الخير الكثير والاعطاء على وجهين اعطاء تمليك واعطاء غير تمليك واعطاء الكوثر إعطاء تمليك كإعطاء الاجر وأصله من عطا يعطو اذا تناول والشانيء المبغض والابتر أصله من الحمار الابتر وهو المقطوع الذنب وفي حديث زياد انه خطب خطبته البتراء لأنه لم يحمد الله فيها ولم يصلّ على النبي ﷺ .

[ **الإعراب** ] وانحر مفعوله محذوف أي وانحر اضحيتك كما حذف لبيد من قوله « وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبَطِّىء حَاسِدٌ »(١) أي ان يبطأهم حاسد أي أن ينسبهم الى البطوء وقوله انّ شانئك هو الأبتر لا انت هذا تقديره اي هو مبتور لا أنت لأن ذكرك مرفوع مهما ذُكرتُ ذُكرتَ معي وهو فصل والابتر خبر ان

[ **النزول** ] قيل نزلت السورة في العاص بن وائل السهمي وذلك انه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا من الذي كنت تتحدث معه قال ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ وهو من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن ابتر فسمَّته قريش عند موت ابنه ابتر وصنبوراً عن ابن عباس .

[ **المعنى** ] خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ على وجه التعداد لنعمه عليه فقال ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ اختلفوا في تفسير الكوثر فقيل هو نهر في الجنة عن عائشة وابن عمر قال ابن عباس لما نزلت إنا أعطيناك الكوثر صعد رسول الله ﷺ المنبر فقرأها على الناس فلما نزل قالوا يا رسول الله ما هذا الذي اعطاك الله قال نهر في الجنة اشد بياضاً من اللبن وأشد استقامة من القدح حافتاه قباب الدرّ والياقوت ترده طير خضر لها اعناق كأعناق البخت قالوا يا رسول الله ما أنعم تلك الطير قال أفلا أخبركم بأنعم منها قالوا بلى قال من أكل الطائر وشرب الماء وفاز برضوان الله وروي عن أبي عبد الله ( ع ) انه قال نهر في الجنة أعطاه الله نبيَّه ﷺ عوضاً من ابنه وقيل هو حوض النبي ﷺ الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة عن عطاء وقال أنس بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه مبتسماً فقلت ما اضحكك رسول الله قال انزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأ سورة الكوثر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فإنه نهر وعدنيه عليه ربي خيراً كثيراً هو حوضي ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج القرن منهم فأقول يا رب انهم من امتي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك اورده مسلم في الصحيح وقيل الكوثر الخير الكثير عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد وقيل هو النبوة والكتاب عن عكرمة وقيل هو القرآن عن الحسن وقيل هو كثرة الاصحاب والاشياع عن أبي بكر بن عياش وقيل هو كثرة النسل والذرية وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة ( ع ) حتى لا يحصى عددهم واتصل الى يوم القيامة مددهم وقيل هو الشفاعة

(١) هذا صدر بيت من المعلقة وعجزه « او ان يميل مع العدو لئامها » وقد مر .

رووه عن الصادق (ع) واللفظ يحتمل للكل فيجب ان يحمل على جميع ما ذكر من الأقوال فقد أعطاه الله سبحانه وتعالى الخير الكثير في الدنيا ووعده الخير الكثير في الآخرة وجميع هذه الاقوال تفصيل للجملة التي هي الخير الكثير في الدارين ﴿ **فصل لربك وانحر**﴾أمره سبحانه بالشكر على هذه النعمة العظيمة بأن قال فصلّ صلاة العيد لأنه عقّبها بالنحر أي وانحر هديك واضحيتك عن عطاء وعكرمة وقتادة وقال انس بن مالك كان النبي ﷺ ينحر قبل أن يصلي فأمر ان يصلي ثم ينحر وقيل معناه فصل لربك صلاة الغداة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى عن سعيد بن جبير ومجاهد وقال محمد بن كعب ان اناساً كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فأمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يكون صلاته ونحره للبدن تقرباً اليه وخالصاً له وقيل معناه صلّ لربك الصلاة المكتوبة واستقبل القبلة بنحرك وتقول العرب منازلنا تتناحر أي هذا ينحر هذا يعني يستقبله وأنشد

أَبا حَكمٍ هَلْ أَنْتَ عَمُّ مُجَالِدٍ وَسِيِّدُ أَهْلِ الأَبْطَحِ المُتَنَاحِرِ

أي ينحر بعضه بعضاً وهذا قول الفراء وأما ما رووه عن علي (ع) ان معناه ضع يدك اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة فممّا لا يصح عنه لأن جميع عترته الطاهرة (ع) قد رووه بخلاف ذلك وهو أن معناه ارفع يديك الى النحر في الصلاة وعن عمر بن يزيد قال سمعت ابا عبد الله (ع) يقول في قوله فصل لربك وانحر هو رفع يديك حذاء وجهك وروى عنه عبد الله بن سنان مثله وعن جميل قال قلت لأبي عبد الله (ع) فصلّ لربك وانحر فقال بيده هكذا يعني استقبل بيديه حذو وجهه القبلة في افتتاح الصلاة وعن حماد بن عثمان قال سألت ابا عبد الله (ع) ما النحر فرفع يده الى صدره فقال هكذا ثم رفعها فوق ذلك فقال هكذا يعني استقبل بيديه القبلة في استفتاح الصلاة وروي عن مقاتل بن حيان عن الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين (ع) قال لما نزلت هذه السورة قال النبي ﷺ لجبريل (ع) ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي قال ليست بنحيرة ولكنه يأمرك اذا تحرمت للصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت وإذا ركعت واذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت فإنه صلاتنا وصلاة الملائكة في السماوات السبع فإن لكل شيء زينة وان زينة الصلاة رفع الأيدي عند كل تكبيرة قال النبي ﷺ رفع الأيدي من الاستكانة قلت وما الاستكانة قال ألا تقرأ هذه الآية ﴿**فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**﴾ أورده الثعلبي والواحدي في تفسيرهما ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾ معناه ان مبغضك هو المنقطع عن الخير وهو العاص بن وائل وقيل معناه انه الاقل الأذل بانقطاعه عن كل خير عن قتادة وقيل معناه انه لا ولد له على الحقيقة وان من ينسب اليه ليس بولد له

قال مجاهد الابتر الذي لا عقب له وهو جواب لقول قريش ان محمداً ﷺ لا عقب له يموت فنستريح منه ويدرس دينه إذ لا يقوم مقامه من يدعو اليه فينقطع امره وفي هذه السورة دلالات على صدق نبينا ﷺ وصحة نبوته ( أحدها ) أنه أخبر عما في نفوس أعدائه وما جرى على ألسنتهم ولم يكن بلغه ذلك فكان على ما أخبر ( وثانيها ) انه قال أعطيناك الكوثر فانظر كيف انتشر دينه وعلا امره وكثرت ذريته حتى صار نسبه اكثر من كل نسب ولم يكن شيء من ذلك في تلك الحال ( وثالثها ) ان جميع فصحاء العرب والعجم قد عجزوا عن الإتيان بمثل هذه السورة على وجازة ألفاظها مع تحدّيه اياهم بذلك وحرصهم على بطلان امره منذ بعث النبي ﷺ الى يومنا هذا وهذا غاية الاعجاز ( ورابعها ) أنه سبحانه وعده بالنصر على اعدائه وأخبره بسقوط امرهم وانقطاع دينهم أو عقبهم فكان المخبر على ما أخبر به هذا وفي هذه السورة الموجزة من تشاكل المقاطع للفواصل وسهولة مخارج الحروف بحسن التأليف والتقابل لكل من معانيها بما هو أولى به ما لا يخفى على من عرف مجاري كلام العرب .

# (١٠٩) سورة الكافرون مكية وآياتها ست

مكية وعن ابن عباس وقتادة مدنية وهي ست آيات بالاجماع .

[ فضلها ] في حديث أبي ومن قرأ يا ايها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرى من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر . وعن جبر وعن جبير بن مطعم قال قال لي رسول الله ﷺ أتحبُّ يا جبير ان تكون إذا خرجت سفراً من امثل اصحابك هيئة واكثرهم زاداً قلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال فاقرأ هذه السور الخمس قل يا أيها الكافرون وإذا جاء نصر الله والفتح وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وافتتح قراءتك ببسم الله الرحمن الرحيم قال جبير وكنت غير كثير المال وكنت اخرج مع من شاء الله ان اخرج فأكون اكثرهم همة وأمثلهم زاداً حتى ارجع من سفري ذلك وعن فروة بن نوفل الاشجعي عن أبيه أنه اتى النبي ﷺ فقال جئت يا رسول الله لتعلّمني شيئاً اقوله عند منامي قال إذا اخذت مضجعك فاقرأ قل يا ايها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك. شعيب الحداد عن ابي عبد الله (ع ) قال كان ابي يقول قل يا ايها الكافرون ربع القرآن وكان إذا فرغ منها قال اعبد الله وحده اعبد الله وحده . وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (ع ) قال إذا قلت لا اعبد ما تعبدون فقل ولكني اعبد الله مخلصاً له ديني فإذا فرغت منها فقل ديني الإسلام ثلاث مرات. وعن الحسين بن أبي العلاء قال من قرأ قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد في فريضة من الفرائض غفر الله له ولوالديه وما ولدا وإن كان شقياً محي من ديوان الاشقياء وكتب في ديوان السعداء وأحياه الله سعيد وأماته شهيداً وبعثه شهيداً.

[ تفسيرها ] ذكر سبحانه في تلك السورة ان اعداءه عابوه بأنه ابتر فردَّ ذلك عليهم وذكر في هذه السورة انهم سألوه المداهنة فأمره بالبراءة منهم فقال .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦

[ **القراءة** ] قرأ نافع وابن كثير وحفص عن عاصم ليَ دين بفتح الياء والباقون بسكون الياء .

[ **الحجة** ] اسكان الياء من ولي وفتحها جميعاً حسنان سائغان .

[ **الاعراب** ] ولا أنتم عابدون ما أعبد كان الوجه من اعبد ولكنه جاء بما ليطابق ما قبله وما بعده وقيل ان ما هاهنا بمعنى مَن والعائد من الصلة إلى الموصول في الجميع محذوف والتقدير ما تعبدونه وما أعبده وما عبدتموه .

[ **النزول** ] نزلت السورة في نفر من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص ابن أبي وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا هلم يا محمد فاتبع ديننا نتّبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلّهك سنة فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنّا قد شر كناك فيه وأخذنا بحظنا منه وان كان الذي بأيدينا خيراً مما في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه فقال ﷺ معاذ الله ان أشرك بـه غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدّقك ونعبد إلهك فقال حتى انظر ما يأتي من عند ربي فنزل قل يا أيها الكافرون السورة فعدل رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا عند ذلك فآذوه وآذوا أصحابه قال ابن عباس وفيهم نزل قوله قل أفغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون .

[ **المعنى** ] خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**يا أيها الكافرون**﴾ يريد قوماً معينين لأن الالف واللام للعهد ﴿**لا اعبد ما تعبدون**﴾ أي لا اعبد آلهتكم التي تعبدونها اليوم وفي هذه الحال ﴿**ولا انتم عابدون ما أعبد**﴾ أي إلّهي الذي اعبده اليوم وفي هذه الحال أيضاً

﴿ولا انا عابد ما عبدتم﴾ فيما بعد اليوم ﴿ولا انتم عابدون ما أعبد﴾ فيما بعد اليوم من الاوقات المستقبلة عن ابن عباس ومقاتل قال الزجاج نفى رسول الله ﷺ بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال وفيما يستقبل ونفى عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل وهذا في قوم أعلمه الله سبحانه انهم لا يؤمنون كقوله سبحانه في قصة نوح (ع) انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وقيل أيضاً في وجه التكرار ان القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتهم تكرير الكلام للتأكيد والافهام فيقول المجيب بلى بلى ويقول الممتنع لا لا عن الفراء قال ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وانشد.

وَكَائِنْ وَكَمْ عِنْدِي لَهُمْ مِنْ صَنِيعَةٍ أَيَادِيَ ثَنُّوهَا عَلَيَّ وَأَوْجَبُوا

وأنشد:

كَمْ نِعْمَة كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمَ وَكَمْ

وقال آخر:

نَعِقَ الْغُرَابُ بِبَيْنِ لَيْلَى غُدْوَةً كَمْ كَمْ وَكَمْ بِفِرَاقِ لَيْلَى يَنْعِقُ[1]

وقال آخر:

«هَلاَّ سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ يَوْمَ وَلَّوْ أَيْنَ أَيْنا»

وقال آخر:

أَرَدْتُ لِنَفْسِي بَعْضَ الأُمُورِ فَأَوْلَى لِنَفْسِيَ أَوْلَى لَهَا

وقال وهذا اولى المواضع بالتأكيد لأن الكافرين ابدوا في ذلك وأعادوا فكرَّر سبحانه ليؤكّدا يا سهم وحسم اطماعهم بالتكرير وقيل أيضاً في ذلك ان المعنى لا أعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون الله الذي أنا عابده إذا اشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها تعبدونها من دونه وإنما يعبد الله من اخلص العبادة له ولا انا عابد ما عبدتم أي لا أعبد عبادتكم فيكون ما مصدرية ولا انتم عابدون ما اعبد أي وما تعبدون عبادتي على نحو ما ذكرناه فأراد في الأول المعبود وفي الثاني العبادة فإن قيل اما اختلاف المعبودين فمعلوم فما معنى اختلاف العبادة ﴿قلنا﴾ انه يعبد الله على وجه الاخلاص وهم يشركون به في عبادته فاختلفت العبادتان ولأنه كان يتقرب إلى عبادته إلى معبوده بالافعال المشروعة الواقعة على وجه العبادة وهم لا يفعلون

(١) وفي امالي الشريف (قده) «لبنى» بدل «ليلى» في الموضعين .

ذلك وإنما يتقرَّبون إليه بأفعال يعتقدونها قربة جهلاً من غير شرع ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ ذكر فيه وجوه (أحدها) ان معناه لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف المضاف واقام المضاف إليه مقامه (وثانيها) ان المعنى لكم كفركم بالله ولي دين التوحيد والاخلاص وهذا وان كان ظاهره اباحة فإنه وعيد وتهديد ومبالغة في النهي والزجر كقوله اعملوا ما شئتم (وثالثها) ان الدين الجزاء ومعناه لكم جزاؤكم ولي جزائي قال الشاعر .

إذا مَا الَقَوْنا لقيناهم وَدِنَّاهُمْ مِثْلَ مَا يَقْرِضُونا

وقد تضمنت السورة معجزة لنبينا ﷺ من جهة الاخبار بما يكون في الاوقات المستقبلة مما لا سبيل إلى علمه إلا بوحي من قبل الله سبحانه العالم بالغيوب فكان ما أخبر به كما اخبر وفيها دلالة على ذم المداهنة في الدين ووجوب مخالفة الكفار والمبطلين والبراءة منهم وروى داود بن الحصين عن أبي عبد الله (ع) قال إذا قرأت قل يا أيها الكافرون فقل ايها الكافرون وإذا قلت لا اعبد ما تعبدون فقل اعبد الله وحده وإذا قلت لكم دينكم ولي دين فقل ربي الله وديني الاسلام .

# (١١٠) سورة النصر مدنية وآياتها ثلاث

مدنية وهي ثلاث آيات بالإجماع.

[ **فضلها** ] في حديث ابي من قرأها فكأنما شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة وروى كرام الخثعمي عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ إذا جاء نصر الله والفتح في نافلة او فريضة نصره الله على جميع اعدائه وجاء يوم القيامة ومعه كتاب ينطق قد اخرجه الله من جوف قبره فيه امان من حرّ جهنم ومن النار ومن زفير جهنم يسمعه بأذنيه فلا تمرّ على شيء يوم القيامة إلا بشّره واخبره بكل خير حتى يدخل الجنة.

[ **تفسيرها** ] ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر الدين وافتتح هذه السورة بظهور الدين فقال.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ
ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ
تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

[ **الاعراب** ] مفعول جاء محذوف والتقدير إذا جاءك نصر الله وجواب إذا محذوف والتقدير إذا جاء نصر الله حضر اجلك وقيل جوابه الفاء في قوله فسبح وافواجاً منصوب على الحال.

[ المعنى ] ﴿إذا جاء﴾ يا محمد ﴿نصر الله﴾ على من عاداك وهم قريش ﴿والفتح﴾ فتح مكة وهذه بشارة من الله سبحانه لنبيّه ﷺ بالنصر والفتح قبل وقوع الامر ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾ أي جماعة بعد جماعة وزمرة بعد زمرة والمراد بالدين الإسلام والتزام احكامه واعتقاد صحته وتوطين النفس على العمل به قال الحسن لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب اما إذا ظفر محمد ﷺ بأهل الحرم وقد اجارهم الله من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان أي طاقة فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً أي جماعات كثيرة بعد ان كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً أو اثنين فصارت القبيلة تدخل بأسرها في الاسلام وقيل في دين الله أي في طاعة الله وطاعتك وأصل الدين الجزاء ثم يعبر به عن الطاعة التي يستحق بها الجزاء كما قال سبحانه في دين الملك أي في طاعته ﴿فسبّح بحمد ربك واستغفره﴾ هذا أمر من الله سبحانه بأن ينزّه عمالاً يليق به من صفات النقص وان يستغفره ووجه وجوب ذلك بالنصر والفتح ان النعمة تقتضي القيام بحقها وهو شكر المنعم وتعظيمه والائتمار بأوامره والانتهاء عن معاصيه فكأنه قال قد حدث أمر يقتضي الشكر والاستغفار وان لم يكن ثَمَّ ذنب فإن الاستغفار قد يكون عند ذكر المعصية بما ينافي الإصرار وقد يكون على وجه التسبيح والانقطاع إلى الله عز وجل ﴿انه كان تواباً﴾ يقبل توبة من بقي كما قبل توبة من مضى قال مقاتل لما نزلت هذه السورة قرأها ﷺ على اصحابه ففرحوا واستبشروا وسمعها العباس فبكى فقال ﷺ ما يبكيك يا عم فقال أظن انه قد نعيت اليك نفسك يا رسول الله فقال انه لكما تقول فعاش بعدها سنتين ما رؤي فيهما ضاحكا مستبشراً قال وهذه السورة تسمى سورة التوديع وقال ابن عباس لما نزلت إذا جاء نصر الله قال نعيت الى نفسي بأنها مقبوضة في هذه السنة واختلف في انهم من أيّ وجه علموا ذلك وليس في ظاهره نعي فقيل لأن التقدير فسبح بحمد ربك فإنك حينئذ لاحق بالله وذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرسل وعند الكمال يرقب الزوال كما قيل .

إذا تَمَّ أَمْرٌ بَدا نَقْصُهُ تَوَقَّعْ زَوالاً إذا قيلَ تَمّ

وقيل لأنه سبحانه امره بتجديد التوحيد واستدراك الفائت بالاستغفار وذلك مما يلزم عند الانتقال من هذه الدار إلى دار الابرار وعن عبد الله مسعود قال لما نزلت السورة كان النبي ﷺ يقول كثيراً سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وعن ام سلمة قالت كان رسول الله ﷺ بالآخرة لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب الاقال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فسألناه عن ذلك فقال ﷺ اني امرت بها ثم قرأ إذا

جاء نصر الله والفتح وفي رواية عائشة انه كان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك .

## [ حديث فتح مكة ]

لما صالح رسول الله ﷺ قريشاً عام الحديبية كان في اشراطهم انه من احبَّ ان يدخل في عهد رسول الله ﷺ ادخل فيه فدخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عقد قريش وكان بين القبيلتين شرّ قديم ثم وقعت فيما بعد بين بني بكر وخزاعة مقاتلة ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً وكان ممن اعان بني بكر على خزاعة بنفسه عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فركب عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد بين ظهراني القوم فقال .

لَا هُمَّ إِنّي نَاشِدٌ مُحَمَّداً حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الأَتْلَدا[1]
إِنَّ قُرَيْشاً أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدا وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدا
وَقَتَلُونا رُكَّعاً وَسُجَّدا

فقال رسول الله حسبك يا عمرو ثم قام فدخل دار ميمونة وقال اسكبي لي ماء فجعل يغتسل وهو يقول لانصرت ان لم انصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكة وقد كان ﷺ قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدّد العقد ويزيعد في المدة وسيلقي بديل بن ورقاء فلقوا ابا سفيان بعسفان وقد بعثته قريش إلى النبي ﷺ ليشدد العقد فلما لقي ابو سفيان بديلاً قال من اين اقبلت يا بديل قال سرت في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال ما اتيت محمداً قال لا فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء من المدينة لقد علف بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته واخذ من بعرها ففتّه فرأى فيه النوى فقال احلف بالله تعالى لقد جاء بديل محمداً ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ فقال يا محمد احقن دم قومك واجر بين قريش وزدنا في المدة فقال ﷺ اغدرتم يا ابا سفيان قال لا قال ﷺ فنحن على ما كنا عليه فخرج فلقي ابا بكر فقال اجر بين قريش قال ويحك واحد يجير على رسول الله ﷺ ثم لقي

---

(١) الناشد : الطالب والمذكر. والاتلد: القديم.

عمر بن الخطاب فقال له مثل ذلك ثم خرج فدخل على ام حبيبة فذهب ليجلس على الفراش فأهوت إلى الفراش فطوته فقال يا بنية ارغب بهذا الفراش عني فقالت نعم هذا فراش رسول الله ﷺ ما كنت لتجلس عليه وانت رجس مشرك ثم خرج فدخل على فاطمة (ع) فقال يا بنت سيد العرب تجيرين بين قريش وتزيدين في المدة فتكونين اكرم سيدة في الناس فقالت جواري جوار رسول الله ﷺ قال أتامرين ابنيك ان يجيرا بين الناس قالت والله ما بلغ ابناي ان يجيرا بين الناس وما يجير على رسول الله ﷺ احد فقال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت عليّ فانصحني فقال علي (ع) انك شيخ قريش فقم على باب المسجد وأجر بين قريش ثم الحق بأرضك قال وترى ذلك مغنياً عني شيئاً قال لا والله ما اظن ذلك ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال يا ايها الناس اني قد اجرت بين قريش ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراك فأخبرهم بالقصة فقالوا والله ان زاد علي بن ابي طالب على ان لعب بك فما يغني عنا ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال فأمر رسول الله ﷺ بالجهاز لحرب مكة وامر الناس بالتهيئة وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها[1] في بلادها وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء فبعث علياً (ع) والزبير حتى اخذ كتابه من المرأة وقد مضت هذه القصة في سورة الممتحنة ثم استخلف رسول الله ﷺ ابا ذر الغفاري وخرج عامداً إلى مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان في عشرة آلاف من المسلمين ونحو من اربعمائة فارس ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد وقد كان أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فلم يأذن لهما فكلمته ام سلمة فيهما فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال لا حاجة لي فيهما اما ابن عمي فهتك عرضي واما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال فلما خرج الخبر اليهما بذلك ومع ابي سفيان بُنْي له فقال والله ليأذَنَّ لي أو لآخذنَّ بيد بُنيٍّ هذا ثم لنذهبنَّ في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقَّ لهما فأذن لهما فدخلا عليه فأسلما فلما نزل رسول الله مرَّ الظهران وقد غمت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم عن رسول الله ﷺ خبر خرج في تلك الليلة ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وقد قال العباس ليلتئذ يا سوء صباح قريش والله لئن بغتها رسول الله في بلادها فدخل مكة عنوة انه لهلاك

(١) من البغتة .

قريش إلى آخر الدهر فخرج على بغلة رسول الله وقال أخرج الى الاراك لعلي ارى حطاباً أو صاحب لبن أو داخلاً يدخل مكة فنخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه قال العباس فوالله اني لأطوف في الاراك التمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وسمعت أبا سفيان يقول والله ما رأيت كالليلة قطّ نيراناً فقال بديل هذه نيران خزاعة فقال ابو سفيان خزاعة الأم من ذلك قال فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة يعني ابا سفيان فقال ابو الفضل فقلت نعم قال لبيك فداك ابي وامي ما وراك فقلت هذا رسول الله وراءك قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال فما تأمرني فقلت تِركب عجز هذه البغلة فاستأمن لك رسول الله ﷺ فوالله لئن ظفر بك ليضربنَّ عنقك فردفني فخرجت اركض به بغلة رسول الله فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا هذا عمّ رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال يعني عمر يا ابا سفيان الحمد لله الذي امكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتّد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة حتى اقتحمت باب القبة وسبقت عمر بما يسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء فدخل عمر فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان عدوّ الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه فقلت يا رسول الله اني قد اجرته ثم اني جلست إلى رسول الله ﷺ واخذت برأسه وقلت والله لا يناجيه اليوم احد دوني فلما اكثر فيه عمر قلت مهلاً يا عمر فوالله ما يصنع هذا الرجل الا انه رجل من آل بني عبد مناف ولو كان من عدي بن كعب ما قلت هذا قال مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم اسلمت كان أحبّ إليَّ من اسلام الخطاب لو اسلم فقال ﷺ اذهب فقد أمناه حتى تغدو به علي في الغداة قال فلما اصبح غدوت به على رسول الله ﷺ فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم ان لا إله إلا الله فقال بأبي انت وأمي ما اوصلك واكرمك وارحمك وأحلمك والله لقد ظننت ان لو كان معه إلّه لأغنى يوم بدر ويوم أحد فقال ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك ان تعلم اني رسول الله فقال بأبي أنت وأمي اما هذه فإن في النفس منها شيئاً قال العباس فقلت له ويحك اشهد بشهادة الحق قبل ان يضرب عنقك فتشهد فقال ﷺ للعباس انصرف يا عباس فاحبسه عند مضيق الوادي حتى تمرَّ عليه جنود الله قال فحبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي ومرَّ عليه القبائل قبيلة قبيلة وهو يقول من هؤلاء واقول اسلم وجهينة وفلان حتى مرَّ رسول الله ﷺ في الكتيبة الخضراء من المهاجرين والانصار في الحديد لا يرى منهم الا الحدق فقال من هؤلاء يا ابا الفضل قلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والانصار فقال يا أبا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيماً فقلت ويحك انها النبوة فقال نعم اذاً وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء رسول الله ﷺ واسلما

وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله ﷺ بين يديه إلى قريش يدعوانهم إلى الإسلام وقال من دخل دار أبي سفيان وهي بأعلى مكة فهو آمن ومن دخل دار حكيم وهي بأسفل مكة فهو آمن ومن اغلق بابه وكفَّ يده فهو آمن ولما خرج ابو سفيان وحكيم من عند رسول الله ﷺ عامدين إلى مكة بعث في أثرهما الزبير بن العوام وأمره على خيل المهاجرين وأمره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحجون وقال له لا تبرح حتى آتيك ثم دخل رسول الله ﷺ مكة وضربت هناك خيمته وبعث سعد بن عبدة في كتيبة الانصار في مقدمته وبعث خالد بن الوليد فيمن كان اسلم من قضائه وبني سليم وامره ان يدخل اسفل مكة ويغرز رايته دون البيوت وأمرهم رسول الله ﷺ جميعاً ان يكفّوا ايديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم وأمرهم بقتل اربعة نفر عبد الله بن سعد بن ابي سرح والحويرث بن نفيل وابن خطل ومقبس بن ضبابة وأمرهم بقتل قينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة فقتل علي (ع ) الحويرث بن نفيل واحدى القينتين وافلتت الاخرى وقتل مقبس بن ضبابة في السوق وادرك ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق اليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً فقتله قال وسعى ابو سفيان الى رسول الله ﷺ واخذ غرزه أي ركابه فقبّله ثم قال بأبي انت وأمي أما تسمع ما يقول سعد إنه يقول اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة فقال ﷺ لعلي (ع ) ادركه فخذ الراية منه وكن انت الذي يدخل بها وادخلها ادخالاً رفيقاً فأخذها علي (ع ) وادخلها كما أمر ولما دخل رسول الله ﷺ مكة دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون ان السيف لا يرفع عنهم وأتى رسول الله ووقف قائماً على باب الكعبة فقال لا إلّه إلا الله وحده وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا ان كل مال أو مأثرة ودم تدعى فهو تحت قدمي هاتين إلاسدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى اهليهما الا ان مكة محرمة بتحريم الله لم تحل لأحد كان قبلي ولم تحل لي الا ساعة من نهار وهي محرمة إلى ان تقوم الساعة لا يختلى خلاها ولا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد ثم قال الا لبئس جيران النبي كنتم لقد كذبتم وطردتم واخرجتم وآذيتم ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني فاذهبوا فأنتم الطلقاء فخرج القوم فكأنما انشروا من القبور ودخلوا افي الإسلام وكان الله سبحانه امكنه من رقابهم عنوة فكانوا له فيأ فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء وجاء ابن الزبعري إلى رسول الله ﷺ واسلم وقال :

يَا رَسُولَ الإلّهِ إنَّ لِسَانِي  رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إذْ أنَا بُورٌ(١)

---

(١) رجل بور: هالك.

إِذْ أُبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْـ ـغَيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَةً مَثْبُورٌ(١)
أَمَنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي ثُمَّ نَفْسِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ

وعن ابن مسعود قال دخل النبي ﷺ يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً وعن ابن عباس قال لما قدم النبي ﷺ إلى مكة ابى ان يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت صورة إبراهيم وإسماعيل (ع) وفي ايديهما الازلام فقال ﷺ قاتلهم الله اما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قطّ.

(١) قوله اباري أي اجاري واعارض. والسنن: وسط الطريق. ومثبور: هالك.

# (١١١) سورة المسد مكية وآياتها خمس

وتسمى أيضاً سورة أبي لهب وتسمى سورة المسد مكية .

## [ عدد آيها ]

خمس آيات بالإجماع .

[ فضلها ] في حديث أبي من قرأها رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة عن أبي عبد الله ( ع ) قال إذا قرأتم تبت فادعوا على أبي لهب فإنه كان من المكذبين بالنبي ﷺ وبما جاء به من عند الله .

[ تفسيرها ] ذكر سبحانه في تلك السورة وعده بالنصر والفتح ثم بيَّن في هذه السورة ما كفاه الله من أمر أبي لهب فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)

[ القراءة ] قرأ ابن كثير أبي لَهْب ساكنة الهاء والباقون بفتحها واتفقوا في ذات لهب انها مفتوحة الهاء لو فاق الفواصل وقرأ عاصم حمالة الحطب بالنصب والباقون بالرفع وروي

عن البرجمي سيصلى بضم الياء وهي قراءة أشهب العقيلي وأبي رجاء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ومُرَيْئَتُهُ حمالةٌ للحطب في جيدها حبل من مسد .

[ **الحجة** ] قال أبو علي يشبه أن يكون لَهَب وَلَهْب لغتين كالشَمَع والشَمْع والنَهَر والنَهْر واتفاقهم في الثانية على الفتح يدل على أنه أوجه من الإسكان وكذلك قوله ولا يغني من اللهب وأما حمالة الحطب فمن رفع جعله وصفاً لقوله وامرأته ويدل على أن الفعل قد وقع كقولك مررت برجل ضارب عمراً أمس فهذا لا يكون إلا معرفة ولا يقدر فيه إلا الانفصال كما يقدر في هذا النحو إذا لم يكن الفعل واقعاً وأما ارتفاع امرأته فيحتمل وجهين ( أحدهما ) العطف على فاعل سيصلى التقدير سيصلى ناراً هو وامرأته إلا أن الأحسن أن لا يؤكد لما جرى من الفصل بينهما ويكون حمالة الحطب على هذا وصفاً لها ويجوز في قوله في جيدها أن يكون في موضع حال وفيها ذكر منها ويتعلق بمحذوف ويجوز فيه وجه آخر وهو أن ترتفع امرأته بالابتداء وحمالة وصف لها وفي جيدها خبر المبتدأ وأما النصب في حمالة الحطب فعلى الذم لها كأنها كانت اشتهرت بذلك فجرت الصفة عليها للذم لا للتخصيص والتخليص من موصوف غيرها وقوله حبل معناه غليظ . رجل حبل الوجه وحبل الرأس .

[ **اللغة** ] التب والتباب الخسران المؤدّي إلى الهلاك والمسدّ الحبل من الليف وجمعه امساد قال :

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيانِقِ ... لَيْسَ بِأَنْيابٍ وَلا حَقائِقِ[1]

[ **النزول** ] سعيد بن جبير عن ابن عباس قال صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه فأقبلت إليه قريش فقالوا له مالك فقال أرأيتم لو أخبرتكم أن العدوّ مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدّقوني قالوا بلى قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبّاً لك لهذا دعوتنا جميعاً فأنزل الله هذه السورة أورده البخاري في الصحيح .

[ **المعنى** ] ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ أي خسرت يداه وخسر هو عن مقاتل وإنما قال خسرت يداه لأن أكثر العمل يكون باليد والمراد خسر عمله وخسرت نفسه بالوقوع في النار وقيل أن اليد هنا صلة كقولهم يد الدهر ويد السنة قال « وأيدي الرزايا بالذخائر مولع » وقيل معناه صفرت يداه من كل خير قال الفراء الأول دعاء والثاني خبر فكأنه قال أهلكه الله

---

(١) قائله عمارة بن طارق وأيانق جمع أينق : وأينق جمع ناقة . والأنياب جمع ناب وهي المسنة من الإبل والحقائق جمع حقة ـ بالكسر ـ وهي التي دخلت في السنة الرابعة وليس جلدها بالقوي . يريد ليس جلدها من الصغير ولا الكبير .

وقد هلك وفي حرف عبد الله وأبي وقد تبَّ وقيل أن الأول أيضاً خبر ومعناه أنه لم تكتسب يداه خيراً قطّ وخسر مع ذلك هو نفسه أي تبَّ على كل حال وأبو لهب هو ابن عبد المطلب عمُّ النبي ﷺ وكان شديد المعاداة والمناصبة له قال طارق المحاربي بينا أنا بسوق ذي المجاز إذا أنا بشاب يقول أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وإذا برجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول يا أيها الناس أنه كذاب فلا تصدّقوه فقلت من هذا فقالوا هو محمد يزعم أنه نبي وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذّاب وإنما ذكر سبحانه كنيته دون اسمه لأنها كانت أغلب عليه وقيل لأن اسمه عبد العزى فكره الله سبحانه أن ينسبه إلى العزى وأنه ليس بعبد لها وإنما هو عبد الله وقيل بل اسمه كنيته وإنما سمي بذلك لحسنه وإشراق وجهه وكانت وجنتاه كأنهما تلتهبان عن مقاتل ﴿ **ما أغنى عنه ماله وما كسب** ﴾ أي ما نفعه ولا دفع عنه عذاب الله ماله وما كسبه ويكون ما في قوله وما كسب موصولة والضمير العائد من الصلة محذوف وقيل معناه أيّ شيء أغنى عنه ماله وما كسب يعني ولْده لأن ولد الرجل من كسبه وذلك أنه قال لما أنذره النبي ﷺ بالنار أن كان ما تقول حقاً فإني أفتدي بمالي وولدي ثم أنذره سبحانه بالنار فقال ﴿ **سيصلى ناراً ذات لهب** ﴾ أي سيدخل ناراً ذات قوة واشتعال تلتهب عليه وهي نار جهنم وفي هذا دلالة على صدق النبي ﷺ وصحة نبوته لأنه أخبر أن أبا لهب يموت على كفره وكان كما قال ﴿ **وامرأته** ﴾ وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان ﴿ **حمالة الحطب** ﴾ كانت تحمل الشوك والعضاة فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة ليعقره عن ابن عباس وفي رواية الضحاك قال الربيع بن أنس كانت تبث وتنشر الشوك على طريق الرسول فيطأه كما يطأ أحدكم الحرير وقيل أنها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فتلقي بينهم العداوة وتوقد نارها بالتهييج كما توقد النار الحطب فسمى النميمة حطباً عن ابن عباس في رواية أخرى وقتادة ومجاهد وعكرمة والسدي قالت العرب فلان يحطب على فلان إذا كان يغري به قال « ولم يمش بين الحي بالحطب الرطب » أي لم يمش بالنميمة وقيل حمالة الحطب معناه حمالة الخطايا عن سعيد بن جبير وأبي مسلم ونظيره قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ﴿ **في جيدها حبل من مسد** ﴾ أي في عنقها حبل من ليف وإنما وصفها بهذه الصفة تخسيساً لها وتحقيراً وقيل حبل يكون له خشونة الليف وحرارة النار وثِقل الحديد يجعل في عنقها زيادة في عذابها وقيل في عنقها سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً تدخل من فيها وتخرج من دبرها وتدار على عنقها في النار عن ابن عباس وعزوة بن الزبير وسميت السلسلة مسداً بمعنى أنها ممسودة أي مفتولة وقيل أنها كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت لأنفقنها في عداوة محمد فيكون عذاباً يوم القيامة في عنقها عن سعيد بن المسيب ويروى عن أسماء

بنت أبي بكر قالت لما نزلت هذه السورة أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر[١] وهي تقول « مُـذَمَّماً أبينـا. ودينه قلينـا[٢] وأمره عصينـا » والنبي ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك قال رسول الله ﷺ انها لن تراني وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت يا أبا بكر أخبرت أن صاحبك هجاني فقال لا وربّ البيت ما هجاك فولّت وهي تقول « قريش تعلم اني بنت سيّدها » وروي أن النبي ﷺ قال صرف الله سبحانه عنّي أنهم يذمون مُذَمَّما وأنا محمد ومتى قيل كيف يجوز أن لا ترى النبي ﷺ وقد رأت غيره فالجواب يجوز أن يكون الله قد عكس شعاع عينيها أو صلب الهواء فلم ينفذ فيه الشعاع أو فرَّق الشعـاع فلم يتصل بالنبي ﷺ وروي أن النبي ﷺ قال ما زال ملك يسترني عنها وإذا قيل هل كان يلزم أبا لهب الإيمان بعد هذه السورة وهـل كان يقـدر على الإيمان ولـو آمن لكان فيـه تكذيب خبـر الله سبحانه بأنه سيصلى ناراً ذات لهب فالجواب أن الإيمان يلزمه لأن تكليف الإيمان ثابت عليه وإنما توعده الله بشرط أن لا يؤمن ألا ترى إلى قوله سبحانـه في قصة فـرعون **﴿ الآن وقـد عصيت قبل ﴾** وفي هذا دلالة على أنه لو تاب قبل وقت اليأس لكان يقبل منه ولهذا خصَّ ردّ التوبة عليه بذلك الوقت وأيضاً فلو قدرنا أن أبا لهب سأل النبي ﷺ قال لو آمنت هل أدخل النار لكان ﷺ يقول له لا وذلك لعدم الشرط .

(١) الفهر: حجر على مقدار ملاء الكف .

(٢) كانت قريش تسمي رسول الله ﷺ مذمماً . وقلينا أي أبغضنا .

# (١١٢) سورة الإخلاص مكية وآياتها أربع

مكية وقيل مدنية وسميت سورة التوحيد لأنه ليس فيها إلا التوحيد وكلمة التوحيد تسمى كلمة الإخلاص وقيل إنما سميت بذلك لأن من تمسك بما فيها اعتقاداً وإقراراً كان مؤمناً مخلصاً وقيل لأن من قرأها على سبيل التعظيم أخلصه الله من النار أي أنجاه منها وتسمى أيضاً سورة الصمد وتسمى أيضاً بفاتحتها وتسمى أيضاً نسبة الرب وروي في الحديث لكل شيء نسبة ونسبة الرب سورة الإخلاص وفي الحديث أيضاً أنه كان يقول لسورتي ﴿ **قل يا أيها الكافرون**﴾ ﴿ **وقل هو الله أحد** ﴾ المقشقشتان سميتا بذلك لأنّهما يبرئان من الشرك والنفاق يقال تقشقش المريض من علته إذا أفاق وبرىء وقشقشه أبرأه كما يقشقش الهناء الجرب .

**[ عدد آيها ]**

خمس آيات مكي شامي أربع في الباقين .

[ **اختلافها** ] آية لم يلد مكي شامي .

[ **فضلها** ] في حديث أبي من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن وأعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلةٍ قلت يا رسول الله ومن يطبق ذلك قال اقرأوا ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ وعن أنس عن النبي ﷺ قال من قرأ قل هو الله أحد مرّة بورك عليه فإن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله فإن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى أهله وعلى جميع جيرانه فإن قرأها اثنتي عشرة مرة بني له اثنا عشر قصراً في الجنة فتقول الحفظة انطلقوا بنا ننظر إلى قصر أخينا فإن قرأها مائة مرة كفِّر عنه ذنوب خمس وعشرين سنة ما خلا الدماء والأموال فإن قرأها أربعمائة كفر عنه ذنوب أربعمائة سنة فإن قرأها ألف مرة لم يمت حتى

يرى مكانه من الجنة أو يرى له وعن سهل بن سعد الساعدي قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه الفقر وضيق المعاش فقال له رسول الله ﷺ إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد وإن لم يكن فيه أحد فسلم واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل فأفاض الله عليه رزقاً حتى أفاض على جيرانه. السكوني عن أبي عبد الله (ع) أن رسول الله ﷺ صلى على سعد بن معاذ فلما صلى عليه قال ﷺ لقد وافى من الملائكة سبعون ألف ملك وفيهم جبرائيل (ع) يصلون عليه فقلت يا جبرائيل بم استحق صلاتكم عليه قال بقراءة قل هو الله أحد قاعداً وقائماً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً. منصور بن حازم عن أبي عبد الله (ع) قال من مضى به يوم واحد فصلى فيه الخمس صلوات ولم يقرأ فيها بقل هو الله أحد قيل له يا عبد الله لست من المصلين. إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (ع) قال من مضت عليه جمعة ولم يقرأ فيها بقل هو الله أحد ثم مات مات على دين أبي لهب. هارون بن خارجة عنه ﷺ قال من أصابه مرض أو شدة فلم يقرأ في مرضه أو شدته بقل هو الله أحد ثم مات في مرضه أو في تلك الشدة التي نزلت به فهو من أهل النار. أبو بكر الحضرمي عنه ﷺ قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع أن يقرأ في دبر الفريضة بقل هو الله أحد فإنه من قرأها جمع له خير الدنيا والآخرة وغفر الله له ولوالديه وما ولدا . عبد الله بن حجر قال سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة في دبر الفجر لم يتبعه في ذلك اليوم ذنب وأرغم أنف الشيطان. إبراهيم بن مهزم عمن سمع أبا الحسن (ع) يقول من قدم قل هو الله أحد بينه وبين كل جبار منعه الله منه يقرؤها بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فإذا فعل ذلك رزقه الله خيره ومنعه شرّه وقال إذا خفت امرأً فاقرأ مائة آية من القرآن حيث شئت ثم قل اللهم اكشف عني البلاء ثلاث مرات. عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال قال رسول الله ﷺ من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة .

[ تفسيرها ] لما ذمَّ سبحانه أعداء أهل التوحيد في السورة المتقدمة ذكر في هذه السورة بيان التوحيد فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو أحد الله الصمد بغير تنوين الدال من أحد وروي عنه ( ع ) أنه كان يقول قل هو الله أحد ثم يقف فإن وصل قال أحد الله وزعم أن العرب لم تكن تصل مثل هذا والباقون أحد الله بالتنوين وقرأ اسماعيل عن نافع وحمزة وخلف ورويس كُفْؤاً ساكنة الفاء مهموزة وقرأ حفص كُفُواً مضمومة الفاء مفتوحة الواو وغير مهموزة وقرأ الباقون كُفُؤاً بالهمزة وضم الفاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي من قرأ أحدٌ الله فوجهه بين وذلك أن التنوين من أحد ساكن ولام المعرفة من الإسم ساكن فلما التقى الساكنان حرك الأول منهما بالكسر كما تقول اذهب اذهب ومن قال أحد الله فحذف النون فإن النون قد شابهت حروف اللين في الآخر في أنها تزاد كما يزدن وفي أنها تدغم فيهن كما يدغم كل واحد من الواو والياء في الآخر وفي أنها قد أبدلت منها الألف في الأسماء المنصوبة وفي الخفيفة فلما شابهت حروف اللين أجريت مجراها في أن حذفت ساكنة لالتقاء الساكنين كما حذف الألف والواو والياء لذلك في نحو رمى القوم ويغزو الجيش ويرمي القوم ومن ثم حذفت ساكنة في الفعل في نحو لم يك ولاتك في مرية فحذفت في أحد الله لالتقاء الساكنين كما حذفت هذه الحروف في نحو هذا زيد بن عمرو حتى استمرَّ ذلك في الكلام وأنشد أبو زيد .

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلاَ ذَاكِرَ اللهَ إلاَّ قَلِيلا

وقال الشاعر :

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا تَشْمَلِ الشَّامَ غَارَةٌ شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةُ الْعَذْرَاءُ(١)

أما كفواً وكفواً فأصله الضم فخفف مثل طنب وطنب وعنق وعنق .

[ **اللغة** ] أحد أصله وحد فقلبت الواو همزة ومثله اناة وأصله وناة وهو على ضربين ( أحدهما ) أن يكون اسماً ( والآخر ) أن يكون صفة فالاسم نحو أحد وعشرون يريد به الواحد والصفة كما في قول النابغة :

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا بِذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ(٢)

---

(١) البيتان لعبيد الله بن قيس الرقيات . وغارة شعواء : متفرقة والخدام : الخلخال : وخدام هيهنا في نية عن خدامها والعقيلة : الكريمة .

(٢) البيت من قصيدة يمدح بها النعمان بن منذر وقد عدها بعض الأدباء من المعلقات وذو الجليل : واد قرب مكة . وأراد =

وكذلك قولهم واحد يكون اسماً كالكاهل والغارب ومنه قولهم واحد اثنان ثلاثة وتكون صفة كما في قول الشاعر « فَقَدْ رَجَعُوا كَحَيّ واحِدِينا » وقد جمعوا أحداً الذي هو الصفة على أحد ان قالوا أحد وأُحدان شبَّهوه بسلق وسُلقان ونحوه قول الشاعر :

يَحْمِي الصَّرِيمَةَ أُحْدانُ الرِّجَالِ لَهُ  صَيْدٌ وَمُجْتَرِىءٌ بِاللَّيْلِ هَمَّاسٌ(١)

فهذا جمع لأحد الذي يراد به الرفع من الموصوف والتعظيم له وأنه متفرد عن الشبه والمثل وقالوا هو أحد الأحد إذا رفع منه وعظم وقالوا أحد الأحدين وواحد الآحاد وحقيقة الواحد شيء لا ينقسم في نفسه أو في معنى صفته فإذا أطلق واحد من غير تقدم موصوف فهو واحد في نفسه وإذا أجري على موصوف فهو واحد في معنى صفته فإذا قيل الجزء الذي لا يتجزأ واحد أريد أنه واحد في نفسه وإذا قيل هذا الرجل إنسان واحد فهو واحد في معنى صفته وإذا وصف الله تعالى بأنه واحد فمعناه أنه المختص بصفات لا يشاركه فيها أحد غيره نحو كونه قادراً لنفسه عالماً حيّاً موجوداً كذلك والصمد السيد المعظم الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد وقيل هو السيد الذي ينتهي إليه السؤدد قال الأسدي :

أَلا بَكَّرَ النَّاعِيَ بِخَيْرَيْ بَنِي أَسَدٍ  بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

وقال الزبرقان « وَلا رهينَةً إلاّ السَّيِدِ الصَّمَدِ » وقال رجل مصمد أي مقصود وكذلك بيت مصمد قال طرفة :

وَإِنْ يَلْتَقِي الْحَيُّ الْجَمِيعُ تُلاقِني  إِلى ذِرْوَةِ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الْمُصَمَّدِ(٢)

والكفو والكفيء والكفاء واحد وهو المثل والنظير قال النابغة :

لا تَقْذِفَنّي بِرُكْنٍ لا كِفاءَ لَهُ  وَلَوْ تَأَثَّنَكَ الأَعْداءُ بِالرِّفَدِ(٣)

---

= من المستأنس: الثور الوحشي الذي أحس بما رابه فهو يستأنس أي يتبصر ويلتفت هل يرى أحداً فذلك أجد في عدوه وفراره. والوحد: الوحيد المنفرد .

(٣) الصريمة: القطعة من النخل ومن الإبل أيضاً. وأسد هماس. شديد الغمز بضرسه .

(٢) البيت من المعلقة يقول: ان اجتمع الحي للافتخار كنت في أعلى الشرف .

(٣) هذا البيت من قصيدة يمدح بها النعمان ويعتذر إليه مما وشى له به المنخل من شأن امرأته . يقول لا ترميني بركن أي بجانب أقوى وأمر لا أطيق ولا يقوم له أحد. وتأثفك الأعداء أي احتوشوك فصاروا حولك كالأثافي من القدر. والرفد: أن يرفد بعضهم بعضاً في السعي بي عندك .

وقال حسان :

وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللهِ مِنَّا ... وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

وقال آخر في الكفيء :

أَمَا كَانَ عَبَّادٌ كَفِيئاً لِدَارِمٍ ... بَلَىٰ وَلِأَبْيَاتٍ بِهَا الْحُجُرَاتِ

[ **الإعراب** ] قال أبو علي قل هو الله أحد يجوز في إعراب الله ضربان ( أحدهما ) أن يكون خبر مبتدأ وذلك على قول من ذهب إلى أن هو كناية عن اسم الله تعالى ثم يجوز في قوله أحد ما يجوز في قولك زيد أخوك قائم ( والآخر ) على قول من ذهب إلى أن هو كناية عن القصة والحديث فيكون اسم الله عنده مرتفعاً بالابتداء واحد خبره ومثله قوله تعالى فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا إلا أن هي جاءت على التأنيث لأن في التفسير اسماً مؤنثاً وعلى هذا جاء فإنها لا تعمي الأبصار وإذا لم يكن في التفسير مؤنث لم يؤنث ضمير القصة وقوله الله الصمد الله مبتدأ والصمد خبره ويجوز أن يكون الصمد صفة الله والله خبر مبتدأ محذوف أي هو الله الصمد ويجوز أن يكون الله الصمد خبراً بعد خبر على قول من جعل هو ضمير الأمر والحديث ولم يكن له كفواً أحد قال أن له ظرف غير مستقر وهو متعلق بكان وكفواً منتصب بأنه خبر متقدم كما كان قوله تعالى وكان حقاً علينا نصر المؤمنين كذلك وزعموا أن من البغداديين من يقول أن في يكن من قوله ولم يكن له كفواً أحد ضميراً مجهولاً وقوله كفواً ينتصب على الحال والعامل فيها له وهذا إذا أفردته عن يكن كان معناه له أحد كفواً وإذا حمل على هذا لم يسغ ووجه ذلك أنه محمول على معنى النفي فكأنه لم يكن أحد له كفواً كما كان قولهم ليس الطيب إلا المسك محمولاً على معنى النفي ولولا حمله على المعنى لم يجز ألا ترى أنك لو قلت زيد الا منطلق لم يكن كلاماً فكما أن هذا محمول على المعنى كذلك له كفواً أحد محمول على المعنى وعلى هذا جاز أن يكون أحد فيه الذي يقع لعموم النفي ولولا ذلك لم يجز أن يقع أحد هذا في الإيجاب فإن قلت أيجوز أن يكون قوله تعالى له عندكم حالاً على أن يكون المعنى ولم يكن كفواً له أحد فيكون له صفة للنكرة فلما قدم صار في موضع الحال كقوله « لِعَزَّةَ مُوحِشاً طَلَلٌ قَدِيمُ »[1] فإن سيبويه قال إن ذلك يقل

(١) هذا صدر بيت لكثير عزة وعجزه « عفاه كل أسحم مستديم » : وعزة : اسم امرأة وبها قيل له كثير عزة . وموحشاً من أوحش المنزل إذا أقفر وخلا من الأنيس وأصبح مسكناً للوحش . والطلل : ما شخص من آثار الديار . والشاهد في مجيء الحال الذي هو موحشاً من النكرة التي هي طلل وتقدمه عليه دليل على أنه حال لا صفة .

في الكلام وإن كثر في الشعر فإن حملته على هذا على استكراه كان غير ممتنع والعامل في قوله له إذا كان حالاً يجوز أن يكون أحد شيئين ( أحدهما ) يكن ( والآخر ) إن يكون ما في معنى كفواً من معنى المماثلة فإن قلت أن العامل في الحال إذا كان معنى لم يتقدم الحال عليه فإن له لما كان على لفظ الظرف والظرف يعمل فيه المعنى وإن تقدم عليه كقولك كل يوم لك ثوب كذلك يجوز في هذا الظرف وذلك من حيث كان ظرفاً وفيه ضمير في الوجهين يعود إلى ذي الحال وهو كفواً .

[ النزول ] قيل أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ أنسب لنا ربك فنزلت السورة عن أبي بن كعب وجابر وقيل أتى عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخو لبيد النبي ﷺ وقال عامر إلى ما تدعونا يا محمد فقال إلى الله فقال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت السورة وأرسل الله الصاعقة على أربد فأحرقته وطعن عامر في خنصره فمات عن ابن عباس وقيل جاء أناس من أحبار اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا يا محمد صف لنا ربك لعلّنا نؤمن بك فإن الله أنزل نعته في التوراة فنزلت السورة وهي نسبة الله خاصة عن الضحاك وقتادة ومقاتل وروى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله ( ع ) قال أن اليهود سألوا النبي ﷺ فقالوا أنسب لنا ربك فمكث ثلاثاً لا يجيبهم ثم نزلت السورة . وقريب منه ما ذكره القاضي في تفسيره أن عبد الله بن سلام انطلق إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة فقال له رسول الله ﷺ أنشدك بالله هل تجدني في التوراة رسول الله فقال أنعت لنا ربك فنزلت هذه السورة فقرأها النبي ﷺ فكانت سبب إسلامه إلاّ أنه كان يكتم ذلك إلى أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ثم أظهر الإسلام .

[ المعنى ] ﴿ قل هو الله أحد ﴾ هذا أمر من الله عزّ اسمه لنبيّه ﷺ أن يقول لجميع المكلفين هو الله الذي تحق له العبادة قال الزجاج هو كناية عن ذكر الله عز وجل ومعناه الذي سألتم تبيين نسبته هو الله أحد أي واحد ويجوز أن يكون المعنى الأمر الله أحد لا شريك له ولا نظير وقيل معناه واحد ليس كمثله شيء عن ابن عباس وقيل واحد في الإلّهية والقدم وقيل واحد في صفة ذاته لا يشركه في وجوب صفاته أحد فإنه يجب أن يكون موجوداً عالماً قادراً حياً ولا يكون ذلك واجباً لغيره وقيل واحد في أفعاله لأن أفعاله كلها إحسان لم يفعلها لجرّ نفع ولا لدفع ضرر فاختص بالوحدة من هذا الوجه إذ لا يشركه فيه سواه واحد في أنه لا يستحق العبادة سواه لأنه القادر على أصول النعم من الحياة والقدرة والشهوة وغير ذلك مما لا تكون النعمةنعمة إلاّ به ولا يقدرعلى شيء من ذلك غيره فهو أحد من هذه الوجوه الثلاثة

دليل على إلاهيته بأنه هو الله والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع ويظهران في الكتابة دليلان على أن إلآهيته بلطفه خافية لا يدرك بالحواس ولا يقع في لسان واصف ولا إذن سامع لأن تفسير الإلّه هو الله الذي أله الخلق عن درك ماهيته وكيفيته بحسّ أو بوهم لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس وإنما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة وإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه كما أن لام الصمد لا يتبين ولا يدخل في حاسة من حواسه الخمس فلما نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف فمتى تفكر العبد في ماهية الباري وكيفيته أله وتحيَّر ولم تحط فكرته بشيء يتصور له لأنه تعالى خالق الصور وإذا نظر إلى خلقه ثبت تله أنه عز وجل خالقهم ومركب أرواحهم في أجسادهم وأما ( الصاد ) فدليل على أنه سبحانه صادق وقوله ﴿ صدق ﴾ وكلامه صدق ودعا عباده إلى اتباع الصدق بالصدق ووعدنا بالصدق وأراد الصدق وأما ( الميم ) فدليل على ملكه وأنه الملك الحق المبين لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه وأما ( الدال ) فدليل على دوام ملكه وأنه دائم تعالى عن الكون والزوال بل هو الله عز وجل مكوّن الكائنات الذي كان بتكوينه كل كائن ثم قال ( ع ) لو وجدت لعلمي الذي أتاني الله حملةً لنشرت التوحيد والإسلام والدين والشرائع من الصمد وكيف لي بذلك ولم يجد جدّي أمير المؤمنين ( ع ) حملة لعلمه حتى كان يتنفس على الصعداء أو يقول على المنبر سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين الجوانح مني علماً جما هاه هاه ألا لا أجد من يحمله ألا وأن عليكم من الله الحجة البالغة فلا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور وعن عبد خير قال سأل رجل علياً ( ع ) عن تفسير هذه السورة فقال قل هو الله أحد بلا تأويل عدد الصمد بلا تبعيض بدد لم يلد فيكون موروثاً هالكاً ولم يولد فيكون إلّهاً مشاركاً ولم يكن له من خلقه كفواً أحد وقال ابن عباس لم يلد فيكون والداً ولم يولد فيكون ولداً وقيل لم يلد ولداً فيرث عنه ملكه ولم يولد فيكون قد ورث الملك عن غيره وقيل لم يلد فيدل على حاجته فإن الإنسان يشتهي الولد لحاجته إليه ولم يولد فيدل على حدوثه وذلك من صفة الأجسام وفي هذا ردّ على القائلين أن عزيراً والمسيح ابن الله وإن الملائكة بنات الله ولم يكن له كفواً أحد أي لم يكن له أحد كفواً أي عديلاً ونظيراً يماثله وفي هذا ردّ على من أثبت له مثلاً في القدم وغيره من الصفات وقيل معناه ولم تكن له صاحبة وزوجة فتلد منه لأن الولد يكون من الزوجة فكنّى عنها بالكفوء لأن الزوجة تكون كفواً لزوجها وقيل إنه سبحانه بيَّن التوحيد بقوله ﴿ الله أحد ﴾ وبيَّن العدل بقوله ﴿ الله الصمد ﴾ وبيَّن ما يستحيل عليه من الوالد والولد بقوله ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ وبيَّن ما لا

وقيل إنما قال أحد ولم يقل واحد لأن الواحد يدخل في الحساب ويضمّ إليه آخر وأما الأحد فهو الذي لا يتجزأ ولا ينقسم في ذاته ولا في معنى صفاته ويجوز أن يجعل للواحد ثانياً ولا يجوز أن يجعل للأحد ثانياً لأن الأحد يستوعب جنسه بخلاف الواحد ألا ترى أنك لو قلت فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقاومه إثنان ولما قلت لا يقاومه أحد لم يجز أن يقاومه إثنان ولا أكثر فهو أبلغ وقال أبو جعفر الباقر ( ع ) في معنى قل هو الله أحد أي قل أظهر ما أوحينا إليك وما نبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها عليك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد وهو اسم مكنى مشار إلى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس كما أن قولك هذا إشارة إلى الشاهد عند الحواس وذلك أن الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة إلى المشاهد المدرك فقالوا هذه آلهتنا المحسوسة بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلّهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه ولا نأله فيه فأنزل الله سبحانه ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ فالهاء تثبيت للثابت والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس وأنه يتعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس وحدثني أبي عن أبيه عن أمير المؤمنين ( ع ) أنه قال رأيت الخضر في المنام قبل بدر بليلة فقلت له علّمني شيئاً أنتصر به على الأعداء فقال قل يا هو يا من لا هو إلا هو فلما أصبحت قصصت على رسول الله ﷺ فقال يا علي علمت الاسم الأعظم فكان على لساني يوم بدر قال وقرأ ( ع ) يوم بدر ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ فلما فرغ قال يا هو يا من لا هو إلا هو إغفر لي وانصرني على القوم الكافرين وكان يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد فقال له عمار بن ياسر يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات قال اسم الله الأعظم وعماد التوحيد لله لا إلّه إلا هو ثم قرأ شهد الله إنه لا إلّه إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إلّه إلا هو العزيز الحكيم وآخر الحشر ثم نزل فصلى أربع ركعات قبل الزوال قال وقال أمير المؤمنين ( ع ) الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه الله المستور عن إدراك الأبصار المحجوب عن الأوهام والخطرات وقال الباقر ( ع ) الله معناه المعبود الذي أله الخلق عن إدراك ماهيته والإحاطة بكيفيته وتقول العرب أله الرجل إذا تحيَّر في الشيء فلم يحط به علماً وله إذا فزع إلى شيء قال والأحد الفرد المتفرد والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الإنفراد والواحد المباين الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء ومن ثم قالوا إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الإثنين فمعنى قوله ﴿ **الله أحد** ﴾ أي المعبود الذي يسأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته فرد بإلّهيته متعال عن صفات خلقه ﴿ **الله الصمد** ﴾ قال الباقر ( ع ) حدثني أبي زين العابدين ( ع ) عن أبيه الحسين بن علي

( ع ) أنه قال الصمد الذي قد إنتهى سؤدده والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال والصمد الذي لا جوف له والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب والصمد الذي لا ينام وأقول أن المعنى في هذه الثلاثة أنه سبحانه الحي الذي لا يحتاج إلى الطعام والشراب والنوم قال الباقر ( ع ) والصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر ولا ناه قال وكان محمد ابن الحنفية يقول الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره وقال غيره الصمد المتعالي عن الكون والفساد والصمد الذي لا يوصف بالنظائر قال وسئل علي بن الحسين زين العابدين ( ع ) عن الصمد فقال الصمد الذي لا شريك له ولا يؤده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء وقال أبو البختري وهب بن وهب القرشي قال زيد بن علي ( ع ) الصمد الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون والصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأصنافاً وأشكالاً وأزواجاً وتفرد بالوحدة بلا ضدّ ولا شكل ولا مثل ولا ندّ قال وهب بن وهب وحدثني الصادق جعفر بن محمد ( ع ) عن أبيه الباقر ( ع ) إن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي ( ع ) يسألونه عن الصمد فكتب إليهم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدّي رسول الله ﷺ يقول من قال في القرآن بغير علم فليتبوّء مقعده من النار وإن الله قد فسَّر سبحانه الصمد فقال ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن كفواً أحد ﴾ ﴿ لم يلد ﴾ لم يخرج منه شيء كثيف كالولد ولا سائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس ولا ينبعث منه البدوات كالسنة والنوم والخطرة والغم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسأمة والجوع والشبع تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف ﴿ ولم يولد ﴾ أي ولم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة والنبات من الأرض والماء من الينابيع والثمار من الأشجار ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسمع من الأذن والشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتمييز من القلب والنار من الحجر لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء مبدع الأشياء وخالقها ومنشىء الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ قال وهب بن وهب سمعت الصادق ( ع ) يقول قدم وفد من فلسطين على الباقر ( ع ) فسألوه عن مسائل فأجابهم عنها ثم سألوه عن الصمد فقال تفسيره فيه الصمد خمسة أحرف ( فالألف ) دليل على أنيته وهو قوله عز وجل﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس (واللام)

يجوز عليه من الصفات بقوله ﴿ **ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ وفيه دلالة على أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو في مكان ولا جهة وقال بعض أرباب اللسان وجدنا أنواع الشرك ثمانية النقص والتقلب والكثرة والعدد وكونه علة أو معلولاً والأشكال والأضداد فنفى الله سبحانه عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ونفى التقلب والنقص بقوله ﴿ **الله الصمد** ﴾ ونفى العلة والمعلول بقوله ﴿ **لم يلد ولم يولد** ﴾ ونفى الأشكال والأضداد بقوله ﴿ **ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ فحصلت الوحدانية البحث وروى عمران بن الحصين أن النبي ﷺ بعث سرية واستعمل عليها علياً ( ع ) فلما رجعوا سألهم عن علي ( ع ) فقالوا كل خير غير أنه كان يقرأ في أثناء كل صلاة بقل هو الله أحد فقال لم فعلتَ يا علي هذا فقال لحبّي قل هو الله أحد فقال النبي ﷺ ما أحببتها حتى أحبَّك الله عز وجل ويروى أن النبي ﷺ كان يقف عند آخر كل آية من هذه السورة وروى الفضيل بن يسار قال أمرني أبو جعفر أن أقرأ قل هو الله أحد وأقول إذا فرغت منها كذلك الله ربي ثلاثاً .

# (١١٣) سورة الفلق مكية وآياتها خمس

مدنية في أكثر الأقاويل وقيل مكية .

[ **عدد آيها** ] خمس آيات بالإجماع .

[ **فضلها** ] في حديث أبي ومن قرأ ﴿ **قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس** ﴾ فكأنما قرأ جميع الكتب التي أنزلها الله على الأنبياء. وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ أنزلت عليّ آيات لم ينزل مثلهن المعوذتان أورده مسلم في الصحيح . وعنه عن النبي ﷺ قال يا عقبة ألا أعلمك سورتين هما أفضل القرآن أو من أفضل القرآن قلت بلى يا رسول الله فعلّمني المعوذتين ثم قرأ بهما في صلاة الغداة وقال لي اقرأهما كلما قمت ونمت. أبو عبيدة الحذاء عن أبي جعفر ( ع ) قال من أوتر بالمعوذتين وقل هو الله أحد قيل له يا عبد الله أبشر فقد قبل الله وترك .

[ **تفسيرها** ] ذمَّ سبحانه أعداء الرسول ﷺ في سورة تبت ثم ذكر التوحيد في سورة الإخلاص ثم ذكر سبحانه الإستعاذة في السورتين فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

[ اللغة ] أصل الفلق الفرق الواسع من قولهم فلق رأسه بالسيف يفلقه فلقاً ويقال أبين من فلق الصبح وفرق الصبح لأن عموده ينفلق بالضياء عن الظلام والغاسق في اللغة الهاجم بضرره وهو هاهنا الليل لأنه يخرج السباع من آجامها والهوام من مكامنها فيه يقال غسقت القرحة إذا جرى صديدها ومنه الغساق صديد أهل النار لسيلانه بالعذاب وغسقت عينه سال دمعها. التقوب الدخول وقب يقب ومنه الوقبة النقرة لأنه يدخل فيها النفث شبيهة بالنفخ وأما التفل فنفخ بريق فهذا الفرق بين النفث والتفل قال الفرزدق :

هُمَا نَفَثَا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا عَلَى النَّافِثِ الْغَاوِي أَشَدُّ رِجَامٍ

والحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن صاحبها وإن لم يردها لنفسه فالحسد مذموم والغبطة محمودة وهي أن يريد من النعمة لنفسه مثل ما لصاحبه ولم يرد زوالها عنه .

[ النزول ] قالوا أن لبيد بن أعصم اليهود سحر رسول الله ﷺ ثم دسَّ ذلك في بئر لبني زريق فمرض رسول الله ﷺ فبينا هو نائم إذا أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فأخبراه بذلك وأنه في بئر دروان في جف طلعة تحت راعوفة والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل البئر يقوم عليها الماتح فانتبه رسول الله ﷺ وبعث علياً (ع) والزبير وعمار فنزحوا ماء تلك البئر ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأس وأسنان من مشطة وإذا فيه معقد في إحدى عشرة عقدة مغروزة بالأبر فنزلت هاتان السورتان فجعل كلما يقرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله ﷺ خفة فقام فكأنما أنشط من عقال وجعل جبرائيل (ع) يقول باسم الله أرقيك من شرّ كل شيء يؤذيك من حاسد وعين الله تعالى يشفيك ورووا ذلك عن عائشة وابن عباس وهذا لا يجوز لأن من وصف بأنه مسحور فكأنه قد خبل عقله وقد أبى الله سبحانه ذلك في قوله ﴿ **وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً** ﴾ أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا ولكن يمكن أن يكون اليهودي أو بناته على ما روي اجتهدوا في ذلك فلم يقدروا عليه وأطلع الله نبيه ﷺ على ما فعلوه من التمويه حتى استخرج وكان ذلك دلالة على صدقه وكيف يجوز أن يكون المرض من فعلهم ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا كثيراً من المؤمنين مع شدة عداوتهم له .

[ المعنى ] ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ هذا أمر من الله سبحانه لنبيّه ﷺ والمراد جميع امته ومعناه قل يا محمد اعتصم وامتنع برب الصبح وخالقه ومدبّره ومطلعه متى شاء على ما يرى من الصلاح فيه ﴿**من شر ما خلق**﴾ من الجن والانس وسائر الحيوانات وانما سمي الصبح فلقاً لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام كما قبل له فجر لانفجاره بذهاب ظلامه وهذا

قول ابن عباس وجابر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وقيل الفلق المواليد لأنهم ينفلقون بالخروج من اصلاب الآباء وارحام الامهات كما ينفلق الحبّ من النبات وقيل الفلق جب في جهنم يتعوذ أهل جهنم من شدة حرّه عن السدي ورواه ابو حمزة الثمالي وعلي بن ابراهيم في تفسيريهما وقوله ما خلق عام في جميع ما خلقه الله تعالى ممن يجوز ام يحصل منه الشر وتقديره من شرّ الاشياء التي خلقها الله تعالى مثل السباع والهوام والشياطين وغيرها **﴿ومن شر غاسق اذا وقب﴾** أي ومن شر الليل إذا دخل بظلامه عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعلى هذا فيكون المراد من شرّ ما يحدث في الليل من الشر والمكروه كما يقال اعوذ من شر هذه البلدة وإنما اختصّ الليل بالذكر لأن الغالب ان الفساق يقدمون على الفساد بالليل وكذلك الهوام والسباع تؤذي فيه أكثر وأصل الفسق الجريان بالضرر وقيل ان معنى الغاسق كل هاجم بضرره كائناً ما كان **﴿ومن شرّ النفاثات في العقد﴾** معناه ومن شر النساء الساحرات اللاتي ينفثن في العقد عن الحسن وقتادة وانما أمر بالتعوذ من شر السحرة لإيهامهم انهم يمرضون ويصحون ويفعلون شيئاً من النفع والضرر والخير والشر وعامة الناس يصدّقونهم فيعظم بذلك الضرر في الدين ولأنهم يوهمون أنهم يخدمون الجن ويعلمون الغيب وذلك فساد في الدين ظاهر فلأجل هذا الضرر في الدين لأنهم يوهمون انهم يخدمون الجن ويعلمون الغيب وذلك فساد في الدين ظاهر فلأجل هذا الضرر أمر بالتعوذ من شرهم وقال ابو مسلم النفاثات النساء اللاتي يملن آراء الرجال ويصرفنهم عن مرادهم ويردّونهم الى آرائهن لأن العزم والرأي يعبّر عنهما بالعقد فعبّر عن حلّها بالنفث فإن العادة جرت انّ من حلّ عقد نفث فيه **﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾** فإنه يحمله الحسد على ايقاع الشر بالمحسود فأمر بالتعوذ من شرّه وقيل انه اراد من شرّ نفس الحاسد ومن شرّ عينه فإنه ربما أصاب بهما فعاب وضر وقد جاء في الحديث ان العين حق وقد مضى الكلام فيه[1] وروي ان العضباء ناقة النبي ﷺ لم تكن تسبق فجاء اعرابي على قعود[2] له فسابق بها فسبقها فشقّ ذلك على الصحابة فقال النبي ﷺ حقّ على الله عز وجل الّا يرفع شيئاً من الدنيا الا وضعه وروى انس ان النبي ﷺ قال من رأى شيئاً يعجبه فقال الله ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضر شيئاً وروي ان النبي ﷺ كان كثيراً ما يعوذ الحسن والحسين (ع) بهاتين السورتين وقال بعضهم ان الله سبحانه جمع الشرور في هذه السورة وختمها بالحسد ليعلم انه أحس الطبائع نعوذ بالله منه .

---

(١) أي في سورة يوسف راجع المجلد الثالث .

(٢) القعود: البكر من الابل حين يركب اي يمكن ظهره من الركوب .

# (١١٤) سورة الناس مكية وآياتها ست

مدنية وهي مثل سورة الفلق لأنها احدى المعوذتين وهي ست آيات .

[ **فضلها** ] الفضل بن يسار قال سمعت ابا جعفر ( ع ) يقول ان رسول الله ﷺ اشتكى شكوى شديدة ووجع وجعاً شديداً فأتاه جبرائيل وميكائيل ( ع ) فقعد جبرائيل ( ع ) عند رأسه وميكائيل عند رجليه فعوّذه جبرائيل بقل أعوذ برب الفلق وعوّذه ميكائيل بقل أعوذ برب الناس. ابو خديجة عن أبي عبد الله ( ع ) قال جاء جبرائيل الى النبي ﷺ وهو شاك فرقاه بالمعوذتين وقل هو الله احد وقال باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك خذها فلتهنيك فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو الدوري عن الكسائي يميل الناس في موضع الجر ولا يميل في الرفع والنصب والباقون لا يميلون .

[ **اللغة** ] الوسواس حديث النفس بما هو كالصوت الخفي وأصله الصوت الخفي من قول الأعشى :

تَسْمَعُ لِلْحَلِي وَسْواساً إذا انْصَرَفَتْ  كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلٌ(١)

قال رؤبة:

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصاً رَبَّ الْفَلَقْ  سِرّاً وَقَدْ أَوَّنَ تَأْوِينَ الْعُقُقْ(٢)

والوسوسة كالهمهمة ومنه قولهم فلان موسوس اذا غلب عليه ما يعتريه من المرة يقال وسوس وسواساً ووسوسة وتوسوس والخنوس الاختفاء بعد الظهور خنس يخنس ومنه الخنس في الأنف لخفائه بانخفاضه عندما يظهر بنتّوة وأصل الناس الاناس فحذفت الهمزة التي هي فأويد لك على ذلك الانس والأناس واما قولهم في تحقيره نويس فإن الالف لما كانت ثانية زائدة اشبهت الف فاعل فقلبت واواً .

[ الإعراب ] قيل ان قوله من الجنة بدل من قوله من شرّ الوسواس فكأنه قال أعوذ بالله من شر الجنة والناس وقيل ان من تبين للوسواس والتقدير من شر ذي الوسواس الخناس من الجنة والناس أي صاحب الوسواس الذي من الجنة والناس فيكون الناس معطوفاً على الوسواس الذي هو في معنى ذي الوسواس وان شئت لم تحذف المضاف فيكون التقدير من شر الوسواس الواقع من الجنة التي توسوسه في صدور الناس فيكون فاعل يوسوس ضمير الجنة وإنما ذكر لأن الجنة والجن واحد وجازت الكناية عنه وان كان متأخراً لأنه في نية التقديم فجرى مجرى قوله فأوجس في نفسه خيفة موسى وحذف العائد من الصلة الى الموصوف كما في قوله اهذا الذي بعث الله رسولاً اي بعثه الله رسولاً .

[ المعنى ] ﴿قل﴾ يا محمد ﴿أعوذ برب الناس﴾ أي خالقهم ومدبّرهم ومنشئهم ﴿ملك الناس﴾ أي سيدهم والقادر عليهم ولم يجز هنا الا ملك وجاز في فاتحة الكتاب ملك ومالك وذلك لأن صفة ملك تدل على تدبير من يشعر بالتدبير وليس كذلك مالك وذلك لأنه يجوز ان يقال مالك الثوب ولا يجوز ملك الثوب فجرت اللفظة في فاتحة الكتاب على معنى الملك في يوم الجزاء وجرت في هذه السورة على ملك تدبير من يعقل التدبير فكان لفظ

(١) البيت من معلقته الشهيرة والوسواس: جرس الحلى. واذا انصرفت اي اذا انقلبت الى فراشها. والعشرق شجرة مقدار ذراع لها اكمام فيها حب صغار إذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب. والزجل: الصوت. شبه صوت الحلى بخشخشة المشرق.

(٢) هذا بيت من الرجز المشطور من ارجوزة طويلة يصف فيها حمار الوحش يقول: ان الصياد لما احس بالصيد وأراد رميه وسوس نفسه بالدعاء حذر الخيبة وقد أون اي شرب الحمار الماء حتى انتفخ بطنه كالاتان العقوق وهي التي تكامل حملها وقرب ولادها، وقد مر البيتان في المجلد الثاني .

ملك أولى هنا وأحسن ومعناه ملك الناس كلهم وإليه مفزعهم في الحوائج **﴿إلَه الناس﴾** معناه الذي يجب على الناس أن يعبدوه لأنه الذي تحقٌّ له العبادة دون غيره وانما خصَّ سبحانه الناس وان كان سبحانه ربّاً لجميع الخلائق لأن في الناس عظماء فأخبر بأنه ربهم وان عظموا ولأنه سبحانه أمر بالاستعاذة من شرّهم فأخبر بذكرهم انه الذي يعيذه منهم وفي الناس ملوك فذكر انه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر انه إلَههم ومعبودهم وانه هو المستحق للعبادة دون غيره قال جامع العلوم النحوي وليس قوله الناس تكراراً لأن المراد بالأول الاجنة ولهذا قال برب الناس لأنه يربيهم والمراد بالثاني الاطفال ولذلك قال ملك الناس لأنه يملكهم والمراد بالثالث البالغون المكلفون ولذلك قال إلَه الناس لأنهم يعبدونه والمراد بالرابع العلماء لأن الشيطان يوسوس اليهم ولا يريد الجهال لان الجاهل يضل بجهله وإنما تقع الوسوسة في قلب العالم كماقال فوسوس اليه الشيطان وقوله **﴿من شر الوسواس الخناس﴾** فيه أقوال ( أحدها ) ان معناه من شر الوسوسة الواقعة من الجنة وقد مرَّ بيانه ( وثانيها ) ان معناه من شر ذي الوسواس وهو الشيطان كما جاء في الاثر انه يوسوس فإذا ذكر العبد ربه خنس ثم وصفه الله تعالى بقوله **﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾** أي بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى قلوبهم من غير سماع ثم ذكر ان هذا الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس **﴿من الجنة﴾** وهم الشياطين كما قال سبحانه الا ابليس كان من الجن ثم عطف بقوله **﴿والناس﴾** على الوسواس والمعنى من شر الوسواس ومن شر الناس كأنه أمر ان يستعيذ من شر الجن والانس ( وثالثها ) ان معناه من شر ذي الوسواس الخناس ثم فسَّره بقوله من الجنة والناس كما يقال نعوذ بالله من شر كل مارد من الجن والانس وعلى هذا فيكون وسواس الجنة هو وسواس الشيطان على ما مضى وفي وسواس الانس وجها ن ( أحدهما ) انه وسوسة الانسان من نفسه ( والثاني ) اغواء من يغويه من الناس ويدل عليه قوله شياطين الانس والجن فشيطان الجن يوسوس وشيطان الانس يأتي علانية ويرى انه ينصح وقصده الشر قال مجاهد الخناس الشيطان اذا ذكر اسم الله سبحانه خنس وانقبض واذا لم يذكر الله انبسط على القلب ويؤيده ما روي عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله ﷺ ان الشيطان واضح خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله سبحانه خنس واذا نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس وقيل الخناس معناه الكثير الاختفاء بعد الظهور وهو المستتر المختفي من أعين الناس لأنه يوسوس من حيث لا يرى بالعين وقال إبراهيم التيمي اول ما يبدو الوسواس من قبل الوضوء وقيل ان معنى قوله يوسوس في صدور الناس يلقى الشغل في قلوبهم بوسواسه والمراد ان له رفقاء به يوصل الوسواس الى الصدر وهو أقرب من خلوصه بنفسه الى صدره وفي هذا اشارة الى ان

الضرر يلحق من جهة هؤلاء وانهم قادرون على ذلك ولولاه لما حسن الامر بالاستعاذة منهم وفيه دلالة على أنه لا ضرر ممن يتعوذ به وإنما الضرر كله ممن يتعوذ منه ولـو كان سبحـانه خالقاً للقبائح لكان الضرر كله منه جل وعز وفيه اشارة ايضاً الى انه سبحانه يراعي حال من يتعوذ به فيكفيه شرورهم ولولا ذلك لما دعاه الى التعوذ به من شرورهم ولما وصف سبحانه نفسه بأنه الرب الإلّه الغني عن الخلق فإنَّ من احتاج الى غيره لا يكون إلّهاً ومن كـان غنياً عالماً لغناه لا يختار فعل القبيح ولهذا حسنت الاستعاذة به من شرّ غيـره وروى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال إذا قرأت قل اعوذ برب الفلق فقل في نفسـك اعوذ بـرب الفلق واذا قرأت قل أعوذ برب الناس قل في نفسك اعوذ برب الناس وروى العياشي بإسناده عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال قال رسول الله ﷺ اما من مؤمن إلا ولقلبه في صـدره اذنان اذن ينفث فيهـا الملك واذن ينفث فيها الـوسواس الخنـاس فيؤيد الله المؤمن بالملك وهو قوله سبحانه وأيدهم بروح منه .

**تم الجزء العاشر من كتاب مجمع البيان**
**في علوم القرآن**

## [ حكاية خط المصنف رحمه الله ]

وهي : الحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً على تسهيله وتقدر الفراغ منه لمصنفه يوم الخميس منتصف ذي القعدة من سنة ست وثلاثين وخمسمائة .

اللهم لك الحمد على توفيقك وتأييدك وارشادك وتسديدك حمداً استوجب به المزيد من نعمك واستحق به لطائف كرمك اللهم اجعل جدي واجتهادي في جميع ما شذ من تفسير كتابك العزيز وكدي وانكماشي في ضم ما انتشر من معانيه باللفظ الوجيز ذريعة إلى ادراك رضوانك وصلة الى الاتصال بأوليائك وأصفيائك في جنانك وقابل تقربي بذلك اليك وتوسلي الى الاطهار الاخيار محمد ﷺ وعترته الابرار بالقبول التام وأعممني وولدي وأهل حزانتي بالانعام العام وأتمم يا رب هذه النعمة الجسيمة التي أنعمت عليَّ بها وجعلتني اهلا لها بالمد في العمر والامداد بالتوفيق واليسر لإ فادة من يطلبه من أهل الدين والخير والبث لما يتضمنه من العلوم والنشر احرازاً لجميل الذكر وجزيل الذخر والاجر واعتصاماً بعروتك الوثقى واغتناماً لشفاعة نبيك صلواتك عليه وآله يوم الزلفى إنك ولي الانعام ذو الجلال والاكرام وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين .

انتقل مصنف الكتاب ( ر ه ) من المشهد الرضوي على ساكنه الصلاة والسلام وعلى آبائه وابنائه الكرام إلى سبزوار في شهور سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وانتقل بها الى دار الخلود ليلة النحر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ونقل ودفن على ما هو المشهور إلى مشهد الرضوي .

**وقد تمّ تصحيحاً وتعليقاً على يد العبد المذنب الفاني السيد**
**هاشم بن السيد حسين الحسيني المحلّاتي المشتهر برسولي**
**في ثلاث مضين من رجب سنة ١٣٨٣ وقد وفقني**
**الله تعالى ـ بلطفه ومنّه ـ على تصحيح جميع اجزاء**
**الكتاب سوى الجزء التاسع واسئله تعالى**
**ادامة التوفيق لاحياء آثار**

**سيّد المرسلين وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين**
**وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين**

# فهرس المجلد الخامس من مجمع البيان في تفسير القرآن

## وهو حاو للجزء التاسع والعاشر حسب تجزئة المصنف

## وفيه تفسير سورة حم السجدة إلى سورة الناس

صفحة


﴿سورة حمّ السجدة﴾

٣ حمّ تنزيل من الرحمن الرحيم إلى قوله فاعمل إننا عاملون

٥ قل إنما أنا بشر مثلكم إلى قوله سواءً للسائلين

٧ ثم استوى إلى السماء إلى قوله وكانوا بآياتنا يجحدون

١٠ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً إلى قوله بما كانوا يعملون

١٢ وقالوا لجلودهم لم شهدتم إلى قوله إنهم كانوا خاسرين

١٥ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن إلى قوله كنتم توعدون

١٨ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا إلى قوله إلا ذو حظ عظيم

٢٠ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ إلى قوله تنزيل من حكيم حميد

٢٣ ما يقال لك إلا ما قيل للرسل إلى قوله ـ لفي شك منه مريب

٢٦ من عمل صالحاً فلنفسه إلى قوله ولنذيقنهم من عذاب غليظ

٢٨ وإذا أنعمنا على الإنسان إلى قوله إنه بكل شيء محيط

﴿سورة حمّعسّق﴾

٣٢ حمّ عسّق إلى قوله إن الله هو الغفور الرحيم

٣٣ والذين اتخذوا من دونه أولياء إلى قوله عليه توكلت وإليه أنيب

٣٥ فاطر السماوات والأرض إلى قوله وإليه المصير

٣٩ والذين يحاجون في الله إلى قوله وما له في الآخرة من نصيب

٤١ أم لهم شركاء شرعوا لهم إلى قوله ويعلم ما تفعلون

٤٥ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا

صفحة

الصالحات إلى قوله ويعفو عن كثير
٤٧ وما أنتم بمعجزين في الأرض إلى قوله ما لهم من محيص
٤٩ فما أوتيتم من شيء إلى قوله إنه لا يحب الظالمين
٥١ ولمن انتصر بعد ظلمه إلى قوله إن الظالمين في عذاب مقيم
٥٣ وما كان لهم من أولياء إلى قوله إنه عليم قدير
٥٥ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلى قوله ألا إلى الله تصير الأمور

﴿سورة الزخرف﴾

٥٩ حمٓ والكتاب المبين إلى قوله إن كنتم قوماً مسرفين
٦١ وكم أرسلنا من نبي في الأولين إلى قوله إن الإنسان لكفور مبين
٦٤ أم اتخذ مما يخلق بنات إلى قوله إن هم إلا يخرصون
٦٧ أم آتيناهم كتاباً إلى قوله فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
٦٨ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إلى قوله وإنا به كافرون
٧٠ وقالوا لولا نزل هذا القرآن إلى قوله والآخرة عند ربك للمتقين
٧٢ ومن يعش عن ذكر الرحمن إلى قوله ومن كان في ضلال مبين
٧٤ فإما نذهبن بك إلى قوله آلهة يعبدون

صفحة

٧٦ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى قوله إنهم كانوا قوماً فاسقين
٧٩ فلما آسفونا انتقمنا منهم إلى قوله في الأرض يخلفون
٨١ وإنه لعلم للساعة إلى قوله فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم
٨٣ هل ينظرون إلا الساعة إلى قوله وهم فيه مبلسون
٨٥ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين إلى قوله وإليه ترجعون
٨٨ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلى قوله فسوف يعلمون

﴿سورة الدخان﴾

٩١ حمٓ إلى قوله هذا عذاب أليم
٩٤ ربنا اكشف عنا العذاب إلى قوله فاعتزلون
٩٦ فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون إلى قوله وما كانوا منظرين
٩٩ ولقد نجينا بني إسرائيل إلى قوله ميقاتهم أجمعين
١٠١ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً إلى قوله ان هذا ما كنتم به تمترون
١٠٣ إن المتقين في مقام امين إلى قوله فارتقب أنهم مرتقبون

﴿سورة الجاثية﴾

١٠٦ حمٓ إلى قوله آيات لقوم يعقلون
١٠٩ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق إلى

صفحة

قوله ولهم عذاب عظيم
١١٠ هذا هدى والذين كفروا إلى قوله ثم إلى ربكم ترجعون
١١٣ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب إلى قوله لقوم يوقنون
١١٤ أم حسب الذين اجترحوا السيئات إلى قوله إن كنتم صادقين
١١٩ قل الله يحييكم ثم يميتكم إلى قوله ذلك هو الفوز المبين
١٢٠ وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم إلى قوله وهو العزيز الحكيم

﴿سورة الأحقاف﴾

١٢٣ حمٓ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إلى قوله وهم عن دعائهم غافلون
١٢٥ إذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً إلى قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين
١٢٧ وقال الذين كفروا للذين آمنوا إلى قوله وإني من المسلمين
١٣٠ أولئك الذين نتقبل عنهم إلى قوله وبما كنتم تفسقون
١٣٤ واذكر أخا عاد إلى قوله كذلك نجزي القوم المجرمين
١٣٧ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه إلى قوله وإلى طريق مستقيم
١٤١ يا قومنا أجيبوا داعي الله إلى قوله وهل يهلك إلا القوم الفاسقون

صفحة

﴿سورة محمد﴾
وتسمى أيضاً سورة القتال

١٤٤ الذين كفروا إلى قوله ويدخلهم الجنة عرفها لهم
١٤٨ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم إلى قوله وللكافرين أمثالها
١٤٩ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا إلى قوله فقطع امعاءهم
١٥٢ ومنهم من يستمع إليك إلى قوله فأولى لهم
١٥٦ طاعة وقول معروف إلى قوله وأملى لهم
١٥٨ ذلك بأنهم قالوا إلى قوله والله يعلم أعمالكم
١٦٠ ولنبلونكم حتى نعلم إلى قوله ولن يتركم أعمالكم
١٦٢ إنما الحياة الدنيا إلى قوله ثم لا يكونوا أمثالكم

﴿سورة الفتح﴾

١٦٦ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً إلى قوله فوزاً عظيماً
١٦٩ ويعذب المنافقين والمنافقات إلى قوله أجراً عظيماً
١٧٢ سيقول المخلفون من الاعراب إلى قوله بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً
١٧٥ قل للمخلفين من الاعراب إلى قوله ويهديكم صراطاً مستقيماً

صفحة

١٨٤ وأخرى لن تقدروا عليها إلى قوله لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً
١٨٨ إذ جعل الذين كفروا إلى قوله وأجراً عظيماً

﴿سورة الحجرات﴾

١٩٣ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله إلى قوله والله غفور رحيم
١٩٧ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق إلى قوله لعلكم ترحمون
٢٠١ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم إلى قوله إن الله غفور رحيم
٢٠٨ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله إلى قوله والله بصير بما تعملون

﴿سورة قۤ﴾

٢١٠ قۤ والقرآن المجيد إلى قوله فهم في أمر مريج
٢١٢ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم إلى قوله كذلك الخروج
٢١٤ كذبت قبلهم قوم نوح إلى قوله ذلك يوم الوعيد
٢١٧ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد إلى قوله وتقول هل من مزيد
٢٢١ وأزفت الجنة للمتقين غير بعيد إلى قوله ومن الليل فسبحه وادبار السجود
٢٢٥ واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب إلى قوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد

صفحة

﴿سورة الذاريات﴾

٢٢٨ والذاريات ذرواً إلى قوله هذا الذي كنتم به تستعجلون
٢٣٢ إن المتقين في جنات وعيون إلى قوله مثل ما انكم تنطقون
٢٣٦ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم إلى قوله للذين يخافون العذاب الأليم
٢٣٩ وفي موسى إذ أرسلناه إلى قوله إنهم كانوا قوماً فاسقين
٢٤١ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون إلى قوله من يومهم الذي يوعدون

﴿سورة الطور﴾

٢٤٥ والطور وكتاب مسطور إلى قوله ما كنتم تعملون
٢٤٨ إن المتقين في جنات ونعيم إلى قوله إنه هو البر الرحيم
٢٥٢ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن إلى قوله فهم من مغرم مثقلون
٢٥٥ أم عندهم الغيب إلى قوله وأدبار النجوم

﴿سورة النجم﴾

٢٥٨ والنجم إذا هوى إلى قوله فأوحى إلى عبده ما أوحى
٢٦٣ ما كذب الفؤاد ما رأى إلى قوله ومناة الثالثة الأخرى
٢٦٧ ألكم الذكر وله الأنثى إلى قوله وهو

صفحة

أعلم بمن اهتدى

٢٦٩ ولله ما في السماوات وما في الأرض إلى قوله ثم يجزاه الجزاء الأوفى

٢٧٣ وإن إلى ربك المنتهى إلى قوله فاسجدوا لله واعبدوا

﴿سورة القمر﴾

٢٧٩ اقتربت الساعة وانشق القمر إلى قوله أني مغلوب فانتصر

٢٨٤ ففتحنا أبواب السماء إلى قوله فكيف كان عذابي ونذر

٢٨٧ ولقد يسرنا القرآن للذكر إلى قوله كهشيم المحتظر

٢٩٠ ولقد يسرنا القرآن إلى قوله فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر

٢٩٢ أكفاركم خير من أولئكم إلى قوله عند مليك مقتدر

﴿سورة الرحمن﴾

٢٩٧ الرحمن علم القرآن إلى قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان

٣٠٢ خلق الإنسان من صلصال إلى قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان

٣٠٧ سنفرغ لكم أيها الثقلان إلى قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان

٣١٢ ولمن خاف مقام ربه إلى قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان

٣١٦ ومن دونهما جنتان إلى قوله ذي الجلال والاكرام

صفحة

٣٢٢ إذا وقعت الواقعة إلى قوله متكئين عليها متقابلين

٣٢٥ يطوف عليهم ولدان مخلدون إلى قوله إلا قيلا سلاماً سلاما

٣٢٨ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين إلى قوله وثلة من الآخرين

٣٣٢ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال إلى قوله هذا نزلهم يوم الدين

٣٣٤ نحن خلقناكم إلى قوله فسبح باسم ربك العظيم

٣٣٩ فلا أقسم بمواقع النجوم إلى قوله إن كنتم صادقين

٣٤٢ فأما من كان من المقربين إلى قوله فسبح باسم ربك العظيم

﴿سورة الحديد﴾

٣٤٥ سبح لله ما في السماوات إلى قوله وهو عليم بذات الصدور

٣٤٨ آمنوا بالله ورسوله إلى قوله والله بما تعملون خبير

٣٥٠ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات إلى قوله وبئس المصير

٣٥٦ ألم يأن للذين آمنوا إلى قوله إلا متاع الغرور

٣٦٠ سابقوا إلى مغفرة إلى قوله إن الله قوي عزيز

٣٦٤ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم إلى قوله والله ذو االفضل العظيم

صفحة

﴿سورة المجادلة﴾

٣٦٩ قد سمع الله قول التي تجادلُك في زوجها إلى قوله عذاب مهين
٣٧٣ يوم يبعثهم الله جميعاً إلى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون
٣٧٧ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله ساء ما كانوا يعملون
٣٨١ اتخذوا أيمانهم جنة إلى قوله هم المفلحون

﴿سورة الحشر﴾

٣٨٤ سبح لله ما في السماوات وما في الأرض إلى قوله وليخزي الفاسقين
٣٨٩ وما أفاء الله على رسوله إلى قوله رؤوف رحيم
٣٩٤ ألم تر إلى الذين نافقوا إلى قوله ولهم أليم
٣٩٦ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر إلى قوله هم الفائزون

﴿سورة الممتحنة﴾

٤٠٢ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله إنك أنت العزيز الحكيم
٤٠٧ لقد كان لكم فيهم اسوة إلى قوله فأولئك هم الظالمون
٤٠٩ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله الذي أنتم به مؤمنون
٤١٣ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات إلى قوله من أصحاب القبور

صفحة

﴿سورة الصف﴾

٤١٦ سبح لله ما في السماوات إلى قوله القوم الفاسقين
٤١٨ وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إلى قوله ولو كره المشركون
٤٢٠ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم إلى قوله فأصبحوا ظاهرين

الجزء العاشر

﴿سورة الجمعة﴾

٤٢٧ يسبح لله ما في السموات إلى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين
٤٣٠ قل يا أيها الذين هادوا إلى قوله والله خير الرازقين

﴿سورة المنافقين﴾

٤٣٧ إذا جاءك المنافقون إلى قوله وهم مستكبرون
٤٤٠ سواء عليهم استغفرت لهم إلى قوله والله خبير بما تعملون

﴿سورة التغابن﴾

٤٤٦ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض إلى قوله ولهم عذاب أليم
٤٤٨ ذلك بأنه كانت تأتيهم إلى قوله خالدين فيها وبئس المصير
٤٥٠ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله إلى قوله العزيز الحكيم

صفحة

﴿سورة الطلاق﴾

٤٥٤ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء إلى قوله ويعظم له أجراً
٤٦٢ أسكنوهن من حيث سكنتم إلى قوله قد أنزل الله إليكم ذكراً
٤٦٥ رسولاً يتلو عليكم آيات الله إلى قوله بكل شيء علماً

﴿سورة التحريم﴾

٤٦٨ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك إلى قوله ثيبات وابكاراً
٤٧٥ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم إلى قوله وكانت من القانتين

﴿سورة الملك﴾

٤٨٢ تبارك الذي بيده الملك إلى قوله واعتدنا لهم عذاب السعير
٤٨٥ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم إلى قوله فسحقا لأصحاب السعير
٤٨٧ إن الذين يخشون ربهم إلى قوله بل لجوا في عتو ونفور
٤٩٢ أفمن يمشي مكباً على وجهه إلى قوله بماء معين

﴿سورة القلم﴾

٤٩٦ نٓ والقلم وما يسطرون إلى قوله سنسمه على الخرطوم
٥٠٣ إنا بلوناسم كما بلونا أصحاب الجنة إلى

صفحة

قوله لو كانوا يعلمون
٥٠٧ إن للمتقين عند ربهم جنات نعيمٍ إلى قوله إن كيدي متين
٥١٠ أم تسألهم أجراً إلى قوله إلا ذكر للعالمين

﴿سورة الحاقة﴾

٥١٤ الحاقة ما الحاقة إلى قوله فأخذهم أخذة رابية
٥١٧ إنا لما طغا الماء إلى قوله في الأيام الخالية
٥٢١ وأما من أوتي كتابه بشماله إلى قوله يأكله الا الخاطئون
٥٢٣ فلا أقسم بما تبصرون إلى قوله فسبح باسم ربك العظيم

﴿سورة المعارج﴾

٥٢٧ سأل سائل بعذاب واقع إلى قوله ولا يسأل حميم حميماً
٥٣١ يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي إلى قوله في جنات مكرمون
٥٣٦ فمال الذين كفروا قبلك مهطعين إلى قوله كانوا يوعدون

﴿سورة نوح﴾

٥٤٠ إنا أرسلنا نوحاً إلى قوله وقد خلقكم أطواراً
٥٤٤ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً إلى قوله ولا تزد الظالمين الا تباراً

صفحة

﴿سورة الجن﴾

٥٥٠ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن إلى قوله أم أراد بهم ربهم رشداً
٥٥٦ وأنا منا الصالحون إلى قوله ولا أشرك به أحداً
٥٦١ قل إني لا أملك لكم ضراً إلى قوله وأحصى كل شيء عددا

﴿سورة المزمل﴾

٥٦٥ يا أيها المزمل إلى قوله واهجرهم هجراً جميلاً
٥٧١ وذرني والمكذبين أولي النعمة إلى قوله فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً
٥٧٤ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل إلى قوله إن الله غفور رحيم

﴿سورة المدثر﴾

٥٧٧ يا أيها المدثر إلى قوله غير يسير
٥٨٢ ذرني ومن خلقت وحيداً إلى قوله وما هي إلا ذكرى للبشر
٥٨٧ كلا والقمر إلى قوله وأهل المغفرة

﴿سورة القيامة﴾

٥٩٤ لا أقسم بيوم القيامة إلى قوله ولو ألقى معاذيره
٥٩٩ لا تحرك به لسانك إلى قوله أن يفعل بها فاقرة
٦٠٤ كلا إذا بلغت التراقي إلى قوله أن يحيي الموتى

صفحة

﴿سورة الإنسان﴾

٦٠٨ هل أتى على الإنسان إلى قوله عبوساً قمطريراً
٦١٧ فوقاهم الله إلى قوله سعيكم مشكوراً
٦٢٣ إنا نحن نزلنا عليك القرآن إلى قوله والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً

﴿سورة المرسلات﴾

٦٢٧ والمرسلات عرفاً إلى قوله ويل يومئذ للمكذبين
٦٣٠ ألم نهلك الأولين إلى قوله ويل يومئذ للمكذبين
٦٣٢ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون إلى قوله ويل يومئذ للمكذبين
٦٣٥ إن المتقين في ظلال وعيون إلى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون

﴿سورة عم﴾

٦٣٧ عم يتساءلون إلى قوله وجنات الفافا
٦٤٠ إن يوم الفصل كان ميقاتاً إلى قوله إلا عذاباً
٦٤٤ إن للمتقين مفازاً إلى قوله يا ليتني كنت تراباً

﴿سورة النازعات﴾

٦٤٩ والنازعات غرقاً إلى قوله فإذا هم بالساهرة
٦٥٥ هل أتاك حديث موسى إلى قوله إن في ذلك لعبرة لمن يخشى

صفحة

٦٥٦ أنتم أشد خلقاً إلى قوله إلا عشية أو ضحاها

**﴿سورة عبس﴾**

٦٦١ عبس وتولى إلى قوله كلا لما يقض ما أمره

٦٦٦ فلينظر الإنسان إلى طعامه إلى قوله أولئك هم الكفرة الفجرة

**﴿سورة كورت﴾**

٦٧٠ إذا الشمس كورت إلى قوله علمت نفس ما أحضرت

٦٧٥ فلا أقسم بالخنس إلى قوله إلا أن يشاء الله رب العالمين

**﴿سورة انفطرت﴾**

٦٧٩ إذا السماء انفطرت إلى قوله والأمر يومئذ لله

**﴿سورة المطففين﴾**

٦٨٥ ويل للمطففين إلى قوله هذا الذي كنتم به تكذبون

٦٨٩ كلا إن كتاب الابرار لفي عليين إلى قوله هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون

٦٩٥ سورة انشقت

٧٠٣ سورة البروج

٧١٢ سورة الطارق

٧١٧ سورة الأعلى

٧٢٣ سورة الغاشية

صفحة

٧٣٠ سورة الفجر

٧٤٣ سورة البلد

٧٥١ سورة الشمس

٧٥١ سورة الليل

٧٦٢ سورة الضحى

٧٦٩ سورة ألم نشرح

٧٧٤ سورة التين

٧٧٨ سورة العلق

٧٨٤ سورة القدر

٧٩١ سورة لم يكن

٧٩٦ سورة إذا زلزلت

٨٠١ سورة العاديات

٨٠٦ سورة القارعة

٨١٠ سورة التكاثر

٨١٤ سورة العصر

٨١٦ سورة الهمزة

٨٢٠ سورة الفيل

٨٢٧ سورة لإيلاف

٨٣٢ سورة أرأيت

٨٣٥ سورة الكوثر

٨٣٩ سورة قل يا أيها الكافرون

٨٤٣ سورة النصر

٨٥٠ سورة تبت

٨٥٤ سورة الإخلاص

٨٦٤ سورة الفلق

٨٦٧ سورة الناس

٨٧١ حكاية خط المصنف

٨٧١ خاتمة الكتاب

کتابخانه
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

شماره ثبت ۳۵۴۴۳
رده‌بندی ..............................
..............................
تاریخ ۱۳۷۶/۴/۲۶

تاریخ برگشت

| | | |
|---|---|---|
| خانم قطبی زاده | ۱۹/ ۵۱ | |
| خانم [illegible] | ۱۵/ ۸/ | ۱۳۷۳ |
| | | |
| خانم قطبی | ۲۷/ ۱۲/ | ۱۳۷۲ |
| | | |
| | | |
| | | |
| | | |
| | | |
| | | |
| | | |
| | | |
| | | |
| | | |